محمد حسين بزي



صدام حسين
الحقيقة المُغيَّبة

دار الأمير

صدام حسين

الحقيقة المُغيَّبة

صدام حسين

الحقيقـة المُغيَّبـة

محمد حسين بَزّي

دار الأمير

إسم الكتـاب : صدام حسين الحقيقة المُغيَّبة

إسم المؤلـف : محمد حسين بَزّي

تنضيد وإخـراج : زهرين

تصميم الغـلاف : احمد حمود

الطبعة الأولى : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الترقيم الدولي : ISBN 978-9953-494-33-3

الناشـــر : دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

دار الأمير للثقافة والعلوم

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت - لبنان

تلفاكس: 07 29 45 1 961+ ص.ب: 113/5551 الحمرا - بيروت - لبنان

Website: www.daralameer.com E-mail: daralameer@daralameer.com

الفهرس

الفصل الثاني: تاهيل صدام

الفصل الثالث: صدام والجرائم

الفصل الرابع: من وثائق صدام

الفصل الخامس: أخوة صدام

الفصل السادس: أبناء صدام.. وقائع مخيفة

الفصل السابع: بنات صدام

الفصل الثامن: سميرة الشهبندر والإبن الثالث لصدام

الفصل التاسع: حروب صدام

الفصل العاشر: سقوط بغداد

الفصل الثاني عشر: «عملية الفجر الأحمر» صدام في قبضة الأمريكيين

الفصل الثالث عشر: يوميات صدام في السجن

الفصل الرابع عشر: محكمة الأنفال

الفصل الخامس عشر: محكمة الدجيل

الفصل السادس عشر: تفاصيل جلسة النطق بالحكم

الفصل السابع عشر: تنفيذ الحكم بإعدام صدام

الفصل الثامن عشر: ردود افعال متباينة

الفصل التاسع عشر: لائحة المسؤولين العراقيين الذين تمت محاكمتهم إلى جانب صدام

الفصل العشرون: محطات مهمة سجلها تاريخ العراق الحديث

الفصل الحادي والعشرون: صدام حسين في تواريخ مهمة

المقـدمة

التأريخ لحياة الرئيس العراقي السابق «صدام حسين»؛ وما صاحبها من إعادة تكوين سلطة كانت لعبت دوراً كبيراً في تشكيل خارطة المنطقة الجيوسياسية طيلة ثلاثة عقود، هذا التأريخ لم يكن بالأمر اليسير كما توقعت في بداية تأليف هذا الكتاب، خاصة إذا ما نظرنا لعراق ما بعد صدّام؛ وما تحمله الأجندة الأمريكية من إعادة تشكيل ما يُسمَّى «بالشرق الأوسط الجديد».

إنَّ احتلال بلدٍ بحجم وتاريخ العراق ليس نزوة «مقاتل» كما يصوّره البعض، فإذا ما نظرنا إلى تاريخ صعود صدام وسقوطه؛ وما حفلت به تلك الحقبة من حروب وتحالفات، وبطش وتنكيل و«إبادات جماعية»، وتغييبٍ للحقائق، وما صحبها من تأييد أو غضّ نظر على الأقل؛ من الغرب عموماً، والإدارة الأمريكية خصوصاً، عندها نستطيع أن نشاهد صورة مختلفة لذلك المشهد، ونستطيع أن نقرأ تاريخاً آخر لصدّام حسين؛ غير المُدوَّن قطعاً.

وهذا الكتاب؛ يأتي بعد كتاب «أسرار من بغداد»، الذي انتشر انتشاراً واسعاً، وطُبع عدّة طبعات بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦م، فكانت فرصة لاستدراك فوات ما سبق، وإتمام ما لحق من أحداث تتعلق بمفاصل أساسية من حياة الرئيس السابق؛ يُكشف النقاب عنها لأول مرة.

إن هذا الكتاب «صدام حسين ـ الحقيقة المُغيَّبة ـ» يأتي في لحظة تاريخية حرجة من تاريخ العرب؛ الأمر الذي دعاني لتوخّي الدقة في نقل المعلومة، وأمام عمل بهذا الحجم لا أدّعي إحاطة بتاريخ؛ ولا عصمة برأي، وقد استدرك لاحقاً ما فاتني الآن إذا ما كان في العمر بقية.

من خلال ما تقدّم حاولت جاهداً الحفر في المستور، ونبش ذلك التاريخ ـ المُغيَّب ـ الذي بقي لحدّ الآن من المسكوت عنه، عمداً تارةً وقهراً تارةً أخرى.

التاريخ عادةً ما يكتبه المنتصر...، وبما أننا جميعاً مهزومون ـ بِنَسبٍ متفاوتة ـ، يشقّ هذا الكتاب طريقه للقارئ العربي مرتاح الضمير؛ ناشداً الحقيقة والتاريخ الصحيح لرجلٍ توقف عليه مصير منطقة بأكملها.

وقد يحقق ما أصبو إليه؛ بأن يكون هذا الكتاب وثيقة حيَّة بأيدي الأجيال القادمة على الأقل، ولأني لا أراهن كثيراً على وضعنا العربي الراهن؛ قررت أن أهدي هذا الكتاب للمنتظر من الأجيال.

محمد حسين بَزّي

بيروت

٣/٥/٢٠٠٨م

الفصل الأول

صدام حسين

صـــدام

إن تكريت القاسية والمتصارعة والمثخن جسدها الاجتماعي بالمؤامرات والدسائس، هي «الحمض النووي» لجينات صدام حسين الإنسانية والثقافية والاجتماعية. . هكذا، تقدم الدراسات الغربية صورة صدام حسين، وتبلغ هذه الصورة ذروتها الخبيثة، حينما تغمز من قناة أن تكريت هي صورة مصغّرة عن حياة العرب التاريخية والمعاصرة التي يدّعي الأمريكيون أنهم يسعون إلى تحريرهم وإخراجهم من إطارها ليدخلوا صورة محاكاة نيويورك والحياة الحديثة!؟.

. . جوانب أخرى أساسية تركّز عليها أيضاً معاهد التفكير الأمريكي في مجال إجابتها عن سؤال القرن الجديد، من هو صدام حسين؟ أهمها أنه نصب وثني لحزب البعث العربي الاشتراكي، المسؤول عن إعاقة ولادة الديمقراطية في هذه المنطقة لنحو قرن من الزمن والذي يتحمّل المسؤولية أمام الشعوب العربية، عن زرع غدد اليأس والإحباط في نفوسهم، ما جعلهم يبحثون في ظل تطبيق حزب البعث المشوّه للعلمانية، عن ملاذ سياسي بديل، وجدوه في التطرّف الإسلامي الذي أسس لفقه ثقافي سياسي ديني مسؤول عن أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر؟!.

ويتم أيضاً دفع صورة صدام حسين من قبل العقل الدعائي السياسي الأمريكي، إلى زاوية إيحائية أخرى من المعاني، مفادها فشل الدول النفطية العربية في بناء المجتمع المدني المتسامح والديموقراطي، والحل لهذه المعضلة هي جعل هذه الدول تعيش فترة ثلاثة أجيال مقبلة من الانتداب الثقافي والسياسي والاقتصادي الأمريكي! ويقول نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني «إن موارد العراق النفطية التي تعدّ ثاني أهم وأكبر الموارد النفطية في العالم، ستشكّل عاملاً مهماً في بناء الديموقراطية». إن هذه العبارة تتردّد الآن كثيراً في أوساط الإدارة الأمريكية وخارجها في الغرب، وتقول مسوغاتها إن النفط ـ كغيره من الموارد الطبيعية الأخرى، لا يساعد على إيجاد

الرأسمالية أو المجتمع المدني، وبالتالي الديموقراطية. إنه يعمل في الحقيقة على عرقلة هذه العملية، فالدول التي يحتوي ترابها على الكنوز لا تحتاج إلى وضع أُطر لقوانين والسياسات التي تحقق النموّ الاقتصادي ممّا يؤدي بالتالي لخلق الطبقة الوسطى الحيوية والمتنوّرة، فهذه الدول تقوم ببساطة، بحفر الأرض لاستخراج الذهب الأسود، وكونها تملك «أرصدة الأمان» لا تعمل من أجل بناء اقتصادها، وهي بالتالي لا تتطوّر اقتصادياً أو سياسياً، والثروة النفطية السهلة تعني في نهاية المطاف أن الدولة لا تحتاج إلى فرض الضرائب على مواطنيها، ورغم أن هذا الأمر يبدو جيداً للوهلة الأولى إلا أن الحكومات التي لا تفرض الضرائب على شعوبها، تقوم بالمقابل، بمطالبة هذه الشعوب بدفع ثمن مقابل، مثل عدم مساءلة الحاكم في مواضيع الشفافية والديموقراطية!! وتصل هذه المقولة إلى ذروتها عندما تقول إن المعادلة بين الضرائب والتمثيل السياسي تأتي في صلب الليبرالية الغربية التي تريد واشنطن في هذا العصر الجديد تعميمها على العالم العربي بالإقناع أو بالقوة!!

إن مأساة صدام حسين لجهة الصورة التي يتمّ استخراجها له في هذه المرحلة، تبدو محدودة، قياساً بالصورة التي يتمّ الآن استخراجها للعرب ولتاريخهم، استناداً على أنها هي استنساخ لصورة صدام حسين؟!

والواقع، «أنه لا تبدو أن هناك هوامش واسعة للدفاع عن سيرة صدام حسين السياسية، فهي شخصية أفرطت في العنف للدفاع عن السلطة التي بحوزتها، ولكن في المقابل، شهدت سيرته، باعتراف معارضيه، مراحل ذهبية في بعض مراحلها فخلال الفترة الحزبية، بدا صدام حسين محاوراً وجدياً ومسؤولاً ومتفرّغاً للنضال الحزبي، وخلال فترة السبعينيات، كان يُنظر إليه من قبل كافة القوى العراقية، بما فيها الأكراد والشيوعيون، على أنه الرجل المنقذ والذي يمكن الثقة به، وبالمقابل هناك أيضاً صفحات سوداء قاتمة في سيرته.

وبغض النظر عن حقيقة أن صدام حسين في النهاية هو حالة فردية اجتماعية تسلّطية، وكما تقصّد رعاة البقر أن يجعلوا من إدانة هتلر، هي إدانة لألمانيا، فإنهم يريدون أن يجعلوا من إدانة صدام حسين، هي إدانة لكل العرب»[1]!!

---

(١) للمزيد راجع الشراع، العدد ١١١٤ الصادر ٢٠٠٣/١٢/٢٢م (بتصرف).

السيرة المسكوت عنها

عاش صدام حسين طفولة بؤس وشقاء وحرمان، ومسقط رأس الرجل الذي سيصبح واحداً من أقوى الزعماء العرب في العصر الحديث هو قرية العوجة الفقيرة الواقعة على ضفاف نهر دجلة والقريبة من مدينة تكريت، ينتمي لأسرة فقيرة، وقد تيتم في سن مبكرة وأرسل ليعيش مع أقاربه الذين تكفلوا بتنشئته وتعليمه، وليس من المطلوب ان يكون المرء على معرفة متعمقة بعلم الفلسفة حتى يقدر تأثير هذه الظروف على تطور الطفل، ومثل هتلر وستالين، هذين المستبدين الطاغيين، فان صدام تغلب على مآسي طفولته ليصبح زعيم العراق الذي لا ينازع، كان الخجل من اصوله المتواضعة هو القوة الدافعة لطموحه، كما ان احساسه بعدم الأمان الذي تولد لديه نتيجة طفولته غير المستقرة جعلته في وقت لاحق من حياته لا يثق بأحد، حتى أقرب الناس اليه، واذا ما اخذنا بالاعتبار هذه الظروف البائسة، فهل يستحق صدام الثناء لتغلبه على هذه العوامل والعوائق الاجتماعية القاهرة إلى ان وصل إلى قمة الهرم السياسي في العراق..؟

في هذا الفصل سنحاول الوقوف على السيرة المسكوت عنها لهذا الرجل الذي شغل العالم في العقود الثلاثة الماضية.

كانت العوجة التي تبعد ثمانية كيلومترات جنوب تكريت في شمال وسط العراق عبارة عن بيوت واكواخ من الطمي يسكنها اناس يعيشون في فقر مدقع، المياه الجارية، الكهرباء والطرق الممهدة لم تكن معروفة، ورغم انه كان هناك عدد من ملاك الأراضي في المنطقة، فان القرية نفسها كانت جرداء، ونسبة الوفيات بين الاطفال كانت مرتفعة، والبقاء على قيد الحياة كان الشغل الشاغل للكثيرين، وكان ملاك الأراضي في الهلال الخصيب التي تنتج الرز، القمح، الخضراوات، التمور والعنب، يعيشون في تكريت المجاورة أو في بغداد، وكانوا يحظون بمكانة مميزة في المجتمع العراقي، وكان سكان العوجة الفقراء يعملون في فلاحة هذه الاراضي أو كخدم في تكريت، ولما لم تكن هناك مدارس في العوجة، فان الآباء القادرين كانوا يرسلون أبناءهم للدراسة في تكريت.

العوجة

ورغم ان معظم السكان كانوا يعملون في الأراضي، فان البعض كان يمارس انشطة محظورة مثل السرقة، القرصنة والتهريب، وكانت العوجة تشتهر بأنها ملاذ لقطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يكسبون رزقهم بالسطو على «الدوبا» القوارب الصغيرة التي كانت تنقل البضائع بين الموصل وبغداد.

رسمياً ولد صدام يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٧، وحتى يضفي على هذا التاريخ مصداقية، فقد جعله سنة ١٩٨٠ عطلة رسمية، وهناك من يقول انه ولد قبل ذلك بسنتين، بينما يدعي آخرون بأنه من مواليد سنة ١٩٣٩، وهذا يوضح ان عملية تسجيل المواليد والزواج والوفيات كانت بدائية جداً، وفي الواقع فان صدام حصل على تاريخ رسمي لمولده من صديقه وشريكه فيما بعد عبدالكريم الشيخلي الذي ينتمي إلى عائلة ميسورة من بغداد، ولهذا السبب كانت لديه شهادة ميلاد رسمية، وكان صدام يغار من عبدالكريم لانه كان يعرف يوم ميلاده، ومن المقبول عموما ان صدام غير سنة مولده حتى يصور نفسه بانه أكبر من عمره اثناء صعوده في حزب البعث، وهذا يتضح من زواجه بزوجته الأولى ساجدة، وهي من مواليد عام ١٩٣٧.

ورغم ان تاريخ ميلاده محل خلاف، فان المكان ثابت ومؤكد، ولد صدام في بيت يملكه خاله خير الله طلفاح، الذي كان نازي الهوى وسجن لمدة خمس سنوات بسبب تأييده للثورة ضد البريطانيين اثناء الحرب العالمية الثانية، وينتمي إلى عشيرة البيجات احد فخوذ قبيلة البوناصر التي كانت مهيمنة في منطقة تكريت، وقد لعبت الولاءات القبلية دورا مهما في صعود صدام للسلطة، وبحلول الثمانينات كان هناك ستة اعضاء على الأقل في القبيلة، بمن فيهم صدام، الذين شغلوا مناصب حكومية مهمة، وفي الثلاثينات فان القبيلة كانت معروفة بفقرها وبميلها إلى العنف، وكان زعماؤها يفاخرون بتصفية اعدائهم لأتفه الاسباب، ورغم ان صدام اقام نصباً لوالدته صبحة التي توفيت عام ١٩٨٢، فانه لم يفعل ذلك بالنسبة لوالده، كما انه ليس هناك اي سجل لوفاته ولا المكان الذي دفن فيه، ونتيجة لذلك فان كل الروايات تجمع على ان والده حسين المجيد، اما انه قد ترك منزل الأسرة قبل ولادة الطفل أو بعد ذلك بقليل.

الشقيقة «سهام»...

ورغم ان حياة وممات والده يكتنفها الغموض، فان له شقيقة تدعى سهام التي تكبره بسنة أو سنتين والتي كانت تبتعد عن الأضواء رغم مكانة اخيها، تزوجت من احد القضاة ورزقت بطفلين، والمرة الوحيدة التي برز اسم عائلتها إلى العلن في العراق، كان ابان الحرب العراقية ـ الايرانية، عندما رفض زوجها دعوة صدام للعراقيين بالتطوع في الخدمة العسكرية، وضعت الأسرة قيد الاقامة الجبرية وتم عزل زوج سهام، لكن بعد اشهر عفا صدام عنهم واعاد زوجها إلى عمله، وحقيقة ان سهام شقيقة صدام، وعلى عكس كل اقاربه المقربين، لم تحظ ابدا بمكانة مرموقة في العراق، فان ذلك يثير اسئلة حول ما اذا كانت سهام تمت بصلة مباشرة إلى صدام.

ويبدو أنها كانت متأخرة في زواجها، لأن أخاها الرئيس نقلها من محافظة صلاح الدين (تكريت) ـ حيث كانت تعيش في قرية (العوجة) مع والديها وأخوتها ـ إلى بغداد حيث كان يقيم، وبقيت بجواره من (١٩٦٣) حتى عام (١٩٧٣). وهي تتذكر تلك الفترة وكيف كانت تقوم فيها بخدمته، إذ تقول «وأذكر كيف أني كنت أقوم على خدمته وأقدم له يد المساعدة في فترة نضاله السري، فمثلاً قبل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز كان رئيساً للجمعيات الفلاحية، وكان لديه اجتماع مع الفلاحين في منزله كل شهر، وخلال الاجتماع كنت أحضّر لهم كل ما يحتاجونه من طعام وشراب ولا أنام حتى يخرج آخر واحد منهم»[١]. وصار حبها لهؤلاء يفوق كل حب، كما أن علاقتهم بها كانت متميزة جداً ـ على حدّ تعبيرهاـ، وذلك لأنها تركت بيت الرئيس والخدمة فيه بعد زواجها ا لمتأخر، ولم يكن لها من الأولاد الكبار ما ينافس (عدي) أو يصطدم معه، فكلهم كانوا صغار السن ولم تسمح لهم ظروفهم بالاحتكاك والمنافسة لعدي كما هو شأن أبناء أخواتها الأخريات الذين تعرّض لهم عدي في أحيان كثيرة بالتجاوز والإهانة وإرسالهم إلى دورات الضبط في سجن الرضوانية، على الرغم من كونهم في الحماية الخاصة لوالده. وبهذا الخصوص حدّثني مسؤول الحماية الخاصة لآمال إبراهيم الحسن، بأن اجتماعات خاصة جمعته مع ليث أحمد عبد الغني الشاوي وأخيه هيثم أحمد عبد الغني

---

(١) مجلة ألف باء البغدادية، العدد (١٢٨٣) السنة الخامسة والعشرين ٦ ذي القعدة ١٤١٣هـ الأربعاء ٢٨ نيسان ١٩٩٣م مقابلة مع سهام إبراهيم الحسن.

الشاوي. وكانا بعد كل مشكلة لهم مع عدي، يجلسون ويتندّرون راسمين لعدي صورة ساخرة مستقاة من طريقة كلامه ولثغته، وحتى لطريقة جلوسه ومشيته الغارقة بالخيلاء والتكبر، والإعجاب بالنفس، وكثيراً ما يرددون ساخرين كلمة (الأستاذ عدي)[١].

أما بالنسبة لمصير والده، فان أكثر ما يمكن ان يقال، اما انه قد توفي بعد فترة قصيرة من ولادة سهام، أو انه ترك منزل العائلة، ويقول بعض من عاصروا صدام في تكريت بان حسين المجيد هجر صبحة إلى امرأة اخرى، وعاش معها لسنوات عدة بعد ولادة صدام، رغم ان العلاقة بين الجانبين من العائلة كانت مسمومة.

الوالدة المستبصرة

ورغم انه من الصعب تقديم سيرة دقيقة لطفولة صدام المبكرة، فانه يمكن تجميع بعض الخيوط بعد هجر حسين المجيد لمنزل الأسرة، كانت صبحة والدة صدام تعاني من العدم، كان عملها الوحيد قراءة الطالع «مستبصرة»، وقال سكان في تكريت، انهم يتذكرونها بملابس سوداء على الدوام وجيوبها مليئة بالاصداف التي كانت تستخدمها في مهنتها، وتحدثت بعض الروايات عن انها كانت تتلقى بعض الدعم المادي من شقيقها خير الله الذي كان يسكن في تكريت، بينما تكفل الأخير بتنشئة صدام، وتعود شهرة تكريت تاريخياً إلى انها كانت مسقط رأس صلاح الدين القائد الشهير الذي هزم الصليبيين الغزاة في فلسطين، في سنة ١٣٩٤ زارها تيمورلنك سليل جنكيزخان، والذي توقف فيها لبناء هرم من جماجم ضحاياه المهزومين.

وخير الله طلفاح الذي كان يعمل ضابطاً في الجيش في تكريت من القوميين العرب المتحمسين، وسيصبح له نفوذ كبير على تشكل صدام الصغير، وعندما ادى حماس خير الله للنازيين إلى طرده من الجيش عام ١٩٤١، افتقده صدام كثيراً، قال صدام لفؤاد مطر احد كتاب سير حياته الرسميين، «كان خالي قومياً، ضابطاً في الجيش العراقي، امضى خمس سنوات في السجن، وكان دائماً يبث فينا الروح الوطنية والقومية، وعندما كنت اسأل عنه، كانت أمي تقول انه في السجن»، وقد زرع خير الله في الصبي الكراهية للعائلة الملكية التي كانت تحكم العراق في ذلك الحين، ومن يدعمهم من الاجانب، والبريطانيين قبلهم على سبيل المثال، وقد كان هذا الشعور

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص١٢٢، ط١، ٢٠٠٢ بيروت.

عميقاً لدى صدام الذي كتب قائلا بعد ان اصبح رئيسا «يجب تعليم اطفالنا الحذر من كل ما هو اجنبي، وعدم البوح بأي سر من اسرار الدولة والحزب للأجانب لان الاجانب هم عيون بلادهم».

كان سجن خير الله يعني عودة صدام للعيش مع والدته التي كانت قد تزوجت لدى عودة ابنها إلى العوجة من قريب لها يدعى إبراهيم الحسن، الذي كان فقيراً ويعمل بواباً بمدرسة في تكريت، وكان يعتدي بالضرب على صدام، حيث انه كان يجبره على الرقص في الوحل للنجاة من الضرب بالعصا، كان البيت المبني من الطين صغيراً، وحتى صدام نفسه يعترف بحياة الحرمان والشقاء اثناء طفولته، فقد اسر لأمير اسكندر احد كتاب سير حياته، انه لم يعش حياة الصغر، وكان طفلا حزينا يتجنب صحبة الآخرين، وهناك فقرة تثير (الشفقة) في قوله ان مولده لم يكن مناسبة سعيدة، ولم تكن هناك زهور إلى جانب مهده.

زوج الأم

والى جانب هذه الظروف القاسية، فقد كان على صدام ان يتحمل الحياة الكئيبة مع زوج امه الفاسد الذي كان يعرف في القرية بـ «حسن الكذاب»، لانه ادعى بانه قد ادى مناسك الحج، مع انه في الحقيقة لم يقترب من حدود السعودية قط، وقد حرم صدام من الذهاب إلى المدرسة، وكان يكلفه بالقيام بالأعمال المنزلية الوضيعة، كما كان يجبره على سرقة البيض والدجاج من منازل الجيران، وقد يكون قد أمضى مدة من الزمن في سجن للأحداث نتيجة لأفعاله تلك، ويقول وزير عراقي سابق ان والدته صبحة كان لها دور أيضا بتشجيعه على القيام بتلك السرقات، وكان يتم توزيع الغنائم في الليلة نفسها.

وان كانت الحياة صعبة في المنزل، فانها لم تكن أحسن حالاً عندما كان يتمكن صدام من الإفلات من زوج امه ويخرج إلى الشارع، وكان شائعاً في القرية أن الصبي قتيم، الأمر الذي لم يفعل حسين شيئا لدحضه، ونتيجة لذلك فان الصبية كانوا يضايقون صدام ويتحرشون به أحياناً، حتى انه كان يضطر للتسلح بقضيب من الحديد عندما يخرج إلى الشارع للدفاع عن نفسه ان دعت الضرورة، وتحدثت روايات عن أن صدام كان يضع القضيب في النار ويبقر بطون الحيوانات به من أجل التسلية ليس الا، وكان

صدام يعاني من الوحدة، وكان المخلوق الوحيد الذي يهتم به هو حصانه الذي حزن كثيراً على وفاته، حتى أنه قال ان يده شلت طيلة أسبوع بسبب ذلك.

ومن الممكن سبر وفهم وجهة نظر صدام عند طفولته من خلال سير حياته الرسمية، لم يذكر زوج والدته الا لماما وبسوء، كان يوقظه في الفجر ويشتمه من أجل رعي الغنم، وهو يعترف بأنه عاش في منزل متواضع، وفي السبعينات وعندما كان صدام يسعى لبناء قاعدة نفوذ له في العراق، كان يؤكد على أصوله المتواضعة، والتي كان يأمل من ورائها التقرب وكسب تعاطف المواطنين العاديين، في يونيو من عام ١٩٩٠ وعشية حرب الخليج، كان صريحاً أثناء مقابلة مع ديانا سوير من شبكة «اي بي سي» التلفزيونية عندما قال: ان الحياة كانت صعبة للغاية في العراق، قلة قليلة كانت ترتدي احذية وفي كثير من الحالات، فانهم كانوا يرتدونها في المناسبات الخاصة، وبعض الفلاحين لم يكونوا يلبسون أحذيتهم الا عند وصولهم إلى مقصدهم حتى تبقى نظيفة.

صدام وعائلته

ومثل معظم الأبناء فان صدام كان يمجد أمه وهو ما تمثل في البناء الذي اقامه لها في تكريت وان كان ذلك بأموال الدولة، وقد احتفظ صدام بعلاقات جيدة مع اخوته من أمه، وان كانت العلاقات بينهم صعبة أثناء الطفولة، وقد اسند صدام لكل من برزان، وسبعاوي ووطبان مناصب رسمية مهمة بعد أن أصبح رئيسا للعراق، حتى أن برزان اعتبر نفسه لسنوات عدة ولي عهد صدام الذي علمته تنشئته بأن لا يثق بأحد، وأهمية الاعتماد على النفس، وقيمة وأهمية استخدام القوة لاطاحة كل من يقف في وجهه أو طريقه، وتعلم انه أياً كانت عدم كفاءة اسرته الوظيفية فان هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذين يمكن ان يثق بهم ويعتمد عليهم.

واذا كانت تجربة صدام مع زوج أمه قد ساعدته في تشكيل شخصيته، فان الفترة التي أمضاها مع خاله في تكريت وبغداد قد اسهمت دون أدنى شك بوجهات نظره السياسية، وبينما كان خير الله لاعباً صغيراً في النضال الأوسع من قبل الشعب العراقي للحصول على حق تقرير المصير، فان مشاركته الفعالة في التيارات القومية في ذلك

الوقت تركت بصمة لا تمحى لدى صدام الصغير، خصوصاً ان انشطة خاله قد حرمته من صحبة خير الله خلال خمس سنوات حاسمة من طفولته.

كان ابن الأخت والخال قد تغيرا بقدر كبير بحلول الوقت الذي التأم فيه شمل صدام وخير الله من جديد في تكريت، كان خير الله يشعر بالمرارة والميل إلى الانتقام نتيجة للمعاملة التي لقيها على يد البريطانيين، والى جانب حبسه، فانه قد خسر مكانته الاجتماعية بعد طرده كضابط من القوات المسلحة العراقية، بعد اطلاق سراحه عمل ناظراً لمدرسة خاصة، حيث اخذ يبث وجهات نظره القومية وافكاره المعادية للبريطانيين بين طلاب المدرسة، يقول طالب سابق في المدرسة «كان خير الله رجلا في منتهى القسوة نازياً وفاشياً، كل الطلبة كانوا يخافونه سواء بالنسبة لسجله في محاربة البريطانيين أو آرائه السياسية».

اثناء غياب خاله القسري كان صدام قد تخرج بجدارة كفتى قوي وصلب من الشوارع، وبسبب والد زوجته كان أمياً، وبالنسبة لمعظم الفتية الذين هم في مكانة صدام الاجتماعية فان التعليم لم يكن يشكل أولوية بالنسبة لهم، ولو تكن هناك رغبة لدى صدام في محاكاة خاله وتقليده، لكان قد بقي مثلهم يعتاش على السرقة والبلطجة، كان الانخراط في القوات المسلحة ربما هو الطريق الوحيد المتاح لمثل من هم في مكانة صدام لتحسين مواقعهم الاجتماعية، كان طموح اي شاب عراقي ميال للخدمة العسكرية الالتحاق باكاديمية بغداد العسكرية التي اسسها البريطانيون لتخريج ضباط جيدي التدريب وموالين.

مولود مخلص

ويعود انضمام شبان تكريت للقوات المسلحة إلى مولود مخلص الذي ولد في تكريت وبنى سمعة اثناء الثورة العربية ضد العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وبعد تأسيس العراق اصبح مخلص احد المقربين الموثوقين من الملك فيصل الأول ونائب رئيس مجلس الشيوخ في ظل الملكية، واستخدم نفوذه في تعيين الشبان من تكريت بمراكز رفيعة في القوات المسلحة والشرطة، وهو ما دأب عليه اعوانه فيما بعد، وبذلك وفي اواخر الخمسينات تكونت عصبة قوية في قلب الجيش العراقي والمؤسسة الامنية، وقد تطلع صدام الذي كان يمتلك بنية قوية تؤهله لخوض الحرب للانضمام للاكاديمية،

لكن لسوء حظه فانه لم يكن يمتلك اي مؤهلات علمية وشهادته الوحيدة انه خريج العوجة.

وتقترن عودة الشاب الطموح للعيش مع خاله في تكريت بحكايات مفادها ان خير الله طلفاح الذي كان بمثابة والد صدام بالتبني، قد عرض مساعدة صدام للحصول على تعليم مناسب.

ووفقا لفؤاد مطر كاتب سيرة حياة صدام فان عائلة صدام كانت تريد منه ان يصبح مزارعاً، على اساس انه لا فائدة من التعليم، لكن صدام اصبح مهتما بفكرة التحصيل العلمي والذهاب إلى المدرسة بعد ان التقى بابن خاله عدنان خير الله، الذي ابلغه كيف انه يتعلم القراءة والكتابة والحساب، وعدنان هو ابن خير الله من زواجه الأول الذي أثمر أيضا عن انجاب ساجدة التي ستصبح الزوجة الأولى لصدام، بعد اطلاق سراحه تزوج خير الله من امرأة اخرى وانتقل عدنان وساجدة اللذان كانا يعيشان مع امهما في منزل والدها في بغداد اثناء سجن والدهما للسكن في تكريت، وقد اصبح عدنان اعز اصدقاء الطفولة لصدام، وتبوأ فيما بعد منصب وزير الدفاع وهو منصب احتفظ به حتى وفاته في ظروف غامضة بتحطم هليوكبتر، وهناك أكثر من بيّنة أن صدام نفسه كان وراء حادث تحطم طائرة عدنان خير الله عام ١٩٤٧، تأثر صدام بما سمعه من ابن خاله حتى انه قرر السفر معه إلى تكريت للالتحاق بالمدرسة، ووفقا لسيرة حياته الرسمية: فقد كانت تلك «أول خطوة تمرد» يتخذها صدام، حيث كانت أسرته مازالت مقتنعة بأن التعليم ما هو الا مضيعة للوقت بالنسبة لإبنها.

الهدية: «مسدس»

كان صدام والناس نيام يغادر المنزل ويشق الظلام في طريقه، حيث يعمل ببعض من أقاربه الذين كانوا يفاجأون بظهوره المفاجئ، لكنهم كانوا يتفهمون عندما بدأ يشرح لهم أسبابه وانه يريد الذهاب إلى المدرسة ضد رغبة أسرته، وكان صدام يلقى التشجيع من هؤلاء الأقارب، قدموا له مسدسا وأركبوه سيارة إلى تكريت حيث تم الترحيب به من قبل أقاربه وهنأوه على قراره، بعد ان أكمل المرحلة الابتدائية في المدرسة انتقل إلى بغداد مع خاله خير الله طلفاح، وأكمل دراسته في بغداد وصولاً للمرحلة الثانوية.

وحتى في الريف العراقي في الاربعينيات حيث الناس يعيشون بعيدا عن حكم

القانون، فان اعطاء مسدس لصبي في العاشرة من العمر حتى يعتمد على نفسه يبدو بعيد الاحتمال، وفي الريف العراقي فان الناس يكتسبون اسم العائلة عموما من مكان الولادة، ولهذا السبب فان اسم صدام يتوجب ان يكون صدام حسين العوجة، وليس كما يصر حتى يومنا هذا صدام حسين التكريتي.

ولم تكن تجربة صدام التعليمية ممتعة، فقد كان يزامل أطفالاً في الخامسة من أعمارهم مما كان يسبب له حرجا وكلمات تنم عن السخرية، فكان يدخل في مشاجرات مع البعض منهم لهذه الأسباب، وقد تركت تهكمات أولئك الطلبة جروحاً عميقة في نفسه، ويقال انه عندما شب عن الطوق عاد إلى تكريت للانتقام ممن كانوا يسخرون منه وتصوره بعض الروايات بأنه كان صبياً يتصف بالشجاعة والجرأة، وكان يداعب أساتذته ببعض الممارسات الطريفة، مثلما فعل مع مدرس الدين الذي كان عندما يهم بمعانقته، يضع أفعى في ملابسه، ويقول أحد الذين عاصروه أيام الدراسة، ان الناظر قرر طرد صدام من المدرسة، وعندما علم صدام بذلك توجه إلى مكتب ناظر المدرسة وهدده بالقتل فعدل الناظر عن قراره.

عبوس

كان صدام يتلقى التشجيع بصفة خاصة من خاله وابن خاله عدنان الذي كان يكبره بثلاث سنوات للاستمرار في التحصيل العلمي، كانت الصور التي التقطت له في تلك الفترة تظهر صبيا عبوسا، حاد النظرات مظهره يدل على انه قادر على العناية بنفسه، وكان على صدام ان يتغلب على الكثير من العقبات للالتحاق بالمدرسة، لم يكن من الطلبة المتفوقين، رغم انه يتمتع بذاكرة ممتازة وقدرة تصويرية على تذكر التفاصيل، ويقول سعيد أبو الريش أحد المدافعين عنه ان صدام كان طفلاً نجيباً وذكياً وأظهر قدرة على التعلم بسرعة، لكن هذا التقييم يتعاكس مع عدم استطاعة صدام النجاح في اختبار القبول الخاص بأكاديمية بغداد العسكرية التي كان تواقا إلى الالتحاق بها، وقد شعر بالاهانة لرفض طلبه، وبعد ان تعزز موقفه في الحكومة عين نفسه برتبة لواء فخري، وبعد ان أصبح رئيسا منح نفسه رتبة مشير، وأعدم باطلاق الرصاص ابن مولود مخلص الضابط التكريتي الذي يرجع اليه الفضل في تعيين أبناء بلدته وأقاربه بمراكز مهمة في القوات المسلحة العراقية.

اكمل صدام دراسة الإبتدائية سنة ١٩٥٥ في تكريت، وانتقل مع عدنان خير الله إلى بغداد حيث التحق الصبيان بمدرسة الكرخ الثانوية، وكان لانتقاله من تكريت إلى بغداد تأثير مهم مثلما كان من العوجة إلى تكريت، كانت بغداد في الخمسينات تعيش جوا من النشاط والتنافس السياسي، كان الشعور القومي في اوجه وقد توج ذلك بالانسحاب البريطاني في عقب الحرب العالمية الثانية، كانت حركة الاستقلال تموج في القاهرة بزعامة جمال عبد الناصر وتصميمه على تحرير القاهرة من محور النفوذ البريطاني، والذي أدى بالتالي إلى ازمة السويس سنة ١٩٥٦، والتي اثبتت انها المسمار الأخير في نعش الطموح الامبريالي البريطاني، وكان للنجاح الديبلوماسي الذي حققه عبد الناصر في السويس صداه في انحاء الشرق الاوسط كما شجع جماعات قومية اخرى وبخاصة في العراق، حيث كانت الملكية التي اقامتها بريطانيا سنة ١٩٢٢ ما تزال في الحكم ولا تحظى بالشعبية، وغازي الملك العراقي الوحيد الذي حظي بدعم شعب حقيقي، والذي اغضب البريطانيين نتيجة لذلك، وقتل في حادث تحطم سيارة غامض سنة ١٩٣٩، وقد اتهم البريطانيون وحلفاؤهم في الحكومة البريطانية بأنهم وراء اغتياله، كان خليفته فيصل الثاني يبلغ الرابعة من عمره، وكانت البلاد تحكم فعلياً من قبل عبد الاله والسياسي العراقي المحنك نوري السعيد، واللذين كانا من الموالين للبريطانيين وبعد نجاحات عبد الناصر ظهرت تناقضات بين أولئك الموالين للبريطانيين من امثال نوري وعبد الاله، والاحزاب القومية التي اخذت تعمل على قلب النظام الملكي.

صدام حسين الذي أصبح يتمتع ببنية قوية، مفتول العضلات وطويل القامة (٦ أقدام وإنشان) مع انتهاء سنوات المراهقة بقي يتحدّث بلهجة فلّاحية وخطبه تمتزج بعامية تكريتية حتى بعد أن أصبح رئيساً، خطبه العلنية لا تتقيّد بالقواعد اللغوية، وكذلك أحاديثه الخاصة، وهو ما كان يربك المترجمين الرسميين ويسبب لهم المشاكل.

اولى حروب صدام الصبي!!

تكريت القاسية والمتصارعة فيما بينها، كانت تربّي أطفالها على حروب الكر والفر. وكانت اللعبة المفضلة لدى الفتية فيها، هي الانقسام إلى معسكرين على أساس

عائلي أو جهوي، حيث يلتحم الفريق في حرب «داحس والغبراء» تتواصل لأسابيع. ولم تكن هذه المواجهات مقتصرة على الأولاد، بل كان الآباء والأمهات يتورطون في أتونها لاحقاً. وكان إن نشب ذات مرة عراك بين أهل العوجة التي ينتمي إليها صدام حسين، وبين التكارتة من أبناء الشيابشة والبوخشمان والحديثيين، لقد تموضع أهل العوجة على أطراف الحارة التي يقطنون فيها (الساخنة) إلى الشمال من شاطىء دجلة، في حين تموضع الجيش الثاني مقابل القلعة التي يسكنها التكارتة، وقاد صدام حسين جيش العوجة المؤلف من أولاد مشاكسين، ونصب لمساعدته أحد أبناء عمومته، وهو هزاع الهزاع الذي محا صدام فيما بعد في صراع حقيقي على السلطة، أسرة ابن هزاع عن بكرة أبيها لأنه تجرأ على السخرية منه.

وقد خسر صدام تلك المعركة، لأنه أصرّ على تنفيذ الخطة التي وضعها، رافضاً نصيحة ابن عمه الذي حذّره من أن «العدو» يريدنا أن نهاجم، لأنه أعدّ لنا كميناً قاتلاً.

في بغداد وفي اواخر الخمسينات، فان صدام ربما كان عضوا في الفتوة، وهي منظمة شبيبة شبه عسكرية على غرار شبيبة هتلر، والتي شكلت اثناء حكم الملك غازي في الثلاثينات، كانت أهداف الفتوة تدعو إلى ان يعمل العراق على توحيد العرب بالكيفية نفسها التي وحد بها سكان بروسيا الألمان، وبتشجيع من خير الله فان صدام كان يشاهد في مقدمة أي تظاهرة أو اعمال عنف ضد الحكومة، وفي مثل هذه الأجواء من العنف والفوضى، فان القضية كانت مسألة وقت فقط قبل ان يعمد صدام إلى قتل احد الاشخاص.

وكما هي الحال بالنسبة لسنوات صدام الأولى، فان هناك درجة من عدم اليقين في ما يتعلق بالهوية الحقيقية لأولى ضحاياه، ورغم انه يقيم رسمياً في بغداد، فقد كان يسافر باستمرار إلى تكريت، وكان ينظم اعمال العنف والتظاهر وهناك مثل يقول عندما يأتي اهالي العوجة فمن الأفضل اغلاق ابوابكم، تقول احدى الروايات ان أولى ضحايا صدام هو ابن عم له اساء إلى زوج امه إبراهيم الحسن، ورغم عدم وجود دليل يدعم هذا الزعم، فان أعمال القتل هذه كانت مألوفة، وليس من الغريب ان يكون حسن قد ارسل وراء ابن زوجته لحل نزاع في البلدة.

لكن ليس هناك أي شك بعلاقة صدام في مقتل سعدون التكريتي، وهو عضو في

الحزب الشيوعي كان يعمل كمسؤول محلي للحزب وقتل في اكتوبر ١٩٥٨، كان البعثيون اعداء مريدين للشيوعيين، وبالتأكيد فان خير الله احد ممثلي البعث الرئيسيين في تكريت، لم يكن يشعر بالارتياح ازاء تمتع شيوعي بسلطة في المدينة، لكن الدافع الحقيقي وراء الجريمة، كان معرفة سعدون بسجل وخلفية خير الله البغيضة، وعندما عين خير الله مديرا للتعليم في بغداد سنة ١٩٥٨، وعلم سعدون التكريتي بالأمر وتوجه إلى بغداد وابلغ السلطات بماضي خير الله والذي عزل من وظيفته الجديدة ولما لم يمض سوى بضعة اشهر على تعيينه، ورد خير الله بالطريقة الوحيدة التي يعرفها، وامر ابن اخته بالانتقام له، ونفذ صدام أوامر خاله دونما أي تردد.

تمت الجريمة في تكريت، وبينما كان سعدون عائدا إلى منزله ليلاً من احد المقاهي انقض عليه صدام قرب باب منزله مستغلاً العتمة واطلق عليه رصاصة واحدة من المسدس الذي اعطاه اياه خير الله فارداه قتيلا.

بعد هذا الحادث اعتقل خير الله وصدام واودعا السجن لمدة ستة شهور، قبل ان يطلق سراحهما بسبب عدم توافر الأدلة، عاد صدام إلى بغداد واستأنف ممارسة نشاطه السياسي وكسب قوته بالعمل كمحصل في احد الباصات.

ونتيجة لانشطته في تكريت، فان صدام اكتسب شهرة، ليس كتلك التي كان يأمل بها كضابط يتدرب في اكاديمية بغداد العسكرية، ولكن كمحرض سياسي لا ينفر من ارتكاب جريمة قتل لتحقيق هدفه، ربما يكون حزب البعث صغيراً ثلاثمئة عضو فقط عام ١٩٥٨، لكن كانت لديه طموحات، وقادته لم يكونوا يتلكأون في الاعتراف بمواهب اعضائه من الشبان، وان كان لحزب البعث ان يحقق هدفه في الاستيلاء على السلطة، فقد كان عليه أولا الخلاص من الحكومة، وهكذا فان المهمة الرسمية التالية التي اوكلت اليه تتمثل في اغتيال الرئيس العراقي الجديد.

كان اسقاط الملكية العراقية ابان ثورة ١٩٥٨ واحداً من أكثر الأحداث دموية في التاريخ الحديث للشرق الأوسط، ففي وقت مبكر من صباح يوم ١٤ يوليو، اقتحمت وحدات من الجيش تطلق على نفسها اسم«الضباط الاحرار»القصر الملكي في قصر الرحاب، دمرت المدفعية الجزء الأعلى من المبنى، واجبروا الملك فيصل الثاني والوصي، واسرهم على الهرب من المبنى إلى ساحة القصر، حيث احاط بهم الضباط، ودونما اي اعتبار للنساء والاطفال تم قتلهم جميعاً، كانت الناجية الوحيدة من حمام

الدم، زوجة الوصي، لانها اعتبرت ميتة وسط كومة الجثث الملكية، وكان قادة الانقلاب مصممين على الا يتركوا اي اثر للعائلة العراقية الملكية، حتى لا يكون لهم اي نواة في المستقبل، وكانت لفتة الاحترام الوحيدة التي ابداها قادة الانقلاب، قد تمثلت في اخذ جثة الملك الصغير لدفنها في مكان سري.

اما جثة عم الملك والوصي السابق عبدالاله فقد اعطيت للعامة، وقد اتهم عبدالاله ورئيس الوزراء نوري السعيد بالمسؤولية عن السياسة الموالية للبريطانيين واشتبه بمسؤوليتهما عن مقتل الملك غازي، الوحيد الذي كان يحظى بالولاء من قبل الشعب العراقي اثناء فترة حكمه القصيرة في الثلاثينات، تم سحل جثة عبدالاله في الشوارع حيث تم ربطها إلى سيارة قبل تقطيعها بطريقة بشعة، وتم عرض الأشلاء والأجزاء المتبقية في وزارة الدفاع، وفي المكان نفسه الذي تم فيه شنق اربعة من الضباط الكبار على يد البريطانيين لدورهم في ثورة ١٩٤١. تمكن نوري السعيد من النجاة طيلة يومين قبل ان يقبض عليه متخفياً بملابس امرأة اثناء محاولته الهرب، حاول نوري السعيد المقاومة بمسدسه، لكنه سرعان ما تمت السيطرة عليه وقتله، ولم يكتف الضباط بذلك، بل انهم داسوه بسيارتهم مرات عدة قبل ان يتم دفن ما تبقى من الجثة، لكن مجموعة من الغوغاء نبشوا جثته ومثلوا بها، وطافوا ببعض الأجزاء في الشوارع.

اين كان صدام ايام ثورة ..١٩٥٨؟

اما مكان وجود صدام اثناء أيام ثورة ١٩٥٨ ، فلم يكن معروفاً ، لكن يمكن القول ان البعثي الشاب وخاله كان لهما دور اثناء العنف الذي انفجر بعد الاطاحة بالملكية، وقتل مئات، وربما الالاف من العراقيين في حمام الدم، وقد ايد البعثيون بكل ما يملكون الإنقلاب العسكري وكانوا مصممين على انجاحه.

عبد السلام عارف

وقد اعلنت الاجندة السياسية لقادة الإنقلاب في الساعة السادسة والنصف صباح يوم ١٤ يوليو في بيان خاص عبر الاذاعة وتلا البيان عبدالسلام عارف احد قادة الانقلاب، فقال: «ان الجيش قد حرر الوطن العزيز من النظام الفاسد الذي اقامته

ونصبته الامبريالية»، وتمثل القرار الأول للحكومة الجديدة بالغاء المؤسسات الرئيسية للنظام السابق بما في ذلك الملكية واعتقال أولئك الذين ساعدوا ذلك النظام.

تزايدت الضغوط للتغيير خصوصاً في صيف ١٩٥٨ ، كنتيجة لدعم العراق لحلف بغداد من جهة ونجاح عبدالناصر في تحدي بريطانيا وفرنسا حول قناة السويس عام ١٩٥٦. وفي الواقع فانه بحلول عام ١٩٥٨ ، ومزهوا بانتصاره الديبلوماسي، فان عبدالناصر كان يحاول تبني قضية البعثيين بنفسه عندما اقترح نموذجاً أولياً لدول عربية متحدة في فبراير من عام ١٩٥٨. اقيم اتحاد سياسي يضم سورية ومصر فانضمت اليمن في وقت لاحق، واطلق على الكونفديرالية الجديدة الجمهورية العربية المتحدة برئاسة عبدالناصر والقاهرة عاصمتها ، وايد معظم الضباط الاحرار الذين نفذوا انقلاب ١٤ يوليو في العراق مبدأ الانضمام للاتحاد، وبخاصة أولئك الذين كانوا اعضاء في حزب البعث، والذين كانوا يعتقدون بانه السبيل الأفضل لتحقيق هدفهم بانشاء دولة عربية واحدة.

عبد الكريم قاسم

ونتيجة لذلك، فقد القى البعثيون بثقلهم ودعمهم الكامل للحكومة الجديدة التي شكلت في بغداد بصيف ١٩٥٨ برئاسة عبدالكريم قاسم زعيم الضباط الأحرار، اوكل قاسم للبعثيين ١٢ حقيبة وزارية من بين الحقائب الست عشرة في حكومته الجديدة، وكان بعض الضباط الاحرار قد وعدوا عبدالناصر بأنهم سينضمون إلى الجمهورية العربية المتحدة مقابل دعمه ومساعدتهم في قلب الملكية، لكن عندما تسلم السلطة انتهج عبدالكريم قاسم منهجا يتسم بالحذر، وفي هذا المجال فان قاسم كان يتصرف بكيفية سينسخها عدد من الزعماء العراقيين في سنوات الاضطراب والعنف التالية، وعندما يكونون في المعارضة، فإن من المألوف ان يعمد سياسيون عراقيون كثيرون إلى دعم فكرة تشكيل تحالفات مع جيرانهم العرب، لكنهم عندما يتسلمون السلطة، فإنهم سرعان ما يتبنون قضية العراق أولاً وهي سياسة تضع المصالح العراقية في المقام الأول، وبعد ان ثبت قاسم حكمه تبنى العراق أولا ، وكانت لديه تحفظات ازاء وضع استقلال العراق تحت قبضة عبدالناصر.

وكانت تساوره الشكوك ازاء دوافع بعض زملائه الانقلابيين وبخاصة عبدالسلام عارف الذي ارتأى بان يضغط من اجل الانضمام إلى الكونفديرالية مع مصر وسورية

بهدف تعزيز موقعه السياسي في العراق، وكما يحدث غالباً في الثورات، فان الثوار سرعان ما وجدوا انفسهم في وسط خلافات بين كل منهم حول التوجه الذي ينبغي ان تسلكه الثورة، وبحلول اوائل الخريف رفض عبدالكريم قاسم اي كونفدرالية مع عبدالناصر، وعلاوة على ذلك، وفي محاولة لتعزيز سلطته امر باعتقال عارف وعدد من الضباط الأحرار الذين حوكموا بتهمة الخيانة، وفي هذه المحاكمة تم الكشف عن تورط صدام في اغتيال سعدون التكريتي وحكم على عارف وزملائه بالموت، لكن هذه الأحكام خفضت فيما بعد إلى السجن مدى الحياة.

اللحظة الحاسمة

وفي خطوة اخرى لتعزيز قاعدة سلطته ونفوذه أبرم قاسم تحالفاً مع الحزب الشيوعي العراقي، الذي كان لاسبابه الايديولوجية الخاصة يعارض بشدة الانضمام إلى الاتحاد، والاتحاد الوحيد الذي يدعمه الشيوعيون العراقيون كان مع موسكو أو تحالف قاسم مع الشيطان، كما وصفه الكثير من القوميين، كما سببت المحاكمات الصورية للعراقيين من غير الشيوعيين تدهورا سريعا في العلاقات بين قاسم والعديد من الضباط الأحرار الذين دعموا اسقاط الملكية، ولم يكونوا مستعدين للتسامح مع استبدال ديكتاتور بآخر، وجاءت اللحظة الحاسمة في مارس في عام ١٩٥٩ عندما نظم عدد من الضباط القوميين انقلابا على قاسم، وفشل الانقلاب فشلاً ذريعاً وحتى يلقن الانقلابيين درساً، شجع قاسم الشيوعيين على ملاحقة اعدائهم القوميين واعتقالهم، وكانت النتيجة حمام دم جديدا في التاريخ العراقي الحديث، وقتل الشيوعيون ومثلوا بالعديد من القوميين العرب الذين دعموا الضباط وتمت محاكمة الضباط الأحرار الذين ساعدوا في الاطاحة بالملكية بتهمة الخيانة، وفي الموصل شجع الشيوعيون الغوغاء على عمليات نهب وسلب واغتصاب دامت نحو اسبوع، حوكم المتهمون امام محاكم صورية ونفذ فيهم حكم الإعدامُ رمياً بالرصاص امام اعين الجميع.

وبالنسبة للبعثيين فان سلوك قاسم كان يرقى إلى الخيانة، كانوا قد دعموا قادة الانقلاب في صيف ١٩٥٨ لاسقاط الملكية بشرط ان ينضم العراق لاتحاد الدول العربية، لكن خلال اقل من عام وجهت لآمالهم ضربة قوية، وشعروا بانه مادام قاسم في السلطة فانه لا امل لهم بتحقيق اهدافهم، وفرصتهم الوحيدة بتحقيق تلك الاهداف

تتمثل في ازاحة قاسم عن السلطة وتوصلوا إلى قرار بان يتم تحقيق ذلك بواسطة الاغتيال.

اما ان يطرح اسم صدام لتنفيذ تلك المهمة فانه لم يكن مفاجئاً، وفي تلك المرحلة من تطوره، فان حزب البعث العراقي كان هيئة ايديولوجية اكثر من كونه آلية مقاتلة ومعظم اعضائه الثلاثمئة كانوا اما من الطلاب أو من المهنيين الذين كانوا يطمحون إلى انشاء مجتمع اكثر عدلا تخدم فيه الحكومة مصالح الشعب بدلا من خدمة مصالح القوى الاجنبية، دعم حزب البعث اسقاط الملكية، لكنه لم يكن احد منهم موجودا عندما ارتكبت مجزرة بحق العائلة الملكية.

شجع البعثيون التمرد في الموصل، لكنهم لم يكن لهم يد فعلية والآن وبعد ان قرروا الخلاص من قاسم، فقد كانوا يملكون الارادة، غير انهم كانوا يفتقرون إلى الوسائل، ومن المحتمل ان تكون فكرة اغتيال قاسم قد طرحها عبدالناصر، وربما ان بعض المشاركين في محاولة الاغتيال قد تلقوا تدريبا على يد رجال امن عبدالناصر، لكن لم يقدم اي دليل على اتهام عبدالناصر بأنه كان له دور في هذه المؤامرة.

... مزاعم

يزعم صدام بانه انضم إلى حزب البعث منذ عام ١٩٥٧، عندما كان طالباً في مدرسة الكرخ الثانوية، ولا يبدو ان هناك اي سبب لدحض ذلك، اما ما يثير الدهشة فهو ان صدام اختار الانضمام إلى حزب هو بكل المقاييس كان مجهولاً نسبياً، وليس هناك اي دليل على انه سيصبح احدى القوى المهيمنة في السياسات العربية المعاصرة، ووفقا لسيرة حياته الرسمية فان صدام انضم إلى البعث لانه وجد بأن مبادئه تطابق توجهاته ومبادئه القومية، وقد اعتبر نفسه قوميا منذ ان حكت له والدته قصصا حول نشاط خاله خير الله طلفاح ضد البريطانيين.

ورغم ان طلفاح لم يكن لديه وقت للبعث، ولم ينضم إليه ابداً فانه اقام علاقة صداقة مع احمد حسن البكر، مواطنه التكريتي الذي كان برتبة لواء في الجيش العراقي، والذي سيصبح احد الأركان المهيمنين في الحزب، وأول رئيس بعثي للعراق، وبتشجيع من خير الله اخذ صدام تحت جناحه، وهي مشاركة اثمرت عن حكم الرجلين للعراق طيلة عشر سنوات، ومن خلال البكر، تم تقديم صدام لحزب البعث

وفي هذه المرحلة من حياته على كل حال، فان صدام كان مجرد نصير للحزب وليس عضواً كاملاً، ذلك ان العضوية في الحزب كانت مقيدة ومحدودة لاولئك الذين يثبتون ولاءهم للحزب، والتزامهم بايديولوجيته.

وقد اسهم تورط صدام في المؤامرة لاغتيال قاسم بشكل كبير في النظر إليه باعجاب، وليس هناك رواية افضل لدوره في تلك القصة التي رواها بنفسه، والتي يعيد دوره إلى الأيام التي كان فيها في السجن في تكريت حيث قضى ستة اشهر في اواخر ١٩٥٨ بشبهة اغتيال سعدون التكريتي، وكان هذا الاغتيال قد تم بعد فترة وجيزة من تسلم قاسم للسلطة وكنتيجة لذلك، اودع صدام السجن مع خير الله بعد ان اجتاح العنف البلاد، وادعى صدام انه استخدم حبسه لانقاذ زملائه في البعث من القتل على ايدي الشيوعيين في تكريت.

صدام في القاهرة

لا يزال حي الدقي الشهير بوسط القاهرة يحتفظ بذكرياته عن صدام حسين الذي عاش فيه ثلاث سنوات، على الرغم من أن أربعين عاما مرت على وجوده هناك عندما جاء للقاهرة هاربا من ملاحقة أجهزة الأمن العراقية، إثر قيامه بمحاولة اغتيال رئيس العراق آنذاك عبدالكريم قاسم، واستغل صدام فترة لجوئه عام١٩٦٠ حتى عام١٩٧٣ لإكمال دراساته التي تركها قبل انضمامه للتنظيمات السرية لحزب البعث الذي كان في طور النشأة آنذاك، فالتحق بمدرسة قصر النيل الثانوية التي تقع في قلب ميدان الدقي، ثم التحق بعدها بكلية الحقوق جامعة القاهرة التي لاتبعد كثيرا عن حي الدقي الذي كان ومازال يعج بالدارسين العرب في هذه الجامعة العريقة. وأكد أناس كثيرون أن شخصية صدام حسين لا تنسى، وأنهم مازالوا يحتفظون بذكرياتهم معه، لأنه كان من أشهر الطلاب العراقيين بسبب مشاغباته الكثيرة ووجوده على رأس شلة كبيرة من العراقيين يظهر فيها كقائد، فقد كانت شخصيته كما يتذكرون عنيفة جدا، وفي الوقت نفسه يتميز بالكرم والعطف على الآخرين، فلا يرد من يطلب مساعدته، ودائما ما يظهر قويا وجريئا، لذلك هم لا يصدقون حتى الآن ما بدا عليه من ضعف واستسلام.

وقد كان صدام حسين دائم التردد على مقهى إنديانا الشهير وسط ميدان الدقي، ويتذكر بعض العاملين بالقهوة أنه كان أحيانا يحب الجلوس بمفرده على الترابيزة

رقم(٤) ليتناول قهوته ويقرأ في كتبه الدراسية، وقد نشأت بينه وبين عم حنفي صاحب المقهى علاقة قوية، فقد كان يرحب دائما بصدام عند مجيئه وينصحه بالابتعاد عن المشكلات والسياسة التي كان يتحدث في أمورها مع عم حنفي فقط، وقد ظلت العلاقة وطيدة بينهما حتى بعد عودة صدام إلى العراق، فقد كان يعطف عليه لعلمه بوجود ابنة له مريضة، وكان كثيرا ما يرسل له نقودا وهدايا عن طريق السفارة، ويعالج ابنته المريضة على نفقته، وكان عم حنفي الذي توفي قبل سنوات يردد دائما أن صدام حسين إنسان شهم وجدع. . . !

ويتذكر العاملون بمقهى إنديانا أنه بعد تولي صدام حسين الحكم في العراق جاء إلى المقهى وتناول قهوته على ترابيزته المفضلة وسدد ديونه السابقة للجرسونات ودفع بقشيش(٥٠٠ دولار) وترك بعض الهدايا.

ومن عادات صدام حسين اليومية داخل حي الدقي أنه كان يتناول طعامه في مطعم كبابجي الدقي، وكان يعد له السندويتشات الحاج عبدالقادر الخولي الذي يبلغ من العمر ٨٠ عاما، ويقول: كنت أعامله كزبون عادي فلم أتوقع أنه رجل عسكري أو أنه سيكون له شأن يوما ما، وكان طلبه لا يخرج عن ساندويتشات الإسكالوب والروزبيف في العيش الفينو، فهو لا يحب الأرز أو الخضراوات، وعندما كان يدخل المقهى يرسل لي الجرسون للإسراع بالطلب، وفي أحيان كثيرة لم يكن يملك ثمن سندويتشاته، فكان يؤجل الدفع لأيام، لكنه كان حريصا على سداد كل ديونه قدر المستطاع، وعندما ترقى وتولى منصب رئيس العراق لم أره أبدا.

ويحكي عم محمد شرقاوي أشهر سمسار شقق في الدقي ومن أول المصريين الذين وطد معهم صدام علاقته: كان صدام دائم القلق، يحب تغيير مسكنه كثيرا، وأول مرة رأيته قال لي: أريد أن أسكن في مكان غير مشهور ومن الصعب الوصول إليه، ولم أسأله عن السر على الرغم من أنني كنت أراه دائما مع أصدقاء كثيرين في المقهى.

وعندما وجدت له في البداية شقة في إحدى العمارات بجوار الميدان فرح بها وأعطاني السمسرة، وبعد ساعات جاءني مرة أخرى طالبا سكنا آخر ووجدته غاضبا فخشيت أن أسأله وأخذته إلى شقة بشارع النيل في الدور الثالث، وكنت أعلم أنها شقة لا يحبها معظم الزبائن، لكنني فوجئت به يشكرني وأعطاني حقي، وهمس في أذني بألا أخطر أحدا بمكان سكنه الجديد.

إنتحار الخادمة

وظل يقطن في هذه الشقة ما لا يقل عن سبعة أشهر ثم انتقل للمعيشة مع حيدر السامرائي في شارع سليمان جوهر في الدقي، وجاءني مرة أخرى لأجد له سكنا جديدا ووجدت له فيلا في المهندسين خلف نادي الصيد أعجبته جدا وكان إيجارها٢٢ جنيها، عاش بها لمدة عام ثم انتقل إلى الإسكندرية ليعيش هناك في شقة مع بعض زملائه إلى أن حدثت مشكلة كبيرة ومشادة مع زملائه انتهت بانتحار الخادمة، وبعدها قال أحد المسؤولين: إن مشكلاته كثيرة، وقام بترحيله، وهذا ما أكده أصدقاؤه العراقيون على المقهى.

طارق عزيز يعتذر

ويضيف عم شرقاوي أن العيب الوحيد في شخصية صدام هو اندفاعه القوي وشغبه الدائم، فعندما تحول مقهى إنديانا إلى مطعم انتقلت جلساتهم إلى مقهى البداري في ميدان الدقي نفسه، فكانوا يبدأون جلساتهم بالضحك وتحية القهوجي والموجودين ثم بعد ذلك وخلال دقائق من وصول صدام وجلوسه يتعاركون ويضربون بعضهم بالكراسي، وعندما يسأل أحد عن السبب كان يتعرض للإهانات، إلا أنه في ذات مرة حاولت التدخل فصدني طارق عزيز ونهرني فوجدت صدام يمنعه ويقول له بأنني رجل طيب لا أستحق ذلك، وفوجئت به في اليوم التالي يصطحب صديقه طارق عزيز ليقدم لي الاعتذار.

البواب الأمين

ويؤكد عم شرقاوي أن بواب العمارة كان من المقربين جدا لصدام حسين، لأن البواب كان لا يخبر أحدا بوجوده، ما عدا أشخاصا معينين، وبعدما رحل صدام حسين عن مصر كان يرسل أموالا إلى البواب، كما أرسل له مبلغا من المال عندما أتى إلى القاهرة عام١٩٨٩ لحضور القمة العربية، وقد رحل البواب منذ عدة سنوات.

ويجمع السكان القدامى على أن صدام حسين لم يكن له أصدقاء في الحي سوى اثنين، الأول هو الصيدلي لويس وليم صاحب إحدى الصيدليات الشهيرة بالدقي، فقد كان صدام دائم الجلوس في الصيدلية مع رفاقه، وكان يذهب معه إلى البيت ويجلسان

أوقاتا طويلة من الليل، وظلت علاقته قائمة به حتى وقت قريب وسافر الصيدلي كثيرا إلى العراق لزيارة صدام، وحينما وجدنا الدكتور لويس رفض التحدث عن ذكرياته مع صدام.

أما صديقه الثاني ويدعي محمد المصري فلم نعثر له على أثر في حي الدقي.

ومن الأشخاص الذين تمتعوا بصداقة صدام حسين الحاج سيد الحلاق، الذي يتميز زبائنه بأن معظمهم من العرب الدارسين في مصر، وهو يقول عن صدام: لم يظهر يوما أنه سيكون له شأن كبير، لكنني كنت أشعر دائما أنه رجل عسكري، فقد كان أنيقاً يجب أن يرتدي الزي العسكري ولكن دون نياشين وكان متواضعا يحلق عندي مقابل٢٥ قرشا، وحينما يكون مريضا يرسل لي وأذهب لأحلق له في منزله هو وأصدقائه ويدفع لي أجري وأكثر، وكان صدام يحب الجلوس عندي خاصة في الأوقات التي لا يكون صديقه لويس موجودا، وكان يطلب مني الجلوس أمام المحل ومعه أحمد حسن البكر الذي شاركه في الانقلاب البعثي ضد نظام الرئيس عبد الرحمن عارف، وسبقه في رئاسة العراق، وكان دائم الجلوس مع طارق عزيز ويطلب مني أن أذهب إلى منزل طارق عزيز لأحلق له لأنه لم يكن يعرفني، وعرفني علي العديد من أصدقائه العراقيين الذين كنت أحلق لهم في بيوتهم»[١].

انقلاب العام ١٩٦٨: عودة البعث وسطوع نجم صدام

هزّت هزيمة العام ١٩٦٧ المنطقة، وكان التوجّه هو تأمين سبل تمكّن الشعوب من الرد عليها، عن طريق إقامة جبهة في كل الأقطار العربية تمهيداً لإقامة جبهة قومية شعبية واسعة وشاملة تتبنّى خيار الردّ على الهزيمة، أبلغت فروع الحزب في العراق بهذا التوجّه، وحدد هدف المرحلة، وهو إقامة جبهة في العراق، وجرت آنذاك نقاشات في إطار القيادة القطرية في العراق حول ضرورة استعادة السلطة، والمسائل التي ستواجه الحزب بعد استلامه الحكم، وفي هذا الإطار تمّ رسم خطة الانقلاب الذي حدث في منتصف ليل ١٦ تموز/ يوليو عام ١٩٦٨.

كان زعيم هذا الانقلاب هو أحمد حسن البكر، فهو قائد الحزب وعسكري معروف ورئيس وزراء سابق، ولم يكن صدام في تلك الفترة نجماً في الحزب أو في العملية الانقلابية، بل كان واحداً من المشاركين فيها، ولم يحصل أن عمل من أجل

---

(١) الأهرام ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٣م.

مصادرة القرار لمصلحته داخل الزمرة المنقلبة، ويوم ١٦ تموز/يوليو حمل رشاشه أسوة بالآخرين من أعضاء القيادة القطرية، وتصرّف كعادته باندفاع وقساوة، فهو رجل ـ حسب العلي[١] ـ اعتاد على المواقف الصعبة وثمّة روايات تقول إن صدام اقتحم قصر الرئاسة حيث يقيم عبد الرحمان عارف بدبابته ولكن العلي وآخرين ممّن شاركوا في الانقلاب، لا يؤكدون هذه الرواية.

نفي عبد الرزاق النايف

بعد استقرار الأمور للبعثيين، كان واضحاً أن أحمد حسن البكر هو الرئيس الأوحد للجمهورية، ولم يكن صدام آنذاك عضواً في مجلس قيادة الثورة، وكان الصراع الخفي آنذاك، داخل الحزب يدور بين البكر وعبد الرزاق النايف الذي اضطر الأول لتعيينه رئيساً للحكومة، على أمل التخلّص منه لاحقاً، وبالفعل فإنه بعد مُضي فترة غير طويلة، أوكل البكر مهمة التخلّص من النايف إلى صدام حسين، الذي دخل عليه حينما كان مجتمعاً مع رئيس الجمهورية في مكتب الأخير، وأمره بالخروج معه من دون لفت الأنظار، كان النايف شرساً في البداية، وحاول إخراج مسدسه من وسطه، ولكن صدام تمكّن منه ونجح في إخافته، لدرجة أن النايف أخذ يتوسّله قائلاً: «أنا لدي عائلة وأطفال».

وأمره صدام بأن يخرج وكأن شيئاً لم يحدث، بغية الحؤول دون جعل مرافقيه يشعرون بالأمر، وبالفعل سار النايف إلى السيارة برفقة صدام حسين الذي أوصله إلى الطائرة التي كانت في انتظاره، حيث غادر البلاد.

أدّى إبعاد النايف إلى استقرار السلطة في يد الحزب، وتمّ تشكيل حكومة جديدة، لكن صدام لم يدخلها بل كان عضواً في مجلس قيادة الثورة وفي القيادة القطرية، لكنه في تلك الفترة كان ينتظر فرصته التي جاءته بعد وقت غير بعيد.

خلال هذه المرحلة بدأت رحلة تقرّب صدام من الحلقة الضيّقة المحيطة بالبكر وكانت الخطوة الأولى بهذا الاتجاه حصول اتفاق بين الرجلين الذين تربط بينهما صلة قرابة، بالعمل من أجل استبعاد أي شخص قوي يمكن أن يشكّل بديلاً لرئاسة البكر أو

---

(١) صلاح عمر العلي ـ عضو سابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث.

يطالب بأن يكون شريكاً له، وباختصار فقد اتّفق صدام والبكر على الإمساك بالسلطة من دون أي شريك.

اغتيال الشيخلي

إن أحد أهم ضحايا هذا الاتفاق هو عبد الكريم الشيخلي (عضو قيادة قومية وعضو مجلس قيادة الثورة وتولى بعد ٣٠ تموز/يوليو حقيبة الخارجية) الذي كان من أعز أصدقاء صدام حسين، واعتبر في فترة من الفترات الأب الروحي له، وشارك الشيخلي مع صدام في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، وهربا معاً إلى دمشق، وتكثّفت العلاقة الإنسانية بينهما، لدرجة أن الشيخلي كان يقول أنا وصدام شخص واحد في جسدين، لكن هذه العبارة لم تشفع له، حيث قرار صدام الانخراط في مؤامرة اغتياله لقطع الطريق على احتمالات تعاظم قوّته، والشيخلي رجل مثقف وواسع الاطلاع وبنى نفسه بجهد دؤوب وكان شجاعاً ومطيعاً لقيادة البكر ومخلصاً لصدام، ولكن مشكلته مع الأخير أنه كان من عائلة معروفة في بغداد مما يجعله في دائرة الضوء والمنافسة!! وهذا ما قاد إلى مقتله على يد صديقه الحميم.

اغتيال حردان التكريتي

إن مصير الشيخلي، امتدّ ليطال العشرات من أطر الحزب الذين كانوا محل تقدير بين رفاقهم البعثيين، ولكن صدام في تلك الفترة كان ينظر إليهم بوصفهم شخصيات منافسة محتملة، أبرز هؤلاء حردان التكريتي العسكري القدير، ولم يكن حردان حزبياً رسمياً، بل كان صديقاً موثوقاً شارك في وضع أكثر من خطة لتغيير الأنظمة في العراق منذ العام ١٩٥٨، وقد سبقت عملية اغتياليه، إبعاده عن مناصبه الرسمية، وتم إبعاده إلى الخارج ثم قتله في الكويت لاحقاً على يد المخابرات العراقية.

إعدام ناظم كزاز

في هذه المرحلة كانت لعبة الدم التي أدارها صدام حسين لإنضاج رحلة خطواته نحو الإمساك بالسلطة، قد وصلت إلى مرحلة متقدمة، ولعل أوضح صورها تتجلّى بحادثة قتل ناظم كزار، فهذا الرجل كان على درجة عالية من الذكاء والشجاعة والميل لسفك الدماء، وقد ارتبط اسمه بالجرائم التي ارتكبت في عام ١٩٦٣ ضد الشيوعيين في العراق، ومع

ذلك، وقف صدام وراء فكرة تعيينه مديراً للأمن العام، مما أثار ردود فعل سلبية داخل القواعد الحزبية، ونجح صدام في احتواء هذه المعارضة، عن طريق توسيع دائرة الأمن العام لتضم المخابرات أيضاً، وأخضع صدام هذه الدائرة الموسعة لإشرافه.

أحسّ كزار أن التعديل الجديد للأمن العام ينطوي على مؤامرة ذكية ضده يديرها صدام والبكر، وراح يراقب الأمور عن كثب، مترصداً اللحظة المناسبة للقضاء على الرجلين.

في هذه الأثناء غادر البكر إلى إحدى البلدان الاشتراكية، وفكّر كزار أنه حين يعود البكر سيذهب صدام لاستقباله، ووجد هذه المناسبة فرصة للتخلّص منهما معاً، حدَّد موعد وصول البكر وتمّ إبلاغ المسؤولين، وكان كزار أول العارفين لكونه مسؤولاً عن تدابير الأمن، ولكن خطة كزار لقتلهما تعرّضت لبعض الأخطاء المبهمة، أدّت إلى اعتقال كزار حيث اقتيد إلى القصر الرئاسي، كان البكر يريد إجراء تحقيق مع كزار في حين أصرّ صدام على إعدامه من دون محاكمة.

وما تزال خلفيات مؤامرة كزار غير واضحة، فثمّة من يجزم بأن صدام هو الذي دفع صديقه كزار لارتكاب فعلته، بقصد التخلّص منه ومن البكر دفعة واحدة.

إن مجمل هذه المناورات الدموية التي قادها صدام لتصفية الرجال الأقوياء في الحزب، حملته في نهاية الأمر إلى الوقوف وجهاً لوجه، مع أحمد حسن البكر، وقد استعاد صدام في مشواره للإمساك بمراكز القوى داخل الحزب من رئاسته لجهاز الأمن الحزبي الذي كان يعرف باسم «الجهاز الصدامي» المكلّف بتصفية المنشقّين والمعترضين الحزبيين والسياسيين من خارج حزب البعث.

البكر في قبضة صدام

في العام ١٩٧٣، لم يكن أمام البكر من فرصة لتجنّب تعيين صدام حسين نائباً لرئيس الجمهورية، وكان عمره آنذاك ٣٦ سنة، ومنذ تلك اللحصة صار «رجل الظل القوي» والرئيس الفعلي الجالس في مكتب «نائب الرئيس».

ويروي سياسيون عراقيون عايشوا تلك المرحلة، عن البكر أنه كان يخاف أن يبث معاناته مع صدام حسين لأقرب المقرّبين منه، خشية وصول كلامه إلى نائبه الذي بات مطّلعاً على كل واردة وشاردة في العراق، ولقد استعمل صدام مع البكر أسلوباً غاية في

الذكاء، فكان يأمر وسائل الإعلام بتبجيل «الأب القائد» وإطلاق الأوصاف عليه، ولكنه من تحت الطاولة كان يقوم بنزع أوراق السلطة منه، وكان البكر يتألم صامتاً، وهو الذي أصبح «رئيساً للجمهورية في عهد نائب الرئيس».

اغتيال نجل البكر

كان أول الذين استشرفوا خطورة صدام حسين على البكر، هو نجل الأخير محمد، وقد عمد صدام إلى قتله لاحقاً، ومحمد هو النجل الثاني للبكر الذي امتاز أولاده بالترفّع عن استغلال السلطة لمصالحهم الخاصة. وأدرك محمد باكراً أن إعطاء صدام حسين فرصة التصرّف كما يشاء في الحزب والدولة سيقوده إلى الإمساك بالبلد على نحو ديكتاتوري، وبدأ بتوجيه انتقادات إليه وراح الجو بينهما يتوتر، ثم تحول العداء إلى خلاف، وذات مرة شهر محمد مسدسه في القصر الجمهوري وأطلق النار على صدام وكاد يقتله إثر مشادّة بينهما، وكان محمد رياضياً وشجاعاً، وكثيراً ما كرر أمام عائلته، بأن صدام لن يقتل إلا على يده، وأنه سيخلص الشعب العراقي منه.

يبدو أن صدام كان الأقدر على تنفيذ حكم الموت بنجل البكر، فبينما كان الأخير مع زوجه وطفليه في السيارة على طريق في شمال بغداد، ظهرت فجأة شاحنة وضربت السيارة، فقتل محمد مع أفراد عائلته.

لقد قصمت الحادثة ظهر البكر، ولكنه قرر أن لا يفعل شيئاً تفادياً لقيام صدام، الذي كان يمسك بالماكينة الأمنية، بالأسوأ.

قصر النهاية

لقد ارتبطت باسم صدام في الواقع الكثير من الأحداث المرعبة والمثيرة، وقصة «قصر النهاية» هي واحدة من الأحداث المثيرة والغامضة ولكن المؤكد أن «قصر النهاية» هو أحد القصور الملكية، يقع بالقرب من منطقة القصر الجمهوري، واتّخذ مقرّاً لدائرة الاستخبارات العراقية، وصار اسمه يثير الرعب في كل مواطن عراقي.

وكان صدام في تلك الفترة، يداوم بل يقيم في قصر النهاية، حيث يتم التحقيق مع خصومه ومعارضيه تحت إشرافه، وتجري عمليات التصفية بإشرافه أيضاً.

ويروي العلي قصة قصر النهاية، فيقول عندما عرضت فكرة إعادة تشكيل أجهزة

الأمن بعد تموز/ يوليو ١٩٦٨، اتّفق على تشكيل دائرة للعلاقات العامة بغية نزع سمعة المخابرات من أذهان الناس، عرض على العديد من أعضاء مجلس قيادة الثورة تولي مسؤولية هذه الدائرة، ولكن الجميع كان يرفض عدا صدام الذي قبلها، وراح يبني في إطارها المؤسسة الأمنية ويستخدمها كمنطلق لسيطرته على الأجهزة والحزب والبلد، وقد خلف صدام في قيادتها لاحقاً، سعدون شاكر الذي كان يعمل برعاية صدام.

وضم «قصر النهاية» الكثير من السجناء بينهم عدد من السياسيين والحزبيين والناصريين والقوميين والشيوعيين وآخرين، كل هؤلاء كانوا يخضعون إما للإعدام وإما لصنوف مرعبة من التعذيب، بتوجيه من صدام.

ويصعب، بحسب العلي، إحصاء عدد الذين قضوا في «قصر النهاية» ولكنهم بالتأكيد بالآلاف، أن قصر النهاية هو قصة رعب حقيقية غير مسبوقة في تاريخ الدول!!

انقلاب صدام على البكر

كان البكر يلقّب في الإعلام العراقي الرسمي بـ «الأب القائد» وبنحو دزينة أخرى من الألقاب التي شارك صدام نفسه في انتقائها وكان أسلوب صدام يقوم على إغراق البكر بالألقاب من ناحية، وتفريغ نفوذه الفعلي من ناحية ثانية، وظل هذا حاله، حتى جاءت لحظة إقدامه على إرغام «الأب القائد» على التقاعد ليحلّ مكانه رئيساً للجمهورية وللحزب ولكل شيء في العراق، وقصة قيام صدام بانقلابه على البكر، حصلت عندما وقّعت سوريا والعراق على ميثاق وحدوي، وقبل الرئيس حافظ الأسد آنذاك، أن يكون نائباً للرئيس والبكر رئيساً لجمهورية الوحدة، وعند هذا التطوّر وجد صدام نفسه فجأة مهدداً بالخروج من اللعبة وزوال كل النفوذ الذي راكمه خلال الفترة الماضية.

.. وهكذا، وجد صدام نفسه مندفعاً لتنفيذ انقلاب ضد البكر، بواسطة خطة أعدّها بعناية فائقة، وقضت هذه الخطة بفصل البكر عن قاعدته العسكرية والشعبية، وعندما اطمأن إلى نضج الظروف ضغط على البكر للاستقالة، ولم يكن أمام الأخير من خيار آخر سوى القبول بعرض صدام الذي اتّفق معه على سيناريو لإعلان التنازل، مفاده أن يعلن البكر في لقاء للقيادة القطرية بأنه متعب وصار متقدّماً في السن وأنه أخذ قراراً لا رجعة فيه بالاستقالة، وقال البكر في ذاك اللقاء: **الرفيق صدام رفيقكم وأخوكم، تدرّب وتعلّم، وهو قائد كبير ومؤهل لقيادة العراق وأعتقد أنه خير من يحمل الراية بعدي.**

أعضاء القيادة الذين لم تكن لهم علاقة باللعبة فوجئوا، وكان لديهم شعور بأن البكر ما يزال يشكّل حاجة، وشعر هؤلاء بأن صدام ما يزال غير مؤهل لتولّي قيادة بلد معقّد مثل العراق، واعترض هذا الفريق على قرار البكر بالتنحّي، وكان بين المعترضين عدنان الحمداني وغانم عبد الجليل ومحمد محجوب ومحمد عايش ومحيي الشمري أو المستهدي. ولم يعترض هؤلاء على شخص صدام، بل كانوا يريدون استمرار البكر في قيادة البلد، لكن صدام اعتبر موقفهم مؤامرة كبرى.

المجزرة الحزبية

. . ولكن صدام نجح في تجاوز هذه الاعتراضات، وفور تولّيه السلطة، أعلن عن اكتشاف مؤامرة خطيرة تقودها سوريا وأدواتها، وهؤلاء هم أعضاء القيادة القطرية الذين طالبوا باستمرار البكر في منصبه. وخلال ٤٨ ساعة من إعلانه عن اكتشاف المؤامرة المزعومة، أعدم صدام ٥٤ من القياديين والأطر الحزبية وكانت هذه مجزرة كبرى.

وبحسب رواية معارضي صدام، فإن الأخير استخدم مواهب استثنائية لإقناع الإطار الحزبي الذي اجتمع به لإبلاغه عن المؤامرة، بأن الأمر حقيقة وليس خدعة للتخلّص من خصومه، ويقول هؤلاء إن صدام ذرف الدموع من عيونه للإيحاء للأطر الحزبية بأنه متأثر من مؤامرة رفاقه على الحزب في العراق، وفي النهاية أوصل صدام سيناريو المجزرة بحق رفاقه إلى نقطة التنفيذ، حيث أعدم بيده، حسب بعض الروايات، غانم عبد الجليل الذي كان مديراً لمكتبه وعدنان الحمداني وكان بمثابة رئيس وزراء ومحمد محجوب وزير التربية، ومحمد عايش وزير الصناعة ومحيي الشمري وكان مديراً عاماً لمجلس قيادة الثورة.

وتقول رواية أخرى أن صدام تقصّد توريط كل مناطق الحزب بإعدام رفاقه، فاستدعى قيادات الحزب في المحافظات ووزّعهم على مجموعات، وكلّف كل مجموعة بإعدام واحد من أعضاء القيادة.

المجزرة الدبلوماسية

وبعد حملة التطهير التي قام بها داخل الحزب، استدعى صدام لاحقاً سفراء عراقيين في الخارج كان يشكّ بولائهم وقام بإعدامهم وأبرز هؤلاء وكيل وزارة

الخارجية محمد صبري الحديثي وكان سفيراً للعراق في الاتحاد السوفياتي وسجن عشرات الضباط والملحقين العسكريين.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن أعضاء القيادة القطرية الذين أيّدوا صدام لخلافة البكر، في اللقاء السيناريو للقيادة الآنف ذكره، صاروا لاحقاً أركان نظامه، واستمرّ بعضهم على هذا الحال حتى سقوط نظام صدام مؤخراً، وأبرز هؤلاء عزّت إبراهيم وطه ياسين رمضان وحسن العامري وطارق عزيز.

صدام وعفلق

في نهاية الستينيات كان السوريون يقدّمون أنفسهم على أنهم أهل اليسار ويتّهمون التنظيم العراقي بسلوك نهج يميني، وعندما تسلم حزب البعث السلطة في العام ١٩٦٨، كان هناك قطيعة بين حزب البعث في سوريا والقيادة القومية للحزب، وقرر أركان البعث في العراق، جذب القيادة القومية إلى بغداد لإحراج البعث السوري وتسليط الضوء على هذه القيادة بوصفها القيادة الشرعية للحزب.

. . وبعد أخذ ورد مع مؤسس الحزب ميشال عفلق، نجح العراقيون في إقناعه بالعودة للاستقرار في العراق، لقد أُحيط عفلق بعناية كبيرة في بغداد وتمّ تعويضه مرحلة الضنك وشظف العيش التي قضاها في البرازيل، ولكن العناية الفائقة بحياته الشخصية، قابلها بخل شديد على مستوى منحه نفوذاً وصلاحيات حزبية.

في هذه الأثناء كان نجم صدام (السبعينيات) بدأ بالبروز وأخذت صورته تنتشر على الساحة العراقية والعربية أيضاً. حتى الحزب الشيوعي العراقي العريق نظر إليه على هذا النحو من الإعجاب، وسمّاه «كاسترو العراق»، الأكراد أيضاً أعجبوا به، وراهنوا على حلّ معه وتعاملوا معه بإيجابية عالية.

وبعد تأميم النفط في العراق عام ١٩٧٢ الذي كان صدام مهندسه، تألّقت صورة صدام «رجل الظلّ القوي والملهم»، وأصبحت في متناول يده ثروات وإمكانات هائلة للحركة والعمل والاستقطاب فوق الساحتين العربية وضمنها طبعاً العراقية.

وفي هذا الجو من صعود نجم صدام حسين، انضم عفلق إلى لائحة المعجبين به، واعتبر أنه «هدية السماء إلى البعث وهدية البعث إلى الأمة العربية».

وتعتبر هذه المرحلة عصر الصورة الذهبية لصدام حسين، رغم أن معارضيه يعترفون بها، ولكنهم يحملونها تأويلات كثيرة.

لقد كان صدام في أعماقه لا يثق بعفلق، وعلى ذمّة معارضيه، فإنه كان يكره أن يرى شريكاً له في السلطة. . وهذا الأمر قاده إلى عدم الحماس لرؤية عفلق يمارس سلطته الحزبية كاملة، خاصة أن الأخير كان انتقد في حواراته الخاصة حرب صدام ضد إيران، واصفاً هذه الحرب بأنها توريط للبلد وللحزب.

صدام الرئيس

كل الصبر، كل العمل الشاق، كل التآمر والتخطيط، كل الخيانات، القتل العمد، والإعدامات والإغتيالات دفع حسابها أخيراً في تموز ١٩٧٩ عندما أصبح صدّام رئيساً للعراق. وقد تمَّ الإعلان عن ذلك رسمياً، بتوقيت متقن من قبل الرئيس الراحل أحمد حسن البكر، في عشيّة الإحتفالات السنوية بذكرى ثورة السابع عشر من تموز. وقد تمّ اختيار ذلك التاريخ بعناية من قبل صدّام حسين ليرمز إلى استمرارية الثورة، وكان ذلك ثمرة شهور من التخطيط المدروس بعناية. وقد احتفظ صدام بالتفاصيل الدقيقة لتسنمه ذلك المنصب في غاية السرية. إن «السيد النائب» الشديد الارتياب علم بأن لحظة الفواق الأخيرة يمكن أن تحطم كل شيء. فضربة الشاطر المتقنة بالنسبة لصدام، وبأية وسيلة، كانت في إقناع البكر نفسه ليس بقبول التخلّي عن السلطة فحسب، وإنما بالظهور على شاشة التلفزيون العراقي ليبيِّن بأن عملية التطهير تلك جاءت كانتقال طبيعي للسلطة، «المدة طويلة»، أخبر الرئيس البالغ من العمر خمسة وستين عاماً الجماهير، «كنت أتحدث لرفاقي في القيادة، وبالأخص الرفيق العزيز صدام حسين، حول صحتي التي لم تعد تسمح لي بتحمل المسؤوليات التي شرّفتني بها القيادة. وقد وصلت صحتي في الوقت الحاضر المرحلة التي لم أعد بها قادراً على الإطلاع بالمسؤولية على النحو الذي يرضي ضميري». وبصوت يهتزّ عاطفة، واصل البكر كلامه ليسمّي صدام «الرجل الأكثر أهلية لاستلام القيادة». وقبل الانسحاب من الحياة العامة، قدم البكر الثناء الأخير لصدام الذي كان تحت رعايته سابقاً.

«وخلال الأعوام المريرة من النضال الذي سبق الثورة، كان الرفيق صدام شجاعاً ومناضلاً مخلصاً حاز احترام وثقة مناضلي الحزب. وفي عشية الثورة، كان على رأس

الرجال الشجعان الذين دكّوا حصون الدكتاتورية والرجعية، وخلال مسيرة الثورة كان القائد اللامع القادر على مواجهة كل الصعاب وتحمل كافة المسؤوليات»[١].

«وفي عمر الثانية والأربعين (أو قريباً من ذلك) سيطر صدام على أغنى بلدان الشرق الأوسط. وكبلد يطفو على ثروة نفطية، برز العراق سريعاً كإحدى القوى المهيمنة في المنطقة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً. وافتخرت الحكومة بوضع (٣٥ مليار دولار) في مدخرات الصرف الأجنبي، وبدأت ثروة النفط تدخل إلى جانب من الحياة العراقية. فتوسعت القوات المسلحة بسرعة وبدأت تستفيد من المعدات المتطورة الجديدة التي ابتاعتها من بلدان مثل أسبانيا وفرنسا. وصنع البعثيون أول دولة رفاه في العالم العربي، بتعليم مجاني لجميع الأطفال من الروضة وحتى الجامعة، ونظام وطني مجاني للرعاية الصحية. وكان مستوى المعيشة للعراقيين العاديين يتصاعد تدريجياً، والأغذية الأساسية كانت متوفرة ورخيصة. وبالنسبة للعراقيين الذين لم يتحدّوا نظام البعث، لم يكن هناك وقت أفضل من هذا الوقت ليقيموا في العراق. إن نجاح البعثيين في تحويل الثروة النفطية الجديدة نحو بناء شعب صناعي معاصر وشعب قوي عسكرياً وموحّد سياسياً جعل بعض المعلقين يصفون العراق كبروسيا العالم العربي الشرقي. لم يتمكن صدام من اختيار أفضل وقت لسيطرة على البلاد. وصدام ليس كسابقه، لم يكن يسعى إلى اقتسام السلطة. كان هدفه الدكتاتورية المطلقة. وفضلاً عن موقعه كرئيس للجمهورية، مسك صدام بزمام مواقع البلد العليا: كان رئيساً لمجلس قيادة الثورة، أميناً لسرّ القيادة القطرية لحزب البعث، رئيساً للوزراء، وقائد للقوات المسلحة. وباتخاذه من ستالين نموذجاً، أصبح صدام القائد الأعلى في العراق»[٢].

ولكن كيف تأهّل صدام لهذا المنصب. . ، هذا ما سنقرأه في الفصل التالي.

---

(١) مجلة ديرشبيغل، عدد ٦ أغسطس ١٩٩٠.

(٢) كون كوغلن، صدام: الحياة السرية، ص١٨١ ـ ١٨٢، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٥.

الفصل الثاني

تأهيل صدام

أحمد حسن البكر

«ولد أحمد حسن البكر في تكريت عام ١٩١٤، وفيها أكمل دراسته الإبتدائية، ثم انتمى إلى دار المعلمين في بغداد، وتخرج فيها سنة ١٩٣٢، مارس التعليم في تركيت وهيت وبغداد، ثم التحق بالكلية العسكرية سنة ١٩٣٨، وتخرج فيها برتبة ملازم ثان، وعين في عدة مواقع عسكرية، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عُيّن عضواً في المجلس العفي العسكري، وفي تشرين الأول من نفس العام اعتقل لمعارضته إجراءات عبد الكريم قاسم السياسية، ثم أحيل على التقاعد عام ١٩٥٩»[١].

وبعد ١٤ رمضان ١٩٦٣ عُيّن رئيساً للوزراء، وشكل الوزارة مرتين. ووضع تحت الإقامة الجبرية بعد انقلاب عبد السلام محمد عارف في ١٨/ ١١/ ١٩٦٣، وشهدت داره اجتماعات قيادة حزب البعث العراقي. وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ عين رئيساً للجمهورية.

«انتمى إلى حركة الضباط الأحرار منذ نشوئها في بداية الخمسينيات، وتعاطف مع حزب الاستقلال (١٩٤٦) وله علاقة مع رئيسه الشيخ محمد مهدي كبة، وأيد مبادىء حزب البعث العربي الإشتراكي عندما كان معتقلاً في سجن الموقف العام، وضم إلى الحزب ١٩٦٠»[٢].

إن أكثر الذين عايشوه وعملوا بالقرب منه، خرجوا بانطباع واحد عنه، كانت غالبيتهم يجمعون عليه ويؤكدونه، وهو أن الرجل يلفه غموض كثيف يحيط بكل معالم شخصيته حتى أن أكثر الناس منه قرباً، وأشدهم به التصاقاً يصعب عليه اكتشاف درجة

---

(١) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الأول، ص١١.
(٢) المصدر السابق، ص١١ ـ ١٢.

ميل البكر النفسي اتجاهه، فهو لم يكن مأمون الجانب حتى مع المقربين منه، ولديه قدرة فائقة في لعب أدوار الماكرين، وتجسيد شيمة الغادرين.

و«عرف عنه لؤمه وغدره حتى بأصحابه وتنكره لهم، ومعروف عنه ضيق أُفقه، وضحالته وعنصريته وعشائريته، وطائفيته، وانحيازه المفرط لأبناء عمومته من عشيرة (البيجات).. ومن هذا الباب الواسع تمكن (صدام) من الولوج إلى عالم السلطة والنفوذ، والسيطرة على مقاليد الأمور»[١].

وفيما يأتي تشخيص دقيق سجله عليه واحد من هؤلاء الذين عايشوه واكتشفوا جزءاً مما خفي من صفاته، ولكن اكتشافه هذا جاء بعد فوات الأوان. إذ يقول:

«والبكر شخصية موهوبة القدرة على توظيف مظهره البسيط وقدراته الفكرية والسياسية المحدودة، وكثيرون هم أولئك الذين خُدِعوا به ووسموه بالسذاجة، ولكنه يستبطن مكراً لا حدود له، وقدرة على خداع الخصم والغدر به، وكان من الصعب علينا آنذاك أن نجزم إن كان معنا أم علينا، وحده علي السعدي نصح بترك البكر والحذر منه، بل أكَّدَ تواطؤه مع الآخرين، غير أننا لم نكن نملك الخيار في تجاوز البكر وعماش، وربما فسرنا موقف علي آنذاك بأنه انفعال لدور البكر في إخراجه من وزارة الداخلية»[٢].

و«عراقيون كثيرون يعتقدون أن البكر من السوء بحيث لا ينبغي الدفاع عن قطعة منه أو مرحلة في حياته.

فهو تكريتي متعصب وعسكري فاشل ورئيس لم يرفض دعوة للتصديق على أحكام الموت ضد مواطنيه، ولم يكن صدام حسين ليكون شيئاً مهماً لولا غطاء البكر.. والبكر يمثل شيمة الغادرين فقد وافق على إعدام صديقه وابن مدينته ورفيقه في الجيش رشيد مصلح التكريتي بتهمة التجسس.

ووافق أو سكت عن اغتيال حردان التكريتي الذي كان ذراع البكر الأيمن»[٣]. بعد إعفائه من مناصبه وقتل زوجته.

---

(١) حسن السعيد، نواطير الغرب، ص٤١٠.

(٢) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص٣٤٤. وحكومة القرية، طالب الحسن، أور للنشر، ط١، ٢٠٠٢.

(٣) حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، ص١٦٩.

يبدو أن لؤم البكر وغدره كان واضحاً لدى الجميع، فقد سمعت الصديق المرحوم (ممدوح صالح جاسم التكريتي) معاون مدرسة البكر في تكريت، وبحضور المدير الصديق (مزاحم فريد النقيب). يأمر فراش المدرسة كاظم (أبو عبد الحافظ) بنقل صورة البكر إلى غرفة المعلمين قائلاً له: أبعد هذا اللئيم عن وجوهنا، فسألته بعد غياب الفرّاش. وهل كان البكر كذلك؟ قال: لئيم جداً.

وأخذ يسرد لي قصة علاقته مع (رشيد مصلح التكريتي) في معسكر المسيب، وكيف نزل ضيفاً مكرماً فترة طويلة في بيت رشيد مصلح بعد انتقاله إلى المعسكر المذكور، ولشدة أواصر العلاقة، لم يكن بينهما من حواجز إلا ما حرم الله.

ولكن لم تمض على وصوله إلى سدة الحكم في ١٧ تموز ١٩٦٨ مدة طويلة حتى حكم بالإعدام على (رشيد مصلح التكريتي). وكان مدير المدرسة الذي قتلت حاشية البكر أخاه (أحمد فريد النقيب) وابن عمه (ناجي رشاد النقيب) قد استمع إلى هذا الحديث وأكده، علماً أنه من عشيرة (البو ناصر) ويمت إلى البيجات بصلة قربى.

وعن صفات البكر يقول عبد الله طاهر التكريتي: «ولقد عرفت خلال اتصالاتي بأبو هيثم الكثير من صفاته وعقده النفسية، وترجع معرفتي به إلى أيام المرحوم (مولود مخلص التكريتي) الذي كان يخطط لعشائر تكريت الأربعة الرئيسية لكي تصل إلى مستوى السيطرة على العراق كله. وكان لذلك ينظم شباب تكريت الذين كانوا يتلقون دروسهم في بغداد، ينظمهم في الأحزاب السياسية بمختلف اتجاهاتها السياسية: إثنان في الحزب الشيوعي... أربعة في حزب البعث... خمسة في الحزب الوطني الديمقراطي.. الخ ليضمن لنا الوصول إلى الحكم عن أي طريق يحتمل.

وفي الواقع فإن (الرئيس) لم يكن ذكياً إلى درجة أن يولي المرحوم مخلص اهتماماً كثيراً به، ولكنه كان خبيثاً إلى درجة كبيرة»[1].

ولم يمتلك البكر من الصفات الشخصية والمؤهلات التي تلفت انتباه السياسيين إليه ولخموله وعدم نشاطه وانعدام وزنه لم يوله (مولود مخلص التكريتي) اهتماماً أكبر و«لم يفكر عبد الكريم قاسم في يوم ما، أن يكون أحمد حسن البكر هو الرجل الذي سيساهم بإسقاطه، ويحل مكانه في قيادة القوات المسلحة العراقية ومجلس الوزراء،

---

(١) حردان التكريتي، من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي، ص٨ ـ ٩.

ذلك أن شخصية البكر لم تكن معروفة بنشاط معين، ولم تكن تثير انتباه أحد، بسبب انطوائيته وانشغاله باهتمامات بعيدة عن أن تكون من اهتمامات رجل السياسة.

وأغلب الظن أن حركة ٨ شباط لو فشلت وقدم البكر إلى المحكمة، لما كان نصيبه سوى الإفراج عنه، لشعور عبد الكريم قاسم، أن رجلاً مثل هذا لا يمكن أن يقوم بدور خطير، وقد ساد هذا الانطباع حتى بعد مرور مدة طويلة على وجود البكر على رأس القيادة العراقية»[1].

ويعرض وزير الزراعة والإصلاح الزراعي الأسبق (عبد الكريم فرحان) تقييماً مقتضباً لرؤساء الجمهورية العراقية الذدي تعاقبوا على سدة الحكم إبان الحكم الجمهوري من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٨، وقد مكنته من ذلك العلاقة التي ربطته بالجميع، أثناء عمله معهم في مواقع مختلفة، وبعد أن ينتهي من تقييم الرئيس عبد الرحمن محمد عارف وفترة حكمه يقول: «ثم جاء بعده الرئيس أحمد حسن البكر، فانفتح الباب على مصراعيه لتعيين الأقارب والأصهار وأبناء العشيرة والبلدة والأصدقاء في مناصب حساسة وخطيرة.

لم أشاهده ينفعل أو يغضب لكنه لا ينسى، وعندما تحين الفرصة ينتقم بقسوة، كان محدود الثقافة، لكن الحياة علمته الكثير، كان صبوراً يتحكم في أعصابه وعواطفه، بارعاً في اختيار الوسيلة وإرضاء النفوس.

كان شجاعاً وجريئاً يهمه بلوغ هدفه بصرف النظر عن الوسيلة وهذا سر اتفاقه مع مجموعة الداود ـ النايف وتساهله معهما لأنه كان مصمماً على التخلص منهما بأقرب فرصة، وتخلص منهما بعد إثني عشر يوماً في ١٩٦٨/٧/٤٠، وكان القتل مصير معظم الأقطاب والشركاء مثل؛ ناصر الحاني، عبد الرزاق النايف، حردان التكريتي، ونجا إبراهيم الداود بلجوئه إلى السعودية وما زال مقيماً فيها»[2].

وعندما يسأل (صلاح عمر العلي) «ألم يكن بينكم من يريد إقامة نظام الحزب الواحد؟» يجيب عن هذا السؤال، وفي معرض جوابه يعطي بعض خصائص البكر

---

(١) حسن العلوي، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين ١٩٨٣، ص١١١.

(٢) عبد الكريم فرحان، حصاد الثورة (مذكرات) تجربة السلطة في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨، ص٢٦٣.

وميزاته التي شاهدها عن قرب. فيقول: «إطلاقاً لم يكن ذلك مطروحاً، تفكير الجميع كان منصباً على إقامة نظام تعددي بعد مرحلة تمهيدية تستغرق سنتين أو ثلاثاً نقيم فيها حكومة ائتلاف وطني ونرخص فيها للحركات السياسية الأخرى وصحافة المعارضة، ولم يكن هناك أي اعتراض على هذه التوجهات، حتى أحمد حسن البكر (أمين سر القيادة القطرية آنذاك) وهو عسكري وذو ثقافة محدودة، وتظهر ليده أحياناً أفكار تبدو غير منسجمة مع الإتجاه العام»[١].

النفاق

وهذه الظاهرة ضاربة بجذورها في نفوس معظم (البيجات) وتؤكدها وقائع وأحداث كثيرة. منها أن أحمد حسن البكر وهو القائل في استقبال وفدي مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة: «يا أبناء أقدس مدينتين في العراق، مدينة النجف الأشرف، مدينة الإمام علي بطل الإسلام، وذي أزكى نفس بشرية عرفها التاريخ. ومدينة كربلاء مدينة الإمام الحسين سيد الشهداء، وأصلب مدافع عن الحق».

وإذا ضممنا القول السالف الذكر، إلى ما صرح به حردان عبد الغفار التكريتي في مذكّراته بعد أداء عملية (الحلف المقدس) كما يسميها في ضريح العباس بينه وبين (أحمد حسن البكر)، تتجلى لنا بشكل واضح ظاهرة (النفاق) حسب المصطلح الديني، والتي تقابلها ظاهرة التضليل الإعلامي حسب المصطلح السياسي. وهذا ما نلمسه فيما تحدث به (حردان التكريتي) في مذكراته قائلاً: «ويجدر بالذكر أن الرئيس رفض تلك الليلة أن يقوم بزيارة ضريح سيدنا الحسين، رغم إصراري عليه، مؤكداً بالحرف الواحد:

ـ أنا لا أعتقد بالحسين. فهو كان يستحق القتل بسبب تمرده على حكومة يزيد!!

ـ وعندما قلت له: ولكن العباس كان مع الحسين في كربلاء، وقد قُتل معه، وفي سبيله؟.

قال: هذا صحيح، ولكني أعتقد أن الحسين غررّ بأخيه العباس.. فقد جلبه معه

---

(١) الشرق الأوسط، العدد ٥٣٤٦، الأحد ١٨/٧/١٩٦٣.

على أساس أن يصبح وليّاً للعهد، ولم يكن إخلاصه إلا للنخوة العربية التي كان يتمتع بها.

ولا أدري بالضبط من أين كان يأتي بمثل هذه النظريات التي كان يتحفنا بها من حين لآخر؟!.

إن التاريخ يكشف عن تفاصيل قضية الحسين، ولكن الرئيس كان يصر على مخالفة التاريخ، وليس هنا فقط، بل في كل تحليلاته التاريخية تقريباً. فقد كان يعتقد مثلاً أن الخوارج كانوا يمثلون الروح الثورية العربية الصادقة. وكان يقول: لو كنت في عصر علي بن أبي طالب لما وسعني إلا الإنخراط في صفوف الخوارج.

والواقع. فإن الرئيس متأثر جداً بشخصية معاوية بن أبي سفيان، ولذلك فإنه يحمل حقداً أسوداً لعلي بن أبي طالب، وليس إهماله لمدينة النجف إلا نتيجة هذا الحقد»[(١)].

وهذا الحقد كشفت عنه أحداث الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١. عندما قصفت طائرات السلطة ومدفعيتها بأوامر مباشرة من صدام وبقيادة (حسين كامل المجيد) مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام في كربلاء. ومرقد ابن عمهما مسلم بن عقيل في الكوفة. وألحقت بهذه المراقد أضراراً بالغة.

والبكر كما هو معروف عنه شخصية لا تلتزم بالعهود والمواثيق، ولا يمكن للأيمان المغلظة والأحلاف المقدسة التي يأخذها على نفسه، أن تحد من تمرده هذا، فقبل (الحلف المقدس) في مرقد العباس بينه وبين حردان التكريتي، كان قد حلف لعبد الرزاق النايف ولم يلتزم بقسمه وتآمر عليه. وهذا ما يرويه (جلال الطالباني) قائلاً: «وفي ١٧ تموز (يوليو) حدث الإنقلاب، وفي ٢١ منه كنت مع إبراهيم أحمد، والمرحوم عمر مصطفى (دبابة)، في شارع الجمهورية، لاحقتنا سيارة، وعندما التفت رأيت صدام يقود سيارته وحيداً وقدمته لهم، سألته: (وين رايح أبو عدي). أجاب (إلى الطبيب أخشى أن أكون مصاباً بقرحة المعدة) سألناه (لماذا؟) قال: (منذ اليوم الذي تعاونا فيه مع هؤلاء الجواسيس والمشبوهين وأنا لا أنام وأفكر ماذا لو نجحوا في طردنا من الحكم، فماذا سيقول التاريخ عنا، وكيف سندخل التاريخ؟ هل سيقال أننا هيأنا

(١) حردان التكريتي، من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي، ص١٥ ـ ١٦.

الجو لزمرة عميلة)؟ قلت (إذاً أنتم غير متفقين) وكان جوابه (لا والله كل واحد يتآمر على الآخر، ولكن الله كريم).

وفي اليوم الثاني كان لنا لقاء مع رئيس الوزراء الجديد (عبد الرزاق النايف) تكلم ضد البعث، وأشار إلى أن (أحمد حسن البكر)، (وصالح مهدي عماش) و(حردان التكريتي) أقسموا بالقرآن بأنهم غير منتمين إلى البعث. وقد دخلوا بصفتهم الشخصية»[١].

مما تجدر الإشارة إليه، أن عبد الرحمن محمد عارف، رئيس جمهورية العراق الأسبق، قال لجلال الطالباني: «استدعيت إبراهيم الداود، آمر الحرس الجمهوري، وسعدون غيدان، آمر كتيبة دبابات الحرس الجمهوري، وعبد الرزاق النايف، نائب رئيس المخابرات العسكرية، وحلفوا لي بالقرآن أنهم لن يتآموروا علي»[٢].

هذه عينات لساسة عراقيين، ونماذج لحكام تسلطوا على البلاد، معتمدين على الكذب والنفاق في تعاملهم، وسالكين لطريق الخداع بعضهم للبعض الآخر، وواضعين لكتاب الله فيما بينهم. ولكن لم يقدروه حق قدره. ومن بين هؤلاء الحكام، كما هو واضح مما تقدم (أحمد حسن البكر).

تبنّي صدام:

روي عن (طالب حسين الشبيب) وزير خارجية العراق عام (١٩٦٣) قصة تكشف عن مدى تبني (أحمد حسن البكر) لابن عمه صدام حسين وتمهيد الأمور أمامه وهو من أخطر الأعمال التي قام بها البكر في تلك الفترة.

«في صيف ١٩٦٣ زار طالب شبيب في بيته في منطقة (العطيفية) في بغداد كل من الرئيس السوري السابق (أمين الحافظ) وأمين سر القيادة القومية لحزب البعث (ميشيل عفلق) ورئيس وزراء العراق (أحمد حسن البكر). وكان هذا الأخير يصطحب معه (صدام حسين لقرابته منه، والذي كان عضواً في الحزب ومسؤولاً عن التنظيمات الفلاحية.

كان سبب الزيارة أن قيادة حزب البعث كانت تعيش حالة خلاف حادة بين وجهتي نظر، إحداهما يتبناها (علي صالح السعدي) ويرى ضرورة توسيع قاعدة الحزب والحرس القومي، وأُخرى يتبناها (طالب شبيب) وآخرون يرون العكس تماماً، وهو

---

(١) مجلة الوسط، العدد (٣٥٥) ١٦/١١/١٩٩٨ لقاء مع جلال الطالباني.

(٢) المصدر السابق.

تقليص الحزب وحل الحرس القومي للجرائم التي ارتكبها، حيث تحول إلى أداة قمع تبطش بالآخرين.

وكان رأي (ميشيل عفلق) هو أن يصار إلى عقد مؤتمر قطري سيتحدث هو نفسه فيه ليبيّن أخطاء السعدي وتجري بعد ذلك انتخابات.

وبعد تناول العشاء خرج الثلاثة وبقي صدام حسين مع مجموعة أشخاص منهم طالب وأخوه بهاء شبيب، ومدحت إبراهيم جمعة، وحازم جواد، وطلب الاختلاء بطالب شبيب وشخص آخر فقام الثلاثة وجلسوا في الحديقة، وتحدث صدام قائلاً: لماذا تتعبون أنفسكم وتدعون إلى مؤتمر قطري وإجراء انتخابات، فمن المحتمل أن يفوز السعدي فيها وتبقى المشكلة على حالها، لذا فإني أقترح أن نقوم أنا وأحمد طه العزوز بتصفية السعدي، إذ أن هذا الأخير موجود الآن في النادي العسكري يشرب الخمرة، والعزوز يراقبه هناك، فقد اتصلت به قبل قليل وقال لي لم يبق مع السعدي أحد من رجال حمايته، وهو سيعود إلى بيته بعد قليل، فأذهب أنا والعزوز ونطلق عليه طلقة واحدة بخمسين فلساً، ونتهم إثنين من الشيوعيين اللذين يسكنان في جوار بيته ونشنقهما في الصباح وتنتهي المشكلة.

وهنا حملق طالب في وجه صدام وقال له: انعل... يابو الجابك للحزب ابن الـ... هل نحن عصابة أم حزب؟ قل لي يا صدام متى سيأتي دوري لتطلق علي رصاصة بربع دينار؟ أخرج من البيت وسأحيلك غداً إلى لجنة جزبية لمحاكمتك.

وفي اليوم التالي زار (أحمد حسن البكر) و(طاهر يحيى)، طالب شبيب وطلبا منه مسامحة صدام، وقالا له إنه كان سكراناً لا يدري عن ماذا يتحدث، وهو ولد فقير ويتيم نطلب منك العفو عنه.

رضخ المرحوم طالب شبيب لطلبهما، ولعله من مفارقات الأحداث أن يموت طالب شبيب في لندن في اليوم الذي أعدم فيه صدام حسين رفيقه أحمد طه العزوز في بغداد بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم»[١].

القصة المتقدمة تبين بوضوح تام أفضل الحلول التي يفكر بها (صدام حسين) مع المخالفين له حتى في أوساط الحزب، وتكشف عن العقلية الدموية التي تسيطر عليه

---

(١) صحيفة الحياة ٢٤/١٠/١٩٩٧.

دائماً. فهو قبل أن يأتي مع البكر وعفلق وأمين الحافظ لزيارة (طالب حسين الشبيب) وضع أحد أفراد عصابته أحمد طه العزوز بالإنذار في النادي العسكري لمراقبة (علي صالح السعدي) أمين سر القيادة القطرية. ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية آنذاك. ويتصل بالعزوز من بيت (طالب الشبيب)، لتشديد المراقبة وموافاته بآخر المعلومات. ويستطلع رأي (طالب الشبيب) في الحديقة منتهزاً حالة الاختلاف بينه وبين السعدي، ليحصل على غطاء حزبي كان يتمتع به الشبيب آنذاك حيث كان عضو القيادتين القومية والقطرية إضافة إلى منصبه كوزير خارجية، ثم إنه يختار (أحمد طه العزوز) كمشارك له في عملية الاغتيال التي يهد لها، إذ سبق للعزوز أن ساهم معه في تنفيذ عملية الاغتيال الفاشلة التي استهدفت رئيس وزراء العراق السابق (عبد الكريم قاسم) عام ١٩٥٩.

ومع سبق إسرار صدام على تنفيذ عملية الاغتيال بالسعدي وإعداده لها بتركه أحد أزلامه مرابطاً بقرب المكان، وتسلله مع الزائرين إلى بيت الشبيب، للحصول على إذن بالانقضاض على السعدي، ومع كل هذا تأتي مبادرة البكر لتخليصه من عقوبة اللجنة الحزبية لأنه «كان سكراناً لا يدري عن ماذا يتحدث وهو ولد فقير ويتيم»!

لن يكف البكر عن تقديم العون لقريبه صدام وتأهيله، وللبكر دور كبير في هذا المجال، وفي هذا الأمر المفروغ منه إجماع لدى كل من عاصر الإثنين وعاش قريب منهما.

«وكان صدام يحتمي بالبكر والخط العسكري للحزب لتنفيذ خططه. .

وكان شفيق الكمالي يعرف صداماً حق المعرفة، ويعرف طموحاته، ولا يتوانى في تحذير من يثق به من خطر هذا (البلطجي) كما كان يسميه.

وذات يوم انتدب الكمالي وعبد الله سلوم السامرائي لحضور مؤتمر قومي للحزب، وبضغط من البكر كلفت قيادة بغداد (الرفيقين) بترشيح صدام لعضوية (القيادة القومية).

وخلال المؤتمر لم يطرحا الإقتراح، لعدم قناعتهما بكفاءة صدام لهذا المنصب. . . وعندما عوتبا من قبله تعللا بباب (الدستور الداخلي) للحزب، عند ذلك جن جنون صدام واعتبر ذلك مؤامرة، وأقسم على تصفيتهما. وبعد أن عاد (الحزب) إلى السلطة مرة ثانية في ١٧ تموز ١٩٦٨، عين (شفيق الكمالي) وزيراً للشباب ثم وزيراً

للإعلام، غير أن صداماً ظل يعمل ضده بمناسبة وبدونها! فأقنع البكر أنه لا يصلح للوزارة وعندما يرد عليه البكر قائلاً إنها (شغلته الحقيقية) لكونه شاعراً، يرد صدام بخبث قائلاً:

إنه مشغول بالنساء![1].

صدام شخصية كيدية مملوءة بالعقد النفسية المستعصية، يضمر الشر ويكيد لرفاقه وأقاربه وأهل بيته. وهل جنى البكر من نتائج أتعابه لتأهيل صدام غير السم الزعاف! وكذلك كانت نهاية تكارتة آخرين ساعدوا صدام في مقاطع زمنية مختلفة من حياته. مثل طاهر يحيى ورشيد مصلح.

ولولا تمهيد البكر الطريق أمام صدام حسين ما كان يحصل الذي حصل.

«وفي صفحة أخرى من أوراق النايف، استعراض لاجتماع عقد في القصر الجمهوري، مساء الثاني والعشرين من تموز ١٩٦٨، لـ(مجلس قيادة الثورة) بأعضائه السبعة، البكر والنايف والداود وحردان وعماش وسعدون غيدان وشفيق الدراجي، والأخير (أمين عام سر المجلس)، وكيف أصدر الداود أوامره لضباط القصر بطرد صدام من غرفة مجاورة لقاعة الإجتماع، بعد أن حاول عدة مرات الدخول إلى القاعة ومشاورة البكر في قضايا رسمية كما يدعي»[2].

غير أن صداماً في المقابل نفذ خطته في ذلك الاجتماع في إدخال عضو تكريتي آخر إضافة إلى أحمد حسن البكر وحردان عبد الغفار. لتكون نسبة التكارتة فيه (٣ من ٧). وكل ذلك كان بمباركة البكر وتشجيعه. وبهذا الخصوص ينقل أمير اسكندر الرواية التي سمعها من صدام:

«غير أن (حمّاد شهاب) أيضاً كان مهموماً، وقلقاً، فرغم أنه كان آمر اللواء المدرع العاشر، فإنه لم يكن عضواً في مجلس قيادة الثورة، وإذ رآه صدام في هذا الوضع النفسي في الأيام الأولى للثورة، سحبه من يده، وكانا جالسين بغرفة في القصر، وخرجا إلى الردهة الخارجية يتمشيان. قال له صدام: لماذا أنت لست عضواً في مجلس قيادة الثورة؟! إنهم الآن مجتمعون، ادخل عليهم غرفة الاجتماع فوراً، وقل لهم:

---

(١) د. جليل العطية، فندق السعادة، ص٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) صحيفة بغداد، العدد (٣٣٩)، ٢٥/ تموز/ ١٩٩٧.

إما أن تكون عضواً بالمجلس أو أن تقلب الدنيا! فإذا قبلوا (زين) وإذا رفضوا (زين) أيضاً! . . . ودخل حماد شهاب غرفة الاجتماع في التو، وخرج منها عضواً بمجلس قيادة الثورة.

وفي شهادة أخرى لأحد أعضاء القيادة القطرية للحزب الحاكم وعضو مجلس قيادة الثورة في العراق بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، يكشف فيها عن قدرة البكر على الخداع والغدر، ومدى ضلوعه بشكل سافر في مؤامرة تأهيل (صدام حسين) ليحتل الموقع الثاني في الحزب وفي مجلس قيادة الثورة، ولنتابع القصة التي يرويها لنا (صلاح عمر العلي) في معرض إجابته عن السؤال الآتي: «كيف اختير صدام حسين ليكون نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة؟»[١].

فيجيب قائلاً: «وراء ذلك قصة مثيرة فكما قلت سابقاً لم يكن صدام مرشحاً لهذا المنصب، وعندما شعرنا بالحاجة إلى استحداث هذا المنصب، بعد عدة أشهر من الانقلاب، كان أكثرنا متوافقاً على ترشيخ صالح مهدي عماش لأسباب عديدة منها أنه ـ بعد البكر ـ الأكبر سناً بيننا وأقدمنا في عضوية الحزب وفي عضوية قياداته القطرية والقومية، وهو عسكري وذو خبرة في شؤون الدولة، وكان له دور بارز في انقلاب ١٩٦٤ والإنقلاب الأخير، ويتمتع باطلاع واسع وثقافة جيدة، وعلى مدى عدة اجتماعات لمجلس قيادة الثورة كنا ندرج قضية منصب النائب على جدول الأعمال، وكان البكر يؤجل البحث فيها إلى اجتماع لاحق، وذات يوم خاطبنا البكر في أحد الاجتماعات بأنه يشعر بالحاجة إلى إرسال مبعوثين إلى الدول العربية الأخرى لشرح الأوضاع الجديدة في العراق لزعمائها وتوثيق العلاقات معها. فحظي اقتراح البكر بموافقتنا، وتقرر أن يذهب عماش إلى دول شمال أفريقيا وحردان التكريتي (رئيس الأركان وقائد سلاح الطيران) إلى دول الخليج العربية، وبعد يومين من سفر عماش، دعينا إلى اجتماع طارىء للمجلس، فاجأنا البكر فيه بالقول، إن معلومات دقيقة جداً توفرت له تفيد بأن عماش (يتآمر على الحزب والثورة) وطلب إلينا أن نتخذ القرار المناسب في حقه، فانبرى عزت الدوري وطه الجزراوي (نائبا صدام فيما بعد) باقتراح لاتخاذ قرار بإعدام عماش، وأغلبنا رفض مبدأ الإعدام،

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٥٣٤٦) الأحد ١٨/٧/١٩٩٣.

ورفض أصلاً اتخاذ أي قرار قبل عودة عماش والتحقيق معه في القضية، ولم يقدم البكر معلومات تفصيلية، وإنما قال إن عماش كان يتصل بوحدات عسكرية وبعثيين لتنفيذ (المؤامرة) ونحن يومها لمن نشك فيما قاله البكر، ولكننا رفضنا أن نصدر حكماً بالإعدام أو أي قرار قبل إجراء تحقيق في حضور عماش نفسه.

الأكثر حماسة للقرار العاجل وحكم الإعدام، كان الدوري والجزراوي، وأيدهما في ذلك عبد الكريم الشيخلي (وزير الخارجية آنذاك وصديق صدام الشخصي، والذي اغتيل في بغداد في بداية عقد الثمانينيات)، أما صدام فكان موقفه بين التأييد والتحفظ، المهم أننا انقسمنا إلى فريقين واحتدم النقاش فيما بيننا، وبلغنا درجة من التوتر بحيث أن البعض منا وضع يده على مسدسه. . كنا نرى أن سابقة خطيرة يمكن أن تحدث تهدد بإعدامنا جميعاً الواحد بعد الآخر بناء على معلومات غير مؤكدة، وقد حسم البكر، الذي ظل صامتاً، الموقف بالموافقة على تأجيل البحث في الأمر حتى عودة عماش، بعد يومين أو ثلاثة حان موعد الإجتماع الإعتيادي للمجلس، وتضمن جدول العمل نقاطاً مؤجلة من اجتماع سابق، وأخرى جديدة وفي مقدمتها نقطة تتعلق باختيار نائب لرئيس المجلس، وعندما جاء الدور على هذه النقطة، سأل البكر عمن يرغب في ترشيح نفسه أو غيره إلى هذا المنصب، وعماش كان لا يزال في مهمته الخارجية ومتهم بالتآمر على الحزب والثورة، فمن كان سيجرؤ على ترشيحه إلى هذا المنصب؟. . بادر عزت الدوري وطه الجزراوي إلى ترشيخ صدام حسين، وأيدهما في ذلك عبد الكريم الشيخلي، وأظن أن أحداً منا لم يشعر بالغضاضة تجاه ذلك الترشيح، فصورة المنصب في أذهاننا أنه منصب رمزي لا يعكس نفوذاً أو دوراً متميزاً لصاحبه الذي لن يكون أكثر من مدير لاجتماعاتنا أثناء غياب الرئيس، ولأنه كذلك كان الاتجاه بيننا أن يحتله عماش تكريماً لخدمته وخبرته في الحزب. وإذا كان صدام قد جعل من هذا المنصب مصدر قوة له فذلك راجع إلى تنازل البكر له عن جزء من سلطاته وصلاحياته، حتى غدت السلطة فيما بعد شراكة بينهما، أما الأعضاء الآخرون في المجلس والقيادة القطرية فليسوا أكثر من موظفين كبار في الدولة يقرر البكر وصدام أو أي منهما مصيره.

ويضيف صلاح عمر العلي قائلاً: كلفني البكر باستقبال عماش في المطار يوم عودته، وفي الطريق إلى البيت سألت عماش عما دفعه إلى التآمر علينا فدهش الرجل

لسؤالي وصمت يفكر مستغرباً، ثم سألني عما جرى في غيابه، فشرحت له التفاصيل وقال معقباً: «اخلص.. لم تعد هناك مؤامرة ولا هم يحزنون.. هي ليست مؤامرة صالح، وإنما مؤامرة البكر وصدام على صالح ليكون صدام نائباً للبكر» وراهنني على أن أحداً لن يثير قضية المؤامرة المزعومة في الاجتماع التالي لمجلس قيادة الثورة. وبالفعل في أول اجتماع للمجلس بعد ذلك لم نجد في جدول العمل ما يشير إلى ذلك، ولما تساءلنا عن سبب عدم ادراج قضية عماش على جدول العمل قال لنا البكر: (لا. لا. إخوان، إن هذه القضية اتضحت لنا، والمعلومات ضد (أبو هدى عماش) غير صحيحة، ولا حاجة لمناقشتها).. تطلعنا جميعاً إلى وجه عماش الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة ذات معنى فهمت منها أنه يقول لي: ألم أقل لك أنه ليست هناك مؤامرة ولا هم يحزنون»[١].

بهذا الأسلوب كان صدام والبكر يتآمران ويدأ تآمرهما في البداية على الحزب، وبعد أن تمكنا منه بتصفية وإبعاد كل الذين رأيا أنهم يقفون في طريقهما. بقتلهم أو سجنهم أو طردهم من مناصبهم أو إبعادهم إلى وظائف في الخارج وتقريب العناصر التي تصفق وتنفذ الأوامر. راحا يوسعان دائرتهما بالهيمنة على الشعب العراقي.

ويضيف أيضاً: بأن عمليات التصفية والإبعاد تتم بترتيب وتنسيق بين صدام والبكر، فيقول: «ليس لدي أي شك أن تلك العمليات كانت تتسم بالتنسيق مع البكر. صدام لم يكن يجرؤ، وخصوصاً في السنوات الأولى، على القيام بأعمال من هذا النوع دون موافقة البكر عليها، لم يكن البكر ضعيفاً.. كان نفوذه قوياً داخل الجيش والحزب والدولة. وهو حتى عام ١٩٧٧، كان ما يزال يمسك بزمام المبادرة، وكان يستطيع لو أراد ذلك أن يقضي على صدام. أو أن يحجم دوره ويقلم أظافره على الأقل»[٢].

و«أنه حتى الساعات الأخيرة من حياته في السلطة كان الوحيد القادر على دحرجة صدام حسين إلى سرداب القصر الجمهوري، وسد فوهة السرداب إلى ما لا نهاية، وصدام حسين يعرف ذلك ويتحاشى الإصطدام به، لكن توزيعاً لقطاعات الدولة بينهما جعل صداماً حيث يظهر وكأنه الرجل الذي لا تحد صلاحياته حدود.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٥٣٤٦) الأحد ١٨/٧/١٩٩٣.

(٢) نفس المصدر والعدد.

لا شك أنها مصلحة مشتركة بينهما»[١].

كان من بين ضحايا هذا التآمر الغادر (صالح مهدي عماش) الذي اصطف إلى جنب البكر في مواقف عديدة، وبالنتيجة لم يسلم من غدره وكيده كما مر بنا. وفيما يأتي مواقف وشهادات تكشف عن شخصية (صالح مهدي عماش) واستعدادته التي أهلته لأن يكون ضحية.

ويصف هاني الفكيكي رفيقه صالح مهدي عماش قبل الشروع بانقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٤ قائلاً: «فعماش ضابط أركان جيد، ذكي ومثقف تقليدي وشاعر، لكنه ذو عقل متردد قد يلحق الشلل بالعمل الذي يكلف القيام به»[٢].

ويعد اعتقال صالح مهدي عماش قبيل انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، يضيف الفكيكي قائلاً: «وعلمت فيما بعد، أن القيادة وأعضاء المكتب العسكري استقبلوا اعتقال عماش بمزيج من الفرح والحزن، حزنوا عليه، وأقلقهم اعتقاله واتساع الحملة على الحزب، وفرحوا لأن غيابه عن المكتب العسكري يعني غياب التردد والإسراف في وضع الاحتمالات والفرضيات التي تشل العمل»[٣].

وحدثني المرحوم (ممدوح صالح جاسم التكريتي) نقلاً عن قريبه (صلاح عمر العلي) بأن صداماً استدعى سفراء العراق بالخارج للحضور إلى بغداد في أعقاب المجزرة التي افتتح بها أيام حكمه منفرداً بتصفية مجموعة (محمد عايش ـ عدنان حسين) في ٨/٨/١٩٧٩. فحضر الجميع إلا (صالح مهدي عماش) وكان يومها سفيراً في فنلندة وقبل ذلك كان سفيراً للعراق في الإتحاد السوفيتي السابق، وكتب في هذه الفترة كتابه (موسكو عاصمة الثلوج). وعندما تفقد صدام السفراء لم يجد (صالح مهدي عماش) فقال: أين هذا الجبان (صالح مهدي عماش)؟ لماذا لم يحضر؟. وكان من بين الحاضرين (صلاح عمر العلي). وكان وقتها مندوب العراق الدائم في الأمم المتحدة، فتوقف صدام عنده وذكر دوره في ١٧ تموز و٣٠ تموز ١٩٦٨ أمام السفراء.

مر بنا أن مرشح أكثرية أعضاء القيادة لنيابة البكر بعد فترة ١٩٦٨ هو (صالح مهدي عماش)، لأنه شاعر الحزب، والعسكري البعثي القديم، ولدوره المتميز في انقلاب ٨

---

(١) حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، ص١٦٧.
(٢) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص٢٢٠.
(٣) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص٢٣٢.

شباط ١٩٦٣، وفي ١٧ تموز ١٩٦٨، كان ثالث ثلاثة يعتبرون أول من دخل إلى كتيبة دبابات الحرس الجمهوري بسيارة مارسيدس يقودها صاحبها (حردان التكريتي) ويجلس في مقاعدها الأمامية (أحمد حسن البكر). وبلا منازع كان (صالح مهدي عماش) مؤهلاً لاحتلال موقع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، ونائب أمين سر القيادة القطرية وبهذا الخصوص يقلب صلاح عمر العلي دفتر ذكرياته فيقطع جازماً أنه «باستثناء البكر، بحكم موقعه كأمين سر للقيادة القطرية، لم يكن أي منا يتميز على الآخرين بشيء، كان صدام معروفاً بجديته والتزامه الشديد وتكريسه كل وقته وجهده للعمل الحزبي، لكن ذلك لم يضعه في موقع متميز، وأؤكد لك أنه إلى ما بعد عدة أشهر من تسلمنا السلطة لم يكن اسم صدام مطروحاً على الإطلاق لكي يكون المسؤول الثاني في الحزب والدولة. . صالح مهدي عماش (نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية (٦٨ ـ ١٩٧٠) هو الذي كان مرشحاً لهذا الموقع»[١].

ولكن مؤامرة (البكر ـ صدام) التي قرأنا تفاصيلها المثيرة كانت وراء إبعاده عن هذا الموقع، بعد أن مهدت لهذه المؤامرة زمرة (صدام حسين) المكونة من عزت الدوري، وطه الجزراوي، وعبد الكريم الشيخلي. وربما طرح هؤلاء اسم صدام حسين مرشحاً لهذا الموقع بالاتفاق مع (أحمد حسن البكر).

والمثير في هذا كله أن البعثي القديم والعسكري المخضرم، وبعد كل ما جرى عليه، يكتب رسالة إلى الرئيس بعد عودته (عماش) يفتتحها مخاطباً إياه بكلمة سيدي وهو الذي كان في عام ١٩٦٣ وزيراً للدفاع بينما كان (صدام حسين) شخصاً عادياً في صفوف الحزب والدولة، لا يستطيع أن يطأ عتبة مكتب (عماش) في وزارة الدفاع.

والقارىء الكريم يمكن أن يقف على مستوى الهبوط والانحطاط الذي نزلت إليه شخصيات كنا نتوقف كثيراً عند أسمائها، لأنها شاركت في صنع تاريخ العراق السياسي الحديث، ولكنها شخصيات فارغة من كل معاني القيم وعزة النفس، وليس أدل على ذلك من رسالة الذلة والخنوع والأبيات التي رافقتها من قصيدة مهداة إلى (صدام حسين) من المخلص له نفاقاً (صالح مهدي عماش)[٢].

---

(١) الشرق الأوسط العدد (٥٣٤٦) الأحد ١٨/٧/١٩٩٣.

(٢) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٢١٢، ط١، ٢٠٠٢ بيروت.

نجحت الخطة وابتلع السم الذي دس له في قدح شاي ذهبي قدمه له قائد أحد الفيالق المغاوير، وسط حفل ضخم وموائد عليها ما لذ وطاب.

راح السم يتغلغل في شرايين (المحارب القديم) عدة أيام ليفقد الحياة إلى الأبد في صقيع هلسنكي: مدينة السلام»[١].

«في فجر الأربعاء ٣٠/ك٢/ ١٩٨٥ بينما كان السفير العراقي يرتشف فنجان قهوته الصباحية، بعد أداء الصلاة، استعداداً للتوجه إلى مقر عمله، سقط على الأرض. هرعت زوجته لاستدعاء الطبيب، لكنه جاء متأخراً»[٢].

تآمر البكر ١٩٦٣:

والأدلة الدامغة على تواطؤ البكر مع أعداء حزب البعث كثيرة منها ما ينقله أحد القريبين منه عام ١٩٦٣ قائلاً: «فعند الساعة الثالثة من فجر الثالث من تموز ١٩٦٣، أيقظني حارس البناية ليعلمني سماعه إطلاق نار كثيف من جهة معسكر الرشيد، وكنت آنذاك أسكن في شقة قريبة من المعسكر يشاركني السكن فيها محسن الشيخ راضي، وهرعنا إلى المعسكر لنجد قوات الحرس القومي قد أحكمت الطوق على الطرق والمداخل، وقابلنا هناك صباح المدني ونجاد الصافي وجاسم قرة علي وأحمد العزاوي وعطا محيي الدين من قيادات الحرس القومي. الذين اعلمونا باعتقال حازم وطالب ومنذر الونداوي وبسيطرة الشيوعيين على جانب كبير من المعسكر. كان إطلاق النار كثيفاً ومتواصلاً الأمر الذي يشير إلى استعار القتال داخل المعسكر وعدم استطاعة الشيوعيين السيطرة تماماً، ولكن وصول الدبابات حسم الموقف خلال ساعات قليلة.

دخلنا المعسكر مع الدبابات، وتم إطلاق سراح حازم وطالب ومنذر والآخرين، وتوجهنا إلى السجن العسكري حيث تركز هجوم قوات حسن سريع ورفاقه بهدف إطلاق سراح ٤٥٠ ضابطاً معتقلاً، وبسهولة وسرعة تمت إزاحة تلك القوات واعتقال العديد من أفرادها. وكان لصمود وشجاعة آمر السجن المقدم حازم الصباغ (الأحمر) دور هام في إفشال الحركة.

وقبيل السابعة صباحاً وصل عارف والبكر ويحيى إلى السجن العسكري، وبعد

(١) د. جليل العطية، فندق السعادة، مصدر سابق ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٢١٥.

تناول طعام الإفطار هناك اتفقنا على عقد جلسة طارئة لمجلس قيادة الثورة ظهر ذلك اليوم في مقر وزارة الدفاع.

وكان تنتظرنا في ذلك الإجتماع مفاجأتان: الأولى اقتراح البكر تسمية عارف رئيساً لمجلس قيادة الثورة تثميناً لموقفه البطولي في قمع الانتفاضة. الأمر الذي أثار دهشتنا وتساؤلنا عن حقيقة هدف البكر من ناحية، ومعرفتنا بدور عارف من الناحية الثانية. وأمام إصرارنا على التمسك بقرارنا السابق في أن تكون رئاسة المجلس دورية، رفض اقتراح البكر، مما أثار عارف الذي صب امتعاضه وغضبه على سعدون حمادي ومحسن الشيخ راضي متسائلاً: عما سيفعله الشيوعيون بهما لو قدر لهم النجاح، ثم أجاب السجن لأشهر معدودة، في حين أن قتله هو ورفاقه محقق.

أما المفاجأة الثانية فكانت إصرار العسكريين، وفي مقدمتهم عارف والبكر، على إعدام الـ٤٥٠ ضابطاً قاسمياً وشيوعياً، بذريعة تواطئهم مع حسن سريع ورفاقه»[١].

كانت مواقف رئيس الجمهورية (عبد السلام محمد عارف) ورئيس وزرائه (أحمد حسن البكر(واحدة حتى بخصوص الوحدة العربية التي جعلها الرفاق الهدف الأول في سلسلة أهدافهم ولكنهم لم يكونوا متحمسين لها ذلك التحمس المطلوب، وإنما استخدمت استخداماً سيئاً في تقويض حكم عبد الكريم قاسم. وكانت من أهم دواعي الخلاف بينه وبين عبد السلام شريكه في ١٤ تموز ١٩٥٨. الذي لم يشأ أن يرفعها بوجه الأول كقميص عثمان في تحشيد الرأي العام القومي ضد خصمه، ولكنه عندما جلس على سدة الحكم انصرف عنها. وكان رده على المطالبين بها (بأن كرسيه لم يدفأ بعد) وكذلك كان شأن أحمد حسن البكر عندما استتبت له الأمور مرتين كان في الأولى رئيساً للوزراء وفي الثانية رئيساً للجمهورية. وسار على خطى عارف والبكر فيما بعد (صدام حسين) الذي كان أبعد الجميع عن تحقيق هذا الهدف.

«وفي اجتماعات المجلس الوطني لقيادة الثورة بدأت أصوات تتحفظ على «التسرع» في الوحدة، وهي إذ لم تجرؤ على معارضة الوحدة بصراحة، فإنها تذرعت بالمشكلة الكردية والخطر الإيراني والمشاكل الإقتصادية وغيرها. وكان على رأس

(١) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

المتحفظين عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وطاهر يحيى وصالح مهدي عماش وإلى حد أدنى علي السعدي»[١].

إن الإنقلاب الذي عبر عنه حزب البعث العراقي بردة تشرين ١٩٦٣ ووصفها بالسوداء، كان أحمد حسن البكر واحداً من الذين هيأوا له إذا لم نقل شارك فيه جنباً إلى جنب مع عبد السلام محمد عارف وطاهر يحيى.

«وبات واجباً لوم علي السعدي أو توجيه النقد إلى بعض تصرفاته التي كانت تسيء للحزب والسلطة. كمنعه لفؤاد الركابي من العودة إلى العراق، وتسفيره عبد الرحمن منيف إلى خارج العراق، وفي الوقت الذي كان فيه البكر وعارف وطاهر يحيى وغيرهم يسكنون في مقرات عملهم ويتصلون بالضباط والوحدات العسكرية والحزبيين»[٢] كل ذلك من أجل الانقضاض على الحزب والقضاء عليه. بعد أن عصفت به النزاعات وشطرته إلى محورين رئيسين.

«واصطفت وراء حازم بسبب واقعيته وخلاف علي السعدي معه. فضلاً عن الثقة بينه وبين عارف والبكر، مجموعة واسعة من الضباط والحزبيين»[٣].

وفي تلك الأيام انتهز صدام حسين فرصة النزاع السياسي والصراع المحتدم بين الفريقين ليقوم بدور تجسسي خطير لمصلحة عبد السلام محمد عارف وطاهر يحيى وأحمد حسن البكر. ويتآمر على رفاقه بالحزب. وينهي تاريخ عروس الثورات كما طاب لهم أن يصفوا انقلاب ٨/ شباط/ ١٩٦٣. ويبدو أن فريق التجسس هذا يضم إلى جنب صدام حسين بعض الوجوه التي كانت لا زالت تتبوأ مراكز حساسة حتى سقوط نظام صدام، ولم تطلها عملية التطهير المستمر وماكنة الإعدامات، مما يعطي تصوراً واضحاً على عمق تاريخ التحالف بين هذه العناصر وصدام حسين.

و«بلغ الصراع درجة عالية من التوتر، وبدأت عناصر حزبية وعسكرية تتسلل ليلاً إلى القصر الجمهوري للاجتماع بالبكر وعارف وطاهر يحيى وتنقل لهم ما كان يدور في الإجتماعات والمؤتمرات الحزبية وما تطالب به قواعد الحزب وقياداته الدنيا من

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٩.

(٢) المصدر السابق ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٣) المصدر السابق ص٣٢٤.

إجراءات اشتراكية وتأميمات وتطوير قانون الإصلاح الزراعي، وتطهير الجيش وأجهزة الدولة، فضلاً عن الوحدة الفورية الكاملة مع سوريا. وكان على رأس هؤلاء المخبرين صدام حسين التكريتي وأحمد طه العزوز وطارق عزيز وحسن الحاج وداي وآخرون. وقد عرض صدام حينئذ على بعض المسؤولين استعداده لاغتيال علي السعدي وإنهاء المشكلة»[١].

إن صداماً يعرض خدماته بالمجان لتنفيذ الأعمال الإرهابية، وقد مرت بنا تفاصيل استعداده لاغتيال (علي صالح السعدي) أمين سر القيادة القطرية لحزبه آنذاك، ثم جاءت الفقرة السابقة لتؤكد هذه الحادثة وتكشف هذا المنحى الخطير في حياته.

ولم يقف تحالف البكر وعارف عند هذا الحد بل تعداه ليكسبا معاً نتائج الصراع بين جناحي الحزب المتصارعين، وعندما ازدادت الأوضاع سوءاً وبلغ الصراع أعلى مدياته في ١٣/ ١١/ ١٩٦٣ «وفي اليوم عينه دعا البكر إلى اجتماع في القصر الجمهوري، حضره إلى جانبه حازم وطالب وطارق عزيز وعبد الستار الدوري وعبد اللطيف وعماش، وبعد الحاح البكر شارك عارف في اللقاء، وهناك اقترح الدوري مغادرة حازم وطالب العراق وإعلان الأمر للرأي العام لتهدئة الخواطر، وإشعار قواعد الحزب والحرس باستعداد السلطة إلى عقد اتفاق تسوية، الأمر الذي استهجنه حازم وحذر من الفراغ القيادي فيما إذا حصل ذلك، بينما سكت عارف والبكر»[٢].

وفي يوم ١٧/ ١١/ ١٩٦٣ أي قبل يوم واحد من انقلاب ١٨/ ١١/ ١٩٦٤، الذي كان يسميه حزب السلطة في العراق بردة تشرين السوداء. دعا عفلق الذي وصل إلى بغداد إلى اجتماع ضم إلى جانبه البكر وعماش ويوسف زعين وعبد الستار الدوري وأمين الحافظ وصلاح جديد وعبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهداوي وحردان التكريتي وقيادتي بغداد والحرس.

«في ذلك الاجتماع تساءل أمين الحافظ غير مرة عن احتمال استغلال عارف الفراغ السياسي وقيامه بانقلاب عسكري، وأمام تأكيد قيادة بغداد على وجود التآمر وإصرارها على إزاحة عارف وعودة المبعدين، رفض عفلق والبكر وأكدا سيطرتهما على

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٥.
(٢) المصدر السابق ٣٦٢.

القوات المسلحة وقدرتهما على الإمساك بالسلطة، إلى ذلك قرر الاجتماع تشكيل حكومة برئاسة البكر وإعلان القيادة القومية سلطة عليا على الحزب والحكم في العراق، والطريف أن عفلق شكل مكتباً عسكرياً من طاهر يحيى ورشيد مصلح وسعيد صليبي وحردان التكريتي، فضلاً عن البكر وعماش، مانحاً الشرعية الحزبية لهؤلاء الذين داسوا وتآمروا على حزبه، طالباً إلى جميع العسكريين الخضوع لأوامرهم»[١].

بلغ تأثر أحمد حسن البكر بعارف درجة كبيرة حتى سمى أصغر أبنائه الثلاثة باسم (عبد السلام). وقد طفت على سطح المجتمع العراقي ظاهرة رافقت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. حيث سميت غالبية المواليد الجديدة باسم رجل الثورة الأول (عبد الكريم قاسم) أما ذوو الإتجاه القومي فبلغ تأثرهم ذروته بالرجل الثاني لها (عبد السلام عارف)، والشعبية التي كان يتمتع بها عبد الكريم قاسم لا حد لها، ويمكن قياس ذلك من خلال ظاهرة الوجوم والحيرة التي سادت كل أنحاء العراق بعد الإنقلاب عليه في ٨ شباط ١٩٦٣. ويعود ذلك إلى حبه لأبناء شعبه وسعيه الحثيث من أجل سعادتهم. حتى عمت انجازاته العراق من أقصاه إلى أقصاه ووصلت إلى عمق الهور، فشملت مدينة (الفهود) التي تحولت في سنوات حكم عبد الكريم قاسم القصيرة إلى ناحية، ودخلتها الكهرباء فانتهى بذلك عهد الفوانيس فيها إلى غير رجعة، وارتبطت بمدينة الناصرية بطريق ترابي للسيارات، وانتهى بذلك عصر المشاحيف والطرق النهرية التي تقل المسافرين إلى المحافظة، وبدأت حياة التمدن تدب في المدينة، حتى قام شاعرهم الشعبي المرحوم (ملا عبود الأسدي):

هاي من عبد الكريم ابشارة   كهرباء وناحية وسيارة

وبعد نصف قرن تقريباً على حقبة ١٤ تموز ١٩٥٨، تعاقب فيها دعاة القومية العربية على الحكم في العراق، والفهود ظلت على حالها لم تتغير إلا في حالة واحدة، حيث تسلط عليها سيف الإرهاب يحصد الأعناق، فتجري دماء أبنائها أنهاراً وعادت المدينة القهقري في كل المجالات، وعلى كافة الصعد، فاتخذها أحمد حسن البكر نموذجاً للتخلف والتأخر، هي ومن على شاكلتها كناحية الحمار وقضاء الجبايش، ليرسل إليها الوزراء الأكراد كلما طالبوه بإعمار شمال العراق، وألحوا على إعادة الروح إلى ساكنيه، وهي خطة من البكر توحي إلى وجود مدن عربية في جنوب العراق

---

(١) المصدر السابق ٢٦٦.

ترزح تحت كابوس الفقر ويفتك بها المرض وتعاني من عوامل التأخر ذاته ولا يزال الإهتمام بها محدوداً، والبكر يأمل بحيلته هذه أن يكف الوزراء الأكراد عن المطالبة بحقوقهم، أو هي تتقلص إلى الحد الأدنى، عندما يقف هؤلاء بأنفسهم على واقع المعاناة المرة في الجنوب.

وفي الأعوام التي تلت بيان آذار ١٩٧٠، بدأت أحمد حسن البكر خطته وكثف من زيارات الوزراء الأكراد في حكومته إلى المنطقة الجنوبية من العراق، وقد زار المناضل الكردي صالح اليوسفي ناحية الفهود في تلك الفترة، فخرجت الناحية بقضها وقضيضها لاستقباله، وأطلق شعراؤها الأهازيج المعبرة عن فرحتهم بهذه الزيارة، وكانت من بينها هذه الأهزوجة التي تكشف الواقع المرير في الناحية:

«أرجوك تگل للريس ليش المجلس ناسينا».

ومعناها «أرجو أن تقول للرئيس أحمد حسن البكر لماذا مجلس قيادة الثورة قد نسينا». فتأثر المرحوم اليوسفي بها، وأخرج قلماً وسجلها في دفتر صغير يحمله معه.

ولو قارنا انجازات الفترة القصيرة التي حكمها الزعيم (عبد الكريم قاسم) بالحقبة التي حكم فيها دعاة القومية في العراق (عبد السلام محمد عارف وأخوه عبد الرحمن وأحمد حسن البكر وابن عمه صدام) وهي تسعة أضعاف الفترة التي حكمها الزعيم) وما زالت مستمرة إلى الآن. نجد البون شاسعاً بين الإنجازات التي حققها الزعيم قاسم للشعب والوطن على قصر المدة التي حكم فيها وبين الدمار الهائل وانتهاك حريات الشعب وكرامته مما مارسه ويمارسه الحكام الذين تعاقبوا على كرسي الحكم منذ الإطاحة به وإلى يومنا هذا.

ووحدها فترة أحمد حسن البكر المقصودة بالأهزوجة المارة الذكر كانت أكثر من ضعف الفترة التي حكمها الزعيم (عبد الكريم قاسم) ولو ضمنا الأهزوجة إلى بيت الشعر الشعبي السابق يظهر لنا الفرق واضحاً جلياً في حجم الإنجازات كماً ونوعاً.

ولنا أن نتساءل هل يتأسف الشعب العراقي على هؤلاء الحكام بعد أن تلفظهم الأرض من على ظهرها. ويمكن مقارنة ذلك بما تختزنه ذاكرته يوم كنت طالباً في الصف السادس الإبتدائي، وأنا أرى سحابة الحزن التي لفت مدينتي بعد سماعها نبأ مقتل عبد الكريم قاسم، ولم يخرج عن هذه الحالة إلا نفر قليل جداً كانوا فرحين في

يوم ٨/ ٢/ ١٩٦٣ وما بعده، وكانوا يتجمعون حول راديو كبير الحجم يستمعون للبيانات وبرقيات التأييد، واتذكر منهم يعقوب ناصر هدهود، وكان وقتها قد أنهى دراسة الإعدادية وكان عضو فرقة الحزب الحاكم في كركوك. وطاهر حاجم محمد كان طالباً في كلية التربية ووصل إلى عضو فرع القادسية وقتل في انتفاضة شعبان ١٩٩١، ومعلك حنون الصالح كان طالباً في دار المعلمين الإبتدائية وانتهى به المطاف إلى السجن عام ١٩٧٢ على يد المجرم (ناظم كزار) لأنه من جناح الحزب الموالي لسورية، وجليل ياسين كاظم كان طالب متوسطة وبعدها عضو فرقة في أحد الفروع العسكرية. وسمعت من بينهم يعقوب ناصر يقول متحمساً بعد كل بيان (يا الله اطلع) فسألته من الذي يطلع؟ قال؛ عبد السلام محمد عارف. وبعدما أعلن عن احتلال عبد السلام محمد عارف موقع رئيس الجمهورية، أخذ هؤلاء النفر يجوبون المدينة ويجمعون التواقيع في برقية تأييد مرفوعة له ولأعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة، كما كان يسمّى وقتذاك، وقد امتنع أكثر أبناء المدينة عن المشاركة في هذه البرقية.

كان بإمكان (أحمد حسن البكر) أن يكون رئيساً للجمهورية منذ انقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٣. لأنه هو الذي قاد الانقلاب وفجع الشعب العراقي بقتل عبد الكريم قاسم، ولكن حماس الجميع ومن بينهم البكر كان باتجاه أن يتولى هذا المنصب (عبد السلام محمد عارف)، ولم يأت اعتباطاً أن يسمي البكر أصغر أبنائه باسم (عبد السلام). ولكن مؤلف موسوعة العشائر العراقية تلاعب وحذف الجزء الأول من الإسم بعد أن سمعه من عمومة البكر، حتى لا يعتمد كمؤشر على العلاقة بين أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف. ويصطف مع غيره من المؤشرات الكثيرة[١].

صدام يحاصر البكر

بعد أن اطلعنا على الدور الكبير الذي لعبه (أحمد حسن البكر) في تمهيد الأمور لصعود ابن عمومته (صدام حسين) مفضلاً إياه على كل الرفاق، وظهر لنا واضحاً أنه كلما تقدم صدام خطوة إلى الأمام، كانت ترافقها للبكر خطوة مماثلة إلى الوراء وإلى النهاية المحتومة.

والحقيقة هي أن أحمد حسن البكر كان يفكر في إيقاف زحف رفيقه صدام حسين

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٢٢٤، ط١ ـ ٢٠٠٢ بيروت (بتصرف).

باتجاه الانفراد بالسلطة، وعمل جاهداً في فك الحصار المفروض عليه، ولكن هذه الاحتياطات جاءت متأخرة، وبعد فوات الأوان.

وقد بدت علامات الصراع واضحة جلية بين الإثنين لعدد من الذين كانوا بالقرب منهما وبالأخص في الأعوام الأخيرة من السبعينيات، وقد عبروا عن ذلك بلمحات خاطفة يمكن أن نعتمدها كشهادات على حالة الصراع بين البكر وصدام فعن تلك الفترة يروي (عامر عبد الله) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي سابقاً، وعضو اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية آنذاك، قائلاً: «انطباعي أن البكر ظل المسيطر حتى عام ١٩٧٥، مرة ذهب إلى بيته وقال إنه إما أن يتلقى تقريراً من صدام يكون صادقاً وأميناً عما يجري، وإما أنه لن يعود، آنذاك كان الزحف الخفي والبطيء لصدام عبر الأمن والأجهزة يأتي ثماره فيما نزلت بالبكر مصيبة عائلية، وهي وفاة زوجته، (التي) أحزنته كثيراً.

في آذار مارس ١٩٧٨، رأيت في بابي ضابطاً في الجيش من أقارب البكر، ويحمل لي رسالة منه، فقصدت البكر إلى بيته، حيث كان منقطعاً عن العالم الخارجي، مكثت عند في البيت ثلاثة أيام وهو بالبيجاما، كان محبطاً، وبين الفينة والأخرى يبكي زوجته، وعلى رغم تعثره وارتباكه، قدرت أني فهمت قصده، وهو التعاون معنا في عمل ضد صدام، آنذاك كانت حملة الأخير على الشيوعيين قد بدأت، وتم اعتقال ٣٨ ضابطاً، أخذت أسماءهم معي إلى البكر الذي قال أن من الممكن تسوية الأمر من دون ضجيج، لكنني عندما عرضت على المكتب السياسي استنتاجي، كان جواب أحدهم، أنني لا أثق دائماً (بهذا الثعلب)، مضيفاً أن صدام هو يسار البعث، بدلالة الوسام الذي ناله من (كاسترو) والـ(٧٠) مليون دولار التي قدمها لـ«باباندريو»[١].

كما هو واضح فإن البكر كان يريد بهذا التحالف المنفرد تقطيع خيوط الشرنقة التي وضع نفسه فيها، ويسعى لفك الحصار الذي فرضه (صدام) عليه بالرغم من رصيده الكبير في المكر والخداع، وقد يفوق الثعلب في مكره ودهائه، ولكن الخطأ الكبير في التشخيص، أن يصنف صدام حسين على (يسار البعث) على لسان عدد من الشيوعيين

---

(١) مجلة (أبواب) العدد (٣) ١٩٩٤ في لقاء مع «عامر عبد الله» القيادي السابق في الحزب الشيوعي العراقي.

العراقيين، أو ينعتبونه بـ(كاسترو العراق) وهو ما يجيب عليه (ثابت حبيب العاني) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي سابقاً، فيقول: «نعم كان ذلك شائعاً في بعض أوساطنا، وقد تولدت الفكرة عن الانطباعات الشخصية للذين عملوا معه أو كانوا يلتقون به من حين إلى آخر، كما أن الوفود التي كانت تأتي إلى العراق من الإتحاد السوفياتي والدول الإشتراكية الأخرى والأحزاب الشيوعية والتقدمية العربية وغير العربية، كان صدام يترك لديها مثل هذا الانطباع. وأتذكر أنه في العام ١٩٧٤ عقد اجتماع لممثلي الأحزاب الشيوعية المشاركة في إصدار مجلة (قضايا السلم والاشتراكية). كانت تصدر في (براغ). وكنت يومها مريضاً، وزارني عدد من هؤلاء الممثلين ونقلوا لي انطباعات تعبير عن انبهارهم بشخصية (صدام) استناداً إلى كلمة ألقاها (صدام) في ذلك الاجتماع، وإلى لقاءاته معهم، حتى أن البعض منهم اعتبره أفضل من (كاسترو) والواقع أن صدام لديه قدرة فائقة على التلوّن والمزايدة بهدف واحد هو ارتقاؤه قمة السلطة وتثبيت وجوده وضمان بقائه فيها»[1].

ومما تقدم نستنتج أن أحزاباً شيوعية، وأخرى تقدمية غير الحزب الشيوعي العراقي كانت مبهورة ومخدوعة بـ(صدام)، ويكون الشر أهون عندما يقع في الفخ حزب واحد نتيجة لتقييمات خاطئة، ولكن المؤسف أن يقوم استنتاج عدة أحزاب على الخطأ، وبسبب ذلك أضيفت إلى صدام نعوت ومواصفات لا يستحقها.

والعراق كما هو بلد الشعر والشعراء. كذلك هو موطن الطرائف اللاذعة والنوادر الجميلة والنكات السياسية الساخرة، ولعل الكثير من الذين عاصروا سنوات الجبهة الوطنية والقومية التقدمية يتذكرون تلك الطرائف والملح التي تناولت الحياة السياسية آنذاك بالنقد والتهكم.

وشكل المتحمسون للجبهة سياجاً متيناً تتكسر عنده النصال، وصارت النعوت والصفات التي أطلقت على السيد النائب (صدام) من المتحالفين معه درعاً منيعاً تتلاشى عنده صرخات من يخالفونهم الرأي. وصار هذا وذاك من العوامل المساعدة على بروز ظاهرة التأييد التي كان حزب البعث يدفع بها أعضائه والسائرين في ركابه

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٥٣٤٨، الثلاثاء ٢٠/٧/١٩٩٣، في حوار مع القيادي الشيوعي السابق (ثابت حبيب العاني).

لتدعيم موقف صدام حسين حتى شكلت ضغطاً مباشراً على (البكر) بعد أن أخذت القاعدة التي يرتكز عليها بالضعف تدريجياً سواء كان ذلك على المستوى الجماهيري الشعبي أو على المستوى الحزبي، في الوقت الذي كان به رفيقه (صدام) يعمل بدأب لتحصين مواقعه منذ بداية الإنقلاب عام ١٩٦٨[١].

وكان يرابط في مكتبة ليلاً ونهاراً، ولا تدخل الملاهي والنوادي حياته، والبكر كان بطيئاً وبليداً وغائباً بالمقارنة معه، يكثر المكوث في بيته بالبيجاما[٢].

ومنذ بداية انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ركز (صدام حسين) على المؤسسة الأمنية، وصارت شغله الشاغل، إذ اختفى في دهاليزها ما يقرب العالم حتى بناها على يده واختار لها رجالها بنفسه، كل ذلك من أجل أن يسحب البساط من تحت أرجل منافيسه، وبهذا الخصوص يدلي أحد المشاركين بانقلاب تموز ١٩٦٨ بشهادته قائلاً: بدأنا بعد فترة قصيرة من تسلم السلطة بمناقشة قضية مديرية الأمن العامة التي مارست دوراً قدراً طيلة العهود السابقة في اضطهاد القوي السياسية الوطنية، وبينها حزبنا، وكنا متفقين على أنه ليس من اللائق أن يبقى هذا الجهاز بوضعه السابق كأحد أجهزة دولتنا، وأن الأمر يقتضي إنشاء جهاز جديد للأمن، وفي إحدى اجتماعاتنا تم سؤالنا عما يتولى هذ المهمة، صدام حسين وحده قبل بها، فيما الآخرون جميعاً استنكفوا واعتبروا أنه من العار على أي منهم أن يدير جهازاً لم يعرف عنه سوى المهمات القذرة، واتفقنا على أن ننشيء جهازاً جديداً، حتى في طبيعة عمله، يحل تدريجياً محمل الجهاز القديم المنبوذ، ولهذا أطلقنا على الجهاز الجديد اسم (مكتب العلاقات العامة) والذي حدث أن صدام حسين استخدم ذلك التكليف للهيمنة على الجهاز الجديد والقديم، وتسخيره لمصالحه الخاصة عن طريق تعيين أقاربه وأشخاص أخرين معروفين بدمويتهم، وله معهم علاقات وثيقة في المناصب الرئيسية في هذين الجهازين اللذين استخدما لاحقاً في تصفية منافسي صدام وخصومه في الحزب والدولة.

وفيما بعد عندما اكتشفنا أن صداماً قد اختار للأجهزة الأمنية التي بعهدته من بين أولئك الذين عرفوا بنزعتهم الدموية وملاحقة الناس، صعقنا للأمر، حتى أنه في

---

(١) مجلة أبواب العدد الثالث ١٩٩٤ مصدر سابق، من لقاء مع (عامر عبد الله) القيادي السابق في الحزب الشيوعي العراقي.

(٢) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٢٢٨ (بتصرف).

اجتماع عقد في قاعة الخلد (ببغداد) لأعضاء القيادة والكادر المتقدم للحزب، تساءل العديد من الحضور باستغراب عن تعيين (ناظم كزار) مديراً عاماً للأمن، وباعتباره المعني بالأمر، وقف صدام حسين أمام المجتمعين ليعلن أنه أيضاً كان يحمل أسوأ الأفكار عن (ناظم كزار) قبل أن يتعرف عليه، لكنه ما لبث أن اكتشف أن للرجل شخصية تختلف عما هو شائع عنه، وأنه يتحلى بصفات ومواهب من الخطأ الكبير ألا يستفيد منها الحزب الذي تحول الآن إلى حزب في الدولة، وليس حزباً في الشارع، وأن للدولة متطلبات تستدعي الاستفادة من كل خبرة وموهبة، وطلب ترك الأمر له، وأنه سيكون شخصياً مسؤولاً عن كل النتائج.

كانت تلك المرة الأولى التي عرفت فيها أن (ناظم كزار) قد عهدت إليه مسؤولية أمنية كبيرة، ومنذ ذلك الوقت أدركت، وكذلك آخرون من رفاقي، أي نوع من الناس اختارهم صدام للأجهزة الأمنية التي كنا نريد ونتطلع إلى تغييرها جذرياً»[1].

وبعد أن فرض (صدام هيمنته الكاملة على الأجهزة الأمنية بدأ بمنافسيه واحداً تلو الآخر. وأسقطهم جميعاً، وكان آخرهم البكر، إذ بدأ زحفه عليه منذ الأيام الأولى للانقلاب.

في الوزارة التي شكلها (عبد الرزاق النايف) عقيب انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، عين د. (ناصر الحاني) ـ العاني ـ وزيراً للخارجية، وهو من مواليد عانة عام ١٩١٧، «ولم تكن له صلة عميقة بالنايف»[2] غير انحدارهما من بلدة واحدة.

حاول (صدام) التدخل في شؤون وزارة الخارجية، فيما يخص تعيينات الدبلوماسيين والعاملين في السفارات العراقية بالخارج، غير أنه فوجيء بوزير الخارجية الجديد، وهو يرفض تعيينات أشخاص لا كفاءة لديهم ولا شهادات. واشتكى (الحاني) (صداماً) عند (البكر)، وأسر صدام هذا الموقف في نفسه إلى فرصة الانتقام المناسبة.

وبعد انقلاب ٣٠ تموز ١٩٦٨ على النايف ووزارته وانفراد البعث العراقي

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٥٣٤٦، الصادرة يوم الأحد ١٩٩٣/٧/٢٨. لقاء مع صلاح عمر العلي.

(٢) د. جليل العطية، فندق السعادة، ص١٨٤.

بالسلطة، وقف صدام سداً ضد الحاني مانعاً استيزاره في الوزارة الجديدة، ولكن البكر احتفظ بالحاني كمستشار شخصي له.

باشر الدكتور، (ناصر الحاني) عمله في القصر الجمهوري، وبدأت تدخلات (صدام) من جديد في القصر أيضاً.

وعلم (صدام) بأن (الحاني) يشكل عقبة أمام مشاريعه، فقرر تصفيته و«أوعز إلى إحدى الصحف اللبنانية أن تنشر مقالاً عنيفاً ضد النظام العراقي، وتتهم قادته بأنهم عملاء للاستعمار. وأن الواسطة بين الاستعمار والنظام هو مستشار رئيس الجمهورية (ناصر الحاني). وفور نشر المقال ووصول الجريدة إلى بغداد، ألقي القبض على (الحاني) وتولى (ناظم كزار) تعذيبه باشراف (صدام حسين) شخصياً»[(١)].

وفي ١٩٦٨/١١/١١ نعت بغداد الدكتور (ناصر الحاني(المستشار في رئاسة الجمهورية بعد أن عثر على جثته في قناة الجيش، وهدد بيان النعي الجناة بالاقتصاص منهم.

واغتيال الدكتور (ناصر الحاني) يعد الضربة الأولى التي سددها (صدام) لـ(أحمد حسن البكر). ثم تلتها ضربات أخرى.

محمد ابن الرئيس (أحمد حسن البكر) من جانبه كان يرصد تحركات (صدام حسين) وزحفه لاحتلال موقع والده «عرف عن محمد أحمد حسن، جرأته في مواجهة أخوة صدام وأبناء عمومته والمحسوبين عليه، ويقول عنه إبراهيم الدليمي مرافق البكر، أنه تدخل ذات مرة وتمكن بشق الأنفس من تخليص سعدون شاكر وبرزان التكريتي من بين يديه، ويسجل له أنه أول من حذر أباه من صدام وعصابته، لكن الأب الذي وهنت قواه وضعفت عزيمته كان مسلوب الإرادة وضاعت شخصيته وفقد مكانته»[(٢)]. «كان صدام لا يخشى من جماعة البكر غير إبنه محمد، وكان محمد يقابل صدام بالإزدراء والسخرية، ويحكي عنه أنه شهد ذات محمد يقابل صدام بالإدراء والسخرية، ويحكي عنه أنه شهر ذات يوم مسدسه بوجه صدام خلال زيارة له لمكتب أحمد حسن البكر، ولولا تدخل يحيى ياسين رئيس ديوان رئاسة الجمهورية حينذاك لقضي الأمر»[(٣)] وبعد

---

(١) فندق السعادة، مصدر سابق، ص١٨٦.

(٢) صحيفة بغداد، العدد (٢٣٩) الصادر يوم الجمعة ٢٨ تموز ١٩٩٥م الموافق ١ ربيع الأول ١٤١٦هـ.

(٣) نفس المصدر والعدد.

ذلك قرر محمد التخلص من صدام دون أن يخبر أباه (الرئيس). وكلف بهذه المهمة (غازي الناصري) أحد حراس منزل والده العتاة، وهو قريب البكر ومن أبناء قرية العوجة، وقد سحبه من رعي الأغنام ليكون واحداً من حراسه المؤتمنين: وتهيأ (غازي الناصري(لتنفيذ عملية الاغتيال لصدام أثناء مجيئه مع أعضاء القيادة القطرية إلى منزل (أحمد حسن البكر) للاجتماع. وقد وقع (محمد ابن الرئيس البكر) في خطأ قاتل عندما أخبر رئيس الديوان (طارق حمد العبد الله) بموعد تنفيذ العملية، والأخير سربها بدوره إلى (صدام) قبل ساعات من تنفيذها، فاختلق صدام حسين لقاء طارئاً مع السفير السوفيتي ببغداد، وبنفس موعد اجتماع القيادة القطرية، اتصل بالبكر ليخبره بالأسباب الموجبة للقاء السفير السوفيتي التي تمنعه من حضور الاجتماع. وبذلك أحبط خطة (محمد البكر) ووأدها في مهدها، وجاء في الأسبوع الثاني لزيارة البكر على غير موعد مع اتخاذ كافة الاحتياطات والتدابير، وجلس بين يديه وهو يذرف دموع التماسيح، وقص له القصة شاكياً فيها ابنه (محمد)، وأحضر البكر (غازي الناصري) أمام صدام، وبعد الضغط عليه وتهديده، أدلى بشهادته كاملة، فأمر البكر بحبسه، وأرسل ولده (محمد إلى القاهرة لإبعاده عن المشاكل، وقضى (محمد البكر) في القاهرة فترة ثم عاد إلى بغداد، «تدخل كريم الندا لدى ابن شقيقته وزوج ابنته للتوسط بينه وبين صدام، وأقام مأدبة حافلة في مضيف آل الندا بتكريت، وحضر الحفل محمد البكر وصدام حسين وجمهور كبير من التكارتة المحسوبين على الطرفين. وخلال الحفل سعى ابن الندا إلى جمع محمد البكر وصدام حسين في خلوة بينهما ليتصارحا فيما بينهما وتعود العلاقات إلى طبيعتها دون توتر وحساسية.

ظهر محمد البكر وصدام حسين على (المدعوين) وقد تشابكت أيديهما وهتف كريم الندا: إن شاء الله تدوم المحبة والأخوة.

وانفض الحفل وعاد صدام إلى بغداد، ورغب محمد أن يبقى يومين آخرين في ضيافة أخواله بتكريت، وعندما عاد في طريقه إلى بغداد، حاصرت سيارته سيارتان، الأولى سيارة لوري، والثانية من خلفه سيارة لاندكروز، وفي لحظات توقفت السيارة الأولى أمام سيارة محمد البكر فجأة، فيما كانت سيارة اللاندكروز تصدم سيارته من الخلف وتحولت سيارة المارسيدس السوداء التي كان يقودها محمد البكر وإلى جواره زوجته بنت كريم الندا إلى هشيم وأشلاء وتمزق جسد ابن البكر، ومات حالاً، فيما

انتشرت الجروح والرضوض في جسم زوجته وتوفيت بعد دقائق[١]، مع واحدة من أخواتها، وأصيبت الثالثة بجروح خطيرة، نقلت على أثرها إلى الخارج للمعالجة، وبهذا يكون صدام قد تخلص من أشرس عدو يتحيّن به الفرص، وسدد ضربة ماحقة للبكر قصم بها ظهره، «تنفس صدام الصعداء، وأقام في الليلة نفسها حفلاً في منزل منعزل بحي المنصور مستأجر بإسم طاهر أحمد أمين، وسهر فيه المحتفلون حتى الصباح وشربوا حتى الثمالة، فقد تخلصوا من واحد (عنيد) وشرس وفوق كل هذا وذاك، فهو ابن رئيس الجمهورية»[٢]. وبعد انفراد صدام بالسلطة وفي واحد من اجتماعاته بمجلس الوزراء، أثنى على (طارق حمد العبدالله) وكان وقتها وزيراً للصناعة، بقوله: «إن الرفيق طارق حمد العبد الله الذي يجلس بينكم، أحبط ثلاث محاولات اغتيال ضدي».

ثم خطط (صدام) للتخلص من (مظهر أحمد المطلك) زوج إحدى بنات البكر، وأحد مرافقيه القساة، وكان يشكل مع (محمد ابن الرئيس البكر) ثنائياً يخشاه (صدام).

وكان صدام لا يهدأ له بال و(مظهر أحمد المطلك) لا يزال على قيد الحياة، يعيش قريباً من عمه البكر في القصر الجمهوري، وقد وضع في حسابه أن غريمه من الذين يستبد بهم الشر، وسبق له أن مارس القتل في تكريت، إذ تشاجر في مقهى بتكريت مع أحد أبنائها، عاجله بإطلاقة من مسدسه أرداه على أثرها صريعاً، ولم تقاضيه المحاكم على عمله الإجرامي، كما لم يجرؤ أحد من الحاضرين في المقهى على الإدلاء بشهادته خشية سطوته وبطشه، وبدلاً من عقوبته، كوفيء بسحبه إلى بغداد لينضم إلى طواقم حماية البكر ومرافقيه، ويتخلص من ملاحظة أهل المجني عليه.

وصدام يدرك جيداً أن (مظهر المطلك) يشكل عقبة كأداء أمام طموحه في الإنفراد بكرسي الحكم، وقد يستخدمه الرئيس البكر في شل حركته وإحباطها، بعد أن صار واضحاً للبكر طمع قريبه بكرسيه وسعيه للحصول عليه، ثم إن صداماً قد تخلص من أحد أجنحة (البكر) الضاربة بعد إجهازه على (محمد البكر) وبقتله لـ(مظهر المطلك) سوف تكون أبواب القصر الجمهوري مشرعة أمامه، فعجل بالقضاء عليه وذلك

---

(١) نفس المصدر والعدد.
(٢) نفس المصدر والعدد.

بمحاصرة سيارته ورميها في نهر دجلة وهو في داخلها، وأشيع وقتها أنه كان يقود سيارته مخموراً فانحرفت به إلى النهر ولم يتمكن من السيطرة عليها.

وبعد مقتل (محمد البكر) و(مظهر المطلك) أصبح البكر مكسور الجناحين، وأخذ يخطو سريعاً باتجاه الإستسلام، بعد أن بدأ عده العكسي بالهبوط منذ عام ١٩٧٧. وبات صدام يشدد قبضته ويضيق الخناق عليه. ولم تمض سنة وبضعة أشهر على مقتلهما حتى انهار البكر مستسلماً لابن العوجة الثاني (صدام حسين)[١].

في مساء يوم ١٦ تموز ١٩٧٩، ظهر البكر على شاشة التلفزيون ليعلن تنازله بطوعه ورضاه عن كرسي الحكم لأسباب صحية، وقد سلم الراية لابن عمه (صدام حسين)، وحاول أن يظهر في صورة العرض المسرحي ذاك فرحاً مستبشراً بهذا الحدث العظيم.

لم يكن البكر صادقاً مع نفسه ولا مع الآخرين، ولم يكن نزيهاً ولا أميناً في حمل هذه المسؤولية الثقيلة، ليتركها من أجل الحفاظ على حياته في بحر لجي تتلاطمها الأمواج، وتقلبها الأهواء والمفاجآت، بأيد غير نظيفة هو أعرف بها من الجميع، إن الدور المسرحي الذي لعبه البكر في تضليل أهل العراق بخصوص تسليم الراية للأكفأ منه ما هي إلا لعبة مكشوفة، وقد أوصلت العراق إلى ما وصل إليه الآن.

وكان أحمد حسن البكر كالحرباء يتلون حسب الوضع الرائج، فيمكن أن يطلق ضحكته الكاذبة وابتسامته المصطنعة، وهو يضمر الحزن والألم في أعماقه، كما حدث في يوم تخليه عن سدة الحكم مساء ١٦ تموز ١٩٧٩، ويمكن أن تنحدر دموعه مدراراً ليخدع بها مشاهديه، من أجل استمالتهم في كسب موقف معين.

وهنا ينقل سفير مصر (أمين هويدي) في كتابه «كنت سفيراً في العراق» قائلاً: أستدعاني الرئيس عبد السلام عارف الساعة الواحدة من صباح ١/٣/١٩٦٣، إلى مقابلة عاجلة بمجلس الثورة استمرت حتى الرابعة صباحاً!!

وحينما دخلت على الرجل كان معه كل من البكر رئيس الوزراء وشبيب وزير الخارجية[٢].

وتحدث في الاجتماع الشبيب والبكر وعارف وكان الحديث مكرساً حول مشروع

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٢٣٥ (بتصرّف).

(٢) أمين هويدي كنت سفيراً في العراق، (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥)، ص٦١.

الوحدة الثلاثية، بعد أن تلبدت أجواؤه بالغيوم، وكان الثلاثة ينحون باللائمة على القاهرة ودورها في تفتيت المشروع من خلال مقال (لهيكل) على صفحات الأهرام، هاجم فيه سورية، فوقف الثلاثة إلى جانب سورية يطلبون أن يقدم هيكل اعتذاره في مقال آخر على صفحات الصحيفة ذاتها.

وجاء دور أمين هويدي وتحدث في الاجتماع أيضاً، وفي آخر فقرة من كلامه قال وذلك يشعرني أن دمشق وبغداد في تعاملهما مع القاهرة أخوان يتعاملان مع ابن عم في حين يجب أن نكون ثلاثة أخوة يتعاونون على إقامة بناء شامخ كالوحدة.

واستمر الحوار على هذا المنوال في محاولة لتنقية الجو.

وفجأة انفجر رئيس الوزراء في البكاء بصوت مسموع وغادر قاعة الاجتماع وهو يسرع الخطى، وجريت وراءه لألحق به عند الباب لأثنيه عن الخروج، فعاد معي حيث كان، وأخذت أسري عنه حتى هدأ روعه وعاد إلى هدوئه المعتاد.

وكنت أعرف أن رئيس الوزراء أصلب من أن تبكيه مثل هذه الأحداث ولكن للسياسة أحكامها وضروراتها»[١].

ترك البكر كرسي الرئاسة في ليل بهيم، ولم يطل مكوثه، إذ توفي بعد ثلاث سنوات، على أثر حقنة سامة تلقاها من طبيب أرسله (صدام) خرج الطبيب، وأخذ البكر يصرخ ويستغيث بـ(غازي أحمد الخطاب) الذي كان يجلس عنده حين وافته المنية في ٤/ ١٠/ ١٩٨٢، ولكن ليس من يجيب.

---

(١) المصدر السابق، ص٦١.

الفصل الثالث

صدام والجرائم

صدام وجرائم الثاليوم

يتضمن هذا الملف وبأقسامه الثلاثة التي يتألف منها انعكاسات خطيرة ومروعة لانتهاكات حقوق الانسان في العراق على يد السلطات الأمنيه والمخابراتية العراقية زمن صدام، وذلك باستخدام السموم القاتلة والمبتكرة على ايد خبراء عالميين لكون مركباتها لم تكن مكتشفة من قبل كمادة الثاليوم التي تعرف بالسم العراقي، وانشاء احواض الأسيد كوسيلة من وسائل النظام لتصفية المعارضين السياسيين له.

نورد هنا الأقسام الثلاثة حسب التسلسل وابتداءً من القسم الأول الذي يحتوي اسماء الضحايا المتسممين الذين فارقوا الحياة وانتهاءاً بالقسم الثالث والذي يحتوي تقارير وشهادات الأطباء.

ما هو الثاليوم؟

الثاليوم هو احد المعادن الذي تستخدم املاحه كأحد المكونات الفعالة للكيمياويات القاتلة للحشرات والقوارض ومن المعلوم ان بيعه في الأسواق محدود وذلك بسبب خطورته السامة.

استخدم الثاليوم أستيت (احد املاح الثاليوم) في السابق عن طريق الفم أو كمرهم لمعالجة الاصابه بمرض الدودة الحلقية ولكن توقف استخدامه بسبب خطورته، كذلك استخدم الثاليوم بشكل محدود في مجالات صناعية معينة (في صناعة العدسات العينية والجواهر المقلدة) والنظائر المشعة المستخدمة في كشاف القلب، والثاليوم عديم اللون والطعم والرائحة.

اعراض التسمم

يمتص الثاليوم عن طريق الجلد أو بالاشتنشاق أو عن طريق الفم وبذلك استخدم

كسم للقتل ولحد الآن لا تعرف الآلية التي يقتل فيها الانسان الا انه لوحظ وجود آصرة قوية لديه مع مجموعة السلفدرايل في غشاء أحد مكونات الخلية (مايتو كوندريه) وبسبب تشابه جزيئاته مع البوتاسيوم، يمكن ان يخترق غشاء الخلايا كبديل عن البوتاسيوم، وبذلك يعرقل عملية أكسدة الفوسفور.

وقد اكتشفت ان آيونات الثاليوم تتجمع في الأنسجة التي تتواجد فيها كميات كبيرة من البوتاسيوم مثل الأعصاب، عضلات القلب والانسجة، الثاليوم سم يتجمع داخل الجسم وقابل للتحليل في المحيط الفيزيولوجي (وبذلك يختلف عن الرصاص والاستينك) وتختلف الجرعة القاتلة للثاليوم، في معظم الأحيان يحدث الموت اذا كان هناك مريض متسمم بالثاليوم (١٠ - ١٥ ملغم في الجسم، ولكن كان هناك مريض متسمم بالثاليوم وكانت درجة تركز الثاليوم فيه تزيد على (٥/ ٤٩٥) ملغم / كغلم بعد ١٥ اسبوعاً من العلاج، كذلك تحسن شخص بعد جرعة ٢ غم (ما يعادل ٦/ ٢٨ ملغم / كغم.

واملاح الثاليوم التي تذوب في الماء هي الأكثر سموم (السلفنت، الاستينت، الكاربونات) مقارنة بالتي لا تذوب في الماء مثل (السلفايد، الايودار) وملح الثاليوم سلفيت قاتل للانسان بجرعة ١غم - ويختلف معدل عمر الثاليوم في جسم الانسان من ٧/ ١ يوم إلى ٣٠ يوم.

الاعراض السريرية للتسمم

بعد بلع جرعة كبيرة تبدأ الأعراض المعوية بعد (١٢- ١٤) ساعة والاعراض العصبية بعد (٢-٥) أيام بينما في حالة الجرعات الصغيرة قد تبدأ الأعراض بعد ثلاثة أسابيع والأعراض الأولية هي :- الغثيان، الاسهال - أما الأعراض العصبية التي تبدأ في الأيام الأولى فيه التنحل والصداع وجزر العصب الدماغي (خمور عصب العين، تحدج العين) والصرع وفقدان الوعي الجزئي أو الكامل، ويمكن ان يحدث انهيار الدورة الدموية والموت خلال (٢٤-٤٨) ساعة ولكن عادة ما يكون سير الأعراض اطول ويبدأ فقدان الشعر بعد (١٠-١٢) يوم وهو مؤقت كما أن الامساك الشديد هو من الأعراض الشائعة ايضاً ومن الأعراض الشائعة ايضاً هو شلل الأمعاء حزر في غدة البنكرياس واللعابية ايضاً التهاب المعدة والاثني عشر؛ وكذلك اعراض مثل فقدان

السيطرة حركات لا شعورية، ألم المفاصل والعضلات، مرض الشيخوخة وحالات من الكآبة والعصاب.

ومن الممكن ان يحدث ايضاً التهاب الأعصاب السيمثاوية ويؤدي الأعصاب حالة دائمية، كذلك من الأعراض الاخرى هو استسقاء الرئة، قرحة معدية، التهاب البنكرياس وحتى يمكن ان تشابه التسمم حالات الذبحه القلبية.

وفي حالات نادرة يظهر خيط رفيع ازرق على اللثة (خطوط حي) وفي الأظافر ويمكن ان تضطرب وظائف الكبد ويحدث جزر في الكلية ولكنها عادة غير مهمة من الناحيه السريرية، وفي حالات التسمم بالثاليوم هناك الكثير من الأعراض الجلدية، وتتلف الغدد العرقية وما تحت الجلد ويصبح ذلك الجلد يابساً وعليه قشور وانخفاض درجات الحرارة.

ويمكن ايضاً ان يرتفع ضغط الدم وتزداد دقات القلب بسبب الضرر الذي يصيب العصب العاشر، وتظهر على جهاز تخطيط القلب تغيرات مشابهة لما يحدث في حالات انخفاض البوتاسيوم، ويمكن ان تحدث اضطرابات في دقات القلب نتيجة تلف القلب بسبب الثاليوم ذاته.

اما في حالات التسمم المزمن تكون الأعراض عامة ومن الصعب تحديدها.

هذا باختصار سم الثاليوم الذي استخدمه النظام في بغداد للتخلص من معارضيه.

القسم الأول - الضحايا الذين فارقوا الحياة

١/ بيستون ملا عمر :- توفي نتيجة تأثير سم الثاليوم، الذي دسته له سيدة تدعى نرمين حويز تعمل لحساب السلطات الأمنية في اللبن بتاريخ (١٠/ ١١/ ١٩٨٧م) في السليمانية مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية.

٢/ جميل جزاع الخطيب - ملازم أول :- اعتقل وتعرض للتعذيب في قصر النهاية واطلق سراحه عام ١٩٧٢م وتوفي بعد اطلاق سراحه بعدة أيام نتيجة تأثير التسمم بالزرنيخ ونترات الذهب التي تعرض لها.

٣/ جاسم حسين - جندي :- دس له سم الثاليوم مع الكباب ولعدة أيام توفي بعد أطلاق سراحه.

٤/ جابر ابو الريحة - رجل دين :- توفي عام ١٩٨٥م بتأثير سم الثاليوم الذي دس له.

٥/ جوقي اليزيدي :- تم تسميمه بالثاليوم عام ١٩٨٥م في منطقة بهديان بواسطة الشاي عن طريق احد عملاء النظام العراقي، تمت معالجته، توفي في ٥ حزيران ١٩٨٧م خلال الغارات التي شنتها القوات الحكومية على المنطقة واستخدام الاسلحة الكيمياوية.

٦/ حسين شيرواني - عقيد شرطة :- اعتقل وفارق الحياة في قصر النهاية عام ١٩٧٢ م متأثراً بالتسمم بالزنيخ.

٧/ حسين عليوي - طالب جامعي :- ألقي القبض عليه في بغداد واقتيد إلى الأمن العام، ثم اطلق سراحه واستدعي من قبل أمن محافظة كربلاء دس اليه السم في شراب قدم اليه وحين وصل إلى البيت هجع في الفراش مشلولاً مدة اسبوع كامل، وفارق الحياة بعدها متأثراً بالسم.

٨/ حميد نجم - عامل :- توفي بتأثير سم الثاليوم الذي دس له في الكباب لعدة أيام وبعد اطلاق سراحه بأيام معدودات.

٩/ حسين الأعرجي - معلم :- اعتقل وقطعت ساقاه نتيجة التعذيب، ومنع عنه العلاج الطبي، وتوفي بعد اسبوعين من اطلاق سراحه وظهور أعراض التسمم عليه.

١٠/ خديجة حسين :- توفيت نتيجة تأثير سم الثاليوم الذي دسته لها سيدة تدعى نرمين حويز في اللبن بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٨٧م.

١١/ خاشع عبدالجبار محسن - ملازم أول :- اعتقل وتعرض للتعذيب وتوفي في قصر النهاية عام ١٩٧٢م متأثراً بالزرنيخ ونترات الذهب.

١٢/ خضير حسين - عامل :- توفي في ربيع عام ١٩٨١م في منطقة ورثة في محافظة أربيل نتيجة اعطائه دواء مسموم من قبل وكلاء النظام الحاكم في العراق.

١٣/ خلف جاسم الخفاجي - ملازم أول - اعتقل وتوفي في آيار ١٩٧٣م في معتقل قصر النهاية على أثر حقنه بماده سامة.

١٤/ ذجر - قارئ :- توفي نتيجة دس سم الثاليوم له من قبل السلطات الأمنية مع مجموعة من قراء العزاء.

١٥/ رعد حميد الدلال - عامل :- توفي متأثراً بسم الثاليوم الذي دس له مع الكباب لعدة أيام قبل اطلاق سراحه.

١٦/ زكي غلام - معلم :- اعتقل لمدة ثلاثة أشهر وعذب خلالها، دس له سم الثاليوم مع الكباب ولعدة ايام، توفي بعد اطلاق سراحه بثلاث أيام.

١٧/ زبير الزيباري :- توفي نتيجه دس السم له، للشك بولائه للسلطات الحاكمة في بغداد.

١٨/ سلوى البحراني - أستاذة جامعية - زوجة الدكتور سلمان تاج الدين :- اعتقلت كرهينه في مديرية أمن بغداد لحمل ابنها على تسليم نفسه إلى السلطات العراقية بتهمة انتمائه إلى حزب الدعوة الاسلامية - توفيت بعد عدة أيام من اطلاق سراحها نتيجة التسمم بمادة الثاليوم.

١٩/ سريعة ملا محرم :- توفيت نتيجة تأثير سم الثاليوم الذي دسته لها نرمين حويز في اللبن عام ١٩٨٧م.

٢٠/ سليم مجول المعيني - رائد :- اعتقل وتم تعذيبه وتوفي على اثر اعطائه مادة سامة في معتقل قصر النهاية عام ١٩٧٣م.

٢١/ شوكت عقراوي - مهندس :- توفي متأثراً بأعراض التسمم بالثاليوم عام ١٩٨١م عرضت عليه السلطة الحاكمة أمر تسهيل سفره عن طريق الكويت لظروف الحرب آنذاك مع ايران.

٢٢/ صالح فارسي :- توفي في معتقل زاخو في ٨/٨/ ١٩٨١م نتيجة تسميمه بالثاليوم.

٢٣/ صالح مهدي - طالب جامعي :- توفي اثناء اعتقاله بعد ان ظهرت عليه آثار التسمم بالثاليوم منها تساقط الشعر.

٢٤/ عبد الواحد معيدي - عقيد ركن :- مات متأثراً بسم الثاليوم.

٢٥/ علاء علي - طالب :- توفي متأثراً بسم الثاليوم الذي دس له مع الكباب ولعدة أيام قبل اطلاق سراحه.

٢٦/ عادل علي - طالب :- توفي متأثراً بسم الثاليوم الذي دس له مع الكباب ولعدة أيام قبل اطلاق سراحه.

٢٧/ عبد الحسين فرج سعيد :- ألقي القبض عليه في آذار عام ١٩٨٠م وأطلق

سراحه بعد اكثر من شهرين من الاعتقال ثم اعتقل ثانية وارغم على تناول كأس من اللبن قبل اخلاء سبيله، توفي بعد اخلاء سبيله بيومين متأثراً بسم الثاليوم.

٢٨/ عبد الصاحب دخيل - تاجر :- اعتقل في بداية السبعينات، ثم أذيب بالتيزاب عام ١٩٧٣م.

٢٩/ عبد الحسين البرقعاوي - معلم :- اعتقل في ٢ تشرين الأول عام ١٩٨٠م واطلق سراحه بعد عدة أيام من اعتقاله، بعد ارغامه على تناول كأس عصير - توفي في ٢٣/ ١٠/ ١٩٨٠م.

٣٠/ غسان نزار - طالب :- اعتقل وأعطي له السم قبل اطلاق سراحه بثلاثة أيام، أصيب بالصرع وتوفي على أثر ذلك.

٣١/ فؤاد الشيخ راضي - مدرس :- كان يعمل في الجزائر، عاد إلى العراق بعد قرار عفو صدر في عام ١٩٨٧م اعتقل في النجف من قبل قوات أمن خاصة مرسلة من بغداد وبقي في مديرية الأمن العامة مدة ستة أيام، ثم اطلق سراحه دون أن يتعرض لأي تعذيب، مما أثار الاستغراب لأن طريقة الاعتقال لا تتناسب مع فترة الاعتقال وعدم التعذيب بعد عدة أيام.

بدأت الأعراض تظهر عليه اصفرار الوجه، ورم في فكه السفلي، حالة خمول عامة منعت السلطات العراقية منحه جواز سفر لمعالجته في بريطانيا نقل إلى المستشفى/ مدينة الطب في بغداد بدأت حالته بالتدهور، اختناق في التنفس ونزف داخلي في الرئتين بدأت عيوبه تتقيح - فارق الحياة في نهاية شهر أيلول ١٩٨٧م.

٣٢/ قاسم السماوي - سفير العراق الأسبق في بيروت - وكيل وزارة الخارجية :- اعتقل في عام ١٩٨٠م، فارق الحياة في آذار ١٩٨١م نتيجة دس سم الثاليوم له.

٣٣/ كريم مختار - طالب :- توفي متأثراً بسم الثاليوم الذي دس له مع الكباب ولعدة أيام قبل اطلاق سراحه.

٣٤/ محمد طاهر الحيدري - رجل دين :- توفي عام ١٩٨١م بعد دس سم الثاليوم له.

٣٥/ محمد الحديثي - وكيل وزارة الخارجيه الأسبق :-

توفي بتأثير دس سم الثاليوم له مع الببسي كولا بواسطة احد عملاء النظام العراقي في تموز عام ١٩٨٤م في قرية كرت خبز بمحافظة كركوك.

٣٦/ الشيخ مهدي السماوي :- تم تذويبه بحوض الأسيد عام ١٩٨١م وتم ابلاغ عائلته بعدم السؤال عنه.

٣٧/ الشيخ ناظم العاصي :- توفي نتيجة دس السم له بواسطة عملاء النظام العراقي في عام ١٩٨٤م.

٣٨/ ناجية حاتم الكعبي :- اعتقلت مع طفلتها البالغة ١٤شهراً في منتصف آيار ١٩٨٠م بتهمة الانتماء إلى الحزب الشيوعي العراقي وتعرضت للتعذيب الوحشي اضافة إلى تهديدها بقتل طفلتها، توفيت بعد ثلاثة أيام من اطلاق سراحها نتيجة التسمم بمادة الثاليوم.

القسم الثاني - الضحايا الذين ما زالوا على قيد الحياة

١/ أياد سعيد ثابت : اعترف احد المكلفين ويدعى سعد الجميلي بدس سم الثاليوم له في بيروت عام ١٩٨٢م وبأنه مبعوث من قبل المخابرات العراقية، وسلم السم.

٢/ آوار محمود :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع قادة الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز تعمل لحساب السلطات العراقية.

٣/ آشتي :- تم تسميمه بواسطة السوائل عن طريق عملاء النظام العراقي في منطقة بهدينان عام ١٩٨٥م.

٤/ توماس القس - ابو نضال :- تم تسميمه بواسطة السوائل عن طريق عملاء النظام في منطقة بهدينان عام ١٩٨٥م.

٥/ جبار جعفر ناصر :- اعترف احد المكلفين ويدعى سعد الجميلي بدس سم الثاليوم له في بيروت عام ١٩٨٢م بأنه مبعوث من قبل المخابرات العراقية وسلم السم كما اعترف باسم رابع قد كلف بتسميمه من التيار الاسلامي.

٦/ جلال أمين بك :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية في ٢ / ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز تعمل لصالح السلطات الأمنية العراقية.

٧/ حسين الجبوري - ورد اسمه في التقارير الطبيه والصحف عبدالكريم السوداني) - دكتور في العلوم الزراعية تم تسميمه بالثاليوم بواسطة الشاي في ٢٤/ ٣/ ١٩٩٢م في مدينة شقلاوة، نقل إلى سوريا - بذلت مساعي من اطباء وادارة مستشفى الأسد الجامعي حالت دون تدهور حالته الصحية تم تشخيص السم وهو الثاليوم وبفضل اهتمام وتدخل السلطات في سوريا تم تسهيل سفره إلى انكلترا وتحمل السوريون نفقات علاجه، وتم نقله إلى مستشفى غاي في لندن لمعالجته.

٨/ خالد حسين :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز التي تعمل لصالح السلطات الأمنية العراقية.

٩/ ريزان قادر - نفس العملية.

١٠/ زهير كمال الدين :- اعترف احد المكلفين ويدعى سعد الجميلي بدس سم الثاليوم له في بيروت عام ١٩٨٢ م وبأنه مبعوث من قبل المخابرات العراقية، وسلم السم.

١١/ سامي شورش :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز، ثم نقل إلى لندن وتمت معالجته في مستشفى بريدج على نفقة منظمة العفو الدولية.

١٢/ طريفة محمد سعيد :- تم تسميمها بواسطة اللبن عن طريق نرمين حويز أيضاً في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م.

١٣/ عدنان المفتي :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز تم نقله إلى لندن وتمت معالجته في مستشفى بريدج على نفقة منظمة العفو الدولية.

١٤/ عمر عبدالله - نفس العملية.

١٥/ عادل عبداللطيف الجبوري - عقيد ركن - (ورد اسمه في التقارير الطبية والصحف عبدالله عبد اللطيف).

تم تسميمه بالثاليوم بواسطة الشاي في ٢٤/ ٣/ ١٩٩٢م في مدينة شقلاة مع الدكتور حسين الجبوري، نقل إلى سوريا، بذلت مساعي من اطباء وادارة مستشفى الأسد

الجامعي حالت دون تدهور حالته الصحية ثم تشخيص السم وهو الثاليوم وثم تسهيل سفره إلى انكلترا مع الدكتور حسين وتحمل السوريون نفقات علاجه.

١٦/ فاضل عباس الخياط :- تم تسميمه بالثاليوم عام ١٩٨٤م في محافظة السليمانية عن طريق احد عملاء النظام العراقي.

١٧/ فاروق يلدا :- تم تسميمه يالثاليوم بواسطة السوائل عن طريق احد عملاء النظام العراقي في عام ١٩٨١م.

١٨/ محسن شبر :- في شباط ١٩٨٩م استدعي لمديرية الأمن العامة في بغداد، وضع له سم الثاليوم باللبن تعرض لتساقط شعره وشلل بالعضلات سمح له بالسفر إلى الهند وتمت مداواته وتشافى.

١٩/ الدكتور محمود عثمان :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز تم نقله إلى طهران بطريقة سريّة وتمت معالجته في احدى مستشفياتها.

٢٠/ مصطفى محمود قادر :- تم تسميمه بالثاليوم بواسطة اللبن مع عدد من قادة وكوادر الحركة الكردية في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٧م عن طريق نرمين حويز تم نقله إلى لندن وتمت معالجته في مستشفى بريدج على نفقة منظمة العفو الدوليه.

٢١/ محمود عامل - نفس العملية.

٢٢/ محمد رضا الجابري :- تم تسميمه بالثاليوم عام ١٩٨٠م.

٢٣/ يوسف قاسم :- تم تسميمه بالثاليوم، وما زال يعاني من الشلل وعجز في الرؤيا والسمع.

القسم الثالث - تقارير وشهادات الاطباء

١/ الدكتور رونالد زيجن :-

طبيب مستشار ورئيس اقسام المعدة والأمعاء في مستشفى وستنمستر - ومستشفى سان ستيفن.

((تقـريـــــر طبي))

السيد مجدي جهاد / العمر ٤٠ سنه.

أدخل هذا المريض إلى المستشفى وستنمستر تحت اشراف الدكتور جيبير بتاريخ (٧/ مايس يرجى الرجوع إلى تقرير الدكتور جيبير تاريخ - ٨ / مايس الذي يعطي تفاصيل المشكلة حتى وقت الدخول للمستشفى، طلب مني الدكتور جيبير مشاهدة المريض بسبب اختيارات وظيفة كبديه غير طبيعيه وظننت أنه من المعقول بالنسبه للمريض أن يجري خزع كبد الذي نفذته، وفي الواقع بيّن تقرير هذا الخزع الكبدي بتاريخ ٢٣/ مايس - أن لدى المريض التهاب كبد حبيبي غير متبين السبب.

ثم انحرفت صحة الدكتور جيبير فيما بعد وطلب مني الاستمرار في العناية بالمريض ثم اصبحت بشكل رسمي المستشار الطبي المكلف بتاريخ ١٢/ مايس وفي ذلك الوقت كان المريض نصف مشلول وكان بصورة واضحة مريضاً بصورة خطيرة ولديه التهاب جلدي واسع (نوع ستافيلو) وفي الواقع شاهده في ذلك الوقت ايضاً مستشار الجلدية، لدينا الدكتور كويهمان والدكتور ستوتون ووافق كلاهما على احتمال كون ذلك سبباً عن تسمم دم

(نوع ستافيلو).

وتم زرع الدم بصورة متكرره وكانت سلبية وبما ان البقع المتقيمة كانت (بنوع ستافيلو) فقد عالجناه بصورة شديدة بواسطة (فلو كلوكسيسين) و(فوسيدين) على ربط الوريد والذي اصلح بسرعة التفرزات الجلدية ونتيجة للتحريات الواسعة (بما في ذلك مساعدة الدكتور جولدنغ من مستشفى جاي) كانت الخاصة المهمة وجود كميات كبيرة من مادة (ثاليوم) في البول والدم.

ولاشك ان المريض في مرحلة ما كان قد تناول كميات غير طبيعية من مادة الثاليوم السامة، وبناء على نصيحة الدكتور جولدنغ عالجناه بواسطة (آزرن برلين) بواسطة انبوب ع / ط الانف إلى المعده مع تدابير داعمة، وحوالي ذلك الوقت أي بتاريخ (١٤/ مايس - لوحظ أن لديه حالة سقوط الشعر مما يثبت سريراً تشخيص التسمم بمادة الثاليوم.

وبينما كان قيد العلاج بمادة (آزرن برلين) استمر في التحسين هامشياً وانخفضت معدلات الثاليوم في البول والدم وفي ذروة تحسنه كان في الظاهر قادراً على التعرف (الادراك) والاتصال على كل حال باقربائه باللغه العربيه، ولكن بتاريخ (٢٨/ مايس بدأت تظهر علامات التهيج الدماغي، فقد كان يئن واصبح متهيجاً ويضرب بعنف وظهر

أنه متهيج وقانق بصورة غير طبيعية فطالبنا مشورة الطبيب النفساني الذي أوصى بدواء مهدئ آملاً بان تكون فترة التهيج الدماغي مؤقته فقط.

لكن لسوء الحظ اصيب بالتهاب القصبات والرئه والتي ساءت بسرعة بالرغم من العلاج، وتوفي الساعة (٤٠/ ٢) بعد الظهر بتاريخ (١٦/ حزيران)، ونكرر أن الحالة الاوليه للمريض أظهرت تسمماً بمادة الثاليوم، بالرغم من اننا لم نشاهد مثل هذا الالتهاب الجلدي الواسع اثناء عملنا.

وقد درس الدكتور ستوتون خلايا الدم البيض للمريض بصورة واسعة ولم يظهر أن الثاليوم اعاق وظيفتها بصورة كبيره، ثم احيلت القضيه إلى الطبيب الشرعي.

٢/ الجمهورية العربية السورية.

جامعة دمشق

مستشفى الأسد الجامعي - ١٥/ نيسان / ١٩٩٢م

الى من يهمه الامر

السيد عبدالكريم سوداني وعبد اللطيف عبدالله يرقدان حالياً في مستشفانا ويعانيان من التسمم بالثاليوم وكلاهما بحاجه إلى عناية خاصة لاتتوفر حالياً في سوريا.

البرفسورة سلوى الشيخ

رئيسة قسم الروماتيزم والامراض الداخلية.

البروفسور محمد على هاشم

المدير العام لمستشفى الأسد.

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق.

مستشفى الأسد الجامعي

الدكتورة سلوى الشيخ

أستاذة في الطب

رئيسة قسم الداخلية والروماتيزم

جامعة دمشق

مستشفى الأسد الجامعي

أدخل السيدان -أ - السوداني ٤٢ سنه، وعبد اللطيف ٣٨ سنه المستشفى باعراض تتشابه جداً، تتكون من آلام معوية (البطن)، غثيان، وتقيؤ، بدأت منذ عشرين يوماً قبل دخولهما المستشفى وعقب تناولهم الشاي ثم تبع ذلك انتشار الآلام، الضعف العام، زوغان البصر، وضرر في الاطراف، استعجال التبول، الركود الجامعي في الجسم بالاضافة إلى تساقط الشعر الحاد.

وقد أجريت الاختبارات الفيزياوية من قبل اختصاصيين في الأمراض الداخلية والعصبية والتسمم وكانت نتائجها مبدئياً طبيعة عدا المظهر المرضي العام وداء الثعلبة.

واما الاختبارات الأخرى (تفاوت - السكر البوريا القلويان، الكالسيوم، R,SE,TKI,BK,HLP، الصوديوم، البوتاسيوم

T,F,L وتحليل فيتامين "بي" اليورين، النشويات والكاربوهيدرات و C,C وكانت كلها طبيعية للسيد الجبوري، واما T,P,G,S,T,O,G,S الفوسفات القلوية و C,C كانت فوق طبيعية بالنسبه للسيد سوداني حيث بلغت (٩٩، ٣٩٠، ١٧٠، ٣٠ مليلتر / لتر على التوالي :-

نتائج مستوى الأرسينك والثاليوم ليست جاهزة بعد وكانت الأشعة السينية للصدر والبطن طبيعية.

وقد بينت المعاينة السريرية والاختبارات الفيزيائية والفحوصات المختبرية وجود حالة تسمم وافادت المشاوران مع الخبراء والاختصاصيين ان المادة المسممة كانت الثاليوم.

المعالجة بالكاركول الفعال غير مشخصة بعد ٣ اسابيع من التسمم وهناك شعورياً بوتاسيوم R,X، سيكون خطراً وبموجب علم التسمم الصناعي - الطبعة الاخيرة) فقد وصف (آي، دي، تي) يومياً، أي في الخمسة أيام من (١٤/ ٤/ ١٩٩٢م)

التوقيع

سلوى الشيـخ

الأستاذ الدكتور

أم، أي، هاشم

مدير مستشفى الأسد الجامعي

جريمة جماعية

أربعة آلاف عراقي فقدوا دفعة واحدة..!

ان هذه القضية تتعلق بشأن مصير اكثر من (٤٠٠٠) شاب عراقي (بضمنهم بعض الشابات والأطفال) احتجزتهم السلطات العراقية كرهائن خلال تهجير عوائلهم إلى خارج الوطن .. إلى ايران، وفقدوا منذ ذلك الوقت، وبعد سقوط النظام في ٩ نيسان لم يعثر لهم على أثر.

بدأت عمليات تهجير هؤلاء المواطنين بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٨٠ حيث تم تهجير العوائل بعد مصادرة كل ممتلكاتهم ووثائقهم الشخصية (الجنسية العراقية، هوية الأحوال المدنية، شهادة الجنسية العراقية، دفتر الخدمة العسكرية، رخصة القيادة، هوية غرفة التجارة بالنسبة للتجار، هوية اتحاد الصناعات العراقي بالنسبة لأصحاب المشاريع الصناعية، وثائق الممتلكات، الشهادات المدرسية والجامعية، والخ).

ان القيادة العراقية العليا وبأمر من صدام حسين اتخذت هذا القرار السري واعتبرت شرائح معينة من المجتمع العراقي (الأكراد الفيليين والفرس وبعض العرب) تبعية ايرانية أو ذوي اصول ايرانية وذلك بالرغم من ان هؤلاء مولودون هم وآباؤهم وأجدادهم في ارض العراق والبعض منهم تمتد اصولهم إلى فترة ماقبل ظهور الاسلام. وكان الغرض من هذه السياسة هو التحضير للحرب العراقية ـ الايرانية التي بدأت ايلول من عام ١٩٨٠.

لقد بلغ مجموع العراقيين المهجرين إلى ايران خلال الفترة من ٤/ ٤/ ١٩٨٠ لغاية ١٩/ ٥/ ١٩٩٠ حوالي مليون فرد حسب احصائيات الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر بعد اتهامهم بالتبعية لإيران. ان هؤلاء المهجرين كانوا على شكل عوائل كاملة بضمنهم شيوخ وأطفال ونساء حوامل وحتى ذوي عاهات جسدية وعقلية. تمت التهجيرات تلك بصورة غير انسانية وبدون سابق انذار، حيث اجبرت تلك العوائل على السير على الأقدام في البرد القارص والأمطار والثلوج عبر المناطق الحدودية إلى ايران دون ماء أو طعام واستغرقت رحلات اغلبهم عدة أيام حيث توفي قسم منهم في الطريق وقسم قتلوا بسبب الألغام وآخرون سلبهم قطاع الطرق.

غادر عدد من المهجرين ايران وطلبوا حق اللجوء في دول أوروبا وبعض الدول الأخرى. اما القسم المتبقي في ايران فقد انتشر في عدة مدن ايرانية وبالأخص المدن القريبة من الحدود العراقية.

كان هؤلاء وسط دمار الآلة الحربية خلال ثمان سنوات (سنوات الحرب العراقية ـ الايرانية). قتل عدد منهم جراء القصف العراقي للمدن الايرانية بالصواريخ والطائرات. اغلبية الذين بقوا عاشوا في حالة الفقر بسبب عدم وجود الاعمال لهم وكثير منهم اصبحوا مسنين عاجزين عن كل شيء وينتظرون رحمة الله وصدقات المحسنين.

احتجاز الشباب والشابات من ابناء المواطنين العراقيين المهجرين بدأ منذ بداية التهجيرات في ٤/ ٤/ ١٩٨٠ وشملت كافة المحافظات العراقية وبالأخص المحافظات الوسطى والجنوبية ومحافظة كركوك وقد قدر عدد المحتجزين خلال الستة اشهر الأولى بأكثر من ٢٠٠٠٠ (عشرون الف) وكان يزداد عددهم مع ازدياد اعداد هجرة مجموعات جديدة من العوائل إلى ايران. الكثير من هؤلاء المحتجزين كانوا من العسكريين. علماً بأن قانون الخدمة العسكرية العراقي ينص على انه لا يجوز لغير عراقي الجنسية الانضمام للخدمة في الجيش العراقي!

هؤلاء الشباب العسكريين تم حجزهم في بادئ الأمر في معسكرات الجيش العراقي التي كانوا يخدمون فيها. ومن ثم نقلوا إلى سجن معسكر الحارثية الواقع غرب مدينة بغداد وبعد اسبوع تم نقلهم إلى سجن رقم واحد في معسكر الرشيد الواقع جنوب مدينة بغداد. وبقوا هناك لعدة اشهر إلى ان صدر قرار ينص على اطلاق سراح المحتجزين من اصول غير ايرانية.

بعد شهر من ذلك صدر قرار اخر ينص على اطلاق سراح المحتجزين المسيحيين وان كانوا من اصول ايرانية. وبقي المسلمون في الحجز تحت تهمة التبعية الايرانية. لقد زارهم مسؤولين عسكريين كبار في سجن رقم واحد في معسكر الرشيد وقالوا لهم (انكم اخوتنا وابنائنا وانتم محتجزين بسبب حرصنا عليكم وعدم اعطاء الفرصة للايرانيين للاختلاط بكم وغسل ادمغتكم ضد وطنكم العراق .. وبعد فترة قصيرة سنطلق سراحكم فأنتم ضيوف هنا.).

ومن ثم تم نقل المحتجزين إلى سجن وزارة الدفاع في بغداد وامضوا هناك عدة

اسابيع وتعرضوا للكثير من الاهانات. بعدها نقلوا إلى مديرية الأمن العامة في بغداد. وهناك ابلغوا بالتهمة الرسمية الموجهة اليهم (وهي التبعية الايرانية) وأُمروا بخلع ملابسهم العسكرية التي كانوا يرتدونها منذ حجزهم. ثم نقلوا إلى سجن ابو غريب المركزي - قسم الأحكام الثقيلة ـ الواقع في منطقة ابو غريب شمال غربي مدينة بغداد. وخلال كل التنقلات بين السجون كان المحتجزين يجبرون على ملئ استمارات تحتوي على العديد من الأسئلة المتنوعة.

اما المدنيين فقد تم حجزهم مع عوائلهم في سجن الفضيلية الواقع في منطقة الفضيلية شرق مدينة بغداد ومركز التهجيرات القريب من ملعب الشعب الدولي الواقع في مدينة بغداد. كما حجزت مجموعات اخرى في بيوت المهجرين حيث تحولت إلى سجون. وفي هذه السجون تم تفريق الشباب عن عوائلهم إلى فئتين، الأولى هم ممن تتراوح اعمارهم بين ١٦ و ٤٠ سنة قيدوهم ونقلوهم إلى مديرية امن بغداد والثانية التي تقل اعمارهم عن ١٦ سنة تم نقلهم إلى سجن الأحداث الواقع شرق مدينة بغداد.

ما تبقى من العوائل ابقيت في هذه السجون المكتظة بالمهجرين والتي كانت تنعدم فيها الرعاية الصحية والتغذية المنتظمة بالاضافة إلى عدم توفير الحليب لاطفالهم والتعرض اليومي للاهانات من قبل حراس السجون. حيث بقوا عدة اشهر على هذه الحالة حتى تم تهجيرهم إلى ايران.

تم توزيع المحتجزين في سجن ابو غريب على قاطع (٧) وملحقه وقاطع (٨). كل قاطع كان يحتوي على (٢٠) زنزانة مساحة كل منها بين ٤ و ٥ امتار مربعة وتحتوي على دورة مياه ولا توجد فيها نوافذ عدا فتحة صغيرة مفتوحة إلى الخارج. صباح كل يوم يتم اخراج المحتجزين لمدة ساعتين إلى الساحة التابعة لقاطعهم ولم تسمح الزيارات خلال الأشهر الأولى من الحجز.

في بداية الأمر تم اطلاق سراح بعض المحتجزين من المدنيين وتم تهجيرهم إلى ايران. استمرت هذه الحالة في تهجير المدنيين حتى حدث الاضراب الذي قام به المحتجزون في سجن ابو غريب والذي كان سببه احتجاجا على سوء معاملة احد المحتجزين المدعو (حسن حداد) فقد اصيب هذا الرجل بمرض في معدته ولم يسمح له بالذهاب إلى المستشفى للعلاج حتى توفي في زنزانته في الساعة السادسة من مساء يوم ١٩٨١/٤/٣٠.

هذه الحادثة اشعلت الغضب والهيجان لدى بقية المحتجزين فاستطاعوا كسر الموانع الحديدية في زنزانتهم والخروج إلى ممرات وساحة السجن وحصلت مواجهة عنيفة ودموية بين حرس السجن والمحتجزين. وطلب المحتجزين مقابلة احد كبار مسؤولي الحكومة العراقية لمعرفة مصيرهم. وفي الساعة الثانية من بعد منتصف الليل هبطت طائرة هليكوبتر وفيها قوات من الحرس الجمهوري مدججين بالأسلحة ومزودين بكاميرا الفديو ثم ظهر برزان التكريتي أخ الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين وحاول تهدأت المضربين الهائجين والتفاوض معهم. وقال (انا اتفهم حالتكم ونحن مستعدون لتحسين ظروف حجزكم وتلبية كافة طلباتكم عدا شيئين: الأول لانرسلكم إلى ايران لتلتحقوا بعوائلكم المهجرة والثاني انه لايمكن اطلاق سراحكم داخل العراق في الوقت الحاضر. اطلاق سراحكم متعلق بنهاية الحرب العراقية ـ الايرانية، فسيطلق سراحكم سرعان ماتنتهي الحرب. وان هذا القرار اتخذ من قبل اعلى سلطة في العراق). فأجابه المحتجزين (اننا لانريد شئ منكم سوى اطلاق سراحنا واعادة حريتنا، لاننا لسنا مجرمين ولامتهمين بأية تهمة. فاذا تعتبروننا عراقيين فاطلقوا سراحنا ونحن مستعدون للرجوع للخدمة العسكرية. واذا تعتبروننا ايرانيين ارسلونا إلى ايران كي نلتحق بأهالينا).

ورد عليهم برزان التكريتي قائلاً (هذا مطلب مستحيل) كما قال (انني ارغب بتوضيح نقطة واحدة فقط لكم وهي ان اراد احدكم ان يبقى حياً وان يرى اهله ثانية فعليه السكوت والعودة إلى زنزانته. اما الذين لايرجعون فسيموتون كالكلاب). وصاح المحتجزون (ان هذا القرار هو قمة الاضطهاد ونحن نرفضه.). ثم امر برزان التكريتي حرسه بأرغام المحتجزين على العودة إلى زنزاناتهم بأستخدام القوة. نفذ الحرس امر برزان التكريتي بأستخدام الأسلحة النارية والغازات المسيلة للدموع كما تم قطع الماء والتيار الكهربائي. انتهى الأمر عند الساعة الخامسة صباحا عند عودة المحتجزين إلى زنزاناتهم بعد اصابة عدد منهم بجروح بليغة واصبحت حالتهم سيئة للغاية.

بعد هذه الحادثة اصبحت معاملة المحتجزين اكثر قساوة واقل انسانية فقد قللوا من اكلهم وقطعوا عنهم فترات الخروج للهواء الطلق كما اغلقت الفتحة الهوائية الصغيرة الموجودة في كل زنزانة.

واستمرت هذه الحالة حتى ١٤/ ٧/ ١٩٨١ حيث جاء مسؤولوا السجن واخذوا مجموعة من المحتجزين حسب قائمة اسماء بحجة انهم سوف يهجرون إلى ايران وكان

عدد هؤلاء بين ٧٠٠ و ٧٥٠ شخصاً. الا ان هؤلاء لم يهجروا ولا يعرف مصيرهم سوى المسؤولين الكبار في الحكومة العراقية. اما السبب في انتقاء هؤلاء فهو تصور السلطات انهم كانوا وراء حادثة الاضراب التي تم ذكرها.

بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٨١ سمحت السلطات للمتبقين من اهالي وأقرباء المحتجزين بزيارتهم في اليوم الثاني عشر من كل شهر. وفي اليوم التالي لكل زيارة كانت ادارة السجن تجبر المحتجزين على ملئ استمارة خاصة.

مع استمرار عمليات تهجير المواطنين العراقيين إلى ايران استمر حجز الشباب في السجون العراقية. اما معاملة حراس السجن فكانت تسيء اكثر كلما تقدمت القوات الايرانية في جبهات القتال.

استمرت هذه الحالة حتى تاريخ ٥/ ١٢/ ١٩٨٤ حيث تم نقل المحتجزين على شكل ثلاث مجموعات (كل مجموعة متكونة من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ شخص) إلى سجن قلعة السلمان. هذه القلعة تقع على تل يبعد خمسة كيلومترات من سجن نكرة السلمان القديم وحوالي ١٦٠ كيلومتر من مدينة السماوة مركز محافظة المثنى. توجد قلعة مشابهة لهذه القلعة في منطقة سيبلك قرب منطقة كلي علي بيك في محافظة اربيل. كانت الرحلة تبدأ في الصباح الباكر وتنتهي بعد منتصف الليل. السجن هذا يتكون من ١٦ قاعة مع ٦ ملحقات وكان يودع في كل قاعة مابين ١٠٠ و ١٢٠ شخص بينما يودع في كل ملحق حوالي ٣٠ شخص.

قبل وصول المحتجزين إلى سجن قلعة السلمان ابلغ حراس السجن بأنهم سيستلمون مجموعة من السجناء الايرانيين وحذورا من الاختلاط بهم. ولكن عندما عرف حراس السجن الهوية الحقيقة لهؤلاء المحتجزين وانهم مواطنين عراقيين مثلهم اخذوا يعاملونهم معاملة حسنة وسمحوا لأقرباء وأصدقاء المحتجزين بالزيارة. كان يسمح للمحتجزين بأستلام الطعام والملابس وادوات للطبخ والرياضة واجهزة راديو وتلفزيون وكاميرات تصوير من الزائرين. فكانت حالتهم ومعاملتهم احسن بكثير من الوضع في سجن ابو غريب. كما زارهم محافظ المثنى آنذاك المدعو (مزهر مطني عواد) وقال لهم (انكم أولادنا وقد حجزتم هنا لأسباب امنية فلا تعتبروا انفسكم سجناء.).

ثم استمر نقل محتجزين اخرين من سجون المحافظات الأخرى وسجن الفضيلية وسجن الأحداث إلى سجن قلعة السلمان.

وكان بين هؤلاء المحتجزين شخص من اصل هندي ومحتجز آخر يدعى (قاسم) وهو من مدينة القاسم في محافظة بابل والغريب ان هذا الشخص تم حجزه بالرغم من انه فقد اطرافه الأربعة ولسانه.

خلال شهر تشرين الأول من عام ١٩٨٥ صدر قرار حكومي حول المحتجزين في سجن قلعة السلمان ابلغهم به معاون مدير الأمن العامة للشؤون السياسية المدعو (المقدم ابو سيف) حيث قال لهم (بمكرمة من السيد الرئيس صدام حسين سيطلق سراح كل محتجز له أب أو أم أو أخ أو أخت غير مهجرين أو زوجة على ذمته غير مطلقة ولامهجرة أو أخ شهيد في الحرب وعليه اثبات ذلك بالوثائق الرسمية والشهود وعندها سيشمله العفو ويطلق سراحه.).

وبناء على ذلك فقد سلموا المحتجزين الاستمارات المطلوبة لملئها حيث يجري بعد ذلك التحقيق معهم. وفي اوائل عام ١٩٨٦ بدأوا بنقل مجموعات من المحتجزين من سجن قلعة السلمان بعد ان زودوهم بملابس الجيش الشعبي. وكانت كل مجموعة تتكون من ٥٠ إلى ١٠٠ شخص وعلى شكل دوري وشهري حيث تم عزلهم ونقلهم إلى جهات غير معلومة. حيث كانوا يقسمون كل مجموعة إلى مجموعات صغيرة ويرسلونهم إلى سجون مديريات أمن المحافظات في الحلة والديوانية والنجف (في منطقة ابو صخير) والرمادي وكربلاء وتكريت والسماوة وبعضهم ارسل إلى القاعدة الجوية في الحبانية ومعسكر النهروان (قرب جسر ديالى) للتدريب العسكري المكثف. بينما نقلت مجموعات اخرى إلى جبهات الحرب مع ايران في مناطق العمارة والفاو وكذلك إلى العمادية وزاخو.

اما الذين اطلق سراحهم بعد سنين طويلة من الحجز في سجون مديريات أمن المحافظات المذكورة اعلاه وفي سجن مديرية أمن بغداد (تحت الأرض) وفي سجن الفضيلية وسجن ابو غريب المركزي فقد حاولت السلطات اغرائهم وزودوا لكل محتجز برقمي هاتف لاستخدامها عندما يتعرضون لأي تحقيق عند الخروج. وعند اطلاق سراحهم اعطي لهم صور صدام حسين وأمروا بان يظهروا بمظهر الفرح امام كاميرات التلفزيون على قرار العفو ومكرمة «السيد الرئيس».

منذ ابتداء خروج المجموعات الأولى من سجن قلعة السلمان في بداية عام ١٩٨٦ وحتى بداية عام ١٩٨٩ اطلق سراح حوالي (٦٥٠) محتجز فقط من الذين شملهم قرار

العفو بينما نقل بقية المحتجزين في سجن قلعة السلمان إلى جهات مجهولة ولحد الآن لا يعرف مصيرهم.

لقد مضى ٢٨ عاماً على حجز هؤلاء الشباب وهم ليسوا بأسرى حرب أو معارضين سياسيين أو مجرمين وقد ذاقوا كل الوان التعذيب النفسي والجسدي.

الحرب العراقية ـ الايرانية انتهت في شهر آب عام ١٩٨٨ وتم تبادل اسرى الحرب بين البلدين. حرب الخليج الثانية انتهت في شهر شباط عام ١٩٩١ وتم اطلاق سراح الرهائن الغربيين وبعض المحتجزين الكويتيين .. وها هو النظام قد سقط في ٩ نيسان ٢٠٠٣ والسجون أفرغت والمقابر الجماعية تمّ التعرّف على الكثير منها، وحتى الآن لم يعثر على أثر لهؤلاء ـ الأربعة آلاف عراقي. . . !

رئيس مراسم صدام يروي..

رهيبة هي الأحداث التي يكشف عنها هيثم راشد وهيب أحد أقرب مساعدي صدام حسين في كتاب «في ظل صدام»[1].

فصول الكتاب، الذي تنفد حتى اليوم كل النسخ التي تنزل منه إلى كبريات المكتبات، تثير الغثيان لبشاعتها: جرائم دموية بحق خيرة أبناء الشعب العراقي من شرفاء الجيش الذين عارضوا مغامرات «الزعيم الأوحد» الحربية المدمرة وتصفياته لزعماء الشيعة وللأكراد، إلى العبث بأموال البلد الذي يسبح فوق واحد من أكبر احتياطيات النفط في العالم، مع ما رافق ذلك كله من اطلاق اليد لأبنائه وأفراد حاشيته وعشيرته ليحيلوا أرض الرافدين إلى واحدة من أبشع الدكتاتوريات في تاريخ البشرية.

وفيما يلي نقدم في ما يلي قراءة لأهم فصول الكتاب المثير:

تبدأ حكاية مؤلف الكتاب هيثم راشد وهيب بعد عودته في ثمانينات القرن الماضي إلى العراق في أعقاب رحلة دامت سبع سنوات قضاها في باريس، كانت أصداء الفظاعات التي تصله من بلده وهو يطل من شرفة شقته الباريسية تبدو له ـ كما يقول ـ ضرباً من الخيال صعب التصديق، لكنه بمجرد وصوله إلى بغداد ونقله مباشرة من المطار إلى القصر الرئاسي، حيث سيعمل، كان له أول موعد مع الحقيقة حيث

---

(١) في ظل صدام، هيثم راشد، منشورات «ميشال لافون»، باريس ٢٠٠٣.

شاهد أرضية احدى حدائق القصر ملطخة بالدماء وجثثاً هامدة معلقة على أعمدة الانارة.

كان ذلك الاستقبال الرهيب موعداً أول مع الحقيقة ستليه متوالية اكتشافات أخرى يقول المؤلف انها جعلته يكتشف على مدى ثلاثة عشر عاماً من العمل في ظل الطاغية الرهيب، حقائق العراق الرازح تحت الديكتاتورية، ومن المطار إلى القصر مباشرة، استلم وهيب مهامه كرئيس للبروتوكول (المراسم) ملحقاً بديوان الرئيس ومساعداً أول له.

القمع في العراق

كان الرعب يخيم على العراق بسبب شبكة العملاء والمخبرين المنتشرين في كل حي ومدينة ودفع كثير من الأبرياء ثمن أفعال لم يرتكبوها، كان الطاغية يتوفر على شبكات متخصصة في الاستخبار مثل فيديرالية النساء العراقيات التي كانت ترأسها منال العلوسي وتتولى مراقبة زوجات كبار المسؤولين في النظام، وترسل تقاريرها مباشرة إلى الرئيس عن طريق سكرتيره وحارسه الخاص عبد حامد حمود.

لقد كانت كل القصور الرئاسية تضم قاعة خاصة للتعذيب كانت مسرحاً لتقنيات التعذيب التقليدية وابتكارات الديكتاتور ورجالاته لمعاقبة المعارضين والمنشقين مثل قطع آذان الجنود الذين لا ينضبطون للأوامر وقطع لسان كل من جاهر بانتقاد صدام حسين وتشمل أيضا الأصابع وانتزاع الأظافر وتعريض المناطق الحساسة من أجسام المعذبين لصعقات كهربائية.

اغتصاب نساء المعارضين

وخص صدام المعارضين الأكثر عناداً بابتكار رهيب: كان يكلف زبانيته باغتصاب زوجات أو بنات أعدائه، واذا كان المعارض موجوداً في العراق فانه يرغم على مشاهدة واقعة الاغتصاب مباشرة، أما اذا كان خارج البلاد فكان يتوصل بشريط فيديو للواقعة، ولم يسلم الرجال من الاعتداءات الجنسية حيث سلك صدام نهج الامبراطور الطاغية الروماني نيرون ولم يكن يتردد في اعطاء الأوامر لرجاله باغتصاب المتمردين كي يحصل منهم على اعترافات، واشتهر بالقيام بتلك الأعمال القذرة عشرة عراقيين

ذوو بشرة يتحدرون من منطقة في البصرة لا تزال تضم أحفاد جماعة من العبيد الأفارقة الذين كانوا استقروا بها قديماً.

ويضيف هيثم راشد وهيب: «ان صدام سعى إلى تقوية سلطته ونفوذ نظامه من خلال تخريب النسيج الاجتماعي العراقي وتصفية قادة المعارضة وزعماء العشائر، كانت البداية باقتلاع جذور الحزب الشيوعي العراقي ثم حزب الدعوة الاسلامي الذي كان عدد القتلى بين صفوفه يصل أحياناً إلى ألف شخص يومياً».

وكان للخيال الواسع لابن عمه «علي الكيماوي» دور كبير في تصفية المعارضين، فهو الذي اقترح عليه طريقة جديدة وعبقرية تتمثل في تعريض قطع سجاد للاشعاع واهدائها إلى غير المرغوب فيهم، وكان وزير الداخلية الأسبق سعدون غيدان وهو من المقربين لصدام أول فأر تجارب لهذه الطريقة لأن «الكيماوي» لم يكن يطيقه، ولا تشير الحكاية إلى مصير المساكين الذين كانوا يكلفون بحمل قطع السجاد المشعة تلك من أجل تسليمها إلى المرغوب في التخلص منهم.

لم يكن صدام يحترم الشعائر الدينية كيفما كانت، غير أن كرهه للشيعة الذين كان يتوجس من أن يستولوا على الحكم كما حدث في ايران كان يطرح مشكلاً حقيقياً في بلد كالعراق يمثلون غالبية سكانه، وقد وجد في خاله وصهره خير الله طلفاح مساعدة متحمسة في هذا الباب، كان صدام منشغلاً بأمر تثبيت أسس سلطته ولذلك اعتبر ـ وهو لا يزال بعد نائباً للرئيس ـ أن الشيعة يقوضون جهوده لأنهم يعتبرون البعث حزباً علمانياً.

إعدام محمد باقر الصدر

وفي العام ١٩٧٥، استدعى صدام المرجع الشيعي الامام محمد باقر الصدر وأمره بأن يتوقف عن وصف البعث بالحزب العلماني وينشر بياناً يعترف من خلاله بسوء الفهم الذي وقع فيه بذلك الخصوص، بيد أن الصدر الذي شعر باهانة كبرى ورفض الامتثال للأمر، ما حمل صدام بعد سنوات على اعتقاله ولما مثل الصدر أمامه أخرج ولاعة من جيبه وأشعل بها النار في لحية الامام الطويلة، ثم قام (برزان)، وهو أخ صدام غير الشقيق وكان حاضراً للقاء، بإخراج مسمار طويل من جيبه (هو الذي كان دائماً مولعاً

بحمل أدوات حادة لاستعمالها في عمليات تعذيب قد يفرضها الموقف) ثم فقأ به عين الامام المسكين قبل أن يجهز عليه بادخال المسمار في رأسه!

بعد أيام على ذلك الحادث الرهيب، لقي سبعون فرداً من أسرة وطلاب (الصدر) حتفهم بينهم أخت الامام الشهيد بنت الهدى، وتم اختلاق قضية تجسس لصالح روسيا من أجل توريط أسرة (الحكيم) التي تعرض العشرات من أفرادها بعد ذلك للاعتقال والتعذيب رجالاً ونساءً، وبشكل عام أسس صدام للتمييز ضد الشيعة حيث ظل يمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية وأباد ٣٠٠ منهم أثناء تجمهرهم بمناسبة الاحتفال الديني الكبير الذي يخلد ذكرى واقعة كربلاء، وفي المدن، كان الشيعة يحرمون من التيار الكهربائي ومن شبكة الغاز ويمنع على أبناء الأسر الشيعية ولوج الأكاديميات العسكرية والوزارات ومواقع القرار، ما كان يحتم عليهم الاشتغال بالتجارة، وخلال الحرب مع ايران، كان عدنان خير الله طلفاح إبن خال صدام ووزير الدفاع آنذاك، يرسل الجنود الشيعة خصيصاً إلى المناطق الأكثر خطراً على خطوط النار، كما تشير المقابر الجماعية التي اكتشفت في ضواحي مدينة (الحلة) وتضم قرابة ١٥ ألفا من رفات ضحايا الإنتفاضة الشعبانية للعام ١٩٩١ على همجية القمع الذي مارسه الطاغية وأركان نظامه على الشيعة.

«الكيماوي» والأكراد

أما الطائفة الثانية من أبناء الشعب العراقي التي نالت من دموية نظام البعث فهم الأكراد، فاذا كان ستالين أرسل معارضيه السياسيين إلى سجون سيبريا، فان صدام حسين كان يرسل أكراد شمال العراق إلى الصحراء ويضع مكانهم سكاناً عرباً، وقد وجد لدى ابن عمه «علي الكيماوي» المساعد الأمين بهذا الخصوص حيث اعترف هذا الأخير بقتل عشرة آلاف كردي في معتقل العتقاء، وهي واحدة من المجازر التي ارتكبها صدام بحق أبناء الشعب العراقي من الأكراد.

وقد نال علي حسن المجيد لقب «علي الكيماوي» بسبب استعماله السلاح الكيماوي خلال الحرب مع ايران، وكان يتولى رئاسة حزب البعث في كركوك شمالي العراق عندما وصل إلى علمه من مصادر في الحزب أن مدينة [حلبجة] الكردية قد سقطت في يد العدو، ومن دون أن يكلف نفسه عناء التحقق من الخبر ـ الذي سيتضح

فيما بعد أنه صحيح ـ اتصل المجيد بصدام وأوحى له بأن يكون الرد «على غير العادة»، فرخص له صدام بأن يضرب حلبجة بالسلاح الكيماوي، وقتل اثر ذلك مئات الجنود العراقيين فيما لقي ١٨٠ ألف عراقي آخرين حتفهم في ظروف مماثلة خلال سنوات بعد ذلك، وكان أغلبهم أكراداً.

ثروة «الزعيم» وأسرته

كان صدام يردد بين الجماهير أنه «آن الأوان كي تسترجعوا حقوقكم»، وتحت ذريعة دعم جهود التأميم أطلق حملة عريضة دعا خلالها العراقيين إلى التبرع بمبالغ مالية وحلي ومجوهرات وغيرها، وتمكن خلال تلك الحملة من جمع كميات كبيرة من المعادن النفيسة ومبالغ مالية ضخمة حولها للحسابات المصرفية لأقاربه ولبعض الأجانب الذين يحظون بثقته في الخارج.

لم يحدث أن استفاد الشعب العراقي من المعاملات الخاصة بصدام، عكس أفراد أسرته وعشيرته الذين اغتنوا بسرعة، فقد تسلم كل واحد منهم مبلغ عشرة ملايين دولار من أجل «استثمارها في الخارج» ما مكنهم من شراء اقامات في سويسرا وفرنسا وانكلترا، حتى أن كل المنازل الواقعة في شارع «ساوت أودلي» في لندن مملوكة من عراقيين، كما أن فندق «فوروم» ظل لمدة طويلة من ضمن ممتلكات برزان التكريتي إلى أن باعه في نهاية الثمانينات.

أما «الزعيم» فكان يحوّل ١٠ في المئة من عائدات النفط العراقي لحسابه، فضلاً عن حصوله على نسب أرباح من عدد كبير من الصفقات خاصة ومنها تلك الخاصة بالجيش، وهكذا اتضح اخيراً أن صفقة بقيمة مئات ملايين الدولارات كانت تخص انشاء شركة فيليبينية لحواجز دفاعية على طول الجبهة الايرانية كانت تخفي في الحقيقة صفقة سرية بين صدام حسين والديكتاتور فيرديناند ماركوس اللذين اقتسما الأرباح بينهما، ويتم تعويض الشركة الفيليبينية بسبب الخسارة التي تكبدتها عقب التوصل إلى اتفاق وقف اطلاق النار مع ايران في العام ١٩٨٨.

ويضيف مؤلف الكتاب: «أن جزءاً مهماً من ثروة صدام حسين والمحيطين به كان مصدرها تهريب المخدرات، فقد اكتشف ابتداءً من العام ١٩٨٨ وجود مختبر في الطابق الأرضي للقصر تتم فيه معالجة الحشيش الممتاز لاستخراج الهرويين والكوكايين

على قدر كبير من النقاء، وكانت ثمة مزارع على الحدود مع ايران وتركيا والأردن تنتج الأفيون والماريغوانا بينما يتولى «أطباء كوبيون» يأتون في اطار المساعدة الطبية (لم يكونوا في الحقيقة خبراء من كولومبيا والبيرو) مهمة تكوين فرق محلية لانتاج مخدرات من الصنف الجيد، وكان رجال الشرطة السرية المتخفون في أزياء البدو الرحل يتولون ادخال تلك المخدرات إلى الكويت والسعودية والامارات لحساب شبكة شركات يمتلكها قصي وعدي صدام حسين، وقد قتل أربعون ضابطا تابعين للجمارك العراقية في كمين نصبه لهم في ١٩٨٩ مهربون تابعون لتلك الشبكة على الحدود بين السعودية والكويت.

لقد كان الهدف من ترويج المخدرات في البلدان المجاورة، زيادة على الاستفادة المالية، هو افساد شبابها»، ويضيف المؤلف: «أن الحديث عن مشاكل المخدرات في الكويت كان كثيراً لدى عدي وقصي وأن الكويت كانت الأكثر تضرراً من المخدرات التي تنتجها مختبرات قصور صدام!

وأربك وصول فرق التفتيش الأممية كثيراً قصي وعدي اللذين سارعا إلى نقل المخدرات إلى مخازن الغذاء الكبيرة، وعندما كثرت عمليات التفتيش الأممية اعتباراً من العام ١٩٩٦، قاما بتفكيك مختبرات انتاج المخدرات اياها لأنه لم يعد ممكنا تركها تسيء إلى صورة صدام في العالم العربي حين يعرف الناس أنه يشارك في أنشطة مشبوهة بذلك المستوى من الدناءة.

ولم تكن زوجة صدام الأولى ساجدة بعيدة عن مجالات الاغتناء على حساب الشعب العراقي، فقد ظلت تسيطر على تجارة اللحوم الحمراء والبيضاء التي كانت تستوردها من البرازيل عن طريق شركة تملك أغلب أسهمها إلى جانب مستثمرين برازيليين وفلسطينيين من ورائها مليارين ونصف المليار دولار، وأهدى صدام زوجته ساجدة مئات الالاف من الهكتارات من الأراضي التي صادرها من معارضي نظامه وكانت تستغلها في زراعة الخضروات والفواكه والورود التي تبيعها لفنادق وادارات البلاد وطبعاً كان زوجها يسهر على ألا يكون أمامها منافس».

ويضيف مؤلف الكتاب: «أن عدي وقصي يملكان أسطولاً كبيراً للصيد البحري في موريتانيا، حيث يصدران الروبيان إلى الأسواق الأوروبية بوساطة شركة لبنانية، وكان برزان التكريتي الأخ غير الشقيق للديكتاتور مسؤولاً عن استثمارات ساجدة وأبنائها في

الخارج، حيث حولت لحساباته السويسرية مبالغ مالية طائلة، ومن جهته كان حسام رسام يشرف على معاملات أسرة صدام داخل البورصة منذ العام ١٩٨٩ وقدرت ثروتها في العام ١٩٩٠ بنحو ٤١ مليار دولار، كما أفاد التحقيق الذي قامت به وكالة «كرول» بعد حرب الخليج كان كشف في نوفمبر١٩٩١ وجود ثروة تقدر بـ ٧٠٠ طن من الذهب تم تحويل حصة منها في ذلك التاريخ إلى سويسرا.

وقبل ثلاثة اشهر من سقوط نظامه، سحب صدام مبلغ ثلاثة مليارات و٧٠٠ مليون دولار من حساباته في المصارف العراقية وقام بتوزيعها بين أفراد أسرته ثم أوصاهم في استثمارها في العقار في الأردن وبلدان المنطقة التي تنعم بالاستقرار.

«أشباه» صدام

مثل كل حاكم طاغية، كان صدام يعلم أن شعبه يكرهه، حتى وهو لا يسمع من المحيطين به سوى الأشياء التي يرغب في سماعها،لقد كان يعيش في رعب دائم ويخشى أن يتعرض في أي لحظة لمؤامرة أو محاولة اغتيال، وكان ينفق على ذلك الأساس نحو أربعة مليارات ونصف المليار دولار من أجل أمنه والحفاظ على سلامته، فقد أنشأ جهازاً للمخابرات يكلف العراق مليار دولار سنوياً وجهازاً ثانياً يراقب عمل الجهاز الأول، ثم جهازاً ثالثاً لمراقبة الجهازين الأول والثاني، فصدام لم يكن يثق في أحد آخر غير سحرته ومشعوذيه، كانت قصوره واقاماته البالغ عددها ١٦٠ تخضع لتفتيش يومي من أجل التأكد من عدم وجود أجهزة تنصت ولم يعد يقضي في القصر الواحد أكثر من ليلة واحدة خلال السنوات الأخيرة.

كان الشك من الجميع هماً يومياً لصدام بحيث يتولى السهر بنفسه على ضمان سلامته وكان خبيراً في هذا المجال، فقد كان يعتبر نفسه قادراً على تحديد الأشخاص الذين يشكلون خطراً عليه فقط بالنظر في عيونهم، والنتيجة أنه اذا لم يشعر الأمان وهو يحدق في عينيك فانه يصدر أمراً فورياً بقتلك»، ويروي مؤلف الكتاب أنه تجرأ ذات مرة وسأل صدام ان كان لا يخشى أن يقتل انساناً بريئاً بتلك الطريقة، فأجابه: «أفضل أن أقتل انساناً بريئاً على أن أجازف بحياتي»!

ويكتب راشد: «من أجل ضمان أمنه بشكل فعّال، عمد صدام إلى البحث عن أشباه،فمن الأمور الشائعة في الحكايات الشعبية أن كل طفل يولد يكون له أربعون

شبيهاً ـ على قاعدة المثل القائل: يخلق من الشبه أربعين ـ وقد استثمر صدام هذا الاعتقاد، الذي لا يوجد دليل علمي يسنده، وبحث عن أشخاص يشبهونه في الخلقة منذ صار رئيساً للعراق في ١٩٧٩. واستغرق البحث خمسة أشهر لكن الشبيه الأول الذي عثر عليه لم يكن جاهزاً لتعويض صدام الآ بعد خمس سنوات، وفي ١٩٨٨ تمّ العثور على شبيه ثانٍ وثالث في ١٩٩١، تم اعدادهم بتحويلهم إلى نسخ مطابقة لصدام حسين في الشكل وطريقة الحديث والمشي والحركات وتعبيرات الوجه وطريقة الكتابة»، وبحسب المؤلف فان تكوين هؤلاء الأشباه واعدادهم كلف ملايين الدولارات.

كانت عمليات الجراحة التجميلية الكفيلة بازالة الفوارق بين الأشباه والنموذج الأصلي لصدام تتم في سرية مطلقة في مستشفى ابن سينا التابع للقصر الرئاسي في بغداد، وبعد العمليات كان على الأشباه أن يتبعوا نظاماً متواصلاً وكاملاً يتضمن محاكاة اللهجة التكريتية للرئيس وطريقة مشيه الخاصة وترديد العبارات المحببة لديه وطريقته في الكتابة وحك حنجرته، وكان الطاغية يلتقي أولئك الأشباه الذين كانوا ضمن حاشيته المقربة ليقدم لهم تعليمات أو يشرح لهم أمراً محدداً.

والغريب أن لا أحد عثر على اثر للأطباء الذين قاموا باجراء عمليات الجراحة التجميلية المحفوفة بالمخاطر لأشباه صدام، وكان هؤلاء الأشباه يلتزمون بنظام تغذية خاص يتضمن الأطباق نفسها التي يتناولها الرئيس بعد أن يكون وزنهم هو وزنه نفسه، ولأن الطاغية كان يفتخر برشاقة قامته فلم يكن مقبولاً من أحد أشباهه أن يكون اقل منه رشاقة، وفي حال زاد وزن أحدهم عن الحد المقبول يكون عليه أن يخضع لحمية خاصة صارمة أو يتلقى رسالة يفهم منها أن مثل ذلك الاستهتار قد يكلفه حياته.

ويضيف أمين سر حاكم بغداد المخلوع في كتابه المثير أن: «لا أحد كان يعلم أين كان يعيش أولئك الأشخاص أو كيف كان نمط حياتهم عندما لا يقومون بعملهم في تقمص شخصية صدام، في مقابل ذلك، كانوا يعيشون في حياة البذخ، فكلما اشترى صدام بذلاً كانوا يحصلون على الأقل على أربع بذل مثلها ويتنقلون في السيارات المصفحة نفسها التي يستعملها صدام للتنقل: اللون نفسه الصفيحة المعدنية نفسها والحراس المصاحبون للموكب الرئاسي.

كانت مهمتهم الرئيسية تنحصر في تقمص شخصية صدام وحضور التجمعات

الكبيرة التي يصعب التأكد فيها من هوية المدعوين أو يستحيل تفتيشهم، ويذكر مؤلف الكتاب أن «صدام بعث بأحد أشباهه لحضور تجمع ١٢٠٠مهندس لمعرفة نتائج المباراة المنظمة لتحديد من سيحصل على عقد تشييد أكبر مسجد في العالم، والأمر حدث نفسه عندما سعى صدام في نوفمبر ١٩٨٣ إلى تلميع صورته من خلال الظهور على خطوط النار على الحدود العراقية ـ الايرانية، فأرسل أحد أشباهه إلى الجبهة اذ لم يكن من المعقول أن يعرض شخصه المفدى للخطر، وكاد صدام حسين المزيف أن يفقد حياته عندما تجاوز مع الموكب المرافق له الحدود الايرانية دون أن يتنبهوا الا بعد أن شاهدوا فرقة من الجنود الايرانيين قادمة نحوهم، ولم ينج صدام المزيف من القتل الا بفضل مروحية كانت ترافق موكبه بينما قتل في الحادث نحو مئتي جندي عراقي.

لقد كان أشباه صدام يحضرون احتفالات عمومية ثانوية من قبيل افتتاح مستشفيات في الأقاليم البعيدة أو القاء خطب أمام جمهور الناس العاديين أو حتى استقبال المسؤولين الأجانب الذين يعتبرهم الديكتاتور أقل أهمية، لكن القصر الرئاسي لم يكن يجازف بدفع الأشباه إلى الظهور في نشاط يستغرق أكثر من خمس دقائق، رغم التدريبات المكثفة التي كانوا يتلقونها،لكن ماذا كان المطلوب لو وقع أحد أولئك الأشباه في أيدي الأعداء؟كانت الأوامر أن ينتحروا اذ كان كل واحد منهم يتحرك وحوله حزام من المتفجرات».

ويعترف هيثم راشد وهيب أنه على الرغم من قربه من صدام فانه كان يصعب عليه معرفة ان كان أمام صدام الحقيقي أم أمام واحد من أشباهه الثلاثة، والآن بعد اعتقال صدام وإعدامه يفرض السؤال نفسه حول مصير أشباهه الثلاثة: هل ما يزالون أحياء، أم أنه جرى التخلص منهم؟ ويذكر وهيب أن أسماءهم: فواز العمري (من عائلة موصلية محترمة)، أحمد الحدوشي (شقيق اللواء جبر الحدوشي) وجاسم محمد علي.

صدّام والسحرة

في العام ١٩٨٤، يروي مؤلف الكتاب، «أن رئيس زامبيا كنيث كاوندا الصديق الحميم لصدام حسين استدعاه عندما كان في زيارة خاصة للعاصمة الزامبية لوساكا وأخبره أن ساحره (راج) وهو من أصول آسيوية ولد في زامبيا، قد قرأ في الأبراج أن هناك مؤامرة تحاك ضد صدام للاطاحة بنظامه، وطلب كاوندا من مشعوذه الخاص أن

يعد تميمة لحماية صدام من مؤامرات أعدائه»، تكلف مؤلف الكتاب بتسليمها إلى صدام في بغداد، و«رد حاكم بغداد الجميل لصديقه الرئيس الزامبي في شكل طائرة بوينغ ٧٤٧ مملوءة بالسجاد العجمي وغيرها من الهدايا، لقد كان صدام مهووساً بالاعتقاد أنه شخص استثنائي ليس فقط في العراق بل على صعيد الأمة العربية والعالم، وزاده تملق المحيطين به بدافع الخوف أو حماية الامتيازات تعلقاً بهوسه المرضي»، ويحكي مؤلف الكتاب واقعة طريفة مفادها أن أحد المنجمين الأذكياء «حمل ذات يوم إلى صدام أبراجاً غريبة عجيبة يزعم له من خلالها أنه مذكور في الانجيل «مع الأنبياء والملائكة» (كذا!) وطبعاً صدق صدام الحكاية وأجزل العطاء للمنجم المحتال، ويتردد في الأوساط الشعبية العراقية أن صدام كان زرع عظم هدهد في عنقه، تبعاً للخرافة التي تقول ان زراعة عظم من ذلك الطائر في جسم انسان يحميه إلى الأبد من الشرور، كما كان يعتقد أن «العيون» التي تزين ريش طائر الطاووس تحمي من أذى «العين الشريرة» ولذلك كان يحب أن يكون محاطاً بتلك الطيور، ولا أحد يدري ان كان ذلك سبب مشيته المتمايلة والمتبخترة الشبيهة بمشيتها، ونظراً لتشبهه بملوك العالم فان صدام أصبح يولي اهتماماً مَرَضيا بالتفاصيل البروتوكولية، وهكذا أقام الدنيا ولم يقعدها عندما تجرأ سفير فرنسا في بغداد على الجلوس في حضرته وهو يضع رجلاً على رجل، حيث سمعه جميع من في القصر الرئاسي يبدي استياءه من الأمر، وقرر عدم استقبال ذلك السفير «الوقح» ثانية وهدد بالاحتجاج رسمياً لدى السلطات الفرنسية، ولم يصرف الفكرة الا عندما أكد له طارق عزيز الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية (آنذاك) أن الجلوس مع وضع رجل فوق أخرى هو عادة فرنسية».

ويضيف وهيب: «أن عزيز نفسه عندما كان ينسى نفسه ويضع رجلاً فوق أخرى خلال مقابلة الرئيس وحاشيته، كان صدام يعيده إلى صوابه بأن يقول له: «أنزل رجلك على الأرض والا كسرتها لك!»، فيخضع وزير الخارجية للأمر ويصحح جلسته أمام كل حاشية الرئيس يفعل ذلك كما لو كان طفلاً صغيراً يصحح حماقة كان ارتكبها!

وبعد احتلال الكويت في مطلع أغسطس ١٩٩٠، قامت رئيسة الوزراء الباكستانية بي ناظير بوتو بياسر عرفات لتطلب منه استعمال نفوذه لاقناع صدام بسحب قواته لتفادي المواجهة مع المجتمع الدولي، لكن الزعيم الفلسطيني رفض التدخل وأطلعها على رسالة كان وصلت اليه من صدام يخبره فيها أنه رأى نفسه في المنام برفقة عرفات يدخلان

القدس وهما يركبان حصانين أبيضين، ففهمت بوتو مضمون كلام عرفات من أنه لا أمل في ارجاع شخص بهذا المستوى من الجنون إلى صوابه بالطرق السلمية!».

العدوان على الجيران

يكون أفضل أسلوب لرص الصفوف ازاء أساليب التعذيب الفظيعة ضد المعارضين على المستوى الداخلي هي خلق عدو مشترك، ويكون هذا التكتيك مضموناً إلى حد كبير لأنه يستند إلى شوفينية الشعوب، وذلك ما كان يفكر فيه صدام حسين عندما دخل في مواجهة مسلحة مع ايران وهي العملية التي جددها بعد عشر سنوات من ذلك ضد الكويت.

«ففي خطابه ليوم ١٧ سبتمبر ١٩٨٠، عبر صدام عن استيائه من اتفاق ١٩٧٥ في الجزائر الخاص باقتسام شط العرب، وهو النهر الذي يعتبر نقطة التقاء نهري دجلة والفرات على طول ٢٠٠ كيلومتر ويشكل في نهايته الحدود بين العراق وايران، أعلن قراره عن سيادته على المنطقة بكاملها، وكان ذلك بمثابة اعلان حرب ضد ايران، وعندما حل تاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ وهو اليوم الذي بدأ الهجوم العراقي على ايران»، تساءلت جدياً - يقول وهيب - هل نسير وراء «زعيم تهمه مصلحة العراق أم وراء شخص مصاب بجنون العظمة، وعقب اندلاع الشرارات الأولى للنزاع حل في بغداد العديد من الوسطاء المسلمين للتدخل بهدف وضع حد للمواجهة المسلحة، بينهم لجنة للوساطة عن المؤتمر الاسلامي يترأسها كاتبها حبيب شطي والرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق، وكان الزائر الثاني هو الأمين العام للأمم المتحدة السابق خافيير بيريز دي كويلار الذي أفادت التقارير السرية التي كلف صدام بانجازها حوله أنه يحب الهدايا القيمة وربما كان شاذاً جنسياً، فأوصى بارضائه» (...).

وهكذا عندما حل الأمين العام للأمم المتحدة في بغداد - يروي هيثم راشد وهيب - جعله صدام ينزل في قصر الشذرية، وهو قصر فخم مشيد من ثلاثة طوابق على ضفاف دجلة منذ أربعينات القرن الماضي كان قد صادره من أصحابه وقام بتجديده بمبالغ ضخمة كي يلتقي فيه بعشيقاته، وكان القصر يضم مسبحاً تحيط به الكثير من «كهوف الحب» وهو اسم لا يحتاج إلى تعليق آخر(...)، ويضيف وهيب: «أن صدام كلفه بحمل نخلة مصنوعة من الذهب طولها متر و٢٠ سنتمترا مع تمورها المصنوعة من

جواهر كبيرة، إلى جانب الهدايا المعتادة وساعات الروليكس، إلى بيريز دي كويلار على أمل أن تفيد تلك الرشاوى المفضوحة في شراء ذمته!

وعندما أدرك صدام أن الأمين العام للأمم المتحدة لم يكن مستعدا لبيع ذمته قرر أن يجرده من مصداقيته وأرسل تقريراً مزوراً إلى الأمم المتحدة يزعم فيه أن عملية تفتيش سرية لطائرة الأمين العام ـ الذي كان ما يزال حينها في بغداد ـ كشفت عن وجود عدد كبير من السجاد الايراني في داخلها، لكن الكذبة لم تنطل على أحد. ،

وقبل أن يغزو صدام الكويت، زاره الأمير بندر بن سلطان الذي شغل منصب سفير السعودية في واشنطن وعبر عن قلق العالم بأسره من تصريحاته التي هدد فيها بضرب اسرائيل والبلدان العربية بأسلحة غير تقليدية، فطمأنه وطلب منه أن ينقل إلى الملك فهد أنه لم يكن جاداً في تلك التصريحات».

وبينما كان صدام يقضي الأسبوع الأخير من يوليو ١٩٩٠ في البصرة، يروي وهيب أن الجميع في القصر الرئاسي كان في حالة استنفار دون أن يعلموا السبب، و«في الأول من أغسطس لحق بهم صدام بالقصر الرئاسي ليستفيقوا في صبيحة اليوم الثاني على أصوات صياح ورنين الهواتف ويعلموا حينها فقط أن قوات بلادهم قد احتلت الكويت! لقد تمت العملية في سرية تامة لدرجة أن وزير الدفاع العراقي نفسه ورئيس الوزراء لم يعلما بها الا عبر أمواج الاذاعة، وظل صدام يرفض تلقي المكالمات الهاتفية للقادة والمسؤولين العرب خلال المدة التي استغرقتها العملية.

لقد كان معظم الشعب العراقي ضد احتلال الكويت فقد كانت روابط قوية تجمع بين الشعبين، وحتى المقربون من صدام كانوا ضد العدوان حيث نصحه قائد العملية شخصياً بالتراجع فنعته صدام بالجبن والتخاذل وأرغمه على مغادرة القاعة، بينما كان جنرالاته ينافقونه ويدعون أن لديه رؤية متقدمة على زمانه بشكل يصعب معه على باقي قادة العالم فهمه!

كنا نعرف مستقبلنا السوداوي فالحروب المعاصرة لا يتم النصر فيها اعتماداً على عدد الجنود وانما المؤهلات التكنولوجية التي لا نملك منها الا القليل،لكن كيف يمكن قول ذلك لشخص كان يتساءل باستهزاء:

ـ ما هي هذه التكنولوجيا التي تتحدثون عنها؟ ان راعياً عراقياً يمكن أن يسقط طائرة فانتوم بعصاه؟ وعندما نصحه أحد جنرالاته بسحب قواته من الكويت قبل فوات

الأوان، غضب الطاغية ورد عليه: أعتقد أيها الرفيق أنك تعبت من القتال أما نحن فلا، غادر هذه القاعة فوراً!

أما اللواء بارق الحاج حنطة الذي رفض استعمال السلاح الكيماوي ضد الكويت فقد استدعاه صدام ومعه خمسة جنرالات آخرين بعد انسحاب القوات العراقية، وبصق على وجهه أمام زملائه ونعته بالجبان، فكان رد حنطة شجاعا اذ قال:

«الجبان هو الذي يصطحب ٢٥٠ حارساً شخصياً من أجل زيارة مدرسة ابتدائية»!

وكان يشير إلى حادثة وقعت خلال الحرب ضد ايران، فاسود وجه صدام من الغضب واستل خنجر أحد حراسه لقتل اللواء بارق الحاج حنطة.

طبيب صدام الخاص يروي..

حين كانت الحرب تقترب من الأبواب، كان أفراد عائلة صدام منشغلين باجراء عمليات تجميل لوجوههم.. وقبل أيام معدودة من بدء الهجوم على العاصمة بغداد وسقوط أولى القنابل فوقها، كانت نساء العائلة يطلبن مني، الواحدة تلو الأخرى، إجراء عمليات تصغير لأنوفهن، فيما صدام نفسه كان منشغلاً بالكامل بكتابة رواياته! " هكذا ينقل الدكتور علاء بشير انشغالات الأيام الأخيرة لصدام وعائلته في مذكراته الشخصية "طبيب صدام الخاص" التي صدرت في العاصمة النرويجية أوسلو.

اسير "القائد"

في مذكراته، التي كتب نسختها الأصلية الصحافي النرويجي لارس سيغورد سونانو، يكشف الدكتور علاء بشير الكثير من أسرار وتفاصيل الحياة الداخلية لعائلة صدام حسين، الذي ظل قريباً منها قرابة عشرين عاماً، ائتمنه خلالها صدام على حياته، وأعتبره من أكثر مخلصيه، فأختاره ان يكون طبيب عمره، والساهر على رعاية صحته وصحة عائلته .ويشير الدكتور علاء إلى تفانيه واخلاصه في عمله واستعداده الدائم لتقديم خدماته الطبية في أي وقت كان صدام يحتاجها، وفي الوقت عينه يلعن اللحظة التي أختاره فيها صدام ليكون واحداً من بين طاقم أطبائه العشرين.. يقول بشير: لقد فقدت حريتي الشخصية تماماً بعد تعييني طبيباً في عيادة صدام، كنت مراقباً طيلة الوقت من قبل رجال المخابرات، ومكالماتي الهاتفية كانت تسجل كلها، وكان عليَّ الحضور في أي لحظة يطلبونني فيها من دون تردد، ففي قصور هذه العائلة لا مكان للأعذار ولا

للتسامح. ويضيف لقد رأيت بأم عيني كيف يمكن، للحظة غضب تصدر من أي فرد في العائلة، ان تؤدي إلى تدمير حياة بشر وتزهق أرواح أبرياء.

مقتل وزير الصحة

يسرد الدكتور علاء قصة مقتل وزير الصحة السابق، رياض ابراهيم، كمثال على قساوة صدام وعدم تسامحه مع أي كان في ساعات غضبه، فالويل لمن يخالفه الرأي أو يرفض له طلباً، فلا شفيع عنده ولا إعتبار لأي مركز حزبي أو رتبة عسكرية. وقرار قتله لوزير الصحة، رفيقه السابق رياض ابراهيم، جاء فقط لأن الأخير رفض توقيع شهادة مزورة طلبتها الجهات العليا منه، ولم يخطر بباله ان هذا الرفض سيكلفه حياته. فالأمر كما يؤكد علاء في مذكراته جرى على النحو التالي: أراد النظام ارسال أحد الأطباء البيطريين إلى الخارج للتخصص بأنواع من السموم الكيمياوية. وكان الأمر يتطلب إصدار شهادة مزورة تثبت أنه طبيب متخرج من كلية الطب البشري مع تقرير مرفق ومصدق من وزير الصحة. عندما رفض الوزير توقيع التقرير المزور، أمر صدام بطرده بحجة اهماله الواجب والتسبب في حالات موت حدثت في أحدى المستشفيات العراقية. بعد ستة اسابيع على اقامته الاجبارية في منزله، قررصدام أعدامه.

مزحة حكمها الموت

وبحكم عمله يسجل الدكتور علاء شهادات على قمعية النظام وبوليسيته، وكيف أنه خسر زميلن له بسبب مزحة بريئة. فقد كانا في سهرة ليلية جمعتهم مع أصدقاء مقربين لهم، مزحوا وحكوا فيها نكاتا، كان من بينها واحدة حول القوانين التي اتخذها النظام لمكافحة مرض الايدز. ولم يخطر ببالهم ان احد جلسائهم كان مرتبطا بجهاز المخابرات وكان طيلة السهرة يسجل ويصور احاديثهم في كاميرا فيديو أخفاها عن أعينهم. وبعد لحظات من مشاهدة صدام للشريط أمر على الفور باعدام الطبيبين.

مصير على كف عفريت

عندما يكون المرء طبيباً لصدام، فأنه لا يعرف ماذا ينتظره في كل دقيقة وكيف سيتقرر مصيره .ويذكر علاء بشير الحكاية التالية: أثناء حرب الخليج والقنابل تتساقط كالمطر، أضطررت في منتصف أحدى الليالي، السير في شوارع المدينة تحت وابلها،

ففي ساعة متأخرة من الليل طلب مني مرافقو صدام الحضور إلى القصر فوراً لمعالجة اصابة تعرض لها الرئيس. عندما وصلت وفحصته عرفت أن بنصر كفه قد تعرض لجرح بسيط "خدش" بحادث سيارة. كنت أظن أن اوضاع الحرب والحالة الاستثنائية الكارثية التي تعيشها البلاد ستنعكس على رئيسها، لكني وجدته هادئاً، وعندما سلم عليّ كان يحمل بيده الثانية جهاز راديو ترانسيستور، يستمع عبره إلى نشرة أخبار "صوت امريكا". بعد معالجته أعلن صدام فجأة وبصوتٍ عالٍ تعمد اسماعه للجميع: أريدكم جمعيا ان تعرفوا؛ لم يكن قرار احتلال الكويت «قراري»، لقد كان قرار الله.

عمليات تجميل على إيقاع طبول الحرب

بين ربيع وشتاء ٢٠٠٣ شعر الجميع ان حرباً جديدة مقبلة من دون أدنى شك. ولكن ردود فعل عائلة صدام عليها كانت غريبة. لقد كانت تتصرف بطريقتها الخاصة.

في العاشر من شباط (فبراير)، وفيما مفتشو الأمم المتحدة في بحث محموم عن أسلحة الدمار الشامل، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تعدان العدة لبدء الحرب، استدعيت للحضور على الفور إلى بيت قصي، وطلب مني إجراء عملية تجميل لابنته التي تبلغ الخامسة عشرة من العمر، وقال لي انها غير مرتاحة من شكل أنفها. لقد أرادت العائلة مسرورة ان أجمل أنفها وأقلل حجمه. بعدها مباشرة طلبت رغد، بنت صدام، إجراء عملية مشابهة، ثم تقدمت حماة قصي بالطلب نفسه، قبل اسبوع واحد من بدء الحرب الأخيرة، أجريت الفحوصات والترتيبات النهائية لمريضاتي الثلاث، وأثناء حضوري إلى بيت قصي لاحظت ان ثريات الكريستال الثمينة وأطقم الأثاث الايطالي الفاخرة قد أختفت تماما، لقد بدا البيت فارغاً على نحو ما. صدام نفسه سلم مقاليد الحكم وادارة البلاد اليومية إلى قادته الأربعة والذين يوليهم ثقته "علي كيمياوي"، طه ياسين رمضان، طارق عزيز وعزت الدوري الذي ما زال مختفياً. وبينما مشاكل البلاد تتفاقم على المستوى القومي والدولي كان الديكتاتور منشغلاً بانهاء روايته الرابعة، وفي خضم المعمعة أرسل مسودتها إلى وزير الثقافة حامد حمادي، وطلب منه مراجعتها لغوياً وارسالها إلى المطبعة!

الفرار

مع اقتراب الحرب شعرت ان أكثر الموظفين قد بدأوا بترك وظائفهم، وانحصر تفكيرهم بالخلاص بجلودهم وأنقاذ عوائلهم. عندها يقول الدكتور علاء: قررت الفرار، عندما ذهبت الى عيادة صدام في السادس من شهرنيسان (أبريل)، شعرت ان اللحظة حانت وعليّ القيام بما يقوم به الآخرون. ومن خلال طلب رئيس المستشفى أدركت أن عليّ التعجيل بهذا القرار. لقد قال لي المدير ان الجهات العليا قد طلبت بقائي في المستشفى وعدم مغادرتها. وبعد تفكير قدرت أن صدام يريد أخذي معه، عندما يجبر على مغادرة بغداد. يضيف بشير: تحججت بوالدتي العجوز التي تبلغ التسعين من العمر، وقلت له عليّ الذهاب إلى البيت أولاً من أجل إعداد الطعام لها فهي بحاجة لمساعدتي. لقد كانت هذه آخر لحظة لي في المستشفى وفي البلاد. وكتب الدكتور علاء بشير في ختام مذكراته.. بعد عشرين عاماً من خدمته أجد نفسي الآن في حل من أمري... لم يعد يجمعني بصدام أي جامع ولا أجد نفسي مديناً له بأي دين!

وأكد الطبيب الخاص لصدام حسين في حديث مع وكالة فرانس برس بعد صدور كتابه أن صدام حسين لم يكن يلجأ إلى اي شبيه يستعين به في اخفاء تحركاته خلافاً للفكرة الرائجة في هذا الاطار[١].

كاتب سيرة صدام يروي..

فؤاد مطر كاتب جنّد قلمهُ ومواهبه الأدبية لصياغة سيرة صدام بأسلوب حديث.. وأصدرها بتمويل وتكليف وإشراف فن أجهزة صدام الأمنية..

ها هو الآخر يكتب في الاتجاه المعاكس لما نفّذه قبل أعوام حيث لمّع وأعاد صياغة سيرته[٢].

---

(١) ليس بالضرورة أن يكون الدكتور بشير على علم بأمر «الشبيه» لأن من الطبيعي جداً لمن كان في وضع صدام أن لا يكشف كل أوراقه الأمنية أمام طبيبه، وإن كان أمر «الشبيه» يتطلب تدخلاً طبياً، فقد أقرّ الدكتور بشير أن الجهاز الطبي الخاص بصدام كان مكوّناً من عشرين طبيب، وطبعاً كلهم مراقبون من أجهزة صدام الأمنية كما أقرّ بشير سابقاً، لذلك، فإن نفي بشير ليس دليلاً على عدم وجود «الشبيه» بقدر ما هو دليل على عدم علمه هو بوجوده (المؤلف).

(٢) هذه المقالات نشرت تباعاً في جريدة الشرق الأوسط ـ الأرشيف لعام ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤ (بتصرف).

بين تكريت وتكساس

استمر صدام حسين ثنائي الشخصية حتى سقوطه أسيراً في قبضة الاحتلال الأمريكي. فهو مزيج من ابن العشيرة الذي ليس من كبار القوم فيها، وهو الأمر الذي جعله ـ بعدما وصل إلى قمّة السلطة في منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ـ ناقماً على مجتمع العشيرة غير المعترف به سيداً لكل العشائر، وليس فقط زعيماً سياسياً ثم رئيساً للبلاد. وهو أيضاً ابن العقيدة الذي حُكم بها ولم يحكم من أجلها أي بما معناه أنها كانت السقف القومي الذي يحقق الطموح. وهو إلى ذلك مسكون بهاجس أن يكون الرقم الصعب في الأمة والرقم الأصعب في المعادلة الخليجية، مع الأخذ في الاعتبار أنه إذا أمكنه الفوز بهذه المعادلة يصبح الرقم الأصعب على مستوى الأمّة. ومن هنا كان صراعه الحقيقي مع الرئيس حافظ الأسد، الذي نفض اليد السورية من مؤسس «البعث» ميشيل عفلق، فوجد، الملاذ في الديار الصدّامية من دون أن يحقق ذلك لصدام المبتغى الذي يتطلع إليه. ومن هنا يجوز القول إن تطلّعات صدام حسين لكي يتسيَّد على منطقة الخليج كانت الدافع وراء الحرب مع إيران معتبراً أن خشية الدول الخليجية من المدّ الثوري الخميني ستجعل قادة هذه الدول يقفون إلى جانبه ليس حباً به وبنموذج نظامه وإنما درءاً لوضع المشروع الخميني المتعلّق بتصدير الثورة موضع التنفيذ. ونخطىء إذا نحن افترضنا أن دول الخليج لم تكن واعية للتطلّعات الصدّامية، وأنها فوجئت بغزوه للكويت. ففي لقاء مع مسؤول خليجي داخل الطائرة في رحلة بين لندن والكويت بعدما كانت الحرب العراقية ـ الإيرانية وضعت أوزارها من خلال إعلان آية الله الخميني القبول بوقف إطلاق النار وأنه بذلك كمن يتجرّع السم، استوقفني انزعاج هذا المسؤول وقلقه من رد الفعل الصدّامي على النهاية الاضطرارية من جانب الخميني لتلك الحرب وكيف أن الرئيس العراقي مرتدياً الزي العسكري امتطى أمام منصة احتفالية كان فيها عدد من أهل القرار الخليجي حصاناً أبيضاً، وتلك علامة أو ما يشبه رسالة يتفهّمها أهل القرار أولئك. وكان التفهّم عبارة عن نشوء خشية من هذا النزوع الصدّامي نحو التسيُّد الذي يتطلّع إليه صدام حسين، ومن هذا المنطلق كان الرد على الخطاب السياسي العراقي الحاد في شأن الأزمة مع

الكويت بخطاب سياسي كويتي أكثر حدّة على أساس أن التجاوب مع المطالب الصدامية كان سيعني عملياً تحقيق خطوة متقدمة لصدام حسين في اتجاه التسيُّد. ولو أن الاقتناع كان غير ذلك لكان الخليجيون أبدوا شيئاً من المرونة وطول البال وتلبية بعض احتياجات العراق، مفترضين أنهم كانوا سيفعلون ذلك تلقائياً لو أن الحرب تواصلت وواصلوا من جانبهم ضخ الدعم المالي والسياسي للشقيق العراقي الذي يواجه التطلّعات الخمينية الثورية دفاعاً عن نظامه ودرءاً لما يمكن أن يُصيب دول الخليج في حال سقط النظام الصدامي.

والخشية الخليجية من تطلّعات صدام تبلورت أكثر عندما قرر أن يواجه «مجلس التعاون الخليجي» بـ «مجلس التعاون العربي». وهذا الأخير بدا وكما لو أنه حالة حصار للخليجيين ما دام سيأخذ مصر منهم، وما دام أن اليمن من جهة والأردن من جهة أخرى ستكونان بمثل الشوكتين في جانبي الخاصرة. إضافة إلى الشوكة التي في الصدر وفي الظهر متمثلة بالعراق نفسه. وهذه الخشية والتحدّيات المتعمدة من خلال امتطاء صهوة الجواد الأبيض جعلت الانبهار العربي بصدام حسين في سنوات المواجهة مع إيرن يصبح جفوة لم تمحها بعض التصريحات والأحاديث الودّية ولا الأجواء التي نشأت عن زيارة صدام للسعودية من أجل أداء مناسك العمرة وما رافق هذه الزيارة من لقاءات على المستوى العائلي الشخصي عادت بعدها زوجة صدام السيدة ساجدة وشقيقتها أحلام، زوجة أخيه برزان، تتمنيان نمو العلاقة السعودية ـ العراقية على نحو ما كانت عليه لفترة عابرة أيام كان صدام ما زال الرجل الثاني الذي يمارس دوره وكأنما هو الرجل الأول.

والحديث حول المسألة العائلية يجعلنا نستحضر واقعة بداية نمو علاقة عراقية ـ كويتية على الصعيد العائلي الشخصي أيام كان أفراد من أسر بعض أهل القرار الكويتي يتوجهون إلى البراري العراقية في فصل الربيع. ومن هؤلاء عائلة الشيخ صباح الأحمد، والتي ما إن يبلغ برزان التكريتي نبأ وصولها، وكان زمنذاك في ذروة سلطاته كرئيس للمخابرات، حتى يطلب من معاونيه ذبح الخرفان للضيوف الكويتيين. واستمرّت هذه السلوكيات في التعامل إلى أن وسوس الأمريكان في الصدور العراقية والكويتية على حد سواء، وكان الذي كان من الطعم الأول متمثّلاً بكلام السفيرة إبريل غلاسبي، وصولاً إلى المصيدة متمثلة بالغزوة الصدّامية التي جعلت المشاعر الكويتية سياسياً وإعلامياً ومعها المشاعر الخليجية عموماً تنقلب إلى عداوة من جانب البعض للعراق،

وخصومة حادة من جانب البعض الآخر، فضلاً عن مزيد من التجفيف لبحيرة الثروة النفطية، وبحيث أن كل ما جناه أصحاب هذه الثروة في حقبة الطفرة انتهى استنزافاً للمال وللقُدُرات. وتحضرني هنا واقعة خلاصتها أن دونالد رامسفيلد قال لصدام حسين في نهاية لقاء عاصف به في بغداد في عهد رونالد ريغان: «ستندم أشدّ الندم إذا كتب لي أن أعيش. .»[١]. كما تحضرني واقعة أخرى خلاصتها أن السناتور بوب دول، الذي ترأس وفداً من مجلس الشيوخ بينهم يهود، قال لصدام عندما التقيا يوم ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٩٠ في الموصل قبل غزو الكويت ببضعة أسابيع، ما معناه أنك «إذا كنت لن تُغيِّر فإنك ستتغير». وفي هذين اللقاءين وما جرى فيهما الإجابة عن السر الذي جعل العلاقة التكريتية ـ التكساسية تصل إلى حد أن إدارة الرئيس بوش الأب قررت اقتلاع الامبراطورية الصدّامية من الجذور، وأن الرد الصدامي على ذلك وبعدما توقّفت حرب بوش الأب بفرض الحصار جاء في صيغة «اللوحة» الموزاييك للرئيس بوش ووضْعِها كممسحة على مدخل فندق الرشيد، يدوسها الداخلون والخارجون عرباً وأجانب، وهو انتقام لم يؤدِّ إلى نتيجة، بل لعله ليس مبالغة القول إن ذلك التصرّف من جانب صدام كان من جملة دوافع انتقام الرئيس بوش الابن وكواسر الإدارة المنضوين تحت راية رامسفيلد الذي لم يفارق ذلك اللقاء الذي أشرنا إليه مشاعره. والاعتقاد الأرجح عندي هو أن صدام حسين أراد من الاستسلام طوعاً للأسر أن يروي ما عنده من الأسرار عن هذين اللقاءين، اللقاء برامسفيلد واللقاء بوفد الكونغرس، إضافة ربما إلى لقاءات أخرى يتعلق بعضها بظروف الحرب مع إيران، وهو ما من شأنه أن يخفف عنه الكثير من بغض الناس له على ما أوردته روايات[٢] الصحافة الأمريكية والبريطانية عن القبور

---

(١) الظاهر أن السيد مطر يحاول أن يُضفي على صدام صورة المقاتل ولو بطريقة غير مباشرة في تهديد رامسفيلد هذا. .! ولا أرى أن السيد مطر قد نجح في هذا لأن اللقاء الذي يتكلم عنه ـ صدام مع رامسفيلد ـ كان لقاء تنسيق وتعاون وهذا يتنافى مع هكذا ـ تهديد ـ لا مبرر له. (المؤلف).

(٢) المقابر الجماعية ليست «روايات» بل هي حقائق ووقائع، وقد وثقتها جميع أجهزة الإعلام ـ العربية والأجنبية ـ العاملة في العراق بعد سقوط نظام حاكم بغداد، وبعض هذه الوسائل المرئية كانت تنقل لحظة بلحظة عملية نبش هذه المقابر، ومن قبر إلى قبر. .! ولا أدري إن كان عند الأستاذ مطر روايات غير الحقائق التي كانت تنقلها عدسات التصوير التي أشرنا إليها ولم نسمع بها لحدّ الآن. . .؟ (المؤلف).

الجماعية التي ـ إضافة إلى الغزوة التي قام بها للكويت ومن قبل ذلك تعامله غير الرحيم مع رفاق له ومع عراقيين قالوا الحد الأدنى ممّا يجب قوله حول سلوكيات داخل النظام ـ غطّت على إنجازات كثيرة قام بها في الزمن الذي كان فيه محبوباً.

ويبقى ضمن ما يثير الاستغراب أن الفترة المبغوضة من سنوات حكمه جاءت كما لو أنها جزء من برنامج صاغه بنفسه، وكان يقوم على قاعدة التحدّي ولا شيء غير التحدّي، وعلى أساس أنه مالك السلطة المطلقة: رئاسة الجمهورية، رئاسة مجلس قيادة الثورة، رئاسة الحكومة، الأمانة العامة للحزب، وسلطة القائد العام للجيش، وكل ذلك من دون أن تكون هنالك سلطة تشريعية في استطاعتها أن تعترض على قرار أو تَرُدَّ أي مشروع، أو سلطة رأي عام من خلال صحافة تنتقد وتثري بانتقاداتها ما من شأنه أن يخفف من الاندفاع في اتجاه القرار الوحيد الذي يأتي من الرجل الأوحد الذي هو الرئيس صدام، ومن دون أن تكون هناك مناقشة تحت سقف من الحرية النسبية وعدم الخشية من محاذير الاعتراض... وتبقى أيضاً للحديث بقية أخيرة.

من انفجار التنمية إلى تفجير العراق

شاءت الظروف أن أعرف صدام حسين في الزمن الذي كانت الأخبار عن التنمية الانفجارية التي يقودها في العراق تلقى ردة فعل من الإعجاب... خصوصاً أن هذه التنمية التي أوجدت حالة غير مألوفة في عالمنا العربي تمثّلت في أن الهجرة أصبحت معكوسة حيث بات بعض أهل المدن يهاجرون إلى الريف، تلازمت مع خطة طموحة لمحو الأمية شهدت بنتائجها الطيبة منظمة الأونيسكو. كما أن مخططاً لبناء صناعة استهلاكية اكتملت ملامحه ودخل حيّز التنفيذ وتمّ فتح الأبواب أمام بضعة ملايين مصري ومغربي لكي يساهموا في تنشيط هذا التوجّه التنموي ثم ما لبث الإعجاب الشعبي العربي يأخذ منحى آخر بعدما قرّر صدام حسين، وكان ما زال (النائب الأول) للرئيس أحمد حسن البكر، خوض غمار بناء قوة نووية طارقاً الباب الفرنسي الذي لبّى له الحد المسموح لفرنسا دولياً من تأمينه، ونشأت بين صدام حسين وكل من جاك شيراك وريمون بار والعشرات من رجال الصف الثاني في الحكم الفرنسي علاقات وثيقة. وإلى ذلك فإنه بدأ يتجاوب مع مطالب عربية للمساعدة في إنشاء مؤسسات علمية كان من بينها إنشاء كلية للطب تابعة لـ «جمعية المقاصد الإسلامية» في لبنان طلبتها

الجمعية في شخص رئيس الحكومة السابق (الراحل) صائب سلام منه ونشرت الجمعية إعلانات بارزة في الصحف اللبنانية وتحت تسمية «كلّية صدام حسين الطبية»، ثم ما لبث أن توقف العمل في المشروع.

والذين عملوا مع صدام حسين في تلك المرحلة يشيدون بجدّيته ومثابرته وكيف أنه كان يعمل أكثر من خمس عشرة ساعة يومياً. ولأنه لا يسافر إلى الخارج (عدا زيارة يتيمة إلى فرنسا وتضمّن الوفد المرافق له خلالها طاقم شوي السمك المسقوف وقد تذوّقه الفرنسيون الذين تلقّوا الدعوة إلى المأدبة العامرة التي أقامها تكريماً للرئيس الفرنسي، وزيارة أخرى لصيد الخنازير البرية في ديار الرئيس الروماني تشاوشيسكو، وزيارة ثالثة إلى كوبا لمناسبة انعقاد قمّة عدم الانحياز).. فإن الأخ غير الشقيق برزان الذي كان أوكل إليه رئاسة جهاز المخابرات وهو في الخامسة والعشرين من العمر اشترى له «يختاً» من ميزانية هذا الجهاز التي ـ مثل معظم أجهزة مخابرات دول العالم الثالث ـ لا تدخل في الميزانية العامة، وبذلك يتّقي تساؤلات الرفاق والناس الذين سيقولون إن صدام حسين اشتراكي قولاً بورجوازي فعلاً. كما أن الأخ اشترى للرئيس «فيللا» مطلّة على بحيرة جنيف ومجاورة لبعض «فيللات» في التلة السويسرية الرائعة المنظر يملكها عرب وأثرياء من دول العالم. ومن سوء حظ صدام حسين أنه لم يستمتع بـ «اليخت» لأن الحرب ما لبثت أن بدأت بين العراق وإيران وبات من المستحيل إبحار «اليخت» إلى مياه «شط العرب» التي باتت منطقة مواجهة. كما أنه لم يستمتع بالإقامة في «الفيللا» المشار إليها، والتي كان الأخ الذي اشتراها أثثها بما يليق بإقامة رئيس دولة العراق الذي كان في الفترة التي سبقت قيام الحرب مع إيران يتطلّع، كما بعض الزعماء، إلى تمضية بضعة أسابيع من السنة في الربوع السويسرية.

المهم أنه لم يذق طعم الإقامة السويسرية ولا طعم الاستمتاع برحلات فوق مياه الخليج على متن «اليخت» الذي كان ينوي التجوال فيه على الموانىء المطلّة على الخليج ثم انتهى برسم البيع لمن يريد أن يشتري... ولا من يشتري. وكل ما حصل عليه من جنيف كان عبارة عن عشرات البدلات ومستلزماتها من قمصان وربطات عنق وقبعات وألبسة رياضية من محلات «لانفان» تصله فيختار منها ما يرتاح لها ثم يُوزّع الباقي على النخبة المنتقاة من بين المحيطين به على نحو توزيع بعض علب السيجار الكوبي الفاخر الذي كان يحمل كميات منه طبيبه الخاص الذي هو عضو اللجنة

المركزية للحزب في كوبا. وهذا الطبيب الذي اختاره له صديقه فيديل كاسترو كان يعالج له آلام الظهر المبرحة وكان دائماً عندما يصل إلى بغداد بطلب من صدام الذي بات رئيس البلاد ينقل التحيات وكمّيات من السيجار من «الرفيق فيديل» الذي كان صدام يردّ على التحية بنجدات غير معلن عنها تقي صديقه كاسترو ويلات الحصار. وعندما وقع النظام الصدّامي تحت الحصار لم يستطع كاسترو أن يفعل شيئاً إذ بماذا يمكن أن يُنجد المحاصَر من هو مثله تحت الحصار.

سيجار صدام

وفي الحديث عن المسألة فإن تدخين صدام للسيجار كان موضع تقليد الذين حوله له... إنما بعد أن يحصلوا على الموافقة أو تأشيرة التدخين متمثلة بتقديم صدام سيجاراً لهذا أو ذاك فلا يدخّنه في حضرته وإنما بعيداً عن القاعة التي يتمّ اللقاء فيها. ومن هنا الإشارة واجبة إلى أن الرئيس صدام كان الوحيد الذي يدخن خلال لقاء أو اجتماع لمجلس الوزراء أو احتفالية ما. أما بقية السيجاريين فإنهم لا يدخنون، ونستحضر هنا على سبيل المثال اثنين منهم قابعين في الاحتجاز الأمريكي هما طارق عزيز وبرزان التكريتي، كانا خارج مدار صدام منذ الحظة التي رمى العراق في أتون الحرب الدولية العربية ـ الإسلامية عليه نتيجة غزوه الكويت.

واستناداً إلى ما كنت أسمعه منهما كتحليل موقف ليس للنشر، فإنهما قالا رأياً قاطعاً في مخاطر عدم الانسحاب من الكويت وضرورة التجاوب مع دعوات ومناشدات عربية ودولية في هذا الشأن. والدليل على قولهما الرأي القاطع أنهما انتهيا نتيجة الصراحة الخفيفة المفردات شبه مبعدين عن الحلقة الأقرب إلى عقل الرئيس، الأمر الذي جعله لبضع سنوات بعيداً عن دائرة التشاور قبل اتخاذ أي قرار معتمداً على المنطق كثير الحدة للإبنين عدي وقصي وللصهر حسين كامل، الذي سجّل حالة الانشقاق الأولى عن الركب الصدّامي العائلي.

وإذا كانت غزوه الكويت شكّلت عملياً بداية العد العكسي لنهاية صدام حسين، وبالذات بعدما حدث الحصار الذي لم يكن يتوقع حدوثه بالشكل الذي جاء، مفترضاً أن أقصى ما يمكن أن يكون عليه هو حصار من نوع الحصار الأمريكي لكوبا التي لم تنقطع عن العالم بمثل قطع أواصر العراق مع العالم الخارجي... إذا كانت الغزوة

شكلت البداية فإن طول الحصار جعل من صدام حسين شخصاً آخر لا ينام كما يجب ولا يملك القدرة على المبادرة، ثم أصبح فاقداً المناورة التي يكون فيها ممسكاً بأوراق اللعبة. وشيئاً فشيئاً بدا يُذل كرجل دولة صاحب مهابة. وهذا جعله يقترب أكثر فأكثر من الدروشة الدينية، أو التدينية، وهي الجامع المشترك بينه وبين نائبه عزّت إبراهيم. وبعدما كان الانطباع من خلال جلساتي معه في زمن الانبهار العربي الشامل به، وبالذات بعدما قرر محاربة الثورة الإيرانية التي وصلت إلى الحكم بمثل ما وصل البعث إلى الحكم، أنه إنسان لا يتحمّل الحل المرن، ويرى أن خير الأمور هي الأكثر تشدداً والأكثر حدّة، وأن قدَرَه كما يراه هو إما القصر وإما القبر، فإن صدام بعد خمس عشرة سنة على تلك الجلسات التي انتهت كتاباً يروي ملامح سيرته الحزبية وأسلوبه في إدارة الصراع، بات بفعل التقدم في العمر وشدة وطأة المأزق الذي انتهى إليه متديّناً على دروشة مستسلماً للأقدار. ثم جاء مقتل الولدين عُدي وقُصي ليجعل منه إنساناً ضعيفاً أمام الإرادة الإلهية فيتصرّف كمؤمن[1] عندما انتهى كل شيء، ولا يتصرف على نحو الانطباع السائد عنه بأنه لن يترك شخصه يقع في أيدي قوات الاحتلال وأن خيار «الموت ولا الشماتة» هو الخيار الأفضل. وهذا وارد لو أن صدام حسين لم يتحوّل شبه متدروش يعتبر الانتحار معصية. لكنني وأنا أشير إلى هذه الفرضية لا أقفز فوق احتمال آخر وهو أن تكنولوجيا الأسر قادرة على قطع الطريق على أي خيار يريده المسلم المتدين لنفسه وأنه لولا ما قيل في شأن تخدير الرجل على طريقة تخدير الزعيم الكردي عبد الله أوجلان في سياق عملية الإخراج الهوليودي لإظهاره على الناس بغرض إحداث صدمة في نفوس الجميع واستبدال صورة صدام المحبوب بصورة صدام المبغوض، لكان الآن بين يدي خالقه، خصوصاً أنه بتكوينه يرى أن الرصاصة في الرأس تبقى أكرم من إتاحة المجال للضابط الأمريكي يقوم بتنظيف نفسي هوليوودي للشعر المصبوغ بعناية، وكأنما صدام ليس على أهبة السابعة والستين من العمر، ولا مجال لغير الشيب في شعر الرأس والذقن، أو أن الرصاصة في الحلق تبقى أفضل من

---

(١) لا أدري عن أي إيمان يتحدث الأستاذ مطر..! هذا ليس إيماناً أو تديناً إنما هو جبن وقد أفردنا صفحات طويلة ـ سابقة ـ لتحليل شخصيته ـ صدام ـ وقد حلّلنا بالتفصيل هذا الأمر، أنا أتفهم أن من يأكل في ماعون السلطان يجب أن يضرب بسيفه، ولكن لا أفهم أن يُعرّف الماعون أو الصحن على أنه قرص الشمس..! (المؤلف).

ترك «الكاميرا» تسجل لقطات للفم المفتوح يبحث فيه الضابط نفسه ربما عن حبة «سايونيد» خشية أن يكون صدام وضعها بغرض الانتحار كما سبق وفعل عبد الحكيم عامر. بيد أن الضابط الأمريكي، على نحو ما يريده رئيسه بوش الابن، كان يفضل أن يؤتى بصدام حياً وبالشكل الذي رآه العالم فيه.

من يَذُل يُذَل ولو بعد حين

جاءت واقعة سقوط صدام حسين الشخص بعد إسقاط صدام التمثال في الأسر الأمريكي في الوقت الذي كنت في الطريق إلى الرياض للمشاركة في مهرجان الثقافة والتراث في الجنادرية، الذي يتزايد لفت الانتباه إلى كونه ظاهرة في المشهد العربي الحافل بالتداعيات. وهو ظاهرة في كون من ابتكر فكرة هذه المهرجان ويرعاه للسنة التاسعة عشرة على التوالي مؤسسة عسكرية تتمثّل في «الحرس الوطني» وهو ما لم تفعله بقية المؤسسات العسكرية في العالم العربي.

كانت واقعة سقوط صدام حسين في أسر الاحتلال الأمريكي، أو فلنسمها «أم الوقائع العربية» هي الجامع المشترك في أحاديث ضيوف «الجنادرية» التاسعة عشرة التي رفعت عنواناً لها «إصلاح البيت العربي». وكان الاستهجان لهذا الأسلوب الذي اعتمدته سلطة الاحتلال الأمريكي للعراق واضحاً في تعبير كل منّا عن هذه الواقعة. ولقد التقى السعودي مع السوري مع الجزائري مع اللبناني مع المغربي مع التونسي مع الموريتاني مع السوداني مع الفلسطيني مع الأردني مع المصري مع الإماراتي مع اليمني، وبما يشبه الإجماع، على بشاعة هذا الإذلال لمن حَكَم العراق ثلاثين سنة ربعها بصيغة التحالف مع البعض من إخوانه القادة العرب وربعها الثاني بصيغة التعايش مع الأكثرية منهم، أما النصف المتبقي من هذه السنوات فكانت قائمة على الحذر منه والريبة بنظامه بعدما سجَّل في تاريخ العلاقات العربية سابقة احتلال العراق للكويت مناقضاً في ذلك الحيثية التي استند إليها في هذه المغامرة، وهي أن الكويت المستقلة وذات السيادة والعضو في الجامعة العربية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي فرع يجب أن يعود إلى الأصل ومن دون أن يستوقفه أن لا حاكم يحتل «أرضه». كما التقى الجميع ـ عدا إخوان لنا من الكويت والعراق كانوا في غاية الابتهاج لهذا الإذلال، على أساس من يَذُل (بفتح الياء) الآخرين يُذَل (بضم الياء) ولو بعد حين ـ

على أن إذلال من كان رئيساً وبات أسيراً هو نوع من المذلّة للأمتين يتحمّل مسؤوليتها المُذِل (بكسر الذال) أي الأمريكي المحتل والمذَل (بفتح الذال) أي صدام حسين الذي أوصل الأمور إلى ما وصلت إليه، أو فلنقل إنه كان قادراً على عدم إيصال الأمور إلى هذا الدِرْك لو أنه اعتمد في الشهرين العصيبين يونيو ويوليو من العام ١٩٩٠ قليلاً من الحكمة التي تغنيه عن عذاب نار الحرب عليه بعد ذلك من أجل استعادة الكويت، أو لو أنه بعدما غزا ولم يجد في «الفرع» من هو مقتنع بـ «الفِعْل المؤثّر» الذي أورده في بيان رئاسي أن يعيد القوات إلى حيث انطلقت، ويؤدب الرعاع الذين أمعنوا نهباً وسلباً بالكويت وكأنما لم تكن هذه الدولة أميراً وشعباً وبرلماناً وصحافة ذلك الكتف الذي طالما اتكأ عليه النظام الصدّامي بضع سنوات. لكنه الوعي الذي عندما يغيب عن صاحبه يجعل هذا الصاحب يفقد التوازن. . مع أن الانسحاب المشار إليه والتأديب المطلوب كان من شأنهما أن يضعا المسألة على طاولة النقاش والحوار وكان لن يجعل القمة العربية الاستثنائية الشهيرة في القاهرة يومي ٩ و١٠ أغسطس ١٩٩٠ بدعوة من الرئيس حسني مبارك تستدعي الثنائي جورج بوش ـ مارغريت تاتشر لتنفيذ ما يريانه مناسباً، بمثل ما أن مجلس الأمن بايع الثنائي بوش الابن ـ طوني بلير بعد ثلاثة عشرة سنة في مسألة اعتبار الاحتلال وضعاً قانونياً. وما يستوجب لفت الانتباه، ونحن نتباسط في الحديث ونصغي إلى بعض إخواننا من الذين هم على مسافة قصيرة من أهل القرار في دولهم وأيضاً من أولئك الذين يعكسون حقيقة مشاعر الناس، هو أن نسبة التأثر بالذي جرى لصدام حسين هي أكثر من نسبة الشماتة به، وأن نسبة الخوف على فقدان نهائي للعراق الموحَّد هي أكثر من نسبة الاقتناع بأن العراق الجديد الذي تتولّى الإدارة الأمريكية صياغته سيكون مقبولاً من جانب الأهل والجيران، وذلك لأنها حالة جديدة ولأن هذه الصياغة تتم على قاعدة اللامنطق.

ويبقى، بعد هذا التمهيد، القول إن الذين طرحوا عليَّ من الأسئلة والتساؤلات والاستفسارات كانوا كثيرين، مستندين في ذلك إلى أنني عرفتُ صدام حسين عن قرب وألَّفتُ في زمن الانبهار العربي به كتاباً عن سيرته وتجربته وكيف يتّخذ القرار، وكيف أنه ظاهرة في تاريخ الحكم والحكّام العرب في تلك الحقبة. وبطبيعة الحال فإن من قرأ، مثل حالي بعناية مئات الأوراق والأدبيات واستمع إلى معظم رفاق صدام حسين قبل أن تتيسّر له فرصة الاجتماع بضع ساعات على مراحل مع صدام الذي كان في حالة

من الزهو.. زهو العرب به وزهوه بنفسه، يتحدث عن حياته الشخصية والعائلية وتكون الابنة الصغرى، التي باتت زوجة وأماً، جالسة ذات يوم على ركبته كأي أب يفتقد أطفاله رؤيته يلاعبهم ويتحدّث إليهم... بطبيعة الحال إن مَنْ هذه حاله يُصبح مطالباً بعد إسقاط صدام التمثال، ثم سقوط صدام في أسر الاحتلال الأمريكي، أن يَرُد على استفسارات المستفسرين ويجيب عن أسئلة السائلين وفي حدود ما يمكن التطرّق إليه عملاً بقاعدة المجالس بالأمانات... حتى إذا سقط الأصدقاء في الأسر أو عن كراسي الحكم، واسترشاداً بمبدأ أن الطعن في الجواد الجريح، أو الجمل الجريح ـ على نحو ما سمعنا الرئيس عبد العزيز بوتفليقة يقول مختصراً المسألة ـ ليس حلالاً...

في القمة أو في الحضيض.. لماذا؟

بهذه المقالة نختتم ما عرضنا له في المقالات الثلاث من قراءة في ما انتهى إليه الرئيس العراقي صدام حسين في ضوء التأمل في بعض مراحل مسيرته التي بدأها محبوباً لينتهي مبغوضاً. ونبدأ بمسألة القبور الجماعية، التي هي النقطة الأكثر سواداً في جملة ممارسات القسوة الصدَّامية، والتي لو أنها كانت معروفة على النحو الذي تمّ استنباشه فجأة لكانت مشاعر التعاطف مع صدام حسين من جانب الكمّ الهائل من المتعاطفين على غير ما هي عليه. فلا أحد يمكن أن يعذره على اضطراره لمثل هذا العقاب الهتلري للآخرين. أما مسائل الحزم والعزم والرهبة التي ترافقهما فكانت ستبدو أكثر إقناعاً للآخرين وتفهماً من جانبهم لضروراتها الوطنية والقومية لو أنها تتمّ من خلال المحكمة النزيهة والقضاة الذين إذا حكموا فبالعدل... ولا شيء غير العدل[١].

ومع الأخذ في الاعتبار أن هذا النهج في تعامُل الراعي مع الرعية حافظ على وحدة العراق لكنها وحدة مسوَّرة بالتخويف المقبول كأمر واقع المرفوض كشعور وجداني. ولكم كانت الأمور ستبدو أفضل لو أن الصحافة الصدّامية كانت تملك مساحة من حرية النقد والتعبير تعوِّض هذه الحرية المفروض أن يأخذها على عاتقه

---

(١) هذا كلام «مُرتّب» ومُركّب بعناية من الأستاذ مطر..! عن أي محكمة ونزاهة يتحدث ـ مطر ـ وصدام بدأ حياته الحزبية بالمجزرة الحزبية لكوادر حزب البعث «رفاق الدرب» والمذبحة الدبلوماسية للقناصل والسفراء عاديك عن المقابر الجماعية وإعدام المعارضين لنظامه. (المؤلف).

البرلمان . . هذا في حال كان هذا البرلمان اسماً على مسمّى وليس برلمان الرأي الواحد أو برلمان الموافقة دون مناقشة. ويجد المرء مثل حالنا يتساءل: ماذا لو كان البرلمان العراقي بمثل البرلمان الأردني الذي يشكل في موقفه توازناً يخدم الأردن سيادة وشعباً وملكاً؟ وماذا لو كانت هنالك داخل البرلمان العراقي أصوات متنوّعة تعكس انطباعاً بأن مناخ التعبير قائم. ونلاحظ هنا كيف أن البرلمان الأردني اتّخذ موقفاً يطالب بإنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق ويدين اعتقال قوات الاحتلال لصدام حسين، وهو موقف لم تتخذه الحكومة ولا هو صدر عن الملك عبد الله الثاني، كما أنه لم يبدِّل شيئاً من موقف الأردن المتعاون مع أمريكا. ولكنها عقلية رفض الرأي الآخر هي التي جعلت صدام حسين لا يقرر وهو في قمة السلطة أن يكون للعراق برلمان متوازن يَطمئِنُ له الناس ويرون فيه أنه المؤسسة التي تمثّلهم.

وما خرجتُ به من استنتاجات بعد مناقشات واستفسارات متقطعة مع شرائح متنوعة من العراقيين سبقت آخر لقاء لي بالرئيس صدام في مايو (أيار) ١٩٩٠ قبل القمة العربية الاستثنائية في بغداد التي كانت قمة فلسطين المستضافة في العراق، هو أن العراقيين باتوا أكثر اقتناعاً بأن جولات المناقشة التي جرت من أجل دستور جديد ونهائي للعراق لا بد ستجعل رئيسهم يرى أن أبناء شعبه أُرهقوا ما فيه الكفاية وأنهم دفعوا ضريبة الحرب مع إيران، وأن من واجبه أن يكافئهم على صبرهم وتضحياتهم بانفتاح على العالم وحكومة متوازنة وبرلمان حائز الهيبة والقدرة على التشريع وقضاء يحكم بالعدل، واستفادة من نعيم الثروة النفطية التي استنزفت الجزء الأكبر منها مستلزمات الحرب والتصنيع العسكري بحيث يسافر من يريد السفر ويتاجر بحُرية من يريد المتاجرة وتزهو أسواق المدن العراقية التي كانت باتت متهالكة. ولقد شجعني ما سمعته ـ خصوصاً أن بعض القائلين كانوا قريبين من الأوساط الرئاسية ـ على أن أطرح على الرئيس صدام أسئلة بهذا المعنى، إلاّ أنني لاحظتُ عدم رغبته في التركيز على هذه الأمور مكتفياً بالقول رداً على أسئلة أخرى: «إن أقدار العراق هي إما أن يكون في الذروة أو في الحضيض». . . ولم أستوعب ما يريده من هذا القول، لكنني وجدتُ نفسي أستحضر قولاً آخر أورده أمامي وأنا في مرحلة كتابة كتابي عنه وهو «إن العراق إما أن يكون منارة أو تدوسه سنابك الخيول. . .»!

هذا المشهد، بجانبه المضيء بضع سنوات والمظلم على نحو ما نرى منذ الحرب

البوشية الأولى عام ١٩٩١ وحتى الآن، يفسّر القولين اللذين أوردهما صدام الرئيس أمامي. ومن باب الإنصاف أقول إن صدام حسين كان راغباً بالفعل في إعادة النظر في حال توقفت الحرب مع إيران، وكان في صدد إلغاء مجلس قيادة الثورة وإعطاء الضوء الأخضر للإعلام من أجل أن يتطوّر في اتجاه لا يعود الأسلوب المتّبع على حاله. ومع أنه كان لن يقول لرؤساء تحرير الصحف بأن يتوقفوا عن نشر صورة له يومياً في صدر الصفحات الأولى، حتى إذا لم تكن هنالك مناسبة موجبة، لكنه كان سيلمح إلى ذلك في شكل أو آخر. كما أنه كان سيلمح إلى ضرورة تعديل صيغة النشرات الإخبارية في الإذاعة والتلفزيون وتعديل مضامين الأغاني التي تمجّد شخص الرئيس وإلى تقليص نزعة ملء الساحات وبعض الجدران وبعض الحدائق باللوحات والجداريات والتماثيل. وكان التلميحان سيلقيان الترحيب الضمني خصوصاً بعدما باتت موجبات إبداء مشاعر الحب لرئيس البلاد نوعاً من التأليه لشخصه وهو ما ليس مستحباً. . فضلاً عن أنه مكروه دينياً بسبب جنوح بعض الشعراء وكاتبي كلمات الأغاني نحو المغالاة واستعمالهم مفردات من النوع الذي انفردت به مدرسة الإعلام الكوري الشمالي في تأليه كيم إيل سونغ.

وفي معرض الرغبة التي نشير إليها كان صدام حسين يقول إنه أراد الدستور الجديد من أجل ذلك، وأنه يريد بالفعل مكافأة شعب لم يبخل في الدعم الذي لولاه لكان الحكم تساقط، وأنه لم يعد من الجائز أن يستمر العراقي يعيش بنظام البطاقة التموينية بينما جيرانه ينعمون بالعيش الرغيد ما دام العراق النفطي بمثل جيرانه النفطيين من حيث العوائد من الذهب الأسود. أما متى سيفعل كل هذا الذي نشير إليه فبمجرد استرداد الأنفاس التي أتعبتها الحرب مع إيران. لكن المفاجىء إلى حد الذهول هو أن صدام حسين بدل أن يسرع الخطى في الاتجاه المشار إليه فإنه أعاد العراقيين إلى الحال الأسوأ، وأعاد العراق إلى دائرة المخاطر عندما قرر غزو الكويت مطمئناً إلى إيحاءات لها صفة المكيدة أو المصيدة جاءته من الإدارة الأمريكية ووجدها تتلاءم مع سيناريو يدور في خاطره، وهو أنه بغزوه الكويت يبرم اتفاقاً غير مكتوب مع السعودية يتضمّن ما معناه قبوله بأن تضم السعودية دولة الإمارات إليها، مقابل أن يوافق الملك فهد بن عبد العزيز وأشقاؤه وإخوانه على إلحاق الكويت بالعراق، مفترضاً ومتوهماً أنه في ضوء الإيحاءات الأمريكية التي رمتها أمامه السفيرة أبريل غلاسبي فإن واشنطن ستجعله

الطرف الأقوى في الخليج وستجعل بالتالي القبول السعودي بسيناريو الصفقة المتبادلة مسألة عادية. وتدليلاً على ذلك فإنه أوصل أفكاره المرفوضة بكل تأكيد من جانب السعودية إلى بعض أولي الأمر السعوديين. ويستغرب المرء كيف أن صدام حسين لم يرَ في دولة مستقرة مثل الإسارات سوى أنها بمثل واحة في الصحراء يدور في شأنها نزاع، كما لم يستوقفه أن العالم بدءاً بالجيران وصولاً إلى أمريكا لا يمكن أن ترتضي امتداد اليد العراقية إلى الكويت.

ولقد كان من الأكرم للعراق الكبير أن يحافظ على الشقيقة الصغرى الجارة الكويت فيقول للسفيرة غلاسبي إنه يرى في إخوانه الكويتيين السند عند الشدة وأن أي مساس في الواقع الكويتي مرفوض من جانبه. وهو لو فعل ذلك لكان أنقذ العراق وأنقذ نفسه وأنقذ حزبه وأنقذ أبناءه وأنقذ شعب العراق، ولكان عراق ما بعد الحرب مع إيران موضع اهتمام الذين حوله ما دام برنامج رئيسه هو إعادة إعمار ما دمّرته تلك الحرب وتنقية النفوس ممّا علق بها وجمع الشمل العراقي السياسي الذي تشتت في كل الاتجاهات. والأهم من ذلك أن إدارة بوش الأب كانت ستواجه إحراجاً ما بعده إحراج لو أن ما فعله صدام مع الكويت كان نقيض الذي حدث وكانت الحرب الأولى على العراق عام ١٩٩٠ لن تحدث ولن تليها سنوات الحصار فحرب بوش الابن.

وقد يقال من جملة الافتراضات إن العراق الصدّامي موضوع على لائحة الدول التي يجب وضع اليد الأمريكية عليها بالكامل، وأن معاونة أمريكا وحلفائها لصدام في حربه على إيران كانت من أجل أن يقترف نظامه المزيد من الأخطاء ويضطر إلى ارتكاب المزيد من القمع بحجّة حماية الجبهة الداخلية وبحيث يشكّل الحصار وتداعياته من جهة ونزوع صدام حسين إلى التحدّي ولا شيء غير التحدّي إلى يوم يتآكل فيه العراق، بحيث إذا انفردت أمريكاً وبريطانياً بحرب عليه لا يصمد ثم تتفكك أوصاله ثم يتمّ احتلاله وقتل صدام وولديه وبعض أركان نظامه أو اعتقالهم ورميهم في الزنزانات والتمثيل بكراماتهم تمهيداً لوضعهم في أقفاص الاتهام أمام محاكم وقضاة، وهذا ما يحدث حتى الآن بدقة، وتتخلل ذلك عمليات لمقاومين عراقيين معلومين ـ مجهولين، وتنظيرات في كيف ومتى وأين ستبدأ محاكمة الزمن البعثي ـ العراقي بالكامل. . . وكأنما تلك إرادة الله في حق من كان محبوباً من أمّته وصار مبغوضاً لأنه رأى عشرات العبَر أمامه، إلا أنه لم يعتبر. (انتهى كلام فؤاد مطر).

عراقي قضى تحت الأرض ٢١ سنة هرباً

عاش عراقي في قبو تحت الأرض لمدة ٢١ سنة هرباً من بطش نظام صدام حسين. نقلت مراسلة الصحيفة كيت كونولي قصة العراقي جواد عامر سيد الذي ظل مختبئاً في غرفة صغيرة منذ ١٩٨١ ولم يخرج منها إلا قبل خمسة أسابيع مضت عندما تيقن من سقوط النظام العراقي على يد القوات الأمريكية. وزارت المراسلة القبو الذي لم يتعد عرضه ٩٠ سنتيمتر وارتفاعه متر ونصف المتر، ومع ذلك تمكن جواد من أن يعيش بداخله حياة شبه طبيعية، حيث كانت أمه، التي تبلغ من العمر الآن ٧٤ سنة، تمده بالغذاء .

وتبدأ قصة جواد عندما كان شاباً عسكرياً فرَّ من الجيش العراقي في بداية الثمانينات لأنه رفض المشاركة في الحرب ضد إيران، وكانت عقوبة من يهرب من الجيش هي الاعدام. وكان جواد يخطط في البداية للهرب من العراق إلى إيران، لكنه عدل عن نية السفر عندما شنق عمه الذي كان من المفترض أن يهرب معه بسبب آرائه الدينية المعادية للنظام. عندها قرر جواد البقاء في منزل أسرته لكن تحت الأرض إلى أن يسقط نظام صدام.

ولم يعلم بوجود جواد سوى أمه، عزيزة دهيش، التي كانت توفر له الغذاء، وتنقل له أخبار انتشار عملاء وعميلات الاستخبارات العراقية في القرية وتجسسها على البيت للقبض عليه بأي ثمن. ولسنوات من التكتم والغياب ظل بقية الجيران والأقرباء يعتقدون بأن جواد قد لقي حتفه في الحرب العراقية ـ الإيرانية أو أنه أسير لدى القوات الإيرانية.

وقال جواد للمراسلة «لم يكن أمامي سوى البقاء في القرية» التي تبعد ٩٠ كيلومترا جنوب شرقي بغداد. وفي البداية قام جواد بحرق هويته وأية أوراق ثبوتية خاصة به، ودفن كتبه، ثم حفر لنفسه حفرة تحت مطبخ منزل عائلته، وأدخل إلى هذه الغرفة معظم ما يحتاجه، بما في ذلك مرآة لقص شعره وتهذيب لحيته، وإبريق للشاي، ومروحة، فرشاة أسنان، وساعة. وإلى جانب قدمه، حفر جواد حفرة على شكل مربع صغير لقضاء حاجته.

ولم يكن جواد طوال العقدين الذي قضاهما في منفاه المنزلي مقطوع الصلة عما يجري في العالم، وإنما كان يتابع الأخبار من راديو صغير لديه، بما في ذلك غزو

العراق للكويت ١٩٩١، وسقوط حكومة مارغريت تاتشر، والحرب في يوغسلافيا، وموت الأميرة ديانا، والمصالحة بين الجيش الجمهوري والحكومة البريطانية.

لكن الخبر الذي كان يبحث عنه، أي نهاية النظام العراقي، جاء بعد أحداث ١١ سبتمبر. «عندما وعد الرئيس بوش في خطابه بأن جميع الإرهابيين في العالم ستتم ملاحقتهم، أخبرت أمي فوراً عن اعتقادي بأن صدام لن يبقى في الحكم طويلا». وفي ٩ إبريل من هذا العام وبعد ثلاثة أسابيع من الحملة العسكرية على بغداد، تأكد لجواد بأن النظام العراقي قد سقط، لكنه انتظر حتى اليوم التالي لسماعه بإسقاط تمثال الدكتاتور في بغداد حتى تجرأ على الخروج من مخبئه.

واعتبر وفاة أخيه في الحرب العراقية ـ الإيرانية عام ١٩٨٦، ووفاة أخته بسبب مرض عضال قبل ثلاث سنوات من الأحداث المؤلمة في حياته. ومن المفارقات انه عد زواج أخيه أحمد من اللحظات المخيفة «في كل مرة يجتمع فيها الناس في منزلنا إحتفالاً بمناسبة، كنت أخاف من إمكانية اكتشاف وجودي».

على الرغم من علامات الكبر التي ظهرت على جواد، بعد المدة التي قضى فيها شبابه في القبو، قال من فرحته بالحرية: «أشعر بأن لدي طاقة شبابي الأول مرة أخرى. أما أمه فاعتبرت نهاية مأساة ابنها وخروجه للعالم، خبراً سعيداً للغاية تماماً كخبر ولادته مضيفة: الآن انتهت مهمتي، وأستطيع أن أموت وأنا مرتاحة.

وينوي جواد بدء حياته من جديد بالبحث عن عمل في بغداد «أريد أن أساهم في بناء بلدي من جديد وأريد أن أتعرف على الناس مرة أخرى»، أما أسرته فتريد أن تبني له حياة جديدة عن طريق البحث له عن زوجة. يقول أخيه الأصغر أحمد: «لقد افتقد أشياء كثيرة، ونريد أن نوفر له عوامل الراحة بقية حياته».

ولما خرج جواد من قبوه لم يصطحب معه سوى علبة ثقاب حوت أسنانه التي سقطت خلال وجوده داخل القبو بسبب نقص الكالسيوم، وكيس بلاستيكي حوى شعيرات من لحيته التي كان يهذبها عبر السنين. أما القبو وما فيه من معدات، فإنه ينوي استبقاءه تذكارا للتجربة التي عاشها، و«درس يذكره الناس عن المعاناة التي سببها النظام السابق»[١].

(١) صحيفة الدايلي تلغراف اللندنية، ٣٢/٥/٢٠٠٣.

مذابح حلبجة

* أمر بحقن طفل بمادة سببت له تخلّفاً عقلياً للإنتقام من والده الذي كان يعارض حزب البعث!

* قتل نصف مليون عراقي ودفنهم في مقابر جماعية دون محاكمة ودمّر المساجد وأباد الأكراد بغاز الأعصاب!

* أحكامه الوحشية شملت إعدام كل من يعارضه وقطع أذن ولسان من يسيء له ونفي من يزدريه!

بعد العثور على عدد كبير من المقابر الجماعية في أنحاء متفرّقة من العراق، وبلغ عدد هذه المقابر «٢٧٢»[1] مقبرة ضمّت حوالى نصف مليون عراقي بالإضافة إلى عدد من الجنسيات الأخرى.

وكان صدام قد زعم خلال استجوابه المبدئي أن ضحايا المقابر الجماعية ليسوا مدنيين، بل جنود هاربون من الخدمة ولصوص.

أما بالنسبة لإنتهاك حقوق الإنسان فقد تعدّدت جرائم نظام صدام من هذا النوع. فكان صدام أول رئيس دولة في العالم يستخدم الغاز السام ضد أبناء شعبه، حيث قتل نظامه أكثر من ٣٠ ألف مواطن عراقي بغاز «الخردل».

كما أكّدت عدّة منظّمات دولية قتل أكثر من ستين ألف مواطن عراقي بمواد كيميائية من بينهم أعداد كبيرة من النساء والأطفال. فقد شنّ صدام هجمات بالأسلحة الكيميائية ضد عدّة قرى عراقية منها «شيخ وسان» و«كانبود» و«فالسان» و«بارزان»، وفقاً لما جاء

---

(١) هذا الإحصاء (٢٧٢ مقبرة) هو لغاية ١٥/٤/٢٠٠٤ فقط.

في تقرير أصدره «مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل» بوزارة الخارجية الأمريكية[١].

ولعل أشهر المذابح التي استهدفت الأكراد وأكثرها وحشية هي مذبحة «حلبجة»، فقد ظلّت الطائرات العراقية لمدة ثلاثة أيام تلقي بغاز «الخردل»، وهو عنصر كيميائي يتسبّب في تقرّح أغشية الأنف والعنق والرئتين، وغازات الأعصاب المعروفة باسم «تابون» بالإضافة إلى غاز «في. إكس» وهو نوع من الغازات المميتة. وبعد ساعات معدودة من الهجوم الأول كانت هذه الغازات قد انتشرت وظهرت آثارها، حيث قتلت خمسة آلاف مدني على الأقل وشوّهت آلافاً آخرين على مدى السنوات اللاحقة، فمنذ عام ١٩٨٨ أصيب سكّان مدينة «حلبجة» بمعدلات هائلة من حالات السرطان والتشوّهات الخلقية والأمرض العصبية والنفسية!

ومن المؤكد أن مذبحة «حلبجة» كانت جزءاً من خطة أو حملة متعمّدة سمّيت «حملة الأنفال». لقتل وتهجير الأكراد من شمال العراق. ففي إحدى الدراسات التي قامت بها «منظمة مراقبة حقوق الإنسان» جاء أن «حملة الأنفال» التي بدأت عام ١٩٨٨ أدّت إلى مقتل خمسين ألف نسمة على الأقل، وربما مائة ألف من بينهم نساء وأطفال. كما أصدر صدام قرارات تهدف إلى تعريب الأكراد والتركمان والمناطق التابعة لهم، وذلك لمحو قومياتهم من خلال استخدام سياسته في التطهير العرقي.

ومن ناحية أخرى كانت للهجوم الكيميائي على مدينة «حلبجة» آثار مدمّرة على السكّان والبيئة، فقد تأثّرت عيون سكان المدينة وأجهزتهم التنفسية بغاز الخردل السام وغيره من المواد الكيميائية الضارة. وأصيب من بقي على قيد الحياة بندوب في الرئتين أو بالعمى المؤقت أو الدائم! ولم يكن الإنسان هو الضحية الوحيدة في هذه المذبحة، بل تأثرت أيضاً المياه والمواد الغذائية بعد ترسّب الغازات إلى التربة وتسمم المياه. وقد سجّلت الدراسات التي قام بها أعضاء «معهد حلبجة الطبي» أن الآثار بعيدة المدى على صحّة السكان مدمرة ومنها زيادة الإصابة بالأورام السرطانية المختلفة وخاصة

---

(١) الملفت أن تقرير الإستخبارات الأمريكية وقتها قد نفى عن صدام تهمة استخدام الأسلحة الكيمياوية ضد شعبه، ووجه التقرير المذكور الإتهام لإيران..!

سرطان القولون وأمراض الجهاز التنفسي والإجهاض والعقم، إلى جانب التشوّهات الخطيرة لدى الأطفال.

وأكّدت مؤسسة معهد «حلبجة» أنها لاحظت انتشار حالات مثل العقم والتشوّه الخلقي وأمراض السرطان لدى سكان «حلبجة» الذين تعرّضوا للمذبحة، وقارنت المؤسسة بين هذه الإصابات ومعدل إصابات الأهالي الذين لم يتعرّضوا للمذبحة، وقد أكّدت النتائج أن هذه الأمراض زادت في «حلبجة» بنسبة أكثر ثلاث أو أربع مرات حتى بعد مرور سنوات طويلة على المذبحة، والغريب أنه نفى خلال التحقيقات أية علاقة له بهذه المذبحة متّهماً إيران بارتكابها.

ولم يسلم الشيعة من الاضطهاد والأذى، فقد حاول صدام قمع الشيعة بالقتل والسجن. فقتل المئات من كبار علماء الدين أمثال المرجع محمد باقر الصدر والعلاّمة محمد مهدي الحكيم[1] بالإضافة إلى أكثر من أربعين عالماً من عائلة الحكيم وآية الله محمد صادق الصدر، كما دمرت قوات صدام أكثر من ١٥٠ موقعاً مقدّساً مثل المساجد والجوامع والمدارس الدينية، وقصفت مراقد الأئمة بالصواريخ في النجف وكربلاء. وقد أكّد المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق أن هناك أكثر من سبعين موقعاً دينياً تم إخلاؤها في مختلف المحافظات وتمّت مصادرة محتوياتها وترحيل القائمين عليها إلى مناطق أخرى.

ولم تقتصر جرائم انتهاك حقوق الإنسان على مذبحة حلبجة وقمع المسلمين الشيعة، بل شمت أيضاً عمليات التعذيب التي تعرّض لها المواطنون العراقيون، فقد أشار أحد تقارير «منظمة العفو الدولية» إلى أن السلطات العراقية قطعت لسان شخص انتقد صدام حسين. وقد تمّ تنفيذ عملية القطع أمام حشد من الناس! كما حدثت عمليات قطع مماثلة في مدينة «الحلة» عام ٢٠٠١. كما قالت منسّقة صحّية في «برنامج الصحة للاجئين» في اليمن أن طفلاً عراقياً كان في عهدتها يحمل علامات ندوب بالإبر على معصميه وساعديه قد تمّ حقنه بمادة سبّبت له تخلّفاً عقلياً شديداً انتقاماً من والده الذي يعارض نظام صدام.

واستخدم صدام في مناسبات عديدة المواطنين المدنيين كدروع بشرية، حيث قام

---

(١) اغتالته المخابرات العراقية في العاصمة السودانية الخرطوم في العام ١٩٨٨.

باحتجاز العشرات من المواطنين قبل اندلاع الحرب الأخيرة. وقام صدام بتوزيعهم على المنشآت العسكرية ليضمن سلامتها. كما أصدر أوامره بربط مجاميع من الرجال والنساء على واجهات الدبابات التي اقتحمت عدداً من المدن العراقية بعد انتهاء حرب الخليج عام ١٩٩١ وفقاً لما أفاد به المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق.

ومن ناحية أخرى كان صدام قد أصدر قراراً يقضي بتطبيق حكم الإعدام ضد كل من ينتمي إلى حزب الدعوة الإسلامية، وبأثر رجعي. ومن ثم فقد تمّ إعدام حوالي خمسين ألفاً داخل السجون والمعتقلات العراقية. بالإضافة إلى عمليات الإعدام الجماعية التي نفّذت ضد المواطنين عام ١٩٩١ وراح ضحيتها أكثر من مائتي ألف مدني. وواصل صدام حسين تنفيذ ما أسماه بعمليات تنظيف وتطهير السجون والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف.

وتشتمل جرائم انتهاك حقوق الإنسان على سلسلة من القرارات غير الإنسانية التي أصدرها عام ٢٠٠٠، وتقضي بإسقاط الجنسية عن فئات وشرائح مختلفة من أبناء الشعب العراقي التي أدّت إلى تهجير وإبعاد أكثر من نصف مليون مواطن عراقي خارج بلادهم، واستولت الحكومة على ممتلكات هؤلاء المواطنين بعد طردهم خارج الحدود.

واستمرّت قرارات صدام التعسفية، وكان أغربها قراراً يقضي بإعدام كل من يسيء بالكلام أو بالعبارة إلى رئيس الدولة!

والغريب أنه أصدر تعليماته في الفترة الأخيرة قبل سقوط حكمه بأن يعاقب من يرتكب أية جريمة من الجرائم التي وصفها بتخريب الاقتصاد القومي بالإعدام، ومن هذه الجرائم التزوير وتهريب السيارات وقطع الغيار والمعدّات الثقيلة والماكينات.

صحيفة «الجارديان» البريطانية قد تحدّثت عن اعتقال العقيد «محمد دهام التكريتي» الذي انشقّ عن جهاز الأمن العام قبل سقوط بغداد. وقال التكريتي أن ما بين ١٥٠ و٢٠٠ مدني قتلوا بصورة عشوائية لاتهامهم بالتآمر وجرى دفنهم في مقبرة جماعية قرب بغداد كجزء من عملية أوسع جرى خلالها إعدام ألف وخمسمائة مدني دون محاكمة.

وذكرت صحيفة «صانداي تايمز» أن قوات الأمن التابعة للنظام هاجمت المصلّين في كربلاء خلال قيامهم بالزيارة إلى مقام الإمام الحسين وقتلت أربعين شخصاً. كما تم

قتل رجل دين مسلم شيعي آخر لرفضه الظهور في التليفزيون لتهنئة قُصي صدام حسين بعد انتخابه لمركز رفيع في حزب البعث.

ففي عام ١٩٩٤ أصدرت حكومة صدام حسين ما لا يقل عن تسعة قوانين فرضت عقوبات وحشية على المواطنين، واستخدمت طريقة بتر الأعضاء ضد مواطنين اتّهموا بالفرار من الجندية، وقد تمّ عرض مواطن بترت يده على شاشة التليفزيون الوطني العراقي كوسيلة لزرع الخوف في قلوب أبناء الشعب.

وخلال عام ١٩٩٤ و١٩٩٥ تمّ قطع أذن أعداد كبيرة من الجنود بسبب الفرار من الجندية، وقامت الحكومة بوشم إشارة «X» بالحديد الحامي على جبين هؤلاء الجنود حتى لا يظن المواطنون أنهم أبطال من جرحى الحرب. وتمّ تهديد الأطباء الذين كانوا يرفضون تنفيذ هذه العمليات بالانتقام. وقد تمّ بالفعل وقف العديد من الأطباء وسجنهم. وأصدرت الحكومة العراقية قانوناً عام ١٩٩٤ يجعل قيام الأطباء الجرّاحين بعمليات تجميل أو تصحيح لضحايا الوشم والبتر أمراً مخالفاً للقانون.

وفي خطوة أحيطت بدعاية قوية أصدر نظام صدام حسين قبل ٤٨ ساعة من بدء الحرب الأمريكية على العراق عفواً شمل السجناء السياسيين والهاربين من الجيش. وبيّنت التقارير الصحفية أنه قد تمّ إعدام بعض السجناء قبل إطلاق سراح السجناء الآخرين.

حتى الأطفال لم يرحمهم نظام صدام، فقد كان نظامه يقوم بتصدير الأدوية المرسلة للأطفال العراقيين المرضى، والأخطر من ذلك كلّه هو خطف أطفال الأقليات كرهائن لإجبار عائلاتهم على الهجرة بهدف زيادة الغالبية «السنية» في بعض المناطق.

وقام نظام صدام بإبادة وتطهير حضارة عرب الأهوار التي تعدّ واحدة من أقدم الحضارات في العالم، وتمتدّ جذورها إلى الحضارة السومرية، وقد وفّرت مناطق الأهوار بجنوب العراق التي تبلغ مساحتها ٥,٢٠٠ كيلومتر مربع أسباب الحياة والبقاء لعشرات الآلاف من سكّانها العرب وطريقة حياتهم الفريدة. وقامت القوات العراقية بتجفيف وتدمير الثلث الشرقي لتلك المنطقة، وكان لذلك تأثير سلبي على المناخ، حيث ارتفعت درجات الحرارة في الجنوب، حيث كانت المسطحات المائية والنباتات تزيد من نسبة الرطوبة في الجو وتخفض درجة الحرارة، ويعدّ ذلك من أكبر الجرائم ضد البيئة في التاريخ المعاصر.

أما بالنسبة للإرتكاب جرائم الحرب، فقد شنّ صدام حسين حربين خلال فترة حكمه للعراق، كانت الحرب الأولى ضد إيران واستمرّت ثماني سنوات منذ عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٨ ، والحرب الثانية هي حرب الكويت أو غزو الكويت عام ١٩٩٠ ، وقد ارتكب صدام جرائم حرب في كلتا الحربين. ففي حرب إيران استخدمت القوات العراقية الأسلحة الكيميائية بأوامر من صدام حسين ضد الجنود الإيرانيين.

وفي حرب الكويت ارتكب صدام وقوّاته جرائم حرب بإعدام مئات الأسرى الكويتيين. وكانت صحيفة «إندبندنت» البريطانية قد تحدّثت عن اكتشاف أكثر من ٢٤ مركز تعذيب في مدينة الكويت، حيث استخدم النظام العراقي الحمّامات الحمضية والصدمات الكهربائية في تعذيب هؤلاء المواطنين.

هذا بالإضافة إلى استخدام مثاقب كهربائية لاختراق جسد الضحايا واستخدام المدنيين كدروع بشرية ، كما نفّذت العديد من عمليات الإعدام دون محاكمة ضد الكويتيين.

أما بالنسبة لخرق القوانين العراقية والدولية. فقد اشتملت تقنيات التعذيب في العراق ـ وفقاً لتقرير أصدره المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق ـ على اقتلاع الأظافر أو طرقها لإدخالها في الأصابع وبتر الأعضاء دون تخدير والحرق بواسطة المكاوي الساخنة ولحام المعادن والتعليق بمراوح السقف إضافة إلى صبّ الحمض على الجلد ورشّ المبيدات في أعين السجناء وكسر الأطراف والاغتصاب والحرمان من الطعام والماء إلى جانب العزل المطوّل في الظلام في أماكن ضيّقة للغاية.

قائمة بأسماء مجموعة من رجال الدين قتلهم نظام صدام حسين

ت	الاسم	المدينة	السنة	الدراسة	طريقة الاغتيال
1	آية الله العظمى الشيخ ميرزا علي الغروي	النجف الاشرف	1998	مرجع ديني	اغتيال بين كربلاء والنجف
2	آية الله الشيخ مرتضى البروجردي	النجف الاشرف	1998	مجتهد واستاذ في الحوزة العلمية	اغتيال في الشارع العام في النجف
3	حجة الاسلام السيد محمد تقي الخوئي	النجف الاشرف	1994	عالم دين	قتل في حادث سير مدبر بين كربلاء والنجف
4	حجة الاسلام السيد أمين الخلخالي	النجف الاشرف	1994	طالب في الحوزة العلمية	قتل في حادث سير مدبر بين كربلاء والنجف
5	حجة الاسلام الشيخ محمد القوجاني	النجف الاشرف	1989	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
6	العلامة السيد مهدي الحكيم	لندن	1988	عالم دين	اغتيال في هيلتون الخرطوم
7	السيد عبد التقي الجزائري	حيرة - نجف	1988	خطيب وواعظ	سم بالثاليوم
8	الشيخ محمد علي الايرواني	كوفة - نجف	1988	خطيب وواعظ	اعتقل من قبل سلطات الامن ووجد مقتولاً
9	السيد محمد الزاملي	كوفة - نجف	1988	خطيب وواعظ	اعتقل ولازال مجهول المصير
10	الشيخ علي العبادي	ميسان	1988	عالم دين	سم بالثاليوم
11	الشيخ عبد الامير الخويلدي	الحلة	1988	عالم دين	سم بالثاليوم
12	السيد عبد الرضا الصافي	كربلاء	1987	عالم دين	قتل من قبل سلطات الامن
13	حجة الاسلام والمسلمين السيدعبد الرسول علي خان	النجف الاشرف	1986	عالم دين	سم بالثاليوم
14	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محسن زاير دهام	النجف الاشرف	1986	عالم دين	سم بالثاليوم
15	حجة الاسلام والمسلمين السيد حسن الحيدري	كاظمية - بغداد	1986	عالم دين	سم بالثاليوم
16	حجة الاسلام الخطيب السيد جابر ابو الريحة	النجف الاشرف	1985	خطيب وواعظ	سم بالثاليوم
17	السيد محمد علي الشهرستاني	كربلاء	1985	خطيب وواعظ	قتل من قبل سلطات الامن

18	حجة الاسلام السيد حسين عباس الميلاني	النجف الاشرف	1985	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
19	حجة الاسلام السيد محسن عباس الميلاني	النجف الاشرف	1985	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
20	حجة الاسلام الشيخ خزعل السوداني	كريعات - بغداد	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
21	حجة الاسلام عبد الجبار الهاشمي	النجف الاشرف	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
22	حجة الاسلام الخطيب السيد نجاح الموسوي	حرية - بغداد	1979	خطيب وواعظ	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
23	حجة الاسلام الشيخ ناظم الخزاعي	غماس - ديوانية	1979	طالب في الحوزة العلمية	اغتيل في الطريق العام
24	حجة الاسلام الشيخ ابراهيم قنبر	خالص - ديالى	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
25	حجة الاسلام السيد عبد الرحيم الياسري	خالص - ديالى	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
26	حجة الاسلام السيد عباس الشوكي	ثورة - بغداد	1979	خطيب وواعظ	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
27	حجة الاسلام الشيخ محمد البشيري	كركوك	1979	عالم دين	قتل من قبل سلطات الامن
28	الفاضل الشيخ عباس التركماني	كركوك	1979	خطيب وواعظ	قتل من قبل سلطات الامن
29	الشيخ جابر النعماني	النعمانية	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
30	الشيخ عبد الحكيم النعماني	النعمانية	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
31	حجة الاسلام الشيخ عبد الخالق العوادي	النجف الاشرف	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
32	حجة الاسلام الشيخ عبد العظيم الاسدي	جميلة - بغداد	1979	عالم دين	قتل من قبل سلطات الامن
33	حجة الاسلام الشيخ محمد حسن الكعبي	ثورة - بغداد	1979	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
34	حجة الاسلام الشيخ مسلم محمد علي الجابري	الفهود - ناصرية	1979	عالم دين	قتل من قبل سلطات الامن
35	حجة الاسلام السيد جواد الحلو	المشخاب - نجف	1979	عالم دين	سم بالثاليوم
36	حجة الاسلام الشيخ ناظم البصري	كرادة - بغداد	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
37	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عبد الجبار البصري	السلام - بغداد	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
38	آية الله السيد قاسم المبرقع	ثورة - بغداد	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
39	حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد رضا محمد حسين الحكيم	النجف الاشرف	1985	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
40	حجة الاسلام والمسلمين الدكتور السيد د. عبد الهادي محسن الحكيم	النجف الاشرف	1985	عالم دين	اعدم في مديرية الامن العامة
41	حجة الاسلام السيد عبد الصاحب محمد حسين الحكيم	النجف الاشرف	1985	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
42	حجة الاسلام السيد محمد حسن محمد علي الحكيم	النجف الاشرف	1985	استاذ في الحوزة العلمية	زرق بحقنة سامة

43	حجة الاسلام السيد حسن عبد الهادي الحكيم	النجف الاشرف	1985	طالب في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
44	آية الله السيد عبد المجيد محمود الحكيم	النجف الاشرف	1985	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
45	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ ماجد البدراوي	كوفة - نجف	1985	عالم دين	اعدم في مديرية الامن العامة
46	آية الله السيد نصر الله المستنبط	النجف الاشرف	1985	مرجع ديني	زرق بإبرة سامة في بيته
47	حجة الاسلام الشيخ عباس المطراوي	القاسم - ديوانية	1985	استاذ في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
48	حجة الاسلام الشيخ علي قبلة	النجف الاشرف	1985	استاذ في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
49	حجة الاسلام الشيخ عزيز العصاري	النجف الاشرف	1985	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل سلطات الامن
50	الشيخ حميد الكوتاوي	الكـــوت	1985	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
51	السيد عصام شبر	البصرة	1984	عالـــم ديــن	اغتيل بين كربلاء والنجف
52	حجة الاسلام الشيخ محمد يونس الاسدي	البياع - بغداد	1984	عالـــم ديــن	اعدم من قبل سلطات الامن
53	حجة الاسلام حسين جودة	غماس- ديوانية	1984	عالـــم ديــن	توفي تحت التعذيب
54	السيد نور محمد البلخي	النجف الاشرف	1984	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
55	السيد نور محمد البلخي	النجف الاشرف	1984	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
56	الشيخ جبار فرج الله	النجف الاشرف	1984	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
57	الشيخ صلاح الساعدي	كربـــلاء	1984	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
58	السيد باقر عبد الصاحب الموسوي	النجف الاشرف	1984	طالب في الحوزة العلمية	توفي تحت التعذيب عمره ١٤ سنة
59	حجة الاسلام الشيخ عبد الجليل مال الله	بعقوبـــة	1980	عالـــم ديــن	توفي اثناء القبض عليه
60	حجة الاسلام الشيخ حسن البهادلي	ميســـان	1980	عالـــم ديــن	توفي تحت التعذيب
61	حجة الاسلام الشيخ عبد الامير الساعدي	طويريج - كربلاء	1980	عالـــم ديــن	زرق بحقنة سامة
62	حجة الاسلام الشيخ عبد المنعم الساعدي	ميســـان	1980	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
63	حجة الاسلام الشيخ شريف الجابري	النجف الاشرف	1980	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
64	حجة الاسلام السيد زين العابدين الموسوي	الكفل - الحلة	1980	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
65	السيد زيد الموسوي	الكفل - الحلة	1980	عالـــم ديــن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
66	الشيخ فرحان البغدادي	كاظمية - بغداد	1980	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
67	الشيخ ناظم النجفي	النجف الاشرف	1980	عالـــم ديــن	اعدم في مديرية الامن العامة

68	السيد محمد صادق البطاط	الكفل - الحلة	1980	طالب في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
69	حجة الاسلام الشيخ قاسم هادي ضيف	البياع - بغداد	1980	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العامة
70	الشيخ صالح هادي الصنناوي	دواية - ناصرية	1980	خطيب وواعظ	اعدم في مديرية الامن العامة
71	الشيخ محمد اليوسفي	النجف الاشرف	1980	عالـم ديـن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
72	آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري	النجف الاشرف	1980	مجتهد واستاذ في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
73	الشيخ محمد النهاوندي	النجف الاشرف	1980	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
74	الشيخ عبد الرزاق احمد الجواهري	كـربـلاء	1980	عالـم ديـن	قتل من قبل سلطات الامن
75	الشيخ عبد الحسين حبيب الله الحائري	كـربـلاء	1980	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العامة
76	الشيخ عبد الخالق عباس الهندي	بغـداد	1979	عالـم ديـن	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
77	الشيخ صادق الاسدي	بغـداد	1979	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العامة
78	آية الله السيد مهدي القزويني	كـربـلاء	1982	عالـم ديـن	اعتقل ولازال مجهول المصير
79	حجة الاسلام الشيخ ايوب البهادلي	ميسـان	1982	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العامة
80	حجة الاسلام الخطيب السيد عبد المطلب ابو الريحة	النجف الاشرف	1982	خطيب وواعظ	سم بالثاليـوم
81	حجة الاسلام الشيخ علي عزيز حسين	كاظمية - بغداد	1981	طالب في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
82	حجة الاسلام السيد هادي القمي	النجف الاشرف	1981	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
83	حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد الطبطبائي	كـربـلاء	1981	عالـم ديـن	اعتقل وحكم عليه بالمؤبد
84	الشيخ نثار حسين الكشميري	النجف الاشرف	1981	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
85	حجة الاسلام الشيخ مهدي البشيري	طوز - كركوك	1981	عالـم ديـن	قتل من قبل سلطات الامن
86	حجة الاسلام الشيخ جليل ابراهيم	طوز - كركوك	1981	عالـم ديـن	قتل من قبل سلطات الامن
87	الشيخ احمد الانصاري	النجف الاشرف	1981	عالـم ديـن	اعتقل ولازال مجهول المصير
88	حجة الاسلام الشيخ عباس البهبهاني	النجف الاشرف	1981	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
89	آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر	النجف الاشرف	1980	مرجع ديني	اعدم في مديرية الامن العامة
90	الشيخ علي اكبر هاشميان	النجف الاشرف	1980	عالـم ديـن	اعتقل ولازال مجهول المصير
91	الشيخ صالح الرفاعي	النجف الاشرف	1980	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العامة

92	الشيخ صادق حسن اليعقوبي	بغـــداد	1980	عالـم ديـــن	اعدم في مديرية الامن العامة
93	الشيخ سالم البغدادي	كاظمية - بغداد	1980	خطيب وواعظ	اعدم في مديرية الامن العامة
94	حجة الاسلام والمسلمين السيد حسن الشيرازي	بيـــروت	1980	عالـم ديـن	اغتيل في بيـــروت
95	آية الله السيد محمد طاهر الحيدري	بغـــداد	1980	عالـم ديـن	سم بالثاليـــوم
96	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ حسين معن	النجف الاشرف	1980	عالـم ديـن	توفي تحت التعذيب
97	حجة الاسلام السيد عبد الباقي الموسوي	النجف الاشرف	1984	طالب في الحوزة العلمية	توفي تحت التعذيب عمره ١٧ سنة
98	آية الله السيد عبد الصاحب محسن الحكيم	النجف الاشرف	1983	مجتهد واستاذ فـي الحـوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
99	حجة الاسلام والمسلمين السيد كمال الدين يوسف الحكيم	النجف الاشرف	1983	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
100	حجة الاسلام والمسلمين السيد علاء الدين محسن الحكيم	النجف الاشرف	1983	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العامة
101	حجة الاسلام والمسلمين السيد عبد الوهاب يوسف الحكيم	النجف الاشرف	1983	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العام
102	حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد حسين محسن الحكيم	النجف الاشرف	1983	استاذ في الحوزة العلمية	اعدم في مديرية الامن العام
103	حجة الاسلام السيد محمد علي الغروي	شامية - ديوانية	1983	عالـم ديـن	اعدم في مديرية الامن العام
104	حجة الاسلام الشيخ ناظم غلام المندلاوي	مندلي - ديالى	1983	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثور
105	الشيخ عبد الرزاق البغدادي	النجف الاشرف	1983	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
106	السيد كاظم شبـــر	النجف الاشرف	1983	استاذ في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
107	حجة الاسلام الشيخ غالي الاسدي	الناصريـــة	1983	عالـم ديـن	سم بالثاليـــوم
108	حجة الاسلام الخطيب السيد عباس الحلو	كوفة - نجف	1982	خطيب وواعـظ	سم بالثاليوم، مديرية امن النجف
109	السيد عبد الصاحب الحلو	مشخاب - نجف	1982	عالـم ديـن	اعـتقل مـع ابـنه ولازالا مجهولـي المصير
110	السيد كاظم الحلو	حصوة - بغداد	1982	عالـم ديـن	توفي تحت التعذيب
111	آية الله السيد محمد تقي الجلالي	القاسم - ديوانية	1982	مجتهد في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
112	حجة الاسلام السيد صابر الشرع	النجف الاشرف	1982	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير
113	حجة الاسلام السيد جواد الخرسان	النجف الاشرف	1982	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصي
114	الشيخ جاسم الكعبي	النجف الاشرف	1982	طالب في الحوزة العلمية	اعتقل ولازال مجهول المصير

115	السيد ضياء الدين الهاشمي	النجف الاشرف	1982	عالم دين	اعدم في مديرية الامن العامة
116	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مهدي السماوي	السماوة	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
117	آية الله السيد قاسم شبر	النعمانية	1979	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
118	الاستاذ السيد طاهر ابو رغيف	البصرة	1977	عالم دين	حادث سير مدبر في البصرة
119	حجة الاسلام والمسلمين السيد عز الدين القبانجي	النجف الاشرف	1974	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
120	حجة الاسلام السيد عماد الدين الطباطبائي	النجف الاشرف	1974	طالب في الحوزة العلمية	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
121	حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عارف البصري	كرادة - بغداد	1974	عالم دين	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
122	حجة الاسلام الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي	كربلاء	1972	خطيب وواعظ	سم بالثاليوم
123	الشيخ احمد فرج البهادلي	النجف الاشرف	1971	عالم دين	سم بالثاليوم
124	السيد محمد حسن الحائري	النجف الاشرف	1970	طالب في الحوزة العلمية	سم بالثاليوم

بالإضافة إلى اغتيال المرجع السيد محمد صادق الصدر ونجليه «الصدر الثاني» والشهيد عبد العزيز البدري

السجون والمعتقلات في عهد صدام

أدناه قائمة باسماء السجون والمعتقلات التي كانت تمارس فيها انتهاكات حقوق الانسان والتي انشئها نظام صدام حسين في العراق:

1ـ سجون ابو غريب ـ على طريق بغداد ـ الفلوجة.

2ـ سجن الفضيلية ـ في بغداد.

3ـ معتقل مديرية الأمن العامة ـ الكرادة الشرقية ـ بغداد.

4ـ معتقل مديرية امن بغداد ـ شارع ٥٢ ـ الكرادة ـ بغداد.

5ـ سجن معسكر الرشيد ـ بغداد.

6ـ سجن معسكر التاجي ـ بغداد.

7ـ سجن الزعفرانية للنساء ـ الزعفرانية بغداد.

8ـ سجن الزعفرانية للرجال ـ الزعفرانية بغداد.

9ـ سجن الشعبة الرابعة ـ وزارة الدفاع ـ بغداد.

10ـ موقف الحارثية العسكري ـ بغداد.

11ـ معتقل الرجيبية ـ قرب الرجيبية ـ بغداد.

12ـ معتقل امن الرصافة ـ بغداد.

13ـ معتقل امن الكاظمية ـ ساحة الزهراء ـ مدينة الكاظمية ـ بغداد.

14ـ معتقل امن عطيفية الجسر - بستان الخاتون ـ مدينة الكاظمية ـ بغداد.

15ـ معتقل الراشدية ـ بغداد.

16ـ معتقل امن مدينة الحرية الأول ـ مدينة الحرية - بغداد 17ـ معتقل امن مدينة الحرية الثانية ـ مدينة الحرية ـ بغداد.

18ـ معتقل امن مدينة الثورة.

وهو عبارة عن عدة ابنية متفرعة في مدينة الثورة ـ بغداد.

19ـ معتقل الصليخ ـ بغداد ـ سبع ابكار.

20ـ معتقل سلمان باك ـ سلمان باك ـ بغداد.

21ـ معتقل سيد محمد ـ منطقة سيد محمد ـ بغداد.

22ـ معتقل أمن الدورة ـ الدورة ـ بغداد.

23ـ معتقل امن الشعلة ـ الشعلة ـ بغداد.

24ـ معتقل حي العدل ـ بغداد.

25ـ معتقل شرطة السراي ـ بغداد.

26ـ معتقل الطارمية ـ الطارمية ـ بغداد.

27ـ معتقل بغداد الجديدة ـ بغداد الجديدة ـ بغداد.

28ـ معتقلات الحرس الجمهوري في عدة مناطق في بغداد.

29ـ معتقلات الجيش الشعبي في عدة مناطق في بغداد.

30ـ معتقلات جهاز امن صدام الخاص ـ في بغداد.

31ـ معتقلات الاستخبارات العسكرية في عدة مناطق في بغداد.

32ـ معتقل مديرية الجنسية العامة ـ بغداد.

33ـ معتقل دائرة الانضباط العامة ـ بغداد.

34ـ سجن المحمودية ـ المحمودية ـ محافظة بابل.

35ـ معتقل امن اليوسفية ـ اليوسفية ـ محافظة بابل.

36ـ معتقل امن المسيب ـ المسيب ـ محافظة بابل.

37ـ معتقل المحاويل ـ المحاويل ـ محافظة بابل.

38ـ معتقل سدة الهندية ـ سدة الهندية ـ محافظة بابل.

39ـ معتقل الاسكندرية ـ الاسكندرية ـ محافظة بابل.

40ـ معتقل المدحتية ـ المدحتية ـ محافظة بابل.
41ـ معتقل الهاشمية ـ الهاشمية ـ محافظة بابل.
42ـ معتقل الحمزة ـ الحمزة ـ محافظة بابل.
43ـ معتقل القاسم ـ القاسم ـ محافظة بابل.
44ـ معتقل الكفل ـ الكفل ـ محافظة بابل.
45ـ معتقل امن طوريج ـ طوريج ـ محافظة بابل.
46ـ سجن الحلة الكبير ـ بابل مشهد ـ الحلة محافظة بابل.
47ـ معتقل امن الحلة ـ الحلة ـ محافظة بابل.
48ـ سجن الطهمازية ـ الحلة ـ محافظة بابل.
49ـ معتقل الكوفة ـ الكوفة ـ محافظة النجف.
50ـ معتقل امن النجف ـ محافظة النجف.
51ـ سجن النجف ـ محافظة النجف.
52ـ سجن كميل (تحت الارض) ـ النجف.
53ـ معتقل خان المصلى ـ خان المصلى ـ النجف.
54ـ معتقل ام القرون ـ ام القرون ـ النجف.
55ـ معتقل حي سعد ـ حي سعد ـ النجف.
56ـ معتقل واقصة ـ واقصة ـ النجف.
57ـ معتقل بئر النصف ـ بئر النصف ـ النجف.
58ـ معتقل السكر ـ السكر ـ النجف.
59ـ معتقل الصحن ـ مركز النجف ـ النجف.
60ـ معتقل العطيشي ـ كربلاء.
61ـ سجن الحي العباسي الحي العباسي ـ كربلاء.
62ـ معتقل بحر الملح ـ كربلاء.
63ـ معتقل الرزازة ـ كربلاء.
64ـ معتقل سيد محمد ـ كربلاء.

65- معتقل خان النخيلة - كربلاء.

66- معتقل المخابرات -محافظة كربلاء.

67- سجن الاخيضر - كربلاء.

68- سجن عين التمر - كربلاء.

69- سجن الديوانية - الديوانية - محافظة القادسية .

70- سجن الشامية - الشامية - محافظة القادسية.

71- معتقل امن الديوانية - محافظة القادسية.

72- معتقل الشامية - الشامية - محافظة القادسية.

73- معتقل الشنافية - محافظة القادسية.

74- معتقل سيد عباس - محافظة القادسية.

75- سجن قلعة الصغير - محافظة القادسية.

76- سجن الرواشد - الرواشد - محافظة القادسية.

77- سجن عفك - عفك - محافظة القادسية.

78- معتقل قلعة مجنونة - مجنونة - محافظة القادسية.

79- معتقل ابو طبيخ - محافظة القادسية.

80- سجن السماوة - مدينة السماوة - محافظة المثنى.

81- سجن الرميثة - الرميثة - محافظة المثنى.

82- معتقل الحافظ - محافظة المثنى.

83- معتقل جتات - محافظة المثنى.

84- معتقل القصير - محافظة المثنى.

85- معتقل الحمدانية - محافظة المثنى.

86- سجن نقرة السلمان - مدينة السلمان - مجافظة المثنى.

87- سجن السماوة (تحت الارض) - السماوة - محافظة المثنى.

88- معتقل الرميثة - الرميثة - محافظة المثنى.

89- معتقل الابطية - محافظة المثنى.

90ـ سجن الكوت المركزي ـ الكوت ـ محافظة واسط 91 ـ معتقل امن الكوت ـ الكوت ـ محافظة واسط.

92ـ معتقل امن الحي ـ محافظة واسط.

93ـ معتقل النعمانية ـ النعمانية ـ محافظة واسط.

94ـ معتقل بدرة ـ محافظة واسط.

95ـ معتقل العزيزية ـ محافظة واسط.

96ـ معتقل الصويرة ـ الصويرة ـ محافظة واسط.

97ـ معتقل جصان ـ جصان ـ محافظة واسط.

98ـ سجن العمارة المركزي ـ العمارة ـ محافظة ميسان.

99ـ معتقل امن العمارة ـ محافظة ميسان.

100ـ معتقل امن المجر الكبير ـ محافظة ميسان.

101ـ معتقل علي الغربي ـ علي الغربي ـ محافظة ميسان.

102ـ سجن قلعة صالح ـ محافظة ميسان.

103ـ معتقل قلعة صالح ـ محافظة ميسان.

104ـ معتقل العزير ـ محافظة ميسان.

105ـ معتقل الكحلاء ـ محافظة ميسان.

106ـ معتقل الحلفاية ـ محافظة ميسان.

107ـ معتقل الكيارة ـ محافظة ميسان.

108ـ معتقل امن الناصرية ـ الناصرية ـ محافظة ذي قار.

109ـ سجن الناصرية المركزي ـ الناصرية ـ محافظة ذي قار.

110ـ معتقل قلعة سكر ـ محافظة ذي قار.

111ـ معتقل امن سوق الشيوخ ـ محافظة ذي قار.

112ـ معتقل الرفاعي ـ محافظة ذي قار.

113ـ معتقل الشطرة ـ محافظة ذي قار.

114ـ معتقل الجبايش ـ محافظة ذي قار.

115ـ معتقل حاج ياسين ـ محافظة ذي قار.

116ـ معتقل البطحاء ـ محافظة ذي قار.

117ـ معتقل سوق الشيوخ ـ محافظة ذي قار.

118ـ معتقل الخضر ـ محافظة ذي قار.

119ـ معتقل الغويبشية ـ محافظة ذي قار.

120ـ سجن البصرة المركزي ـ محافظة البصرة.

121ـ معتقل امن البصرة ـ محافظة البصرة.

122ـ معتقل القرنة ـ محافظة البصرة.

123ـ معتقل الجبايش ـ محافظة البصرة.

124ـ سجن الهارثة ـ محافظة البصرة.

125ـ معتقل ابو الخصيب ـ محافظة البصرة.

126ـ سجن الزبير ـ محافظة البصرة.

127ـ معتقل امن الزبير ـ محافظة البصرة.

128ـ معتقل الفاو ـ محافظة البصرة.

129ـ معتقل كوت زين ـ محافظة البصرة.

130ـ معتقل ام قصر ـ محافظة البصرة.

131ـ سجن الرميلة ـ محافظة البصرة.

132ـ معتقل العشار ـ محافظة البصرة.

133ـ معتقل الشلمجة ـ محافظة البصرة.

134ـ سجن الشعيبة العسكري ـ محافظة البصرة.

135ـ سجن بعقوبة ـ محافظة ديالى.

136ـ معتقل خان بني سعد ـ محافظة ديالى.

137ـ معتقل المقدادية ـ محافظة ديالى.

138ـ سجن مندلي ـ محافظة ديالى.

139ـ سجن خانقين ـ محافظة ديالى.

140ـ معتقل جلولاء ـ محافظة ديالى.

141ـ معتقل الخالص ـ محافظة ديالى.

142ـ معتقل جديدة الشط ـ محافظة ديالى.

143ـ سجن سامراء ـ مجافظة صلاح الدين.

144ـ معتقل امن سامراء ـ محافظة صلاح الدين.

145ـ معتقل امن بيجي ـ محافظة صلاح الدين.

146ـ سجن بيجي ـ محافظة صلاح الدين.

147ـ معتقل امن تكريت ـ محافظة صلاح الدين.

148ـ المعتقلات الخاصة في تكريت ـ محافظة صلاح الدين.

149ـ معتقل بلد ـ محافظة صلاح الدين.

150ـ معتقل بحيرة الثرثار ـ محافظة صلاح الدين.

151ـ سجن الرمادي ـ محافظة الانبار.

152ـ معتقل امن الرمادي ـ محافظة الانبار.

153ـ معتقل الفلوجة ـ محافظة الانبار.

154ـ معتقل امن الحبانية ـ محافظة الانبار.

155ـ معتقل معسكر الحبانية ـ محافظة الانبار.

156ـ معتقل امن عانة ـ محافظة الانبار.

157ـ معتقل القائم ـ محافظة الانبار.

158ـ معتقل الرطبة ـ محافظة الانبار.

159ـ سجن كركوك المركزي ـ محافظة التأميم.

160ـ معتقل امن كركوك ـ محافظة التأميم.

161ـ معتقل امن طوز خورماتو ـ محافظة التأميم.

162ـ معتقل كفري ـ محافظة التأميم.

163ـ معتقلات قوات الاستخبارات العسكرية في كركوك ـ محافظة التأميم.

164ـ معتقل جمجمال ـ محافظة التأميم.

165- معتقل الحويجة - محافظة التأميم.

166- معتقل مديرية الشرطة في كركوك - محافظة التأميم.

167- سجن السليمانية - محافظة السليمانية.

168- معتقل امن السليمانية - محافظة السليمانية.

169- معتقلات الاستخبارية العسكرية في السليمانية - محافظة السليمانية.

170- معتقل حلبجة - محافظة السليمانية.

171- معتقل قلعة دزة - محافظة السليمانيةلا.

172- معتقل رانية - محافظة السليمانية.

173- معتقل بنجوين - محافظة السليمانية.

174- سجن سوسا - محافظة السليمانية.

175- سجن دوكان - محافظة السليمانية.

176- سجن اربيل المركزي - محافظة اربيل.

177- معتقل امن اربيل - محافظة اربيل.

178- سجن القلعة - محافظة اربيل.

179- معتقل راوندوز - محافظة اربيل.

180- معتقل صلاح الدين - محافظة اربيل.

181- معتقل شقلاوة - محافظة اربيل.

182- معتقل حاج عمران - محافظة اربيل.

183- سجن دهوك - محافظة دهوك.

184- معتقل امن دهوك - محافظة دهوك.

185- معتقل امن عقرة - محافظة دهوك.

186- معتقل امن العمادية - محافظة دهوك.

187- معتقل امن زاخو - محافظة دهوك.

188- معتقلات الاستخبارات العسكرية في دهوك - محافظة دهوك.

189- سجن الموصل المركزي - محافظة نينوى.

190ـ سجن الغزلاني العسكري ـ محافظة نينوى.

191ـ معتقل امن الموصل ـ محافظة نينوى.

192ـ سجن عين زالة ـ محافظة نينوى.

193ـ معتقل عين سفني ـ محافظة نينوى.

194ـ معتقل حمام العليل ـ محافظة نينوى.

195ـ معتقل الخضر ـ محافظة نينوى.

196ـ معتقل تلعفر ـ محافظة نينوى.

197ـ معتقل سنجار ـ محافظة نينوى.

198ـ مديرية امن دهوك - محافظة دهوك.

199-سجن بنكرد -محافظة السليمانية.

200- معتقل جمجمال - محافظة السليمانية.

الفصل الرابع

من وثائق صدام

قرار رقم ١١٤٠[1]

إستنادا إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٩/ ٨/ ١٩٧٩ ما يلي :

١ ـ منح الفريق الأول الركن صدام حسين رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة رتبة مهيب ركن إعتبارا من ١٧ تموز ١٩٧٩.

٢ ـ ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذ أحكامه.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

قرار بأعدام المنتسبين لحزب الدعوة الاسلامية

استنادا إلى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت، قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٨٠ م مايلي :

لما كانت وقائع التحقيق والمحاكمات قد اثبت بأدلة قاطعة ان حزب الدعوة هو حزب عميل مرتبط بالاجنبي وخائن لتربة الوطن ولاهداف ومصالح الامة العربية، ويسعى بكل الوسائل إلى تقويض نظام حكم الشعب ومجابهة ثورة (١٧) تموز مجابهة مسلحة.

لذلك قرر مجلس قيادة الثورة تطبيق احكام المادة (١٥٦) من قانون العقوبات بحق المنتسبين إلى الحزب المذكور مباشرة أو العاملين لتحقيق اهدافه العميلة تحت واجهات أو مسميات اخرى.

ينفذ هذا القرار على الجرائم المرتكبة قبل صدوره التي لم يصدر قرار باحالتها على المحكمة المختصة.

---

(١) لدينا نسخاً أصلية للكثير من الوثائق المنشورة هنا.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

ويذكر ان المادة (١٥٦) من قانون العقوبات تنص على ما يلي :

يعاقب بالاعدام من ارتكب عمدا فعلا بقصد المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة اراضيها وكان الفعل من شأنه ان يؤدي إلى ذلك.

* * *

الجمهورية العراقية - وزارة الداخلية ـــ برقية رقم ٢٨٨٤ في ١٩٨٠/٤/١٠

لوحظ وقوع اخطاء والتباسات عديدة من قبل اجهزتكم في التسفيرات وتحديد المشمولين بها والمستثنين من التسفير. توضيحا للتعليمات السابقة، ادناه الضوابط التي يجب العمل بموجبها في هذا الشأن :

١- يسفر جميع الايرانيين الموجودين في القطر وغير الحاصلين على الجنسية العراقية وكذلك المتقدمين بمعاملات التجنس ايضا ممن لم يبت بأمرهم.

٢- عند ظهور عائلة، البعض منها حاصلون على شهادة الجنسية تشملهم الضوابط الا ان البعض الاخر مشمولون فيعمد مبدأ (وحدة العائلة خلف الحدود) مع سحب الوثائق اي الجنسية ان وجدت والاحتفاظ بها لديكم، ومن ثم ارسالها إلى الوزارة مع تزويد الوزارة بقوائم المشمولين بقرارنا هذا ليتسنى لنا اسقاط الجنسية عنهم.

٣- يجري تسفير البعض خاصة العوائل عن طريق القومسيرية وفي حالة عدم استلامهم يجري تسفيرهم من مناطق الحدود الاعتيادية.

الاستثناءات :

اولا : العسكريون على مختلف الرتب يسلمون إلى الانضباط العسكري في بغداد للتصرف بهم من قبلها وحسب التعليمات المبلغة اليها.

ثانيا : عدم تسفير الشباب المشمولين بالتسفير المقيمين في القطر وتزود هذه الوزارة بقوائم تتضمن هوياتهم الكاملة واعمالهم.

ثالثا : النساء الايرانيات المتزوجات من اشخاص عراقيين ترسل قوائم بأسمائهن إلى الوزارة.

رابعا : عدم تسفير الشباب المشمولين بالتسفير الذين اعمارهم من ١٨ ـ ٢٨ سنة والاحتفاظ بهم في مواقف المحافظات إلى اشعار آخر.

خامسا : يستثنى من التسفير الارمن الايرانيون المقيمون في القطر وتزود الوزارة بقوائم تتضمن هوياتهم الكاملة واعمالهم.

سادسا : لا يشمل التسفير الاجئين السياسيين الايرانيين.

سابعا : يستثنى العرب العربستانيون المقيمون في القطر من التسفير.

ثامنا : عند ظهور اية حالة من غير الواردة اعلاه اعلامنا هاتفيا قبل البت فيها.

نؤكد امرنا في فتح النار على من يحاول العودة إلى الاراضي العراقية من المسفرين.

انتهت.

نرجو الاطلاع والعمل بموجبه.

وزير الداخلية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

قرار رقم ٦٦٦

قرار استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتأريخ ٧/ ٥/ ١٩٨٠ ما يلي:

١ ـ تُسقط الجنسية العراقية عن كل عراقي من اصل اجنبي اذا تبين عدم ولائه للوطن والشعب والاهداف القومية والاجتماعية العليا للثورة.

٢ ـ على وزير الداخلية ان يأمر بابعاد كل من اسقطت عنه الجنسية العراقية بموجب الفقرة (١) ما لم يقتنع بناء على اسباب كافية بأن بقاءه في العراق أمر تستدعيه ضرورة قضائية أو قانونية أو حفظ حقوق الغير الموثوقة رسمياً ؛

٣ ـ يتولى وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

قرار رقم ٤٧٤

استنادا إلى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتأريخ ١٥/ ٤/ ١٩٨١ ما يلي :

١ - يصرف للزوج العراقي المتزوج من امرأة من التبعية الايرانية مبلغ قدره اربعة آلاف دينار اذا كان عسكريا وألفان وخمسمائة دينار اذا كان مدنيا في حالة طلاق زوجته أو في حالة تسفيرها إلى خارج القطر.

٢ - يشترط في منح المبلغ المشار اليه في الفقرة (١) من هذا القرار ثبوت حالة الطلاق أو التسفير بتأييد من الجهات الرسمية المختصة واجراء عقد زواج جديد من عراقية.

٣ - يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

مكتب امانة السر ـ سري وشخصي

رقم ٣١/ ١٣/ ٢٤٦٩

تاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٨١

نشير إلى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٧٤ في ١٥/ ٤/ ١٩٨١.

تقرر ما يلي :

١- يصرف المبلغ المشار اليه في القرار اعلاه للمتزوج من ايرانية قبل نفاذ القرار المذكور ممن يبادر إلى طلاق زوجته وعدم العودة لمطلقته ولا يصرف المبلغ في حالة الزواج من ايرانية بعد نفاذه ولو بادر بتطليقها بعد ذلك.

٢- عند ايقاع الطلاق تقوم وزارة العدل باشعار وزارة الداخلية لتقوم الاخيرة من جانبها بتسفير المطلقة المذكورة إلى خارج القطر.

٣- يلزم الشخص الذي استفاد من قرار مجلس قيادة الثورة اعلاه بعدم الزواج ثانية من ايرانية وفي حالة زواجه يسترد منه كافة المبلغ.

* * *

جريمة حرب - امر بأعدام الاسرى من حرس الثورة الاسلامية ميدانيا

رسالة سرية وفورية

وقت الانشاء ويومية

١٥ ك / ١٩٨١

من / ك م م ٨

الى / بط ٢ / بط ٣ ك م م ٨

رقم المنشئ / ٢٣٢ (٠) ق. ص

ما يلي رسالة ف ل ٣ السرية والفورية ٥٥٠٠ في ٤ / ١ والمبلغة الينا بموجب رسالة فق ١ السرية والفورية ٣٩٨ في ٥ / ١ و (اط) تبدأ (٠) لوحظ مؤخرا ان بعض الوحدات لازالت ترسل جرحى العدو الفارسي من حرس خميني إلى المستشفيات لغرض علاجهم (٠) نؤكد على ضرورة العمل واعتبار حرس خميني كمجوس حرب والتعامل معهم ميدانيا (٠) انتهت.

النقيب

ع / آمر ك م م /٨

* * *

من ارشيف قرارات النظام

قرار بالامتيازات الممنوحة للعرب المتجنسين بالجنسية العراقية في حين حرم النظام ابناء الوطن من ادنى الحقوق (لا نقول الامتيازات)، بل وحرم الكثيرين منهم من شهادة الجنسية، وقام بتهجير اخرين ومصادرة اموالهم!!

* * *

قرار مجلس قيادة الثورة العراقي المرقم ١٠٩٦ في ١٤/٩/ ١٩٨٥

إستنادا إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور، قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٨٥ ما يلي :

أولا : يتمتع المواطن العربي المتجنس بالجنسية العراقية بالأمتيازات التالية.

١ـ يمنح قطعة أرض سكنية مجانا في جميع المحافظات (عدا بغداد) وبمساحة قدرها ٢٠٠ متر مربع بعد مضي ثلاث سنوات على تجنسه، فإن زادت مساحة الأرض عن ذلك فيتم تمليكه الزيادة وفق الأسعار السائدة في المنطقة.

٢ـ يسمح له بشراء قطعة أرض سكنية أو دار سكن في بغداد بعد مضي خمسة سنوات على تجنسه وفق الأسس المقررة للعراقيين.

٣ـ تصرف له سلفة المصرف العقاري في الحالتين المشار إليهما (١) و (٢) أعلاه.

٤ـ تصرف له مخصصات السكن وفق الضوابط المعمول بها خلال مدة السنوات العشر التالية لتاريخ تجنسه وتقطع عنه إذا تملك قطعة أرض سكنية أو دار للسكن قبل مضي تلك المدة.

٥ـ لا يحق له التصرف بقطعة الأرض السكنية أو دار السكن قبل مضي عشر سنوات على تاريخ منحها أو تملكها.

٦ـ يتم التعاقد من المواطنين العرب المتجنسين بالجنسية العراقية من الفلاحين لأستثمار الأراضي الزراعية وتمنح لهم السلف الزراعية والتسهيلات الأخرى.

٧ـ تتولى الجهات المختصة بناء المجمعات السكنية لإسكان الفلاحين العرب المتجنسين بالجنسية العراقية بدون بدل، و تملك لهم بعد مضي عشر سنوات من تاريخ إشغالها.

٨ـ يسمح له بالتحويل الخارجي إلى ذويه أو المسؤول عن إعالتهم شرعا في الخارج ووفق النسب المقررة خلال مدة السنوات السبع التالية لتاريخ تجنسه، وتخفض هذه النسبة إلى ٥٠٪ بعد مضي المدة المذكورة.

٩ـ يسمح له و لإفراد عائلته (بما في ذلك زوجته العراقية) بالسفر إلى بلده مرة واحدة في السنة.

١٠- يسمح لغ بإدخال سيارته الشخصية وفقا لتعليمات الاستيراد الشخصي المعمول بها.

ثانيا: تسري الأمتيازات المنصوص عليها في هذا القرار على المواطن العربي المتجنس بالجنسية العراقية قبل تاريخ صدوره.

ثالثا: يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية وشخصي

آمر قاطع اربيل

الحركات

العدد / ح١/ ٢٧٧

التاريخ ٣/ ٨/ ١٩٨٦

الى وحدات القاطع : ف ٢٤ د.ر.و

السيطرة على قنابل البايولوجية الكيماوية

كتاب وزارة الداخلية السري للغاية والشخصي ٢٨٨ في ١٨/ ٥/ ١٩٨٦ وكتاب وزارة الدفاع السري للغاية والشخصي ١٠١٣٥ في ٢٥/ ٤/ ١٩٨٦ المبلغ بأعلاه دائرة التدريب ١٣٦ في ٢٧/ ٥/ ١٩٨٦ المثبت على اصل كتاب رئاسة اركان الجيش المكتب الخاص السري للغاية والشخصي ٥٨٠١ في ٢٦/ ٥/ ١٩٨٦ المبلغ بكتاب قيادة الفيلق الخاص السري للغاية والشخصي ١٥٣٠ في ٢/ ٦/ ١٩٨٦ والمعطوف على كتاب اللجنة المختصة المسيطرة على تداول المواد البايولوجية والكيمائية السري للغاية والشخصي ٢٢ في ٢٣/ ٦/ ١٩٨٦ والمبلغ الينا بكتاب قيادة قواة جحفل الدفاع الوطني / ٥ السري للغاية وشخصي ٢٩٢ في ٢٤/ ٨/ ١٩٨٦.

ننسب اجراء جرد نصف سنوي لكافة المواد المسيطر عليها في الوحدات التي

تتعامل بها على ان تصلها قوائم الجرد قبل يوم ٦/٨/١٩٨٦ وبالسرعة لطلبها من المراجع واعلامنا.

العميد ضياء عبد الوهاب عزت

آمر قاطع اربيل

توقيع

سري للغاية وشخصي

* * *

قرار رقم ٧٤٩ لعام ١٩٨٦

استنادا إلى احكام الفقرة ـ أ ـ من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٥/٩/١٩٨٦ ما يلي :

١ـ تمنع المحاكم ودوائر الشرطة من سماع أية دعوة ضد المفارز المكلفة بتعقيب الهاربين والمتخلفين عن اداء الخدمة العسكرية في حالة اضطرار تلك المفارز إلى استعمال القوة بهدف القاء القبض على الهاربين والمتخلفين اذا ترتب على ذلك اصابة أشخاص آخرين بطريق الخطأ.

٢ ـ تغلق جميع القضايا المقامة ضد عناصر المفارز المشمولة بأحكام هذا القرار.

٣ ـ يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

* * *

قرار رقم ٨٤٠

استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتأريخ ٤/١١/ ١٩٨٦ ما يلي :

اولاً - يعدّل نص المادة ٢٢٥ من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ م على الوجه الآتي :

١- يعاقب بالسجن المؤبد ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة من أهان باحدى طرق العلانية رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه أو مجلس قيادة الثورة أو حزب البعث العربي الاشتراكي أو المجلس الوطني أو الحكومة. وتكون العقوبة الاعدام إذا كانت الإهانة أو التهجم بشكل سافر وبقصد إثارة الرأي العام ضد السلطة.

٢ - يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس أو الغرامة من أهان بإحدى طرق العلانية المحاكم أو القوات المسلحة أو غير ذلك من السلطات العامة أو الدوائر أو المؤسسات الحكومية .

ثانياً - تلغى المادة ٢٢٦ من قانون العقوبات السابق .

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

رسالة	رقم المنشئ	تاريخ الانشاء
سرية وفورية	٧٥	١٩٨٩/١٠/٢٦

الى / وحدة ٥٠١٣ (و. م. ب)

من / مخازن الصويرة

لقد ارسلنا ـ حسب طلبكم ـ الوجبة الثانية من المخربين الاكراد والبالغ عددهم (١٨٦٠) لاتمام تجارب عملية مزدوج (٢٤).

ودمتم من اجل الحزب والثورة

العقيد

آمر وحدة مخازن الصويرة

* * *

رسالة	رقم المنشئ	تاريخ الانشاء
سرية وفورية	١٧٦	١٩٨٩/١٠/٢٨

الى / وحدة مخازن الصويرة

من / وحدة ٥٠١٣ (و. م. ب)

نرجو ارسال الوجبات الاخرى من المخربين الاكراد باسرع وقت ممكن لان العملية مزدوج ٢٤ تحتاج إلى المزيد. لقد وصلتنا لحد الان وجبات من المخربين والقيادة العامة تريد منا نتائج عملية مزدوج ٢٤ باسرع وقت ممكن.

ودمتم من اجل الحزب والثورة

العقيد

آمر وحدة ٥٠١٣

ع. ك. ك

* * *

من مدير مخازن الصويرة

الى رئيس (وحدة المجازر البشرية)

ردا على كتابكم المرقم ٢٤٣/ج/ ١٥ في ٦/ ٧/ ١٩٩٠ الموقع من قبل العميد حاتم عبد الله صكر عضو اللجنة المشرفة لفريق عملية (مزدوج ٢٤) والمخول من قبل السيد مدير الأمن وعدد من موظفي الابحاث العلمية التابعين للاستخبارات العسكرية، نرسل لكم الوجبة الثالثة من المخربين البالغ عددهم ثمانمائة وخمسون وبالارقام التسلسلية، اتمنى لكم النجاح والموفقية لانجاز هذا المشروع الحزب والامة.

اخوكم الامين

د. عبد الجبار احمد الزبيدي

مدير مخازن الصويرة

١٩٩٠/٧/٢٧

* * *

الى مدير الأمن العام في بغداد

من المسوولين في (وحدة المجازر البشرية)

تحية الكفاح في سبيل العراق . . . . اما بعد

وصلتنا قبل مدة الوجبة الثالثة من المخربين المحتجزين واللذين بلغ عددهم لحد الان ٢٤٠٠ / الفين واربع مائة .. ان الكمية المطلوبة من الدم لنجاح عملية مزدوج ٢٤ ينقصها الكثير يجب ارسال الوجبة الرابعة باسرع ما يمكن لان القيادة العامة تنتظر النتيجة الحتمية. يجب اتخاذ كل التدابير اللازمة ومراقبة السواق والضباط اللذين يقومون بنقلهم من جانبكم واحراق كل الوثائق لدى المسوولين وخاصة الوثائق الملمية والتخلص من كل من لديه معلومات حول عملية مزدوج ٢٤ وخاصة الاكراد.

الدكتورهـ م. ر رئيس اللجنة المشتركة لفريق (١)

م. كيماوي في. ج. أ عضو لجنة فريق (١)

* * *

م/ ٢/ ١٦١٧

برقية

سرية وفورية وقت الانشاء ويومه

٦/٢١

من / قاطع زاخو ف.م. القيادة

الى القائد (م) . . . .

رقم المنشئ ٥/ اس/ ٣

٤١٨١

/ (٥) رسالة قيادة قوات / ٣٨ سرية وفورية ١٤٦٦٥ في ٦/٢٠

(٥) عطفا مايلي (٥) وصل إلى مقر الفرع الأول لزمرة سليلي الخيانة (٤٠٠٠) قناع

للوقاية من الغازات السامة وسوف يستخدمها المخربين عند استعمالنا المواد الكيمائية لضرب تجمعاتهم (٠) نرجو تحقيق صحة المعلومات واتخاذ مايلزم واعلامنا.

الرائد

سعدي محمود حسين

ء/آمر قاطع زاخو

سري وفوري

* * *

بيان مجلس قيادة الثورة يوم غزو دولة الكويت بتاريخ ٢/٨/ ١٩٩٠

ايها الشعب العراقي العظيم

يا درة تاج العرب ورمز عزتهم واقتدارهم وعقال رؤوسهم ايها العرب الغيارى بان امة العرب امة واحدة وان حالها ينبغي ان يكون واحدا عزيزا كريما. وان الدنس والخيانة والغدر يجب ان لاتتصل بصفوفهم ونواياهم.

ايها الناس، حينما كان العدل والانصاف دينكم. لقد خسف الله الارض بقارون الكويت واعوانه بعد ان جانبوا القيم والمبادئ التي دعا الله لتسود بين الناس. وبعد ان خانوا وغدروا بالمعاني القومية وشرف معاني العلاقة بين من يتولون امرهم من الناس ومع العرب.

فأعان الله الاحرار من بين الصفوف المخلصة ليقضوا النظام القائم في الكويت والضالع في مخططات الصهيونية والاجنبي وبعد ان اطاح بنظامهم فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى، ناشد الاحرار من ابناء الكويت العزيزة القيادة في العراق لتقديم الدعم والمساندة لدرء احتمال لمن تسول له نفسه للتدخل من الخارج في شؤون الكويت ومصير الثورة فيها. وناشدونا المساعدة في استتاب الأمن لكي لايصيب ابناء الكويت سوء.

ولقد قرر مجلس قيادة الثورة الاستجابة لطلب حكومة الكويت الحرة المؤقتة والتعاون معها على هذا الاساس تاركين لابناء الكويت ان يقرروا شؤونهم بأنفسهم وسننسحب حالما يستقر الحال وتطلب منا حكومة الكويت الحرة المؤقتة ذلك. وقد لايتعدى ذلك بضعة أيام أو بضعة اسابيع.

اننا نعان بصوت واردة كل شعب العراق. شعب القادسية والبطولات والامجاد، بأن قواتنا المسلحة بكل صفوفها والجيش الشعبي الظهير القومي لها وجماهير شعب العراق من زاخو إلى الفاو والمسندة بايمان لايتزعزع بالله وبالعروبة مفي عمقهم كل جماهير الامة العربية وكل المناضلين الشرفاء العرب سيكونون صفا من الفولاذ الذي لايأسر. اننا نعلن ذلك لمن تسول له نفسه التحدي وسنجعل من العراق الابي ومن الكويت العزيزة مقبرة لكل من تسول له نفسه العدوان وتحركه شهوة الغزو والغدر، وقد اعذر من انذر.

والله اكبر وليخسأ الخاسئون.

١٩٩٠/٨/٢

مجلس قيادة الثورة

* * *

الموضوع /مظاهرات

في النية قيام الكويتيين بمظاهرات اعتبارا من صباح غد ٩ أيلول وحتى الليل لغرض اسماع اصواتهم إلى مؤتمر قمة غورباشوف ـ بوش نسبا مايأتي :

١ - يتم الابلاغ عن المظاهرات عن طريق الشرطة أو نقاط السيطرة أو الجيش الشعبي.

٢ - يجب معرفة مايلي قبل التنفيذ :

أ ـ مكان المظاهرة.

ب ـ حجم المظاهرة (عدد الافراد المشتركين فيها).

٣ ـ على ضوء ذلك يتم وضع الخطة التي تتضمن مايلي :

أ ـ التقرب من المظاهرة بهدوء بهدوء بهدوء والترجل من العجلات في المكان المناسب.

ب ـ التقرب من المتظاهرين من الخلف قدر الامكان وغلق الطرق المحتملة لانسحابهم.

ج ـ يتم الانفتاح بالنسق والرمي عليهم بوقت واحد (الرمي صليا) بالبنادق والرشاشات وكذلك استخدام مدافع RPG 9 والقاذفات الخفيفة وقاذفات اللهب لقتل جميع المتظاهرين ليكونوا عبرة للخارجين.

٤ ـ يمنع اقتراب اي شخص من المدنيين باتجاه اللذين تم قتلهم الا بعد اشماركم من قبلنا.

٥ ـ تبقى وحداتكم بالانذار اعتبارا من الساعة ٦٠٠ يوم ٩ أيلول ولغاية ٦٠٠ يوم ١٠ أيلول.

٦ ـ يتم اشعارنا فورا عن كل حادث وكذلك عن الوضع الامني بشكل عام وباستمرار.

توقيع
اللواء ق.خ الركن (بطل القادسية)
بارق عبد الله الحاج حنطة
قائد القوات الخاصة

نسخة الى
الرفيق المناضل علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية المحترم
الرفيق الدكتور سبعاوي ابراهيم الحسن مدير جهاز المخابرات المحترم

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
سري للغاية وشخصي

٢٣٠
٩/١٧

لواء القوات الخاصة / ٦٥
(الاركان العامة)
الامن
العدد/ أمن/ ١١/ ٢٥٥
التاريخ ١٧ أيلول ١٩٩٠
الى / القائمة (أ) . . . . . .
الموضوع / معلومات

كتاب قيادة القوات العامة السري للغاية وشخصي ٢٦ في ١٤ أيلول ١٩٩٠ مرفقا

به صورة من كتاب مكتب امانة سر القطر السري للغاية وشخصي ٢١/ ١٩٩٠ في أيلول ١٩٩٠.

يتم تهديم كل دار عليها شعار أو صورة ملصقة لقارون الكويت وحرقها وارسال مالكها الينا لغرض ارساله إلى مديرية امن الخليج.

لاتخاذ مايلزم والعمل بموجبه.

توقيع

العميد ق خ الركن

عبد المحسن سلمان كاظم

آمر لواء القوات الخاصة / ٦٥

١٧ أيلول ١٩٩٠

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

الفوج الأول لواء ١

العدد/ اس/ ١١٣

التاريخ ١٢ تشرين ٢ ١٩٩٠

الى كافة السرايا (س٣)

الموضوع / اجتماع اللجنة الأمنية في محافظة الكويت

كتاب قيادة عمليات الخليج السري للغاية الشخصي ٧ في ٦/ ١١/ ١٩٩٠ المبلغ الينا بكتاب اس ٢٣ (الامن) السري الشخصي ٢٠٦ في ١١/ ت٢/ ١٩٩٠ الخاصة بكتابة الشعارات المعادية على الجدران.

تقرر ان تقوم كافة الوحدات العسكرية وكافة المراتب المدربين لهذه الوحدات بحملة لمسح هذه الشعارات وفي حالة وجود شعار معادي على دار احد المواطنين يعدم صاحب الدار بعد اجراء التحقيق معه دون حرق الدار.

التفضل بالاطلاع والعمل بموجبه وضرورة تبليغ مراتب سراياكم بالنتباه لهذه الحالة واعلامنا.

(توقيع)

الرائد عطا الله محمد

* * *

رسالة من عدي صدام حسين إلى علي حسن المجيد (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

عدي صدام حسين

عمنا العزيز علي

علمت ان وزارة الاعلام تنوي نقل مطابع الصحف إلى بغداد، ولما كانت جريدة البعث الرياضي الجريدة الوحيدة في بلادنا وهي تطبع حاليا بمطابع اهلية، ارجو موافقتك على تسليم مطبعة جريدة القبس إلى مرافقي عزام والكادر الفني الذي برفقته حتى نطبع الجريدة عليها. كما ارجو الموافقة على نقل مطبعة الجيش الكويتي إلى بغداد لاستخدامها في طبع مجلة الرشيد.

اشكرك سلفا، وجعلني الله واياك من المقاتلين في خدمة قائد العراق الكبير صدام حسين.

التوقيع ٢٩/ ٩/ ١٩٩٠

* * *

رسالة من عدي صدام حسين إلى علي حسن المجيد (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

عدي صدام حسين

العم علي الحسن المحترم

تحية خالصة

وبعد ..

في الوقت الذي ابعث به اليك بالتحيات الخالصة المفعمة بكامل المحبة من ابن اتجاه عم آزر وشد من أزر والده الحبيب في مثل هذه الظروف الصعبة.

هناك مطبعة عائدة إلى ناد يعرف بالنادي العلمي، ولما كانت اللجنة الاولمبية

العراقية في امس الحاجة لكونها تمتلك جريدة خاصة بها، وابقيت هذه الجريدة بأمر الرئيس القائد مع الاربعة صحف الاساسية واغلاق الـ (٨٥) صحيفة المختلفة الباقية، فقد ارسلت في طلب هذه المطبعة وأعلمونا من هنالك في حراستها بأنه ليس بالامكان سحبها الا بأمر من شخص مسؤول فعند ذلك ارسلت مجموعة من المهندسين لتفكيكها وارسالها إلى بغداد في المرة الثانية، الا ان المسؤول عن حراستها قال ان الاستاذ علي هو المسؤول، فأوعزت اليهم بعدم تفكيكها حرصا على العلاقة بك.

والرجاء هو المساعدة في هذا الموضوع خدمة للحركة الرياضية علما ياعمي العزيز انها ستكون ملكا للجنة الاولمبية العراقية وليس لشخص وستسجل في الممتلكات الثابتة في وزارة المالية.

تقبل سلامي الخالص

التوقيع

١٩٩٠/١٠/٥

رد علي حسن المجيد (المعروف لدى العراقيين بـ العريف علي كيمياوي) مكتوب في نفس الرسالة:

موافق على نقلها ونقل ملكيتها كذلك إلى اللجنة الاولمبية.

توقيع

الرفيق

علي حسن المجيد ١٩٩٠/١٠/٧

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية

سري ومستعجل

العدد/ م خ ك/ ٢٩٧

التاريخ/ ١٣ ربيع الاول/ ١٤١١

١٤١١/١٠/٢

الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مكتب الوزير

وزارة التربية / مكتب الوزير

وزارة النقل والمواصلات / مكتب الوزير

م / نقل مواد

تنسب نقل جميع الموجودات وبكافة انواعها من جامعة الكويت والكليات والمعاهد والمدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية ورياض الاطفال الفائضة عن الحاجة من محافظة الكويت إلى ما يقابلها في المحافظات الاخرى وبشكل عاجل.

توقيع

الرفيق علي حسن المجيد

عضو القيادة القطرية

١/ تشرين أول / ١٩٩٠

نسخة منه الى :-

الرفيق الدكتور سبعاوي ابراهيم الحسن ـ يرجى التفضل بالاطلاع ودمتم.

تعليق سبعاوي على الكتاب

اطلعت

اطلاع الاجهزة الامنية

توقيع ١٠/٤

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سري وشخصي

قيادة القوات البحرية

قاعدة القليمة

الحركات

العدد ٢/ ٢/ ٥٣

التاريخ رجب ١٤٤١

١١ شباط ١٩٩١

الى كافة وحدات القاعدة

الموضوع / توجيه

أمر الرئيس القائد العام للقوات المسلحة حفظه الله بما يلي

عند القيام بأي عمل بري في المستقبل انشاء الله كالغارات والدوريات على مواضع العدو يجري اخلاء اي مواطن عمره (٤٠) اربعون سنة فما دون من ارض العدو إلى داخل اراضينا فورا سواء كان من العسكريين أو المدنيين وبعدما يتم التعرف على هويته في الداخل.

نرجو التفضل باتخاذ مايلزم.

(توقيع)

العقيد المهندس البحري الركن

محمد عبد علي

عن آمر قاعدة القليعة البحرية ١٢ شباط

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

قرار رقم ١١٧

قرار استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتأريخ ٢٥/٨/١٩٩٤ ما يلي :

أولاً :

أ - يمنع إزالة الوشم الذي تم نتيجة ارتكاب جريمة معاقب عليها بقطع اليد والأذن .

ب - يعاقب كل من قام أو ساعد على إزالة علامة الوشم أو أجرى عملية تجميل لليد أو الأذن المقطوعة بعقوبة قطع اليد أو الأذن مع الوشم حسب الأحوال .

ثانياً :تدوين عقوبة كل من عوقب بقطع اليد أو الأذن وعلامة الوشم في هوية الأحوال المدنية وشهادة الجنسية ودفتر الخدمة العسكرية والوثائق الرسمية الأخرى المتعلقة بإثبات الشخصية .

ثالثاً :تمحى الآثار المدنية والجزائية المترتبة على عقوبة قطع اليد أو الأذن والوشم إذا قام المعاقب بها بعمل وطني أو بطولي مشهود .

رابعاً :ينفذ هذا القرار من تاريخ صدوره وحتى أشعار آخر .

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة

قرار رقم ١١٥

استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتأريخ ٢٥/٨/ ١٩٩٤ ما يلي :

أولاً - يعاقب بقطع صوان الأذن كل من ارتكب جريمة :

أ - التخلف عن أداء الخدمة العسكرية.

ب - الهروب من الخدمة العسكرية .

ج - إيواء المتخلف أو الهارب من الخدمة العسكرية والتستر عليه.

ثانياً - يعاقب بقطع صيوان الأذن الأخرى كل من عاد إلى ارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في البند (أولاً) في هذا القرار.

ثالثاً - توشم جبهة كل من قطع صوان أذنه بخط أفقي مستقيم بطول لا يقل عن ثلاثة ستمترات ولا يزيد عن خمسة وبعرض ملمتر واحد.

رابعاً - ينفذ قطع الصوان والوشم وفق تعليمات يصدرها ديوان الرئاسة لهذا الغرض.

خامساً - يعاقب بالإعدام رمياً بالرصاص من قبل الجهات المختصة كل من :

أ - هرب من الخدمة العسكرية ثلاث مرات.

ب - تخلف عن الخدمة العسكرية ثمّ هرب مرتين.

ج - آوى أو تستر ثلاث مرات على متخلف أو هارب من الخدمة العسكرية.

سادساً - يعتبر هارباً لأغراض تطبيق أحكام هذا القرار كل من غاب عن وحدته بدون عذر مشروع مدة تزيد على خمسة عشر يوماً.

سابعاً :

أ - توقف الإجراءات القانونية بحق من سلم نفسه من مرتكبي جرائم التخلف والهروب خلال سبعة أيام من تاريخ صدور هذا القرار إلى الجهات التي تحددها تعليمات ديوان الرئاسة.

ب - تكون مدة الالتحاق المنصوص عليها في الفقرة (أ) في هذا البند ثلاثين يوماً لمن كان خارج العراق.

ثامناً -تسري أحكام هذا القرار على مرتكبي جرائم التخلف والهروب السابقة .

على تاريخ نفاذه ممن لم يسلموا أنفسهم خلال المدة المنصوص عليها في البند (سابعاً) من هذا القرار.

تاسعاً - تحدد تعليمات ديوان الرئاسة الجهات المختصة التي تتولى تنفيذ أحكام هذا القرار.

عاشراً :

أ - ينفذ هذا القرار من تاريخ صدوره وحتى أشعار أخر.

ب - لا يعمل بأي (نص) يتعارض مع أحكام هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

ـ في آخر الكتاب سننشر صورة مطابقة للأصل عن أهم الوثائق الواردة هنا، أو التي وردت داخل الكتاب. (المؤلف).

الفصل الخامس

أخوة صدام

إبراهيم الحسن

قد أسند مؤلف (موسوعة العشائر العراقية) الرئاسة في هذا البيت إلى (إبراهيم الحسن) وهو في القبر، لأن المعروف عنه أنه مات قبل جولة المؤلف في العوجة وتكريت، وإبراهيم الحسن يلقبه خصومه في تكريت بـ(الزگلابي) نكاية به. وهو لص محترف سيأتي الحديث عنه أيضاً عندما نتحدث عن عشيرة (البيجات) وسكان قرية العوجة.

وسمعة هذا الرجل متدنية جداً، يدركها حتى الصغار، وبهذا الخصوص قال لي يوماً أحد طلاب مدرسة البكر واسمه (مجيد نعمان): أستاذ أنا ناصري، وأقاربي (إبراهيم الحسن)، وأضاف هذا الطالب (هوه إشكد يكفر) أي (كثيراً ما يكفر بالله تعالى). وبالرغم من هذا كله يسميه (صدام حسين) بالرجل الحكيم، وصرَّح بذلك في اجتماع ضم قياديين من حزب السلطة وأعضاء حزبيين من مختلف الفروع والشعب، اكتظت بهم قاعة الإجتماع، وكان قسم من الحاضرين قد رفضوا الانخراط في (قادسية صدام) وفي هذا الاجتماع اتخذ (صدام حسين) له مجلساً مقابل الجميع، وطلب من الذين لم يلتحقوا بقادسيته الوقوف باستثناء النساء. ثم أمرهم أن يجلسوا في جانب من قاعة الاجتماع، ونصب نفسه قاضياً لمحاكمتهم، وقبل طردهم من قاعة الاجتماع أسمعهم أقذع السباب والكلمات الجارحة، وصبَّ عليهم وابلاً من الشتائم، وسيلاً من كلمات التهديد والوعيد وسمّاهم «التمر الخايس» وصرخ بهم «لعن الله أبا هذه الشوارب»، وبدون الرجوع إلى الحزب، أعلن فصلهم منه جميعاً، وهم في طريقهم إلى الخروج من باب القاعة الرئيسي. وكان من بين المفصولين (سعدون عنتر) وكيل وزارة الأوقاف. ولما خلا المكان من المطرودين قال صدام أمام الباقين: الآن (صُفَتْ) ثم بدأ يتحدث وفي فقرة من حديثه قال: أشار عليَّ (رجل حكيم) تعرفه جيداً الرفيقة

(مريم) ـ وكانت من الحاضرين ـ وهذا الرجل الحكيم، والحديث لصدام هو: (إبراهيم الحسن) إذ قال لي يوماً: «إذا وجدت خللاً في مديرية أو مؤسسة تابعة لإحدى الوزارات، فلا تعاقب المقصر أو المدير أو مسؤول المؤسسة، وإنما (گُصْ راس الوزير) أي: (اقطع رأس الوزير). بهذا التمادي والاستخفاف يعلن (صدام حسين) أمام الحاضرين وفي مقدمتهم الوزراء عن الحكمة التي استفادها من عمه (إبراهيم الحسن). وبهذه الطريقة الحضارية جداً يتم استنباط الحكمة من قبل أفراد سلطة القرية التي تحكم العراق، وبهذه العقلية الدموية المتخلفة صار (إبراهيم الحسن) حكيماً في نظر (صدام التكريتي)[١].

«وما فتيء صدام يعمل بهذه النصيحة التي تلقاها من (الرجل الحكيم) إلى يوم سقوطه، وبمقتضاها هدد أخاه (وطبان إبراهيم الحسن) بعد عزله من وزارة الداخلية قائلاً له: (وكما تعرف إني أمرت بتغريمك على كل التجاوزات التي حصلت عندما كنت وزيراً للداخلية، لأن الإنصاف والعدالة تقول إن على الحاكم أن يحاسب الرأس وليس الأطراف)»[٢].

ولأن المقصر هو الأخ غير الشقيق للرئيس، لذا تحولت العقوبة من قطع الرأس إلى التغريم.

وتبقى بصمات تأثير (إبراهيم الحسن) واضحة في سلوك ابن زوجته اليتيم (صدام). إذ تقاسم (إبراهيم الحسن) مع الخال (خير الله طلفاح) حالة التبني له، ولذلك فدراسة حياة الرجلين في كل أبعادها، ستعين على معرفة البنى الرئيسية والمكونات الأساسية لشخصية صدام حسين.

بعد اشتراك صدام في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم الفاشلة في تشرين الأول ١٩٥٩ هرب حتى وصل إلى قرية (العوجة).

«عندما دخل صدام إلى البيت حيث احتضنته أمه وحبست دموعها. أما الحاج إبراهيم فلقد كان متماسك الأعصاب، قوياً، مهيباً، باعثاً على تبديد القلق. كان يعرف أن الساعة هي ساعة التدبير الذكي البعيد عن العواطف التي يكبحها في نفسه. قال له:

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٤٢ (بتصرف).

(٢) مجلة الوسط، العدد (٢٦٧)، ١٠/٣/١٩٩٧.

خذ هذا الطعام، وهذا الماء، وفي الساعة الرابعة قبل طلوع الشمس بقليل تذهب إلى سوبرات الأتراك (ملاجيء عسكرية كان قد أعدها الجيش التركي أثناء الإحتلال العثماني) وتمكث هناك حتى السابعة مساءً. وبعد ذلك لا تأتي رأساً إلى هنا، وإنما تمكث في حقل الأذرة حتى آتي إليك وأصحبك إلى الدار، بعد أن أتأكد من أنه غير مطوق أو مراقب أو به غريب ولا ينبغي أن يراك»[١].

وليس أمام صدام إلا الإستجابة لتعليمات (الرجل الحكيم).

وكان عمه (إبراهيم الحسن) حاد المزاج قاسياً، ويضربه بالحزام ضرباً مبرحاً في طفولته، إذا لم يسمع توجيهاته، ويهرب صدام حسين من البيت، ويقضي جل أوقاته طريداً في بيوت الخالات والأقارب في تكريت منهم بيت خالته أم دحام زوجة أحمد العبد.

«ويكفي هنا القول إن إبراهيم الحسن، قد بُني له تمثال في منطقة العوجة، وتحديداً أمام مسكن وطبان شقيق برزان، دون إن يجد سكان المنطقة تبريراً لهذا التصرف سوى زيادة في الغي والظلم»[٢].

إن أمور العراق ومقدرات شعبه كان يتلاعب بها أبناء وأحفاد (إبراهيم الحسن). إضافة إلى بناته وأزواجهن، والعراق ملك عضوض لهؤلاء وغيرهم من أبناء قرية العوجة، أما أولاد وبنات إبراهيم الحسن فهم:

١ ـــ ادهام إبراهيم الحسن

وهو أكبر الأخوة غير الأشقاء لـ(صدام حسين). عمل عام ١٩٥٩ حارساً في مدرسة العوينات الإبتدائية، وأثناء هروب صدام بعد عملية الاغتيال الفاشلة ضد عبد الكريم قاسم، مرّ على أخيه في مدرسة العوينات، وبذل أدهام جهوداً لإيصاله إلى البيت في قرية العوجة. وفي اليوم التالي أرسله صدام إلى سامراء ليخبر عطا حسين السامرائي أو علي النقيب بوجوده بعيداً عن أيدي السلطة.

«في الصباح، فك ادهام قطعة من ماكنة مياه كانوا يملكونها، وحملها معه، وكأنه

---

(١) د. أمير اسكندر، صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص٥٨.

(٢) صحيفة القبس، العدد ٩٤٣٩، ١٩٩٩/٩/٢٨ من حلقات كتبها ضابط المخابرات عباس فاضل مشعل.

ذاهب إلى سامراء ليصلحها، كغطاء لمهمته، دقَّ باب عطا السامرائي، ولم يجده، قالت زوجته سيأتي في الخامسة عصراً، انتظره حتى عاد، وأسر في أذنيه بالنبأ. قال له عطا، لقد كنا نبحث عنه طيلة الأيام السابقة، الآن اذهب أنت واسترح. لقد انتهت مهمتك.

وفي الساعة السابعة جاءت سيارة جيب عسكرية يقودها عطا حسين السامرائي ويصحبه ثلاثة أشخاص: عبد الخالق السامرائي، حمود العواد، حسين المحمود، ووقفت بعيداً في أطراف القرية، وأرسلوا إلى صدام أخاه حتى يلتقي بهم»[١].

إن عبد الخالق السامرائي كان قد شارك في إنقاذ صدام آنذاك من أيدي السلطة، فهل حفظ صدام لعبد الخالق هذا الدين ليوفر له حياته دون أن يقضي عليه في صيف عام ١٩٧٩؟!

تزوج ادهام أربع نساء، وتوفي بعد زواجه الرابع، فحجزه القبر عن الاستمرار في مشاركة إخوته وأبناء عمومته وأولاده الثلاثة، في نهب خيرات العراق، ومصادرة حريات أبنائه، وقد عوض عنه خلفه الثلاثة، نمير، ورافع، وعيادة، وزوج ابنته حسيب، في ارتكاب فضائح تشمئز منها النفس، ويندى لها الجبين، وقد ذكرت (خالدة عبد القهار عبد الرحمن) سكرتيرة (أحمد حسن البكر) سابقاً، ثم أمنية سر مكتب صدام الخاص بعد ذلك، وقد التحقت مع زوجها وأولادها بقوات الشهيد الصدر في كردستان العراق عام ١٩٨٥. وهي تكشف جانباً من التصرفات اللامسؤولة لنمير ورافع، وأنهما جزء من عصابة منحطة تعبث بقيم ومقدرات الناس، وهما من العناصر الهامة في مكتب عمهما الخاص، إضافة إلى (أرشد ياسين الرشيد) زوج عمتهما (نوال إبراهيم الحسن)، وأخيه (مؤيد ياسين الرشيد) وزوج أختهما (حسيب) «وكان هؤلاء يرتكبون أبشع الجرائم مع الناس، ولم نكن نستطيع إحصاء المعتقلين والمعدومين، وأولئك الذين تصادر أموالهم المنقولة وغير المنقولة»[٢].

ودخلت العائلة الحاكمة في خلاف حاد بين أفرادها بسبب (نمير ادهام الحسن) الذي كان جزءاً مهماً في المكتب الخاص، وقد تصور أنه بهذا تمكن من قلب عمه (الرئيس) فسعى ـ بعد أن أدخل عمه (برزان) وسيطاً ـ لطلب يد (رغد) البنت الكبرى

---

(١) د. أمير اسكندر، صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص٥٩.

(٢) صحيفة الجهاد، العدد ـ (١٩٠)، ٢٠ رمضان ١٤٠٥هـ ـ الموافق ١٠ حزيران ١٩٨٥ من مقابلة مع خالدة عبد القهار عبد الرحمن.

لـ(صدام). ولكن الأخير رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً، واستجاب لتزويجها من (حسين كامل حسن المجيد). وقد لعبت آصرة العمومة دورها في هذا الزواج، فبالرغم من كون نمير ادهام أقرب إلى صدام ولكنه من جهة الأمهات، وحسين كامل أبعد منه ولكنه من جهة الآباء، فنمير وعمه برزان ينتميان إلى فخذ (البو خطاب)، وحسين كامل، والرئيس (صدام) ينتميان إلى بيت المجيد من فخذ آلبو عبد الغفور. ويبدو أن سبباً آخر لعب دوراً رئيساً في هذا التزويج، وهو أن (حسين كامل) بدأ حياته مرافقاً للسيدة الأولى (ساجدة خير الله)، فوجدت لديه الكفاءة في الزواج من ابنتها. واعتقد برزان أن عدم تلبية طلبه ينم عن عدم تقدير له، رغم كونه الرجل الأقوى في فخذ (آلبو خطاب)، وإن كان الأصغر سناً بين الأشقاء، فأثار زواج (حسين كامل) عام ١٩٨٣ في نفسه عواصف حقد لم تهدأ، وعكف في بيته حتى عام ١٩٨٨.

ويمتلك المكتب الخاص صلاحيات واسعة جداً، حتى إن (صدام حسين) قال لسكرتيرة المكتب في أحد الأيام «إنك تستطيعين أن تتصلي بالتلفون ليأتوا بالمحافظ حياً أو ميتاً، كيفما تشائين»[(١)].

أما ثالث الأبناء فهو (عيادة ادهام) ابن أخ صدام «كان يملك عصابة خاصة للسرقة مع إخوته. وقد أُلقيع القبض عليهم في إحدى المرات، وحيث عرفت هوياتهم رفع حاكم التحقيق مذكّرة خاصة إلى صدام يعلمه بالحوادث والجرائم التي ارتكبوها، فأمر بسجنهم ظاهرياً، وبعد شهر أُطلق سراحهم ليمارسوا أعمالهم من جديد»[(٢)].

وعيادة ادهام كان يستولي على وجبات الخمور والبيرة المخصصة لمدينة كربلاء، ليبيعها في بغداد والمحافظات الأخرى، لأن مدينة كربلاء من المدن المقدسة التي لا يسمح فيها ببيع الخمور والبيرة، وبهذه الذريعة تُحوَّل كمياتها إلى حسابه الخاص، وقد شاهدتُ وصلاً بهذا الخصوص لدى أحد أفراد حماية (آمال إبراهيم الحسن) في أربيل، بعد فراره إلى منطقة كردستان العراق. وهذه واحدة من طرق الاستحواذ على المال

---

(١) صحيفة الجهاد، العدد ـ (١٩٠)، ٢٠ رمضان ١٤٠٥هـ ـ الموافق ١٠ حزيران ١٩٨٥ من مقابلة مع خالدة عبد القهار عبد الرحمن.

(٢) صحيفة الجهاد، العدد (١٩١)، ٢٧ رمضان ١٤٠٥ ـ ١٧ حزيران ١٩٨٥. من مقابلة مع خالدة عبد القهار عبد الرحمن.

تضاف إلى الكثير من الطرق الملتوية الخبيثة التي حقق البيجات بواسطتها انتقالهم الجماعي إلى مصاف أهل الثروة.

٢ ــ سبعاوي إبراهيم الحسن

وهو الإبن الثاني لـ(إبراهيم الحسن) من زوجته (صبحة) عمل مديراً عاماً لمكافحة التجسس إلى جنب شقيقه برزان في المخابرات العامة «وكان يأتمر بأوامر برزان ولم يكن مؤهلاً للقيام بهذه المهمة، بسبب جهله وسذاجته وما هو معروف به من بلهٍ إلى جانب فساده المالي والشخصي، لذلك لم يكن غريباً أنه عمد إلى سرقة كل ما وجده في الكويت من مواشٍ وعجول وأبقار إلى مزارعه في تكريت والتاجي»[1].

وبعد استيلاء صدام على مقاليد الحكم في الحزب والدولة، شارك سبعاوي في التحقيقات السريعة في مبنى المخابرات العامة في عمارة الحياة، تحت اشراف أخيه برزان التكريتي مع أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض رجال الحزب والدولة الذين وُجهت لهم تهمة التآمر عام ١٩٧٩.

سبعاوي عضواً في البرلمان

وظهر اسم سبعاوي في الواجهة بعد المهزلة الانتخابية التي قامت بها السلطة تحدياً لمشاعر أبناء الشعب العراقي بصورة عامة، وأبناء مدينة الثورة (إحدى ضواحي بغداد) ـ الصدر حالياً ـ بشكل خاص، بترشيح (سبعاوي إبراهيم الحسن) كممثل لمدينة الثورة، في أول دورة للمجلس الوطني العراقي عام ١٩٨٠. وكان من الأجدى أن ترشح السلطة (سبعاوي إبراهيم) عن مدن بيجي والشرقاط والخرجة (العلم) والصينية، وحتى عن بعض أحياء بغداد التي تضم أكثرية من أصول تكريتية. ولكن في نظر السلطة كون مدينة الثورة من مدن الحزام الشيعي الفقيرة التي تحيط ببغداد فلا بد من الإمعان في تحدي مشاعر أبنائها والاستخفاف بهم وإذلالهم، خصوصاً وأنها من مدن معدودة في العراق واجهت السلطة في انتفاضة ١٧ رجب عام ١٩٧٩، بعد إقدامها على اعتقال المفكر الإسلامي الكبير المرجع السيد محمد باقر الصدر.

---

(١) صحيفة القبس، العدد (٩٤٤٣)، ٢/١٠/١٩٩٩. من حلقات كتبها ضابط المخابرات عباس فاضل مشعل.

ولقد كانت تصيبنا الدهشة عندما نقرأ عن البرلمان العراقي في العهد الملكي، من أن الشاعر «معروف الرصافي رشحته الحكومة نائباً عن مدينة لم يلتق يوماً بأهلها»[١].

وفي آخر حديث لخليل كنّه أحد الوزراء المخضرمين في الوزارة العراقية الملكية ورئيس مجلس النواب الأسبق. نشرته صحيفة (نبض الشباب) العراقية في عددها (٥٧) بتاريخ ٨/٦/١٩٩٨. عندما يُسأل عن الإنتخابات التي كانت تجري في العهد الملكي ووجهة نظره في الأخطاء التي وقعت، يجيب قائلاً:

«أنا أعترف بصراحة للتاريخ أن الأخطاء كانت كثيرة، فكل أعضاء (حزب الإتحاد الدستوري) الذي ترأسه نوري السعيد ـ وكنت سكرتيراً عاماً للحزب ـ ممن يتقدمون للترشيح إلى المجلس النيابي، يفوزون بالتزكية تحت مظلة رئيس الحزب. وعلى هذا الأساس كنا نشكل أكثرية في معظم الدورات الانتخابية، وكنت إذا تكلمت أو أبديت رأياً داخل الحزب أو مجلس النواب يسكت الآخرون على أساس أن المتحدث هو نوري (باشا) وليس خليل كنّه»[٢].

شهادات عليا تحت الطلب

إن مهازل السلطة كثيرة، ولا يمكن أن تنطلي على أحد، وكثرتها أكسبت العراقيين خبرة في سرعة اكتشافها، وسبعاوي التكريتي لا يخرج من واحدة حتى يقع في ثانية، إذ ارتبط بمهزلة فاضحة أخرى عندما قرن اسمه بلقب (الدكتور) بعد حصوله على الدكتوراه في العلوم السياسية، على رسالة أُعدت له عن الحرب العراقية الإيرانية، وصار يُطلق عليه منذ ذلك الوقت (الدكتور سبعاوي إبراهيم الحسن). رغم «جهله وسذاجته وما هو معروف به من بله». وظاهرة منح الشهادات بالمجان تزامنت مع سيطرة أزلام السلطة على مقاليد الأمور في العراق عام ١٩٦٨، وبدأت تستفحل عندما فُسح المجال للرفاق من أعضاء الشُعَب والفروع في الحزب الحاكم بالشروع لاحتلال مقاعد الدراسة في الجامعة المستنصرية، وبالتحديد في كلية القانون والسياسة، فدخل هذه الكلية المعلمون وخريجوا إعداديات الزراعة والتجارة والصناعة، وأصحاب المعدلات

(١) حسن العلوي، الجواهري رؤية غير سياسية، ص٩٧.
(٢) صحيفة نبض الشباب، العدد (٥٧)، ٨/٦/١٩٩٨.

المنخفضة من خريجي الدراسة الثانوية، وذلك تمهيداً لاستخدامهم في وظيفة مدير ناحية أو قائمقام أو محافظ أو وزير وغير ذلك من الوظائف التي لا يسمح بالإنتساب فيها إلا لحملة البكالوريوس في (القانون).

ثم إن السلطة احتكرت عدداً من الكليات للمنتمين إلى حزبها، فكليات التربية، والتربية الرياضية، والعسكرية والشرطة والأمن القومي والقوة الجوية والقوة البحرية ومعاهد ودور المعلمين والمعلمات، إضافة إلى بعض الأقسام في كليات أخرى كقسم الإعلام في كلية الآداب. كلها كانت مغلقة في وجوه غير المنتظمين في صفوف حزب السلطة، وانخفضت فيها معدلات القبول إلى مستويات متدنية جداً، حتى بلغ بها التردي أن تأتي بعد مؤسسة المعاهد في تسلسلها، مع ما بذلته السلطة من جهود لتجميل صورتها بإعطاء أفضل الإمتيازات للمنخرطين فيها، وإجراءات السلطة هذه كانت تجري في العلن ومكشوفة للجميع، حتى إن طلاب كلية التربية لم يترددوا من إطلاق هذا الهتاف «كلية التربية يا قلعة البعثية» في تظاهرات كانت تجوب بغداد في مناسبات الحزب الكثيرة.

إن كان كل ما تقدم امتيازاً لعناصر حزب السلطة دون سواهم، فإن للبيجات وأقرباء الرئيس امتيازات من نوع آخر، ولولا هذه الامتيازات الخاصة لم يحصل أخو الرئيس (سبعاوي إبراهيم) على الدكتوراه في العلوم السياسية، ولم يستطع ابن الرئيس (عدي صدام حسين) الحصول على خمس شهادات تخرج في كليات مختلفة، هي الهندسة والحرب والطيران والأركان، وماجستير من جامعة البكر للدراسات العليا وتقدم أخيراً إلى كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد، برسالته الموسومة (عالم ما بعد الحرب الباردة ـ دراسة مستقبلية) ونال عليها شهادة الدكتوراه بدرجة امتياز، في مناقشة علنية حضرها عدد من الرفاق والمفكرين في القطر.

«وكان معظم رجال المخابرات غير متعلمين، ولم يحصلوا على الشهادات الأكاديمية ، وفي سبيل أن يُرقوا، كان عليهم أن يحصلوا على شهادة البكالوريوس بأي شكل من الأشكال، لذلك كانوا يسجّلون في الكليات الإنسانية، مثل الإدارة والاقتصاد، وكلية القانون والسياسة، وعادة يكون دوامهم مساءاً، ولم تكن هناك صعوبة في الحصول على الشهادة المطلوبة، ذلك لأن الأستاذ بمجرد معرفته بانتساب

الطلاب لجهاز المخابرات فإن فرائصه ترتعد ويمنحهم الدرجات التي يريدونها حتى من دون أن ينتظم دوامهم»(١).

ولعل القصة التي يرويها عالم الذرة العراقي الدكتور حسين الشهرستاني تفضح بشكل لا يمكن التستر عليه عملية المنح المجاني لشهادات التخرج الجامعية. وذلك بعد انتقاله من سجن حاكمية المخابرات إلى بيت الوزير عدنان حسين الحمداني بعد إعدامه، وقد واجه الدكتور الشهرستاني قبل ذلك صنوف التعذيب الجسدي والنفسي في مديرية الأمن العامة وسجن أبي غريب.

وكان يوجد في بيت الوزير ثلاثة أشخاص من جهاز المخابرات هم: النقيب جمال التكريتي، والملازم محمد الدوري، والملازم سعد التكريتي.

«إنّ ضابطي المخابرات سعد وجمال التكريتيين بحكم وجودهما المستمر معي، ولأن هذا الاحتجاز كان يختلف عن بقية السجون والمعتقلات الرسمية، فإنهما كانا أحياناً يقضيان أوقات فراغهما بالأحاديث معي، وهذه بعض الذكريات:

كان سعد طالباً في كلية القانون والسياسة، وكان يأتيني أحياناً لكي أدرسه على أساس أنني دكتور وأعرف كل شيء، ففي أحد الأيام ـ وقبل الامتحان ـ جلب كتاباً في السياسة عنوانه (مفهوم الثورة) لمؤلفه الدكتور عبد الرضا الطعان والذي كان هو نفسه مدرس المادة.

وقد سعد: أنا قرأت الكتاب ولم أفهم منه شيئاً، أرجوك دكتور أن تشرح لي. تصفحت الكتاب فوجدته هزيلاً، فقلت لسعد: هذا كتاب غير مترابط الأجزاء، فبعضه لا يرتبط بالبعض الآخر، وأنا لا استطيع أن أشرحه لك. فكر سعد، وقال: جيد، سوف أذهب للدكتور عبد الرضا الطعان ليعطيني أسئلة الامتحان!! ولكن المشكلة أنّه لم يعرفني ولم أعرفه، لأني لم أذهب إلى الجامعة منذ بداية السنة الدراسية.

ذهب سعد إلى الجامعة وأخذ عنوان الأستاذ، وذهب إلى بيته، بعد أن ارتدى الملابس المرقّطة التي يرتديها الضابط، وأخذ رشاشته معه.

وبالطبع رحّب به الدكتور الطعان واحترمه كثيراً، وقدم له شاياً ساخناً، لأنه خاف منه، وبعد أن عرّف سعد نفسه، قال للاستاذ: أنا تلميذك فلان، وعندنا واجبات

---

(١) د. حسين الشهرستاني، الهروب إلى الحرية، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

وطنية، ونقضي وقتنا في حماية الثورة ومكتسباتها، فأرجو أن تعذرني إذا لم ترني من قبل ولم أحضر محاضراتك حتى الآن، وأرجوك بدون إزعاج أن تعطيني الأسئلة.

قام الأستاذ ـ كما يروي سعد ـ وأحضر الأسئلة وقدمها بكل احترام للطالب المخيف. وفي اليوم الثاني جلب سعد الأسئلة لي قائلاً: دكتور أرجو أن تخرج الأجوبة من الكتاب، لأني لا أدري أين هي موجودة في الكتاب.. قالها وهو يضحك..

فقلت له: لماذا تتعب نفسك بهذه المسألة؟! فقال سعد: وماذا أفعل..؟ثم فكّر ملياً وقال وقد عرف ما أقصد: طيب..

ذهب في اليوم التالي، وهو يزهو بملابسه المرقطة ورشاشته، إلى بيت الدكتور الطعان، وقال له: دكتور، أنا ماذا أفعل بهذه الأسئلة؟ أنت تريد الأجوبة مني. فقال له الدكتور: إن الأجوبة غير حاضرة عندي، تفضل اجلس واشرب شاي الضيافة حتى أكتبها لك!

وهكذا حصل سعد على الأجوبة وهي مكتوبة بخط الأستاذ! وجاء بها إلي، وقال ـ وهو يضحك على عادته ـ: دكتور أرجو أن تشرح لي هذه الأجوبة. فقلت له: هذا ليس من اختصاصي. فقال سعد: ولماذا أرهق نفسي.. سوف أنقل الأجوبة من ورقة الأستاذ إلى ورقة الامتحان داخل القاعة.. وفي يوم الامتحان ذهب ضابط المخابرات سعد وفي جيبه الأجوبة، وجاءت نفس الأسئلة، ونقل نفس الأجوبة. بعدها جاءني قائلاً: لقد ضبطت الأمور، سوف أحصل على درجة ١٠٠٪ وبعد عدة أيام ظهرت نتائج الامتحان، وذهب سعد لاستلام النتيجة، وكانت النتيجة هي رسوبه.

بعدها جاء وهو يضحك، ولكن هذه المرة على نفسه، وقال: دكتور بشرفك صايرة.. دايرة.. لقد رسبت! قلت له: رسبت؟ لماذا؟ ألم تقل أنك نقلت الأجوبة حرفياً؟ قال: نعم، ولكن أكثر الأجوبة لغير أسئلتها، فلم أستطع أن أميز بين الأجوبة، وإن أي جواب يرتبط بأي سؤال»[(١)].

وبهذا الخصوص. حدثني المسؤول عن حماية أخت صدام (آمال إبراهيم الحسن) أن أبنها (هيثم أحمد عبد الغني الشاوي) لم يستطع إكمال الدراسة الإعدادية، فالتحق

---

(١) حسين الشهرستاني، الهروب إلى الحرية، ص١٦٨ ـ ١٧٢.

ضابطاً في صفوف (الحرس الخاص). ثم دخل كلية القانون والسياسة، التي تشترط إكمال الدراسة الإعدادية. وكانت تتطلب أعلى المعدلات بالنسبة للفرع الأدبي وما يعادلها من الفرع العلمي في السنوات الأخيرة، فزوّرت له وثيقة على هذه المقاسات ليدخل فيها الكلية المذكورة. وهي في الحقيقة صادرة من دوائر رسمية، ولكن نقول عنها (مزورة) لأنه ليس لهؤلاء الحق في امتلاكها. وفي الوقت الذي سمعت فيه هذا الحديث في شمال العراق عام ١٩٩٦، كان ابن أخ الرئيس في الصف الأخير، وعلى وشك التخرج[(١)].

ولم يُعرف عن أفراد هذه العائلة أنهم تواضعوا، وإنما بينهم وبين التواضع بوناً شاسعاً، وقد ترسَّخ في عقول أبنائها بأنها العائلة المالكة لشؤون العراق والعراقيين، وأنهم أسياد هذا المجتمع وأمراؤه فعلى العراقيين تقديم فروض الطاعة لهؤلاء الأسياد وخدمتهم، كما يقدم العبيد لأسيادهم من خدمات مشفوعة بالخضوع والانحناء، وجراء ذلك تكوَّنت في العراق طبقة لديها القابلية على الاستعباد وتحمل ألوان المذلة والخنوع من جانب، ومن جانب آخر أخذت هذه الطبقة الذليلة تستأسد على بقية أفراد المجتمع، بما وفَّر لها هؤلاء المسؤولون من أسباب الحماية والدعم. وبهذا الخصوص حدثني أحد الأطباء عن مشهد مثير اختزنته ذاكرته عندما كان يعمل طبيباً في أحد المستشفيات. في الفترة التي أصدر فيها صدام حسين قراره الارتجالي بتطبيق الرشاقة على رجال الدولة والمسؤولين والوزراء، فأقلق هذا القرار أخا الرئيس غير الشقيق (سبعاوي إبراهيم الحسن)، لأنه وجد في جسمه ٢ كيلو غرام زيادة على الرشاقة المطلوبة، فزار المستشفى لغرض الوقوف على آخر الأرقام التي وصل إليها وزنه، وكان معه أحد المرافقين الذي لا تدل هيئته الخارجية على الهبوط والهوان، لأن الله تعالى زاده بسطة في الجسم فيخشى الناس الاقتراب منه، لأنه يتحول إلى وحش كاسر عندما يدنو أي شخص من سيده (سبعاوي إبراهيم الحسن).

وبعد أن اقترب (سبعاوي) من الميزان، انحنى المرافق الذليل على حذائه لينزعه من رجليه، كما يصنع العبيد والخدم مع الأكاسرة والأسياد المتجبرين، فأدهش هذا الموقف الطبيب المذكور، وبانت على ملامحه علامات عدم الرضا والاستنكار ولمحها

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٥٦، ط١، ٢٠٠٢.

طبيب آخر كان إلى جانبه هو (الدكتور زيد حمود الناصري) وهو من عشيرة (آلبو ناصر) في تكريت، ويمت بصلة قرابة لـ(سبعاوي) وأخو (الحاج سعدون حمود الناصري) أحد ضحايا (صدام حسين) في باكورة أعماله الدموية الإرهابية، وقد استاء الدكتور (زيد الناصري) وهو يرى هذا الموقف المثير، وبدأ بمعالجته وتبريره قائلاً: إن الأستاذ ـ مشيراً إلى سبعاوي ـ مصاب بمرض الفقرات الذي لا يسمح له بالانحناء، وقد تبين من نتيجة الفحص أن سبعاوي لم يكن لديه زيادة في الوزن، مما جعله يضرب كفاً بكف ويلعن الميزان لقراءته الخاطئة، لأنه كان وقد وضع لنفسه برنامجاً قاسياً لتخفيف الوزن منذ فترة خوفاً من تعرضه لعقوبة أخيه الرئيس لزيادة وزنه ٢ كيلو غرام.

والدكتور (زيد حمود الناصري) رغم كونه أخاً لأول ضحايا (صدام حسين) إلا أنه يحرص على أن يظهر أبناء عشيرته بالمظهر الذي يجنِّبهم انتقادات الخصوم، ولهذا أجهد نفسه في إيجاد العذر المناسب لسلوك (سبعاوي) الذي يثير القرف والاشمئزاز[١].

سبعاوي يقتل هوشنك:

وقد ارتكب سبعاوي جرائم قتل نفذها بيده. ولمعرفة مدى دمويته وساديته، نرى من الضروري الوقوف على قصة نهاية المواطن الكردي، «هوشنك سيد أحمد الذي كان سجيناً في جهاز المخابرات الإيرانية السافاك، ـ أيام الشاه ـ والذي تمَّ الإفراج عنه في منتصف السبعينيات بعد توسط الحكومة العراقية، بسبب سمعة عائلته الطيبة في أربيل، وقد تقدم للعمل كمترجم في المخابرات العراقية، أو الصحيح أنه قد طلب منه ذلك. وعندما وصلت المعاملة إلى مكتب برزان التكريتي علَّق عليها قائلاً: (يعمل كمترجم ولا يجوز تكليفه بأية مهمة استخبارية). لكن هذا الأمر أكل عليه الدهر وشرب بعد وقت قصير، حيث تسلم هوشنك سيد أحمد مسؤوليات مهمة في المخابرات، لا بل إنه من بين الموقعين على المذكرة التي رفعها برزان التكريتي إلى رئيس الجمهورية ومفادها: (إنَّ آية الله الخميني ليس له مستقبل سياسي لذلك لا خوف من طرده خارج العراق).

لا بل إن هذا الشخص قد أصبح مسؤولاً عن تعليم صدام حسين اللغة الكردية قبل

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٥٨، ط١، ٢٠٠٢.

أن يتم إعدامه عام ١٩٩١، بتهمة التجسس لمصلحة إيران وبيعها كل أسرار الحرب العراقية الإيرانية. والأهم خطة العراق لإدارة المعركة السياسية مع إيران بعد نهاية الحرب في أغسطس ١٩٨٨، حيث كان في جعبة وزير الخارجية الإيراني آنذاك، الدكتور علي أكبر ولايتي كافة التفاصيل التي كان ينوي طارق عزيز مفاجأة الإيرانيين بها. في حين وضع هذا الفريق خطة الهجوم المقابل بكل دقة، مما أفقد الاقتصاد العسكري العراقي من محتواه، ومكّن إيران من كسب الجولة السياسية وقد يمكن فهم مقدار الإنزعاج العراقي عبر ما قاله سبعاوي إبراهيم الحسن في أحد اجتماعات الكادر الأساسي بالمخابرات في أكتوبر ١٩٩٠: (والله سأمزق رأس هوشنك إلى أجزاء متناثرة). وهو ما حدث فعلاً بعد شهر من ذلك في مدينة سلمان باك»[١].

سبعاوي ـــ و(بازوفت) و(باريش)

«وعندما تسلم سبعاوي عام ١٩٨٩ المسؤولية الأولى في جهاز المخابرات، كان لا بد له أن يقدم عملاً يسترعي اهتمام صدام فراح سبعاوي وبالتعاون مع طاقم امتهن تزوير الحقائق يبحث عن قضية فيها إثارة ما، وحبذا لو كانت لها علاقة بالأمن القومي، الذي يعتبر المظلة التي من خلالها يمكن تمرير الكثير من المشاريع السياسية والاستخبارية، ونزلت عليهم حادثة إلقاء شرطة النجدة بمنطقة الصالحية القبض على أجنبي حاول دخول المستشفى الرئاسي الواقع خلف الإذاعة والتلفزيون، ولأن الطرفين لا يمكنهما التفاهم بسبب عامل اللغة، فقد اقترح رئيس الدورية نقله إلى مركز شرطة الصالحية مقابل فندق الرشيد ومن هناك تطوع الضابط الخفر لإخبار جهاز المخابرات بالأمر، خاصة وقد سبق له العمل في هذا الجهاز قبل أن يقع ضحية من ضحايا سياسات فاضل البراك»[٢].

ولقد وجد سبعاوي ضالته في قضية بازوفت، ودبلجها ضباط مخابراته على مقاسات خاصة، ساعدته في تعزيز موقعه لدى أخيه الرئيس. ودعمته في التشبث بموقعه

---

(١) صحيفة القبس، العدد (٩٤٣٩)، ١٩٩٩/٩/٢٨، رواية ضابط المخابرات عباس فاضل مشعل الذي عمل في المكتب الخاص لبرزان التكريتي، وعمل بعضاً من الزمن في البعثة العراقية في جنيف.

(٢) صحيفة القبس، العدد ٩٤٥٢، ١٩٩٩/٣/١١.

في رئاسة المخابرات العامة. ويكشف ضابط المخابرات الهارب (عباس فاضل مشعل) خلفيات هذه القضية قائلاً:

«وعلى عجل تم تسليم بازوفت الصحافي البريطاني إلى المخابرات العراقية، التي بدأت معه إجراءات تحقيق سريعة، وفي الجولة الثانية من التحقيق تمَّ استدعاء باريش (الممرضة البريطانية العاملة في المستشفى الرئاسي الواقع خلف الإذاعة والتلفزيون). وعندما تمت صياغة أحداث مسرحية، أبطالها لا يعرفون شيئاً، ومخرجوها يعرفون الأشياء كلها، ولما كنت على صلة وطيدة بأحد ضباط هذه القضية، فقد ثرثر لي على إحدى طاولات نادي الصيد ببغداد، وما أكثرها الأسرار المتداولة هناك بعد التاسعة أو العاشرة مساءً، حيث لا ينطبق قول الشاعر:

ولـمـا شـربـنـاهـا ودب دبـيـبـهـا إلى مـوطـن الأسـرار قـلـت لـهـا قـفـي

على مثل هذه الجلسات، فالتباهي بامتلاك بعض الأسرار يعتبره بعضهم ميزة إضافية، وهذه الحالة تنطبق على كبار المسؤولين أيضاً، فهم يتحدثون إلى عشيقاتهم عن أخطر أسرار الدولة وبعدها يقولون هناك جواسيس. وأعود إلى هذا الزميل والصديق الذي قال لي: (لقد نجحنا في توجيه تهمة التجسس إلى بازوفت هذا المساء). قلت له: وكيف؟ أجابني مع ابتسامة ملعونة: لقد اعترف بازوفت بعلاقته أو معرفته القديمة مع باريش، فقلنا إذاً هي نقطة الاتصال في بغداد، وإن المخابرات البريطانية والإسرائيلية هي المسؤولية عن وجودكما في العراق، لجمع المزيد من المعلومات عن جبهة الحرب والتسلح العراقي، ومثلما أنكر بازوفت التهمة، اعترضت باريش على مجمل القضية، ولكن التوصية رفعت لمدير الجهاز للمصادقة عليها، وهكذا تمت فبركة هذه التهمة التي دفع بازوفت الثمن الباهظ فيها، فيما دفعت باريش بعض سنوات من عمرها سجينة في سجن النساء بمنطقة العبيدي غرب بغداد، قبل أن يطلق سراحها، وللتدليل على أن الهدف من هذه المسرحية، ليس له علاقة بحماية الأمن القومي، بقدر علاقته بتعزيز إمكانات سبعاوي المتهم في كل مكان من العراق بأنه أكثر المسؤولين العراقيين مجاجةً.. ودموية في وقت واحد.

فإن الذي دفع الثمن هو بازوفت فقط، وهو ما يكفي للتغطية، في حين لو كانت الأحداث حقيقية لتمَّ إعدام الإثنين معاً، الأمر الذي تعرفه باريش جيداً مثلما هو موثق في ذهنية أبطال المسرحية، والأسوأ من ذلك أن صدام وافق على تنفيذ حكم الإعدام

لأن عجوزاً أطرش في أقصى بقاع الريف العراقي، قال له بعد جهد جهيد (اعدمْه) وعرض التلفزيون صدام وهو يستشير ذلك العجوز حول إعدام بازوفت»[١].

سبعاوي ونهاية فاضل بَرّاك

رغم أن فاضل براك حسين لم يكن تكريتياً فحسب، بل إنه من عمومة صدام ويلتقي معه في جدٍ أعلى من جده (عمر بك) الذي تنتسب إليه عشيرة البيجات، وهو من فخذ قريب لهم يدعى (آلبوموسى فرج).

ولم تشفع لفاضل براك قرابته القريبة من صدام، ولا خدماته الكبيرة في توطيد حكمه، عندما كان مديراً للأمن العام ومن ثَمَّ رئيساً للمخابرات العامة.

وقد بالغ فاضل براك في الإنتقام من المناوئين للحكم ارضاءً لسيده وإشباعاً لسلوكياته المنحرفة وحبه لسفك الدماء ونرجسيته العالية جداً.

رغم كل هذا سقط فاضل براك في المصيدة التي وضعها له ابن العم، وإمعاناً في إذلاله وإهانته مرّ برحلة قاسية من التعذيب الرهيب تجرع فيها الأمرين على يد أحد حراسة الشخصيين الذي كان يدمي ظهره بالسوط ويطلب منه تنظيف غرفته بلسانه.

وقد لعب (الدكتور سبعاوي) دوراً كبيراً من أجل الإطاحة بـ(الدكتور فاضل براك) والإنتقام منه للدور الذي مارسه الأخير ضده وضد شقيقه برزان، «عندما أمر بالكشف عن كل علاقاتهم الخاصة ومشاريعهم التجارية»[٢].

«فقد كان كافياً أن يرفع الضابط محمد الدليمي الذي كان مسؤولاً عن قسم ألمانيا في مكافحة التجسس مذكرة إلى مسؤوليه الأعلى سبعاوي يثير فيها الشك من علاقات د. صباح الخياط مع البراك، الأمر الذي استوجب مراقبة شديدة ومتابعات دقيقة وصلت إلى اعتقال البراك عام ١٩٩٠) والتحقيق معه عن علاقاته وارتباطاته والمعلومات التي وصلت إلى قوات التحالف عن إحداثيات المواقع العسكرية والأمنية، ولعل البراك ومن كان معه بالسجن الخاص بالمخابرات ويدعى (الحاكمية) مثل عبد الستار الجنابي وفالح حسن المرافق الأقدم، قد رفضوا جميعاً هذه الإتهامات أو على الأقل فإن الأخيرين لم يعترفا بها، فتم إطلاق سراح الجميع، وكردٍ للإعتبار

---

(١) صحيفة القبس، العدد ٩٤٥٢، ١١/٣/١٩٩٩.

(٢) صحيفة القبس، العدد ٩٤٤٧، ٦/١٠/١٩٩٩.

أهدى صدام حسين إلى فاضل البراك، الذي كان مديراً للأمن سيارة بي أم دبليو بيضاء اللون حجم S٢٠١، ولكن بسبب تعقيدات مرحلة ما بعد غزو الكويت، وتسرب إشاعات حول تململ البراك مما جرى، أو بالأخرى قوله لبعض أصدقائه ومن ألفهم (بالماضي عندما يرتكب أحد منّا خطأ فتقع له مصيبة بعد سنوات نقول الله شوّربيه، مع الكويت الحال مختلف، حيث شوّر الله بالعراق بعد ستة أشهر أو أقل) بعدها أدخل البراك إلى سجن الحاكمية وحده هذه المرة، وتقلصت حلقة التحقيق إلى أبعد الحدود، وأجبر على تدوين اعترافات مسجلة بالفيديو.

حمل الفيلم إلى تكريت كل من سبعاوي وقصي، وعقدا اجتماعاً لعائلة البراك الموجودة هناك، وبدأ الحديث بنقل تحيات صدام وحرصه على اطلاعكم على تفاصيل هذه القضية (التي أزعجته كثيراً والتي لن تؤثر بالتأكيد على العلاقات بيننا).

بعد ذلك تمَّ عرض الفيلم الذي يتضمن اعترافات البراك، رغم ما ظهر فيها من إرباك، وساد الصمت ديوان شقيقه خالد البراك، بعدها ناشد جميع الحضور بالرأفة، طالبين نقل رغبتهم بحبس البراك مدى الحياة، رحمة به وبعائلته، وهو ما وعد به سبعاوي وقصي بنقله بكل دقة، لكن الذي حدث هو تنفيذ حكم الإعدام بمدير المخابرات الأسبق داخل سجن المخابرات، حيث كان المفروض طي هذه الصفحة التي ربما كان لها أن تزعج صاحب القرار الأوحد في العراق، والذي وجد أيضاً تشجيعات سبعاوي[١] الذي كان يكيد لفاضل البراك ويخطط من أجل الإنتقام منه. وذهبت توسلات عائلة (آلبوموسى فرج) الذين يرأسهم شقيقه (عبيد براك حسين الموسى) أدراج الرياح، رغم التعهدات التي أعطاها لهم سبعاوي إبراهيم بإيصال طلب الرحمة والرأفة إلى أخيه الرئيس.

خلا جو المخابرات لسبعاوي، وأزيلت من طريقه عقبات ضخمة، ولم يعد أمامه منافس قوي، فأخوه برزان الذي ساهم في بناء المخابرات استقر في منفاه كممثل في المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف، وتمت تصفية فاضل براك التكريتي وتنحية فاضل صلفيج العزاوي.

ولكن سبعاوي الشهير بغبائه، وانحرافه لم ينجح في إدارة المخابرات فعمد من

---

(١) نفس المصدر والعدد.

أجل «التغطية على فشله في إدارة العمليات الخارجية مثلاً، إلى تحميل المدير العام للخدمة السرية ـ العميد خليل شاكر ـ المسؤولية ومحاكمته عام ١٩٩٠ بهدف الإنتقام منه لأنه كان لامعاً في مجال عمله، على عكس سبعاوي عندما كان مديراً عاماً لمكافحة التجسس في زمن شقيقه الأصغر برزان ـ رئيس المخابرات آنذاك ـ وعلى ذلك تصفية الحسابات والحق المتأصل في النفوس فإن هذه من أكثر النقاط المتمركزة في عقلية وسلوكية أبناء العائلة التكريتية الحاكمة. . وحصر (سبعاوي) علاقاته بطبقة من التجار أو من يسمّون حديثي النعمة الذين يتقاسمون معه التجارة وسهرات الليل الغجرية»[١].

وعن تفاهة سبعاوي وهبوطه وانحلاله يقول ضابط المخابرات عباس فاضل مشعل: «وهنا قال لي رائد في المخابرات كان بالقرب منه عندما كان مسؤولاً عن إدارة الكويت عام ١٩٩٠: في واحدة من أمسيات تشرين الأول حيث التصعيد الحربي على أشده، والأوضاع مبهمة، أطل علينا سبعاوي ففاجأنا بقوله: (والله بيت عتابة من صبيحة يسوي عندي هسة الدنيا وما فيها). وصبيحة ذياب مطربة غجرية ترتبط بعلاقات حميمة جداً مع سبعاوي وغيره من المسؤولين الذين اهتموا بتحسين ظروف الغجر أكثر من اهتمامهم بتصحيح الأوضاع الإدارية أو حل مشاكل العراقيين التي لا تعد ولا تحصى»[٢].

وتدهور جهاز المخابرات بعد تولي سبعاوي رئاسته عام ١٩٨٩، إذا كانت عيوب سبعاوي واضحة «في بذاءة لسانه ومكائده للضباط الصغار في الجهاز لأسباب شخصية يتصل معظمها بغنائم نسوية، في حين الغجر حيث كانت المطربة الغجرية صبيحة ذياب ذات نفوذ واسع في الشارع العراقي بفعل الدعم الذي تلقاه من سبعاوي يومياً»[٣].

وآخر موقع احتله «سبعاوي إبراهيم الحسن» عندما عُين مديراً للأمن العامة، وكان يقضي ليله مخموراً في السهرات الليلية، فيأتي إلى مديرية الأمن نصف نائم، وفي آخر ساعة من الدوام الصباحي. وشجع عناصر أمنه على التجاوز والاستيلاء على أموال الناس، مشاركاً إياهم في هذه الصفقات.

---

(١) نفس المصدر والعدد.
(٢) نفس المصدر والعدد.
(٣) نفس المصدر والعدد.

وجاء اعتداء عدي صدام حسين على عمه وطبان بمثابة (القشة التي قصمت ظهر البعير) وكانت فرصة مواتية للتخلص منه، فقرر أخوه الرئيس إقالته من منصبه، وتعيين اللواء الركن طه الإحبابي السامرائي وهو دكتور في العلوم السياسية أيضاً. ولكن الأخير لم يستمر طويلاً، فاستبدله الرئيس بتكريتي آخر هو (طاهر جليل الحبوش التكريتي). واللافت في هذا المجال أن مديرية الأمن العامة، ومنذ محاولة (ناظم كزار) ولحد الآن لم تفلت من أيدي التكارتة إلا في فترات قليلة جداً، فمن فاضل براك، إلى سبعاوي إبراهيم الحسن، إلى طاهر جليل الحبوش، وشاركهم فيها عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن الدوري، واستلمها كذلك فاضل صلفيج العزاوي، والأخير لم يكن تكريتياً، ولكنه ابن خالة صدام حسين. وإضافة إلى احتلاله لموقع (مدير الأمن العام) تنقّل في مواقع كثيرة منها: سفير العراق بالهند، ومحافظ صلاح الدين. ونتيجة لصراعه مع (عدي صدام حسين) ألقى الرئيس ابن خالته في السجن، وفيه أفضى لأحد المسجونين معه بأن لديه وثائق هامة تدين (صدام حسين بالارتباط مع المخابرات المركزية الأميركية (CIA) وهو على إطلاع تام بذلك، لأنه كان ضالعاً في جزء منها.

أبناء سبعاوي

ياسر سبعاوي

ولسبعاوي عدد من الأبناء أكبرهم ياسر وهو برتبة رائد طيار وفي واحدة من خلافات العائلة الحاكمة وصراعاتها المستمرة، بدأ قصي صدام حسين بالتفتيش «في الأوراق القديمة التي تتهم الرائد ياسر سبعاوي بسرقة مال الدولة العام، ومن ذلك سرقته أجهزة وممتلكات من منشأة الحارث التابعة للتصنيع العسكري والخاصة بالدفاع الجوي بعد أن تمّ تعيينه مشرفاً على هذه المنشأة بداية العام (٢٠٠١م). كذلك قيامه بسرقة معدات القوات البحرية عام ١٩٩٤ عندما أشرف بنفسه على تقليص تلك القوات في العام المذكور.

هذه وغيرها من الإتهامات يوجهها قصي إلى ياسر سبعاوي ليس حرصاً على المال بالطبع، ولكن لتجاوزه على مكانة ابن الدكتاتور»[1].

(١) صحيفة طريق الشعب، العدد(٩) السنة (٦٦) نيسان ٢٠٠١.

بشار سبعاوي

مارس بشار سبعاوي وعصابته أبشع «صور التعذيب عام ١٩٩١، التي تزامنت مع حلول شهر رمضان، والذي لم تمنع حرمته وطقوسه من إلحاق أبشع الأذى بالأبرياء الذين تم تكديسهم في بيوت ومقرات الأمن والمخابرات والأجهزة الأخرى، وشهدت أرض الرضوانية على قوافل الأبرياء الذين تم إعدامهم زوراً وبهتاناً، مثلما لو قدر لأزقة وبيوت المخابرات أن تتحدث لنطقت بما يدمي القلوب، حيث تصفية الحسابات تمت بالجملة، و(التدريب) على تعذيب الأبرياء هو أكثر ما كان يتلذذ به عدي وقصي وثلة من أبناء المسؤولين في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ العراق[1]. ويضيف عباس فاضل مشعل ضابط المخابرات، قائلاً: «وقد شاءت الظروف أن أرى بأم عيني بشار سبعاوي وهو يأتي في سيارته الحمراء نوع تويوتا موديل ١٩٩٠ ليترجل وفي يده كرباج، فيبدأ حراس المقرات بإخراج بعض المظلومين، لينهال عليهم بالضرب المبرح، الذي يستمر نحو نصف ساعة، حيث يتم توقيته بزمن لا يبعد كثيراً عن موعد مدفع الإفطار، بعدها يغادر المكان وكأنه قد حقق نصراً على أعدائه، شافياً غليله، ثم يعود في اليوم التالي لممارسة الدور نفسه، الذي لا توجد فقرة بالقانون تخوله القيام بذلك، فهو ليس محققاً ولا ضابط مخابرات، إنه فقط ابن مدير المخابرات، ومن هنا يمكن تقدير عمليات التعذيب والقمع التي نفذها الآخرون من أفراد عائلة الرئيس لأن (الهمة في التعذيب) تتناسب حسب تصوراتهم، طردياً مع الارتفاع في سلم المسؤولية. لكن ذلك لا يلغي حالات أخرى، فالرجال المقربون من المسؤولية أيضاً يحق لهم القيام بهذا الدور، بدليل أن أحد مرافقي سبعاوي ويدعى جمال التكريتي برتبة نقيب، حاول زج أحد الأشخاص في دوامة هذه (المعمعة) من أجل التخلص منه تحت يافطة التآمر على الثورة، لأنه ينازعه على قلب فتاة في منطقة المصور»[2].

عمر سبعاوي

وعمر هو الإبن الثالث لسبعاوي بعد ياسر وبشار، شغل عضوية المكتب التنفيذي للإتحاد الوطني لطلبة العراق عندما كان طالباً في كلية الهندسة قسم الهندسة المدنية،

(١) صحيفة القبس، العدد ٩٤٥٢، ١١/١٥/١٩٩٩.
(٢) صحيفة القبس، العدد ٩٤٥٢، ١١/١٠/١٩٩٩.

ومن أجل احتفاظه بموقعه الطلابي، التحق بالدراسات العليا ضمن اختصاصه عام ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣ لأن من شروط بقائه في مسؤولية الإتحاد الوطني، أن يكون طالباً مستمراً في الدراسة.

وكان موضوع أطروحته في الكونكريت، ومن أجل أن يكرس جهوده في أفضل اختصاص، فقد اختير له موضوع يخص الكونكريت ويدخل في صناعة الدروع المستخدمة في قلب المفاعل النووي، فجاءت دراسته على الحصى وقياساته وأبعاده وقابليته لامتصاص الأشعة النووية، وقدم أطروحته في نهاية عام ١٩٩٥، وفي فترة مناقشتها كانت الجامعة خاوية نتيجة للظرف الصعب الذي تمر فيه، وخالية من المصادر والقرطاسية وليس فيها إلا الكتب والسبورات القديمة، وكانت أجهزة التبريد والتكييف متوقفة، ولكن في يوم مناقشة أطروحة عمر سبعاوي دبت الحياة بها، فصارت القاعة وكأنها جزء مستقل عن الجامعة، وفي أقصى سرعة نصبت أجهزة التبريد ووضعت السبورات التي يكتب عليها بأقلام (الماجيك) ووضع في القاعة (أوفرهيد بروجكتر ديته شو) يشتغل على الكمبيوتر وتظهر من خلاله شاشة على لوحة جدارية بالألوان، مع فريق عمل كامل يعد له السيناريو، ولم يكلف عمر سبعاوي نسفه حتى الكتابة على السبورة، وإنما يؤشر على الموضوع الذي يخرج بشكل منتظم على الشاشة، والأنكى من ذلك أن الأساتذة كانوا يخاطبونه بكلمة (أستاذ عمر) إن أرادوا أن يسألوه عن تصريف حالة معينة في المواد التي تتشكل منها أطروحته، فظهر وكأنه باحث علمي من الطراز الأول، أما الأساتذة فقد بدوا بصورة متلقين يستلهمون من علمه الثر أو متعلمين صغار بين يديه، وقد حضر المناقشة وكيل وزارة التعليم العالي، والدكتور عبد الإله الخشاب رئيس جامعة بغداد، وعدد من عناصر ديوان الرئاسة قسم الدائرة الهندسية وأساتذة جامعة بغداد والجامعة التكنولوجية والجامعة المستنصرية، وكانت هذه التظاهرة العلمية من أجل مشاهدة هذا الحدث التاريخي الكبير، واستمرت المناقشة ساعتين حصل فيها عمر سبعاوي على الماجستير بدرجة امتياز على رسالته الموسومة (صفات الكونكريت الداخلة في تدريع قلب المفاعل النووي).

وبهذه المناسبة أعدت وليمة كبرى في ممر الجامعة قسم الهندسة المدنية، وقدمت فيها أطباق الطعام الشهي الذي أعد بمهارة عالية، وقد ارتدى الطاقم الذي يقدم الطعام زياً موحداً، وهرع الإعلام لتغطية هذه القضية، وظل لثلاثة أيام لاحقة يروج لها.

أخذ عمر سبعاوي بالصعود المطرد في مجال المسؤولية الطلابية، واحتل موقعاً مهماً في الاتحاد الوطني لطلبة العراق، ثم صار رئيساً له، وما هي إلا فترة حتى هوى وأخذ نجمه بالأفول شيئاً فشيئاً، ثم بدأت مرحلة العد العكسي في حياته السياسية، حتى وصل به الأمر محجوزاً في معسكر الضبط في سجن الرضوانية، وأشيع وقتها أن عدياً قد ضربه بالعصا الكهربائية، بعد أن تدهورت العلاقة بينهما بسبب العلاقة الغرامية التي أقامها عمر سبعاوي مع إحدى صديقات عدي، فشكل ذلك استفزازاً سافراً للأخير الذي يعتبر هذا العمل تجاوزاً عليه، ولقنه درساً قاسياً، ولم يطلق سراحه إلا عبر وساطات مكثفة من رموز النظام حتى حصلت موافقة عدي على إطلاق سراحه بشرط أن يبقى حليق الرأس لمدة ستة أشهر، وسحبت منه حمايته الخاصة التي كانت تحيط به عند دخوله إلى اللجنة الأولمبية وهو يتوسطهم متأبطاً مسدسه الشخصي[١].

٣ ــ برزان إبراهيم الحسن

برزان إبراهيم الحسن الملقب بـ(التكريتي).. وهو الإبن الثالث لـ(إبراهيم الحسن) وأخو (صدام حسين) غير الشقيق.

من مواليد ١٩٥٢، متزوج من ابنة خاله (أحلام خير الله طلفاح)[٢]، ولديهما من الأولاد ستة (محمد، سجى مطلقة عدي، ثريا، علي، ونور وخولة).

شارك في انقلاب ١٧ تموز وعمره دون الثامنة عشر، وقد اصطحبه أخوه «الرئيس» معه قبل ستة أشهر من الانقلاب، وأدخله ضمن تنظيمات حزب السلطة، وأعدَّه لتمثيل أدوار خطيرة، وفي فجر ليلة ١٧ تموز ١٩٦٨ صعد مع صدام حسين على اللوري العسكري الذي يقلُ الرفاق أعضاء القيادة القطرية وغيرهم من بيت (كريم الندا)، وكان الجميع بانتظار السيارة المارسيدس التي يقودها صاحبها (حردان عبد الغفار التكريتي) ويجلس إلى جانبه في مقاعدها الأمامية (أحمد حسن البكر) ومن خلفهما (صالح مهدي عماش). وتنفتح أبواب كتيبة دبابات الحرس الجمهوري لهاتين السيارتين، وينزل الرفاق ليحكموا العراق بعد إطلاقة مدفع واحدة، تؤسّسُ لـ«ثورة بيضاء»، تشق طريقها في بحر من الدم بعد أيام من انطلاقها، ولم ترسُ لحد الآن بعد

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٧٠، ط١، ٢٠٠٢ (بتصرف).

(٢) توفيت بسبب مرض السرطان.

مضي ثلاثة عقود إلا على تلال الجماجم والهياكل البشرية. وبعد مرور ثلاثة عشر يوماً أي في ٣٠ تموز ١٩٦٨، يشارك برزان أخاه الأكبر غير الشقيق في اقتحام مكتب أحمد حسن البكر، حيث يجلس معه عبد الرزاق النايف، ويشهر برزان مع عصابة مكونة من (جعفر الجعفري، وسعدون شاكر، وصلاح صالح، وكامل ياسين الرشيد، وعجاج الأحمد الهزاع)، مسدساتهم بوجه عبد الرزاق النايف، فيستسلم حالاً بدون مقاومة، ويقاد من قبل صدام حسين، وصلاح عمر العلي، إلى مطار عسكري «وفي معسكر الرشيد كانت الطائرة قد أدارت محركاتها، وعند سُلَّمها وقف برزان، وسعدون شاكر، وجعفر الجعفري، وعدنان شريف، ينتظرون المسافر الذي لن يعود إلى بغداد مرة أخرى، وصعد (عبد الرزاق النايف) إلى الطائرة. واتخذ الرفاق مقاعدهم من حوله»[(١)].

وبعد عودة برزان من مأمورية المغرب، توجَّه حالاً بمعيَّة أخيه الأكبر غير الشقيق (صدام حسين) إلى قصر النهاية، ويغيب فترة خمس سنوات بالتمام والكمال، يقيم فيها داخل زنزانات الرعب، ليثير الفزع والخوف، بالذين ساقتهم الأقدار ليكونوا تحت رحمة الجلادين المتوحشين «صدام حسين، نظام كزار، سعدون شاكر، ويعاونهم عبد الكريم الشيخلي). وكان برزان شاباً وتلميذاً مخلصاً لأخيه المشرف على الأمن، يتلقَّى على يديه وأيدي زمرته المتمرسة فنون التعذيب والتنكيل بالأبرياء والشرفاء، وقصص إرهاب برزان في هذا المجال لا حد لها. وكان طاهر يحيى التكريتي، رئيس وزراء العراق الأسبق، من أوائل الذين وقعوا بيد صدام التكريتي وأخيه برزان، ليمارسا بحقه أحط أنواع التعذيب والتنكيل والاعتداء، ولم يشفع للرجل انتسابه إلى نفس منطقتهما تكريت، وانحداره من إحدى أبرز عشائرها (الشيايشة).

«وتعرض طاهر يحيى لتعذيب شديد نفّذه جلاوزة ناظم كزار وبرزان التكريتي وغيرهما، وكان صدام حسين يطلب من زبانيته تعذيب الرجل، حتى إنهم كانوا يرغمونه على تقليد مشي بعض الحيوانات أو تقليد أصواتها. وكان صدام يختفي في غرفة مخصصة له في (قصر النهاية: ليشاهد ذلك، متلذذاً بتعذيب هذا الرجل وسواه من خصومه.

---

(١) د. أمير اسكندر، صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص١١٩.

حاول عدد من الزعماء العرب التوسط لإطلاق سراحه فلم يوفَّقوا، كما سعى أحمد حسن البكر لإطلاق سراح زميله السابق، وابن مدينته، غير أن صداماً كان يعرقل كل مسعى، وفي كل مرة يزعم أن اسم طاهر يحيى ورد في مؤامرة وما أشبه»[١].

«بعدها احتل برزان التكريتي مكاناً قريباً من أخيه، الذي كان بالإضافة إلى منصبه نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ومديراً للعلاقات العامة، التي أصبحت فيما بعد المخابرات العامة، حيث تدرب على كل الأساليب التي جعلت منه حلقة مهمة في كلّ الاجراءات الأمنية التي سيطرت على جميع أحداث العراق، منذ عام ١٩٦٨ وحتى ١٩٧١، كان برزان مرافقاً لنائب رئيس مجلس قيادة الثورة، ومسؤولاً عن أمن المجلس الوطني ـ مقر رئاسة الجمهورية الفعلي ـ وما يسمى الحماية الشخصية لرئيس الجمهورية آنذاك أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين، وأن مسؤوليات الأخير لم تتوقف عن التوسع، فقد وجد من المناسب تكليف برزان بمتابعة عمل العلاقات العامة نيابة عنه، من دون أن يسميه في حينها مديراً لها، لأن أحد كوادر حزب البعث العربي الإشتراكي الصدامية ـ سعدون شاكر ـ كان يحتل موقع نائب المدير، وأصبح فيما بعد، أي من عام ١٩٧٢ مديراً للمخابرات العامة فيما راح برزان التكريتي يشغل منصب نائب المدير، لكنه أفاد من الدعم غير المحدود الذي وفره له نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين، فكان صاحب كلمة مهمة في هذه المؤسسة الأمنية (المسؤولية عن الدفاع عن الأمن القومي للعراق والكشف عن شبكات التجسس) ـ كما كان معلناً ـ ومن المهم قبل الدخول في تفاصيل هذه المرحلة وامتداداتها الإشارة إلى أن تشكيل المخابرات العراقية كان غريباً عن تاريخ العمل الأمني في العراق»[٢].

«ومن خلال هذا الحدث أراد صدام حسين إظهار هيمنته أولاً والتلويح بالعقاب الصارم (لكل) من تسول له نفسه التمادي على صلاحياته، أو بالأحرى سلطاته أو إظهار أي نوع من التحدي أمامه، خاصة أن الكثير من أعضاء مجلس قيادة الثورة، كانوا غير راضين آنذاك عن سلوكياته وصلاحياته يفرضها عبر توسيع قاعدة المخابرات»[٣].

«ولم يكن برزان التكريتي الذي أصبح رئيساً للمخابرات العراقية وهو في ريعان

---

(١) د. جليل العطية، فندق السعادة، ص١٢٠.
(٢) صحيفة القبس، العدد (٩٤٣٨)، ٢٧/٩/١٩٩٩..
(٣) نفس المصدر والعدد.

الشباب، قبل ١٧ يوليو ١٩٦٨ سوى تلميذ غير لامع في تكريت»[١] ولم يتجاوز سن السادسة عشر آنذاك. وعندما أصبح برزان التكريتي نائباً لمدير المخابرات العامة سنة ١٩٧٢ وهو لم يتجاوز العشرين عاماً.

في أيام انسجام الأخوة روَّجت صحف السلطة العراقية لـ(برزان إبراهيم) الملقب (بالتكريتي) باعتباره أصغر مشارك في انقلاب السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨، إذ لم يتجاوز عمره آنذاك الثامنة عشر. وسُلطت عليه الأضواء بعد احتلال أخيه (صدام حسين التكريتي) المواقع والأولى في الدولة والحزب، وارتبط اسمه فيما بعد بأسوأ مؤسسة قمعية هي (جهاز المخابرات العامة) خلفاً لـ(سعدون شاكر محمود).

وقد قال عنها صدام حسين يوم اقترح تشكيل دائرة العلاقات العامة التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمخابرات العامة: «إن أجهزة الشرطة والأمن تمثل حالة قديمة لأنها مرتبطة بتجربة غير وطنية، ولا بد للثورة أن يكون لها جهازها الخاص بها»[٢].

وحقيقة الأمر هي إن تأسيس جهاز المخابرات جاء لكي يستطيع (صدام حسين) من خلاله السيطرة تدريجياً على مقاليد الأمور.

وتوسعت «قاعدة المخابرات حتى وصل عدد العاملين فيها عام ١٩٨٠ إلى ٢٢ ألفاً، بعد أن كانت عام ١٩٦٨ (٥) أشخاص فقط»[٣]. ولعب صدام التكريتي وأخوه برزان وسعدون شاكر دوراً كبيراً في إطلاق «صلاحياتها من زاوية الدفاع عن أمن الثورة ومستقبلها»[٤].

«لا بل إنها كانت تتمتع بميزانية غير محددة ولا يشرف عليها ديوان المراقبة المالية لسرية النشاطات والمبالغ الطائلة المصروفة داخلياً وخارجياً، وقد لا يكون من باب المصادفة أن يقول برزان التكريتي للكادر القيادي في المخابرات في ديسمبر ١٩٧٩ ما نصه: يكفينا فخراً أن المعارض الموجود في واحدة من مقاهي باريس أو براغ، عندما يحاول أن ينتقدنا يتلفت يميناً أو شمالاً خوفاً من وجود ضابط مخابرات إلى جانبه»[٥].

قام صدام حسين بزيارة إلى مقر المخابرات في منطقة المنصور «وقد رسخت في

---

(١) نفس المصدر والعدد.
(٢) صحيفة القبس، العدد (٩٤٣٨)، الإثنين ١٩٩٩/٩/٢٧.
(٣) نفس المصدر والعدد.
(٤) نفس المصدر والعدد.
(٥) (م.س)، العدد (٩٤٣٩)، الثلاثاء ١٩٩٩/٩/٢٨.

ذهنه مجموعة كبيرة من الأفكار منها على سبيل المثال، ما هو مبرر كلّ هذا العدد من الضباط والمنتسبين؟ وما علاقة المخابرات بعمليات التصنيع الحربي والكيمياوي وما علاقتها بالطاقة الذرية؟ ثم وهذا الأهم، لماذا تناصب المخابرات وحدات الحماية الخاصة العداء، وتحاول فرض هيمنتها على تأمين الحماية لكل تحركات رئيس الجمهورية؟ ثم هل إن المخابرات بحاجة إلى سرب طائرات من نوع هليكوبتر؟ وغير ذلك الكثير، لذلك فإن أول ما فعله صدام بوصفه المسؤول المباشر عن جميع الأجهزة الأمنية، بعد إقصائه برزان التكريتي هو إعادة ترتيب بيت المخابرات»[(١)].

ويؤكد صدام أن ابتعاد برزان كان عملية عزل وليس اعتزال من خلال حديث له مع بعض الصحفيين الكويتيين في بغداد منتصف ١٩٨٣ قال صدام حسين: «لقد فشل برزان في إدارة مسؤولياته، ونحن لسنا نظاماً يبقى فيه ابن الأسرة الحاكمة مسؤولاً مدى الحياة، ولأنه لم يكن أهلاً لهذه المسؤولية تم إبعاده عن وظيفته»[(٢)] ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها (سعدون شاكر) في تطوير جهاز المخابرات وتوسيع قاعدته. إلا أن رموز تكريت كانوا ينظرون إليه بعين الإزدراء حيث كان أبناء تكريت والمناطق المجاورة لها أصحاب أفضلية بالانضمام للمخابرات، ثم سعى نائب رئيس مجلس قيادة الثورة (صدام حسين) إلى ربط دوائر مكافحة التجسس والمخابرات الخارجية ووحدة الطوارىء والعمليات الخاصة بنائب مدير المخابرات، (برزان) «الذي اختار مقربين منه لقيادة هذه الدوائر المهمة جداً في المخابرات حيث أشرف على الأولى موفق الناصري فيما تحمل المسؤوليات في الثانية والثالثة خليل شاكر وفوزي العلي»[(٣)].

فلم يعد بإمكان مدير المخابرات العام سعدون شاكر مسايرة الأمور، حتى حانت فرصة إبعاده عن هذا الجهاز الحساس بعد أن تقلد صدام مهام المؤولية الأولى في الحزب والدولة في ١٦ تموز ١٩٧٩ بعد أن صدر قرار بتعيين برزان التكريتي رئيساً للمخابرات العامة وانتقل سعدون شاكر إلى وزارة الداخلية.

وبالمناسبة كنت في أحد الأيام جالساً مع صديقي المرحوم (حسين عمر العلي) شقيق السيد (صلاح عمر العلي) بمحلة التجارة في مدينة تكريت. وكانت الصحف

---

(١) (م.س)، العدد (٩٤٤٧)، ٦/١٠/١٩٩٩.
(٢) نفس المصدر والعدد.
(٣) (م.س)، العدد (٩٤٣٨)، ٢٧/٩/١٩٩٩.

العراقية قد نقلت قبل أيام خبر وفاة (شاكر محمود العبيدي) والد كل من (محمود) و(ناطق) و(سعدون) والأخير وزير داخلية صدام الأسبق. وأشارت هذه الصحف إلى مراسيم دفنه في مدينة النجف الأشرف. فقال لي المرحوم (حسين عمر العلي): إن مجلساً خاصاً ضم (خير الله طلفاح) وآخرين في بغداد، وكانت علامات عدم الإرتياح بادية على وجه (الخال خير الله طلفاح) عند سماعه خبر دفن (شاكر محمود العبيدي) في مدينة النجف الأشرف. وكان يقول للجالسين معه: «ظهر هذا شيعي ملعون الوالدين وما ندري بيه».

إن (برزان إبراهيم الحسن) واحد من إفرازات هذه البيئة الملوثة، وقد أهله عمله في المخابرات العامة، لأن يقوم بأبشع الجرائم وأقذر الأدوار والحديث عن جرائمه يطول، وأنا أعتقد وكما ثبت بوضوح أن (برزان إبراهيم التكريتي) واحد من ثلاثة نفَّذوا جريمة العصر بقتلهم المفكر الإسلامي الكبير محمد باقر الصدر بعد استجوابهم له.

مقتل الشيخ عبد العزيز البدري

ومن أغرب الأشياء في هذا العالم المتناقض، أن يسمح لجلاد متمرس في القتل والإرهاب، ليحتل موقعاً مخصصاً للدفاع عن حقوق الإنسان في سويسرا، ويكفي أن نقدم واحدة من جرائمه، تلخصها هذه القصة المؤلمة[1].

«في ساعة متأخرة في إحدى ليالي الصيف، وبعد (عشاء دسم) في مطعم فاروق الواقع قرب قصر النهاية، استدعى صدام (الشيخ البدري) وأبدى له أسفه (لأن الشباب لم يعرفوه جيداً، فعذبوه)... رد الشيخ ساخراً:

ـ بل إنهم يعرفونني جيداً... لأنهم كانوا يحضرون أيام الجمعة لمراقبتي! حاول «صدام» المراوغة، فسأله عن «العقيدة الإسلامية»...

أجابه الشيخ:

ـ اسألني عندما تكون متمالكاً قواك العقلية!.

كانت الإشارة واضحة إلى أنه يشم رائحة الخمر من جلاده.

صرخ صدام: ـ أنت صلف... وهدام.

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٧٩، ط١، ٢٠٠٢ (بتصرف).

فرد الشيخ قائلاً: ـ بل إنَّ أفكاركم هدّامة. . إنها مزاوجة فاشلة بين أفكار ماركس ونيتشه. غضب صدام. . واستمر النقاش. . وكان مما قاله الشيخ: أنت قاتل محترف، هنا قرع صدام الجرس فدخل (برزان) الذي كان ينتظر نتيجة (التحقيق) فطلب منه تنفيذ الواجب، بعد دقائق دوت الطلقات مودية بحياة عبد العزيز البدري، ليدخل سجل الشهداء الخالدين وفي فجر الخامس والعشرين من (حزيران) ١٩٦٩، خرجت السيدة الحاجة. . لشراء الخبز لأولادها من السوق الشعبي القريب، وما إن فتحت الباب حتى شهقت. . ارتفع صراخها، ولم تلبث أن انهارت لقد فوجئت بجثة زوجها الشيخ الصالح، مسجّاة أمام الباب وآثار الدماء لا تزال طرية، واضحة على رأسه»[١].

اعتقال المهندس محمد هادي السبيتي

بعد خسارته الفادحة باستشهاد المفكر الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر في نيسان ١٩٨٠ مني حزب الدعوة الإسلامية بخسارة باهظة باعتقال أحد أبرز قادته التاريخيين المهندس محمد هادي السبيتي (أبو حسن). «من قبل المخابرات الأردنية في ٩/ ٥/ ١٩٨١ بوقت كان السبيتي على وشك أن يغادر فيه الأردن نهائياً بعد تحذيرات وصلته باحتمال تعرضه للخطر بسبب التعاون الأمني بين الأردن والنظام العراقي، والذي نشأ على خلفية الحرب العراقية الإيرانية. وبعد اعتقاله تنقل السبيتي في العديد من السجون الأردنية ومن بينها معتقل (الجفر) الصحراوي، حيث كان يتبادل الرسائل مع عائلته»[٢].

ولعب برزان التكريتي رئيس المخابرات العراقية آنذاك دوراً كبيراً في عملية نقله إلى بغداد، ولهذا الغرض قام برحلات مكوكية عديدة بين بغداد وعمان، وساهم بالتحقيق معه في عمان، وفي إحدى زياراته الخاصة طلب برزان التكريتي من السلطة الأردنية أن تسمح بنقل المهندس محمد هادي السبيتي إلى بغداد ومن ثم إعادته إليها وتم له ذلك، وبعد أسبوع من التحقيق والتعذيب في أقبية المخابرات العامة أعيد السبيتي إلى عمان.

ولم تمض فترة طويلة حتى عاد برزان التكريتي ثانية إلى عمان، وكرر الطلب من

---

(١) د. جليل عطية، فندق السعادة، ص١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠.
(٢) صلاح الخرسان، حرب الدعوة الإسلامية، حقائق ووثائق ص٤٠٣.

السلطة الأردنية لتسليمه ضيفها وأسيرها، بحجة عدم اكتمال التحقيق وكان يحمل معه هذه المرة توصية من صدام نفسه لتسهيل مهمته.

وتحت إلحاح برزان وإصراره سلمت المملكة الأردنية الهاشمية ضيفها محمد هادي السبيتي، ليلاقي في بغداد صنوف التعذيب وأهوال العذاب النفسي والجسدي، وتنقطع أخباره تماماً.

لذلك جاء تأكيد مدير المخابرات الأردنية الفريق (مصطفى القيسي) وهو يقول: «إن تلك الحادثة لن تتكرر وأنه غير مسؤول عنها لأنها جرت قبل تسلمه مهام منصبه»[١]. كان ذلك بعد أن التقى وفداً من حزب الدعوة الإسلامية واخبرهم «بشكل أو بآخر أن السبيتي قد انتهى»[٢] «وكانت معلومات قد ترشحت من داخل العراق أفادت بأن السلطات الأردنية سلمت السبيتي إلى مخابرات النظام العراقي التي قامت بتحويله إلى مديرية الأمن العامة لاستكمال التحقيق معه... وخلال وجوده في أحد أقبية الأمن العامة التقى به أحد الأشخاص من جماعة (الأخوان المسلمين) ـ من خط محمد الآلوسي ـ والذي أطلق سراحه فيما بعد، حيث سأله كيف تقضي أوقات فراغك؟ فأجابه السبيتي؛ أن لا وقت فراغ عندي لأني منقطع إلى الله تعالى»[٣].

وهكذا صار برزان الرجل الثاني في السلطة قبل بروز علي حسن المجيد وحسين كامل إلى الواجهة، ومع كل الصلاحيات والثقة الحذرة التي أولاها إياه أخوه الرئيس «حاول برزان أن يرفع الحواجز بين رئاسة المخابرات والقصر الجمهوري وهو ما نجح فيه فعلاً، حيث كانت مراسلاته سرية جداً، ولا يطلع عليها إلا صدام، وبعد هذه المرحلة من الموازنات وزع التكريتي مؤسسته لكي تكون لها مديرية عامة مسؤولة عن إدارة شؤون «عربستان»، وقد منحها كل الصلاحيات والإمكانيات، حيث كان يديرها عضو شعبة في الحزب هو حميد الدليمي ومجموعة كبيرة من مسؤولي الحزب والمخابرات، فالخطة تعتمد على نشر التنظيمات الحزبية، إن لم نقل شراء أعداد كبيرة من التوقيعات، وإعلان المبايعة للرئيس العراقي بشكل سري، مما استدرج العراق إلى الحرب مع إيران، حيث رفع برزان مذكرة سرية جداً في نهاية تموز عام ١٩٨٠ يقول

(١) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، حقائق ووثائق ص٤٠٤.
(٢) (م.س)، ص٤٠٤.
(٣) (م.س)، ص٤٠٤.

فيها: السيد رئيس مجلس قيادة الثورة المحترم، بناء على المعلومات المتوفرة لنا، والتي تمّ تدقيقها في أكثر من مناسبة، فإن أي توتر سياسي أو عسكري مع إيران سيضع تحت تصرفنا ملايين الرفاق من أبناء عربستان، الذي سيرفعون السلاح إلى جانبنا بكل صدق»[١].

هذا إضافة إلى ما بين يدي صدام حسين من معلومات تؤكد أن إيران لن تصمد أكثر من أسبوع وهي أيضاً من التقديرات المغالية لأجهزة برزان المخابراتية الموزعة داخلياً وخارجياً.

برزان وعملية الدجيل

واستمر برزان في هذا المنصب الأمني البالغ الخطورة حتى عام ١٩٨٣.

وظهرت قساوة برزان اللامحدودة بعد عملية الدجيل التي استهدفت صدام حسين «فخلال زياراته إلى منطقة الدجيل ـ شمال بغداد ـ حدث ما لم يكن متوقعاً، حيث هاجمت مجموعة مسلحة موكبه، وقتلت بعضاً من أفراد الحماية فيما اضطر صدام نفسه للإختباء تحت إحدى السيارات بانتظار وصول الطاقم الثاني من أفراد الحماية، وهو ما حدث فعلاً، عندها تم تعزيز هذه الطواقم بطائرات هليكوبتر وعناصر قوات الطوارىء في المخابرات العراقية، فيما أُعطيت الأوامر والصلاحيات الواسعة إلى برزان التكريتي لتطهير المنطقة، والتي كانت آخر مهمة له بالمخابرات العراقية[٢].

كان الرئيس العراقي المخلوع قد وعد سكان منطقة الدجيل ـ التابعة إدارياً لمحافظة صلاح الدين ـ في يوليو ١٩٨١، بأنه سيزورهم في التوقيت نفسه من السنة المقبلة، للتعرف على ما تحقق من المشاريع التي أمر بتنفيذها، أو مدى التطور الذي طرأ على نظام الحياة في هذه المدينة، ولأن الإلتزام بالكلمة والوعد، كلما تعلقت بحشد التأييد والمساندة، موقف عشائري مهم جداً بالنسبة لصانع القرار السياسي الأوحد في العراق، فقد وفى صدام بوعده، وحل ضيفاً على المدينة، وأحيط بترحاب (لا مجال لوصفه)، ذلك أنّ كلّ مؤسسات الدولة تتعطل للتصفيق والهتافات

---

(١) صحيفة القبس، العدد (٩٤٣٩)، الثلاثاء ٢٨/٩/١٩٩٩.

(٢) حكومة القرية، طالب الحسن، ص٨٦ (بتصرف).

بحياة (القائد) في كل مرة يزور بها هذه المدينة أو تلك، كيف لا وهو الدولة العراقية برمتها، المهم في الأمر أنه وما أن أوشكت الزيارة على الإنتهاء حتى هاجمت مجموعة مسلحة موكبه بكثافة نارية قوية جداً، أجبرت صدام على النزول من سيارته والإحتماء خلفها، فيما حاولت وحدات الحماية التي أصابها الذعر والخوف، بعد مقتل بعض عناصرها على إعادة ترتيب حالها، طالما أن صدام ما زال على قيد الحياة وبعد معركة حامية تم تحييد المسلحين، خاصة إثر انضمام قوات الأمن والوحدات العسكرية بالمنطقة إلى جانب أفواج الحماية، بعدها نهض صدام حسين حاملاً مسدسه، ليحيي الجماهير وليعلن بطريقة غير مباشرة (الخونة ينالون عقابهم الصارم، وهذا لا يؤثر على اهتمامنا بالدجيل وأهلها).

في هذه الأثناء وصلت الأخبار إلى برزان في مبنى المخابرات العامة، فأمر بإرسال مروحيات لحماية موكب صدام أولاً، وللتفتيش عن بعض العناصر التي قد تسللت إلى مناطق أخرى مثل بلد والخالص، فيما وصلت قوات الطوارىء التابعة للمخابرات والأمن العام بسرعة جنونية، حيث سيطرت على كل مداخل ومخارج المدنية كما انتشرت في الأزقة والبساتين، ولأن درجة الحرارة كانت مرتفعة جداً، فإن ملامح سراب تسببت في إطلاق نار وهمي، وربما هو جزء من حملة القمع والترهيب.

وعند عودته إلى بغداد اجتمع صدام مع رئيس المخابرات برزان التكريتي ومدير الأمن العام فاضل البراك، وأمرهما باتخاذ كلّ الإجراءات التي (تعيد للدولة هيبتها) وكان هذا الرأي كافياً كي تبدأ رحلة العد التنازلي في تاريخ مدينة الدجيل ومستقبلها أيضاً، ورغم أن العلاقات بين قائدي الحملة ـ التكريتي والبراك ـ لم تكن على ما يرام، فإن التبارز لإظهار مدى الولاء لصدام قد دفعهما للعمل في المرحلة الأدنى، لكنها ما لبث أن تحولت إلى معركة حقيقية انسحب بعدها افضل البراك إلى مدينة بلد، فيما راح التكريتي وَمن خلال الدعم الذي وصله سواء بالمعدات أو الأشخاص (يبالغ) في إظهار الولاء، وتكفي الإشارة إلى أنه حرق جميع مزارع وحقول المدينة وجعل منها حدائق ومنتزهات عامة، فيما حصدت طائرات الهليكوبتر المسلحين الذين كانوا يختبئون بين أشجار النخيل، وانطلاقاً من مبدأ خلق المزيد من الصراعات داخل أي مجتمع يثور على الدولة، فقد أوكلت مهمة التحقيق مع المتبقي من المسلمين إلى العقيد روكان

نواف، وهو من شيوخ العشائر في الدجيل الذي وجد نفسه بين مطرقة انتمائه للمخابرات وسندان موقفه الإجتماعي، ولأنه يعرف بأن (رفاقه) يعرفون عنه هذه المعضلة ويراقبونه، فإنه سار مع الموجة واعتبر المسلحين خارجين على قيم الوطنية والانتماء القبلي فوقّع على التوصية بإعدامهم وهو ما حدث فعلاً، وقد عرفت فيما بعد، بأن هذه المجموعة بدأت التخطيط لتنفيذ عملية الاغتيال منذ اليوم الذي قرر به صدام حسين موعد زيارته المقبلة للدجيل، لكنها أصيبت بالارتباك في اللحظة الأخيرة، ظناً منها أن الشخص الأول قد اغتيل خاصة أن مرافقه قد قتل وسيارته أصيبت بأضرار بالغة»[1].

٤ ــ وطبان إبراهيم الحسن

وطبان هو المولود الذكر الأخير لـ(صبحة طلفاح مسلط). وآخر الأكبش الأربعة من (إبراهيم الحسن) الذين أذاقوا الأمة في العراق الموت الأحمر، وساموا الناس سوء العذاب، لم يكن له أي دور قبل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، في صفوف حزب السلطة، وكان مغموراً في عهد (أحمد حسن البكر)، ويبدأ نجمه بالظهور بعد تولي أخيه غير الشقيق السلطة، وهو الأخ الثالث الذي يتزوج الثالثة من بنات خاله (خير الله طلفاح) والأولى هي سيدة العراق الأولى!! أم عدي (ساجدة خير الله طلفاح) زوجة أخيه الرئيس (صدام حسين) والثانية هي أم محمد (أحلام خير الله طلفاح) زوجة شقيقه برزان إبراهيم التكريتي.

وقد رافق زواج وطبان من ابنة خاله مشكلة عائلية، وخلاف حاد، لأن الزواج تم بطريقة منافية للشريعة الإسلامية وروح الدين الإسلامي ومجانبة للقيم والأخلاق، ومعارضة لكل التقاليد والأعراف العربية، ولم يألف المجتمع العربي والإسلامي سابقة مثلها، ولكنها مألوفة ومستساغة لدى صدام وإخوته وبقية أفراد عائلته.

وعلى أثرها بدأت خلافات حادة بين عدنان خير الله طلفاح والرئيس (صدام حسين) «عندما قام عدي (ابن صدام) بزيارة هيثم أحمد حسن البكر، وهو أيضاً متزوج من ابنة خير الله طلفاح أخت ساجدة زوجة الرئيس، وأمر عدي هيثماً أن يطلق زوجته، فامتنع الأخير، وفي إحدى المرات زار صدام نفسه منزل هيثم، وهو الذي كان يسكنه

---

(١) صحيفة القبس، العدد ٩٤٤٠، الأربعاء ١٩٩٩/٩/٢٩.

أحمد حسن البكر سابقاً بالقرب من القصر الجمهوري على نهر دجلة، فخرج هيثم من الباب الخلفي، وترك المنزل في الوقت الذي كان الرئيس صدام ينتظره في الصالون، واستشاط «الرئيس» غضباً، فأرسل عدي إليه لينقل إليه الأمر: الطلاق أو القتل، وفعلاً تم الطلاق مع العلم أنه كان لديهما أطفال.

وبعد طلاقها من هيثم تزوجت وطبان إبراهيم الحسن، شقيق صدام من أمه، وشقيق سبعاوي رئيس المخابرات آنذاك، وبرزان رئيس المخابرات سابقاً، ورئيس المخابرات العراقية في أوروبا.

وهذه الحادثة أغضبت عدنان خير الله الذي أوضح للرئيس صدام أن ذلك العمل لا يرضي الله ولا يرضي البشر، فالمرأة تحب زوجها ولديهما أطفال، فعلى أي أساس يتم الأمر بتطليقها؟ فأجابه صدام بأن القضية انتهت، والمرأة تزوجت فلا نريد إثارة الحديث مرة أخرى»[١].

لم يكن هيثم أحمد حسن البكر العراقي الوحيد الذي طلق زوجته مجبراً، لتتزوج بالإكراه من شخص آخر، فقد ورد في شريعة (صدام حسين) الكثير من أمثال ذلك، وسجل حياته حافل بمثل هذه المخالفات الشرعية المدانة، ومما يهون الخطب أن ظلم صدام حسين وعبثه زحف على بيت البكر، الذي هيأ له أسباب احتلاله منصب رئيس الجمهورية كما تقدم، وشمل جوره أيضاً بيت «خير الله طلفاح» الذي أشرف على تربيته، ومكنه من ولوج باب الجريمة.

لم يكن وطبان في منأى عن النهج الدموي الذي مارسه أشقاؤه لأنه وليد البيئة التي ترعرع فيها صدام وبرزان وسبعاوي، وخضع لنفس الأساليب التربوية التي تلقاها أخوته، وعمل بإشراف الجميع وهم يديرون أشرس الأجهزة القمعية في العراق، لذلك طفحت نوازع الشر الكامنة في نفسه، وظهرت للعيان أعماله الوحشية في أيام الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ في مدينة الشعلة. حيث تجمع أهل المدينة «على أثر تشييع جنازة فقد بدأ إطلاق النار أثناء مراسم التشييع، فتوقع الكثير من الناس أن الإنتفاضة انطلقت في الشعلة، فتعالت الهتافات، وازداد حجم المتظاهرين وبدأوا المسير، إلا أن قوات

---

(١) مجلة المجلة: العدد (٥٩٠) ٩ ـ ١٩٩١/١/١٥ (لقاء مع كريم الجبوري) من عناصر حماية صدام.

النظام تصدت للجموع الغفيرة وفرقت التظاهرة بعدما قتل البعض وجرح آخرين وتم اعتقال البقية. . وحدث هذا الأمر بإشراف مباشر من قبل وطبان الأخ غير الشقيق لصدام، الذي أمر بترك الجثث بالشارع وإلقاء البعض الآخر في براميل القمامة. . كما تم احتجاز عوائل المشتركين واستباحة بيوتهم وممتلكاتهم»[١].

«كانت إحدى أهم مشكلات أخوة صدام، هي الإشكالات السلوكية فبرزان أرغم نساء على إقامة علاقات معه، وأخوه سبعاوي المعروف بـ(الغبي) افتضح أمره في علاقات غير سوية مع من هو مثل جنسه، ووطبان تنافس مع ابن أخيه عدي حول نساء من قريباتهما داخل عائلتهما التي يفترض أنها واحدة، وقد وقعت في أيدي (المخابرات) مجموعة ملفات عن سبعاوي وعدي، وكانت هناك حيرة إن كان يجب أن ترسل إلى فاضل صلفيج بعد أن أصبح مديراً لأمن المخابرات أم لا، وفي النهاية أخذها العميد عبد الحميد التكريتي بصفته مديراً لأمن المخابرات وسلمها إلى صلفيج الذي لا نعلم كيف تصرف بها هو الآخر، لكن الجميع قرأوا الملفين، وشاهدوا صوراً فوتوغرافية»[٢].

صار وطبان إبراهيم الحسن محافظاً لتكريت فترة، وآخر منصب له وزيراً للداخلية، وشوهد ينزل من سيارته ليضرب ضابط المرور أمام الناس في شوارع بغداد، لأن الضوء الأحمر اشتعل صدفة عندما كان وطبان قد مر من هناك مع صديقاته دون سابق إنذار، ولكنه لم يستمر طويلاً في الوزارة، لأنه انصرف إلى إشباع غرائزه وملذاته، وترك الوزارة التي أسندت إليه للوكلاء والمديرين العامين، فأقاله صدام من منصبه «ومن فترة مبكرة شعر برزان بأن شقيقيه سبعاوي ووطبان سهلا الوقوع فرائس غرائزهما، فتركهما في ما هما غارقان فيه، في حين مضى هو في تكوين شبكة من علاقات قوة لبناء المؤسسة الأمنية التي تدين بولاء خاص له»[٣]، ولكن اللواء الطيار عارف عبد الرزاق الكبيسي، رئيس الوزراء العراقي السابق، يذكر سبباً مباشراً لإقالة وطبان إبراهيم الحسن من وزارة الداخلية، ويربطه بأحداث الرمادي فيقول:

---

(١) العميد الركن نجيب الصالحي، الزلزال، ص٣٤١.

(٢) صحيفة القبس الكويتية، العدد (٩٤٤٠)، ١٩٩٩/٩/٢٩. من حلقات كتبها ضابط المخابرات عباس فاضل مشعل.

(٣) (م.س)، العدد (٩٤٤٧)، ٦/ ١٠/ ١٩٩٩.

«إن الاشتباكات التي شهدتها منطقتنا الفلوجة والرمادي، في أيار (مايو) ١٩٩٥، بدأت عندما وصف خطيب أحمد مساجد الرمادي اللواء الطيار (محمد مظلوم الدليمي) آمر قاعدة الحبانية الجوية، بأنه شهيد، والذي أعدم إثر محاولة انقلاب نهاية العام الماضي، الأمر الذي أثار حفيظة عواد بندر السعدون محافظ الرمادي الذي اتصل في الحال بوزير الداخلية (وطبان إبراهيم الحسن) - الأخ غير الشقيق للرئيس العراقي - ليطلعه على ما يحدث في الرمادي.

وأضاف اللواء عبد الرزاق، عندئذ طلب وطبان من المحافظ انتظار تعليمات منه. وفي هذه الأثناء أتى قصي صدام حسين إلى المنطقة، واعتقل قادة الحزب في الرمادي، وفي مقدمتهم المحافظ، ونقلهم إلى القصر الجمهوري في بغداد، وعندما وجه الرئيس العراقي أسئلة إليهم، ذكر له المحافظ أنه اتصل بوزير الداخلية ليبلغه بما جرى، لكن الأخير طلب منه عدم اتخاذ أي خطوة بانتظار تعليماته، لكن المواجهات تفاقمت حتى تدخل وطبان لاحقاً، وحصدت صداماته مع أبناء عشائر المنطقة عشرات القتلى، ومئات المعتقلين، الأمر الذي أغضب صدام وأقال على أثره وطبان من منصب وزير الداخلية»[1].

ثم تعرض وطبان إلى رشقة رصاص من رشاش ابن أخيه (عدي صدام حسين) تحول على أثرها إلى معوق مبتور الساق. وعلى أثر ذلك أطلق (أحمد) الإبن الأكبر لـ(وطبان إبراهيم الحسن) تهديداته لعدي الذي سبب بتر ساق والده، وقرر حينها الانتقام من ابن عمه المتهور. وأحمد هو الشخص الوحيد من أبناء العائلة الحاكمة الذي لم يزر (عدي) بعد أن انهمر عليه وابل رصاص من أشخاص ذكر أنهم أعضاء في (حزب الدعوة الإسلامية)، ورقد على أثره في المستشفى يتلقى العلاج المركز، على أيدي أطباء اخصائيين أجانب لعدة شهور، وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في فصل «أبناء صدام».

رافق إصابة وطبان صراع عائلي عنيف، قاد إلى حملة تنقلات وإبعاد عن طاقم الحماية الخاصة بالرئيس، وحماية ابنيه (عدي وقصي)، وشملت هذه الحملة كل المحسوبين على عائلة إبراهيم الحسن، وفخذ البو خطاب، ومن ضمنهم الفريق الطيار

(١) مجلة الوسط، العدد (١٧٨)، ٢٦/٦/١٩٩٥.

الركن مزاحم صعب الحسن، قائد القوة الجوية السابق والمرافق الأقدم للرئيس حيث نقل إلى التصنيع العسكري. وقام عدي بإبعاد كل المقربين من وطبان من حمايته الخاصة، وشمل ذلك حكم غالب المحمود.

وكان السبب المباشر في هذا الصراع العائلي المتفجر، الذي أخذ بالاتساع احتفال جرى في نادي الصيد بتاريخ ٨/٨/ ١٩٩٥، بمناسبة الانتصار المزعوم في الحرب ضد إيران، وكان (وطبان إبراهيم الحسن) على رأس الحاضرين فيه. وعلى هامش الاحتفال جرت مشادة كلامية بين اثنين من أهل تكريت هما، حمزة عدنان خير الله طلفاح، وأحد أبناء ادهام إبراهيم الحسن. وتطورت المشادة إلى أن يهاجم ابن ادهام خصمه ويسب عدنان خير الله. فأسرع حمزة ليخبر عدي ويستنجد به، وكان الأخير يرعى احتفالاً بالمناسبة ذاتها في ناد آخر. ولما سمع عدي ما أخبره به حمزة، هاج وحمل معه غدارة أمريكية (MB5) وخرج مسرعاً إلى نادي الصيد وبلا سابق إنذار فتح رشاشه على الحاضرين لتحصد مطرباً وراقصة وعدداً من المحتفلين، وأراد وطبان أن يوقف هجومه، فسدد عليه عدي وأصابه بساقه، أما ابن ادهام رأس المشكلة فقد فرَّ قبل وصول عدي إلى مكان الحادث.

وأمام هذا الحادث اضطر إعلام النظام ـ كعادته في دبلجة الأخبار الكاذبة ـ لنشر خبر مفاده أن عدي صدام حسين كان يرعى حفلاً في نادي الصيد، وفي غمرة الفرح العارم بالانتصار وابتهاجاً بالذكرى، أخذ يطلق الرصاص من رشاشته التي مالت عن محورها فأصابت ساق وطبان إبراهيم الحسن وزير الداخلية السابق وأصيب في الحادث بعض الحضور!!

وفي الوقت نفسه كان طابور من السيارات يحمل (حسين كامل حسن المجيد) وأخاه (صدام) وزوجتيهما بنات الرئيس (رغد ورنا) وعدد من المرافقين، مجتازاً الحدود العراقية الأردنية، هرباً من همجية عدي وقسوته، وليضع رحاله أخيراً في عمان ضيفاً على الأردن، لينتهيا بعد ذلك النهاية الفظيعة على يد عدي وقصي صدام حسين، والقصة أصبحت أشهر من نار على علم[١].

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص١٠٦، ط١، ٢٠٠٢ (بتصرف).

٥ ــ نوال إبراهيم الحسن

واسمها القديم (نورية) وهي أخت (صدام حسين) من أمه، وزوجة (ارشد ياسين الرشيد) مسؤول حماية صدام وابن عمومته. وهي الأخت الثانية لصدام المتزوجة من أبناء العشيرة. أما الأولى فمتزوجة من (غالب محمود الخطاب) من أبناء العمومة أيضاً، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً وبهذه الحالة، لم تفلت من أيدي أبناء البيجات سوى اثنتين من أخوات صدام وهما (آمال إبراهيم الحسن) المتزوجة من (أحمد عبد الغني الشاوي)، و(سهام إبراهيم الحسن) المتزوجة من (رشيد النقيب).

ونوال إبراهيم الحسن، شأنها شأن الآخرين. استفادت من السلطة، في جمع المال وتركيز النفوذ والسلطان، وبهذا الخصوص تتحدث خالدة عبد القهار عبد الرحمن قائلة: «توثقت عرى علاقتي بعائلة صدام حيث كانوا يشرفون على المكتب الخاص، وعملت عن طريق زوجي بالأعمال التجارية مع أدهام ونوال، إخوة صدام من أمه، وارشد زوج نوال، وكذلك مع نمير ورافع أولاد ادهام بالإضافة إلى عدي ابن صدام الأكبر»[١].

وتضيف قائلة: «وكانت الأعمال التجارية تتم عن طريق استغلال اسمنا، أو أسماء أخرى غير أسمائهم، حيث كانوا يملكون الشركات التجارية وشركات المقاولات والاستيراد والتصدير، وكانوا يطالبون بنسب عالية من الأرباح مثل ورود البضائع إلى العراق، وهذا هو شرطهم في التعامل التجاري مع شركائهم»[٢].

ولتأكيد صحة الحديث المتقدم، في إشارته إلى كون أبناء العائلة الحاكمة في العراق كثيراً ما يستخدمون أسماء غيرهم في التجارة، وفي عمليات التجاوز والإستيلاء على ممتلكات الآخرين. حدثني رئيس حماية (آمال إبراهيم الحسن) الذي التقيته بعد فراره إلى أربيل عام ١٩٩٦ أن (هيثم أحمد عبد الغني الشاوي) وأخاه (ليث أحمد عبد الغني الشاوي) والأخيران ليسا من (البيجات)، وكلاهما (ليث وهيثم) ضابطان في الحرس الخاص وفي طاقم الحماية الخاصة بخالهم الرئيس، وقد طلبا من رئيس الحماية يوماً أن يجلب سيارة مارسيدس من إحدى كراجات بغداد ويجري لها معاملة

---

(١) صحيفة الجهاد، العدد (١٩٠)، الإثنين ٢٠ رمضان ١٤٠٥، ١٠ حزيران ١٩٨٥م.

(٢) نفس المصدر والعدد.

شراء، وعندما استفسر عن الإسم الذي يسجل فيه المعاملة، قالا له سجلها باسم (خلدون طاهر حاجم). وعندما ذكر هذا الإسم قلت له: إنني أعرف والده (طاهر حاجم محمد) وهو حزبي قديم وحائز على شارة الحرب، وهو من أبناء مدينتي (الفهود) وآخر موقع له نائب أمين سر فرع القادسية (الديوانية)، وقتل في الانتفاضة. قال مسؤول الحماية: نعم هما يسميانه (ابن الشهيد) وهو شاب في مقتبل العمر، وتربطه بـ(هيثم وليث) علاقة حميمة ويسكن في مدينة الديوانية.

وفي اليوم التالي أحضر لي نسخة كان يحتفظ بها من معاملة تسجيل السيارة ومواصفاتها وباسم (خلدون طاهر حاجم» وبقيت عندي إلى يوم ١٩٩٦/٨/٣١، يوم اجتياح جيش السلطة لمدينة أربيل فضاعت مع ما ضاع من أوراقي[١].

وتضيف خالدة عبد القهار، وهي تصف المضايقات التي تعرضت لها مع زوجها من قبل هذه العصابة، ومن أجل الحصول على المال فتقول: في أحد الأيام «أوثقوا زوجي كتافاً، وأجبر على توقيع بعض الكمبيالات بإسم ارشد وعزيز وجاؤوا بي إلى بيت في فرع القصر مهجور وأعرف مكانه، وكان فيه جميع أساليب التعذيب، ومع عزيز شخص اسمه يونس يعمل سائقاً عند ارشد، والآخر اسمه علي يعمل بالشرطة، وخاطبوني وزوجي بأن هذا هو مصيركم، وحاولوا ممارسة التعذيب، ولكني صرت أبكي وأصيح ووعدتهم بأن أفعل كل ما يريدونه مني بشرط إخراجي، ووعدتهم كذلك بتنفيذ كل الذي يريدونه. فقالوا يجب أن يوقع زوجك على هذه الكمبيالات وهذه الصكوك، وفعلاً وقّع عليها جميعاً بإسم (نوال التكريتي)، والآخر بإسم سليمة، والآخر باسم رافع ادهام التكريتي... وانتزع مني أرشد ما كان في يدي من ذهب وفي حقيبتي من أموال حيث كانت (١٣٠٠) دينار، أخذها عزيز وأعطى منها ليونس (٢٠٠) دينار ولعلي مبلغ (١٠٠) دينار.

وفي نفس اليوم الساعة ١٢ ظهراً، اتصلت بنوال وقلت لها: لماذا هذه الأجراءات والاعتقال؟ فقالت: إنك (حفرت قبرك بيدك)، مثل تلك الخادمة التي كانت عندنا، عندما أصرت بعد ٦ سنوات من العمل عندنا على الذهاب فماتت في الطريق..!»[٢].

ومن الذي يصدق بأن الخادمة التي تتحدث عنها «نوال إبراهيم الحسن» (ماتت

---

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص١٠٦، ط١، ٢٠٠٢، (بتصرف).

(٢) صحيفة الجهاد، العدد (١٩٠)، الإثنين ٢٠ رمضان ١٤٠٥هـ، ١٠ حزيران ١٩٨٥م.

حتف أنفها)، دون أن تكون قد فارقت الحياة على يد هذه العصابة، لأنها بعد العمل ست سنوات اطلعت على كثير من الأسرار، وكثيراً ما يلجأ أبناء العائلة الحاكمة إلى ممارسة هذا الأسلوب خشية الافتضاح. وبعد فرار مسؤول حماية (آمال إبراهيم الحسن) إلى شمال العراق، تابعته مفرزة يقودها (عيادة أدهام التكريتي)، وبحثت عنه كثيراً في مدينة الموصل، ثم أرسلت السلطة أخاه وهو ضابط مخابرات على رأس مجموعة أخرى من المخابرات إلى كردستان لملاحقة أخيه واغتياله.

ولم تستطع خالدة عبد القهار وزوجها الخلاص إلا بعد اتفاقها مع «نوال إبراهيم الحسن»، التي أمرتها بفتح الإعتماد على إحدى إجازات الاستيراد بمبلغ (١٥٠) ألف دينار، «وفعلاً أخذت المبلغ وتواعدت مع نوال ووكيلها عزيز أمين في نفس اليوم ظهراً لتكون عند وزير التجارة حسن العامري، الذي كانت تربطهم به صداقة حميمة، حيث كانت تزوره في بيته، وهو يشرف على جميع أعمالها التجارية مباشرة، وهي بدورها تستطيع أن تستورد مواد معينة لا يستطيع غيرها أن يستوردها»[1].

ويبدو أن (حسن علي العامري) وزير التجارة كان دمية بيد نساء العشيرة ومستغلاً إلى أقصى درجات الإستغلال من قبل أخوات صدام. وقد نشر في صحيفة (الموقف) العدد ١٦٤ في ٢٢/١/١٩٩٨ ما يسلط الضوء على هذه الحالة و(بخصوص هوانه، روى شاهد عيان كان يعمل مسؤولاً للحماية الخاصة بـ(آمال إبراهيم الحسن) أخت الرئيس وشقيقة (برزان) كيف يخرج هذا الوزير مذعوراً إلى باب الوزارة الخارجي لانتظار مسؤول الحماية بمجرد أن يتلقى «هاتفاً» من أخت صدام تبلغه فيه بأن أحد عناصر حمايتها سيصله، ويصف هذا الشاهد حالة الهلع والخوف التي تصاحب الوزير وهو يخاطبه حال وصوله «ماذا تريد الحجية ماذا تريد؟» علماً أن (الحاجة) التي يخشاها وزير التجارة، وزوجها «أحمد عبد الغني الشاوي» لا يجيدان القراءة والكتابة، ولكن انعدام الموازين والظروف التعيسة التي رفعت (صدام التكريتي) إلى رئاسة الجمهورية، دفعت أيضاً بالأميين (آمال وزوجها) إلى التلاعب بمقدرات العراق، والعبث بشؤون الوزارات العراقية»[2].

---

(١) نفس المصدر والعدد.

(٢) صحيفة الموقف، العدد ١٦٤، ٢٢/١/١٩٩٨، نقلاً عن حكومة القرية: طالب الحسن، ص١١٢، ط١، ٢٠٠٢، بيروت.

٦ ــــ آمال إبراهيم الحسن

اسمها القديم (سودة إبراهيم الحسن) وهو اسم يتناسب مع أسماء أخوتها صدام وادهام وسبعاوي وبرزان ووطبان، كإفراز طبيعي للبيئة التي يعيشون فيها. أما اسمها الأخير فقد أطلق عليها بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، والذي شكل بدوره انقلاباً في كل شيء، وعلى مختلف الصعد.

في حديث مفصل لمسؤول حماية (آمال إبراهيم الحسن) أخت صدام غير الشقيقة، وزوجة (أحمد عبد الغني الشاوي) سمعت هذه القصة الغريبة التي يفتقر بطلها لكل صلة بالقيم والشرف والأخلاق، وينسلخ عن كل معاني الرجولة والإنسانية، ويمكن أن يقاس عليها المستوى المتدني الذي ارتكس فيه أزلام قرية العوجة وأبناؤهم، وكان الراوي شاهد عيان لتلك الفضيحة، التي جرت تفاصيلها أما عينيه على يد ضابط من الحرس الخاص، هو هيثم أحمد عبد الغني في بستانه الخاص بمنطقة المحزم القريبة من مدينة تكريت. ويضم هذا البستان أشجاراً كثيرة لفواكه متنوعة أكثرها من أشجار المشمش، ويدير شؤون البستان فلاح مصري في سن الكهولة، وصادف أن جمع هذا الفلاح المسكين كمية قليلة من فاكهة المشمش المتساقطة على الأرض، وأخذها إلى أصدقائه المصريين المقيمين في فندق الرافدين وسط مدينة تكريت، ويمتلك هذا الفندق خير الله طلفاح وأخو المغدور ناجي رشاد النقيب التكريتي وهذا الأخير ضحية قصة غريبة أخرى.

ولما سمع هيثم ابن أخت الرئيس بوصول هذه الكمية القليلة من الفاكهة إلى المصريين وبواسطة فلاح بستانه، استشاط غضباً، وطلب حضور الفلاح المصري إلى (الربعة). وهي غرفة كبيرة تتوسط البستان، والربعة هي اسم آخر لدار الضيافة وتستخدم بدلاً من (المضيف)، وهو المكان الذي يبالغ فيه العربي بإكرام الضيوف. في هذا المكان تجري تفاصيل هذه القصة على يد بطلها هيثم أحمد عبد الغني الشاوي ابن أخت الرئيس، بعد أن نصب هيثم نفسه قاضياً لاستجواب الفلاح المسكين، قائلاً له بنبرة تهديد واضحة: لماذا أخرجت الفاكهة من البستان وأخذتها إلى أصدقائك المصريين المقيمين في فندق الرافدين؟ قال الفلاح المصري: سيدي إنها كمية قليلة، كانت متناثرة على الأرض، وكان بعضها تالفاً، والبعض الآخر خشيت عليه من التلف، فأخذته وكنت أعتقد رضاك فيما أقدمت عليه. فسدد هيثم صفعة قوية إلى وجهه قائلاً

له: الآن اخلع ملابسك. تردد المصري وهوى على يديه يقبلهما ويرجو منه السماح، فعاجله هيثم بثلاث إطلاقات من مسدسه بالقرب من رأسه وهو يصرخ به: إخلع ملابسك. وانهار على أثرها هذا المسكين وخلع جلابيته، ثم طلب منه أن يخلع ملابسه الداخلية، ويبقى عارياً. فتردد المصري قليلاً، فعاجله (هيثم) مرة أخرية برصاصات قريبة من رأسه جداً. عندئذ وصل الفلاح المصري إلى قمة انهياره وهو يخلع ملابسه خوفاً من الموت، وصار عارياً بين يديه وحمايته يحيطون به، ولم يكتف بهذه العقوبة، ولم يأبه لحالة الخوف والفزع التي انتابت هذا المعدم الفقير، وإنما أمر أحد حمايته المدعو (جاسم) بالاعتداء على شرف هذا الفلاح الكهل المسكين، وصاحبنا الراوي ينظر إلى الجريمة البشعة من شباك الربعة. وبعد هذه الجريمة بأيام لم يجد الراوي أثراً لهذا البائس المسيكن واختفى تماماً عن الأنظار، وهو يعتقد بأنه لقي حتفه فيما بعد على يد هيثم خوفاً من انتشار هذه القصة المؤلمة والافتضاح الذي يرافقها. هذا نموذج واحد للشر المتجسد في نفوس أبناء قرية العوجة التي كانت تحكم العراق.

وهذا الفعل الشنيع نموذج بطله واحد من أسباط إبراهيم الحسن وزوجته صبحة طلفاح مسلط، وسيكشف التاريخ فضائح وجرائم كثيرة أخرى لن يتحملها العقل، ولن يستطيع الخيال أن يعطي صورة حقيقية للمشاعر التي تصاحبها أثناء وقوع الفعل، لأنها فوق الخيال.

ويروي أيضاً رئيس حماية (آمال إبراهيم الحسن). أنه كان يقود سيارة (هيثم الشاوي) الذي كان يجلس إلى جانبه، وبعض أفراد الحماية في الخلف، وفي الطريق بين الموصل وتكريت توقفت السيارة ولم نستطع تصليحها، ومرت علينا سيارة يقودها نائب ضابط وإلى جانبه يجلس ضابط برتبة عميد، فأشار هيثم للسيارة، ولكنها لم تتوقف فأطلق عليها النار فتوقفت ونزل منها الإثنان، وكان العميد يحث الخطى باتجاهنا لمعرفة مصدر إطلاق النار ومحاسبته، ولما دنا من هيثم عاجله بصفعة قوية قائلاً له: لماذا لم تتوقف أعطني الهوية. فخارت قوى العميد وهو يقول: من أنت؟ من أنت؟ فأجابه لا عليك أعطني الهوية. فاستجاب العميد وسلم هويته. وبعد وصولنا إلى البيت، حدث هيثم أمه بقصة العميد، وتحدث أيضاً عن بطولاته فيها، فقالت له الأم: هذا لا يكفي، لماذا لم تقتله؟ أعطني الهوية. واتصلت تلفونياً لمعاقبة العميد، إضافة

إلى ما تلقاه من إبنها من ضرب وإهانة، وفعلاً تمت معاقبته بنقله من إحدى المعسكرات الثابتة إلى جبهة القتال أيام الحرب العراقية الإيرانية.

وفي قصة مشابهة أخرى، سدد هيثم فوهة بندقيته باتجاه سيارة لم تتوقف له عند عطل سيارته في إحدى المرات، وأطلق عليها النار وقتل طفلاً كان مع عائلته داخل سيارتهم، وبعد تعرف الأب على الجاني، اشتكى لدى الخال الرئيس، فأمر بسجن هيثم لمدة شهر في سجن أبي غريب، ولكن في جناح خاص يتوفر فيه كل شيء، وفي إحدى زيارات رئيس الحماية له في السجن، وجد عنده المقدم غالب الدوري ابن أخت (عزت الدوري) الذي سام السجناء سوء العذاب، وقد نقل السجناء صوراً مهولة عن قسوته ووحشيته. ولكن هذا القاسي الغليظ القلب كان أمام هيثم كالخادم المطيع، وقد شوهد من قبل رئيس الحماية وهو يصبغ حذاء هيثم بيده داخل السجن، ويأتي له بالطعام.

وقد مارس ديوان رئاسة الجمهورية أسلوباً في إطلاق سراح هؤلاء الجناة من السجن، بتوجيه كتاب إلى مدينة الطب يأمرها بتزويد الجاني بتقرير طبي يشير إلى إصابته بأحد الأمراض النفسية، فيتم إطلاق سراحه من السجن بهذه الطريقة، ويعود لمزاولة جرائمه واعتداءاته، وقد كان لدي قبل اجتياح أربيل في ١٩٩٦/٨/٣١، كتاب من رئاسة الديوان، يؤكد هذا المنحى، ويأمر بإطلاق سراح (ليث أحمد عبد الغني الشاوي) من السجن لإصابته بأمراض نفسية[١].

(١) حكومة القرية، طالب الحسن، ص١٢٠، ط١، ٢٠٠٢، بيروت.

الفصل السادس

أبناء صدام.. وقائع مخيفة

أبناء صدام

عدي صدام حسين : (الابن الأكبر لصدام حسين): كان رئيس تحرير صحيفة بابل وكان يسيطر على جميع وسائل الإعلام العراقية؛ عضو المجلس الوطني العراقي؛ رئيس اللجنة الأولمبية العراقية؛ يشتهر بسلوكه العنيف وغير المستقر.

قصي صدام حسين: (الابن الأصغر لصدام حسين): كان يشرف على جميع دوائر الاستخبارات والأمن العراقية، الحرس الجمهوري، والحرس الجمهوري الخاص. في عام ٢٠٠١، عين نائباً لرئيس المكتب العسكري لحزب البعث وانتخب عضواً في القيادة الإقليمية لحزب البعث.

عائلة حسين عن قرب

يقال بثقة إن صدام حسين معجب بأفلام Godfather. والتشابه سهل واضح: فهو يحكم العراق بالطريقة نفسها التي يستخدم بها زعيم المافيا عائلته للسيطرة على مشروع إجرامي. يقول مصدر استخباراتي في الولايات المتحدة: «فكر بالعراق باعتبارها شيكاغو وصدام كزعيم عصابة، ولكنه [مسلح]بأسلحة كيماوية وبيولوجية». وفي الوقت الذي كانت تحضّر فيه إدارة بوش لمحاولة القضاء على صدام فإن مخططي الحرب في الولايات المتحدة وكبار الجواسيس كانوا يبدون اهتماماً شديداً بعلاقات رجل العراق القوي العائلية.

الروايات عن أبناء صدام، والتي قصها عدد من المنفيين تبدو تقريباً أكثر بشاعة من أن تُصدّق. وبعضها قد يكون مبالغاً به، ولكن ليس كثيراً، حسب مسؤول كبير من الإدارة مطلع على ملفات وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي أيه) عن ولدي صدام. وتتوافر معلومات أكثر عن عدي فقط لأنه كان همجياً في فساده، قصي موجود كما

يقول هذا المصدر في الظل، نحن لا نعرف الكثير [عنه]. لكن الاعتقاد كان تعتقد أن قصي هو خليفة صدام الحقيقي المنظور لسبب بسيط هو أنه يسيطر على الأمن الذي يبقي والده في السلطة حياً. ونظراً لتاريخ أسرتهما فإن من الغريب أن ولديه لم يقض أحدهما على الآخر (مع أنهما قد يكونان قد جربا ذلك).

كلا الرجلين ولدا وترعرعا ضمن أفظع أنواع العنف، كرضيعين، يقال إنهما أعطيا قنابل غير قابلة للتفجر كألعاب، وبشكل أكثر موثوقية، قيل إنهما رافقا أباهما في رحلات إلى غرف التعذيب. فما الذي رأياه؟ الأساليب التي لم يكن حزب البعث الحاكم حريصاً على إخفائها. وحين دحر الجيش البعثيين لفترة قصيرة في بدايات الستينات، اكتشف غرفة رعب عمل فيها صدام كضابط. وفي أقبية قصر النهاية (سمي كذلك لأن الملك فيصل الثاني قتل هناك في ١٩٥٨)، وجد الجيش «أسلاكاً كهربائية بكلابات، وخوازيق حديدية مدببة كان السجناء يجبرون على الجلوس عليها، وآلة كانت ما زالت عليها آثار الأظافر المنتزعة» حسب رواية قائمة على مصادر رسمية.

آمن صدام دائماً بالقوة الرمزية للتشويه، يقول كنعان مكية في دراسته عن عراق صدام Republic of Fear (جمهورية الخوف) «تحت التعذيب، يظهر القوي والعالي حرفياً على أنهم معجونون بالضبط من المادة نفسها كغيرهم»، وكحاكم للعراق أرسل صدام أجسام ضحاياه المحطمة إلى عائلاتهم. وكان يهدف إلى خلق «الإنسان الجديد» في العراق، كما حاول هتلر وستالين أن يفعلا بالضبط في ألمانيا النازية والإتحاد السوفييتي. وقد يكون نجح في تحويل ولديه إلى مجرمين مضطربين عقلياً.

واستخدم عدي موقعه بوصفه الإبن الأول لمحاولة التعويض عن قصوره البدني. فمنذ طفولته جعلته أسنانه الأمامية الناتئة يتكلم بلثغة، ومع أنه تزوج من مرتين إلى خمس مرات (تختلف الروايات حول ذلك)، إلا أنه لم ينتج ذرية. وقد سعى لإثبات رجولته بطرق أخرى. وهنالك قصص عديدة حول تعيينه لوجه جميل في الشارع، ومن ثم إرسال حراسه لالتقاط المرأة تعيسة الحظ ووضعها في ملهى ليلي كي يساء إليها جنسياً من قبل عدي، وأحياناً أمام مشاهدين. لطيف يحيى، وهو منفي عراقي يدعي أنه خدم سنوات عديدة كبديل لعدي، وصف المناوشة الدنيئة التالية:

بينما كان يتمشى في حديقة عامة عاين عدي زوجين شابين. ونادى المرأة الشابة،

لكن الزوجين واصلا المسير متظاهرين بعدم ملاحظته، ولدى إحساسه بالإهانة أمسك عدي المرأة من ذراعها بعنف وأعلن «إنك جميلة جداً على مثل هذا الرجل البسيط». (كان مرافقها يرتدي زي كابتن في الجيش). وتمتمت المرأة بأنها كانت قد تزوجته في اليوم السابق فقط. وسحبها حراس عدي فوراً إلى غرفة فندق حيث اغتصبها عدي بينما كان الحراس ينظرون من الغرفة المجاورة. ويقول لطيف، الذي يقول إنه شهد هذا المنظر، إنه سمع المرأة تصرخ، وذهب إلى الشرفة ليرى بدنها نصف العاري مرمياً أمام مدخل الفندق المكون من ستة طوابق في الأسفل. زوجها، الذي شتم عدي، أعدم بتهمة «قذف الرئيس»، ومن المستحيل تأكيد قصة لطيف، لكن الإعلام العراقي تحدث عن إعدام الزوج، سعد عبد الرزاق.

واجه عدي غضب والده في شبابه عندما قتل أحد حراس صدام المفضلين في فورة سكر، هنالك عدة روايات حول هذه الحكاية، ولكن يبدو أن كمال حنا جوجو، الذي تضمنت مهماته في القصر تذوق طعام صدام، أقام حفلة صاخبة جداً على جزيرة في نهر دجلة في أحدى ليالي ١٩٨٨. وتضمن الصخب إطلاق نار من بنادق أيه كيه ٤٧ في الهواء، وهي ممارسة عادية بين صفوف النخبة العراقية، لكن يبدو أن الضجة أزعجت عدي الذي كان يقيم حفلة خاصة به في حديقة مجاورة. (ويقال إن عدي، الذي يفضل أمه، كان غاضباً من جوجو لأنه كان وسيطاً بين صدام وإحدى خليلاته). واقتحم عدي حفلة جوجو وطعن المضيف في الحنجرة بمشرط ورد كهربائي، ثم أطلق عليه النار في وجهه.

العقوبة..!

عاقب صدام ابنه المزاجي بأن أرسله إلى سويسرا لمدة ٤٠ يوماً، وسمح لعدي بالإبقاء على امتيازاته وعمله كرئيس اللجنة الأولمبية العراقية. (مقر اللجنة الأولمبية في بغداد قد يكون الوحيد في العالم، كما يشير الصحافي البريطاني باتريك كوكبيرن، الذي تحميه أبراج حراسة مسلحة على طراز القرون الوسطى). ويدير عدي سجنه الخاص في مقر اللجنة الأولمبية، حيث عرف بضربه للاعبي كرة القدم الذين يفوتون فرصة تحقيق أهداف وسمح صدام منذ وقت طويل لإبنه بإدارة وزارات الاستيراد والتصدير، وهي مريحة جداً في نظام عاش تحت العقوبات الدولية منذ حرب الخليج

في ١٩٩١. «أظهر عدي موهبة حقيقية في اللصوصية، والابتزاز، والرشوة»، كما يقول «أحمد، وهو كولونيل سابق في قوات أمن صدام هرب من العراق ويعيش الآن في لندن. واستطاع عدي كسب ملايين الدولارات من مهربي الكحول والسجائر، حسب قول مسؤولي استخبارات الولايات المتحدة.

وكان عدي لا يزال يعيش مجده حين قابل كوكبيرن في فندق الرشيد في بغداد عام ١٩٩٤. ومتأثراً بزجاجته الخاصة من الكونياك، قال عدي لكوكبيرن إنه كان قد خسر فرصته في الذهاب إلى أمريكا للدراسة في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (أم آي تي) بسبب الحرب العراقية ـ الإيرانية في الثمانينات. «لقد قدمت امتحان القبول بالجامعات، وأبليت بلاء حسناً. ونجحت بتفوق»، قال عدي متباهياً. (تخصصه المبتغى: الهندسة النووية). وعلى المائدة كان الأخ الأصغر قصي، «متأنقاً في لباسه، محمراً من الاستحياء، ومتحدثاً بهدوء عن حضارة ما بين النهرين».

وابتسم عدي بحنان وهو يقدم قصي: «لم يعد طفلاً الآن، إنه ينتزع قوات الأمن».

وربّما ودون أن يعني ذلك، أفشى عدي أن أخاه الأصغر قصي كان في الواقع أكثر سلطة منه وأنه يتمتع بمقدار أكبر كثيراً من الثقة لدى والده. وكان يدير قصي منظمة الأمن الخاصة، رأس حربة شبكة صدام الأمنية من المخبرين والسفاحين. وقصي هو أيضاً قائد الحرس الجمهوري الخاص الفعلي، القوة المكونة من ١٥,٠٠٠ جندي أو ما يقرب من ذلك، الأكثر ولاء لصدام. وحسب مصادر علية فإن صدام شخصياً يسيطر على بضع عشرات من الحراس الشخصيين اختيروا من رجال قبيلته في مدينة تكريت، إلا أنه يعتمد على ابنه الأصغر للعناية بما تبقى من جهازه الأمني.

لا يحدث الكثير في عراق صدام دون معرفة صدام أو قصي به، وهو سبب بقاء محاولة اغتيال عدي في ١٢ ديسمبر ١٩٩٦ لغزاً محيراً إلى هذه الدرجة، في تلك الليلة كان عدي يقود سيارته من طراز بورش ذات لون الشمبانيا متجاوزاً مكاناً لبيع المثلجات في قطاع المنصور، وهو شارع للطبقة الراقية، حين هوجم من قبل مسلحين. وأصيب عدي ثماني مرات في ذراعه، ومعدته، وفخذه. وقد عاش بأعجوبة، لكن استعادته لعافيته كانت صعبة ومهينة، وتوجب عليه استيراد جراحين لاستبدال ذقنه، وكان يسير بكثير من الصعوبة. وحسب أحمد، الكولونيل السابق في قوات الأمن المنفي في لندن،

فإن «أحد أول الأشياء التي فعلها عدي في المستشفى هو أنه أمر حراسه الشخصيين بالخروج وإحضار امرأة» لفحص رجولته، وكان عدي يخجل من أن يرى على كرسي متحرك.

وأتعجب مصادر مخابرات الولايات المتحدة فعلاً فيما إذا كان عدي قد شوه قصداً، ولم يقتل. «كان البيزنطيون يشوهون ضحاياهم، فيقطعون ألسنتهم، ويقتلعون عيونهم»، ولكن من قِبَل من؟ إطلاق النار حدث على بعد شارع واحد فقط من مقر جهاز المخابرات المرعب، الذي كان أخوه قصي يرأسه آنذاك. وقد ظهر عدي على شاشة التلفزيون ليدعي أن الإيرانيين هم الذين أصابوه، ولكن لم يخضع أحد لمحاكمة أو يعدم. وتكهن البعض بأن عمه وطبان قد وظف بعض المأجورين بقصد الانتقام، وفي فورة سكر أخرى في ١٩٩٥ كان عدي قد أصاب وطبان بعدة طلقات في رجله خلال حفلة. في الليلة نفسها هرب كان صهريّ صدام (حسين كامل وصدام كامل) قد هربا إلى الأردن بعد خلافات مع عدي. لكن من المشكوك فيه أن وطبان كان يمكن أن يفلت بأي شيء ما لم ينظر قصي ـ أو صدام نفسه ـ نحو الجهة الأخرى.

أيمكن أن يكون صدام أو قصي قد جربا تصفية عدي؟ إنه أمر غير مستبعد أبداً، يقول «يوسف»، وهو حارس سابق من مستخدمي صدام بعد فراره للأردن. «الجميع في البلاد يكرهون عدي، لكن عائلته تكرهه أكثر، شجع صدام أبناء عمومة عدي على قتله»، ولم يكن تأكيد رواية يوسف ممكناً، ولكن حين هرب من العراق في ١٩٩٩ كان يعمل ككابتين في صفوف حراسات عدي الخاصة. وأنب صدام عدياً وهو يرقد في سرير المستشفى في ١٩٩٧. وفي شريط تسجيل يحتمل أن يكون صدام قد سمح بتهريبه خارج العراق، يمكن سماع كبير العائلة موبخاً [إبنه]»: تصرفك يا عدي سيىء، لا يمكن أن يكون هناك أسوأ من تصرفك، نريد أن نعرف أي نوع من البشر أنت؟ هل أنت سياسي أم تاجر؟ قائد شعب أم متصاب؟ عليك أن تعرف أنك لم تقدم شيئاً لهذا الوطن أو لهذا الشعب، إن العكس هو الصحيح». والغريب أن صدام وجه أيضاً نقداً أقصر، لكنه مباشر لقصي، فقد دعا ابنه الأصغر بـ«ذي الوجهين».

ويبدو أن صدام كان متردداً في أن يتصدى لإبنه الأكبر بشكل أكثر وضوحاً لأسباب قبلية: إن ذلك سيكون اعترافاً بفشله كأب، لكنه يترك الحبل قصيراً له، فيسمح لعدي بإدارة صحيفة زاخرة بالتبجح العرقي، وترؤس ميليشيا عسكرية تعرف بفدائيي

صدام. إلا أنه يتوجب عليه الحصول على موعد لرؤية والده، وعليه أن يترك حراسه خارجاً. قصي من الناحية الأخرى، يتمتع بإمكانية الدخول بحرية يومياً لمشاهدة والده.

«يقول مسؤول استخباراتي عربي عرفه لمدة ١٥ عاماً، قصي «يتسم بالثبات كثيراً» إنه يحاول الظهور وكأنه أبو الهول. إنه يريد [اكتساب] صورة شخصية شديدة البرود، مع أنه بحاجة لأن يعمل على ذلك؛ إن ذلك لا يأتيه بشكل طبيعي». إنه بقسوة أخيه نفسها ويضيف أحمد «الحقيقة هي أنهما الشيء نفسه، إنهما يحبان حقاً رؤية الدم؛ يحبان رؤية الناس يتعذبون. الفرق هو أن قصي يفعل كل شيء بهدوء؛ ولم يعمل يوماً في العلن كعدي»[١].

وقائع مخفية لعدي صدام حسين يرويها د. هاشم حسن

القصة الكاملة لمحاولة اغتيال عدي صدام حسين[٢]

تخطيط جريء

كثر الحديث عن محاولة اغتيال عدي صدام حسين مساء يوم الثاني عشر من كانون الأول ديسمبر عام ١٩٩٦، واختلطت الوقائع الحقيقية بالأوهام المتخيلة عن واقعة الاغتيال نفسها، وما تلاها من إجراءات أمنية للبحث عن الجناة، ومراحل العلاج التي خضع لها عدي والتكهنات عن حالته الصحية الحالية. سنحاول أن نضع النقاط على حروف كل تلك الروايات المرتبطة بهذه الحادثة، وسنروي الوقائع الحقيقية وبما تيسر لنا من معلومات استقيناها عبر مشاهدات حية كنا فيها شهود عيان على ما جرى فعلا .. وأخرى استمعنا إليها مباشرة وكما رواها عدي صدام حسين شخصيا بعد أيام قليلة من نجاته من الحادث المثير. اعتاد عدي صدام حسين أن يقود سيارته بنفسه ويظهر في

---

(١) نيوزويك ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٢ (بتصرف).

(٢) نشرت هذه الأحداث على صفحات صحيفة الرأي الآخر الإلكترونية على حلقات، وقد اجتزأنا منها المهم للنشر حتى لا نخرج عن سياق الكتاب.

الأماكن العامة ويختلط بالعديد من الفئات الاجتماعية بحكم إشرافه على منظمات واتحادات عديدة، فهو يتولى رئاسة اللجنة الأولمبية الوطنية العراقية، ونقيبا للصحفيين، ورئيسا للاتحاد الوطني لطلبة العراق ولاتحاد الشباب أيضا ومشرفا على إذاعة وتلفزيون الشباب ورئيسا لمجلس إدارة صحيفة بابل، والعديد من الصحف الأسبوعية إضافة لقيادته لمنظمة فدائيي صدام ولجان وهيئات أخرى لا حصر لها إضافة لتعاملاته التجارية ومصالحه مع كبار المسؤولين في الدولة وعضويته في السنوات الأخيرة في المجلس الوطني وعلاقاته مع الفنانين والأدباء ومقابلاته المباشرة مع أصحاب الحاجات والطلبات الخاصة.

ناهيك عن تفاصيل أخرى لحياة شاب يحاول أن يستمتع بما توفر له من مباهج الدنيا، فهو يدمن ركوب الخيل وممارسة الرياضة والرقص والخروج إلى الصيد ومجالسة الندماء حتى الفجر، ولا يتردد في حضور الحفلات وزيارة المنتديات الليلية، ويكاد يلتقي كل يوم بوجوه كثيرة في مقره في قصر العابد على الضفة الغربية لنهر دجلة.. كان عدي يستمتع بجولات مسائية في بعض مناطق وشوارع بغداد الراقية خاصة أيام الجمع والعطل الرسمية حيث تزدحم هذه المناطق بأنواع البشر خاصة النساء الأرستقراطيات والمنفلتات من أسر القيود الشرقية واللواتي يستعرضن مفاتنهن في عرصات الهندية والجادرية والمنصور وهي المناطق ذاتها التي يكرر عدي زيارتها بعدد قليل من رجال الحماية وفي أحيان كثيرة بدونهم! فهو يحب أن يمارس الصيد بعيدا عن أنظارهم! وكان عدي في ساعات الليل المتأخرة يزور مطبعة رقم (٤) في الأعظمية قرب جامعة البكر ليطلع على مجريات العمل في صحيفة بابل.. وفي هذه الساعات التي يعم الهدوء فيها شوارع بغداد، وينسحب الناس إلى منازلهم مبكرين بعد رحلة عمل متعبة تدفعهم إلى نوم مبكر.. في هذا الوقت تبدأ حياة عدي فتراه يتنقل من مكان إلى آخر فيتجول بين المنتديات الليلية في فنادق الدرجة الأولى الرشيد، المنصور ميليا، الشيراتون، بابل، الميريديان، نادي الصيد.. ومعه بعض الندماء والقليل من عناصر الحماية، ويرتدي في أغلب الأحيان أزياء غير مألوفة مثل القمصان المزركشة وآخر صرعات الأزياء العالمية الباريسية التي يستوردها بانتظام كل موسم.. ويلبس أحيانا زي البادية، الثوب الأبيض الذي تتقاطع عليه أحزمة جلدية تغطيها صفوف الرصاص وحاضن لمسدس يضعه على اليمين ويعتمر كوفية وعقالا وكأنه من شيوخ شمر وهم في

غزوات القرن الماضي، لا سيما وأن (الأستاذ) يطلب أحيانا من حمايته ارتداء الزي ذاته! وتجري في هذه الغزوات الليلية لعدي صدام حسين وقائع مثيرة تتسرب في اليوم التالي إلى الشارع العراقي فتصبح حبة الثلج كرة كبيرة يضيف عليها كل لسان ما شاء من تفاصيل، برغم أن الذي يحدث أحيانا لا يصدق بحد ذاته ولا يحتاج لخيال يضخمه!.. وفي هذه الأماكن تتكون لعدي كل يوم علاقات جديدة خاصة في المنتديات الليلية ومع سيدات وسادة الليل المغامرين المقامرين وجلهم نماذج غير مألوفة من البشر! ولهذا نستطيع أن نجزم وبثقة غير مبالغ فيها، ونقول إن عملية اغتيال عدي صحيح أنها جريئة جدا ودقيقة التخطيط، لكنها لم تكن عملية مستحيلة أو صعبة لمن يريد أن يقرر اغتياله، لأن كثرة تحركات واختلاط عدي تتيح فرصة نادرة لرصده وضبط مواعيد جولاته المتكررة على الأماكن ذاتها وبدون حماية في أحيان كثيرة.

ويختلف عدي في هذا الجانب عن شقيقه قصي الذي كان يضفي على تحركاته طابع الإخفاء والتضليل المخابراتي المتقن، والتكتم الشديد على تفاصيل علاقاته، وهذا ما يفسر اقتران حياة عدي وسلوكه بشائعات كثيرة جدا، مصدرها طبيعة الوسط الاجتماعي الذي يلتقي فيه من رياضيين وصحفيين وفنانين وتجار ورواد المنتديات الليلية!، بينما يقتصر قصي في لقاءاته على مسؤولي الأجهزة الأمنية وقادة الجيش وفي مقدمتهم الحرس الجمهوري، ويمارس في الظل حياة مترفة فخمة لا تسلط عليها الأضواء مثل شقيقه الأكبر، ولعل هذه الصفة هي التي أعطته أرجحية في نظر والده فسلمه مقاليد السلطة ومنحه منها حصة الأسد وترك لنجله الأكبر حصة الأرنب! ولهذا يمكن القول أن قصي على سر أبيه وليس عدي كما ذكر أحد الكتاب، والوقائع تؤكد ذلك وتكشف عن امتعاض صدام حسين من تصرفات نجله، واعتراضات النجل على نهج أبيه كما سنوضحه في الفصول القادمة! لم تكن ليلة الثاني عشر من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٩٦ ليلة عادية في حياة عدي صدام حسين، بل كانت نقطة تحول في حياته، واللحظة الأولى التي قرع فيها جرس الخطر لأسرة صدام حسين بكاملها. خرج عدي في تلك الليلة في سيارة البورش المميزة الشكل واللون، وأجلس إلى جواره علي الساهر أحد مرافقيه، والذي أصبح فيما بعد واحدا من نجوم الغناء في تلفزيون الشباب، برغم رداءة صوته وشكله الأسمر المتواضع، وشتان ما بين علي الساهر وكاظم الساهر - الذي ارتبط هو الآخر بعلاقات مع عدي انفرطت في السنوات

الأخيرة - فلا تربط بين الرجلين علاقة قرابة أو قواسم مشتركة في الفن أو الأخلاق سوى التشابه بلقب الساهر فقط!

وتروى عن الساهر الذي تخصص بمرافقة عدي في جولاته الليلية وكان آخرها تلك الليلة الليلاء حكايات غريبة جدا .. فعرف عن علي الساهر أداء مهمة غريبة للأستاذ، تتمثل في الترويح عنه وإضحاكه من خلال القيام بحركات بهلوانية، تبدأ حين يدفع إليه عدي بقنينة خمر كاملة من الخمر العراقي المعتق، ويطلب منه احتساءها دفعة واحدة وخلال دقائق ليسكر حتى الثمالة.. بعدها يهبط الساهر أرضا ليمشي على أطرافه الأربعة مثل الدواب ويقترب من قدمي عدي وهو يقلد حركات الكلاب ويطلق سيلا من النباح وبنغمات متنوعة تدلل كل نغمة على حالة معينة أو صفة، فتارة يقلد الساهر صوت كلب الحراسة الشهير الوولف، وأخرى يعوي مثل كلب الصيد (السلوقي) وثالثة يقلد صوت الجراء الصغيرة، أما الحالات فهي كثيرة، حالة الكلب وهو يهاجم، وهو يمضغ العظام أو هو يستسلم للمتعة وشهوة اللذة، والحق يقال أن الساهر أثبت موهبة في هذا المجال أكثر من إثبات قدرته على الغناء!

وتستمر هذه اللعبة حتى يقترب الكلب الإنسان ليشم قدمي الأستاذ، وينال منه ركلات عديدة مصحوبة بضحكات وقهقهات هي علامة النشوة والرضا واقتراب نهاية الدور للشروع في الخروج إلى جولة ليلية على أمل ابتداع متعة جديدة مع صيد جديد في شوارع أو منتديات بغداد!

توقفت سيارة عدي في ساعات المساء الأولى قرب محل تسجيلات الرواد في المنصور وعلى بعد أمتار من التقاطع الذي يؤدي إلى شارع ١٤ رمضان يمينا والزوراء شمالا .. نزل علي الساهر ويقال إنه كان يحمل في يده ورقة صغيرة خط فيها عدي أرقام هواتفه على أمل أن ينقلها الساهر إلى إحدى المتغنجات في هذا الشارع الذي يعج بشتى أنواع النساء المتبرجات والمتبرجزات! لكي تتصل بعدي الذي يتسلى بهكذا مغامرات ويعدها نوعا من طقوس الصيد لأن نوع الضحية في شوارع بغداد يختلف! ولحمها الأبيض أكثر شهية من اللحم المستورد أو الجاهز، وهذه العملية تنطوي على مفاجآت لم يكن عدي يعلم بأنها هذه المرة ستكون مفاجأة غير سارة! فجأة دوى صوت الرصاص وفوجيء الناس بشابين يطلقان الرصاص من مدافع رشاشة أوتوماتيكية على سيارة بورش أنيقة لم يكن أحد يعرف أو يخمن من كان في داخلها ولمن كانت تلك

الجثة التي مالت على الكرسي المجاور لتتلقى سيلا منهمرا من الرصاص. نال جانبها الأيسر ولم يطل الرأس أو الرقبة، كان أحد المهاجمين على مقربة من الجانب الأيسر من السيارة ثابتا في مكانه على الجزرة الوسطية.. ووقف المهاجم الثاني إلى يمينه لحمايته، وفعلا تمكن من الرد بسرعة على أحد المارة الذي انتزع مسدسه فورا وصوبه على أحد المهاجمين مخمنا أن العملية استهدفت شخصية مهمة فسقط الرجل قتيلا .. وما هي إلا لحظات حتى توارى الرجلان عن الأنظار، بعد أن قذفا على الأرض سلاحيهما الرشاش، واندفعا راكضين باتجاه زقاق ضيق - قيصرية - قادهما إلى الشارع المجاور ووسط فزع الناس وصراخ النسوة والأطفال وذهول أصحاب المحال هرب الرجلان من المكان وتلاشت آثارهما. أما عدي فقد غرق بدمه.. وأسعفته الإرادة الإلهية في تلك اللحظة بشابين، اقتربا منه وسحباه من سيارة البورش فورا، وشعرا بالذهول حين عرفا أن الضحية هو عدي صدام حسين، نقلاه فورا إلى سيارتهما وهي من نوع تويوتا سوبر كانت على مقربة من مكان ا لحادث.. وسمعا عدي وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، لكنهما أدركا أنه يطلب منهما التعجيل في نقله إلى مستشفى ابن سينا في القصر الجمهوري فانطلقا فورا إلى المكان المطلوب وأحدهما كان يحاول إيقاف نزيف الدم المتدفق من جسد عدي من أماكن متعددة.

فوضى في القصر:

عمت الفوضى في كل أرجاء القصر الجمهوري.. ووصلت السيارة إلى باب المستشفى وأدخل عدي فورا إلى غرفة العمليات وأعلنت في المستشفى حالة طوارىء قصوى وحضر خلال دقائق كبار الأطباء.. وجرت محاولات خرافية لإيقاف النزيف من ثلاثة عشر جرحا غاصت فيها الإطلاقات.. واستقبل جسد عدي النازف كمية كبيرة من الدم.. وكان بينه وبين الموت كما ذكر ذلك الأطباء لحظات لأنه فقد من دمه الشيء الكثير وما تبقى لم يكن يكفي لإدامة ا لحياة! مفارز جهاز الأمن الخاص وقوات طوارىء الحرس الجمهوري والأجهزة الأمنية الأخرى حضرت فورا إلى مكان الحادث وعلى رأسهم قصي وأغلقت مداخل حي المنصور وصدرت الأوامر لإخضاع مداخل ومخارج بغداد كلها لحملات تفتيش وتدقيق وامتدت الإجراءات إلى نقاط الحدود الدولية.

الخطوط الحمر لصحافة عدي

اتصل بي هاتفيا أحد الأشخاص وقال بأنه من رئاسة أركان فدائيي صدام التابعة لعدي صدام حسين وطلب مني الحضور فورا إلى مقرهم الكائن في زيونة لأمر مهم ومستعجل.. وبعد أقل من ساعة تبدد قلقي وأنا أدخل إلى غرفة صغيرة قادني إليها حراس المقر ووجدت فيها أربعة ضباط ركن برتب كبيرة يتحلقون حول منضدة خشبية وأمامهم بعض صحفنا الأسبوعية. لمحت بأن بعض المواضيع محاطة بخطوط حمر.. تبادلنا التحية، وأخبروني على الفور بأن استدعائي تم استنادا لأوامر من رئيس الجمهورية وبأنهم مكلفون بالتحقيق عن مصدر المعلومات ودوافع النشر عن قضايا الدعارة في العراق.. فذكرت لهم بعض المعلومات التي بحوزتي لكنهم طلبوا إحضار المحررين الذين كتبوا التحقيق فاعتذرت عن ذلك لان الوقت كان ليلا والساعة متأخرة وتعهدت بإبلاغهم بالحضور عند الصباح وحدث ذلك فعلا .. أما التراجيديا الحقيقية وكما أطلعنا على تفاصيلها فقد حدثت في المصور العربي.. فقد أصدر صدام حسين أوامره للجهات الأمنية بإحضار العناصر الثلاثة المسؤولين عن نشر موضوع (العراق كله يشكو) أمامه.. فتسابقت زمر الأمن والمخابرات للعثور على (رحيم وصباح وسعد) في أماكن عملهم فلم يعثروا عليهم إلا بعد الظهر وألقوا القبض عليهم في مختبر التصوير الخاص بوكالة الأنباء العراقية.. وبعد اجتياز العديد من الحواجز والمرور بالعديد من المقار والسيطرات والخضوع لإجراءات معقدة.. وجدوا أنفسهم أمام صدام حسين.. فكان المشهد مليئا بالرعب حتى أن صباح عرار وصف مشاعره في عمود صحفي بعد أيام قليلة من هذه المقابلة كان عنوانه الحرفي (سيدي رجفت شواربنا! وسنترك هذه التداعيات والانطباعات الشخصية لأسباب كثيرة.. ونستعرض ما قاله صدام حسين في ذلك اللقاء الذي حدد فيه بصورة حازمة وحاسمة مبادئ النشر والخط الأحمر الذي يحرم ويمنع بصورة قطعية اجتيازه اعتبارا من هذا اللقاء.. ويبدو أن عدي قد انتابه القلق من غضب أبيه.. فاستدعى على وجه السرعة رؤساء التحرير ومجلس نقابة الصحفيين إلى اجتماع عاجل في قصر العابد في القصر الجمهوري وطالب بإحضار الثلاثة الذين التقى بهم صدام حسين لسماع التوجيهات والوصايا التي أبلغها لهم شخصيا صدام حسين والاطلاع على تفاصيل اللقاء التي اتضح أن عدي لم يكن على علم بتفاصيلها وبصراحة كنا نعلم قبل عدي نفسه بتفاصيل ذلك اللقاء المثير، وما رافقه من إجراءات

رهيبة لاجتياز بوابات المقار الرئاسية، واستمعنا مباشرة من أصحاب العلاقة لوصف دقيق لكل ما جرى وما انتابتهم من مخاوف استمرت لساعات طويلة ثم تلاشت بعد دقائق من بدء اللقاء بالرئيس العراقي وسنكتفي بسرد ما ذكر أمام عدي فقط، ونعد الكلام الآخر في إطار الأسرار الشخصية التي تستوجب التكتم عليها تحت وطأة مختلف الظروف.

كان عدي شغوفا لسماع أدق التفاصيل عن ذلك اللقاء الساخن وحريصا جدا على أن تكون هذه الجولة لصالحه وأن ينجح من خلال العاملين معه في إقناع أبيه بصحة وجهات نظره في الإعلام والسياسة وإدارة شؤون الدولة، وكشف مدى ضحالة وضعف الآخرين المحسوبين على الحكومة بمستوياتهم كافة ونجاح مجموعة عدي في التطبيق الخلاق للمبادئ في شتى المجالات بما يضمن رضا الشعب عن الرئيس والقيادة ويؤمن مستلزمات النصر والصمود.. وقد دأب عدي وفعل المستحيل لإثبات هذه الحقيقة عبر وسائل الإعلام التي يديرها ومن خلال اقتناص بعض الشخصيات الحكومية المهمة التي تؤيد وتعزز أفكاره وآراءه أمام الرئيس القائد. وبالطبع فان عدي نفسه سوف لا ينسى هذه المواقف وسيجزي أصحابها في الوقت المناسب ويحقق طموحهم الوظيفي. وحدث ذلك فعلا وأصبح البعض من هؤلاء وزراء وسفراء وأصحاب مواقع لامعة في أجهزة الدولة والسفارات العراقية خارج البلاد، وفقد الآخرون مواقعهم وهيبتهم حين توهموا بقدرتهم على السباحة ضد تيار عدي.. ووراء كل واحد من هؤلاء أو أولئك حكايات ومفارقات غريبة وعجيبة عند العقلاء، لكننا نرى ليس من الحكمة الخوض فيها الآن..! لقد كان عدي كما ذكرت شغوفا، بل وقلقا ومتلهفا لسماع تقييم والده لصحافته، فهل نجح هؤلاء الثلاثة في إقناع صدام حسين بسلامة نهج عدي؟ لا يبدو الأمر غريبا لكل الذين يعرفون صدام حسين وطبيعة علاقته المتوترة مع عدي، وفي أحيان كثيرة فان الابن يتواصل مع أبيه، عن طريق القنوات الرسمية من خلال السكرتير الفريق عبد حمود أو رئيس ديوان الرئاسة وقد لا يلتقيان إلا في المناسبات العائلية النادرة.

فاز باللذات من كان جسورا

وصدق من قال (فاز باللذات من كان جسورا) وأذكر هذه المقولة التي يحلو للعراقيين ترديدها باستمرار، وأنا استعرض في ذهني وقائع ذلك الاجتماع غير

الاعتيادي الذي عقده عدي وأستضاف فيه الشخصيات الثلاثة ليقف على حقيقة ما جرى مع صدام حسين الذي أرسل إليهم وهو في لحظة غضب على عدي وصحافته.. كان أبرز الثلاثة صحفي شاب طموح بدأ ينتابه إحساس غير قليل بالغرور ويترقب بشوق فرصة تاريخية تجعله يتجاوز كل السلالم التقليدية ليصعد إلى القمة ويقطف ثمارها في وقت مبكر.. وها هي الفرصة السانحة تدق أبوابه في ظل سلطة تتوزع فيها المواقع والأدوار باغتنام الفرص وليس بحسن الأداء أو الكفاءة أو باعتماد موازين التقييم المتعارف عليها في العالم.. تحدث الثلاثة أولهم صباح عرار مصور في وكالة الأنباء العراقية وعضو الهيئة الإدارية في الجمعية العراقية للتصوير وسعد إبراهيم محرر في مجلة المصور العربي وكان هذان الشخصان جل ما يتمنيانه وهما يواجهان صدام حسين مباشرة وفي ما بعد عدي..هو دفع التهمة عنهما وتزكية موقفهما، وعد ما نشر عن ظاهرة الدعارة في إطار حسن النية والإصلاح وليس بأي دافع آخر.. أما الصحفي المندفع رحيم مزيد فقد كان أكثر ذكاء و جرأة في المقابلتين فحاول أن يحوز على رضا صدام حسين في المقابلة الأولى حين خاطبه بالصفات التي يحبها وبأنه ما فعل ذلك إلا اقتداء بسيرة وجرأة صدام حسين الذي كان الأصغر سنا والأكثر شجاعة في قيادة الحزب والثورة. وتفوق رحيم مزيد بلباقته على زميليه وعلى شخصيتين بليدتين أحضرهما صدام حسين لمناقشة الثلاثة، أحدهما يمثل المجلس الوطني (برلمان الشعب) والآخر يمثل الحزب (طليعة الجماهير الواعية) وقال صدام حسين المطلوب من صحافة عدي أن تدافع عن نفسها أمام الحزب والبرلمان.. واقتنع صدام - وهو يعرف ذلك سلفا - بهزالة موقف من أحضرهم لهذه المناظرة التي انتهت كما يشتهي صدام نفسه لكنها أسفرت عن مكاسب ثمينة لرحيم مزيد، في الوقت الذي وجد صاحباه أن عظمة المكافأة تكمن في الإفلات من العقاب الذي كان يتوقعانه وبرزمة الورق النقدي التي كانت بانتظارهم في استعلامات القصر الجمهوري وسجائر الهافان الكوبي حيث أهدى صدام لكل واحد منهم سيجارة واحدة للذكرى ولغرض في نفس صدام..!

نجح الثلاثة في دفع التهمة عن أنفسهم، لكن رحيم لم يخرج من الاجتماع إلا بعد أن تأكد من أنه استطاع أن ينال إعجاب عدي ويقنعه بدوره في الدفاع الناجح عن تجربة عدي عند أبيه بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين صور لعدي بالتلميح أو بالتصريح بأن صدام حسين كان في غاية السرور من طروحاتهم ودفاعهم عن عدي وتجربته بل انه

أعجب بالعقلية الإعلامية الفذة لرحيم مزيد.. صمت صاحباه وأدركا أن الأمر سينطلي على عدي كما انطلت عليه أشياء كثيرة.. وليست هنالك احتمالات لأن يسأل عدي أباه عن وقائع ذلك الاجتماع.. لكن الأكثر غرابة أن عدي استوعب الأمر كما نقله رحيم مزيد.. وأصغى للتعليمات الخطيرة التي أصدرها صدام في تلك الجلسة وطلب من الثلاثة أن ينقلوها إلى عدي وجماعته لتكون هي الخطوط الحمر التي يمنع اجتيازها منذ لحظة اللقاء، ومن يفعل ذلك فلا يجني إلا على نفسه.. لا أدري كيف لم يدرك عدي دلالة هذه التعليمات التي تؤكد امتعاض وغضب صدام حسين وبين ما نقله رحيم مزيد من مشاعر ارتياح وإعجاب القائد بعدي ومعيته وتجربته.. ويمكن تلخيص أبرز النقاط التي حددها صدام حسين وعدها قانونا للصحافة والإعلام ترقى على كل القوانين السابقة بالآتي: قال صدام حسين ما يلي:

- إننا لن نسمح مطلقا بإسقاط هيبة الدولة وأجهزتها المختلفة تحت شعار حرية وسائل الإعلام، لأن هذه الممارسة ستضعف الدولة وتشجع الأعداء على اختراقها، ويصبح الصحفي أو الإعلامي دليل خيانة للأعداء المتربصين خارج الحدود.

هيبة الوزراء

- ولن أسمح بإسقاط هيبة الوزراء وكبار المسؤولين وتعريضهم للانتقادات، لأن الوزير على كرسي وزارته يمثل صدام حسين شخصيا، والإساءة إليه إساءة للرئيس، لأن صدام هو الذي وقع أمر تنصيبه وزيرا أو مديرا .. إضافة إلى أن هؤلاء وعلى سبيل المثال وزير التجارة مناضلون يسهرون ويجتهدون لخدمة الشعب وان ما يحصلون عليه من امتيازات تتوفر عند أشخاص عاديين مثل المسكن اللائق والسيارة الفخمة وغيرها.. ولهذا فلا يجوز المساس بأعمدة الدولة والحزب.

- أن نشر الفضائح والتجاوزات وما يسمى بالغسيل القذر ليس من سياستنا، وللإعلام واجبات أكثر أهمية لتعزيز التفاف الناس حول القيادة في هذا الظرف الراهن.

- أن تكرار نشر وعرض أوجه وأساليب الفساد والانحراف في أجهزة الدولة والمجتمع سيؤدي إلى اتساع نطاقهما وليس تقليصهما وستصبح هذه الأمور من المسائل المألوفة عند المواطن والموظف المسؤول على حد سواء.

- أن الصحفي الذي يعتقد بأن هنالك انحرافات خطيرة عليه ان يتحمل المسؤولية

كاملة وينشر الوقائع والحقائق بالوثائق والأسماء الصريحة، بدون تلميح أو رموز ويطالب بإثباتها أمام الجهات المسؤولة ويعكسه يعد هذا الأمر تشهيرا أو تخريبا يحاسب عليه القانون بقسوة.

- لا يجوز إطلاقا التبني المباشر لشكاوي المشتكين وتعريض كبار المسؤولين للإحراج أمام الرأي العام وإظهارهم في مواقف ضعيفة ومحرجة تسقطهم في نظر الناس، فالصحيح أن نساعدهم في إيضاح وجهات نظرهم ولا نسعى إلى تكذيبهم وإبطال حججهم، لأن الإعلام الثوري له منهج خاص في الترويج لسياسة الدولة وأفكار الحزب ولا ينساق وراء الشكاوى التضليلية أو المغرضة.

- علينا أن ننتبه ونحذر من أصحاب المصالح والأغراض السيئة ونمنعهم من اختراق وسائل إعلامنا ودس ما يؤذي المسيرة بعلم أو بجهل.

الحفاظ على الأسلوب الانتقادي

وحاول عدي الذي ظهرت عليه الحيرة أن يجري معنا حوارا عن كيفية تطبيق هذه المبادئ مع الاحتفاظ بالأسلوب الانتقادي الذي يستقطب اهتمام الجمهور فقلت له أن المسألة ليست سهلة، فلا يمكن مثلا أن نعالج ظاهرة اختلاس أموال وننشر الأسماء الصريحة للمتورطين في هذه العملية لأن ذلك سيجعلنا تحت طائلة القانون وتهمة التشهير لا سيما أن القضاء هو الذي يصدر الحكم وليس وسيلة الإعلام.. وكنا وفي ضوء نصائح خبراء القانون ننشر هكذا مواضيع بالتلميح إلى أسماء ومناصب الأشخاص كي لا تقع جريمة التشهير وأيضا لأسباب اجتماعية ونفسية ترتبط بأسرة الجاني التي لا ذنب لها في هذه الجريمة، وربما يثبت القضاء براءة الجاني نفسه.. حينها نكون قد أسقطنا أنفسنا في حفرة لا مخرج منها!

واختتمت قولي (أنني أرى أن تطبيق توجيهات السيد الرئيس معناه إجراء تحول نوعي في أسلوب ومنهج الصحافة الأسبوعية كلها.. لتعود تشابه وتطابق الصحف الرسمية.. وإلا.. فإننا سنجتاز الخطوط الحمر.. وهذه المرة الموقف ليس سهلا لأن الرئيس شخصيا هو الذي رسم هذه الخطوط).. صمت عدي وأدرك خطورة الموقف.. لكنه غير مجرى الحديث وطلب الالتزام بالتعليمات إلى حين إيجاد حلول مناسبة.. بعد أسابيع قليلة تجاهلنا هذه الخطوط التي رسمها صدام وتناسينا التحذيرات.. لكن صدام والمقربين منه لم ينسوا ذلك فقد

أطيح بالعديد من رؤساء التحرير، وبدأ عصر جديد ارتقت فيه سلم عدي عناصر جديدة يتقدمهم رحيم مزيد، الذي كان يتقدم مثل الصاروخ.. وحين برزت الحاجة مجددا لخبراتنا رفضنا الاقتراب من عدي ورفضت شخصيا القبول برئاستي لتحرير مجلة الرافدين التي قرر إعادة إصدارها مجددا .. وقلت لهم اخبروا الأستاذ عدي (احترامي وتقديري.. لكنني لا أستطيع أن أرضيه وأغضب السيد الرئيس لأن نهجي الصحفي يتقاطع مع التعليمات) لم أجد غير هذه الذريعة.. لكن عدي لم يغفر لي هذا الرفض وعرفت ذلك بعد أيام قليلة من اعتقالي في جهاز المخابرات .

تجارة الرقيق الأبيض

شاهد الجمهور عبر شاشة تلفزيون الشباب برنامج جديد بعنوان (بلا رقيب) يستجوب مقدمه الشاب رحيم مزيد الوزراء والمحافظين الذين لبوا فورا دعوة البرنامج وحضروا إلى الأستديو ظنا منهم ان هذه هي رغبة عدي.. ورتب مقدم البرنامج أسئلة مشاكسة أغلبها (مفبرك) لأغراض الإثارة وتأكيد قدرات مقدم البرنامج على محاكاة وتقليد فيصل القاسم لنيل إعجاب عدي أولا .. وعامة المشاهدين والوسط الإعلامي.. ونجحت بعض الحلقات وكان سر نجاحها وضع الوزير أو المسؤول في زاوية ضيقة لا تتيح له فرصة الدفاع عن أخطاء وزارته أو دائرته لأنه مقيد بلوائح التصريحات ولا يمكن له ان يكون صريحا فظهروا في حالة يرثى لها.. ووجد الناس فرصة مناسبة لعرض شكاواهم مباشرة عبر الهاتف بطريقة استفزازية تشفي الغليل.. ولم تحظ البرامج الأخرى بالنجاح وهي (شاهد على العصر) من إعداد وتقديم علي الشريفي و(بلا حدود) إعداد وتقديم علي الجابري. ولم تمر العاصفة بهدوء برغم ان هذه البرامج اقتصرت على عرض تساؤلات ترتبط بشؤون محلية عراقية خاصة بالخدمات البلدية أو الصحية وتحاشت الاقتراب من الحلقات المركزية لسياسة الدولة.. وفي يوم مرتقب ومتوقع وجه صدام حسين الضربة القاضية إلى هذه البرامج وأعادها إلى الحضيرة الرسمية التقليدية لإعلام الثورة المبرمج وصدر عام ٢٠٠١ تعميم رسمي من ديوان الرئاسة إلى الوزارات ودوائر الدولة كافة وقعه ياسين الجنابي مدير عام مكتب ديوان الرئاسة أشار فيه إلى توجيهات صدام حسين بمنع مشاركة الوزراء وكبار المسؤولين في برامج تلفزيونية وإذاعية مباشرة مع الجمهور لأنها تعرضهم للإحراجات وتسقط من هيبتهم

ويجب ان تعرض الأسئلة سلفا على المسؤول ليتسنى له الإجابة الدقيقة والمقنعة عنها وإهمال الأسئلة المغرضة، وليس بالضرورة ظهور المسؤول في هذه البرامج، مع التأكيد على التزام معدي ومقدمي هذه البرامج بسياقات مخاطبة المسؤولين الكبار..

وأوصى التعميم بإيقاف برنامج (بلا رقيب) ومنع رحيم مزيد من إجراء مقابلات مع كبار المسؤولين. ان هذا التعميم الذي جاء بعد مضي سنوات عدة على مقابلة صدام حسين للصحفيين الثلاثة وبينهم رحيم مزيد ووضع فيها الخطوط الحمر ليكشف حقيقة ما جرى في ذلك الاجتماع الساخن ويؤكد ان اللعبة انطلت على عدي كما تنطلي عليه كل يوم أشياء كثيرة جدا يمررها أقرب المقربين إليه للحصول على مكاسب خيالية في وقت قياسي لانهم يعلمون ان زمنهم مع عدي قد ينفرط في أية لحظة ويضيع الخيط والعصفور.

استغلال العمل مع عدي

وأبسط ما يذكر من حقائق مرعبة عن استغلال البعض لعملهم مع عدي للحصول على المواقع الوظيفية والامتيازات الاستثنائية والثروات الطائلة.. وكل ذلك يتم أمام أنظار الجميع وتجاوزا للقانون والأعراف والتقاليد.. ما وصل إليه أحد النكرات فقد جمع الأموال وأمتلك العقارات وسجل الشركات بأسماء أقارب زوجته وراح يتنقل في بلدان العرب كل شهر ويلقي المحاضرات في الجامعة وهو لم يحصل على شهادة تخرج من الدراسة الابتدائية لكنه يتقاضى من جامعة بغداد رواتب شهرية تزيد على رواتب خمسة بروفيسورات وتأهيله الوحيد انه سكرتير عدي للمهمات الخاصة.. وهذا الشخص استغفل عدي وحول شخصيته إلى أضحوكة في الوسط الإعلامي والثقافي لأنه كان يمليه بعض القرارات بدوافع شخصية ومنها ترشيحه لبعض مندوبي الصحف ليصبحوا بين ليلة وضحاها رؤساء تحرير توضع أسماؤهم تحت أسم الأستاذ عدي صدام حسين رئيس مجلس الإدارة في زمن أصبحت هذه الدرجة يمنحها أحد الأميين بعد ان فقدت كل بريقها ومعناها وشرفها! وعرف هناك من تجسس لصالح عدي فأصبح وزيرا .. وآخر زور نتائج انتخابات نقابة الصحفيين فرشحه عدي سفيرا .. وآخر تواطأ على نهب ثلاثة ملايين من خزينة الدولة مقابل مساعدته في إقناع عدي للتوسط ومنحه درجة سفير في وزارة الخارجية.. وتطول القائمة لتشمل سفراء ووزراء آخرين وعمداء كليات ورؤساء جامعات وكليات ومراسلين في الفضائيات ومتنفذين في دوائر

واتحادات ومنظمات وعدد غير قليل من الذين يفرضون هيمنتهم باسم عدي على بورصة السجائر الأجنبية وهي العصب الاقتصادي الخطير الذي يرتبط بحركة الدولار وإنتاج المشروبات الغازية وصفقات تجارية كثيرة.. المهم في الأمر ان هذه النخبة أصبحت من الحيتان الكبيرة في الوطن برغم أنها لا تمت بصلة قرابة إلى الرئيس لكنها عناصر مغامرة عرفت كيف تخدع وتضلل ابن الرئيس، والمصيبة انه يعتقد بأنه أذكى من أبيه والصحيح ان كليهما ضحية لنزواته ولحاشيته وبطانته.. فان كانا يعلمان بتلك التجاوزات فتلك مصيبة، وان كانا لا يعلمان فالمصيبة أعظم! وفي كلا الحالتين فان شعبنا بسبب القمع وسياسة كم الأفواه صم أبكم.. لا يسمع ولا يتكلم!!

العاهرات في ضيافة المخابرات

قادتني الأقدار عام ١٩٩٩ إلى زنزانات المخابرات العراقية التي اختطفتني من مقهى الشاهبندر الكائنة في نهاية شارع المتنبي عند مدخل سوق السراي من خلال كمين غادر شارك فيه للأسف بعض الصحفيين، ووجدت نفسي بعد أقل من ربع ساعة هي وقت الطريق الذي اخترقت فيه مفرزة الاعتقال بسرعة جنونية شوارع بغداد غير المزدحمة يوم الجمعة وعند لحظة رفع آذان الظهر. وكانت الغبطة ترتسم على وجوه رجال المخابرات وكأنهم اصطادوا قائد انقلاب عسكري تحاصر قواته القصر الجمهوري وليس صحفيا أعزل لا يمتلك من سلاح ألا قلمه وفكره، وان ذنبه الوحيد تصديقه للشعارات الديمقراطية في زمن الاستبداد! سلمتني المفرزة بوصل رسمي إلى الضابط الخفر في حاكمية المخابرات وخلال دقائق قليلة في غرفة الأمانات خلعت ملابسي وخلعت معها كل ألقابي العلمية والإنسانية وتحولت إلى مجرد رقم رسموه على ساعدي الأيسر كي لا أنساه وأصبح أسمي منذ تلك اللحظة يتكون من ثلاثة أرقام هي ٦٣١٠٠٠!

بعد شهور طويلة مليئة بالترقب والرعب، لم أستطع ان أتخلص من إحساسي وفضولي الصحفي الذي قادني للمأساة.. في تلك الزنزانات المخيفة أطلعت على أسرار خطيرة لا شأن لي بها الآن.. وسأقتصر في الحديث على الملف الساخن للسماسرة والعاهرات الذي بدأنا الحديث عنه في صفحات سابقة ووجدته مفتوحا أمامي بالصدفة المحضة - لحسن الحظ أو لسوءه وتتاح لي فرصة ليست للإطلاع على أدق تفاصيل هذا المسلسل - الذي انتهى بكارثة مرعبة أثارت مشاعر الرأي العام العراقي والعالمي -

فحسب إنما معايشة الأبطال الحقيقيين لهذه التراجيديا لشهور عديدة وسماع شهاداتهم المباشرة ورواياتهم عن صفقات الرقيق الأبيض وتجارته في داخل العراق وخارج الحدود عبر شبكة من المافيات تبدأ في قصور فخمة في بغداد وتنتهي في منتجعات باذخة على سواحل الخليج العربي حيث تفض بكارات العذراوات مع أمواج الخليج الهادر برضا الضحايا أو التواطؤ مع الأهل أو الأزواج، أو بغدر من السماسرة للضحايا المغرر بهن، لكن النتيجة تبقى واحدة، لأن الضحية سقطت في شباك الصياد وسلمها إلى حيتان البحر ليلتهموها بشراهة ووحشية مقابل حفنة من الدولارات نصيب الضحية هو الأقل دائما .. وقد تورطت - ويا للحزن على أمة العرب والمسلمين - في هذه الفضائح شخصيات تتربع الآن على عرش المسؤولية في بلدانها والبعض منها عرف عنها الدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة لكنها غرقت حتى الأذنين في مستنقع الدعارة الآسن!. وجدت نفسي بعد شهور طويلة مريرة من الحجز في المحاجر الصغيرة القذرة المطلية بلون الدم في غرفة معقولة وسط تلك الزنزانات المخيفة خصصت لاستقبال الشخصيات المهمة وكان بينهم عدد غير قليل من قضاة القصر الجمهوري أمر صدام باعتقالهم لأنهم على حد قوله دنسوا كعبة القصر الجمهوري و.. و.. والتقيت أيضا في هذه الغرفة بضباط كبار وبمشاهير من شيوخ العشائر.. وفئات أخرى لكل منها ملف اتهام خاص يتسم بالإثارة والوقائع الغريبة التي لا تصدق!

علمنا بطريقة أو بأخرى وبرغم العزلة التامة التي فرضت علينا، عن العالم الخارجي والعالم الداخلي للمعتقل المليء بمئات البشر من رجال ونساء وحتى أطفال رضع ولدوا في الزنزانات وكنا نصغي لصرخاتهم وتأوهات أمهاتهم.. وغضبهن على الحراس عند تدهور الأوضاع الصحية لمواليدهن!، أننا على مقربة من اكثر النساء إغراء في العالم، ولا يفصلنا عنهن سوى جدار واحد فقط من الجانب الجنوبي لغرفتنا، أما الجدار الشمالي فيفصلنا عن نخبة من الرجال هم الأكثر شهرة في عالم القوادين في العراق من الذين وصلت تجارتهم إلى أقصى البلدان حتى وصلت أخبارها إلى صدام حسين شخصيا واستفزته فأمر باعتقال ستة عشر متهما رئيسيا أبرزهم فاروق الباشا - أبن نظيمة - ولقمان الذي أقام له مكاتب في دولة (..) وأرتبط بعلاقات حميمة مع كبار المسؤولين، ورحمن السمسار المتجول في كل البلدان، وعقيل وأبو عباس، ممول سفرات العاهرات خارج القطر، وجاسم واحمد وعلي المتخفي بشخصية علية الراقصة

المعروفة في المنتدى الليلي لفندق فلسطين مريديان.. وغيرهم.. وتم اعتقال ست وثلاثين قوادة وعاهرة من الدرجة الممتازة بشهادة الأشقاء الذين خبروا كل أجناس النساء ورفضوا دخول العلماء والمفكرين العراقيين إلى بلدانهم، ومنحوا هذه الشلة من الساقطات والساقطين امتيازات غير مسبوقة.. وكانت تتقدم هذه النخبة من السيدات غير الفاضلات أم رغد وأم أثير احداهن لها قصر منيف مقابل مجمع الوزراء في حي القادسية والأخرى تسكن قصرا فخما بواجهات من المرمر الإيطالي الأسود قرب مستشفى اليرموك في بغداد وتشرفان على شبكة دعارة واسعة روادها من النخبة الرئاسية والوزارية والمتنفذين ماديا وعشائريا .. وامتد نشاط السيدتين خارج الحدود لتلبية رغبات خاصة جدا لأشخاص خاصين جدا .. وكانت الوسيطة (..) التي تحضر إلى عمان بسيارتها الشبح المرقمة (..) لغرض فحص العذراوات والتأكد من وجود غشاء البكارة الأصلي خوفا من الغش الطبي وتركيب غشاء صناعي تجميلي يزعج الزبائن المؤمنين بأن نكاح البواكير يطيل العمر.. يا طويل العمر وبعد إتمام الفحص وتسجيل شريط فيديو يصور أدق التفاصيل في الأجساد النسائية المصدرة من الوطن المحاصر الذي يرفل بالعز والمجد والكرامة كما تقول وسائل الإعلام العراقية.. وحين يعرض الشريط على أصحاب الشأن وتحصل الموافقة تصدر فورا تأشيرات السفر وتتولى (...) بنفسها نقل البضاعة حسب العائدية.. وتنطوي هذه الصفقات على وقائع يمنعنا الحياء من الإسراف في ذكرها لكنها وبصراحة ترسم الوجه الحقيقي لهذا الزمن العربي المصاب بالازدواجية الخارقة الحارقة.

رموز النظام في أحضان العاهرات..!

صدام يتدخّل للمرة الثالثة

حين أطلع صدام حسين على بعض التفاصيل عن هذا الملف الساخن عام ١٩٩٩ كتب بخط يده (لتقطع الرؤوس العفنة) وهو ما زال يتذكر جيدا الحملة الصحفية عن اتساع انتشار ظاهرة الدعارة في العراق في ظل الحصار لا سيما ذلك المانشيت الأحمر لمجلة المصور العربي على صفحتها الأولى (العراق كله يشكو) وعنوان نبض الشباب (البتاوين تزدحم ببيوت الدعارة)، ومن هو المسؤول عن انتشار البغاء العلني في العراق؟!

استنفرت وزارة الداخلية كل أجهزتها لتنفيذ أمر الرئيس صدام حسين باعتقال تجار الرقيق الأبيض المتورطين بصفقات خارجية فقط وترك الآلاف المؤلفة لأنها تمارس الترويح عن الشعب داخل البلاد ولم تنشر غسيلها القذر خارج الحدود! وبعد أسابيع قليلة من حجز هؤلاء في تسفيرات وزارة الداخلية تسربت الأنباء (ووصل بعضها إلى الرئيس) تشير إلى ان ضباط ومراتب وزارة الداخلية يقبضون رشى ضخمة من القوادين مقابل تقديم تسهيلات وتوفير مستلزمات الراحة ووصلت الأمور ان بعض المحتجزين يخرجون في جولات سياحية وبعضهم يمضي الليل في فراش رعاياهم الكثر ومعهم طبعا حراسهم..! وتدخل صدام حسين مرة أخرى وأصدر أمرا بنقل ملف التحقيق والمتهمين إلى مديرية التحقيق والتحري في جهاز المخابرات لتتولى هذه الدائرة المعنية بالنظر في القضايا السياسية الكبرى مثل التجسس والتآمر على أمن الدولة التحقيق في قضايا العاهرات والقوادات.. وهنا بدأت الفصول الأكثر إثارة وأصبح هذا الملف الذي خط عليه صدام حسين بنفسه عبارة لتقطع الرؤوس العفنة من أخطر الملفات التي يتابعها رئيس جهاز المخابرات شخصيا والفريق عبد حمود سكرتير الرئيس.. ولم يتردد كبار المسؤولين خاصة المقربين من الرئيس من التوسط والاستفسار عن مراحل التحقيق الذي وصله هذا الملف الذي أمسكه ضابط المخابرات المدعو عبد الباسط الذي شعر بالذهول والصدمة منذ اليوم الأول لبدء التحقيق ودفعه هذا الشعور لان يطلب من المتهمين كتابة إفاداتهم بأنفسهم لأنه لم يجرؤ على تسجيل أسماء الزبائن وهم من أسرة الرئيس وأشقائه وأبناء عمومته ورجال حمايته ومرافقيه وكذلك وردت أسماء أبنائهم أيضا مقرونة بوقائع وفضائح يندى لها الجبين!.. وسنترك أيضا الحديث عن التفاصيل فإذا ما ابتليتوا فاستتروا.. وليس إكراما لهذه الزمرة الفاسدة، بل تعففا لأن الأمر يتعلق بكرامة الوطن وسمعته! وكل هذا يحدث ووسائل الإعلام العراقية تتحدث ليلا ونهارا عن الحملة الإيمانية التي يقودها الرئيس القائد.

صراع دام بين العم وابن أخيه

شهدت صحيفة بابل في أعوامها الثلاثة الأولى (١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٣) انطلاقة صحفية متميزة بل ومتفردة في تلك السنوات التي غيبت فيها الصحافة الأهلية، وغابت بصورة تامة حرية إبداء الرأي في الصحف الرسمية لا بالتصريح ولا حتى في التلميح

واصبحت الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى خلال تلك الفترة التي أعقبت حرب الكويت أبواقا للدعاية السياسية التي انصب جل اهتمامها على تبرير الحرب (المفروضة) التي لم نتسبب في اندلاعها وقدرة صدام حسين على ان ينهض بالعراق كله بل الأمة والمسلمين والعالم من تحت الرماد مثل العنقاء، وان ممارسة النقد ونشر الغسيل القذر سيفتح الأبواب قبل الشبابيك ليدخل العدو إلى الديار لينهب ويسلب الزرع والضرع والنفط والعرض، فليصمت الجميع ولا ينخدعوا بشعارات العدالة والمساواة وحرية التعبير فهذه بدع إمبريالية تحول الناس إلى طابور خامس، وليتركوا الجميع التعليم والتخطيط وكل السلطات للقيادة الحكيمة ومنحها فرصة التفكير الهادئ لإحباط المؤامرات الإمبريالية، والعبور إلى الضفة الأخرى حيث الأمن والسلام وتحويل العراق وبقية الأوطان إلى جنات تضاهي جنات عدن والفردوس والفرق ان هذه الجنان في الدنيا وتلك، تتحقق بعد يوم الحساب والأولى يحققها صدام حسين والثانية يهبها رب السماء لعباده الصالحين هذه باختصار (فلسفة الدعاية) المرافقة للشعار القومي وتلاه الإسلامي والإنساني التي كرست منذ عام ١٩٦٨ حتى نهاية مطاف النظام. ولا نبالغ حين نقول ان بابل كانت الملاذ الوحيد للقلة القليلة من الصحافيين الذين راهنوا على استثمار عدي كواجهة في تحقيق حلمهم في صحافة حرة أو على الأقل فيها شيء من القيم الصحفية المهنية المتعارف عليها في العالم.. لم تكن مهمة سهلة بل هي محاولة لتحويل المستحيل إلى ممكن، ورافق هذه التجربة للأسف الشديد سوء فهم أدى إلى ابتعاد كثير من الكفاءات الصحفية المميزة عن هذا التيار كونه مقربا من أحد رموز السلطة وخشية ان يكون مطبا لسبر أغوار ونيات الصحفيين وخداع الناس بواجهات ديمقراطية لأغراض التنفيس عن الهموم لكسب الوقت والعبور من أزمة إلى أخرى، والحق نقول ان هذه مخاوف وتأويلات غير صحيحة لأنها تضفي على النظام صفات لا يمتلكها، فليس هنالك من يخطط ويبادر لاحترام مشاعر الرأي العام العراقي حتى ولو كان ذلك شكليا عن طريق (التنفيس الصحفي) فيعد ذلك في فلسفة النظام من الكبائر وعلى حد قول عدي صدام حسين الذي نقل عن أبيه قوله (ان تعويد الناس على كثرة المطالبة والمحاججة، ستؤدي إلى الوقاحة، والتمادي بالمطالبة بالمزيد.. وان عين المواطن حين تبقى شاخصة في عيون السلطان ولا ترتد إلى الأرض خوفا أو خجلا .. فإن حدود الخوف ستسقط ما بين الحاكم والمحكوم.. والأمور تبدأ بحركة

بسيطة في العين.. وتنتهي بحركات قد تكون عسكرية مدمرة).. هكذا إذن هي حقيقة الموقف السائد.. العراق عبارة عن مزرعة كبيرة.. الشعب هو قطيع من العبيد والحكام هم الأسياد.. وهذا العبد لا يمتلك أبسط حقوق العبيد عبر كل تاريخ عبوديتهم الطويل، ولم يتعرض لمثله العبيد من أبطال الرواية الشهيرة كوخ العم توم والتي هزت مشاعر البشرية برغم كونها أحداث روائية مقارنة بما حدث فعلا لقطيعنا الصامد في ربوع أرض السواد فما حدث لأبطال هاريت بيتشر ستو يعد قشة في بيدر أو قطرة في محيط كما يقولون.. أما تفسير الحرية النسبية التي أتاحها عدي فهو لا يتعدى ثلاثة أسباب لا غيرها أولها ان شعور عدي بتجريده من كل وسائل ومناصب السلطة الرسمية بعد ان كان يعد النفس ويمنيها بولاية العهد واختصارها على والده وشقيقه الأصغر وحتى وصولها لفروع متدنية من العائلة أمثال شلة السبعاوي، برزان، وطبان، وحسين كامل وغيرهم جعلته يجد في الصحافة ذات السطوة وسيلة للتعويض عن السلطة المفقودة يمارسها لإذلال كبار المسؤولين والمتنفذين من الأقارب وقادة الحزب وأجهزة القمع ويمارسها علنا ليكسب ود الناس التواقين لإذلال من أذلهم وينتعش بردود الفعل التي تتناقل هجمات صحافة عدي وانتقاداته غير المسبوقة لكبار المسؤولين للبرهنة لوالده وللعراقيين وللعالم على حنكته وديمقراطيته.. هذا هو السبب الأول أما الثاني فهو استثمار عدد محدود من الصحفيين لهذه الحرية التي أتاحها عدي للاضطلاع بدور مهم في انتزاع أقصى ما يمكن من حرية الصحافة وتشجيع وتحريض زملائهم الصحفيين وعامة الناس على تعميق هذه التجربة وعد ذلك ليس تآمرا على السلطة بل هو انتزاع لحق مشروع تقره تشريعاتها وتخالفه تطبيقاتها.

الطقوس الطوطمية للسلطة

أما السبب الثالث الذي أمد في عمر هذه التجربة التي تم وأدها في زمن قصير يتمثل بعدم إطلاع صدام حسين في تلك المرحلة على تصرفات عدي كاملة.. وتردد المقربين منه أو الوزراء أصحاب العلاقة المباشرة بإبلاغ الرئيس عن تلك التجاوزات التي تنتهك الطقوس الطوطمية للسلطة وحزبها الوحيد خوفا من بطش عدي ولإدراكهم انه مهما فعل فهو النجل الأكبر، ويظن هؤلاء خطأ ان كل ما نكتبه في صحافة عدي هو صادر منه مباشرة أو نشر بعلمه، لكن الحقيقة عكس ذلك تماما ويحدث ذلك في حالات محددة تحمل التواقيع الرمزية لعدي مثل أبو سرحان،الصقر، أبو حاتم، وحتى

الجمهور العادي كان يميز هذه التواقيع عن غيرها ويعرفها أنها لعدي وليس لغيره لكن اشتراطات كرسي الوزارة أو المسؤولية العليا أعمت بصيرة كبار المسؤولين وجعلتهم يمررون حتى الكتابات التي تمس كرامتهم الشخصية ونزاهتهم وهيبتهم إكراما للمنصب.. ان هذه الموازنة أتاحت لنا فرصة ذهبية لإنجاز العديد من المهمات الصحفية وإبداء الرأي الحر في قضايا حساسة وفضح كثير من التجاوزات المنحرفة والكشف عن أسرار الفساد في الحزب والدولة وطال الأمر حتى أشقاء الرئيس نفسه.. ولكن هذا الاندفاع لم يدم طويلا .. فبعد ان ازدهر في صحافة أسبوعية بذات النهج.. دق ناقوس الخطر واكتشف صدام حسين شخصيا بطريقة أو بأخرى كل الأوراق فاعترف له بعض المسؤولين بمعاناتهم من صحافة عدي بعد ان منحهم الرئيس الأمان والخط الأخضر والحماية من طيش نجله، وبعضهم عرف من أين يمسك العصا فكسب ود الابن ولم يخسر رضا الوالد!.. وانتهت المعركة بإسقاط أحد وزراء الإعلام (عبد الغني عبد الغفور) والتنكيل بأبرز رموز هذه التجربة وإخراجهم من الساحة الإعلامية بالكامل بل من العراق كله فتمكن الزميلان ماجد عزيزة وصباح اللامي من الهرب خارج القطر ولحقت بهم ولكن بعد سنوات اعتقال مريرة في جهاز المخابرات.. واستكان للأسف داود الفرحان واستجاب لضرورات الحياة المرفهة ولشروط الكتابة في ظل السلطة واستحالت مقالاته الساخرة التي عرف بها إلى إنشاء بلا لون ولا طعم ولا رائحة!

أما زميلنا الآخر الذي شاطرنا بأسلوب ماكر هذه التجربة (طه جزاع) فآثر المنافع الشخصية واكتفى ان يكون رئيس تحرير فخري لإحدى الصحف الأسبوعية والركض وراء السكرتير الصحفي لعدي ليضمن له (الرئاسة) ويرمي له بعضا من فتات موائد عدي ويؤمن له سفرات مكوكية خارج القطر وزيادة رصيده من الأنواط والشارات ولم يبق في العراق من رواد تلك التجربة إلا عدد قليل من الصحفيين يعملون في الخطوط الخلفية بعد ان سلم الخط الأول لمجموعة من الانتهازيين والمنافقين، والغريب ان صحافة عدي التي لم يتردد ان يطلق عليها في بداية انطلاقتها جمهرة القراء على اختلاف وجهات نظرهم بأنها صحف معارضة أصبحت الآن واجهات سلطوية تستقطب أكثر الأقلام تزلفا ونفاقا وتحولت إلى منابر حكومية ملكية أكثر من الملك ورسمية أكثر من الصحف الرسمية ويكفيها عارا ان يكون المشرف على رؤساء تحرير هذه الصحف الأسبوعية

عميد الأمن محمود عبد المهدي العبيدي يجتمع بهذه الأمعات كل أسبوع ونصبه عدي نائبا أول لنقيب الصحفيين! لقد أصبحت هذه الصحف واجهات لتلميع بعض الأسماء الصحفية ومصدرا للسحت الحرام عن طريق الابتزاز الصحفي أو الإعلاني أو أداة لكسب المسؤولين للترويج لوزاراتهم وتصريحاتهم مقابل منافع، ومكاسب شخصية يوفرها هؤلاء الوزراء للصحفيين الأحرار!، وأصبحت الصحافة سلما مريحا تتسلقه نخب طارئة على الصحافة والإعلام وتمكن هؤلاء المرتزقة من الاستحواذ على المناصب الصحفية الأولى ومواقع أكاديمية متقدمة في كلية الإعلام ومناصب مرموقة في وزارتي الإعلام والخارجية وبعض الفضائيات وعمل بعضهم في واجهات متعددة خارج العراق بامتيازات دبلوماسية كانوا يحلمون ويخططون للوصول إليها.

صراع مسلح بين عدي وعمه وطبان

تعرضت وزارة الداخلية ووزيرها وطبان إبراهيم الحسن شقيق صدام حسين وعم عدي خلال هذه السنوات لحملة نقد لاذع في صحيفة بابل لم تشهد الصحافة العراقية له من قبل مثيلا، وأدى هذا النقد الشديد إلى تعميق الخلاف ما بين العم وابن أخيه وانتهى بعد سنوات قليلة باقتحام عدي ومعه بعض من حراسه المسلحين إحدى المزارع على شاطئ دجلة ليفاجئ عمه وطبان الذي يحتفي بذكرى الثورة بطريقته الخاصة وسط مجموعة من مريديه، وندمائه وهم جميعا في ذروة النشوة التي أججها رقص وغناء الغجريات.. لكن الجميع استفاقوا على هول المدفع الرشاش الذي وجهه عدي إلى عمه ومن معه، فسالت دماء كثيرة وتحول الحفل إلى كارثة انسحب عدي بعد أن أصاب عمه وطبان إصابات مباشرة سببت له في ما بعد عوقا مستديما.. وامتد صدى الكارثة إلى قصور العائلة الحاكمة في بغداد وتكريت وتفاعلت بصورة خطيرة وكان من نتائجها هرب حسين كامل إلى عمان وانتهى هذا المشهد أيضا بكارثة دموية بعد عودة حسين كامل وشقيقه إلى بغداد!

نموذج من جرائم عدي

طريقة جديدة للموت ابتكرها عدي صدام حسين ونفذها بحق عبد الرزاق بكر[1]

ثمة خصوصية في علاقة عبد الرزاق بكر بعدي صدام حسين، تجعله الأقرب إليه من الحلقة التي تحيط به من الأصدقاء والمستشارين والعاملين في المجالات المختلفة، رغم أنه ليس قريبا من عدي في السن مثل بقية المحيطين بعدي مثل ياسر تحسين ونمير عبد الكريم وعلي البغدادي وعفيف موسى وياسر طلال وغيرهم، كما أن تأثيره على عدي أكبر بكثير من تأثير المستشارين الآخرين مثل موفق السمعاني وهشام عطا عجاج وأحمد عباس كما أنه أخذ يمارس اختصاصات عديدة خلال فترة وجيزة من دخوله ضمن دائرة عدي صدام حسين، فقد أصبح خلال أشهر معدودة المستشار الخاص، ونائب رئيس تحرير جريدة «البعث الرياضي» التي يمتلكها عدي صدام حسين ويشرف على نادي الزوارق ويتدخل في تفاصيل الأندية والاتحادات الرياضية ويدير مشاريع عدي ويشرف على مزارعه، وحين يدخل عبد الرزاق بكر بسيارته المرسيدس الخضراء ذات الأبواب الستة، فإن الآخرين يفسحون له الطريق، لأنه مخول بمقابلة عدي صدام حسين أي لحظة يشاء.

لم تكن هذه المهمات بمقاسات الرجل رغم فرحه الواضح بها فهو لا يميز بين الخبر والتقرير ولا بين المبتدأ والفاعل ورغم ذلك يشغل منصب نائب عدي في إدارة صحيفة رياضية يومية يعمل فيها طاقم من أفضل الصحفيين الرياضيين على مستوى التحرير وعلى المستوى الفني، وهو لا يميز بين حارس المرمى والمهاجم في لعبة كرة القدم ومع ذلك يترأس وفود الفرق الكروية العراقية المشاركة في البطولات

---

(١) أنظر: علي الجفال، صحيفة الرأي الآخر الإلكترونية، أرشيف المقالات (بتصرف).

القارية والدولية، وهو لا يميز بين النعجة والخروف ومع ذلك يدير مزارع عدي التي تحتوي على الآلاف من رؤوس الماشية ولم يحز هذا الأمر رضا المحيطين بعدي الذين رأوا أن عبد الرزاق بكر بدأ بالهيمنة على كل النشاطات الخاصة بعدي صدام حسين.

انحسار المهمات

بعد فترة من نشاط عبد الرزاق بكر المتعدد الأوجه نقل المحيطون بعدي أخبارا عن تكوين بكر لمجموعات من الموظفين في مختلف المراكز التابعة لعدي، وهم في أغلبهم من الجنود المنسبين إلى سرية مراسيم الحرس الجمهوري والقادمين من مناطق تكريت والأقضية القريبة منها، وشكك هؤلاء أن هذه المجموعات إذا ما أخذت مكانة متميزة في نشاط تلك المراكز، فإن أي تجاوز من عبد الرزاق بكر سوف لن يصل إلى عدي صدام حسين، وهكذا استلم عدي، الذي يشكك أصلا في كل المحيطين به ويجعلهم في دائرة الاتهام لحين إثبات براءتهم، الإشارة وبدأ في تدشين مرحلة انحسار مهمات بكر، وبدأ في عزله عن منصب نائب رئيس تحرير جريدة البعث الرياضي، ثم عزله عن مراكزه الرياضية في الأندية والاتحادات، لكنه مقابل ذلك منحه صلاحيات واسعة في الجانب التجاري بعد أن لاحظ نموا واضحا في معدل الأرباح سواء في تجارته الخارجية أو في أعماله الداخلية ويضمنها مزارعه الخاصة.

شكوك وتحقيقات

لم يكن نجاح عبد الرزاق بكر في إدارة شؤون عدي التجارية ليجعله بمنأى عن دائرة شكوكه، لذلك فقد وضع عدي رقابة صارمة على تحركات عبد الرزاق بكر ونشاطاته، وبدأت نتائج الرقابة تعطي ثمارها، فقد اكتشف عدي أن بكر استحوذ على أكثر من ١٥ ألف دولار من خلال صفقة عقدها باسم إحدى شركات عدي مع تجار من الأردن ولم ينتبه عبد الرزاق بكر إلى الرقابة الصارمة حوله، بل تصور أنه بعيد عن الأعين، فراح يضع شرط عمولاته في مقدمة مفاوضات الصفقات التي يعقدها لشركات عدي سواء منها الخارجية أو الداخلية ولاطلاعه الكامل على نمط علاقات عدي المتذبذبة، فقد عمل وفق نصيحة (إذا درت نياقك فاحتلبها) وبدأ بحلب ما يستطيع ليكون في مأمن من تقلبات الزمن إذا ما قرر عدي صدام حسين الاستغناء عن خدماته..

رعب بارد في حفلة صاخبة

لم يدر بخلد عبد الرزاق بكر حين رن جهاز الاستدعاء الذي يحمله في جيبه أن عدي اطلع على تفاصيل تجاوزاته المادية، بل افترض، ومثلما تعود من قبل أن استدعاءه في هذا الوقت المتأخر من الليل سيكون للمشاركة في إحدى سهرات عدي الصاخبة، ولم يجانب الرجل الصواب كثيرا، فعدي كان يحضر واحدة من تلك السهرات الصاخبة، وحين حضر عبد الرزاق بكر استقبله بحفاوة مبالغ فيها وأجلسه إلى جانبه، إلا أنه التفت إليه بعد دقائق ليقول له باسما :

- أنصحك أن لا تشرب الخمرة هذا اليوم، فأنت تحتاج إلى ذاكرة نشطة، وعرف عبد الرزاق بكر على الفور أن عدي غاضب منه، فجلس صامتا دون أن يساهم في صخب الحفلة أو ضحكاتها العالية، وتعمد عدي أن يتركه في عزلته لأكثر من ساعة ليلتفت إليه بعدها ويسأله بغضب مفاجىء..

كيف تجرؤ على خيانة أسيادك..؟

أنا..؟ قال عبد الرزاق بكر متلعثما وقد علت عينيه الصفراوتين غمامة خلفتها دموع الخوف..

قد أعفو عنك.. إذا سردت لي تفاصيل خياناتك.. ولكن إذا أنكرت.. فسأجعلك تموت بطريقة لم تطبق من قبل، قال عدي وقد أخذ يتلذذ بالخوف المشع من ملامح عبد الرزاق بكر. استحضر عبد الرزاق بكر كل صفات عدي التي يعرفها خلال ثوان، وأيقن أنه معاقب في كل الحالات وقد يكون محظوظا إذا ما انتظر عدي حتى صباح الغد (ليأمر) بعقوبته التي قد لا تكون الموت كما يقول الآن في لحظات السكر، واستجمع شجاعته ليقول:

لا أنا ولا غيري نجرؤ على خيانتك.. وأخشى أن تكون المعلومات التي..

إنها معلومات دقيقة وتأكدت بنفسي من صحتها.. ولك الخيار بين أن تخبرني أنت بها أو أخبرك بنفسي.. قال عدي غاضبا .. لم يجد عبد الرزاق بكر غير الصمت ملاذا إزاء غضب عدي وأخذ يتطلع بالوجوه عل ه يجد نصيرا في محنته ولكنه لم يقرأ في العيون سوى لذة السكر ممزوجة بلذة التشفي.. ولم يكن من عدي بعد أن طال صمت

عبد الرزاق بكر غير أن يصرخ في وجهه: لا تنكد علي السهرة أكثر من ذلك.. اذهب إلى بيتك ولا تخرج منه إلا بطلب مني.

أيقن عبد الرزاق بكر وهو يقطع المسافة من مكان السهرة إلى حيث تقف سيارته، أن نهايته باتت وشيكة، لكنه بعد أن غادر بوابة المزرعة أخذ يمني نفسه بتغيير قرار عدي في اليوم التالي، لكنه وفي كل الأحوال قرر الالتزام بالأمر وبقاءه في البيت إلى حين يطلب منه عدي الخروج.

نهاية ليست ككل النهايات

مضت الليلة طويلة على عبد الرزاق بكر وهو يتقلب في فراشه دون أن يغمض له جفن وقلب الأمر من جوانب عديدة، فكر أن يعترف لعدي بكل التجاوزات المالية والاختلاسات، لكنه يعلم أن هذا الأمر سوف لن يجدي نفعا، واستعرض كل الأسماء التي يعلم أن لها تأثيرا على عدي والتي من الممكن أن تتوسط من أجل أن يعفو عنه أو يخفف العقوبة على أقل تقدير، ولكنه كان كلما يستعرض اسما يقفز إلى ذهنه موقف ما من المواقف التي أدت إلى احتكاك بين عبد الرزاق بكر وذلك الاسم.. وبقي في صراع مع نفسه حتى صباح اليوم التالي، حيث أعاد شروق الشمس الأمل إلى نفسه، وجلس إلى جانب الهاتف بانتظار لحظة الفرج. على الجانب الآخر لم يغادر الغضب عدي رغم صحوته من سكرة الأمس، بل قال لبشار هشام بالحرف الواحد يجب أن تكون عقوبة عبد الرزاق بكر قاسية إلى الحد الذي يجعل الآخرين يعيدون التفكير آلاف المرات قبل أن يقدموا على عمل مشابه، وأخذ يفكر بنمط عقوبة لم يستخدمه أحد من قبل، وأشرك بشار هشام معه في رسم سيناريو جديد لعقوبة لم تحدث من قبل.. وفي كل اقتراح كان بشار يقدمه ينبه عدي إلى أن هذه العقوبة طبقت بحق فلان أو علان من العاملين معه، ومن أجل الضغط على أعصاب عبد الرزاق بكر لحين إيجاد العقوبة الغريبة قال عدي لبشار: اتصل بعبد الرزاق وقل له أن يكون قريبا من الهاتف لأنني سأتصل به بعد قليل.. ونفذ بشار ما قال له عدي حرفيا .. شعر عبد الرزاق بكر أن (بعد قليل) هذه أصبحت قرونا من الزمان وهي تسير بطيئة لزجة.. ومرت أمام ناظريه كل العقوبات التي طبقت بحق الآخرين من العاملين مع عدي والتي كان هو سببا في بعضها، ولكنه طمن نفسه بالقول أن منزلته عند عدي وسنه الذي تجاوز الخمسين سيشفعان له، وستكون

عقوبته بسيطة، وبقي مرابطا عند جهاز الهاتف إلى المساء دون أن يأكل أو يشرب شيئا.وفي التاسعة مساء قفز عبد الرزاق بكر إلى الهاتف الذي رن معلنا الفصل الأخير من المأساة - الملهاة، كان المتحدث على الجانب الآخر عدي صدام حسين أبلغ عبد الرزاق بكر، أنه اكتشف الطريقة المناسبة لعقوبته وهي حرقه بطريقة استعراضية..

كيف..؟ تساءل عبد الرزاق بكر بتوسل!.

عليك أن تغلق باب الدار، وسأحلق بالمروحية فوق سطح بيتك.. وحين أرش المنزل بالبنزين المحسن، تهيأ لحريق يلتهمك أنت وبيتك.. قال عدي بصوت جاد وأغلق الهاتف.. أخذ عبد الرزاق بكر الذي يعرف مدى تهور عدي صدام حسين، يستعرض طريقة موته، وأيقن أنه سيموت بشكل بشع، فكر بالهرب كحل أخير وتطلع من نافذة البيت المطلة على الشارع، ولكنه انتبه إلى السيارة المظللة العائدة لحماية عدي والتي يعرفها جيدا ويعرف من فيها ويعرف أن مهمتهم ستكون منعه من الفرار.. تحولت الأرض إلى نقاط سوداء بعيون عبد الرزاق بكر وخر على الأرض صريع خوفه الذي تحول على الفور إلى سكتة قلبية مميتة. أما عدي صدام حسين فإنه حلق بطائرته بالفعل فوق منزل عبد الرزاق بكر الكائن في مدينة المنصور ببغداد، ولكنه انتبه إلى محطة تعبئة الوقود القريبة من البيت وقدر على الفور أن حريقا ينشب فيه سيصيب المنطقة بأكملها بكارثة حريق مدمر.. وحين تراجع عن تنفيذ خطته لم يعلم أن عبد الرزاق بكر مات هلعا من مجرد تصور تنفيذ سيناريو الموت المعلن الذي أخبره به عدي صدام حسين[١].

حارس لعدي يروي ظروف صدام وولديه بعد سقوط بغداد

روى حارس شخصي لعدي نصدام حسين ظروف معيشة صدام ونجليه عدي وقصي التي أعقبت سقوط بغداد في التاسع من ابريل، مشيراً إلى أن سقوط بغداد العاصمة غيّر سلوك عدي تماماً وأخرجه من حالة اللهو إلى رغبة في قتال الأميركيين.

وفي حديث لصحيفة التايمز البريطانية، قال الحارس الشخصي الذي رفض كشف

---

(١) نكتفي بهذه القصص للدلالة على مدى أخلاقية هذا الإبن البار «عز الشباب» ونترك الكثير من القصص الأخرى التي لم تعد خافية على معظم الناس (المؤلف).

هويته واستخدم اسم أبو طيبة ان صدام حسين ونجليه واصلوا بعد أن غادروا المدينة، قتال القوات الأميركية والبريطانية.

وبعد أن غادر بغداد، تولى عدي شخصياً قيادة ميليشيا «فدائيي صدام»، موضحاً أن «هذا ما كانوا قد خططوا له في آخر لقاء لهم في بغداد».

عندما سقطت بغداد في التاسع من أبريل كان صدام وعدي وقصي في منازل منفصلة في الأدهمية وهو حي يسكنه كثير من الموالين حيث ظهر صدام على شاشات التلفزيون وهو يسير في شوارعه قبل ذلك بيومين.

وبعد يومين ظهر صدام وابناه أثناء صلاة الجمعة في مسجد بالأدهمية على بعد بضعة أميال من الدوريات الأميركية. وكانت هذه آخر مرة شوهدوا فيها في مكان عام. ولكن الحارس الشخصي ذكر أنهم كانوا يتنقلون بحرية من منزل آمن إلى آخر في سيارات عادية.

وأضاف الحارس السابق الذي انفصل عن عدي لدى فراره من العاصمة بغداد بعد أن امضي معه سبع سنوات إن «الشيء الوحيد الذي كان عدي يفكر فيه هو قيادة المقاومة».

وتابع «كان لعدي ربما للمرة الأولى في حياته هدف محدد» بعد أن ابتعد عن حياة اللهو التي تعودها. ويروي الحارس إن «كل شيء تبدل مع اندلاع الحرب (بالنسبة لعدي).. كان ينام عند منتصف الليل ليستيقظ في الرابعة صباحاً فيستمع إلى الأخبار في التلفزيون ثم يعود إلى النوم حتى السادسة صباحاً».

ويتذكر أبو طيبة إن عدي «عندما شاهد انهيار تمثال والده (التاسع من ابريل في ساحة الفردوس في بغداد) كان شديد العصبية ومزاجه في أسوأ حال».

تفاصيل مقتل قصي وعدي

رغم زخات الرصاص التي قعقعت في سماء بغداد فور تأكيد القوات الأمريكية لمقتل عدي وقصي نجلي الرئيس العراقي السابق صدام حسين في هجوم على بيت كانا يختفيان فيه في الموصل يوم الثلاثاء الماضي إلا أني من خلال مراقبتي لعملية إطلاق الرصاص من على سطح أستوديو قناة الجزيرة في بغداد من أول طلقة إلى نهايتها ومحاولتي تسمع البعيد منها طوال ما يقرب من عشرين دقيقة فإن تقييمي لها أنها لم تكن

بالحجم الذي يشير إلى أن كل العراقيين أو معظمهم قد فرح بما حدث أو اقتنع أو حتى كان معنياً به، فالهموم التي يعيشها الناس والحقائق المفزعة التي صحوا عليها بعد سقوط النظام جعلت مثل هذه الأحداث تهم الأمريكيين الذين صنعوها من أولها إلي آخرها أكثر مما تهم العراقيين الذين يعيشون همّ الجوع والخوف.

وكنت قبل ذلك قد نزلت مباشرة إلى شوارع بغداد لمعرفة ردود فعل الناس على مقتل عدي وقصي فور تأكيد الخبر، كانت الساعة حينها تقترب من السابعة مساء فوجدت أن معظم الناس لا يكادون يصدقون الخبر غير أني حينما وصلت قرب الثامنة مساء إلى منطقة الكرادة التي عادة ما تكتظ بالناس إلى قبيل موعد حظر التجول في العاشرة مساء كان الهمس قد بدأ لكن الأغلبية لم تكن على قناعة بأن عدي وقصي قد قتلا، وقال لي أحد العراقيين مكذباً ليست المرة الأولى التي يعلنون فيها ذلك أما أحد الذين أدركت من حواري معه أنه ربما يكون مسئولاً كبيراً في النظام السابق حتى أنه رفض بشدة أن يذكر لي اسمه أو كنيته بعد نقاش مطول معه أذكر أني حينما قلت له في البداية: ما رأيك فيما أعلن عن أن الأمريكيين قد قتلوا عدي وقصي؟ فتح الرجل عينيه وفغر فاه وكان كمن صعق ثم قال لي بصوت مرتفع: مستحيل.. مستحيل... قلت له: لماذا؟ قال لأن عدي وقصي لا يمكن أن يجتمعا أو يناما في مكان واحد لمدة طويلة هذه كانت تعليمات السيد الرئيس والكلمة الأخيرة السيد الرئيس مازال يرددها بعض العراقيين الذين إما كانوا جزءاً من النظام أو البسطاء الذين مازالوا يعتقدون أن صدام حسين سوف يعود وأن كل ما يحدث ليس سوى كابوس سوف ينتهي مع خروج الأمريكيين قريباً، وهذا ما لمسته في كثير من المناطق التي مررت عليها خارج بغداد لاسيما لدى العامة الذين مازالوا يخافون من الحديث عن صدام أو أبنائه بأي سوء خوفاً من عودته وحسابه لهم على أي كلمة يقولونها ضده أو ضد أبنائه.

ورغم الروايات الكثيرة التي تداولتها الصحافة العالمية حول مقتل عدي وقصي فإني أكاد أكون على قناعة تامة بالرواية التي عاصرتها بنفسي من اللحظة الأولى مع الزميل ياسر أبوهلالة، منذ أن خرج صباح الثلاثاء من بغداد باتجاه دهوك لتغطية بعض الأحداث بين الأكراد هناك لكنه غيَّر مساره إلى الموصل فور ورود أنباء عن هجوم أمريكي علي أحد البيوت في الصباح، حيث كان ياسر من أوائل الصحفيين الذين وصلوا إلى المكان الذي دارت فيه المعركة بسبب قربه بالمصادفة منها وظل طوال اليوم

يتابع التطورات ويستمع إلى روايات الناس، وكنت على اتصال دائم معه حتى استطاع أن يجمع أطراف رواية ربما تكون هي الأرجح، حيث يصر ياسر في روايته على أن صاحب البيت الذي قتل فيه عدي وقصي الشيخ نواف محمد الزيدان زعيم عشيرة بوعيسى في الموصل لم يكن هو الواشي بهما رغم أن كل الروايات التي تداولتها وسائل الإعلام تصر على أنه الواشي، كما يؤكد أن الأمريكيين حينما جاءوا وأخذوا الرجل وابنه إلى بيت مجاور لم يكونوا يعلمون من الذين يؤويهم الرجل في بيته وأنهم كانوا يعتقدون أنهم ربما يكونون من "المجاهدين العرب" أو بعض المطلوبين، وأن المؤكد أن أحد جيران الرجل الذي لاحظ تغير عاداته ربما يكون هو الذي وشى به حيث تعود الرجل أن يجلس كل يوم عند العصر خارج بيته يتحدث مع جيرانه، لكنه انقطع عن هذه العادة منذ أكثر من أسبوع واشترى مولدات كهرباء كبيرة جديدة وكان يطلب كثيراً من الطعام إلى بيته، وكانت هناك سيارات تروح وتأتي بشكل لافت لمن يتابع بدقة، مما أكد وجود أغراب عنده، لكن الشكوك لم تذهب مطلقاً إلى أنه كان يؤوي عدي وقصي، ولأن الخوف يتحكم في كل تصرفات الأمريكيين وكثيراً ما جاءتهم وشايات كاذبة من أناس على آخرين ذهب فيها كثير من الأبرياء ضحايا، فقد جاءوا إلى الرجل واعتقلوه وابنه وأخذوهما إلى بيت جيرانه ليتأكدوا من المعلومات التي وصلتهم قبل فعل أي شيء، وكان البيت الذي أخذا إليه به أيضاً بعض العمال الذين شاهدوا ما جرى وقد روى شهود العيان أن أحد الضباط الأمريكيين أخذ يضرب الولد بكعب مسدسه بعنف أمام أبيه وهو يمسك بخناقه وآخر يضع فوهة رشاشه على رأس الأب ويقول له بعنف: اعترف من عندك في البيت ؟ فانهار الرجل الذي لم يتحمل ما يحدث أمام عينيه لابنه والتهديد المباشر له وقال بهدوء شديد لدي عدي وقصي ومصطفى نجل قصي (١٤ عاما) وأحد رجال الحماية الخاصة لهم يدعى عبد الصمد، سيطرت الدهشة حتى على الأمريكيين الذين ربما لم يصدقوا هم الآخرون وجود هذا الصيد الثمين، فجلبوا جيشاً جراراً للمنطقة وطوقوا المنزل الذي يقع في منطقة لا تتكاثر فيها المنازل وطلبوا ممن داخل المنزل في البداية عبر مكبرات الصوت أن يستسلموا لكن أحدهم خرج وفتح رشاشه عليهم معلناً بداية معركة مع الأربعة المحاصرين في البيت استمرت حسب تصريحات الليفتانت جنرال ريكاردو سانشيز في المؤتمر الصحفي الذي عقده في بغداد مساء الثلاثاء ست ساعات وانتهت بمقتل الأربعة حيث استخدم الأمريكيون

مقتل عدي وقصي الذي قالوا إنه الأهم منذ احتلالهم للعراق منقذاً حتى يخرجوا به من الأزمات التي تلاحقهم والتي ربما تعصف ببوش وحكومته في النهاية، هذا عند الأمريكيين أما عند العراقيين فكما كانت حياة عدي وقصي ضرباً من الخرافة والأساطير سيظلون يتحدثون عنها عشرات السنين فإن موتهما كذلك بهذه الطريقة حيث كانوا أربعة أفراد فقط بينهم طفل خاضوا معركة استمرت مع جيش أمريكي جرار عدة ساعات لن يكون أيضاً سوى ضرب من ضروب الخرافة والأساطير الذي ربما لم تكتمل به الصورة بعد[١].

(١) المصدر: أحمد منصور، ٢٢/يوليو- تموز/٢٠٠٣، نقلاً عن جريدة الأسبوع (بتصرف).
توفر لديَّ عدة روايات لمقتل عدي وقصيّ صدام حسين، ولكن وجدت أن هذه الرواية هي الأقرب للمنطق، سيما إذا أخذنا بعين الإعتبار التاريخانية التي ما برحت تحكم الكثير من الروايات المتداولة في ظروف كهذه.

الفصل السابع

بنات صدام

بنات صدام

رغد، رنا، حلا

قبل الحديث عن حياة بنات صدام بعد احتلال العراق؛ وإعدام والدهم، لا بدَّ من التوقف بحادثة مقتل صهريّ صدام حسين، حسين كامل المجيد وأخوه صدام كامل المجيد، وأسباب هروبهما من العراق إلى الأردن في أغسطس من العام ١٩٩٥، وأسباب مقتلهم في مذبحة ٢٣ فبراير ١٩٩٦، على أيدي عشيرة صدام؛ وفي مقدمتهم ابنه عدي وابن عمه علي حسن المجيد المعروف بعلي الكيماوي.

من هو حسين كامل

ولد حسين كامل حسن المجيد في قرية العوجة بتكريت عام ١٩٥٦ من عائلة فقيرة تعمل بالزراعة.

أكمل الدراسة الابتدائية ولم يكمل المتوسطة لفشله في الدراسة.

عام ١٩٧٧ راجع حسين كامل مبنى جهاز المخابرات العراقية وطلب مقابلة نائب رئيس المخابرات آنذاك برزان التكريتي لغرض التعين في جهاز المخابرات وقد رفض برزان مقابلته لكونه كان يرتدي "دشداشة". طلب برزان من موظف الاستعلامات أن يملي له استمارة لغرض تعينه سائق في جهاز المخابرات، و بعد توسط العائلة وافق برزان على تعينه موظف في جهاز المخابرات وقام برزان بتوجيه حسين بضرورة تثقيف نفسه وتعلم كيفية ارتداء الملابس، ويبدو أن هذا الموقف بقي مخزون في ذاكرة حسين كامل ضد برزان.

عام ١٩٧٩ بعد تولي صدام حسين منصب رئيس الجمهورية وتولي برزان التكريتي منصب رئيس المخابرات عين حسين كامل مرافقاً لصدام ومنح رتبة ملازم وبدأ التقرب

من صدام حسين، وفي عام ١٩٨٣ تزوج من بنت صدام حسين رغد وبدأ نجمه يصعد، وخاصة بعد استقالة برزان من المخابرات، وكان برزان التكريتي يصف حسين كامل دائماً الجاهل الغبي.

شغل حسين كامل مناصب مهمة وحساسة منها : مدير جهاز الأمن الخاص، المشرف العام على قوات الحرس الجمهوري، المشرف العام على التصنيع العسكري، وزير الدفاع، وكان يُمنح كل سنة رتبة اعلى حتى وصل إلى رتبة فريق أول ركن بقرار من صدام حسين، وأصبح الشخص الوحيد في إصدار القرارات بعد صدام حسين، وكان يطلق عليه في القصر الجمهوري بالرئيس الصغير يأمر وينهى، وقام بتعين شقيقه صدام كامل مرافقاً لصدام حسين.

وعيّن شقيقه الثاني حكيم بالحماية الخاصة لصدام حسين، أما شقيقه الثالث جمال فقد تفرغ للعمل التجاري لمتابعة مشاريع حسين كامل التجارية، ويبدو أن صدام حسين كان ينوى تعينه رئيس للوزراء قبل هروبه ١٩٩٥.

بدأ حسين كامل يتنافس تجارياً مع علي حسن المجيد وإخوانه حمد وعبد، وكان المنافس الحقيقي لعدي صدام حسين وأولاد ادهام ووطبان الحسن أشقاء صدام حسين.

حسين كامل وعلاقته مع برزان التكريتي

كانت العلاقة بين حسين كامل صهر صدام حسين وبرزان التكريتي رئيس المخابرات علاقة مبنية على الحقد الدفين غير المعلن، عام ١٩٨٣ وبعد زواج حسين كامل من بنت صدام حسين ظهرت الخلافات العائلية وبلغت ضراوتها.

أسباب الاستياء من حسين كامل

كان هناك استياء شعبي ورسمي من حسين كامل للأسباب التالية :

١ ـ قساوته واضطهاده المواطنين حيث لم يترك تاجراً إلا ودخل شريكاً معه.

٢ ـ استيلائه على بعض البساتين والقصور ذات المواقع الجيدة من المواطنين بالقوة.

٣ ـ الاتجار بالنفط و استيراد السكر وغيره على حساب الوزارات المختصة الأخرى.

٤ ـ إهانته للمسؤولين ومنهم الوزراء، و التدخل المباشر بعمل وزاراتهم.

٥ ـ استياء الضباط الكبار من أن عريف يقودهم.

٦ ـ خلافاته العميقة مع عدى صدام حسين.

٧ ـ التدخل في شؤون الوزراء المسؤولين.

اسباب هروب حسين كامل

كان السبب الرئيسي في هروب حسين كامل هو عدي صدام حسين، حيث بدأ الشعور ينتاب عدي أن حسين كامل أصبح اقرب منه إلى أبيه صدام حسين، وكان في النية تعينه رئيساً للوزراء إضافة إلى الخلافات التجارية المنافسة بينهما؛ ومحاولة كل منهما السيطرة على السوق والسلطة، وخاصة صفقات السكر وتهريب النفط عبر إيران ودبي، في إحدى المرات قام صدام حسين بتوبيخ عدي على تصرفاته، واعتقد عدي أن المعلومات التي وصلت والده هي من عمه وطبان وحسين كامل، عندها جنّ جنونه وتوعد بقتل عمه وطبان وحسين كامل.

وفعلاً قام عدي بإطلاق عيارات نارية على عمه وطبان التكريتي وإصابته في ساقه، (وقد فصّلنا هذه الواقعة في محلها).

بعدها هدد وتوعد عدي بقتل حسين كامل بوجود ولده علي، وقام علي حسين كامل بسب وشتم عدي وشهر بندقيته على عدي، وحاول قتله لولا تدخل الحماية وخال عدي؛ لؤي خير الله الذي حال دون ذلك. عندها ذهب علي وأخبر والده حسين كامل الموقف، وأن عدي ينوى قتله، ولمعرفة حسين كامل بطبيعة عدي العدوانية؛ قرر حسين كامل الهرب خارج العراق، فقام حسين كامل بإقناع زوجته رغد بنت صدام حسين، وشقيقه صدام وزوجته بنت صدام حسين الثانية، وأخيه الآخر عبد الحكيم وعز الدين العاملين في حماية صدام حسين، وأخذ حسين كامل معه مبالغ مالية ضخمة وغادروا العراق إلى الأردن.

وبعد وساطة من العاهل الأردني الراحل حسين بن طلال؛ عفى صدام رسمياً عن صهريه، وسمح لهما بالعودة إلى العراق.

فما الذي حصل بعد عودتها . . ، هذا ما ستقرأه في الصفحات التالية.

عودة الصهرين

ساجدة وعدي ينتظران

قبل دقائق من وصول حسين كامل وابنتيّ صدام حسين إلى العراق كانت قد وصلت إلى الحدود طائرة مروحية تحمل ساجدة خير الله طلفاح زوجة صدام حسين الأولى وأم ابنتيه العائدتين، يرافقها عدي صدام حسين، الذي كان السبب الأول في خروج حسين كامل من العراق، وعلى أثر خلافات حادة وتهديد عدي لحسين كامل بالقتل بعد تزايد نفوذه، شعر حسين كامل يومها بأنه لم يعد له مكان في السلطة وكان مجيء عدي إلى الحدود علامة أقلقت حسين كامل وأخافته، لما عرف عن عدي من ممارسات مجنونة وعنف واضح وعدم اتزان، وكانت قد وصلت أيضاً مجموعة من السيارات المحملة بفدائيي صدام ومنتسبي الحرس الرئاسي، ويبدو أن مهمتهم كانت هي التأكد من أن كل شيء سيجري مثلما يريد عدي، فقد أخذت الأم ابنتيها بالأحضان والبكاء وكذلك الأولاد ولم يتصافح عدي وأمه مع صهريهما وتمتم عدي بكلمات فهم حسين كامل منها التهديد والوعيد وأن مصيراً مجهولاً ينتظره وفكر صدام كامل بالعودة ثانية إلى الأردن وقال لحسين كامل ألم أقل لك أنك تأخذنا إلى الموت، دعنا نعود من هنا، رفض حسين كامل وأصر على المواجهة مفترضاً أن ما قاله عدي يمثل موقفه الشخصي وإن الرئيس سيحترم توقيعه والعهد الذي قطعه بالعفو عنه.أخذ عدي أمه وأختيه وأولادهما في الطائرة المروحية وترك حسين كامل وصدام كامل وعبد الحكيم كامل بمفردهم بسياراتهم، ويبدو أن تعليمات واضحة قد صدرت على الحدود بعدم السماح لهم بالخروج ثانية وبقي بعض فدائيي صدام والحرس الرئاسي في نقطة طريبيل الحدودية لإفشال أية محاولة قد يقوم بها حسين كامل وأخويه للخروج من العراق بعدما لاحظوا الأجواء التي قوبلوا بها عند الدخول.

اقتراح ثانٍ بالهروب

في الصحراء الممتدة بين الحدود وبغداد اقترح صدام كامل على شقيقه الأكبر حسين أن يهربا عبر طرق البادية وقال له إنهم سيقتلوننا، وما دام صدام قد ترك حسم الأمور لعدي فإن الأشياء لن تكون على خير، وعدي سوف لن ينسى رفضك مقابلته لشقيقتيه عند مجيئه إلى عمان، أما في الطائرة فقد جرى عتاب بين عدي وأختيه وسألهما كيف رفضتا الحديث معه على الهاتف عندما حضر إلى عمان وهاتفهما بحضور الملك حسين..؟ أنكرتا معرفتهما بهذا الأمر ووضحتا أنهما كانتا أشبه بالمعتقلتين وممنوع عليهما استخدام الهاتف أو استقبال الزوار، وحتى الأميرات من الأسرة الملكية كان يسمح لهن بالزيارة وبمقابلتهن بحضور الأزواج وحاولتا بوسائل شتى أن يوصلا هذه المعلومات إلى السلطات الأردنية وربما قد تمكنتا من ذلك في وقت متأخر وتحدثتا عن الخدعة التي تعرضتا لها من قبل حسين كامل وكيف غرر بهما عندما غادروا العراق بحجة الذهاب للسياحة أو الإقامة المؤقتة في عمان لحين تسوية الأمور بشكل هادئ مع عدي عبر توسط الملك حسين، وأنهما لم تعرفا بقصة المؤتمر الصحفي إلا في وقت متأخر، وتدخل الأولاد يؤيدون كلام أمهما. قالوا أنهم منعوا من الذهاب إلى المدرسة واللعب مع أحد.. وإن أقصى ما أتيح لهم اللعب معهما هما كلبان صغيران طلبهما الأب من ألمانيا.. وإن الأولاد كانوا أشبه بالمحتجزين..!!

عدي يشتاط غضباً

واشتاط عدي غضبا وتوعد وحاولت زوجة صدام أن تقول أن زوجها لا علاقة له بكل هذه القضية وأنه أيضاً أرغم على كل ما جرى لكن عدي لم يقتنع بهذا الكلام وقال كان بإمكانه أن يتصل أو يتمرد أو يرفض المؤتمر الصحفي أو يحرركما من قيود الإقامة الجبرية وقالت زوجته أنها كانت تخرج معه وإنها ليست مقيدة بالمفهوم المطلق كما هو حال أم علي - تقصد زوجة حسين كامل -، لكن لم يكن بمقدورها أن تعود إلى العراق أو تتصل بأهلها..

الطائرة تهبط وصدام بالانتظار

كان الطريق إلى بغداد طويلاً، هبطت الطائرة على سطح احد القصور ومن هناك انتقلوا بالسيارات إلى حيث كان صدام حسين ينتظر في أحد المواقع السرية..أما حسين

كامل وأشقاؤه وشقيقته أم عمر زوجة عز الدين وأطفالها الخمسة فقد ذهبوا إلى منزل يملكه الأب في منطقة - السيدية - أحد أحياء مدينة بغداد الواسعة وهناك كان بانتظارهم والدهم ووالدتهم، أما شقيقهم الآخر جمال فقد رفض الحضور للسلام عليهم وكان الأب قد ملأ البيت بالأسلحة وكان يعرف أن أشقائه الآخرين وأبناء عمومته ينوون قتل العائدين، وحاول بكل الطرق أن يثنيهم عن ذلك ولم يتمكن، وذهب لمقابلة الرئيس صدام حسين، إلا أنه اعتذر عن مقابلته، وقام وفد من العشيرة يضم علي حسن المجيد عضو القيادة العراقية وعم حسين كامل وجمال مصطفى زوج حلا البنت الصغرى للرئيس صدام حسين، وثائر عبد القادر ابن عمة حسين كامل وزوج ابنة الرئيس الراحل أحمد حسن البكر، وعشرة أخرين يمثل كل منهم العوائل في الأسرة الحاكمة وقابلوا مجتمعين صدام حسين وقال علي الذي يسميه العراقيون - علي كيماوي - لمسؤوليته المباشرة عن المجزرة التي تعرض لها الأكراد في مدينة حلبجة عندما قصفت بالسلاح الكيميائي وقتل فيها الآلاف من الأبرياء وأحرقت الأرض يوم كان هو مسؤولاً عن كل ما يتعلق بملف وكردستان العراق، قال علي لصدام الذي هو ابن عمه في ذات الوقت، أنك عفوت يا سيادة الرئيس عن الجزء المتعلق بحق الدولة وعفوت عن الجزء المتعلق بحقك الشخصي لكننا لا نعفو عن حق العشيرة، فهذا جزء فاسد في العشيرة فما هو مصير الجزء الفاسد؟.

قال الرئيس تعلمنا أن الجزء الفاسد يبتر قبل أن يستشرى. وحق العشيرة مسؤوليتكم ولا أتدخل أنا فيما تريدون أن تفعلوا، لكنني أتمكن من منع أولادي من المشاركة المباشرة في أي عمل تنوون القيام به، فأنا حين أعفيت، أعفيت عن حقي وحق أولادي.

لقد فهم الزوار أنها مباركة وتأييد من الرئيس وعليهم أن يهيئوا أنفسهم للتنفيذ، وكانوا يدركون أيضاً أن حسين كامل ليس خصماً سهلاً وأنه سيقاتل وقال أحد الحضور لصدام حسين: سيادة الرئيس إنهما لازالا صهريك من الناحية القانونية والشرعية وليس بمقدورنا أن نقتلهما، فأمر الرئيس على الفور بأن يقوم حسين وصدام كامل بتطليق زوجيتهما لكي لا توصفا على أنهما أرملتي خائنين، واتفق الجميع على أن يطلب من قاضي بغداد الأول إجراءات مستعجلة لإجراء الطلاق بناءً على طلب خطي تقدمه كريمتا ابنتا صدام حسين. ووعد عدي الحضور أنه سيهيئ الطلبات. .انصرف الجميع وعرفوا مهمتهم القادمة.

الطلاق قبل القتل

كان هذا يوم ٢٠/ ٢/ ١٩٩٦م وكان حسين كامل ومن معه قد وصلوا العراق يوم ١٩/ ٢/ ١٩٩٦م، ذهب عدي إلى شقيقتيه وطلب منهما التوقيع على طلبات القاضي الشرعي لكي يتم الطلاق وأحضر عدي هذه الأوراق بعد أن وقعت الشقيقتان عليها، دون أي اعتراض، ويقال أن زوجة صدام كامل حاولت الدفاع عن زوجها ورفضت ما يجري وقالت افعلوا بحسين ما تريدون لكن صدام لا علاقة له بهذا، لكن الأوامر كانت حاسمة وعندما أفهموهما أن العشيرة ستقتلهما وأنهم لا دخل لهم في هذا، رفضت "أم أحمد" زوجة صدام كامل وانهارت لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً.؟!

لقد تم استدعاء الأب من قبل أشقائه وطلبوا منه أن يذهب حسين كامل وشقيقه إلى المحكمة لتطليق زوجيتهما، رفض الأب، ولكنهم هددوه ومن ثم وعده أشقاؤه أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يحافظ بها على حياة ابنيه هي أن يقوما بتطليق زوجيتهما وهو وعد آخر قطعته العائلة وسينقض أيضاً.. وافق الأب وذهب إلى ولديه اللذين رضخا للأمر وصحبهما إلى حيث قاضي بغداد الأول عبد القادر إبراهيم الذي قام بالإجراءات القانونية والشرعية للطلاق.

إغلاق منافذ بغداد

كان والد حسين كامل ووالدته قد صدّقوا إلى حد ما أن أولادهم قد أصبحوا بمأمن، لكنهم علموا بطريقة ما أن جميع مداخل بغداد وبواباتها قد وضعت تحت سيطرة جهاز الأمن الخاص وفدائيي صدام، وبدأ تفتيش دقيق للسيارات الداخلة والخارجة، وكان لدى نقاط التفتيش أوامر صارمة بمنع حسين كامل وأشقائه من مغادرة بغداد، وهذا ما يؤكد أن السلطة كانت جزءاً مما سيحدث لاحقاً أي أنهم ما كانوا يريدون له أن يخرج من بغداد، كأن يذهب إلى معقل أهله في قرية - العوجة - في ضواحي تكريت ١٦٠كم- شمال بغداد - في المساء طرقت بابهم سيدة مسنة كانت تسكن إلى جوار المنزل الذي يتواجدون فيه وقالت لوالدة حسين كامل التي تربطها بها علاقة جوار وصداقة تخبرها إن مفرزة من جهاز الأمن الخاص قد حضرت إليهم وأبلغتهم أن يخلوا المنزل خلال ثلاث ساعات وأن الدولة ستوفر لهم سكناً في أحد الفنادق إذا لم يكن لهم أقارب من الممكن أن يناموا عندهم هذه الليلة، وإن هذا

الموضوع يتعلق بأمنهم وحمايتهم وافترضت السيدة أن الدولة ربما بصدد مهاجمة منزل عائلة حسين كامل ونصحتهم بالمغادرة. ولقد تم إخلاء الحي الذي يوجد فيه حسين كامل وأشقاؤه وشقيقاته ووالداه من السكان وانتشر في المنطقة أشخاص يرتدون ملابس سوداء وأقنعة لا تظهر من وجوههم غير العيون ومدججين بمختلف الأسلحة.

القرار بالقتل

كما ذكرنا فإن الوالد كان قد كدس أنواعاً مختلفة من الأسلحة وبعد أن عرفوا بما أبلغتهم به الجارة خرج الوالد للاجتماع مع أشقائه الذين هم أصغر منه سناً وأقربائه الآخرين الذين كان أغلبهم من أولاد شقيقاته، وسألهم عن الوعد الذي قطعوه من أنهم لن يصيبوا ولديه بسوء إن هما طلقّا زوجتيهما؟ قالوا له لم نتمكن فقد اتخذت العشيرة قراراً بقتل أولادك ولا يستطيع أحد إلغاء هذا الأمر غير - السيد الرئيس صدام حسين-.

ونحن نطلب منك أن تغادر المنزل أنت وزوجتك وبناتك وأطفالهن وعلى أولادك أن لا يحتمون بك أو بالأطفال، وإن أمر قتلهم قد اتخذ ولا رجعة فيه، أدرك كامل إن شقيقه علياً (الكيماوي)الذي بدأ حياته مساعداً في الجيش - نائب ضابط - وأصبح عضواً في القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ويحمل رتبة فريق ركن وتبوء منصب وزير الدفاع، والمعروف بقسوته وميله للعنف الشديد، وحصل على كل هذه المواقع والامتيازات بسبب طاعته العمياء لابن عمه صدام حسين وما عرف عنه من أنه كان يطلق الرصاص على رأس بعض المعتقلين عندما كان مديراً للأمن العام ويرديهم قتلى دون محاكمة.

أدرك أن لا فائدة من الحوار مع هذا الأخ وعليه أن يسعى لمقابلة ابن عمه الرئيس صدام حسين.

محاولات أخيرة لمقابلة صدام

ذهب كامل المجيد إلى القصر الجمهوري وحاول التحدث مع كل من يعرفه من أقاربه الذين كان أغلبهم يتهرب من الحديث معه في تلك الليلة الحامية، لكنه لم يستطع الوصول إلى صدام حسين، فتبين أن أغلب الذين أراد أن يوسطهم واسطة لتأمين مقابلته مع الرئيس وهم مرافقوه الشخصيون مثل ابن أخته اللواء روكان رزوقي

أو ابن عمه شبيب كانوا مع القوات المتجمعة للهجوم على منزله. عاد إلى المنزل وأخبر أولاده بما جرى واتفق الجميع على المقاومة. نصبوا أسلحتهم فوق سطح المنزل. واتفقوا أن يكون لكل منهم دور في حماية المنزل من الهجوم المرتقب، مر الليل طويلاً ولم يأت أحد. لم ينم أو يأكل أحد حتى الصباح الباكر حيث قالت أم حسين كامل إلى أبنائها، طالما عاملني الرئيس بود واحترام وأنا من أسميت أولادي الكبير على اسم والده عندما مات والأصغر على اسمه يوم كان مطارداً من قبل السلطة ومشاكساً لا يستقبله أحد من أقربائه، فربما سيقابلني وأطلب منه التدخل لحمايتكم، ومنع ما يخطط له أعمامكم.

وعندما خرجت من المنزل شاهدت الحي وقد ازدحم بمختلف أنواع السيارات والأشخاص الملثمين استقلت السيارة بصحبة أحد السائقين وعند أحد الحواجز قال لها شخص من الملثمين يا عمتي إذا لم تستطيعي خلال ساعة أن تجعلي الرئيس يأمر بإيقاف الهجوم فسيقتل كل من في البيت.

شكرته دون أن تعرفه وقد خمنت أنه بالتأكيد أحد أقاربها. ذهبت إلى القصر الجمهوري. ووعدت بالمقابلة وكانت تنتظر التشريفات على أمل أن تحضر سيارة تقلها إلى أحد المواقع التي يتواجد بها صدام حسين حيث لا يعرف مكانه إلا أقرب المقربين إليه. وفي هذه الأثناء وفي العاشرة صباحاً وقف علي حسن المجيد يتقدم أقاربه ونادى بمكبرات الصوت على شقيقه كامل أن يخرج من المنزل هو والنساء والأطفال وإلا سيقتل كل من في المنزل رفض كامل المغادرة وقال لهم سأموت مع أولادي فأعطوني فرصة لبعض الوقت لأن أم حسين ذهبت لمقابلة الرئيس وربما تحصل على عفو.

كان إلى جوار علي واحد من أكثر المتحمسين لقتل حسين كامل، وهو ثائر عبد القادر المجيد، وثائر هذا كان قد قال لي عنه حسين كامل إنه قد أرسل رسالة إليه وأعلن عن استعداده وقدرته على اغتيال صدام حسين إن طلب منه حسين كامل ذلك وفيما إذا رتب أوضاعه مع الدول الكبرى والإقليمية، ويبدو أن ثائراً كان خائفاً من أن تكون هذه المعلومة قد سربت أو ستسرب مما جعله يحاول أن يكون متحمساً وفي مقدمة المهاجمين للقضاء على حسين كامل.

وبدأت المعركة

لقد بدأ المهاجمون بإطلاق النار على المنزل الذي يضم كامل حسن المجيد وأولاده حسين وصدام وعبد الحكيم وابنته أم عمر زوجة عز الدين، الذي رفض العودة، وأولادها الخمسة الذين كان أكبرهم في الثانية عشرة من عمره ولم يكن أولاد حسين كامل وصدام كامل في المنزل وقت شن الهجوم.

لقد رد من في البيت على مطلقي النار، وكان أول من قتل من المهاجمين هو ثائر ابن أخت كامل، وقتل شخص آخر هو أحمد رزوقي سليمان المجيد وهو أيضاً ابن شقيقة أخرى لكامل أي أنهم يتقدمون الصفوف لقتل خالهم وأولاده، لقد قاتل من في البيت قتالاً شرساً ويمكن القول أن حسين كامل لم يكن يجيد مهنة أفضل من القتال. لقد استمرت المواجهات عدة ساعات ولم يستسلم من في البيت أما الوالدة فكانت لا تزال تنتظر في تشريفات القصر الجمهوري دون أن تعرف شيئاً عما حل بأولادها.

بعد ست ساعات من المواجهات كان هناك ستون شخصاً بين قتيل وجريح من المهاجمين وتراجع علي حسن المجيد ومن معه من المقدمة وتركوا الهجوم للملثمين من منتسبي فدائيي صدام الذين كان أغلب الضحايا من بينهم.

كيف قتل صدام كامل؟

قال أحد المشاركين في ذلك الهجوم أنه بانت على سطح المنزل راية بيضاء فهم المهاجمون أنها علامة استسلام الموجودين في المنزل، وهو ما جعل علي حسن المجيد يقول لأحد الرماة عندما يظهر رأس ما صوّب عليه أياً كان. وقبل أن يعرف إن كان هو أحد الأطفال أو شقيقه أو ابنة شقيقه رجلاً كان أم امرأة. وفعلاً سرعان ما ظهر الرأس وإذا به صدام كامل ونفذ الرامي تعليمات علي المجيد وأصابه في فمه وأرداه قتيلاً في الحال، بعد أن تناثر رأسه.

هذه الراية لم تزد المهاجمين إلا إصراراً على الاستمرار، وصدرت الأوامر باستعمال الأسلحة المتوسطة ومن أجل هد البيت وحرقه على من فيه، ويبدو أن أغلب الموجودين في الداخل قد قتل.

كيف قتل حسين كامل؟

خرج حسين كامل من المنزل جريحاً إلى حديقة الدار موافقاً على الاستسلام الذي لا يريدونه بقدر ما يريدون قتله وهو ما تحقق فعلاً، إذ أردي قتيلاً في حديقة المنزل وذهب إليه عمه علي المجيد وحرك رأسه بحذائه ورفس الجثة ليتأكد من مقتله وعندما شعر أن في الجثة بقايا روح صوب مسدسه نحو رأسه ونثره أيضاً.

وانتهت المعركة

وتوقف إطلاق النار ودخل المهاجمون إلى أطلال المنزل ليجدوا الحاج كامل وابنته وخمسة أطفال هم مجموع أطفال عز الدين محمد قد قتلوا إضافة إلى عبد الحكيم وصدام وحسين كامل. في الوقت الذي كانت الأم تنتظر فيه موافقة الرئيس على استرحامها والعفو عن أبنائها من خلال تدخله لإيقاف الهجوم الذي كانت بدايته قد لاحت حين مغادرتها المنزل، وبقيت هناك دون أن يتجرأ أحد على إبلاغها بما حدث، وعندما حل الليل وعادت أدراجها منعت من الوصول إلى البيت وأبلغت بأن تعليمات مشددة قد صدرت بعدم الوصول إلى الموقع حيث قتل كل من فيه والأوامر تمنع دفن الجثث وتركها على الرصيف.

الجثث اربعة ايام حتى انتفخت

لقد تركت الجثث أربعة أيام حتى انتفخت وانبعثت منها رائحة كريهة بحيث اشتكى جيران المنزل الذين سمح لهم بالعودة في اليوم الرابع لإعمار ما أصاب بيوتهم من ضرر من الرائحة الكريهة فصدرت الأوامر أن تنقل الجثث إلى إحدى المقابر لدفنها.

في اليوم الثاني لهذه المجزرة تعرضت جدارية لصدام حسين في مدخل قريته العوجة بعد رميها بالرصاص للتشويه، وفي نفس اليوم تعرض منزل عبد الحميد الخربيط في أطراف مدينة الرمادي إلى هجوم مسلح قيل إن مرتكبيه قد حضروا بسيارات يفهم منها أنها مثل تلك التي يستعملها الحرس الخاص وفسر البعض ذلك بأن الذين قاموا بالهجوم هم موالون لحسين كامل أو أن شقيقه جمال مع آخرين قد قاموا بالهجوم على المنزل الذي لم يكن بداخله غير الحرس في محاولة للانتقام لمقتل شقيقه معتبراً أن

عودة حسين كامل جاءت بسبب وساطة عبد الحميد الخربيط وأنه هو الذي غرر بشقيقه ومن معه وأغراهم بالعودة إلى العراق.

أما عز الدين والذي ترك الأردن لاحقاً بسبب مضايقات السلطات الأردنية فقد انتقل للإقامة بين بريطانيا وأبو ظبي، بعد أن فقد زوجته وأولاده جميعاً في تلك المجزرة الرهيبة.

أما أولاد حسين كامل وصدام كامل فقد انتقلوا للعيش مع أميهما برعاية جدتهم الزوجة الأولى لصدام حسين ساجدة خير الله طلفاح، ولم يلقوا مصرعهم كما ذكرت وسائل الإعلام عندما نقلت أخبار المجزرة.

ذبح والدة حسين كامل

والدة حسين كامل والتي بقيت في رعاية ابنها الأصغر جمال، فقد وجدت مذبوحة في منزلها ببغداد حيث كانت بمفردها. وقد قال البعض إنها ذبحت بسبب تعليقاتها المتكررة وتعرضها بالسب لصدام حسين وللذين قاموا بالمجزرة بحق أبنائها في حين ادعت السلطات العراقية إن القتلة هم مجرمون محترفون ذبحوها بهدف السرقة وقد تم إلقاء القبض عليهم وأحيلوا إلى القضاء ونالوا جزاءهم العادل.

وبعد مرور عام على هذه المجزرة اصدر صدام حسين مرسوماً جمهورياً اعتبر فيه الضحايا شهداء الغضب ربما حتى لا يسمي أحفاده أبناء خونة وما انفك صدام يطلق لقب الشهداء بمرسوم جمهوري على من بصفتهم بلحظات شك وغضب وما أكثرهم حيث لم يسلم أحدٌ من أصدقائه ورفاق دربه إذ أن اغلبهم قضوا نحبهم بأوامر منه.

وهكذا تنطوي صفحة حسين كامل وشقيقه صدام، لتبقى بنات صدام حسين ويشهدن الأحداث الجسام التي عصفت بالعراق وبالعائلة.

رغد، رنا، حلا

ولدت رغد الابنة الكبرى للرئيس العراقي السابق صدام حسين في الثاني من سبتمبر /أيلول ١٩٦٨ في العراق. وخلافاً لشقيقتها رنا؛ أدارت رغد باقتدار صفقة حواراتها المتلفزة مع شبكتين الأولي عربية والثانية أمريكية قبل أن تتدخل المرجعيات الأردنية المضيفة وتحول دون المزيد من الأحاديث الصحافية لابنتي الرئيس العراقي السابق.

الفروقات الشخصية بين الشقيقتان رنا ورغد كانت أساسية في تحديد بدايات ونهايات قصة لجوئهما للأردن، وكانت أيضا ـ أي الفروقات ـ محور اهتمام المتابعين للمسألة من بدايتها فقد ظهرت رغد خلال اللقاءين التلفزيونيين الذين أديرا معها في مقر إقامتهما وسط عمان أكثر ثقة ومقدرة أكثر من أختها وأكثر قدرة على الكلام والمجاملة والى حد ما أكثر ميلا لإظهار اطلاعها على الأشياء أو على الأقل التلميح لوجود تصور عندها لما حدث مؤخراً من عواصف في بغداد.

ومنذ البداية كانت رغد إحدي بطلات مسلسل الخروج من بغداد نحو عمان فقد اتصلت وبادرت وفكرت بالخروج وباشرت بعدة اتصالات مع عدة أطراف منذ خرجت من سورية إلى الموصل في شهر أيار (مايو) الماضي، أما رنا صدام حسين فكانت وفقا لشهود عيان عاطفية دوماً، وتكثر من البكاء ولا ترغب كثيراً بالخروج ويحكم تصرفاتها الخوف على أولادها ودموعها تسبقها بجميع الأحوال كما حصل تماما في ظهورها الهامشي مع أختها مع شبكة سي. أن.أن حيث كانت دموعها تسبق كلامها.

وعلى هذا الأساس اتضحت الحلقة الأولى للمشهد فرغد الديناميكية والتي تتحدث الانكليزية ولديها قدر من الثقافة والاطلاع استغلت صلاتها القديمة ببعض

أصدقاء الدراسة البريطانيين حيث تلقت شهادتها الجامعية وتمكنت رغم الاحتلال بعد عودتها من سورية مع والدتها وشقيقتهما وأطفالهما من توجيه رسالة عبر صحافي بريطاني تقول فيها انها مستعدة للخروج من بغداد وأنها تفضل الإقامة بلندن.

والسلطات البريطانية تجاهلت الرسالة في ذلك الوقت ـ نهايات شهر أيار (مايو)٢٠٠٣ ـ فلم تشعر رغد باليأس، وحاولت مجدداً وعلناً عبر مراسل صحافي التقته في الموصل حيث يقيم أفراد عائلة صدام من الإناث والأطفال بحماية قبيلة شمر، وبعلم السلطات الأمريكية، ورفضت لندن مجدداً وأرسلت لرغد التي حافظت على مستوى التحرك والاتصال من يبلغها بأن عليها نسيان قصة الإقامة في بريطانيا مطلقاً، مما دفع رغد لنسيان الموقف والتفكير بتجربة أخرى مع الفرنسيين فشلت هي الأخرى.

عائلة صدام في حماية قبيلة شُمّر

وفي ضيافة وحماية شيوخ قبيلة شمر كانت رغد ورنا تقيمان في البداية مع أطفالهما ووالدتهما وخالتهما وامرأة أخرى ترافق أمهما ساجدة خير الله منذ سنوات طويلة، وكل المشار إليهم خضعوا لاستجوابات من قبل مسؤولين أمريكيين في مكان إقامتهم وجهت خلالها أسئلة حول صدام ونجليه عدي وقصي وآخر مكان تواجدوا فيه.

وفي تلك الأثناء سئلت ساجدة وبناتها عدة مرات عن آخر مرة شاهدوا فيها صدام حسين ونجليه وعن الأماكن التي يمكن أن يتواجدوا فيها أو يذهبوا إليها وفي كل المرات كانت ساجدة حصرياً انفعالية مع الأمريكيين وفضة وترفض الإجابة على أسئلتهم فيما كانت رنا تميل للبكاء وتؤكد أنها لا تعرف مع العلم بان رغد برزت بالنسبة للأمريكيين كامرأة يمكن الحديث معها ويمكن توجيه الأسئلة لها بدون جرعات انفعال.

واهتمام رغد بترتيب صفقة لخروجها مع الأطفال من العراق خوفاً من الأعمال الانتقامية كان دوماً عنصر خلاف بينها وبين والدتها التي اعترضت أيضا عدة مرات على تساهلها مع الأمريكيين، فيما ترد رغد دائماً بالإشارة إلى أنها تفكر بحماية العائلة والأطفال قدر الإمكان وتميل للتفكير الواقعي كما يقول مصدر مطلع ومقرب جداً من العائلة.

وبطبيعة الحال فشلت السلطات الأمريكية في الحصول على أي معلومات من الفتاتين وأمهما لان الطرف الثاني على أغلب تقدير لا يعرف شيئا فقد أفادت رغد عدة

مرات بأن والدها لم يكن يشرك نساء العائلة بأي أمر أو شأن ولم يكن أصلاً يؤمن بأن للمرأة دوراً في العمل السياسي أو الأمني، وفي المحصلة تأكدت الإدارة الأمريكية بأن نساء العائلة لا يعرفن فعلاً شيئاً مفيداً خصوصاً بعدما فشل خبراء أكثر علماً ومقربين من صدام ألقي القبض عليهم في تقديم أي معلومات منتجة على الأرض فقد استبدل صدام في تنقلاته كل التكتيكات المفترضة أو التي يعرفها الآخرون عنه حتى لو كانوا أقرب المقربين.

وعلى هذه الأسس تألفت لدى الأمريكيين قناعة بأن بنات صدام لم يعدن مفيدات في مسار المعلومات المنتجة فتم تركهن لشأنهن مع تأكيد من الحاكم بريمر شخصياً لشيوخ القبيلة المستضيفة بأن لا يتعرض أحد لزوجة صدام أو بناته.

والتأكيد المشار إليه لم يقنع رغد بالسكون وتجاهل أمر الخروج فاستمرت اتصالاتها بمن يمكن الاتصال به وفي أكثر من اتجاه، واستمرت كذلك خلافاتها مع والدتها التي كانت تعترض على الإصرار على الخروج.

رغد ... بطلة مسلسل الخروج

ومع نهايات شهر حزيران (يونيو) حصلت تطورات إضافية على صعيد ملف خروج بنات صدام فقد بدأت تتشكل ملامح بعض الشخصيات البارزة المتعاونة مع الأمريكيين في ملف مجلس الحكم الانتقالي، وهنا قامت رغد أيضاً باتصالات خاصة مع بعض هذه الشخصيات وأبرزها عدنان الباجه جي الذي تحمس لفكرة خروج أفراد عائلة صدام فتبناها، وتحدث بها مع الأمريكيين ومع نظراء له بارزين في المجالس الاستشارية المتعاونة مع الأمريكيين، ولهذا الغرض فتح الباجه جي قنوات اتصال خاصة مع أصدقاء له في أبو ظبي والبحرين فولدت أفكار تم استفتاء رغد فيها حول تأمين الخروج من بغداد باتجاه دولة الإمارات أو ربما البحرين أو عمان، وتفاعلت رغد مع الأفكار وسط غضب واضح من والدتها لم يمنعها من إجراء المزيد من الاتصالات.

ولم تسفر اتصالات الباجه جي عن شيء محدد في ذلك الوقت وهو بدايات شهر تموز (يوليو) فدخلت شخصيات عراقية أخرى خارج العراق على الخط لتفعيل الفكرة، فحضر لعمان وأقام فيها سراً لثلاثة أيام نجل برزان التكريتي، وتحدث بالموضوع عن بنات عمه صدام وشقيقاته هو، ثم أوفد الباجه جي من يتحدث في الموضوع في عمان

والإمارات وكانت المواقف متباينة فقد قالت عمان أنها بحاجة للمزيد من الوقت حتى تدرس الموضوع وهي إشارة إلى أن عمان لا تسعَ لموقف يمكن أن يعيقه الأمريكيون وتفضل أن تدخل مع الأمريكيين مباشرة في صفقة ومن هذا النوع، ورحبت الإمارات بالفكرة مبدئياً وأبلغت بأنها مستعدة لتأمين الضيافة لبنات صدام كمرحلة مؤقتة على أن يخرجن بعد ذلك لأي مكان آخر وكان قرار البحرين الاعتذار وبوضوح.

وبقيت الفكرة تراوح مكانها عبر الاتصالات من عدة أطراف إلى أن تمت عملية اغتيال نجلي صدام عدي وقصي في الموصل؛ وكانت عملية مفصلية ومؤثرة في مساق الأحداث المتعلقة بقصة خروج بنات صدام، والمفاجأة الأبرز في هذا الاتجاه وجود رواية مختلفة لمقتل عدي وقصي وتمتلك قدراً من الوجاهة، وهذه الرواية تقول بأن عدي وقصي لم يكونا خلافاً لما نشر وقيل سابقاً مقيمين في المنزل الذي قصف عليهما في الموصل بل كانا قد حضرا بعد أن وصلتهما معلومات مؤكدة ومن مصادر لا يرقى لها الشك بالنسبة لهما تفيد بأن أمهما ساجدة خير الله قررت المغادرة لعمان مع بناتها وانها ترغب برؤيتهما لتوديعهما قبل ذلك.

ورواية أخرى لمقتل عدي وقصي

ويعني ذلك أن عدي وقصي قتلا في مكان كان يفترض أن يقابلا فيه أمهما بغرض الوداع وأنهما استعدا لمقابلة سريعة مع الأم، الأمر الذي يفسر جاهزيتهما القتالية وعنصر المباغتة الذي أدى لمصرعهما بعد أن تبين أنهما يواجهان كميناً استخبارياً اعد بإحكام؛ وشاركت فيه عدة أطراف من بينها أطراف يفترض أنها موثوقة من العائلة نفسها، وما لم يظهر بعد في هوامش هذه الرواية هو تلك القرائن والدلائل التي أقنعت عدي وقصي فعلاً بأن والدتهما ستغادر وإنها ستقابلهما في بيت قريبهما الشيخ محمد الزيدان في الموصل.

والنتيجة إن مقتل عدي وقصي أنهى مبرراً قوياً كانت تستخدمه الأم ساجدة في الاعتراض على سفر بناتها للخارج، وما يتردد أن ساجدة الأم واجهت حالة انهيار شديدة بعد مقتل ولديها ولم تعد قادرة على الاعتراض على أي شيء مما ساهم في جعل الخروج من بغداد بالنسبة للبنات فكرة قابلة للتطبيق بعد أن انتهت مبررات البقاء، وأصبح البقاء يعني تعريض حياة من تبقى من العائلة للخطر وتحديداً خطر القتل

خصوصاً إذا تمكن الأمريكيون من الوالد "الزعيم" صدام حسين، وهذا ما كانت تقوله رغد في تلك الأثناء.

وفي ظل هذا السياق لم يعد مستبعداً القول بأن رغد التي تخطط أصلاً للخروج من بلادها وجدت في مقتل شقيقيها فرصة سانحة تساعدها على الخروج وتوفر حجة القلق على الذات والأولاد، وهذا المنطق يتقاطع في الواقع مع الاعتبارات الشخصية في العلاقة بين رغد ورنا والشقيقين فالمرأتان من المعروف أنهما حملتا عدي جانباً مهماً من المسؤولية عن قتل زوجيهما حسين وصدام كامل في الحادثة المشهورة عام ٩٦.

رسالة للعائلة المالكة في الأردن

وفي الجانب التحليلي للموقف لا يمكن القول بوجود صلة بين مشاعر رغد ورنا السلبية تجاه شقيقيهما وبين سياق الأحداث التي أدت لمقتل قصي وعدي، لكن الثابت أن مقتل الشقيقين كان مفصلياً في إنضاج فكرة خروج الشقيقتين من العراق، وأن كلا من رغد ورنا لم تكونا على وئام مع الشقيقين المقتولين ومجمل الظروف تقاطعت فيما عملت رغد على استخدام إحدى القنوات الأخرى لإيصال رسالة لأطراف في العائلة المالكة في الأردن تعبر فيها عن سعيها للاستقرار في عمان، وهذه القناة المستخدمة هنا لها صلة بمحطة العربية الفضائية وبممثلها في بغداد وعمان سعد السيلاوي وهو صحافي معروف بصلاته الجيدة في عمان، علماً بأن دخول محطة العربية على الخط على نحو أو آخر منحها الأفضلية بأن تكون أول محطة تتحدث لها رغد بعد الخروج، الأمر الذي وافقت عليه عمان.

وثمة دليل إعلامي برز على وجود علاقة وصلة بين مقتل عدي وقصي وبين خروج الشقيقتين لعمان، فبمجرد وصول رغد ورنا لعمان فقد اضطرت الشقيقتان لإبلاغ مديرة وكالة الأنباء الفرنسية في عمان رندة حبيب عبر وسيط ودون تصريح مباشر بأنهما ليستا بصدد الاهتمام بقصة دفن جثتي شقيقيهما كما ورد في أخبار الوكالات (حينها) وإن كانت عبرتا عن أملهما بأن تدفن الجثث في أسرع وقت حسب التقاليد والتعاليم الدينية.

وهنا كانت الاشارة واضحة فقد تبين أن الشخص الذي تحدث عن اهتمام رنا ورغد بدفن الجثتين هو الشقيق الثالث لزوجيهما جمال كامل وليس هما شخصياً، وهذه

المسألة كانت مهمة لكي تثبت الشقيقتان في عمان أنهما قادرتان على الاستجابة لما طلبته منهما السلطات الأردنية وهو إظهار أنهما ليستا بصدد الاهتمام بتداعيات ما يحصل في بلادهما وأنهما لن تحاولا استغلال وجودهما في عمان إعلامياً بقصد إثارة قضايا ذات صلة بعائلة صدام مثل دفن الجثتين.

ونعود لسياق القصة فقد وجدت رغد بعد التأكد من وفاة الشقيقين عدي وقصي أن الفرصة متاحة لتفعيل اتصالاتها الخاصة بفكرة الخروج وتقاطع ذلك مع رغبات عدة أطراف داخل العراق فأطراف مهمة في مجلس الحكم الانتقالي كانت تنصح الأمريكيين دوما بضرورة خروج من تبقى من أفراد عائلة صدام حتى يقتنع العراقيون بأن المسألة انتهت، والأمريكيون وجدوا بأن بقاء البنات والأطفال لم يعد ينطوي على أي فائدة معلوماتية ولذلك أصبح خيار خروج بنات صدام وارداً وممكناً ويتقاطع عملياً مع رغبة رغد التي نجحت في إقناع شقيقتها رنا بالخروج، لكنها فشلت في إقناع الأم ساجدة والشقيقة الثالثة حلا التي فضلت البقاء لكي تعرف مصير زوجها المعتقل وسكرتير صدام السابق جمال مصطفى الذي سلم نفسه للأمريكيين.

حلا ترفض الخروج

وموقف حلا أصغر بنات صدام وأكثرهن دلالاً وقرباً لوالدها مختلف عن موقف رغد ورنا وأقرب لموقف الأم ساجدة وهذا ما يفسر إصرار الأم ساجدة على البقاء رغم أن عمان وافقت على استضافتها أيضاً، وهنا تبرز الاشارة إلى أن رغد كانت دوماً تتهم شقيقتها الصغرى حلا بأنها لم تذق طعم قتل أهلها لزوجها كما حصل معها ومع رنا، ويبدو أن رغد كانت أيضاً كثيرة الانتقاد لزوج حلا، وكانت تتهمه بأنه مسرور لمقتل منافسه من الأنسباء حسين وصدام كامل رغم انه ـ أي زوج حلا ـ رتب صفقة الخروج الجماعية لسورية من الموصل في بدايات الحرب الأخيرة.

ولأن رغد تسيطر نوعاً ما على شقيقتها رنا فيما تعتبر الأخيرة أنهما شريكتان في درب الآلام والمعاناة منذ عام ٩٦، وهو ما يفسر سطوة الأولى على الثانية، ومرافقة الثانية للأولى في كل الرحلة المأمونة والمضمونة لعمان.

وهنا برزت شخصية رغد الجريئة والمتحدثة واللبقة والمثقفة في إدارة الجانب الشخصي لرحلة اللجوء لعمان، وأدارت باقتدار الحواران اليتيمان مع قناتي العربية و

سي إن إن، وسط معلومات رائجة في الوسط الصحافي الأردني لم تتأكد عن تلقيها ـ أي رغد ـ مبلغاً مالياً ضخماً من المحطتين التي قبلت بالتسجيل معهما.

ورغد في اللقاءات المتلفزة كانت تتحدث بثقة وبطريقة أدهشت الصحافيين الذين تابعوا الموقف باهتمام وجميع المراقبين الإعلاميين في عمان شهدوا بأن رغد كانت موفقة للغاية ومقنعة ولبقة وجريئة ومتحدثة وأنها كانت في كواليس التسجيل التلفزيوني تدل من أجرى اللقاءات معها على بعض الأسئلة وتطالب بطرحها.

ومن جهتها رفضت رنا تمام الرفض الظهور على التلفزيون في البداية قبل ان تقنعها شقيقتها بالظهور قليلاً في البرنامج الذي سجلته المحطة الأمريكية، وعندما حاول عشرات الصحافيين والمراسلين في اليوم التالي الجمعة والسبت الضغط على المضيفين الأردنيين لإقناعهم بالسماح بالتسجيل مع رنا كانت تعليمات المرجعيات الأردنية تقضي بالرفض ارتكازاً إلى أن رنا أبلغت مراسل فضائية العربية بأنها لا ترغب بالحديث أو بالظهور على شاشة التلفزيون خلافاً لرغد التي أبدت استعداداً للمزيد من الأحاديث الصحافية قبل أن تتدخل المؤسسة الأردنية و تقمع طموحاتها وتبلغها وبوضوح وبما لا يقبل اللبس بضرورة وقف التصريحات الصحافية معتذرة منها بأنها لا تستطيع السماح لها بالاسترسال في الأحاديث الصحافية أو التلفزيونية وبأن مصلحة جميع الأطراف تتطلب ذلك.

الكلام في عمّان ممنوع

وعمان في هذا المفصل تحديداً لديها تصور للقضية برمتها لا تريد إفساده عبر الإعلام والفضائيات، فقد توجه عشرات المراسلين للديوان الملكي الأردني ولرئاسة الحكومة في محاولات محمومة للسماح بتسجيل المزيد من الأحاديث مع ابنتي صدام، لكن المؤسسات الأردنية واعتباراً من مساء الجمعة كانت ترفض ذلك جملةً وتفصيلاً وتعتذر عن تلبية الطلب وتخبر الجميع بان الفرصة غير متاحة الآن على الأقل للاسترسال في لعبة الفضائيات والإعلام، وعليه أبلغت كلا من رغد ورنا بأنهما حرتان تماماً في الحركة في عمان لكن قيوداً ستفرض على الجانب الإعلامي في الموضوع وقيوداً ستفرض على استقبال الضيوف خصوصاً أنهما كانتا تقيمان في داخل القصور الملكية وليس في مكان مستقل بحيث تستطيعان فعل ما تريدان.

وتصور عمان أنها تجنبت منذ البداية الاحتفال العلني بقصة حضور رنا ورغد للأردن بدليل عدم صدور بيان رسمي حول المسألة وتجنب التلفزيون الحكومي للدولة الأردنية المشاركة في حفلة التسجيل التلفزيوني رغم أن فرصته إذا أراد أو لو توفر القرار السياسي أكبر من غيره.

وعليه لا تريد عمان أن تتجاوز القصة أهدافها فالخطوة حلت مشكلة شخصية وأمنية لابنتي صدام وتسعة أطفال وحققت ارتياحاً كبيراً في الشارع الأردني وسددت حسابات قديمة وعدلت في بعض المزاجات ولم يعد المطلوب استغلالها للحديث التقليدي عن إنسانية الأردن لان كثرة الحديث عن هذه الإنسانية يضفي طابعاً سياسياً على الموضوع ويسمح بالاجتهاد ويدخل الأردن دون رغبة منه في بؤرة معادلة عراقية داخلية مفتوحة على كل الاحتمالات، وهو حصريا ما لا تريده عمان.

اتصالات بين قناة العربية والأمريكيين

«لا توجد معلومات ثابتة حول تنسيقات بمستوي رفيع بين العربية والأمريكيين في العراق لكن الثابت إن الطرفين تعاونا معاً على نحو أو أخر في قضية خروج رغد ورنا صدام حسين، علماً بأن محطة سي. إن. إن حضرت بشكل مسبق وبترتيب مع المضيفين الأردنيين وسجلت مع رغد وأقنعت رنا باللحظات الأخيرة بالظهور على شاشتها والمحطة هن تغطي الجانب الأمريكي في القصة برمتها وتخدم الأمريكيين من حيث إظهار إنسانيتهم الحريصة على الأطفال والنساء الأبرياء من عائلة صدام حسين والتي لا تستهدف إلا قتل الأشرار أمثال صدام نفسه ونجليه، والملاحظ هنا أن إنسانية الأمريكيين هنا شملت فقط رغد ورنا ولم تشمل بقية أفراد العائلة»[١].

الأمير علي بن الحسين

لكن التداعيات الإعلامية التي أعقبت حضور رغد ورنا لعمان لا تشكل كل تفاصيل المشهد فقد تبين بان أعلى المرجعيات في الأردن اهتمت بالمسألة بعد أن نضجت تماماً الفكرة ودرست من كافة الأبعاد، ولضمان مرور آمن تماماً للمرأتين فإن العاهل الأردني الملك عبد الله أوفد لإحضار رغد ورنا من العراق مباشرة رئيس حرسه وشقيقه الأمير

---

(١) راجع بسام البدارين، القدس العربي، عدد، ٢٠٠٣/٨/٤. (بتصرف).

علي بن الحسين الذي رافق الفتاتين من رحلة الانطلاق بطائرة عسكرية محروسة بعناية إلى نقطة الهبوط ورحب الأمير علي بشدة بالمرأتين وأبلغهما بأنهما ستكونان بأمان تام في عمان وأنهما بضيافة وحماية الملك شخصياً. ومن الواضح أن الأمير علي كان المشرف الأول على عملية نقل رنا ورغد واتخاذ كل الاحتياطات المناسبة وهو ما يفسر إصرار رغد صدام على شكره علنا عدة مرات والإشادة بالمعاملة التي تلقياها منه وإشراف الأمير الشاب على العملية يعني بأن الملك اختار أضيق دائرة إليه وأقرب الأشخاص لانجاز المهمة وجميع التفاصيل، وهو ما قامت به شخصيات أخرى عام ٩٦ مع بنات صدام وزوجيهما الراحلان حسين وصدام كامل في عهد الملك الراحل حسين بن طلال، وآنذاك اشرف على الاستقبال وترتيبات الضيافة حسين المجالي رئيس طاقم حراسة الملك الراحل ومسؤول اتصالاته الخاصة الجنرال علي شكري.

ووجود الأمير علي على رأس الترتيبات رسالة واضحة يفهم منها أن الفتاتين والأولاد في حماية القصر الملكي وليسوا مجرد ضيوف أو لاجئين، ورغم ذلك جرت عدة لقاءات أيام الجمعة والسبت والأحد بين مسؤولين وأفراد في العائلة المالكة الأردنية وبين الضيفتين العراقيتين وفي كل هذه اللقاءات منحت بنات صدام حرية الإقامة في المكان الحالي لهما أو الانتقال لاحقا لأي مكان في العالم، وقيل لهما إنهما ضيفتا الملك دائماً وأن القصر الملكي يتعهد بكل التزامات الضيافة وأنه ليس عليهما الشعور بالقلق من أي شيء وأنهما تستطيعان مغادرة الأردن إذا شاءتا في وقت لاحق.

وبالرغم من قيام نظام والدهن بتصفية زوجيهما، إلا أن رغد ورنا امتنعتا على الدوام عن توجيه النقد العلني لصدام. وبعد اعتقال صدام حسين على أيدي القوات الأميركية في ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٣، قامت رنا الملقبة بـ«صدام الصغير» بتنظيم دفاع والدها .

ساجدة وحلا في قطر

أما ساجدة وابنتها الثالثة حلا، زوجة جمال مصطفى التكريتي المعتقل لدى القوات الأميركية أيضا، فقد فضلتا الإقامة في قطر حيث تزورهما رغد ورنا بصورة مستمرة.

وقبل أشهر اشترت كل من رغد ورنا بيتاً في عمان، حيث يذهب أولادهما إلى المدرسة، وتعيش الشقيقتان حياة بعيدة عن الأضواء بعد أن حثتهما السلطات الأردنية على الامتناع عن الخوض في السياسة.

ولرغد ثلاثة أبناء هم علي وصدام ووهج بالإضافة إلى ابنتين هما حرير وبنان. أما رنا فهي أم لثلاثة أولاد هم احمد وسعد وحسين وابنة واحدة هي نبعة.

ويقال أن علي، ١٨ عاماً، ابن رغد هو الحفيد المفضل لصدام. وقد تلقى أخيراً تهاني من جده في رسالة بمناسبة عيد ميلاده عن طريق الصليب الأحمر.

تصريحات رغد للصحافة

الحكومة الأردنية حذرت رغد من القيام بأي نشاطات سياسية أو إعلامية تخالف قوانين اللجوء الذي تتمتع به، ولذا فمن النادر ما تتحدث رغد في المناسبات العامة إلا أنها ظهرت بشكل علني أثناء تجمع في عمان بعد إعدام والدها، وقالت للمتظاهرين "شكراً لكم لتكريم والدي الشهيد".

وفي تصريح نشرته سي إن إن في ٣ أغسطس ٢٠٠٤، قالت رغد إنها لا تمتلك أية نقود ولكن كبرياؤها يمنعها من طلب نقود، ورغم هذا فإن الشائعات في الأردن حولها كثيرة بخصوص ظروفها المالية، فهي تعيش في فيلا تابعة للديوان الملكي الأردني، وجيرانها يتحدثون عن زيارتها لمركز للياقة البدنية، وجولات تسوق، بل حتى جراحات التجميل.

وبالنسبة لموقفها من اعتقال صدام، كشف مقربون منها أنها قررت طي الماضي لأن للدفاع عن صدام الأولوية على المشاعر الشخصية، وقالت في هذا الصدد إن لديها التزامات لكونها تحمل اسمه (صدام)، ولأنه يعتمد عليها بعد موت أخويها .

أما عن محاكمته، فقد كشفت أنها كانت فخورة بظهور والدها في المحكمة، ومن عدم خوفه، والطريقة التي تكلم فيها، واصفة إياه بـ "الرجل الشجاع".

ومن أشهر التصريحات التي أدلت بها بعد مجيئها للأردن، هو تصريح أدلت به لشبكة سي إن إن الإخبارية الأمريكية في أغسطس ٢٠٠٣ اتهمت فيه مساعدين مقربين من والدها بخيانته ومساعدة القوات الأمريكية في الاستيلاء على بغداد، قائلة : " سقوط بغداد كان صدمة كبيرة جدا. كان واضحاً للأسف أن الأشخاص الذين وضع

فيهم ثقته بالمطلق كانت الخيانة الأساسية منهم. هذا تخاذل، الإنسان ممكن لا يحبك لكن لا أغدرك، الغدر ليس من شيم العرب" .

وحول شهادتها عن صدام الأب، قالت رغد: "كان أباً طيباً، يحب الفتيات مثل الأولاد وأكثر، ويثق بي كثيراً ويستمع لحديثي" .

وعن تجربتها بعد العودة إلى العراق من الأردن، ومقتل زوجها حسين كامل بعد العفو عنه، ذكرت رغد أن صدام عفا عن حسين كامل، ولكن من أسمته باللعين علي حسن المجيد وقف في اجتماع رسمي وقال بالحرف الواحد: "لقد عفوت سيدي الرئيس، ولكن العشيرة لم تعفو، وبالفعل تم قتل حسين كامل وشقيقه".

وألقت رغد باللوم فيما يتعلق بالأخطاء التي ارتكبها نظام صدام حسين على أشقاء صدام الثلاثة: سبعاوي، غضبان، وبرزان، الذين أثقلوا كاهل الحكم في العراق، موضحة أن تعليم الثلاثة كان محدوداً للغاية، وأنهم كانوا يكنون غيرة متناهية لأسرة صدام، وأن صدام كان كثيراً ما يبدي غضبه على تصرفاتهم.

وعن المستقبل، تمنت رغد أن ينشأ أطفالها في سلام بعيداً عن السياسة، ويحيوا حياة أكثر حرية وسعادة وراحة بال، وأن يجدوا تعويضاً عن الأيام الصعبة التي واجهتها الأسرة في العراق.

وفي حديث آخر نشرته مجلة "سيدتي" في ١٢ يوليو ٢٠٠٤، أعربت رغد عن رغبتها في العودة إلى العراق إذا سنحت الفرصة، وقالت إن حياتها ليست سوى سلسلة من المآسي، قائلة : " إن الأعمار إذا ما قيست بالأحزان والكرب، فسأكون قد شارفت الثمانين من العمر الآن".

وتحدثت رغد عن شعورها بالوحدة بالرغم من وجود أنجالها الخمسة، الذين تتراوح أعمارهم من سن العاشرة إلى العشرين، قائلة : "أطفالي في سن المراهقة، وهي مرحلة صعبة لأم دون زوج".

وأكدت رغد أن المحن التي واجهتها لم تزحزح ثقتها في الله، وعن احتمال اعتقالها فور عودتها للعراق، قالت : " أنا لا أخشى الموت، بل الفضيحة.. أن يحدث مثلما حدث في سجن أبو غريب" .

يذكر أنها أدلت بالتصريحات السابقة، قبل أن تحظر عليها الحكومة الأردنية أي نشاط إعلامي إثر انتقادات وجهتها للحكومة العراقية الجديدة .

المذكرة الحمراء .. شبح يطارد رغد

في ١٨ أغسطس ٢٠٠٧، أصدرت الشرطة الدولية " الإنتربول " مذكرة تحر بحق رغد صدام حسين، وذلك بناء على طلب من الحكومة العراقية التي تتهمها بدعم هجمات المسلحين .

ونشر الإنتربول المذكرة على شبكة الإنترنت تحت ما يسمى ب"المذكرة الحمراء" التي تصدر بحق الأشخاص المطلوبين للعدالة .

وأشار موقع الإنتربول على الإنترنت إلى أن "المذكرة الحمراء" التي تصدر بحق المطلوبين ليست مذكرة اعتقال دولية، بل عبارة عن مذكرة تصدر بحق الأشخاص المطلوبين للسلطات القضائية المحلية (أو محاكم الجرائم ضد الإنسانية الدولية) ودور الإنتربول فيها مساعدة قوات الشرطة المحلية في تحديد أماكن الأشخاص المطلوبين لمساعدتها في اعتقالهم وتسليمهم إلى العدالة لمحاكمتهم .

ودعت المذكرة أي شخص يعرف مكان رغد صدام حسين (٤٢ عاما) إلى الاتصال بالشرطة المحلية في بلاده أو بمقر الإنتربول في فرنسا .

وتباينت ردود الأفعال حول مذكرة الإنتربول، فقد أعلن مدير مركز القيادة الوطني في وزارة الداخلية العراقية عبد الكريم خلف أن أمراً قضائياً بحق رغد صدام حسين صدر منذ عام من قبل محكمة الجنايات المركزية يتهمها بالقيام بتمويل العمليات الإرهابية، قائلاً : " إن أمر إلقاء القبض على رغد صدام حسين سوف يكون مرهوناً بموافقة الحكومة الأردنية لأن المتهمة تقيم على أراضيها.ونظام الانتربول يطبق في جميع الدول المنضوية فيه" .

وكان رئيس الوزراء الأردني معروف البخيت قد أعلن في يوليو ٢٠٠٦ أن رغد صدام حسين وعائلتها يعيشون في الأردن تحت حماية الملك عبد الله الثاني وذلك إثر إصدار الحكومة العراقية لمذكرة لاعتقالها .

وصرح البخيت بأن وجود السيدة رغد صدام حسين وأطفالها في الأردن كان لاعتبارات إنسانية وأنها ضيفة على العائلة الملكية الهاشمية .

الفصل الثامن

سميرة الشهبندر
والابن الثالث لصدام

سميرة الشاهبندر والإبن الثالث لصدام

ويبقى السؤال اللغز: ماذا عن علي ..؟ الابن الثالث لصدام من زوجته الثانية سميرة الشاهبندر؟

من هي سميرة الشاهبندر ؟ وما قصتها ؟

السيدة سميرة الشاهبندر من عائلة أرستقراطية شيعية معروفة في العراق، تزوج منها صدام عام ١٩٨٢ وأنجب منها ولده الثالث علي (٢٥ سنة)، والذي وصفته صحيفة الصندي تايمز بـ "المتغطرس" في لقائها مع والدته في ديسمبر ٢٠٠٣[١].

ولكن صدام لم يعترف رسمياً إلّا بأولاده الخمسة من ساجدة خير الله طلفاح وهم عدي وقصي ورغد ورنا وحلا، فقد كان من المحرمات في العراق الحديث عن أن صدام أنجب ولداً من سميرة الشاهبندر.

وفرّ علي مع والدته إلى لبنان بعد الغزو الأميركي في مارس (آذار) ٢٠٠٣ ويعتقد أنهما يقيمان حالياً في كندا.

البداية..

لم تكن علاقة صدام حسين بزوجته الأولى وابنة خاله ساجدة علاقة مستقرة، لأن الزواج لم يكن متكافئاً بين الطرفين من الجانب الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي، حيث كان صدام يعيش في كنف خاله (والد ساجدة) الضابط المتقاعد خير الله طلفاح، وهو - أي صدام - مطارد من قبل الأجهزة الأمنية، فقد تكونت نظرة لدى ساجدة عنه

---

(١) "صدام أعطى سميرة الشاهبندر ٥ ملايين دولار وسبائك ذهب وحادثها أسبوعياً بالهاتف"، الحياة، ١٥/١٢/٢٠٠٣.

بأنه الفلاح الفقير المعدم في ذلك الوقت، حيث كانت هي المعنية بتدبير شؤون الأسرة والصرف عليها من خلال وظيفتها الحكومية.

إلى أن تغيّر الحال عام ١٩٦٨ حين أصبح صدام نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، حيث يرى المتابعون للحركة السياسية والاجتماعية لصدام غياب زوجته عن الحياة السياسية الرسمية، ولكن كان لها نشاطها التجاري والاستثماري وبعض النشاطات الاجتماعية المحدودة، ولكن لم يكن من المسموح لها أن تظهر بجوار الرئيس في البروتوكولات الرسمية كما كان الحال لزوجات الرؤساء في كثير من البلدان، وكأن صدام أراد أن يرد لنفسه الاعتبار النفسي والاجتماعي[١].

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي بدأت تتردد أنباء عن زواج الرئيس بشقراء شابة من كبار العائلات في العراق. كانت تعمل سميرة الشاهبندر كمعلمة، وقد ساهمت في حقل مكافحة الأمية في العراق عام ١٩٧٤[٢]. وتردد أنها كانت متزوجة من طيار ولها منه أبناء، وأنه أرغم على طلاقها حتى تسنح الفرصة للرئيس بالزواج منها، حيث بقي الزواج سرياً على الإعلام وعلى كافة الشعب ولكنه بقي معلوماً وواضحاً لدى أسرة الرئيس والمقربين[٣]. وقد عُيِّن زوجها نور الدين صافي حمادي رئيساً للخطوط الجوية العراقية مكافأة له على طلاقها[٤].

وفي رواية سميرة الشاهبندر، الزوجة الثانية، حضر صدام نزهة مدرسية مع ابنته حلا وهناك وقعت عيناه عليها وسحر بها:

"صدام أتى إلى منزلي بعد أسبوعين من سفر زوجي إلى الخارج. كان (صدام) أقوى رجل في العراق، وكان يحمل باقة ورد وعلبة حلويات هدية لي.. بدا غير قادر على الكلام عندها قلت لنفسي: هذا رجل يحبني حقاً.. كان يحب ساجدة كزوجة وأم

---

(١) "رجل المهمات الروسي بوريس سنوفسكي يروي القصة من داخلها: صدام والنساء.. كيف ولماذا؟"، صحيفة الرياض، ١٤ محرم ١٤٢٤، العدد ١٢٦٨٧.

(٢) "نور الدين الصافي ينفي تعرضه لضغوط من صدام لتطليق سميرة الشاهبندر"، -مقابلة-، مجيد السامرائي، ٢٨/١/٢٠٠٤.

(٣) مصدر سابق.

(٤) الحياة، ١٥/١٢/٢٠٠٣، ننوه عناية القارئ أن هناك تضارباً في الروايات بين الصحف المتعددة، فهناك من يؤكدون أنه كان يشغل المنصب بالفعل قبل طلاقهما وأنه أنكر إرغامه على الطلاق حيث أن العلاقة بينهما لم تكن مستقرة.

لأولاده.. لكنه لم يحب أحداً مثلما أحبني.. (وبعد الزواج) كان زوجاً صالحاً.. كان يحب أن يشتري لي المجوهرات[(١)].

وقد عاشت سميرة حياة مدللة في كنف زوجها رئيس الدولة، حيث تروي إحدى الصحف العربية أنه قد دشن قانوناً بعنوان "قانون الثرثرة" والذي أعدم فيه الكثير من المواطنين بتهمة ذكر أمر زواج الرئيس أو الحديث عنه. كما ذكرت أنه في يوم من عام ١٩٩٨م حدثت ضربة أمريكية للمنشآت والقصور الرئاسية أصيبت بجرائها سميرة بجرح سطحي في خدها الأيسر، وجنَّ جنون صدام الذي اتهم مدير مخابراته فاضل البراك بأنه وراء إعطاء معلومات القصر إلى الأمريكان. وألقي القبض على الدكتور البراك بتهمة "العمالة المزدوجة" للروس والأمريكان والتي أدت إلى إعدام الدكتور البراك.

كما ذكرت أن صدام استدعى جراح التجميل الدكتور "ع. ب" (_ الدكتور علاء بشير) وطلب منه أن يجري عملية تجميل للسيدة سميرة، ومع نجاح العملية أهدى صدام الطبيب الجراح سيارة مرسيدس وعشرة آلاف دولار وسفرة مفتوحة إلى باريس[(٢)].

ومع الترف الواضح الذي عاشت فيه سميرة شاهبندر في ظل زواجها السري من صدام، بات الشعب العراقي يعاني من القمع المستمر. وحين زارها أحد المصادر لسماع رؤيتها لحادث الإعدام بدت عليها التعاسة والصدمة. وأضافت أن زوجها الرئيس ظالماً وغيوراً ومنعها من رؤية أطفالها الذين كانت تتعلق بهم إلى درجة الجنون، وبانت وكأنها مرغمة على الزيجة التي لم يكن لها مفر من القبول بها وإلا تعرضت للقتل[(٣)].

ولكن أثار اعتناء صدام المبالغ بزوجته الثانية سميرة حفيظة أسرته ولاسيما زوجته الأولى ساجدة، والتي بادرت ببناء قصور ضخمة على شاطئ دجلة حين وجدت زوجها يشتري قصوراً عديدة لإقامة زوجته الثانية فيها[(٤)]. وفي أثناء حفل استقبال رسمي لزوجة الرئيس المصري سوزان مبارك، قام عدي، الابن الأكبر للرئيس صدام بالاعتداء على أحد رفقاء أبيه متهماً إياه بأنه كان الوسيط بين سميرة وأبيه لتيسير الزواج بينهما وقتله في

---

(١) الشرق الأوسط، ٢٠ شوال، ١٤٢٤هـ

(٢) "سميرة الشاهبندر زوجة صدام الثانية: كان ظالماً وغيوراً ومنعني من رؤية أطفالي"، صحيفة الرياض، ١ جمادى الأولى ١٤٢٤، العدد ١٢٧٩٢.

(٣) مصدر سابق.

(٤) "رجل المهمات الروسي..".

الحال. أما الابن الثاني قصي فقد كان أكثر تفهماً من أخيه ولم يتأثر بالزيجة، على عكس أخته رغد والتي وصل بها الأمر إلى إنكار وجود علي أخاً لها من أبيها[١].

أما أبناء سميرة من زوجها الأول نور الدين، فهم سهير وياسر ومحمد، وكانوا يعيشون معها في قصر بالرضوانية وظلوا على علاقة معها إلى سقوط بغداد[٢]. ولكن

---

(١) الحياة، ١٥/١٢/٢٠٠٣.

(٢) مصدر سابق، "نور الدين الصافي ينفي ."..وكانت صحفية الشرق الأوسط نشرت في عددها الصادر الجمعة ٢٤ ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ ٥ يوليو ٢٠٠٢ العدد ٨٦٢٠، أن " أن السلطات الأميركية احتجزت أول من أمس محمد نور الدين الصافي (٣٦ سنة)، ابن الزوجة الثانية للرئيس العراقي صدام حسين بعد نزوله في احد فنادق ميامي بولاية فلوريدا، قادماً من نيوزيلندا التي يحمل جنسيتها ويعمل مهندس طيران في إحدى شركات الطيران فيها. وقالت جولي اوريولا المتحدثة باسم المكتب إن عناصر من (اف. بي. آي) وسلطات الهجرة ومكافحة الإرهاب احتجزت الصافي بسبب مخالفته أنظمة تأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة، وانه محتجز في احد المراكز التابعة لسلطات الهجرة لاستكمال التحقيقات معه. وأوضحت أن الصافي دخل إلى الولايات المتحدة بتأشيرة سياحية، لكنه تبين انه يريد الالتحاق في مدرسة للطيران لإعادة التأهيل لمدة أربعة أيام، وهذا أمر مخالف للتأشيرة السياحية التي دخل بها عبر مطار لوس انجليس بولاية كاليفورنيا. ونقلت صحيفة (ميامي هيرالد) عن جيم غولدمان مساعد مدير التحقيقات في دائرة الهجرة والجنسية انه (توفرت للسلطات المعنية معلومات أفادت بأن محمد الصافي جاء لتعلم الطيران)، ولم يحصل على تأشيرة لهذا الغرض، حسب ما تتطلبه الأنظمة المعمول بها. وقال غولدمان: انه لا تتوفر لدى الأجهزة والسلطات الأمنية أي أدلة على أي صلة للصافي بجماعات إرهابية. وذكر أن الصافي نفى أي علاقة له بصدام حسين. وكان ابن زوجة الرئيس العراقي قد وصل إلى لوس انجليس قادماً من نيوزيلندا في طائرة نيوزيلندية في وقت متأخر من يوم الاثنين الماضي، ثم واصل سفره على رحلة لإحدى طائرات شركة طيران أميركية في اليوم نفسه ليصل إلى ميامي صباح أول من أمس، وبعد رجوعه إلى غرفته في احد فنادق ميامي، بعد ظهر الأربعاء دخل عليه عناصر من (اف. بي. آي) وسلطات الهجرة ومكافحة الإرهاب الذين كانوا يراقبونه ويتابعونه منذ وصوله إلى لوس انجليس واستجوبوه. وذكرت السلطات الأمنية الأميركية انه تم ايضاً استجواب طيار في نيوزيلندا يحمل الجنسية الأميركية كان برفقة الصافي لكنه تم الإفراج عنه، بينما يستمر احتجاز الصافي لإنهاء إجراءات ترحيله. وقال غولدمان: إن الصافي أراد البقاء في ميامي أربعة أيام لتلقي دورة قصيرة لتجديد معلوماته عن هندسة الطيران. وقال: ان الصافي تلقى في الماضي تدريباً على الطيران وهو طيار. ومما أثار شكوك المحققين وسلطات الأمن والهجرة، أن الصافي يريد أن يتلقى الدورة التدريبية القصيرة في مدرسة (ايروسيرفس) لتعليم الطيران، وهي نفس المدرسة التي تدرب فيها هاني حنجور وزياد الجراح اللذان يعتقد أنهما كانا بين الخاطفين الـ١٩ الذين قاموا بهجمات الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) الماضي. ومما أثار الشكوك أيضا إن الصافي يريد تلقي =

محمد، والذي يعيش حالياً في نيوزيلندا ويعمل كرئيس مهندسي الخطوط الجوية النيوزلندية[٣] كان قد منع من دخول البلاد من قبل صدام حين هرب تجنباً للدخول في الجيش. ولم تلتق به سميرة ولم تعلم عن مكانه إلا بعد وصولها إلى بيروت مع اندلاع الحرب على العراق[٤].

= هذه الدورة في هذه الأيام حيث عطلة عيد الاستقلال للولايات المتحدة، وهي فترة لا يعمل فيها إلا القليل جداً من الناس، ويقول المسؤولون الأميركيون أيضا إن الشكوك ثارت أيضا حول ما إذا كان هناك أي سر أو منطق وراء أن يقطع الصافي كل هذه المسافة الطويلة لتلقي دورة تدريبية قصيرة، كان يمكن أن يتلقاها في أي بلد آخر. والسؤال الأهم الذي طرحه المحققون هو: لماذا لم يحصل على تأشيرة لغرض تلقي التدريب؟ وذكر إن الصافي رد على الشكوك بقوله انه حصل على التأشيرة السياحية لتجنب تعقيدات تأشيرة التدريب في الولايات المتحدة، ثم انه اختار مدرسة الطيران هذه بالذات لأنه يعتقد بأنها الأفضل من نوعها في العالم. لكن هذه التفسيرات لم تقنع المحققين. ولأنه لا توجد أدلة على ارتباط الصافي بجماعة إرهابية، فانه سيتم ترحيله حسب قول المسؤولين. وظهر اسم محمد الصافي لدى الأجهزة والسلطات الأمنية الأميركية أثناء التحقيقات في هجمات ١١ سبتمبر الماضي إذ تبين للسلطات انه دخل إلى الولايات المتحدة في الرابع من الشهر نفسه أي قبل أسبوع من التفجيرات، ووصل إلى لوس انجليس، وهو في طريقه إلى لندن، لكنه تبين للسلطات إن وجوده في تلك الفترة في أميركا كان مجرد مصادفة وأمراً عابراً. وذكرت السلطات الأميركية أنها أبلغت السلطات النيوزيلندية، بأمر الصافي في حينه لكنه لم يترتب على ذلك أي شيء. من المعروف أن الولايات المتحدة شددت بشكل كبير جداً إجراءات الحصول على تأشيرات الدخول إليها لغرض تلقي التدريب على الطيران خصوصاً، والتأشيرات لغرض الدراسة فيها بعد هجمات ١١ سبتمبر. وجاء احتجاز الصافي عشية احتفالات الولايات المتحدة بعيد استقلالها أمس حيث اتخذت إجراءات أمن وحماية شديدة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد تحسباً لوقوع هجمات إرهابية جديدة. ومحمد الصافي هو الابن الأكبر لسميرة الشهبندر الزوجة الثانية للرئيس العراقي، من زواجها الأول من نور الدين الصافي الذي كان مديراً عاماً للخطوط الجوية العراقية، وهو مهندس طيران أيضا. وتفيد معلومات المصادر المطلعة بأن الرئيس العراقي تعرف على الشهبندر في نهاية عقد السبعينات في نادي الصيد ببغداد، وهو ناد خاص بالنخبة الحاكمة في العراق. وكانت من قبل مضيفة في الخطوط الجوية العراقية. ولم يعلن رسمياً عن زواج الرئيس العراقي من الشهبندر التي تقول المصادر العراقية إن لها من الرئيس صدام حسين ابناً واحداً على الأقل اسمه علي".

(٣) مصدر سابق.

(٤) الحياة، ١٥/١٢/٢٠٠٣.

.. والنهاية

ومع اندلاع الحرب على العراق بدا على صدام الثقة من الانتصار والاستعداد للحرب. ورتب صدام عدة منازل آمنة لسميرة في بغداد وشمالها، بقيت تتنقل فيما بينهم أثناء الحرب برفقة حرس صدام. ومع سقوط بغداد في التاسع من إبريل (نيسان) زارها زوجها. تروي سميرة: "كان حزيناً وكئيباً.. أخذني إلى غرفة مجاورة وبكى.. أدرك انه تعرض لخيانة.. قال لي ألا أخاف.. قبّل علياً وقال له: لا تخف". ثم جاء حراس صدام وأخذوها مع ابنها إلى الحدود السورية.

وفي الطريق توقفت السيارة في مكان لم تستطع تحديده وجاءها زوجها متخفياً في ملابس بدوية وأعطاها خمسة ملايين دولار نقداً وأدخل من كان معه صندوقاً في الشاحنة التي كانت تقلها وقال: "يمكنك استعمال محتويات الصندوق إذا شعرت بحاجة إلى ذلك فعلا"، وحين وصلت إلى دمشق فتحت الصندوق ووجدت فيه ما يزن ١٠ كيلوغرامات سبائك من الذهب تقدر قيمتها بنحو ٨٥ ألف جنيه إسترليني.

وحين وصلت إلى الحدود اللبنانية تسلمت هي وابنها جوازي سفر جديدين، أحدهما باسم "خديجة" والآخر "حسن"[(١)].

وبقيت فترة الحرب في بيروت وصدام يحدثها هاتفياً ثم يرسل لها رسالة خطية بعد يومين أو ثلاثة يشرح فيها ما لم يتبين في المكالمة أو يبين لها سبب عدم اتصاله. كما يروي بعض المطلعين على تفاصيل الموقف أن تلك المكالمات الهاتفية هي التي ساعدت في توجيه القوات الأمريكية إلى مكان اختباء صدام[(٢)].

---

(١) صحيفة المستقبل اللبنانية الإثنين ١٥ كانون الأول ٢٠٠٣ - العدد ١٤٧٥. تجدر الإشارة إلى أن السلطات اللبنانية نفت -في حينه- دخول أي شخص الأراضي اللبنانية باسم "سميرة الشاهبندر أو خديجة وحسن كما ذكرت صحيفة المستقبل"، لكن صحيفة المستقبل عادت وأكدت في عددها الصادر بتاريخ الاثنين ١٢ تموز ٢٠٠٤ - العدد ١٦٤٢، " أنه سيسمح للرئيس العراقي المخلوع بمقابلة أفراد عائلته ومن بينهم زوجته الثانية سميرة الشهبندر المتواجدة حالياً في لبنان وزوجته الأولى ساجدة وذلك تحت البند ١١٩ من المعاهدة الدولية لحقوق الإنسان، فيما ما زال من غير المعروف ان كان سيسمح لهيئة الدفاع مقابلة صدام أم لا".

(٢) نشرت تلك التفاصيل في مقابلة أجريت مع سميرة الشاهبندر في جريدة الصندي تايمز، وذكرت في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠ شوال ١٤٢٤هـ / ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣، العدد ٩١٤٨، وصحيفة الحياة بعددها الصادر بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣ بعنوان: "صدام أعطى سميرة الشاهبندر٥ ملايين دولار وسبائك ذهب وحادثها أسبوعياً بالهاتف".

وبقي أفراد العائلة بعد اندلاع الحرب في معزل عن بعضهم البعض. فرداً على سؤال من جريدة الحياة عما إن كانت هناك صلة بسميرة الشاهبندر قالت رغد صدام حسين: "لا يوجد أي اتصالات ولا أعرف أي تفاصيل كافية عن أهلي ولا عن السيدة شاهبندر أو عن تنقلاتها.." وفيما يخص والدتها السيدة ساجدة خير الله قالت "أينما كانت هي بين أهلها"[1].

(١) سعود الريس، الحياة، ٢٠٠٣/١٢/١٧.

الفصل التاسع

حروب صدام

الحرب على إيران

خلال السنوات الأولى من حكمه المباشر شنّ صدام حسين حرباً شاملة ضد إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية فيها، واعتبر صدام حربه بمثابة عملية دفاع عن كل الخليج العربي وعن العراق، بوجه خطة تصدير الثورة الإسلامية وفكرها الديني إلى خارج إيران.

واستمرّت هذه الحرب التي عرفت بـ (حرب الخليج) ثمان سنوات، وقد حصل صدام خلالها على دعم مالي وعسكري كبير من دول خليجية ومن الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

لقد استفاد صدام من المساعدات العسكرية الكبيرة والمالية الهائلة التي حصل عليها من الغرب بخاصة، في مجال بناء جيش عملاق، وصف آنذاك، بأنه ثالث أكبر جيش في العالم.

وأكثر من ذلك، فإن صدام عمد إلى الإفادة من الدعم الغربي له من أجل إطلاق الدراسات العسكرية المتطوّرة في العراق، والسعي لإتمام مشروع بناء مفاعل «تموز» النووي، الذي دمّرته «إسرائيل» قبل اكتماله.. وخلال السنوات التي أعقبت الحرب العراقية ـ الإيرانية، صار العراق بالفعل دولة إقليمية كبرى، لديها طموحات تسليحية واقتصادية كبيرة جداً، وأصبحت مؤهلة لأن تؤدي دوراً قيادياً في ثلاثة اتجاهات: اتجاه الخليج واتجاه الشرق والاتجاه العربي عموماً.

.. ولتحقيق سبل ممارسة هذا الدور الكبير، التفت صدام بعد حربه مع إيران التي انتهت بمعاهدة الهدنة، إلى هدف القضاء على المعارضة الداخلية الإنفصالية على نحو نهائي وحاسم.. وضمن هذا السياق وجّه ضربة قاتلة للانفصاليين الأكراد في الشمال الذين

كان سبق وتلقّوا الدعم لعدة عقود من جهات خارجية، منها الاتحاد السوفياتي تارة والولايات المتحدة الأمريكية تارة أخرى. . وصعَّد صدام من حربه على الأكراد، وبلغت نقطة دموية عام ١٩٨٨ عندما استخدم الجيش العراقي الأسلحة الكيماوية (ومنها غاز الخردل) ضد المواقع والبلدات والقرى الكردية. . وقد قتل في بلدة حلبجة وحدها في محافظة السليمانية قرب الحدود الإيرانية أكثر من خمسة آلاف نسمة.

وقد أسفرت الحرب العراقية الإيرانية عن مصرع ما يقارب المليون إنسان، ومئات الآلاف من المعوّقين والجرحى، وملايين الأيتام وعشرات آلاف الأرامل، فضلاً عن الخسائر الإقتصادية لكلا البلدين، والتي قُدِّرت بـ ١٥٠ مليار دولار بالنسبة لإيران، و١٠٠ مليار دولار بالنسبة للعراق.

غزو الكويت

وكان قراره بغزو الكويت وهو البلد الجار الذي لم يبخل عليه بكل ما أراد من مال وسلاح ـ خلال غزوه لإيران ـ قراراً مثّل له ولنظامه بداية النهاية ولشعب العراق بداية لمعاناة من نوع آخر اجتمع فيها ظلم نظامه لهم مع ظلم كل دول العالم بلا استثناء باسم القوانين الدولية وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

لقد عُلِم وقتها بأن السفيرة الأمريكية في بغداد قبل الغزو عام ١٩٩٠ (أبريل غلاسبي) لمّحت إليه عندما حاول جس نبض إدارتها في واشنطن ورد فعلها فيما لو غزا الكويت «أن الولايات المتحدة الأمريكية لا شأن لها فيما يخصّ النزاعات العربية ـ العربية وأنها تنأى بنفسها عن التدخّل في شؤون الأشقاء لو اختلفوا فيما بينهم» وهو الأمر الذي فسّره البعض بأنه كان إشارة له بالمضي قدماً في خطة الغزو المبيتة والتي كانت واشنطن على علم مسبق بها ولكن العارفين ببواطن الأمور يدركون تماماً بأن خطة بهذا الحجم لا يمكن لحاكم خرج مثقلاً بالجراح من حربه مع جارته القوية بشق الأنفس أن يحققها لوحده بدون التنسيق والترتيب والأمر الصريح مع ومن الولايات المتحدة التي يدرك خطرها وقوتها واستفرادها بالعالم أجمع ويدرك تماماً كبير مصالحها في منطقة كمنطقة الخليج.

لقد غضّ الأمريكان الطرف عن كل ما كان يجري في العراق إذا لم نجزم بأنما جرى ابتداءاً من وصول صدام للسلطة وحمايته من كل المحاولات التي استهدفت

إسقاطه أو تصفيته شخصاً وتسليحه في حربه الطويلة ضد إيران وتأمين أفضل نظام حماية شخصي في العالم، كان كل ذلك ضمن خطة مدروسة ومبرمجة ودقيقة غاية الدقة حتى تصل الأمور إلى ما وصلت إليه. . وما خفي كان أعظم كما يقول المثل المأثور.

أنا شخصياً لا أؤمن بقدرة صدام على فعل ما كان يفعله دون غطاء أمريكي وبريطاني كامل. ولست أعتقد باستقلالية قراره أو بعبقريته ولا حتى بذكائه. . والدليل على ذلك ما حصل من سقوط سريع ومريع لعاصمة حكمه وحصن نظامه. .

وهنا نجد من يدعي أن المهيب كان تحت تأثير المخدرات عندما قرر غزو الكويت. . وهي (فضيلة) جديدة لم نسمع عنها سابقاً أضيفت إلى ما كنّا نعرفه عنه من مناقب سالفة.

صدام تحت تأثير المخدرات

قال أحد المقرّبين السابقين من صدام حسين في مقابلة مع إذاعة فرنسية أن صدام كان «تحت تأثير المخدرات» حين قرر اجتياح الكويت في ١٩٩٠. وأفاد عصام رشيد وليد الذي كان رئيس قسم المراسم لدى الرئيس العراقي السابق لإذاعة «أوروبا ١» الخاصة: «إن صدام كان يتعاطى المخدرات في عام ١٩٥٩، بالقنب الهندي ثم حين تولّى السلطة (١٩٧٩) بدأ يتعاطى الهيروين في بعض الأحيان. وحين قرر اجتياح الكويت في أغسطس/آب ١٩٩٠ لم يكن في وضعه الطبيعي، كان تحت تأثير المخدرات».

وأعلن وليد الذي يعيش حالياً في لندن أن صدام أمر بجعل كلب حراسة «يلتهم» أحد خصومه، وأفاد أنه كان يملك بين ١٩٧٣ و١٩٩٠ «شركات في كل أنحاء العالم»، لا سيما في صناعة السيارات البرازيلية. وكانت ثروته تقدّر في ١٩٩٠ بحوالي ٣٥ مليار دولار من دون إعطاء توضيحات.

وينشر رئيس المراسم السابق لدى الرئيس العراقي حالياً كتاباً عنوانه «في ظل صدام».

وفي سياق آخر نقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن مسؤوليين عراقيين سابقين أن صدام لم يصدق إمكان حدوث غزو برّي أمريكي، ولهذا لم ينشر قوّاته بشكل دفاعي. وجاء في تقرير سرّي أعدّه البنتاجون استناداً إلى هذه الشهادات أن صدام كان متأكداً

من أن الولايات المتحدة لن تخاطر بفقد أرواح بشرية، وسوف تكتفي بحملة قصف محدودة[١].

وأوضح التقرير أن وزارة الدفاع العراقية أخطأت كثيراً أيضاً باعتبارها أن هجوماً برّياً محتملاً سيأتي من الحدود مع الأردن، حسبما ذكرت الصحيفة. وأشارت إلى أن هذا التقرير الذي يحمل تاريخ ٢٦ يناير/ كانون الثاني ويقدّم رؤية تاريخية للحرب في العراق من وجهة نظر مسؤولين عراقيين، يظهر وجود دائرة قيادة «ستالينية مصابة بعقدة الاضطهاد قادت نفسها إلى الهلاك». وأضافت: إن التقرير كشف عن نظام «بعيد كل البعد عن الواقع، في زمن السلم أو زمن الحرب» يكذب فيه المقرّبون من صدام عليه بشكل مستمر، ويكذبون على بعضهم فيما يتعلّق بالقدرات العسكرية العراقية»[٢].

---

(١) مجلة نيوزويك العربية، الأعداد الصادرة: ٣٠/١٢/٢٠٠٣ ـ ٦/١/٢٠٠٤.

(٢) الخليج، ٢٣/٢/٢٠٠٤، العدد ٩٠٣٥.

الفصل العاشر

سقوط بغداد

الساعات الأخيرة لصدام(١)

لم يكن سقوط بغداد على يد القوات الأمريكية في التاسع من نيسان (إبريل) عام ٢٠٠٣ حدثاً عادياً في المنطقة، كما لا يمكن عزله عن سياقه التاريخي، بالنسبة للمدينة، التي سبق وأن ارتبط سقوطها، قبل سبعة قرون ونصف القرن في الوعي العربي والإسلامي بالفظائع والفواجع، التي اقترفها المغول وغيرهم من طغاة التاريخ.

وإذا كان السقوط الأخير لبغداد قد جاء سريعاً، بالمقارنة مع ما كان يتوقعه المراقبون؛ فإنّ تطورات الموقف العراقي ومفاجآته المتلاحقة، لم تكن تسمح بوقفة تأمل لملابسات الاحتلال الجديد في العراق، في الحرب التي لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة.

فالحياة «تبدو شبه عادية، كما كنت أراها في مرات زياراتي السابقة لبغداد، خلال السنوات الماضية، غير أنّ المتاريس وأكياس الرمال والخنادق، منتشرة هذه المرة في شوارع المدينة بشكل كبير، والكل يترقب الحرب في أي لحظة، كما قال لي أحد المسؤولين العراقيين (...)».

ويمضي إلى القول «أسوأ شيء في الحياة؛ أن تنتظر مجهولاً تعرف أنه سيئ، بل ربما يكون أسوأ شيء في الحياة، لكنك لا تستطيع أن تحدد حجم أو مقدار ما يحمله من سوء ودمار، وهل هناك أسوأ من الحرب؟!»، و«الحرب لا تحمل أي فأل حسن، حتى لو كانت نتيجتها، كما يُدعى نظاماً ديمقراطياً، سيكون نموذجاً لدول المنطقة، لأنّ ما هو آت سيكون أسوأ مما هو قائم (...)».

---

(١) رواية أحمد منصور، وهذا لا يعني هذا أننا نوافق الأستاذ منصور على كل ما جاء في روايته، ولكننا آثرنا تلخيصها على هذه الصفحات حتى نستفيد من مقارنتها مع روايات وتفاصيل أخرى ضمن هذا الفصل. (المؤلف).

ويقف أحمد منصور على استعدادات المواطنين العراقيين للحرب، بما في ذلك لهجة التحدي للولايات المتحدة، وتأمين الغذاء والمياه والدواء، راصداً ما تركته الحرب من انعكاسات على حياتهم اليومية، ونظراتهم إلى المستقبل.

ولاحظ الكاتب أنّ «الكل كان يتوقع أنّ معركة بغداد إذا وقعت لن تكون سهلة، لأنّ بغداد من المدن المنبسطة، ذات الامتداد الأفقي، والمباني المرتفعة فيها نادرة وقليلة، ومن ثم فهي مترامية الأطراف، وخلاف القصور الجمهورية، فالمدنيون في كل أرجاء المدينة، وكل مبنى غير القصور، يمكن أن يكون هدفاً سوف يؤدي إلى عدد هائل من الضحايا المدنيين».

وأضاف «كنت وأنا أتأمل المباني الحكومية، وأرى مواقعها من الأماكن السكنية، نظرت بتأمل إلى مبنى وزارة الإعلام، حيث أصبح مقراً لكل وسائل الإعلام العالمية، وقلت في نفسي يمكن أن يكون هذا المبنى هو آمن مكان في بغداد، إذا نشبت الحرب، لأنّ الأمريكيين سوف يترددون كثيراً في قصفه، ثم ضحكت من تفكيري وقلت: شرّ البلية ما يضحك، لكني كنت واهماً على ما يبدو، فحينما رجعت إلى فندق الرشيد، حيث كنت أقيم، وجدت الصحفيين الغربيين في حالة رعب وخوف وهلع شديدة، بعدما جاءهم تحذير بإخلاء مواقعهم من مبنى وزارة الإعلام، لأنه سيكون أحد الأهداف الأمريكية المباشرة في القصف، وقد كان بالفعل».

ويقول أحمد منصور «مثلي مثل كثير من المتابعين للأحداث، فوجئت بالسقوط السريع للعاصمة العراقية بغداد، بعد ثلاثة أسابيع من المقاومة في المدن والمناطق الجنوبية من العراق. ورغم أنّ معظم المحللين العسكريين الذين كانوا يتابعون المعركة كانوا يسيرون في اتجاه أثبتت النتائج النهائية للحرب أنه كان معاكساً لما كان يحدث، على أرض الواقع، إلا أنّ الحقائق تتكشف يوماً بعد الآخر، مؤكدة على أنّ ما حدث كانت فيه خفايا وأسرار كثيرة، ربما لن يُكشَف الكثير منها على المدى القريب»، كما جاء في كتابه.

ويوضح الكاتب أنه بعد سقوط بغداد، حاول، وعلى مدى عدة أسابيع، فهم ما حدث، من خلال التقارير والمقابلات الشخصية مع متابعين قريبين أو مراسلين حربيين، ممن كانوا في مناطق خطرة، كذلك من مسؤولين سابقين في النظام العراقي، أو زعماء في المعارضة، كانت لهم صلات قوية في الداخل، قبل انتهاء معركة بغداد

وبعدها، أو من اتصالات وجلسات استماع ونقاش مع مهتمين ومتابعين ومختصين في الشأن العراقي، وغير ذلك من المصادر.

وإذا كان الأمر يتعلق بسقوط سريع ومفاجئ للعاصمة العراقية، وليس أم قصر، البوابة الحدودية؛ فإنه من المنطقي أن يذهب المؤلف للبحث عن أولئك، الذين حملوا مسؤولية الدفاع عن العراق. ففي تحليله يسجل أحمد منصور أنه «من الواضح أنّ الولاء الشخصي والأمية والجهل كانت هي المؤهلات الأساسية، التي كان صدام يجعلها معايير تضع الناس في صفوف قيادة جيش يدافع عن دولة مثل العراق. ولأنّ القهر والقتل كان الأسلوب الطبيعي، الذي يستخدمه صدام ضد من يعارضونه، فقد كان القادة العسكريون لا يعرفون ولا ينفذون إلا ما يقوله الزعيم الملهم، وقادة أركانه الأميين والجهلة، وهذا ما أكده كثير من الضباط الذين تحدثوا بعد سقوط بغداد، ووقوع العراق تحت الاحتلال الأمريكي (. . .)»، على حد تعبيره.

أما نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة فقد كان قصي صدام حسين، الذي كان حديث عهد بالخبرة العسكرية، فقد امتازت قراراته، أثناء الحرب، بالتخبط الشديد، وإرهاق القوات في التنقل هنا وهناك، مما جعل القوات العراقية هدفاً سهلاً للغزاة الأمريكيين، كما أخبر منصور بذلك بعض ضباط الحرس الجمهوري، الذين التقاهم في العراق، بعد سقوط بغداد، ونقل عن أحدهم قوله بأسى «لم نكن نستقر في موقع ونتمترس فيه إلا وتأتينا الأوامر بالتحرك لموقع آخر، مما جعلنا هدفاً سهلاً للقوات الأمريكية. وأذكر أنني في لحظة واحدة فقدت أربعة وعشرين دبابة، من أفضل الدبابات عندي مع أطقمها، بسبب إصرار القائد الأعلى على أن أتحرك بقواتي وأجعلها هدفاً مكشوفاً للقوات الأمريكية، فوقفت أبكي مثل الأطفال من هول ما رأيت، كما أنّ كل اتصالاتنا انقطعت مع قيادتنا، ولم نكن نعرف أي هدف نضرب، أو إلى أي مكان نتجه»، كما نقل عنه.

إنهاك وفوضى في الجيش حول بغداد

يتتبع منصور في كتابه «قصة سقوط بغداد»، مؤشرات الإنهاك والتوتر الشديد، الذي بدا على الجنود العراقيين في الأيام الأخيرة للحرب، نظراً لعدم توقفهم عن الانتقال من مكان إلى آخر، وفقدانهم القدرة على النوم، بينما ثمة من يشير إلى أنّ كل

وسائل الاتصال بين المقاتلين في الجبهات وقيادة الأركان العليا قد توقفت عن العمل كلياً، قبل أسبوع من سقوط بغداد.

ويبدو أنّ قصيّ، الذي تم تعيينه على رأس الجيش، اتخذ بالفعل «قرارات مصيرية» بإرسال الحرس الجمهوري بعيداً عن العاصمة، إلى مناطق قرب كربلاء وغرب الفرات، ظناً منه أنّ القوات الأمريكية ستأتي من هناك، وعندما اكتشف خطأه، أمر الجنود بالعودة إلى بغداد، فكان الوقت متأخراً جداً، حسب ما ينقل عن شهادات أدلت بها قيادات عسكرية عراقية رفيعة المستوى.

وفي هذا السياق تقول الرواية إنّ صدام وقصي أمرا قيادة الأركان في الثالث من نيسان (إبريل نيسان)، أي قبل سقوط بغداد بستة أيام، بإبلاغ الجنود العراقيين أنّ الأمريكيين نقلوا رسالة إلى العراقيين، مفادها أنّهم سوف يضربون بغداد بالأسلحة النووية. وحسب ما يفيد قيادي عسكري عراقي بارز، فإنّ القادة العسكريين رفضوا في البداية الامتثال لهذا الأمر، وحاولوا إقناع صدام وابنه بأنّ مثل هذا الإعلان سوف يحبط معنويات الجنود، لكن قصي الذي ظل طوال الوقت بملابسه المدنية مرتدياً البدلة وربطة العنق، أصرّ على إصدار بيان بهذا الخصوص، مما أثار حنق العسكريين.

وفي مسعى تبيان الهوة الشاسعة، التي لاحظ أحمد منصور أنها تفصل بين كيفية تفكير الرئيس العراقي ونجله قصي من جانب، والقادة العسكريين في جيشه من جانب آخر، يتابع منصور نقلاً عن المصادر ذاتها أنّ قصي أدرك أنّ العسكريين غير راضين عن قراراته، فدعا لاجتماع موسع لتنفيس ذلك الغضب، وصب اللوم في الهزيمة خلاله على العسكريين، وفى الاجتماع، المفترض، انهار أحد كبار القادة العسكريين وراح يبكي قائلاً بأنّ خيرة جنوده قتلوا، بينما ساد شعور بالغثيان بين الحاضرين من تصرفات صدام ونجله. وكان ذلك على ما يبدو مدعاة للعسكريين للبدء بالتهامس سراً بأنّ من يرغب في مواصلة القتال فليفعل ذلك على عاتقه الشخصي، وبهذا قرّر جميع القادة العسكريين الانصراف إلى بيوتهم، معلنين أنهم مستعدون للقتال من أجل مستقبل أبنائهم ووطنهم، ولكن ليس من أجل صدام وقصي.

وحسب الرواية؛ فقد حدث هذا قبل ستة أيام من سقوط بغداد، بينما كان القتال لا يزال مستعراً بعيداً عنها، وكان هذا آخر اجتماع للقيادة العسكرية، التي تفرّق شملها

بالفعل، مساء الرابع من نيسان (إبريل)، وفي الخامس منه شنت الدبابات الأمريكية هجمات سريعة ومتكررة على بعض أحياء بغداد، بينما كان وزير الإعلام العراقي الصحاف يعلن عبر مؤتمراته الصحفية بأنّ القوات العراقية سوف تسحق «العلوج»، في الوقت الذي كان فيه القادة قد يئسوا وتفرقوا حسب أقوالهم إلى بيوتهم.

فرضية الخيانة

في السابع من نيسان (إبريل) تم احتلال القصر الجمهوري. وفي اليوم الثامن وصلت دبابتان أمريكيتان إلى جسر الجمهورية، ووقعت «مذبحة الصحافة»، وذلك، حسب أحمد منصور، «من أجل التغطية على جانب خطير من القصة، وهو تهريب الخونة، الذين باعوا بغداد والعراق»، كما يورد في كتابه.

وهنا يميل منصور إلى الرواية، التي قالت بأنّ صدام حسين تعرّض للخيانة من ابن عمه ماهر سفيان التكريتي، الذي كان معاوناً لنجله قصي في قيادة الحرس الجمهوري، مشيراً إلى أنّ ماهر سفيان أمر قواته بعدم الدفاع عن بغداد، إثر اتفاق عقده مع الأمريكيين. وقد أعلنت القوات الأمريكية، في الثامن من نيسان (إبريل) عشية سقوط بغداد، وبعد الاستيلاء على مطارها، موت ماهر سفيان التكريتي.

وكانت مصادر صحفية فرنسية قد ذكرت في حينه أنّ ماهر سفيان التكريتي قد عقد «اتفاقاً» مع الأمريكيين، قبل عام من ذلك، يقضي بعدم اشتراك مائة ألف عسكري من الحرس الجمهوري في القتال، وأنه اقتيد مع عائلته سرّاً في الثامن من نيسان (إبريل) على متن طائرة «سي ١٣٠» إلى قاعدة عسكرية أمريكية، وبالتالي فإنّ نبأ موته ليس صحيحاً.

وقد رشحت أنباء عن خروق أخرى قام بها مسؤولون عراقيون، بينهم قريب آخر لصدام حسين هو عبد الرشيد التكريتي، الذي كان، بناء عليها، يُطلع الأمريكيين على تحركات الجيش العراقي وتحركات قائد قوات «فدائيي صدام»، بينما سلّم ضابط آخر في الحرس الجمهوري الأمريكيين معلومات عن مكان وجود صدام حسين ليلة ١٩ إلى ٢٠ آذار (مارس) تاريخ اندلاع الحرب على العراق، و٧ نيسان (إبريل) في حي المنصور، وقد قام الأمريكيون في التاريخين المذكورين بقصف المكانين المحدّدين، إلا أنّ صدام نجا من الموت.

وينقل الكاتب رواية مفادها أنّ صدام حسين «كان يشكّ في بعض من حوله،

فاختبرهم واحداً تلو الآخر، حتى أخبر هذا بأنه سوف يذهب إلى حي المنصور، الذي قُصف بعد خروج صدام منه، وأنّ صدام قد قام بتصفيته على الفور، وبعدها فقد الأمريكيون أثر صدام»، وثمة روايات مشابهة أخرى تعزّز هذه الفرضية يشير إليها الكتاب.

فراغ في القيادة

وفي ظل المعلومات التي تقول بالتحاق عشرات، بل مئات، القيادات العسكرية العراقية بالجانب الأمريكي، الذي نقلهم سراً إلى جهة غير معلومة، وهي المسألة التي يرجّحها أحمد منصور في كتابه، أوتي لمظاهر الفراغ القيادي أن تترك انعكاساتها على القوات العراقية.

فجنود الحرس الجمهوري أخذوا قبل أيام عدة من سقوط بغداد يهربون في موجات متلاحقة، بأوامر من قادتهم، أو بسماح منهم، بينما تحولت دباباتهم إلى هياكل محروقة، جراء القذائف الأمريكية، وسط قناعة من تبقى من القادة الميدانيين بانعدام فرص النصر. ثم كانت شكاوى بعض القيادات تتعالى من عدم حصول مجموعاتهم المكلفة بالتصدي للغزو الأمريكي سوى على أسلحة فردية وبمعزل عن الدفاعات الجوية.

وبينما هرب كثير من كبار القادة، ما بدا أمراً مزعجاً لزملائهم ومرؤوسيهم؛ اتضحت عدم رغبة الحرس الجمهوري في القتال، وبعد مشاورات عدد من تبقى من القادة مع قواتهم تم التوافق على خيار العودة إلى المنازل، وسط مشاعر «العار والمهانة» التي سادت الموقف.

ويستنتج أحمد منصور خلاصة دقيقة، عبر حكم يصدره بالقول إنّ «صدام يتحمل المسؤولية الأساسية عن صناعة جيش كرتوني في النهاية، ووضع رجال أميين وجهلة، الذين كانوا يدينون له بالولاء الشخصي، والذين خانوه في النهاية على رأس جيش العراق»، على حد تعبيره.

كما يذهب الكاتب إلى حد التأكيد بأنه لم تكن هناك خطة محددة للدفاع عن بغداد أو العراق بشكل عام، ويفيد بأنه شاهد بأمّ عينيه أنه باستثناء بعض الخنادق التي حفرت في المدينة لم تكن هناك أي مظاهر تدلّ على أنّ المدينة تترقب المعركة، سوى تسريب إشاعات بأن هناك «سبعة ملايين مسلح سوف يأكلون الأمريكيين ويسحقونهم»، حينما

يقتربون من أبواب المدينة، وليس هناك أي حشد إعلامي، مثل الذي سبق «أم المعارك» في سنة ١٩٩١.

وعبر عدد من صفحات «قصة سقوط بغداد» يتنقل الكاتب بين من يلقي اللوم على ارتخاء القيادات العسكرية العراقية، لأنّ شعوراً ساد في أوساطهم بأنّ بغداد عصية على الاحتلال، ولن يستطيع الجيش الأمريكي دخولها، والآخرون الذين يرون أنّ العراقيين تأخروا في الاستعداد للحرب، وهو ما يعني عدم تنفيذ خطط دفاعية محكمة، وحتى عدم قدرة الجيش على استخدام بعض الإمدادات القتالية الجديدة.

ومن الثابت علاوة على ذلك، أنّ الجبهة الداخلية للعراق كانت «ممزّقة للغاية، ولا يمكن لأي قائد أن يخوض معركة خارجية وجبهته الداخلية ممزقة وكارهة له ولنظامه، وهذا ما لم يدركه صدام، فقد بلغت كراهية شعبه له مبلغاً لا يوصف، تمثل في التاسع من نيسان (إبريل) حينما أُسقط التمثال الأول في ساحة الفردوس، فقد تبعه تدمير شامل لكل تماثيله، بل وتصفية لرجال نظامه بلغت أشكالا دموية شنيعة، بسبب ما ارتكبه بحق شعبه».

ومع ذلك يقر الكاتب بأننا «لا نستطيع أن نقول بأنّ القوات العراقية لم تقاتل في معركة بغداد بشكل نهائي، ولكن جانباً منها قاتل دون شك، ولكنه قتال المنهزم، لأنّ القيادات العراقية بدت منهزمة من البداية (. . .)».

وأوضح منصور أنّ المناطق الجنوبية في العراق، التي صمدت أكثر من أسبوعين؛ لم تكن قد فعلت «بفضل صمود القوات العراقية (النظامية)، ولكن بفضل صمود الفدائيين والمتطوعين من عراقيين وعرب»، بما في ذلك البصرة.

فالفرقة ٥١ التي كانت مكلفة بالدفاع عن البصرة انسحبت من المدينة في اليوم الرابع للقتال، ومباشرة بعدما ظهر قائد الفرقة اللواء خالد الهاشمي على شاشة قناة «الجزيرة»، ليعلن نبأ عدم استسلام قواته. فقد كان قد أصدر أوامره لقواته بالانسحاب، في الوقت نفسه الذي كان البريطانيون يتفاوضون فيه مع زعماء العشائر وقادة باقي القوات غير النظامية، حتى أخليت لهم المدينة تماماً، ودخلها البريطانيون دون مقاومة، إلا من متطوعين عرب، خاضوا معهم معركة دامية قرب جامعة البصرة.

وينقل الكاتب وقائع تصب في الدلالة ذاتها من مدينة الناصرية، التي خاضت قتالاً عنيفاً، وأعاقت تقدم القوات الأمريكية طيلة أسبوعين. فالأمر فيها يعود «الكتيبة من

المقاتلين العرب قوامها مائتا مقاتل، هي التي أخّرت تقدم القوات الأمريكية طيلة يومين، بل إنها نجحت في تراجع القوات الأمريكية وتقهقرها، بعدما سيطرت على المطار في المرة الأولى، وقد قُضي على هؤلاء، وأسر بعضهم، وانسحب آخرون إلى بغداد، يحملون بعض شهدائهم»، كما يرد في الكتاب.

سقوط بغداد

فرّ كثير من جنود الحرس الجمهوري العراقي، بعدما وجدوا أنفسهم هدفاً سهلاً للقوات الأمريكية. كانت الفرق الأربع المتحصنة حول بغداد، والتي يفترض أن تضم كل منها عشرة آلاف جندي، وهي بغداد والمدينة وحمورابي ونبوخذ نصر، قد شكلت خطين دفاعيين جنوبي العاصمة، على شكل نصف قوس، كان الخط الأول (الخارجي) متحصناً بشكل جيد من كربلاء إلى الكوت، ولمسافة طولها ١٦٠ كيلو متراً، أما الخط الخلفي (الداخلي) فطوله تقريبا ٤٨ كيلومتراً، ويمتد من اليوسفية وحتى الصويرة، غير أنّ عدد القوات المنتشرة في هذه المناطق كان غير معروف.

وبحسب الاستخبارات الأمريكية، فقد تم تقويض كافة هذه القوات، التي تقدر مصادر عسكرية أمريكية وخبراء متابعون عددها بما يتراوح بين ١٦ ألفاً و٢٤ ألف جندي. وفي معظم الوقت كانت القوات الأمريكية تضرب هذه القوات من الجو، واستهدفت نصف الغارات الجوية، التي تقدر بحوالي ٢٨ ألف غارة الحرس الجمهوري.

في هذه الأثناء كانت القيادة الأمريكية قد قرّرت إنهاء معركة بغداد بأي ثمن، بعدما أصبحت صورتها سيئة أمام جنودها، وأمام الرأي العام الأمريكي والعالمي. فمن الناحية العسكرية قرّرت استخدام أسلحة جديدة، غير مسبوقة، في تدمير كافة أماكن تواجد القوات العراقية حول بغداد، منها قنابل صوتية لا تدمر، ولكنها تحدث صوتاً عالياً، اتضح من خلال بعض التقارير أنها قنابل جديدة كهرومغناطيسية، تصيب دائرة قطرية صغيرة وتسبب تعطيل الحواس الخمس وكافة أشكال الحياة، ومن ثم الوفاة السريعة لكل الموجودين في دائرتها.

ويورد أحمد منصور شهادات طبية ميدانية عن كثير من القتلى العراقيين، الذين شوهدوا وقد تحوّلت أجسادهم إلى اللون الأزرق، ونزلت الدماء من أنوفهم وعيونهم وآذانهم، ولعل هذه هي آثار استخدام صواريخ «هل فاير»، التي اعترف وزير الدفاع

الأمريكي دونالد رمسفيلد في جلسة عقدها الكونغرس الأمريكي في ١٤ أيار (مايو) ٢٠٠٣ باستخدامها في الحرب ضد العراق.

وقد تحدّث منصور في كتابه عن إفادات لقيادات عسكرية عربية، منها ما يؤكد استخدام الأمريكيين لقنابل محرمة دولياً، لها خاصية القنابل النووية، غير أنّ تأثيرها يمتد إلى دائرة صغيرة قطرها لا يزيد عن كيلومتر واحد.

بينما أشارت مصادر أخرى إلى أنّ بعض القنابل التي ألقيت على قطاعات عسكرية، كانت تؤدى إلى تسييل أجساد الجنود، بحيث لا يبقى إلا الهياكل العظمية، وثمة إشارات في الكتاب إلى قنابل أخرى، كانت تؤدى إلى تحجر أجساد الجنود، أو الذين يتواجدون في دائرتها، وقد تعززت هذه الروايات بشهادات طبية.

ويمضي الكاتب إلى القول «إذا كانت التقارير لازالت تتحدث حتى الآن عن اكتشافات جديدة لنوعيات من الأسلحة المحرمة دولياً، والتي استخدمها الأمريكيون في حرب كوريا، بداية الخمسينيات، وفى حرب فيتنام في الستينيات والسبعينيات، فما بالنا بحرب العراق، التي لم تنته من الناحية العملية، رغم إعلان (الرئيس الأمريكي جورج بوش) عن نهاية العمليات في أول أيار (مايو) ٢٠٠٣؟».

في هذه الأثناء كان الأمريكيون قد «رتبوا آخر أوراق التفاوض مع الخونة، وكان القادة الجهلة قد فرُّوا هم الآخرون، وتركوا الضباط والجنود المخلصين لبلدهم يواجهون الحرب وحدهم»، إذ «دخل الأمريكيون إلى بغداد دون مقاومة وبثمن بخس»، حسب وصف الكاتب.

وقد شوهدت قيادات عراقية كبيرة، وهي تخبر وحدات مقاومة الطائرات بعدم استخدام أسلحتها ضد طائرات الأمريكية، «وهذا يؤكد أنّ الخيانة لم تكن عند حد ماهر سفيان التكريتي وحده، وإنما من آخرين أيضاً».

ولعل ما يراه أحمد منصور بمثابة خلاصة لقصة سقوط بغداد، هي أنها «ليست سوى قصة حاكم ظالم مستبد، جمع حوله مجموعة من الجهلة والخونة، حكم بهم شعبه بالحديد والنار»، ولكنها ليست الخلاصة الوحيدة التي يخرج بها الكتاب[1].

---

(١) للمزيد حول رواية أحمد منصور، راجع كتابه: قصة سقوط بغداد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

الرواية الأمريكية لسقوط بغداد..!

ماذا حدث في بغداد ؟ اين ذهب الحرس الجمهوري وفدائيو صدام .. ولماذا لم يقاتلوا .. ما مصير صدام وقيادته .. ما سر الطائرة العسكرية الضخمة التي هبطت في مطار صدام عقب احتلاله .. وحملت قيادات من الحرس الجمهوري إلى امريكا . . ا

أسرار اللعبة؟؟

بعد بدء الحرب على العراق بيوم واحد .. ظهر وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد على شاشات التلفزيون الأمريكية لكي يقول شيئاً .. اعتبره الاعلاميون بدعاً من البروباغندا الأمريكية .. ولكنه في الحقيقة كان أساساً لما بدت عليه الأمور لاحقا ..

قال رامسفيلد نصاً .. هناك اتصالات بيننا وبين قيادات الحرس الجمهوري في العراق .. ولن نكشف عنها حالياً .. فانتظروا الأيام القادمة..

بعد ثلاثة أيام من ذلك التاريخ .. أظهرت وسائل الاعلام الأمريكية شريطاً مسموعاً مسجلاً لأصوات تتحدث العربية .. وترشد القوات الأمريكية على أماكن القصف المهمة .. وكانت هذه الأصوات تترجم فورياً في مقر قيادة القوات الأمريكية لتعطى وفقها الأوامر فوراً ..

وفي الحقيقة .. لم يكن حديث رامسفيلد من فراغ .. فقد كانت هنالك اتصالات تدور بسرية تامة ما بين قيادات الحرس الجمهوري وقيادات فدائيي صدام بمعزل عن الرئيس العراقي وابنه الذي يرأس أكبر جهاز عسكري كان يمكن ان يجعل حياة القوات الأمريكية جحيماً حال دخوله الحرب .. ولقد تكشفت هذه الاتصالات بعد دخول الحرس الجمهوري أول معركة ضد القوات الأمريكية في ضواحي بغداد ودمر من معداته الكثير .. ورأى الأمريكيون أنهم أمام قوة مجهزة تجهيزاً عسكرياً فائقاً ومدربة

تدريباً عالياً يمكن ان يحدث الخسائر الفادحة بالقوات الأمريكية عند محاولة دخول بغداد ..

العرض الأمريكي

كان العرض الذي قدمته قيادة القوات الأمريكية في العراق لقادة الحرس الجمهوري وفدائيو صدام سخياً .. ونقلت هذه العروض إلى وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد الذي وافق عليها فوراً .. وكانت تنص على ما يلي :

أولاً - مقابل عدم التعرض للقوات الأمريكية وإلقاء السلاح سوف تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم ما يلي :

أ) نقل قيادات الحرس الجمهوري من الصف الأول إلى أمكنة آمنة خارج العراق..

ب) نقل قيادات الحرس الجمهوري من الصف الثاني إلى الأماكن (المحررة) التي سيطرت عليها القوات البريطانية والأمريكية داخل العراق.

ت) منح القيادات من الصف الأول مبالغ مالية ضخمة ومنح القيادات من الصف الثاني مبالغ اقل ضخامة ..

ث) اعطاء بعض قيادات الحرس الجمهوري من الصف الأول وممن لم يرتكبوا (جرائم حرب) وضعاً مسؤولاً داخل العراق (المحرر) .. بعد انتهاء الحرب.

ج) منح البعض من قيادات الصف الأول (حسب رغبتهم) وعائلاتهم الجنسية الأمريكية والإقامة في الولايات المتحدة.

ح) ايجاد التوازن بين المعارضة العراقية التي سيكون لها وضعاً محدوداً في ادارة العراق مع من لم يجابه القوات الأمريكية من قيادات الحرس الجمهوري ..

ثانياً - ضماناً لهذا الأمر (الذي لم تكن قيادات الحرس الجمهوري) تثق به بصورة جيدة .. كشفت الولايات المتحدة الأمريكية عن بعض العملاء الذين دستهم بين (الدروع البشرية) ممن كانوا يوجهون الأجهزة العسكرية الأمريكية على أماكن القصف وملاحقة صدام حسين والقيادة العراقية .. وتم لقاء سريع بين (عملاء الدروع) وبعض عناصر قيادة قوات الحرس الجمهوري .. وسلم أولئك نصوصاً رسمية مكتوبة لقيادات

الصف الأول. مما طمأن قيادات الحرس الجمهوري إلى سلامة هذه الضمانات. وقد تضمنت هذه النصوص ما يلي :

أ) بعد احتلال مطار صدام تقوم قيادات الحرس الجمهوري من الصف الأول بالوصول إلى المطار لنقلهم .. فان تعذر ذلك .. فقد اتفق على مكان تحط فيه طائرة هليوكبتر أو اثنتين من نوع اباتشي في ضواحي بغداد لنقلهم..

ب) تتحصن بعض قيادات الصف الثاني داخل القصر الجمهوري العراقي الملاصق للمطار .. ولسوف تقوم القوات الأمريكية بإلقاء بعض القذائف عليه لإعلان السيطرة عليه .. ثم تقوم القوات الأمريكية بنقل هؤلاء إلى المطار ..

ت) اصدار الأوامر لقيادات الصف الثاني في الحرس الجمهوري بعدم المقاومة والقاء السلاح .. ضمن وعود بسلامتهم وسلامة عائلاتهم ونقلهم إلى أماكن آمنه .. وبدورهم يقومون بإبلاغ من هم أقل منهم رتبة عدم القيام بالمجابهة .. وقد اتبعت قيادة الحرس الجمهوري من الصف الأول خدعة لموافقة هؤلاء بحجة ان المقاومة ستكون سرية ضمن خطة أعدتها القيادة لإطالة أمد الحرب وإيقاع القوات الأمريكية بالفخ الذي نصب لها .. وقد انطلت هذه الحيلة على القيادات الأقل رتباً ..

ث) تسليم قيادات الصف الأول والثاني مبالغ نقدية بالدولار كدفعة أولى لضمان تنفيذ المهمة.

الدروع البشرية

منذ البدء اتبعت قيادة المخابرات المركزية الأمريكية خططاً لتفعيل عمل العملاء ممن يحملون صفة (الدروع البشرية) واستغلت هذه القيادة نشطاء السلام في أمريكا بشكل دقيق ومنظم .. فقد عمدت القيادة إلى ارسال ثلاث وجبات من نشطاء السلام إلى المنطقة وتحديداً داخل بغداد على اعتبار انها موقع حسم الصراع ..

وقد انطلت الحيلة على القيادة العراقية التي وضعت اجزاء متفرقة منهم في المواقع المهمة مثل : المصانع والمعامل ذات الأهلية الكبيرة .. مخازن السلاح التابعة للحرس الجمهوري التي كانت تحوي تلك المصانع والمعامل في ظاهرها اما باطنها تحت الارض فيحوي أكداسا من السلاح يمكن ان تكفي المقاومة لسنوات قادمة.. الأماكن

ذات الصفة المدنية في ظاهرها .. والعسكرية في باطنها مثل مراكز تجميع الصواريخ التي دمرت وخزن بعضها في مخازن عسكرية تحت الأرض.

كانت الإجراءات العراقية في توزيع هؤلاء على الأماكن المهمة فخاً نصب بعناية.. فقد كان أولئك الدروع يحملون أجهزة الاتصال الدقيقة التي يصعب اكتشافها للاتصال بالقوات الأمريكية أثناء القصف .. وقد تبين فيما بعد ان هذه الأجهزة قد ادت دوراً متميزاً في الاستدلال على موقع صدام وقيادته .. وعلى أماكن تخزين السلاح ..

احتلال المطار

كان احتلال مطار صدام الدولي نقطة تحول بحيث أهلّ القوات الأمريكية لتنفيذ الخطة بكاملها كما كتبت على الورق وكما تم الوعد بها .. وقد اطمأنت قيادة قوات الحرس الجمهوري خاصة من الصف الأول بأن القوات الأمريكية صادقة فيما وعدت به .. وكانت قيادة الحرس الجمهوري تعطي معلومات وافية عن أماكن المقاومة المتفرقة فيما حول المطار وداخله .. كما أعطت معلومات وافية ووافرة عن الأنفاق التي تمتد من القصر الجمهوري إلى داخل المطار .. وهي أنفاق بنيت خصيصا لكي يسير فيها الرئيس العراقي حينما يتعرض للخطر .. وهذه الأنفاق احتلتها القوات الأمريكية التي لم يكن يعرفها غير قيادات الصف الأول في الحرس الجمهوري ..

ولقد خرج محمد سعيد الصحاف في اليوم التالي من احتلال المطار لكي يؤكد للعالم ان مطار صدام ما يزال في يد القوات العراقية .. وقد بنى تأكيداته على ما يمكن ان يحدث (بشكل مبتكر وغير اعتيادي كما قال) عندما يتدفق المقاتلون العراقيون وقوات الحرس الجمهوري من القصر إلى الأنفاق ومن ثم إلى المطار في عملية مفاجئة للقوات الأمريكية التي تحتل المطار .. ولم يكن في علمه حتى وقت تصريحه .. ان القوات الأمريكية قد اكتشفت مواقع تلك الأنفاق المحصنة .. وأنهم سوف يقابلون الأعداد القليلة التي ذهبت هناك والتي قادتها بعض قيادات الصف الثالث لتجد أمامها وبانتظارها القوات الأمريكية ..

كان الوقت في تلك الدقائق العصيبة من ذهب .. ورأت القوات الأمريكية ان الطريق أصبح سالكاً إلى بغداد .. فقامت بإجراء عمليتين جوهريتين في وقت واحد :

العملية الأولى : ادخال بعض الدبابات إلى مشارف بغداد وتوغل بعضها إلى منطقة فندق فلسطين .. شرط ان لا تتعدى الجسر إلى الضفة الاخرى .. وكان ذلك بعد ان ضمنت ان الأوامر اعطيت لقوات الحرس الجمهوري بالاختفاء بناء (على الخطة) التي أدخلها قادة الصف الأول في عقول قادة الحرس الجمهوري من الرتب الدنيا.

العملية الثانية : تجهيز طائرة عسكرية ضخمه تتسع لأكثر من مائتي مقعد لنقل قادة الحرس الجمهوري من الصف الأول وبعض أعضاء الصف الثاني إلى أماكن آمنه..

وكانت الأوامر المعطاة إلى الجنود الأمريكيين الذين أقدموا على إنشاء رأس جسر للقوات بان تعتمد التالي :

أولاً - محاولة اسكات الوسائل الاعلامية التي تنقل الصورة من أماكن الاختراق .. وهذا ما حدث عندما تم قصف مكتب الجزيرة ومكتب قناة ابو ظبي .. ومحاولة حشر الصحافيين في مكان لا يستطيعون فيه التحرك إلا بأوامر من القوات الحليفة .. أو قوات المارينز بالذات.

ثانياً - قطع وسائل الاتصال والكهرباء عن المنطقة ومحاولة قصف المولدات الكهربائية الصغيرة لتعطيل أجهزة البث والاستقبال قطعاً نهائياً ..

ثالثاً - قصف وسائل الاتصال فوق فندق فلسطين والمتمثلة في الصحون اللاقطة وهذا الموقع قضى فيه الصحافي طارق أيوب ..

رابعاً - التعامل مع المقاومة المحدودة في منطقة الجسر بالطلقات الخفيفة وليس بالقصف المدفعي .. لأن بعض اعضاء قيادات الحرس الجمهوري من الصف الثاني تخلفوا عن الالتحاق بالمواقع المتفق عليها .. وربما قدموا عن طريق جسر السنك.

الطائرة العسكرية

تجمع في مطار صدام الدولي العديد من قيادات الصف الأول للحرس الجمهوري .. وتم الانتظار لثماني ساعات اخرى قبل ان يلتحق البعض الأخر من القيادات إلى المطار ..

وكانت المفاجأة التي اذهلت القيادة الأمريكية .. ان قيادة قوات الحرس الجمهوري من الصف الأول قد اصطحبوا معهم أكبر رأس في قوة فدائيي صدام .. الذي كان يلي ابن الرئيس مباشرة .. وهذا ما دفع القوات الأمريكية لأن تتأكد انها

حيّدت ايضا قوات فدائيي صدام .. بعد ان أبلغهم ذلك القائد انه نحى ما اقدم عليه قادة الحرس الجمهوري .. وانه يطلب ان ينطبق عليه ما انطبق على قادة الحرس الجمهوري. وكانت موافقة فورية ..

أقلعت الطائرة الحربية الأمريكية من مطار صدام الدولي عند الساعة الثامنة مساءً اليوم الثالث من احتلال المطار .. وهناك أقوال في موقع اتجاهها .. فبعض من القيادة الأمريكية تقول انهم نقلوا إلى امريكا مباشرة عن طريق المانيا .. والبعض الآخر يقول بانهم نقلوا إلى الكويت .. الا ان من المؤكد ان هؤلاء غادروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .. في وقت قامت فيه طائرتا هليوكبتر بنقل قيادات الصف الثاني من الحرس الجمهوري إلى البصرة .. وقامت القوات البريطانية باستقبالهم.

صدام حسين آخر من يعلم

تجمع آراء بعض الساسة الأمريكيين على ان تلك الاتصالات كانت تتم بتعليمات أمريكية لقادة الحرس الجمهوري حتى لا تكتشف .. وقد اتبعت فيها أحدث أنواع التكنولوجيا ومن ضمنها أجهزة إرسال واستقبال دقيقة أعطيت لقادة الحرس الجمهوري في اللقاء الأول مع الدروع البشرية .. وهذا هو السر الذي أبعد عيون الرئيس العراقي عن اكتشافها ..

ولقد كانت آخر مهمة لقادة الحرس الجمهوري الذين رحلوا إلى المطار اعطاء معلومات مهمة عن مكان الرئيس العراقي وقيادته في اجتماعهم الأخير في حي المنصور .. مما جعل القوات الأمريكية تركز على مكان الاجتماع وتقوم بقصفه بصواريخ موجهة ومؤثرة ..

رغم تسريب هذه المعلومات من قبل مصادر أمريكية .. فان نسبة الصحة فيها تظل اكثر من خمسة وسبعين بالمائه .. لان المصادر سياسية ولم تكن عسكرية.

هذه خلاصة الرواية الأمريكية لسقوط بغداد.

رواية معد خير الله وشهود العيان

بين الحرب على العراق وسقوط بغداد واعتقال صدام حسين أكثر من تسعة أشهر قضاها الرجل الذي حكم العراق بيد من حديد عقوداً طويلة مختبئاً بعدما تبخرت كل

الأجهزة التي أحاط نفسه بها، والتي أذاقت العراقيين الأمرّين. واستناداً إلى معلومات أدلى بها ضباط في الحرس الجمهوري ومدنيون ومواطنون ومعد خيرالله، أحد حراسه الشخصيين من الخط الثاني، وهو ابن خاله واخ زوجته وخال أولاده. دخلت اربع دبابات أميركية من جهة السيدية (جنوب غربي العاصمة) قادمة من طريق كربلاء في الخامس من نيسان (ابريل) متوجهة إلى مطار بغداد الدولي الذي اصبح في الثمانينات يعرف باسم مطار صدام الدولي. كانت ساحة «ام الطبول» فاصلاً وسطياً بين المطار ومركز بغداد. لكن الدبابات اخطأت الطريق نحو المطار واتجهت اثنتان منها إلى مركز العاصمة فاستدارت يميناً بدل ان تواصل سيرها قدماً. ويقوم في الساحة مسجد يعرف باسم «ام الطبول» تيمناً بميدان الرمي الذي كان في نهاية الخمسينات ساحة اعدام العسكريين ومن بينهم قادة انقلاب الشواف القوميون.

كان صدام حسين انتقل من مخبأه السري في حي الشرطة على بعد ثلاثة كيلومترات شمال غربي الجامع، قرب مركز المدينة، إلى المبنى الاداري لمسجد «ام الطبول». كان معد خيرالله في ساحة الجامع عندما شوهدت الدبابات، وبدت ملامح الذعر على وجه المرافق الأمين والأقرب لصدام عبد حمود الذي خرج من المبنى ليعطي أوامره بتأمين مخبأ شارع الزيتون في منطقة الحارثية.

حتى ذلك الوقت كان صدام حسين في كماشة اميركية غير مخطط لها. فالدبابات التي اخطأت الطريق وصلت إلى فندق الرشيد والقصور الرئاسية ثم عادت ادراجها من طريق حي المأمون الذي يلتف حول الجامع في طريقها إلى المطار ايضاً.

وهناك روايات عما حصل لأحد قادة الالوية قرب المطار اللواء سيف الدين الراوي الذي امر لواءه بالانسحاب فأرسل صدام في طلبه واعدمه في ساحة الجامع وأمر بدفنه هناك قبل ان يبعث برسالة عبر سعاة بأن مصير من ينسحب سيكون مثل مصير الراوي.

بقي فريق من الحماية والعسكريين، كلهم من الاقارب، مع صدام حسين حتى ١٦ ايار مايو) ٢٠٠٣، اي بعد اكثر من خمسة اسابيع على سقوط بغداد. في مقدم هؤلاء كان عبد حمود، ثم اسعد ياسين (الذي تردد انه أبلغ عن مكان صدام الذي القي فيه القبض عليه) وهو اخ المرافق الاقدم ارشد ياسين زوج اخت صدام وابن خالته ايضاً والذي عرف كأكبر مهرب آثار عراقية في التسعينات. كذلك كان معه روكان رزوقي، سكرتير صدام ومرافقه وابن خالته، وصالح شبيب الناصري التكريتي المقرب من صدام

وابن خالته. مجموعة الأقارب هذه كانت السياج الحديد للاختفاء المستمر لصدام في الثمانينات والتسعينات وحتى سقوطه. وهذه المجموعة تخيف مجموعة اخرى هي قيادة الأركان والعمليات التي لم تكن تجتمع بصدام أو تراه، وهي مؤلفة من الجنرال كمال مصطفى ابن عم صدام أحد قادة الحرس الخاص وشقيق اللواء جمال مصطفى زوج حلا ابنة صدام الصغرى، والجنرال ابراهيم عبدالستار التكريتي احد قادة الحرس الجمهوري وسفيان التكريتي رئيس اركان الحرس الخاص وأحد مرافقي صدام وثابت النفوس المجيد.

هؤلاء كانوا يقودون الحرب، أو بالأحرى كانوا يقودون عملية الدفاع عن صدام وسلطته بعدما اعتقدوا، كما صدام، بأن الحرب ستكون نسخة مكررة من حرب ١٩٩١، اي اسابيع طويلة من القصف الجوي والهجوم البري حتى توقفها بوساطات دولية وتدخلات وخسائر بشرية أميركية وضجة في الاوساط الدولية والعربية. وبنيت الخطط العراقية العسكرية على هذا الاعتقاد، فصدرت أوامر مشددة بأن لا تغيير في الخطط أبداً، وأي تغيير ستكون عقوبته الاعدام. هذا ما سمعه معد خيرالله من فم صدام حسين قبل الحرب. ويضيف ان صدام اضاف بحسم: «أي تغيير سيعني الخيانة والعقوبة ستكون الاعدام». اذاً، فكرة الخيانة هي التي هزمت صدام حسين. كل شيء يقوم لديه على فكرة الخيانة: يضع خطة مستحيلة ومن لايستطيع تطبيقها حرفياً في ساحة المعركة فهو خائن. يطلب من قادته ان يضحوا بجنودهم وأرواحهم حتى لا يتقدم جندي اميركي واحد، فاذا وقعوا في الأسر بعد نفاد الذخيرة فهم خونة. اي فكرة اخرى غير فكرة صدام هي خيانة. لذلك لم يحتمل سقوطه واعتبر ان السقوط نتيجة خيانة في حين انه طلب المستحيل من جيش لم يخن ولم يتعود على الخيانة. ويقول عقيد الحرس الجمهوري في شهادته: «كان مولعاً بالخوف من الخيانة في شكل مرضي، وبنى سلوكه الدموي وفق متطلباته، فاخترع سياسة «قطع الدابر» و«النيات المخفية في الصدور». وجعل من عينيه أشعة اكس وبهذه الأشعة صفى عام ١٩٧٩ قادة حزبه ورفاقه».

ويذكر العقيد عدداً من اسباب السقوط المدوّي، منها ان قيادة الجيش «لم تكن من العسكريين المحترفين ولم تتعلم العلم العسكري. كما انها هربت وتركت الوحدات من دون سلاح أو أوامر ميدانية، وأن قصي صدام كان القائد العسكري فوقنا وهو لم يعرف شيئاً عن القتال والأسلحة والخطط والميدان فضلاً عن عزت الدوري وطه الجزراوي».

ويقول العقيد ان قائده المباشر في بغداد كان الجزراوي. وحين دخلت الدبابات الأميركية إلى بغداد كان مكلفاً مع آخرين بحكم وجود وحدته في طريق المطار بالتصديلها. ارسل مراسلاً يبحث عن الجزراوي (القائد العسكري) فلم يجده، وأبلغ انه في مبنى إحدى المدارس. أبلغ الرسول العقيد بذلك، فذهب الأخير بنفسه في تلك الظروف لبحث الأمر مع قائده المباشر وبحث في مدارس المنطقة من دون جدوى، ولدى عودته وجد من تبقى من جنوده بلا عتاد ولا معنويات ولا قيادة. «سألتهم: ماذا تريدون؟ فأجابوا: سيدي دعنا نذهب إلى بيوتنا». هكذا تبخر مئات الآلاف من جنود الحرس الجمهوري والحرس الخاص الذي حمى صدام لأكثر من ٢٣ عاماً.

انتقل صدام في الأيام الأولى للحرب إلى مخبأ سري في حي الشرطة قرب المأمون تابعاً لديوان رئاسة الجمهورية، وكان اعد قبل الحرب ليكون غرفة قيادة. كان المخبأ مجهزاً بكيبل تحت الأرض للاتصالات. ولعب انقطاع الاتصالات دوراً اساسياً في تحطم الجيش وسقوط العراق. يقول خير الله أن الاتصالات قبل الحرب كانت بدائية وسيئة جداً، كما أن قطع الغيار لم تكن متوافرة وكذلك المؤن اللازمة. وما فاقم الكارثة ان «جيش القدس» الكبير اضاف عبئاً على القوات النظامية والحرس الجمهوري.

ويروي العقيد انه فحص مع لجنة خاصة الطائرات والدبابات والأسلحة لإدخالها في الحرب، فكانت النتيجة انه من أصل ٤٠٠ طائرة كانت هناك ٢٠٠ غير صالحة للعمل اطلاقاً. هكذا لم يدخل سلاح الجو الحرب وانعدمت التغطية الجوية لجيش مكشوف تماماً امام طائرات الاميركيين والبريطانيين، اللهم إلّا بضع طائرات ميغ واخرى مروحية صالحة للاستعمال وجدت مدفونة في الرمال لم يعرف بها غير صدام وسياجه الحديدي خبأها لما بعد نهاية الحرب في حال قامت انتفاضة شعبية ضده.

ويروي عقيد آخر من قاعدة الرادارات في كركوك انه استلم امراً قبيل الحرب بعدم استخدام الرادارات تحت اي ظرف، وظل ينتظر الأوامر لتشغيلها من دون جدوى حتى قبل يوم واحد من سقوط بغداد ولما لم يجد من يسأله سرح جنوده يوم سقوط بغداد بملابس مدنية فذهبوا إلى بيوتهم.

بحسب خيرالله، كان التحرك بين مقرات القيادة السرية في بغداد يتم بحذر شديد وتحت جنح الظلام. وكانت الأنباء متضاربة حول الجبهة الجنوبية بسبب سوء

الاتصالات وتقطعها، لذلك كانت المعلومات تتغير بسرعة: فمثلاً كانت الأخبار حول مصير ام قصر غير مؤكدة، بين تأكيدات بسقوطها وأخرى بأنها لا تزال تقاوم. ومثل ذلك كانت الأنباء عن الناصرية.

تحول الوضع في مقر القيادة السري في حي الشرطة إلى الأسوأ بعد وصول الأنباء عن سقوط الناصرية والبصرة. كان هذا المقر مجهزاً قبل الحرب بوسائل السيطرة على جميع الوحدات الرئيسية وخطوط الدفاع. ويقول المرافق: «لم نكن نرى صدام دائماً، لكن الوضع المرتبك في المقر لم يخف علينا. كنت قريباً من عبد حمود القريب جداً إلى صدام. وكنا نرى حجم الكارثة مرتسماً على وجهه. كان الرهان على وحدات الحرس الجمهوري والحرس الخاص المنتشرة حول الكوت وحول جرف الصخر قرب كربلاء وحول جنوب غربي بغداد. وكانت نقطة التحول الكبرى هي سحق «فرقة المدينة» المعروفة في الحرس الجمهوري بمعداتها ومقاتليها والتي كانت تقطع الطريق نحو بغداد قرب الكوت. هذه الصدمة افقدت صدام السيطرة والثبات. اما نقطة التحول الكبرى الثانية فكانت سحق «فرقة حمورابي» المعروفة والتي كانت منتشرة شمال شرقي كربلاء في جرف الصخر. هوجمت الفرقة بعدما اكتشفها رتل من الدبابات الأميركية ضل طريقه، فاضطرت لكشف مواقعها والاشتباك مع الاميركيين بعدما كانت مهمتها تطويقهم اذا وصلوا إلى بغداد. هذان التحولان كانا بداية السقوط السريع للقوات المدافعة عن بغداد.

تحول الموقف كلياً يوم الخامس من نيسان حين نجحت ثلاثة أرتال من القوات الأميركية في عبور نهر الفرات وتقدمت تحت قصف جوي مكثف خلال الليل في اتجاه منطقة الرضوانية القريبة من المطار حيث اكبر سجون العراق واكبر ميادين الاعدام بالرصاص.

انتقل صدام من مخبأ حي الشرطة إلى مخبأ القسم الاداري لجامع «أم الطبول» الذي أعدَّ قبل الحرب وزوّد كيبل أرضي للاتصالات مع القوات المكلفة الدفاع عن المطار. أنباء قتل علي المجيد (علي الكيماوي) قائد المنطقة الجنوبية لم تتأكد بعد. لا أنباء من عزت الدوري قائد المنطقة الشمالية. قصي يتنقل مع والده باعتباره قائد منطقة بغداد فيما وزير الدفاع لا يخطط للحرب ولا يقود المعارك وتتفاقم خلافاته الصامتة مع قائده العسكري قصي صدام حسين. هل كان العقيد من الحرس الجمهوري متأثراً طوال

الحرب بأن استاذه في الاكاديمية العسكرية الفريق سلطان هاشم كان بمثابة جندي مطيع لدى «مارشال» وهمي اسمه قصي ابن الرئيس؟ «نعم. كان حديثه مشوباً بالمرارة وهو يخبرنا عن ذلك وكأنه يؤكد ان احد اسباب الانهيار العسكري هو عدم احترام الضباط لقائد وهمي نصبه والده قائداً لهم».

ويروي احد الضباط ان نقاشاً حاداً دار بين وزير الدفاع وقصي في جامع «أم الطبول» حول الوضع في المطار حيث كان وزير الدفاع يرى ان شن هجوم الآن على رتل واحد سيكون ناجحاً فيما رأى «قائده العسكري» قصي انه يجب ترك الاميركيين يتجمعون ثم الهجوم عليهم لإحداث خسارة بشرية كبيرة تغير مجريات الحرب اعلامياً وتكون ذات تأثير كبير. ولما اشتد النقاش حسم صدام الأمر لمصلحة «الرؤية العسكرية» لولده.

لم تواجه الأرتال الأميركية المتقدمة اي مقاومة في المطار على رغم ان افضل وحدات الحرس الجمهوري كانت مكلفة الدفاع عنه. تشتتت خطوط الدفاع وترك المدافعون اماكنهم تحت القصف الكثيف. وانهارت خطة الدفاع كأنها «دفاعات من ورق» بحسب تعبير معد خيرالله. غير ان مقاومة ضعيفة من جانب «فدائيي صدام» كانت تندلع بين وقت وآخر.

وصلت الأرتال الثلاثة إلى المطار قبيل منتصف النهار على رغم ان الحرس الجمهوري الخاص كان تحت امرة صدام المباشرة من موقعه في جامع «أم الطبول».

كان صدام يختصر الحرب وفنونها وتاريخها وأكاديمياتها وأسلحتها العلمية المتطورة بأسلوب المفاجآت البدائية. وخرج محمد سعيد الصحاف بتهديده الشهير بأن «الليلة ستحمل مفاجأة غير معتادة لهؤلاء المرتزقة». ظل العالم ينتظر المفاجأة. . . لكن من دون جدوى.

في مخبئه في جامع «أم الطبول» كان صدام يتلقى معلومات متضاربة عن الوضع في المطار الذي لا يبعد سوى ثمانية كيلومترات. كان يأمر الحرس الخاص بالدفاع حتى الموت. غير ان القصف الرهيب دفع باللواء سيف الدين الراوي إلى سحب لوائه إلى حي الجهاد القريب من المطار. وحين علم صدام بذلك، امر بالقبض على الراوي واعدمه في الجامع ودفنه في حديقته. وأبلغت جميع الألوية القريبة بأمر الاعدام وان اي تراجع سيعني الاعدام. هذا الأمر شجع الألوية على الصمود طوال يوم الخامس من نيسان وكانت أرقام الضحايا بالآلاف.

نجح رتل اميركي في اختراق خطوط الدفاع ووصل إلى قاعة كبار الزوار. صدام، الذي كان وحده يقرر كل شيء، امر بالانسحاب إلى الشمال والشمال الشرقي للمطار فيما كانت القوات الأميركية تحتل الأماكن الأخرى في المطار. وقبل غروب ذلك اليوم كان الأميركيون يسيطرون على معظم الأماكن جنوب وجنوب غربي المطار بعدما قتلوا الآلاف من جنود الحرس الجمهوري.

أعاد يوم السادس من نيسان بعض الأمل لصدام حسين، اذ اطلقت صواريخ ارض - ارض من معسكر التاجي شمال بغداد على المطار وشنت مدفعية الحرس الخاص قصفاً مركزاً الأمر الذي أجبر الأميركيين على التراجع من بعض الأماكن، لكنهم ظلوا يحتفظون بمعظم الجهات الجنوبية الغربية من المطار، فاعتقد صدام ان المعركة انتهت لمصلحته وأمر وزير إعلامه باعلان ذلك ومرافقة الصحافيين إلى المناطق المحررة من المطار. غير ان موجة قصف جوي جديدة هزت حتى وسط العاصمة وجعلت الجنود والضباط يفرون من مواقعهم عشوائياً فيما تلقى صدام معلومات أكيدة بأن الدبابات الأميركية تتقدم في حي العامرية وسط الطريق بين المطار وجامع «أم الطبول»، الأمر الذي سرعان ما تأكد منه عندما سمع هدير محركاتها وهي تعبر الشارع المقابل للجامع.

عندها بدأت امارات الإنهيار وعلامات النهاية تلوح في وجوه أقرب مرافقي صدام. وتحول الواقع إلى رعب ونحن نشاهد بأم اعيننا الدبابات الأميركية تتنقل في الشوارع القريبة منا وتخترق مواقع الفوج الأول التابع للحرس الخاص الخالي من المدفعية وتصل إلى مجمع دجلة الرئاسي الذي قصفته المروحيات.

يسرد العقيد علي كيف ان عيون الضباط كانت «تتبادل الحديث» اثر كل اجتماع مع صدام حسين. «كانت العيون تلتقي لتؤكد اننا ماضون إلى كارثة». حضر العقيد علي واحداً من الاجتماعات العسكرية مع صدام بعدما كان يرى مثل هذه الاجتماعات على شاشة التلفزيون. وباعتباره ضابطاً في سلاح الجو فان قائد سلاح الجو من طيران ومضادات ارضية وصواريخ ورادار كان حاضراً في الاجتماع ايضاً. طلب صدام ان يتم تطوير صواريخ جو- ارض يملك العراق عدداً هائلاً منها إلى صواريخ ارض - جو. كان الطلب غريباً وشبه مستحيل كالعديد من طلبات صدام. قائد سلاح الجو قطع احتمال اي سؤال بأن قال: «امرك سيدي. سنفعل ذلك». وانفض الاجتماع.

ذهب الضباط إلى معسكر التاجي شمال بغداد. طوروا الصواريخ وكانت نتيجة

التجربة الأولى مذهلة: انفجر الصاروخ في قاعدته وقتل ١٢ عسكرياً. اعيدت التجربة بعد ايام وكانت النتيجة «مرضية»: انطلق الصاروخ من منصة اطلاقه وارتفع امتاراً عدة تم تصويره فيها قبل ان يسقط على بعد ١٠٠ متر فوق مبنى لسكن الجنود الذين كانوا لحسن حظهم في ساحة التدريب البعيدة. ذهب قائد سلاح الجو بالشريط المصور إلى صدام الذي اطمأن لامتلاكه صواريخ جديدة ارض - جو مطورة عراقياً. ووزعت الصواريخ على فدائيي صدام وليس على الجيش النظامي.

على بعد ٦٠ كيلومتراً من التاجي حدثت ليلة الصواريخ الرهيبة في حي السيدية في جنوب غربي بغداد. عراقيون كثيرون يروون ذلك. نصب «فدائيو صدام» قواعد اطلاق الصواريخ بين البيوت في الأيام الأولى للحرب، وفي الليلة المشهودة بدأوا اطلاقها ضد الطائرات الأميركية. لكن الصواريخ كانت تنطلق بضعة أمتار إلى الأعلى لتسقط عشوائياً فوق البيوت. لم يرتعب السكان من الطائرت الأميركية بقدر ما ارتعبوا من الصواريخ التي اخذت تهطل عليهم كالمطر وهم يختبئون تحت السلالم وبين الجدران.

الشك دائماً يقود صدام. الشك قاد صدام في صعوده وقاده في انحداره وسقوطه. في احد الاجتماعات أقنعه عبد التواب ملا حويش وزير التصنيع العسكري (وبحسب احدى الاشاعات فإن صعود حويش قام على زواج صدام سراً من ابنته) بشراء منظومة دفاعات صينية لنشرهاحول مدينة بغداد بقيمة بليوني دولار. وعلى رغم تقارير المختصين العراقيين بعدم جدواها وانها ستضرب في اليوم الأول فإن المنظومة وصلت بربع المبلغ وتبخر الباقي من دون ان يعرف احد كيف. نصبت الصواريخ في شمال بغداد وشدد الصينيون على عدم نقلها أو تغيير مكانها. لكن صدام شكك كعادته وأمر بنقل المنظومة إلى مكان آخر. ففي ذهنه لابد ان الصينيين سيخبرون الأميركيين مقابل شيء ما. هكذا لم تعمل المنظومة ودمرت في اليوم الأول بعد اكتشافها بسرعة.

والصحاف ينفي في الوقت نفسه وجود قوات أميركية في العاصمة العراقية يكرر صدام مايحب ان يتكرر دائماً. غاب عن الميدان كما كان يفعل من قبل وجعل صوره تقوم مقامه لتثبت وجوده. لم يستخدم قائد عسكري أو سياسي أو حاكم أو ممثل الصورة بالحجم الذي استخدمها صدام به. ولم يستخدم احد الرموز للقيام بالفعل المادي مثلما استخدمهاصدام. لم يستعمل كلمة البندقية أو المدفع وانما استخدم رمز السيف. لم يستخدم الشجاعة أو الرجولة وانما استخدم رمز الشوارب. لم يستعمل مفردة المحارب

وانما رمز الفارس. فالحصان في فكره لا يزال يحتل مكان الدبابة. . . وهكذا كان يرسل صورته إلى التلفزيون لبثها. كان هذا كافياً لإدارة الدولة والجيش والأمن والمخابرات و... الحرب.

كان صدام يعرف ان كل شيء انتهى وانه يخوض معركته الأخيرة، لذلك تبقت له نفسه التي انشغل بانقاذها. الأميركيون يكادون يحكمون الطوق عليه من دون ان يعرفوا. صدرت أوامره لمن تبقى معه وتم التحرك من أم الطبول في مجموعات صغيرة إلى مقر بديل عبارة عن مخبأ في حي الحارثية قرب القصور الرئاسية ومدرسة الإعداد الحزبي حيث لم تكن الدبابات الأميركية وصلت بعد. يقول خير الله: «تم تأمين المخبأ، فذهب احدنا لإخبار صدام بذلك. بعد ساعة وصل عبد حمود أولاً. وبعد ٥٠ دقيقة وصل صدام مع ابنه قصي. وبعد الجميع وصل المرافق أسعد ياسين. أما بقية اعضاء القيادة فتفرقوا. سرحهم صدام في ساعات حربه الأخيرة. لم تعد هناك حرب، هناك حرب انقاذ النفس وسيصبح الآخرون عبئاً وفرصة للكشف».

حتى أفراد الحماية أصبحوا يتحركون فُرادى وبملابس مدنية، فالخوف أصبح سيد الموقف. بعد خمس ساعات صدرت أوامر بالتحرك تحت الظلام إلى مبنى «الإخوان المسلمين» خلف ملعب الادارة المحلية القريب الذي أعد كمخبأ بديل قبيل الحرب. ذهب المرافق معد خير الله فوجد ابن اخته عدي صدام حسين قابعاً هناك مع مرافق واحد في حين كان عدي يتحرك في الأوقات الأخرى مع ١٦ مرافقاً. يضيف معد: «وصل قصي بعد ربع ساعة. بعده وصل صدام مع عبد حمود واسعد ياسين في سيارة باسات حمراء اللون صنع البرازيل. غادر عدي في الساعة الحادية عشرة ليلاً مع مرافقه احمد الفهد. كان الوضع رهيباً ولم نعرف تطورات الوضع في المطار. من جهة أخرى كنا نسمع كل دقيقة خبراً يزيد خوفنا ويأسنا خصوصاً اننا لم ننم طوال ٢٤ ساعة. صباح يوم السابع من نيسان، صدرت الأوامر بالتوجه إلى حي دراغ القريب من موقع مبيتنا. ثم جاءت أوامر أخرى بالتوجه وتأمين مخبأ يعود للمخابرات في منطقة المنصور في حي الداودي خلف شارع ١٤ رمضان كان أُعد كمقر بديل لصدام. هناك كانت حركتنا شبه مكشوفة، فالناس لا يزالون يسكنون في بيوتهم، والبيت كان أرشيفاً للإستخبارات. ومما زاد قلقنا ان حركة الناس اخذت تشي بأنهم يعرفون ان شخصاً مهماً حضر، اذ كانوا خائفين. ساعة واحدة فقط ظل صدام في هذا البيت، ثم غادره في سيارة

«اولدزموبيل» بيضاء في اتجاه حي الخضراء على بعد كيلومترين فقط في بيت صودر من أحد التجار الأكراد. بعدها قصفت الطائرات الأميركية البيت واعتقد الأميركيون ان صدام قتل. بعد ساعتين توجه صدام إلى حي الاسكان، ثم حي علي الصالح، ثم عبرنا الجسر إلى حي الأعظمية قرب مرقد الإمام الأعظم أبو حنيفة. رأى الناس صدام حسين وبدأوا بالتجمع حول سيارته. كان مصور الرئيس معه فأمره بتصوير المشهد وارساله إلى محطات التلفزيون العربية ليؤكد انه لا يزال على قيد الحياة. وبعد ان دخل صدام إلى الجامع شعرنا بالخطر القريب، فأمر بالتوجه إلى منطقة السفينة القريبة وهي منطقة قديمة وضيقة قرب المقبرة الملكية. ووصل بعدنا مع قصي».

هنا تذكر صدام ان عليه ان يكون حياً بالصوت على الأقل. في السابعة مساء ذهب مع مرافقه عبد حمود إلى استوديو حكمت القريب في منطقة الكسرة قرب دجلة وسجل الشريط الذي سيبث بعد سقوط بغداد. وربما من هذا الاستديو حمل صدام مسجلاً صغيراً للصوت مع بضعة اشرطة. عاد صدام وبعد ساعتين صدر أمر بالتحرك نحو منطقة سبع أبكار على مشارف بغداد الشمالية، و«هناك أمضى مع مرافقيه سبع ساعات في منطقة البساتين الكثيفة. في اليوم التالي تحرك إلى منطقة بساتين كثيفة أخرى قرب حي الصليخ شمال بغداد قرب الطريق إلى تكريت. وسط البساتين كان هناك مخبأ أعد كمقر بديل. وقضوا الليلة هناك.

كان صدام يشاهد التلفزيون اينما حل ويتابع الأحداث. هناك شاهد سقوط بغداد، وجاءت الأوامر لأفراد حماية الخط الثاني بالذهاب إلى بيوتهم أو حيث يشاؤون فيما واصل صدام طريق هروبه الكبير تاركاً بغداد تسقط من دون دفاعات أو حماية. . . لينتهي الأمر بعد سبعة شهور بالعثور عليه في ذلك الجحر الذي لا يساوي واحداً في البليون من مساحة الوطن المحتل»[1].

---

(١) أنظر نبيل ياسين، الحياة ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤، (بتصرف).

القصة الحقيقية لسقوط بغداد

خيانة الفريق ماهر سفيان التكريتي

قصة الخيانة التي قادها الفريق الركن ماهر سفيان التكريتي قائد الحرس الجمهوري الخاص وابن خالة الرئيس العراقي صدام حسين وآخرون في مقدمتهم الفريق حسين رشيد التكريتي سكرتير القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية، وهي الخيانة التي أدت لسقوط بغداد في أيدي القوات الأمريكية الغازية بدون قتال، بالإضافة إلى ما أوردناه سابقاً من سوء قيادة صدام للمعركة، تأتي هذه الخيانة لتكشف النقاب عن مدى الكارثة التي أسهمت بعملية السقوط المدوّي لبغداد.

في الوقت الذي نجح الأمريكيون في استمالة الفريق ماهر سفيان التكريتي قائد قوات الحرس الجمهوري الخاص، والذي كشف لهم خطة الدفاع عن بغداد، والتي كانت تقضي بالدفاع عن العاصمة بمسافة تبعد ٢٥ كيلو مترا من مركزها، حيث تمكن العراقيون من تشييد سبعة خطوط دفاعية في مناطق الحقول الزراعية المحيطة ببغداد، كان الفاصل بين كل خط دفاعي والآخر نحو ألفين وخمسمائة متر، وهي عبارة عن براميل من النفط الخام ومادة تي. إن. تي، ومتفجرات أخرى وضعت بعمق خمسة مترات، وتحيط ببغداد من كافة الاتجاهات، حيث تضمنت الخطة ربط كافة هذه الخطوط الدفاعية بكنترول مركزي.

ومن ضمن الخطايا التي ارتكبها جراء خيانته للأمريكيين هي سحب قطاعات الحرس الجمهوري الموجودة على محوري «الحلة بابل» وطريق «بغداد الكوت» والزج بها في معركة مطار بغداد الدولي، والقطاعات التي تم سحبها تعد نخبة الحرس الجمهوري الخاص، وهي قوات المدينة المنورة وقوات نبوخذ نصر وقوات الفاروق..

كما ألزموه وفقا للخطة المتفق عليها بأن يصدر تعليماته بصرف عناصر القوات إلى بيوتها، وترك أسلحتها الثقيلة منها خاصة في مواقعها.

هذا ما أكدته وكالة الأنباء الفرنسية في ٢٦ مايو حين نسبت إلى مسؤولين سابقين في النظام العراقي يعيشون حالياً في المنفى أن صدام حسين تعرض لخيانة من قبل ثلاثة ضباط كبارمن أولاد عمومته ووزير في حكومته سهلت سقوط بغداد، وقالت نسبة إلى أحد هؤلاء المسؤولين السابقين، والذي طلب عدم الكشف عن هويته ان قائد الحرس الجمهوري ماهر سفيان التكريتي الذي كان يعتبر «ظل» صدام حسين أعطى الأوامر إلى القوات العراقية بعدم القتال لدي دخول القوات الأمريكية إلى بغداد في الثامن من إبريل.

أما صحيفة «الوجورنال دو ديمانش» الفرنسية الأسبوعية فقد نشرت نتائج تحقيق جاء فيه أن صدام حسين تعرض للخيانة من قريبه ماهر سفيان التكريتي، الذي أمر قواته بعدم الدفاع عن بغداد إثر اتفاق عقده مع الأمريكيين، وقد أعلنت القوات الأمريكية في ٨ ابريل، عشية سقوط بغداد، وبعد الاستيلاء على مطارها عن موت ماهر سفيان التكريتي في الوقت الذي نقلت فيه الصحيفة عن مصدر عراقي أنه بمقتضى هذا الاتفاق الذي اجراه ماهر سفيان قبل عام مع الأمريكيين ويقضي بعدم اشتراك (١٠٠) ألف عسكري من الحرس الجمهوري في القتال، فقد تم نقله مع عائلته سراً في ٨ ابريل على متن طائرة أمريكية سي ١٣٠ إلى قاعدة أمريكية، وأن إعلان نبأ موته كان فقط بهدف التمويه، وسنعود لقصة خيانة ماهر سفيان بالتفصيل لاحقاً.

خيانة حسين رشيد

لم تكن خيانة ماهر سفيان التكريتي هي الفصل الوحيد لقصة الخيانة.. بل كان للقصة فصول أخرى تطابقت تماماً مع ما نشرته الوكالات والصحف العالمية.

والثابت أن الفريق أول حسين رشيد التكريتي[١] سكرتير القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية شارك الفريق ماهر خيانته، حيث مكن بالدور الخياني الذي لعبه القوات الأمريكية من الدخول إلى منطقة «الدورة» انطلاقاً من منطقة «هور رجب»، فيما كان ضابط الارتباط الذي شارك في تنفيذ هذا الاتفاق هو ابنه الرائد علي حسين رشيد

(١) مَثُلَ حسين رشيد التكريتي مع صدام حسين أمام المحكمة العراقية بقضية الأنفال، وحكم عليه بالإعدام.

التكريتي السكرتير الشخصي لقصي صدام حسين نجل الرئيس العراقي، حيث قيل أنه تمت مكافأتهما بمبلغ ٥ ملايين دولار.

وكشفت الأحداث أن الفريق حسين رشيد التكريتي لعب الدور الأساسي في إصدار التعليمات للقوات المسلحة العراقية بمغادرة مواقعها، استنادا إلى قرارات تم تزويرها ونسبتها لوزير الدفاع سلطان هاشم أحمد.. أما نجله «الرائد علي» فقد قدم معلومات على جانب كبير من الخطورة فيما يخص «خطة تأمين بغداد» والتي كان قصي صدام حسين هو المشرف على تنفيذها.

وهذا ما نشرته الصحافة العالمية استناداً إلى وكالة الأنباء الفرنسية وأسبوعية «الوجورنال دوديمانش» فقد أكدت الوكالة الفرنسية أن الأمر الشفهي الذي أصدره الفريق ماهر سفيان التكريتي للقوات العراقية بعدم القتال أكده رئيس جهاز المخابرات طاهر جليل الحبوش التكريتي، والمسؤول العسكري حسين رشيد التكريتي الذي كان ابنه مديراً لمكتب «قصي» الإبن الأصغر للرئيس العراقي الذي كان يقود الحرس الجمهوري.

أما صحيفة «الوجورنال دو ديمانش» فقد تحدثت عما وصفته بخروقات أخرى قام بها مسؤولون عراقيون، بينهم قريب آخر لصدام حسين هو حسين رشيد التكريتي الذي كان يطلع الأمريكيين على تحركات الجيش العراقي، وتحركات قائد قوات فدائيي صدام.

خيانات لا تنتهي

ومسلسل الخيانة لا يقف عند كبار الضباط فهناك خيانة الضابط «النقيب عدنان يوسف حسن» الذي كان يتولى حماية بعض الأماكن الخاصة والبديلة للرئيس العراقي، والذي كان يتنقل بينها ويعقد فيها اجتماعاته بعيداً عن المواقع المعروفة. حيث أشارت الشكوك التي رصدتها الأجهزة الأمنية حول ولاء هذا الضابط، فراحت تتبعه وترصد تحركاته، ثم ما لبثت أن توصلت إلى بعض المعلومات التي تشير إلى احتمال عمالته للاستخبارات الأمريكية.

وعندما رفعت هذه المعلومات لصدام حسين حاول التأكد بنفسه من هذه الشكوك.. فأوحى لبعض المقربين كي يبلغوه بأن هناك اجتماعاً سرياً للقيادة العراقية

سوف يعقد في مطعم الساعة الذي يمتلكه مواطن مصري يدعى «أبو وليد» وهو صديق شخصي لنجل الرئيس العراقي «عدي».. كان الاسم الرمزي لمطعم الساعة هو «أبوجعفر المنصور».. فذكر أمام الضابط الخائن أمراً بشأن تهيئة «أبوجعفر المنصور» وذلك يوم السابع من ابريل.

وبالفعل جاء صدام في الموعد المحدد، وبصحبته نجله قصي بسيارة تاكسي من نوع «نيسان» وبعض الحراس من خلفه في سيارة أخرى.. على الفور دخل صدام ونجله وبعض الحرس الخاص من الباب الأمامي.. ثم خرجوا على الفور من الباب الخلفي.. وما هي إلا بضع دقائق حتى كان المطعم والمنطقة المحيطة به تقصف بقنابل زنة ١٠٠٠ رطل للقنبلة الواحدة.

هنا تأكد صدام من عمالة «النقيب عدنان يوسف حسن» للأمريكيين، فأمر بتفتيشه حيث عثر معه على التليفون المحمول «الثريا» المربوط مباشرة بالأقمار الصناعية.. وعندما تمت مواجهته اعترف الضابط بعمالته فتم اعدامه على الفور رمياً بالرصاص.

صدام يؤكد الخيانة

وكالة الأنباء الفرنسية أكدت هذه المعلومات حيث أشارت إلى الزيارة التي قام بها صدام حسين في الثامن من ابريل إلى حي الأعظمية مع ابنه قصي، حيث كان في استقبالهما حشد كبير، وقال احد المسؤولين العراقيين نقلاً عن أشخاص كانوا موجودين في الأعظمية «ذكر صدام حسين خلال زيارته أنه تعرض للخيانة،في اشارة إلى غارتين أمريكيتين استهدفتاه».. وأضاف ان صدام كان يعرف انه تعرض للخيانة، وأن معلومات حول مكان وجوده تم تسريبها إلى الأمريكيين خلال القصف الذي استهدفه ليلة ١٩/ ٢٠ من مارس.

وتابع «ان الرئيس العراقي أمر بإخضاع الفريق المكلف بضمان أمنه الشخصي، وكان من القلة التي تعرف بتحركاته لمراقبة أشد».

وقال مصدر آخر «إن صدام حسين قام بعد ذلك بزيارة له إلى المنصور في السابع من ابريل.. وبحسب عادته استقل سيارة أجرة، وتبعه حرسه، وقصد مطعماً في الحي.. وبينما كان حراسه يعتقدون انه في داخل المطعم خرج من بابه الخلفي، وقد قصف الحي بعد ذلك بقليل، ونجا صدام من القصف.

وتابع المصدر نفسه.. ان صدام حسين الذي لم يعد في حاجة إلى براهين أمر باعدام هؤلاء الضباط المعروف عنهم أنهم من أوفى الأوفياء للرئيس العراقي.

أما أسبوعية «لوجورنال دود يمانش» فقد أشارت إلى ضابط في القصر الجمهوري سلم معلومات عن مكان وجود صدام حسين ليلة ١٩/ ٢٠ مارس، تاريخ اندلاع الحرب على العراق و٧ ابريل في حي المنصور.. وقد قام الأمريكيون في التاريخين المذكورين بقصف المكانين المحددين، إلا أن الرئيس العراقي نجا من الموت، وتمت تصفية هذا الضابط.

الصحاف.. والمفاجأة

عندما أعلن محمد سعيد الصحاف بقاء المراسلين في فندق الميرونات ليلاً وذلك لإعلان أمر هام إذا بالمراسلين والساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلاً يتفاجأون بتواجد وزير الدفاع العراقي سلطان هاشم أحمد أثناء تولي الصحاف إدارة المؤتمر الصحفي الذي استمر إلى الواحدة بعد منتصف الليل عندها قام وزير الدفاع بمنع المراسلين الذهاب إلى منازلهم في تلك الليلة الشديدة القصف (٣١ آذار ٢٠٠٣).

هاشم سلطان يعلن

قال وزير الدفاع بالحرف الواحد «نحن نتوقع ان يكون الأمريكان على أسوار بغداد بين ٤- إلى ١٠أيام ذُهل المراسلون.. وأنبرى مراسل «الرياض» الذي كان حاضراً المؤتمر الصحفي لوزير الدفاع العراقي ليسأل الوزير: هل قولكم عن الأمريكان على حدود بغداد بين ٤- ١٠أيام هل هو افتراض أم حقيقة؟!

فأجاب الوزير على السؤال بثقة مطلقة: في العلم العسكري ليست هناك افتراضات بل هناك حقائق؟؟

ويذهل الصحفيون للتصريح وتفرغ بغداد في اليوم التالي من أهاليها لدى سماعهم تصريح وزير الدفاع فما هي الخطة: وتفرغ بغداد من سكانها وكان هذا هو مخطط صدام لاستدراج الأمريكان وكان كما يبدو يستعجل الحسم ويطلق على معركته «الحواسم» وكان مخطط صدام لافراغ بغداد دون ان يأمر السكان بالإخلاء وبدون ضجيج.

خطة صدام لإستدراج الأمريكان

ما هو مخطط صدام حسين لاستدراج الأمريكيين إلى تخوم بغداد؟

علماً بأن صدام قد هدد في (خطاب سابق) الأمريكان بيوم أسود متوعداً ما أسماه «مغول العصر» بالانتحار على أسوار بغداد ولم يقل صدام على أبواب العراق وماذا يعني بأسوار بغداد؟؟

فتساءل الجميع.. هل يمتلك صدام خطة حقيقية للمقاومة أم أنه أعد مفاجأة مذهلة للقوات الأمريكية؟! وبدأ القلق يستبد بالأمريكان جراء هذه التصريحات وشغفهم بمعرفة ما يجري وما تخفيه وراءها؟؟ وكانت خطة صدام لتدمير الجيش الأمريكي إذا ماوصلوا أسوار بغداد وهي خطة ذكية أوصى بها صدام لوزير دفاعه في تسريب خبر يضم مفاجآت مذهلة فقد اعتمدت تلك الخطة على الدفاع عن بغداد ومحيطها بمسافة ٢٥كم عن مركز العاصمة العراقية حيث تمكن العراق من تشييد سبعة خطوط دفاعية في مناطق الحقول الزراعية المحيطة ببغداد وان الفاصل بين كل خط دفاعي وآخر (٢٥٠٠) متراً هي عبارة عن براميل في النفط الخام ومادة TNT تي. إن. تي ومتفجرات شديدة أخرى وضعت بعمق ٥ أمتار تحت سطح الأرض تحيط ببغداد في كافة الاتجاهات حيث تضمنت الخطة ربط كافة هذه الخطوط الدفاعية «بكنترول مركزي» وكانت الخطة المصيدة «كانت تقضي باستدراج الأمريكيين للوصول إلى المنطقة المحيطة ببغداد وبانتظار تمركزهم وآلياتهم ثم يجري تفجير الخطوط الدفاعية من خلال الكنترول المركزي حيث تتحول المنطقة إلى جحيم وتوقع هذه الخطة أعداداً هائلة في القتلى الأمريكان قدرت ب ٢٥- ٣٠ ألف قتيل.

وهنا كانت المخابرات الأمريكية قد اخترقت ماهر سفيان التكريتي وضمته إلى صفوفها وكان عصب السيطرة على قوات الحرس الجمهوري المعول عليها كل شيء ولوح صدام بتهديد الأمريكان بها، وقد وصلت المعلومات من ماهر سفيان التكريتي ابن خالة صدام ويده اليمنى ومستشاره الخاص الذي كان بداية الخيانة الفريق أول الركن ماهر سفيان عبر وسيط ثالث، وكان السيناريو المحكم قد تحطم بفعل ماهر سفيان التكريتي كل شيء وصدام لا يدري ما يحاك حوله وهو ينتظر وصول الأمريكان إلى تخوم بغداد. فإذا بماهر سفيان معتمد صدام يصبح أكبر خائن الجديد ليفجع

العراقيين والعرب باحتلال بغداد، ويسلمهم مفاتيح بغداد وتأتي طائرة أمريكية تقله وعائلته إلى الولايات المتحدة مع تسجيل رصيد له في أحد البنوك الأمريكية بـ ٢٥مليون دولار.

وقد نفذ للأمريكان ما يلي:

خيانات ماهر سفيان

١ ـ سحب قوات الحرس الجمهوري الموجودة على محوري الحلة بابل طريق بغداد الكوت والزج بها في معركة مفتعلة أسموها معركة مطار بغداد الدولي والقصعات التي تم سحبها تعد نخبة الحرس الجمهوري الخاص وهو قوات «المدينة المنورة وقوات نبوخذ نصر وقوات الفاروق.

٢ ـ تقديم خريطة كاملة بالخطوط الدفاعية السبعة حول بغداد والعمل لإبطال مفعولها وتخريب «الكونترول المركزي» المعد للتفجير.

أصدر الفريق الركن ماهر سفيان أمراً بصرف عناصر القوات إلى بيوتها وترك الأسلحة الثقيلة منها خاصة في مواقعها القتالية وفي هذه الأثناء كانت وكالات الأنباء تذيع أنباء عمليات الإنزال للقوات الأمريكية بجوار مطار بغداد الدولي وبالتحديد منطقة أبو غريب التي تجاور إحدى المناطق السكنية وأخرى مكشوفة وإلى جوارها مانع مائي صعب يصعب اختراقه يسمى «ذراع دجلة» وبالقرب من تلك المناطق توجد معسكرات «مجاهدي خلق» والتي يتحمل صدام مسؤولية استضافتها (سنين) طويلة والقريبة من مطار بغداد ليعقدوا «صفقة مع الأمريكان» وينسحبوا إلى داخل بغداد إلى نادي الفارس العربي بعد أن سلموا معسكراتهم للقوات الأمريكية في حلقة خيانة جديدة مساعدة تمت كما تقول المصادر العسكرية في يوم ٦/ ٤/ ٢٠٠٣ عندما أعلنت القوات الأمريكية انها استطاعت الوصول إلى مطار بغداد.

معركة المطار

وعند المطار توجد قرية «الرضوانية» التي تضم عدداً من القصور الرئاسية والتي يتواجد بالقرب منها لواءان عراقيان مجهزان بأحدث أنواع الأسلحة ومهمتهما توفير الحماية وهما بأمرة اللواء الركن محمد مصطفى عزيز الذي أدرك بحدسه العسكري وعبر إطلاعه على حركة «مجاهدي خلق» أن هناك «خيانة واضحة» قد وقعت فعلاً،

فحاول على الفور الاتصال بقيادته ولم يتلق جواباً وتصرف كقائد تلقائياً بعد أن قدر خطورة الموقف فحرك قواته وافتعل برقية حرك بها القوات تحمل الرقم «٧٦أ» وحدد ساعة الشروع أو التحرك ٧,٣٥مساءً وحملت البرقية توقيع صدام حسين، ثم سرعان ما بعث بها إلى آمر اللواء الثاني، بمقتضى ذلك الأمر تحركت قوات اللواءين وقامت بعملية التفاف عكسية خلف المنطقة المكشوفة بالقرب من المطار وهي منطقة بساتين وبدأت تلك القوات بمعركة عنيفة ضد القوات الأمريكية في الساعة ٨,٤٥ في مساء ذلك اليوم تكبد فيها الأمريكان خسائر فادحة بلغت أكثر من ٦٠٠ قتيل ويمثله من الجرحى، وخسرت القوات العراقية ١٥٠٠قتيل من الضباط والجنود العراقيين، ووقع قائد اللواء العراقي اللواء محمد مصطفى عزيز في أسر القوات الأمريكية، وكانت واحدة من اخطر المعارك التي واجهت الأمريكان فوق الأرض العراقية.

من هو ماهر سفيان؟

ابن خالة الرئيس العراقي وموضع ثقته ومستودع أسراره، تحمّل مسؤولية الحفاظ على أمنه الشخصي بجدية وكفاءة ومثابرة على مدى سنوات طويلة، وبحكم موقعه المقرب منه، كان معنياً بنقل تعليماته إلى كافة الجهات العسكرية والمخابراتية العراقية، وكلها من فئة سري جدا.

باختصار..

كان الفريق ماهر سفيان أحد العراقيين القلائل الذين يعرفون كل شيء! وقد تمكن الأمريكيون من الوصول إليه وشرائه.

فقد كانوا في الحقيقة متوغلين في قلب وعقل القرار العسكري والسياسي العراقي، وقد أتى هذا التوغل بثماره في المرحلة الحاسمة من الحرب بل ويمكن القول: أنه حسم نتيجتها من قبل أن تبدأ!

وللتأكيد على ذلك نورد هذه المقابلة التلفزيونية مع السفير الروسي في بغداد:

١٦ أبريل - موسكو- تليفزيوني (PTI) و(NTV)

شرح اليوم السفير الروسي في العراق فلاديمير تيتيرين لدى عودته من بغداد إلى موسكو، أسباب انهيار المقاومة العراقية، و سقوط بغداد بدون قتال قائلاً: أنه متأكد

من أن الجنرالات العراقيين عقدوا اتفاقاً سرياً مع واشنطن للامتناع عن المقاومة، مقابل الإبقاء على حياتهم.

وتأييداً لذلك نشرت جريدة لوموند الفرنسية في عددها الصادر في ١٨ أبريل عن مراسلها في بغداد عن مصادر لم يذكر أسماءها :

أنّ الفريق ماهر سفيان قائد الحرس الجمهوريّ عقد اتّفاقاً سرياً مع القوّات الأمريكيّة على أن يصدر أوامره لكلّ أفراد قوّاته بالكف عن المقاومة، وإلقاء أسلحتهم، والذهاب إلى بيوتهم، وذلك مقابل الحفاظ على حياته، ومكافئة مالية ضخمة.

وبعد ذلك بقليل، أقلعت به مروحيّة أباتشي أمريكية من معسكر الرشيد، شرق بغداد إلى مكان مجهول.

واستدلت هذه المصادر على صدق معلوماتها، بأن ماهر سفيان لم يرد اسمه ضمن قائمة كبار قادة نظام صدام حسين المطلوب القبض عليهم التي طبعتها السلطات الأمريكية على كروت الكوتشينة !

ملحوظة

لم ترد أيضاً أسماء : محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام، وناجي صبري وزير الخارجيّة، ومدحت أوميد وزير الصّحّة.

وهنا يبرز سؤالان :

١ ـ كيف نجح الأمريكيون في الوصول إلى ماهر سفيان وتجنيده؟

٢ ـ هل كان ماهر سفيان هو الخائن الوحيد ؟

كيف نجح الأمريكيون في الوصول إلى ماهر سفيان؟

جند الأمريكيون ماهر سفيان من خلال اتصالات أجراها معه عدد من الضباط الهاربين كانت لديهم معرفة وثيقة به، وكان الوسيط شخصية عراقية مقربة جداً إليه.

وقد استخدموا معه أساليب الترغيب والتهديد معاً :

١ ـ فقد أغروه أولاً بما لا قبل له بمقاومته، فعرضوا عليه مبلغ ٢٥ مليون دولار تودع في حساب خاص به بالولايات المتحدة.

٢ ـ وأوحوا إليه بأنه قد يكون رجل العراق القادم.

٣ ـ كما هددوه بقوة من عاقبة الرفض أو التردد، باستخدام كافة وسائل الترهيب النفسي والجسدي، فأقنعوه أن معركة بغداد خاسرة، وأن صدام حسين محكوم عليه بالانتهاء، وأن بغداد محكوم عليه بالفناء فهم لن يترددوا في ضربها بالقنابل النووية التكتيكية إذا ما استعصت على السقوط.

٤ ـ ثم طمأنوه بأن «خيانته» ستبقى في طي الكتمان ولن يعلم بها أحد.

٥ ـ وأنه وعائلته سينقلون فوراً إلى الولايات المتحدة مع أول دخول للقوات الأمريكية إلى داخل بغداد، وقبل أن يكتشف أحد «صفقة الخيانة»

هل كان سفيان الخائن الوحيد ؟

من المهم أن ندرك أن ماهر سفيان لم يكن هو الخائن الوحيد في صفوف القيادة العراقية، بل شاركه آخرون كثيرون، مازالت أسماؤهم في طي الكتمان.

عربون الخيانة

قبيل وقوع الغزو بأسابيع هدد صدام حسين من وصفهم بمغول العصر بالانتحار على أسوار بغداد؟

وكان أكثر ما شغل بال الأمريكيين في الأيام التالية هو البحث عن إجابة للسؤال المحيّر:

ما سر هذه الثقة التي تحدث بها صدام حسين؟

وماذا قصد بقوله أسوار بغداد؟

ولماذا لم يقل «على أبواب العراق» ؟

وقد وجدوا الإجابات لدى الجنرال الخائن ماهر سفيان ، فلقد أبلغهم مبكراً عبر «الوسيط» أن ما أعلنه الرئيس العراقي لم يأت من فراغ، وأنه يستند إلى خطة الدفاع عن بغداد التي وضعت لإغراق الأمريكيين في بحيرة من «الدماء» إذا ما وصلوا إلى محيط بغداد.

وقد قدم ماهر سفيان للأمريكيين تفاصيل هذه الخطة كعربون لحسن النية.

وقد عرضنا في الصفحات القليلة السابقة تفاصيل هذه الخطة، ولاتعليق على هذه

الخطة «الساذجة» التي تشبه خطة مواسير النابالم الإسرائيلية الشهيرة التي جهز بها خط بارليف عام ١٩٧٣، وعطلها المصريون بمجرد بدء المعارك.

وهو ما حدث تحديداً في معركة بغداد!

إجهاض المخطط الدفاعي العراقي

حين وصلت تفاصيل خطة الدفاع عن بغداد التي أرسلها الجنرال الخائن عبر «الوسيط» إلى مقرّ القيادة العسكرية الأمريكية في قطر، وأحدثت لديها انزعاجاً، وصارت المهمة العاجلة أمام الأمريكيين هي كيفية إجهاض هذه الخطة ومنع العراقيين من تفجير خطوط دفاعهم عند أسوار بغداد.

ووجد القادة العسكريون الأمريكيون في «جنرالهم الخائن»، وبما يشغله من موقع، وما يحظى به من ثقة، وبما هو مطلع عليه من أسرار القدرة على القيام بتلك المهمة.

فأعد الأمريكيون خطتهم لإجهاض المخطط الدفاعي العراقي، واعتمدت على الدور الذي سيؤديه الفريق الخائن ماهر سفيان التكريتي، وعبر ترتيب سري محكم سنعرضه لاحقاً، أوصلوا إليه مطالبهم وهي:

أولا:

تقديم خرائط كاملة للخطوط الدفاعية السبعة حول بغداد، والعمل على إبطال مفعولها وتخريب الكنترول المركزي.

ثانيا:

الترتيب لسحب فرق النخبة الثلاث من قوات الحرس الجمهوري وهي فرق «المدينة المنورة» و«نبوخذ نصر» و«الفاروق» من مواقعها على محوري «الحلة - بابل» وطريق «بغداد الكوت» في أحرج أوقات القتال «والزج بها في معركة أسموها «معركة مطار بغداد الدولي».

ثالثا:

أن يصدر ماهر سفيان في أحرج أوقات القتال تعليماته بصرف عناصر قوات الحرس الجمهوري إلى بيوتها، تاركة أسلحتها الثقيلة منها خاصة في مواقعها.

فريق من الخونة

الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل والجو ملبد بالغيوم والغبار الأحمر يمنع الرؤيا والقصف الأمريكي على أشده وبغداد تحترق والأمريكيون يوزعون الموت في الشوارع.

والقيادة التي وعدها صدام بالمفاجأة تنتظر المفاجأة فهي عرفت سماتها لكنها لا تعلم متى تنفذ!!

فخطة صدام أُعدت بإحكام وكلفت أموالاً طائلة وجهوداً مضنية.

وأميركا تبحث عن السر.. . وتحلل أقوال صدام.. فماذا يقصد صدام حسين بالإنتحار الأمريكي على أسوار بغداد؟؟

حيث بذلت المستحيل بكل قنواتها لمعرفة السر.. و(الجاسوس) عيسى عبد الأحد[1] المسؤول عن قصور صدام يوافي بأخبار صدام للأمريكان وتحركاته واجتماعاته وطعامه وربما حتى بعض هواتفه لكنه أي عيسى عبد الأحد لم يجد جواباً لتساؤلاتها حول «المفاجأة المنتظرة» التي وعد بها صدام!!

فخطة صدام للدفاع عن بغداد كانت محط آماله وآمال قيادته فهو قد تشاور مع القيادتين العسكرية والسياسية بانعكاساتها على الأرض لمنع الأمريكان من دخول بغداد والشروع بحرب الشوارع ب ٦ملايين من جيش القدس لمعركة طويلة وهيأ نساء العراق اللواتي لا يحاربن فهن يطبخن الطعام للمقاتلين لحرب طويلة قد تستمر ستة أشهر أو يزيد لكنها على أي حال ستغير كل الموازين فقد وعد الأمريكان بإرسالهم موتى بتوابيت إلى واشنطن.

مستودعات وخزانات النفط السيارة تنقل النفط الأسود وتزرعه حول بغداد ولا احد يعلم ماذا سيعمل هذا النفط امام التكنولوجيا وآخرون يقولون لننتظر وفريق ثالث قال سنصبح ساحة حرب وعلينا الرحيل.

شبكات مادة (TNT) ومتفجرات شديدة الإنفجار تحيط ببغداد وهي لا تُرى فقد وضعت في عمق ٥ أمتار تحت سطح الأرض ووضعت معها أشياء اخرى قد لا يعرفها

---

(١) كانت المخابرات الأمريكية قد جندت عيسى عبد الأحد قبل أشهر من سقوط بغداد.

إلّا اشخاص معدودون عدد أصابع اليد وبُنِيَ سبعة خطوط دفاعية وكلها مربوطة «بالكنترول المركزي» المعد للتفجير حيث قدر قتلى الأمريكان في هذه العملية وحدها بين ٢٥- ٣٠ ألف قتيل اضافة لقتلى المواجهات في حرب الشوارع فهذه أمل صدام وقد قال عنها انه يرى النصر كمن يراه في كف يده!!

وفي احدى اجتماعات صدام مع قيادته العسكرية لمناقشة الانعكاسات وما سيحدث اراد صدام ان يختار القائد الذي سيكون له شرف الضغط على «كونترول التفجير» ليكون له شرف المهمة وكانت المرة الأولى التي يريد تقسيم البطولة بينه وبين غيره من القادة التي احتكرها لنفسه طيلة السنوات ويبتسم في وجه ابن خالته ومعتمده الذي أغدق عليه الأموال والضياع والسيارات الفارهة الفريق أول الركن ماهر سفيان التكريتي قائد قوات الحرس الجمهوري.. ليبتسم ماهر ابتسامة صفراء وصدام لايعرف ماذا يعد له ماهر ولمشروع نصره الذي لوح به امام العالم. فالكل يفكر في خيانته ألّا ماهر سفيان وهو القائل اذا خانني اصبعي سأقطعه على الفور وهو القائل ايضاً اعرف الشخص من خلال نظرتي اليه ولكن يبدو ان صدام هذه المرة «غاب الرقيب وغابت عنه اشياء»!! كما يقول مثل عراقي.

الثقة المطلقة تملأ نفوس الجميع وأولهم صدام وقيادته ترى تفاؤله فتزيد تفاؤلاً. إلّا الذين اخترقوا من قبل المخابرات المركزية الأمريكية CIA فتراهم صامتين قليلي الكلام يعلو وجه احدهم القلق الدائم لأنه بين الموت والحياة وصدام لا يساوم في ذلك ويغيب صدام عن الساحة وتبدو اتصالاته اكثر سرية فقد حَرّم الإتصال الهاتفي وأحاط نفسه بشبكة من المخبرين من اخلص المخلصين ومن أبناء عمومته ينتقلون في دراجات بخارية للاستعاضة عن الهواتف التي قد تلتقط.

غير ان اشتداد الحرب والتدمير الذي شمل البنية التحتية لن تثني صدام انه بانتظار المفاجأة وتحدث معركة المطار التقليدية وتتكبد القوات الأمريكية اكثر من ٦٠٠ قتيل وتصمت دون اعلان عن خسائرها وتسخر كل الاعلام المعادي ضد العراق وتبدو كلمات الصحاف وتعليقاته وأخباره وكأنها في نظرهم أكاذيب لكنها حقائق مزينة ببريق الكلمات ويبدأ رد الفعل الأمريكي على خسائرهم ويستعمل لأول مرة سلاح جديد قيل انه القنابل التي زنتها عشرة أطنان كل واحدة تحتوي على «النيترون» وقد قتلت أربع

قنابل اللواءين ٢٣- ٢٦ حرس جمهوري بإبادة جماعية بل ان المواد المستعملة في القنابل انتزعت لحومهم وتركتهم موتى بهياكل عظمية!!

ودائماً «الجواسيس» يفعلون ما لا تستطيع فعله القنابل وحتى الدبلوماسية احياناً لكن الخيار الوحيد هو تفجير الخطوط الدفاعية متى اقتربوا منها.. وتصريح وزير الدفاع المثير للجدل يحدث ضجة في الوسط الاعلامي وترحل بغداد إلى خارجها والذي مفاده ان الأمريكيين سيكونون عند تخوم بغداد بين ٤- ١٠ أيام لكن الأميركان عرفوا كل شيء من خلال الرؤوس الكبيرة التي اصطادوها. ثلاثة شخصيات فاعلة بل انها عصب الحركة فقوات الحرس الجمهوري في أيديهم، الفريق الركن ماهر سفيان التكريتي والفريق الركن حسين رشيد التكريتي وضابط اخر ثالثهم اضافة إلى عيسى عبد الأحد مسؤول قصور صدام في الرضوانية الذي يقدم معلوماته عن صدام من الألف إلى الياء وينقل كل شيء حتى نوع الطعام الذي تناوله ذلك اليوم.

هنا حدثت المفاجأة اذ ضربت قطاعات الجيش بالطائرات والصواريخ أدى لإبادتها وبدأ الأمريكان بخلخلة الموقف وصولاً إلى تعطيل «جهاز الصعقة» القاتلة التي سيتولاها الفريق ماهر سفيان التكريتي وفي هذه الأثناء أبدى الضباط الكبار امتعاضهم من أوامر قصي «المشرف على الحرس الجمهوري اذ ليس من المعقول ان يعطي «طفل» أوامر لفريق ركن مهما كانت درجة مسؤوليته او تبعيته.

وكان أول الممتعضين وزير الدفاع الفريق الأول الركن سلطان هاشم أحمد يؤيده في ذلك أركان قيادته العسكرية.

وبدأت على «خلفية» الفشل الذريع لخطة «قصي» بالدفاع عن المطار والتي تقوم على وسائل دفاع بدائية حسبما وصفها وزير الدفاع سلطان هاشم أحمد ووصف قصي بأنه لا يفهم شيئاً في الأمور العسكرية وأنه مفروض على القيادة العسكرية باعتباره نجل الرئيس ومن الصعب ان يرضى قائد عسكري بأمر وتوجيه من «ولد» بعمر ابنائه وحسب مصادر موثوقة فإن وزير الدفاع الذي وصف قصي بالتسبب في حدوث كارثة عندما سلم المطار إلى الأمريكان بدون مقاومة ودمر الحرس الجمهوري من خلال أوامره الخاطئة عندما اصدر أوامره بالتحرك نحو مدينة «الكوت» حيث تعرضت القوات العراقية المكشوفة إلى إبادة بالطائرات والصواريخ الأمريكية على طول المنطقة المكشوفة بين بغداد والكوت.

مع ظهور المزيد من التفصيلات حول ما حدث في حرب الثلاثة الأسابيع تبين الآن أن السبب الحقيقي لانهيار دفاعات بغداد على نحو مفاجئ في التاسع من أبريل هو خيانة ابن عم الرئيس العراقي الجنرال ماهر سفيان التكريتي الذي كان مكلفاً حماية قلب العاصمة، ونسف الجسور التي تعبر نهر دجلة إلى وسط بغداد، وذلك عبر قيادته لقوات الحرس الخاص.

فقد قالت تقارير محدودة الانتشار في واشنطن إن المخابرات المركزية تمكنت من تأسيس اتصال آمن بالجنرال ماهر سفيان عن طريق لم تكشف التقارير تفصيلاته، وإن الجنرال تلقى قائمة بما تطلبه منه الولايات المتحدة، بداية من تجنب نسف الجسور إلى سحب قواته من كتائب الحرس الجمهوري الخاص، أي أكثر قوات النظام ولاء من مواقعها على ضفاف دجلة وحول مواقع حكومية مختارة في بغداد.

في المقابل طلب الجنرال العراقي تعهداً واضحاً من «رتبة عسكرية أمريكية رفيعة المستوى» بضمان أمنه الشخصي وأمن نحو ٢٠ شخصا آخرين بعضهم من ضباطه وبعضهم من أفراد عائلاتهم، وبتعهد بعدم تعقبهم قانونياً إذا ما انتهت الحرب، وبالحفاظ على ممتلكاتهم الشخصية، وبتركهم «يعيشون في سلام» بعد انتهاء الاشتباكات.

وقالت تلك التقارير إن المفاوضات بين الجانبين استمرت إلى ما بعد بدء الهجوم الأمريكي على بغداد صباح الأربعاء ٩ أبريل، وإن قوات الحرس الخاص قاتلت من السابعة صباحاً حتى العاشرة على نحو كشف أن الجنرال ماهر سفيان التكريتي كان يؤكد للأمريكيين - عبر أمره للجنود بالقتال بضراوة - أن عليهم القبول بدفع الثمن الذي يريد، أي بتقديم الضمانات التي طلبها.

المشهد الأخير

وفي نحو العاشرة والنصف من صباح الأربعاء تلقى الجنرال اتصالاً من جنرال أمريكي لم يذكر اسمه. وفي الحادية عشرة، أي بعد نصف ساعة من ذلك الاتصال، أمر الضابط العراقي جنوده بالإنسحاب، وكان المشهد معبراً، إذ توقفت طلقات المدافع العراقية أولاً على جسر ديالة، وأوقف الأمريكيون نيرانهم بدورهم. وبعد لحظات

شوهد الجنود العراقيون وهم يتركون منطقة الجسر بسرعة، وتكرر المشهد ذاته بعد ذلك في مواقع الحرس الخاص في بغداد كافة.

وهكذا سقطت بغداد بيد الأمريكان عبر سلسلة من الخيانات التي كُشف بعضها؛ ولعل الأيام القادمة تكون كفيلة بكشف المزيد.

هكذا سقط النظام الذي حكم أرض الرافدين أكثر من ثلاثين عاماً، وفرَّ قائده «الملهم»، تاركاً وراءه إحتلالاً مقيتاً ولولاه «الملهم»، لم يكن إحتلال ولا استطاع أجنبي أن يطأ أرض العراق. فرَّ المهيب من القصر إلى الجحر.. فما الذي حصل..؟ هذا ما سنعرضه في الفصل القادم.

الفصل الثاني عشر

«عملية الفجر الأحمر»
صدام في قبضة الأميركيين

رصد خريطة العائلة

من أجل الوصول إلى صدام قامت القوات الأمريكية برسم خريطة عائلية وضعت في منتصفها نقطة صفراء ترمز إلى صدام وتتفرّع من هذه النقطة خيوط تتقاطع عند نقاط تمثّل أفراداً على شكل نقاط سوداء، بينما أُشير إلى الذين قتلوا منهم أو اعتقلوا بنقطة حمراء.

بدأت الخريطة في يونيو بأربعة أسماء فقط، بينما تشتمل اليوم على أكثر من تسعة آلاف مطلوب، وشارك في إعدادها فريق استخبارات يتألف من ١٦ عضواً بقيادة الميجور ستان ميرفي، وتساعده فرق تعمل باستخدام أجهزة الكمبيوتر على مدار ساعة وعلى شكل «شفتات»، كل منها يعمل لمدة ١٢ ساعة يومياً وعلى مدار الأسبوع، ويقومون بتحديث البيانات باستمرار بناء على المعلومات الاستخبارية التي يحصلون عليها، وكذلك تساند هذا الفريق دوريات عسكرية وعمليات تنصت ومصادر أخرى.

العائلات الخمس

وتركز الخريطة على خمس عائلات رئيسية تنتشر في العديد من المدن والقرى أهمها «أبو عجيل» و«العلم» و«العوجة» و«الدور» وكلها تقع في منطقة لا تبعد ١٢ ميلاً عن مدينة تكريت على طول نهر دجلة.

وكان يحيط بصدام منذ سقوط نظامه، خمسة أشخاص لم يحدد أسماءهم، لكنه قال إنهم ينتمون إلى العائلات الخمس محط التركيز وخدم كل منهم في مراكز مهمة في نظام صدام وأجهزته الأمنية أو الجيش.

وكانت تُوكل لكل من هؤلاء الخمسة مهام محددة، وفقاً للميجور ميرفي. ولم يكن سوى واحد منهم فقط ضمن قائمة ثانية من المطلوبين للقوات الأمريكية.

بيوت آمنة

وكان هؤلاء الخمسة يعرفون مكان وجود صدام ويستطيعون الوصول إليه في مكان ما متى شاؤوا. وكان يمكن لكل منهم إصدار الأوامر للاتّباع. فمثلاً كانت هناك خلية لا تفعل شيئاً سوى توفير البيوت الآمنة والمواد الغذائية والنقل.

ومن خلال هذه الشبكة، كان صدام يدير عمليات التمرّد، وينقل التعليمات من خلال مساعديه إلى قادة الخلايا في مدن مثل سامراء والرمادي والفلوجة.

ويقول الميجور ميرفي إن صدام «كان يبعث بتوجيهات عامّة مثل القول: أريد أن أرى مزيداً من الهجمات، ثم يخرج هؤلاء المساعدون لنقل هذه الرسالة إلى الخلايا العاملة ويقدّمون لها التوجيه والمال وربما السلاح».

كيف وصل إلى هذا الموقع؟

وليس معروفاً السبب الذي دفع بهذا الرجل المخبر إلى ذلك الموقع المتقدّم. فقد انخرط في جهاز المخابرات حين كان شاباً وأخذ يرتقي في سلّم القيادة. وقد يكون ورث هذا المركز عن أحد كبار أفراد العائلة، ويقول الميجور ميرفي «إنه أثبت جدارته في نظر صدام وحظي بثقته».

ويقول ميرفي إن هذا الرجل لفت نظر المخططين الأمريكيين وأنهم داهموا منزله مرّتين في شهر يوليو الماضي، ولكنه نجا من الاعتقال. وواصلت القوات الأمريكية مطاردته منذ ذلك الوقت، إلى جانب عدد آخر من المطلوبين. ومع مطلع أكتوبر تمكّن الأمريكيون من اعتقال اثنين من المساعدين الخمسة الذين أدلوا بالكثير من المعلومات المهمة عنه.

المداهمات السابقة

وفي الثالث من ديسمبر قامت القوات الأمريكية بخمس مداهمات خلال خمس ساعات على تكريت بحثاً عنه، ولكن دون جدوى، لكن تمّ اعتقال عدد من مساعديه المسؤولين عن تمويل التمرّد، وفي الليلة التالية، داهم الجنود الأمريكيون مدينة سامراء ولم يعثروا عليه، ولكنهم اعتقلوا أناساً آخرين وضبطوا ١,٩ مليون دولار أمريكي. وفي

السابع من ديسمبر داهموا البعيجة وفشلوا في اعتقاله، ولكن في الثاني عشر من ديسمبر سقط في يد القوات الأمريكية في بغداد، وقاد تلك القوات إلى مخبأ صدام الذي اعتُقل خلال ساعات[١].

لائحة القرابة أدّت لاعتقال صدام

أدّت اللائحة التي وضعها محلّلان وظّفتهما أجهزة الاستخبارات العسكرية الأمريكية لروابط صدام حسين العائلية والقبلية إلى اعتقاله. حيث وضعا رسماً بيانياً لأقاربه، وانطلقا من قائمة تضم تسعة آلاف اسم وتمكنا منتصف سبتمبر من حدها بـ ٢٠٠.

وبعد أسبوع من العمل ركزا أبحاثهما على عراقي لم يكشف اسمه على علاقة قريبة بالرئيس السابق، كان بحسب شهادات أسرى في عهدة الأمريكيين مسؤولاً نافذاً يموّل المقاومة.

واستناداً إلى هذا التحليل اعتقل الرجل الجمعة أي قبل يوم من اعتقال صدام خلال عملية نفّذت في منزل في بغداد حسب ما نقلت الصحيفة عن المصدر. وأعلن العميلان أنهما لم يكونا مستعدين عندما قدم لهما مسؤول أسماء مرتبطة بشبكة أنصار صدام. وطلب منهما وضع رسم بياني والعثور على كل شخصية بارزة على علاقة بصدام. وأوضح العميلان أن هذه كانت أول تجربة لهما في مجال الاستخبارات العسكرية وأنه لم يكن لديهما في البداية أية فكرة عن البنية المعقّدة للمقاومة العراقية خصوصاً عمق العلاقات بين القبائل[٢].

مقدمات «الفجر الأحمر»

روى تجّار من بلدة «الدور» التي تبدو كضاحية من ضواحي تكريت يعملون في بيع الحبوب والمواد الأولية، إنهم تعرّضوا منذ نحو ٤ أشهر لمنافسة بائعين غرباء عن المنطقة، «يقحمون» الأحياء الداخلية للبلدات المتناثرة على ضفتي النهر.

ويعرضون بضاعتهم بأثمان زهيدة، حتى أن الكساد أصاب مورد رزق تجّار

---

(١) القبس، ٢١/١٢/٢٠٠٣، العدد ١٠٩٦٥ (بتصرف).

(٢) جريدة عُمان، ١٩/١٢/٢٠٠٣، العدد ٨٢٣٥ (بتصرف).

البلدة. وما أثار الفضول هو أن هؤلاء الباعة المتجوّلين لا يكتفون فقط بكسر الأسعار. بل إنهم حاولوا التقرّب من المزارعين. وأكثروا من الأسئلة حول أحوال الناس وأوضاع العشائر وحركة الدخول والخروج وولاءات السكان. وفي أول الأمر، ظنّوا أن الأمر طبيعي. ومرده إلى الرغبة في اكتشاف حاجات المنطقة والسعي إلى الاستجابة لها، على خلفية جني الأرباح وملاءمة العرض مع الطلب.

لكن سرعان ما ارتسمت علامات استفهام كبيرة حول «الهوية الحقيقية» والمهمّات والأهداف التي ينشدها هؤلاء الغرباء، خصوصاً أنه بعد كل جولة لهم على العوجة أو «الدور» أو تكريت وتسويق قدر لا بأس به من معروضاتهم، كانت وحدة أمريكية مدججة بكل أنواع الأسلحة تستظل بغطاء من الحوامات تدهم الأحياء والأزقة، وتفتشها بيتاً بيتاً ومزرعة مزرعة بحثاً عن صدام وأنصاره.

وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) الماضي، تنبّه أحد سكان «العوجة»، وهي مسقط رأس صدام إلى أن أحد هؤلاء الباعة الذين يترددون على المنطقة كان يرافق إحدى الوحدات الأمريكية.

ولأنه عنصر سابق في جهاز «الأمن الخاص»، زمن النظام المخلوع، وتابع عدّة دورات أمنية، تحسس بأن ما يجري من لعبة أقنعة ليس إلاّ قصة «عيون زجاجية» تتجسس لمصلحة الأمريكيين. وتمسح تكريت وجوارها بحثاً عن «السمكة الكبرى»، التي تسعى إلى اصطيادها صنارة الاحتلال، خصوصاً بعد تأجج موسم السيارات المفخخة في بغداد في آب (أغسطس) الماضي. واستهداف مواقع تحمل دلالات رمزية كبيرة، مثل مقر الأمم المتحدة، وقبله السفارة الأردنية، وبعده السفارة التركية ومفوضيات الشرطة والزعامة الروحية والتنظيمية لـ «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق»، وصولاً إلى الصليب الأحمر الدولي.

وهذه الموجة من الموت المفخخ نزعت المبادرة من يد الاحتلال الأمريكي، وكادت تعيدها، صواباً أو خطأ، إلى يد المقاومة بجناحيها البعثي والأصولي الانتحاري. وعزا الأمريكيون شراستها ودقة إعدادها التقني ومستلزماتها الاستخبارية إلى «الرأس المدبّر»، صدام حسين ورجل الثقة لديه، ابن بلدة «دورا» عزة إبراهيم.

ولذلك صاغوا استراتيجية تعقب ومطاردة بشرية وإلكترونية، وقسموا «المثلث

السني» إلى مربعات أمنية صغيرة وقاموا بتجنيد آلاف المخبرين المحليين في مقابل رشاوي سخية. وأسندوا إلى «بشمركة» الطالباني والبارزاني أدواراً حيوية في ما أطلق عليه «الفجر الأحمر».

مشكلة «العيون الزجاجية»

بقيت خطة «الفجر الأحمر»، وهو الاسم الكودي لعملية اصطياد صدام حسين، سرية حتى الساعة الثامنة والدقيقة السادسة والعشرين من مساء ١٣ ديسمبر (كانون الأول)، وسبقتها تغيرات واستعدادات عسكرية واستخبارية وأمنية مكثفة. وتقاسمت الأدوار فيها أربعة أجهزة أمريكية هي وكالة الاستخبارات المركزية (السي.أي.إيه) التي زار مديرها، جورج تينيت العراق مرتين في شكل بعيد عن الأضواء ووراء ستار كثيف من التكتم، في سبتمبر (أيلول) أكتوبر (تشرين الأول). وأشرف بنفسه على بعض التفاصيل العملياتية.

أما الجهاز الثاني، فهو وكالة المخابرات الدفاعية (د.إي.ايه) التابع لوزارة الدفاع (البنتاغون) والثالث وكالة الأمن القومي، والرابع جهاز «كابال» العصبة المرتبط مباشرة بمكتب وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) وحلقة التنسيق بين الأذرع الأربعة كانت القيادة الميدانية في بغداد بإشراف الجنرال ريكاردو سانشيز.

هذه البنية لم تكن قادرة على الحركة من دون شبكات ميدانية من العراقيين أنفسهم، وكذلك دون دعم وإسناد من مخابرات إقليمية متعاونة، لها مصلحة في القبض على صدام ووضعه في «القفص» الأمريكي لتصفية الحسابات معه. على هذا الأساس، ضمّت خطة «الفجر الأحمر» عدّة آلاف من المخبرين داخل شبكة عنكبوتية لفت ما اصطلح على تسميته «المثلث السني». وبدأت وحدة «تاسك فورس ٢٠» المسح الميداني.

وتواترت عمليات الدهم. لكن دون جدوى. وتبعاً لمعلومات كردية متطابقة، فإن صدام كان على وشك الوقوع في المصيدة، لأول مرة في ٢٠ أغسطس (آب)، مع القبض على نائبه طه ياسين رمضان في الموصل.

لكنه سارع إلى الاختفاء من جديد والنزول تحت الأرض في ملاذات جديدة داخل تكريت هذه المرة التي وصل إليها بسيارة أجرة لإبعاد الشبهات.

غير أن وحدة البشمركة التابعة لـ «الاتحاد الوطني الكردستاني، بقيادة جلال الطالباني اعتقلت مع طه ياسين رمضان أحد عناصر الحراسة الخاصة السابقين لصدام مع نجله، واقتادتهما إلى بغداد.

وكانا، حسب الأكراد أنفسهم بمثابة، جائزة اليانصيب الكبرى»، لأنهما كشفا عن منطقة اختباء الرئيس المخلوع. فهو ليس في بغداد ولا في غربها، أي في الفلوجة والرمادي، ولا في منطقة الحدود مع سورية، بل في القرى المنتشرة حول تكريت.

وكان لا بد عندئذ من غربلة هذه المعلومات ومقابلتها مع حصاد معلوماتي آخر لمعرفة صديقتها والاستفادة منها في المطاردة. ولا شك أن «تاسك فورس ٢٠، حصلت على معلومات عديدة تبين فيما بعد أنها دخانية[١].

سكان الدور يروون الوقائع

اعتقلت القوات الأمريكية أثناء غارة صاحب المزرعة التي اعتُقل فيها صدام، والذي كان يعمل حارساً في القصر الرئاسي، واعتقلت في الوقت ذاته اثنين من أشقّائه.

أعلنت ذلك خالدة الدوري، زوجة صاحب المزرعة، قائلة إنها وبقية أفراد عائلتها لم يعرفوا أن صدام كان مختبئاً في المزرعة، ولا حتى زوجها كان يعرف.

وأشارت إلى أنه تصادف أن زارت المزرعة الواقعة على ضفة نهر دجلة قبل يوم واحد من اعتقال صدام السبت.

وقالت خالدة الدوري، التي تعمل مُدرّسة، والتي يقع منزلها العائلي على بعد أقل من كيلومتر من المزرعة: «لم أر صدام هناك. لم يكن هناك سوى ماعز». وأشارت إلى أن زوجها قيس الدوري (٣٨ سنة) كان حارساً في القصر الرئاسي من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥، عندما ترك عمله بسبب مشكلات صحية في القلب.

---

(١) المجلة العدد، ١٢٤٥، ٢١ ـ ٢٧/١٢/٢٠٠٣ (بتصرف).

وأضافت أن زوجها كان طريح الفراش في الأسابيع الأخيرة بسبب تعرّضه لنوبة قلبية قبل سنة، وأكّدت بإصرار أنه لم يكن يعرف أن صدام اتّخذ من المزرعة مخبأً له.

وقالت خالدة، البالغة من العمر ٤٠ سنة: «لو كان صدام هناك، فلماذا كان قيس موجوداً معي في المنزل طيلة الوقت؟».

وروي أنه عندما اقتحم نحو ١٢ جندياً أمريكياً منزلها المكوّن من طابقين في الساعة الثامنة إلا ثلث من مساء السبت، وجدوا زوجها في الفراش، «وقلت لهم إنه مريض يعاني من مرض في القلب».

وتابعت: «إن طبيباً كان برفقة الجنود فحص زوجها، وربط رسغه بأنبوب مصل، ثم كبّل الجنود قيساً واقتادوه هو والتجهيزات الطبية».

وقالت إن الجنود اعتقلوا في المزرعة ذاتها اثنين من أشقّاء زوجها، علاء (١٨ سنة) ويملك سيارة أجرة، وجاسم (١٧ سنة).

وكانت خالدة تروي قصتها وهي تبكي، وروت هي وأفراد آخرون من عائلتها كانوا موجودين في المنزل أنهم يعتقدون أن صدام عبر دجلة إلى قرية الدوار بزورق، واختبأ في المزرعة من دون أن يبلغهم.

وقال موسى صالح أحمد، عم قيس: «لا بد أنه (صدام) جاء قبل بضع ساعات فقط من عثور الأمريكيين عليه». وأكّد أحمد أن كل العائلة كانت ستوفر ملاذاً لصدام لو طلب منهم ذلك، وقال: «لقد كان رئيسنا».

وقال سكان في القرية إن أحداً من السكان ما كان ليبلغ السلطات الأمريكية عن وجود صدام، وأكّدوا أن شخصاً من الخارج لا بد أن يكون من وشى بصدام.

ولم يفوّت السكان أثناء الحديث فرصة التذكير بأن الأقدار شاءت أن يكون اسم صدام قد ارتبط بقريتهم، حيث فرّ منها ونجا من الاعتقال عندما اجتاز دجلة سباحة في الستينات، حين كان ملاحقاً لكونه معارضاً سياسياً.

ومن ذلك الحين، والدور تنظم سباق سباحة في يوم ٢٨ أغسطس/ آب من كل سنة.

وقال بعض سكان القرية إنه لا غرابة في أن صدام أثبت في الماضي شجاعته، ثم اعتقل بهذه الطريقة المذلّة.

وقال أحد السكان، ضيف ريحان محمود: «نحن المسلمون نؤمن بالقدر. هذه كانت مشيئة الله». وفي موقع للأمريكيين في المنطقة، قال النقيب هيو تشارلز والترز، وهو الضابط المسؤول عن الدور، إن جنوده كانوا قد فتشوا المزرعة ذاتها قبل سبعة أسابيع من اعتقال صدام بناء على معلومة، وعثروا على أسلحة هناك.

ثم أضاف أن الجنود لم يجدوا أي شيء يشير إلى أن أحداً كان هناك، أو أي شيء يشير إلى صدام.

وقال: «تحدثت إلى أناس في تلك المزرعة، ولم أر أي شخص عجوز مثلما بدت صورة صدام»(١).

الجنرال أوديرنو والإيقاع بصدام

استخدم الميجور جنرال ريموند أوديرنو الدهاء والقوة العسكرية الهائلة في عملية مطاردة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وتمكّن قائد فرقة المشاة الرابعة، المعروف بطول قامته (١٩٣ سنتمتراً) ورأسه الحليق، في النهاية من القبض على صدام ليلة السبت.

وتوّجت عملية المطاردة التي استمرّت ثمانية أشهر بعثور ٦٠٠ من جنود أوديرنو على صدام حسين مختبئاً تحت الأرض في مزرعة على ضفّة نهر دجلة بمدينة تكريت شمال العراق.

وخلال الأشهر الثمانية تعلم أوديرنو ورجال فرقة المشاة الرابعة وعددهم ٣٢ ألف جندي دروساً مكّنتهم من تضييق الخناق على الدكتاتور السابق في منطقة قريبة من مسقط رأسه.

وعكف أوديرنو باستمرار على التشاور مع جنوده وضبّاطه ورؤسائه بحيث أصبح مقتنعاً تماماً بأن صدام موجود شمال بغداد، وأنه يتنقّل بين أفراد عائلته وعشيرته المقرّبين، وأنه يتحرّك باستمرار من تكريت إلى مدينة كركوك الغنية بالنفط ويعقوبة القريبة من الحدود الإيرانية.

وعمل الجنرال بدقّة بعد ذلك على الحدّ من قدرة صدام على المناورة باعتقال من

---

(١) الخليج، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٣، العدد ٨٩٧٨ (بتصرف).

يشتبه في أنهم من حلفائه بمن فيهم البعثيون. ومع اعتقال العديد من حرّاس ومساعدي الرئيس السابق ومساعديه تأكد أوديرنو أنه اقترب من القبض على صدام.

ولكن من يعرفون أوديرنو لم يدهشهم تمكّنه من تحقيق هدفه. فقد اكتسب الجنرال البالغ من العمر ٤٩ عاماً شهرة بأنه قائد جريء يرتبط بعلاقات جيدة مع جنوده ويتميّز بعقل لامع وذكاء حاد.

وقال الكولونيل بيل مكدونالد المتحدّث باسم فرقة المشاة الرابعة أن أوديرنو «يتمتّع بذاكرة خارقة(. . .) فما عليك سوى أن تطلعه على بيان ما وتقرأه له مرة واحدة ليتذكّره جيداً».

ورغم أن بعض الضبّاط الذين يعملون تحت إمرة أوديرنو يقولون إن شكله يوحي بالرهبة ويشبّهونه بالشخصية السينمائية بول برينر الحليق الرأس إلا أنهم يُجمعون على أن في داخله شخصاً عطوفاً.

وقد خطّ أوديرنو المتحدّر من روكاوي في نيوجيرسي طريقه المتفرّد في الجيش وحصل على درجة الماجستير في الهندسة النووية أثناء خدمته في وحدات المدفعية الميدانية.

وحرص الجنرال على التواجد في الميدان القتالي مثلما حرص على إبقاء صلاته بعالم العلوم النووية.

وعمل أوديرنو ضابطاً تنفيذياً في كتيبة مدفعية ميدانية في السعودية خلال حرب الخليج عام ١٩٩١.

إلا أنه عمل كذلك في واشنطن كضابط أبحاث نووية في وكالة الدفاع النووي خلال عامي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ وفي مكتب وزارة الدفاع كمستشار لمراقبة الأسلحة.

وساعدت تلك التدريبات أوديرنو على أن يكون مستعداً للقدوم إلى تكريت الربيع الماضي للقيام بمهمة القتال ضد صدام حسين ومجموعة المقاتلين المختبئين شمال بغداد[1].

---

(١) صحيفة القبس، ١٩/١٢/٢٠٠٣، العدد ١٠٩٦٣ (بتصرف).

تفاصيل الساعات الـ ١٤

ظلت إدارة بوش طوال ١٣ ساعة تتكتّم على أنباء اعتقال صدام حسين. وفي تلك الأثناء كانت القوات الأمريكية تجري عملية تحقيق شاملة للتأكد من هوية صدام، بينما كانت إدارة بوش تعدّ الخطط للإعلان عن النبأ العالمي الأفضل للإدارة منذ سقوط بغداد في التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣.

فبعد أن علم نائب الرئيس ديك تشيني بالخبر من الرئيس بوش، خرج للاجتماع بأحد جامعي الضرائب الجمهوريين، ثم عاد إلى مكتبه، وعكف مع رامسفيلد وعدد من كبار أعضاء مجلس الحرب في إدارة بوش على العمل بهدوء من أجل الترتيب للإعلان عن اعتقال صدام.

بوش أبلغ رامسفيلد أنه يجب التعامل مع الاعتقال بالطريقة العسكرية بحيث يتمّ الإعلان عنه في بغداد. وفسّر مسؤولون ذلك بأنه رغبة في أن تبدو الأنباء كانتصار للشعب العراقي، وليس نصراً شخصياً لبوش الذي قال عنه قبل ستة أشهر من الحرب «إنه الشخص الذي حاول قتل أبي» في إشارة إلى محاولة الاغتيال الفاشلة للرئيس بوش الأب في الكويت عام ١٩٩٣. وأوعز مساعدو بوش الذين كانت أعينهم مسلّطة على الجماهير الأمريكية والعراقية، إلى مسؤولي الإدارة الأمريكية في العراق الإعلان عن الاعتقال في الساعة الثالثة عصراً بتوقيت بغداد، ولكن الأنباء بدأت تتسرب خلال دقائق.

كيف قبضنا على صدام[١]..؟

في هذا الجزء من العالم الذي يعتبر فيه الشرف والكرامة كل شيء، فإن الصور كانت تستهدف بوضوح جلب العار. فقد عرضت صور لطبيب أو فني طبي من دون اسم، يرتدي القفازات الطبية، يقوم بكل وضوح بفحص شعر الرجل بكل عناية، ربما بحثاً عن القمل. وبنهره بأداة دفع اللسان إلى أدنى، فتح الرجل فمه، ونظر الطبيب إلى الخلايا ذات اللون الزهري لحنجرته وأخذ عينة من خلاياه من أجل فحوص الحمض النووي لتحديد شخصيته. ثم رأى العالم وجه ذاك الرجل. لقد بدا الرجل هزيلاً، مهزوماً، وشاعراً قليلاً بالغثيان مما يجري من حوله، وقد بدا من دون شك أنه صدام

(١) إيفان توماس وورود نوردلاند، جزء من ملف المركز الإستراتيجي، واشنطن، (بتصرف).

حسين، الطاغية والإرهابي، السادي والقاتل، الذي كان هدفاً لأوسع عمليات بحث عن شخص في التاريخ.

وقد أبلغ قائد قوات «الاحتلال» الأمريكية في العراق الللفتننت جنرال ريكاردو شانشيز الصحافيين بأن صدام قد عثر عليه مختبئاً في جُحر طيني. لقد ذهبت أساطيل المرسيدس وكتائب الشرطة السرية والقصور المطلية بالذهب. ولم يحاول صدام حتى أن يقاوم؛ كما لم يحاول أن يقتل نفسه (رغم أنه كان بحوزته مسدس). لقد كان «يتحدّث» و«متعاوناً»، وكان مستسلماً، مرتعداً، هزيلاً وضعيفاً. لقد كُسرت شوكة هذا القائد المجيد، أسد بابل، أبي الشبلين، والقائد المختار، وخليفة نبوخذ نصَّر، وصلاح الدين الإسلامي الجديد، وأجبر على الركوع قبل أن يُنقل بسرعة إلى «مكان غير معلوم» للتأمل في مصيره بينما ينتظر المثول أمام المحكمة على جرائمه الواسعة النطاق ضد الإنسانية.

«سيداتي وسادتي، لقد ألقينا القبض عليه!» هكذا أعلن بول بريمر، الحاكم الأمريكي في بغداد، الذي بدا مبتهجاً، ومنتصراً. أما في العاصمة العراقية، فقد خيّم الصمت على المدينة. وانتقلت شائعات القبض على صدام عبر شوارع بغداد. وبدا وكأن الجميع قد تجمهروا حول جهاز التلفزيون أو الراديو للاستماع إلى الكلمة الرسمية. وحين تحدث بريمر في نحو الساعة ١٥ : ٣ بعد ظهر يوم الأحد بتوقيت بغداد (١٥ : ٧ صباحاً بتوقيت واشنطن)، انفجرت المدينة بإطلاق النار احتفالاً بالمناسبة. بدأ أصحاب المحال التجارية يغلقون أبواب محالهم، خشية من أن يفقد المحتفلون السيطرة على أنفسهم. (حين عثر على ابني صدام قصي وعدي، وتمّ قتلهما الصيف الماضي، قتل ستة أشخاص على الأقل جرّاء زخّات الرصاص المتساقط احتفالاً). والتقطت الكاميرات صوراً للجنود الأمريكيين وهم ينفثون دخان السيجار.

التمرّد سيتواصل والمزيد من الجنود الأمريكيين والعراقيين سيموتون. ولكن إلقاء القبض على صدام كان من دون شك إنجازاً هائلاً في عملية «تحرير» العراق. العديد من العراقيين لم يصدقوا فعلاً بأن صدام قد ولّى، وأنه لن يعاود الظهور ككابوس سيىء. ولكن عرض صور صدام في الأسر، ليس معتقلاً فقط، بل وهو يُهمز ويُنهر على فتح فمه، بل وهو يخضع لحلق ذقنه، فإن الأمريكيين كانوا يوجهون صوراً إلى العراقيين بأن معذبهم على مدى عقود قد انتهى إلى الأبد.

والآن تأتي أم كل محاكم جرائم الحرب. جبل الأدلة على فظائع صدام ـ استخدام القنابل الغازية ضد قرى بأكملها، تعذيب السجناء السياسيين، القتل الجماعي لأعدائه ـ سيتمّ تقديمه وتحليله[١]. هذه المحاكمة يمكن أن تكون كابوساً من الناحية الأمنية، وهي ستكون كذلك، بالطبع، هدفاً للإرهابيين. وتكهن بعض مسؤولي الاستخبارات الأمريكيين لنيوزويك صباح الأحد بأن اعتقال صدام قد يتسبّب في حقيقة الأمر في زيادة الهجمات على الجنود الأمريكيين وحلفائهم العراقيين؛ طفرة حقيقية أخيرة من العنف. ولكن اعتقال صدام يمكن أن يكون أيضاً فرصة للتصالح، خطوة نحو إعادة توحيد بلد يقسمه المذهب والعشيرة، ولفترة طويلة أيضاً، يقسمه الخوف.

لقد كان البحث عن صدام مصدر إزعاج حقيقياً للقوات الأمريكية وإدارة بوش. وكان اعتقاله خاتمة سعيدة لعملية بحث مسعورة، وأحياناً عملية بحث غير مثمرة محرجة، عن رجل موسوم وُضعت على رأسه مكافأة تبلغ ٢٥ مليون دولار. وحين اختفى صدام بعد سقوط بغداد، كان مسؤولو الاستخبارات الأمريكية واثقين بصورة معقولة من أنه لم يهرب إلى خارج البلاد وخمّنوا أنه كان مختبئاً في مكان ما بالقرب من بلدته تكريت، شمال العاصمة العراقية. ولكن أين؟ فقد قيل إنه كان هناك عدد من الأشباه لصدام وإنه قد خضع لعدة عمليات تجميلية من أجل تغيير ملامح مظهره بصورة جذرية. وظلت طاحونة الشائعات تفرز الشائعة تلو الأخرى عنه. ففي يونيو، نشرت صحيفة في بغداد أن الرئيس السابق قد شوهد وهو يقود سيارة أجرة من نوع باجيرو في أحياء العاصمة العراقية، وأنه كان قد أطلق ذقنه وكان يرتدي نظارات سوداء وجلباباً عربياً تقليدياً إلى أخمص قدميه.

---

(١) الظاهر أن إيفان توماس وورود نوردلاند (وهما صاحبا هذه الرواية) قد نسيا أن صدام بكل بساطة كان صنيعة أمريكية بامتياز، من وصوله إلى السلطة وما صاحبها من مجازر حزبية و«دبلوماسية» إلى المقابر الجماعية وإبادات الأسلحة الكيمياوية بحق شعبه والجيران، والإعدامات المرعبة بأساليبها لرموز العراق الدينية والفكرية، وغزوه لبلدين جارين وما اقترفه من فظاعات في الكويت وإيران، وبعدها المجازر الرهيبة بحق الإنتفاضة الشعبانية، كل هذا حصل بمعرفة الأمريكان حيناً ودعمهم حيناً آخر، خاصة دعمهم لصدام ونظامه في بناء ترسانته البيولوجية والكيمياوية، وقتها كان صدام بطلاً أو حليفاً أو صديقاً، ينفذ مشاريع الإدارات الأمريكية المتعاقبة في المنطقة بالنيابة، وهذا لم يعد يخفى على أحد، خاصة بعد كشف وثائق أمنية أمريكية كانت سرية لحينه، وبعد اعتراف مسؤولي الإدارة الأمريكية أنفسهم بدعمهم لنظام صدام تحت مسمّيات عدة. (المؤلف).

وقامت القوات الخاصة (قوات الدلتا والقوات الخاصة التابعة لسلاح البحرية وقوات وكالة الاستخبارات المركزية شبه العسكرية) بالبحث في شتى أجزاء البلاد بحثاً عنه. وبدأ فريق عسكري فائق السرية يعرف باسم الثعلب الداكن بعملية بحث سرية عنه، إذ قام بالتنصّت على الاتصالات الهاتفية أو عبر الراديو. ولكن صدام لم يكن من المرجّح له أن يستخدم الهاتف، وكان الأمل الأكبر دائماً هو أن يخونه أبناء بلدته. فقد تمكّن الأمريكيون من اعتقال كبار القادة البعثيين، واحداً تلو الآخر، بعد أن تمّ ترتيبهم حسب الأهمية، ووضعت الاستخبارات الأمريكية صورهم على أوراق اللعب. وبعد ٢٤٩ يوماً من سقوط بغداد، تمّ اعتقال ٤١ من الـ ٥٥، ولكنها لم تتضمن آس السباتي.

وكان الأمريكيون قد تلقّوا قدراً كبيراً من المعلومات من عراقيين معنيين بالحصول على مكافأة الـ ٢٥ مليون دولار، ولكن أيّاً منها لم يؤد إلى شيء. وعليه، فقد بدأت القوات الأمريكية في الضغط أكثر. فقبل ستة أسابيع، أقام جنود من الفرقة الرابعة المشاة سياجاً من الأسلاك الشائكة حول قرية العوجة الزراعية، التي كان صدام قد عاش فيها حين كان صبياً، وهي قرية تبعد ما بين خمسة إلى ١٠ كيلومترات جنوب تكريت، وكما تبيّن لاحقاً، التي تبعد نحو خمسة كيلومترات عن المزرعة التي ألقي القبض فيها عليه أخيراً. وقد كانت هذه القرية مرتعاً لأنصار صدام. وقد تمّ اعتقال نحو ٦٠ بالمائة من بين رجال القرية الـ ١,٠٠٠ أو نحو ذلك والتحقيق معهم. وقال اللفتننت كولونيل ستيف رسل من الفرقة المشاة الرابعة لنيوزويك: «ألقينا القبض على والد المطلوب رقم ٦، ابن عم صدام، وألقينا القبض على عدد متنوّع من الشخصيات الذين هم من شخصيات القرية البارزة».

وبحلول الموعد الذي زار فيه وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بغداد في مطلع ديسمبر، بدأ كبار مسؤولي القيادة الأمريكية الوسطى يشعرون بأنهم بدأوا أخيراً يطبّقون الخناق. وأبلغ مساعد كبير لرامسفيلد نيوزويك أن الاستخبارات التي بدأوا يحصلون عليها كانت تتجه نحو صدام، وبدأوا باعتقال المصادر التي كانت قريبة من المطارد نفسه. وقال أحد المسؤولين الكبار لرامسفيلد إن القوات الأمريكية «بدأت تضيق الخناق» على صدام. وأبلغت مصادر بريطانية نيوزويك أن صدام كان يقوم بقيادة سيارة أجرة قديمة، وإن هذه المعلومة قد بلغتهم من صور الاستطلاع الجوية. وبدا أن وتيرة الغارات بدأت تتسارع الأسبوع الماضي: فقد كشفت سلسلة من الغارات السريعة

على عدد من المخابىء ما وصفه أحد القادة العسكريين بـ «محل حلوى الفدائيين»، إذ عُثر في هذا المخبأ على علب البيبسي المحشوة بالمتفجرات والقنابل الموصولة بأجراس أبواب المنازل. وعُثر كذلك على المزيد من آثار صدام.

في نحو الـ ١٠:٥٠ صباحاً بتوقيت بغداد السبت يوم ١٣ ديسمبر، حصلت الاستخبارات العسكرية الأمريكية على المعلومة التي كانت تبحث عنها: صدام مختبىء في إحدى مزرعتين في قرية الدور الصغيرة، حسب من نقل هذه المعلومة. (اختيار قرية الدور يظهر افتقاراً إلى الخيال، أو أنه ربّما كان فعلاً يائساً، من قبل صدام. ففي عام ١٩٥٩، حين قام صدام بمحاولة اغتياله الفاشلة لرئيس الوزراء العراقي آنذاك، عبد الكريم قاسم، كان قد هرب إلى القرية نفسها واختبأ في إحدى مزارع أحد أصدقائه فيها، قبل أن يقطع نهر دجلة سباحة لاحقاً إلى منفاه بسورية، وهي واحدة من المرّات القليلة التي غادر فيها صدام العراق).

وبسرعة، قامت الفرقة المشاة الرابعة بتنفيذ خطة الفجر الأحمر: إذ جمع نحو ٦٠٠ من رجال فرسان والمهندسين والمدفعية والقوات الخاصة ـ لاقتحام المزرعتين، اللتين أطلق عليهما الاسمين الحركيين وولفراين ١ وولفراين ٢. وما إن خيّم المساء على المنطقة، حتى قام الجنود بتطويق المزرعتين حيث قطعوا الطرق الموصلة إليهما من مسافة تصل بين أربعة إلى خمسة كيلومترات. وقامت القوات الخاصة بدخول المزرعتين، ولكنها لم تعثر على شيء.

وحسب المسؤولين الأمريكيين، فإن الجنود الأمريكيين كانوا بصحبة مخبر معهم، أحد أفراد عائلة صدام «الذي كان قريباً من صدام». وقال المخبر للجنود الأمريكيين إنه «هناك، ثقوا بي، وواصلوا البحث». وبدأت عملية بحث ثانية أكثر دقة لكل مبنى وحقل في المزرعة، وفي نحو الساعة ٨:٢٦ مساء، عثر أحد الجنود على شق في الأرض تحت سطح مائل قريب من كوخ طيني ملاصق في إحدى مزارع المواشي الصغيرة. وكان المخبأ الأخير الذي عُثر فيه على أسد بابل، وجزار بغداد، وما وصفه البنتاغون بـ «الهدف المرتفع القيمة رقم ١» غير لافت أبداً. فقد كانت هناك سيارة أجرة عراقية قديمة بلونيها البرتقالي والأبيض تقف بالقرب من مزرعة المواشي. وأظهر الشق أن هناك باباً مخفياً تحته. وقام الجندي بعناية بإزالة بعض الطوب والتراب ليصل إلى باب من البلاستيك المقوى مغطى بسجادة.

وتحت الباب كان في الجحر الذي يبلغ عمقه ست أقدام رجل رث المظهر بلحية كثة. كان مستلقياً على ظهره في جحر لا تزيد مساحته عن ست أقدام بعرض ثماني أقدام. لم يتّضح كم من الوقت كان صدام مختبئاً في ذلك المكان. وكان «حفرة العنكبوت» كما وصفه الجنرال سانشيز لاحقاً، مزوداً بجهاز تنفس يسمح له بالتنفس. وبرز من جدار الجحر أنبوب كان عبارة عن وسيلة بدائية للتبوّل.

وحسب مصدر عسكري، فإن الرجل قال: «لا تطلق النار. إنني صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية». وحسب اللفتننت جنرال راي أوديرنو قائد الفرقة الرابعة للمشاة فإن صدام «لم يقل الكثير. لم يدل بأي بيان حين كان هناك».

ووصف صدام لاحقاً بأنه كان مستسلماً لمصيره، خنوعاً، وحائراً ومذهولاً. ويبدو أنه قد ضرب رأسه بسقف الحفرة حين سُحب منهما. وقال الجنرال سانشيز: «لقد كان رجلاً منهكاً، مستسلماً لمصيره». كانت عملية الاعتقال سهلة. فلم تُطلق طلقة واحدة، ولم يُصب أحد بأذى. وعثرت القوات الأمريكية على بندقيتي أيه كيه ٤٧ ومسدس ومبلغ ٧٥٠,٠٠٠ دولار من أوراق المائة دولار. وقد تمّ اعتقال رجلين بينما كانا يحاولان الهرب، ويفترض أنهما من البقايا الأخيرة لفيلق صدام من الحرس الشخصيين الذين كانوا مرهوبي الجناح يوماً. وكان صدام يقيم في مبنى طيني بدائي من غرفتين، وربما كان واحداً من ٣٠ أو نحو ذلك من المخابىء التي كان يتنقل بينها، وهو كان دائم الترحال، إذ ربما كان ينتقل من مكان إلى آخر كل ما بين ثلاث وأربع ساعات، حسب القادة الأمريكيين. وعثر الجنود على ثياب جديدة له كانت ما زالت في أغلفتها.

وقد تمّ نقل الأسير بطائرة مروحية إلى «مكان غير معلوم»؛ وهو في الحقيقة مركز الاعتقال الذي أقامته القوات الأمريكية في مطار بغداد، حيث يتمّ التحفّظ على كبار المعتقلين العراقيين من أجل التحقيق معهم. وحاول القادة الأمريكيون التخفيف من بهجتهم. الجنرال جون أبي زيد، قائد القيادة الوسطى المسؤول عن جميع القوات في المنطقة، اتصل بوزير الدفاع رامسفيلد لينقل إليه الأخبار السارة.

كان الوقت عصر السبت في واشنطن. واتصل الوزير بالرئيس بوش في كامب ديفيد نحو الساعة ١٥ : ٣ عصراً. وبدأ رامسفيلد بالقول: «حضرة الرئيس، التقارير الأولى تنزع عادة إلى أن تكون غير دقيقة في الغالب».

وقاطعه الرئيس بقوله: «يبدو أن هذا سيكون خبراً ساراً».

وأبلغ رامسفيلد جورج دبليو بوش أن أبي زيد قد اتصل به «وبدا واثقاً تماماً» بأن صدام أصبح رهن الاعتقال.

وقال بوش: «هذه أخبار طيبة فعلاً».

أما في بغداد، فقد تمّ نزع ملابس صدام عنه وإخضاعه لفحص طبي، وربما تمّ تفتيشه بدنيا بصورة بالغة الدقة والشمولية. كان على إحدى يديه وشم دال عليه كما أظهر الكشف وجود ندوب في بدنه جرّاء جروح سابقة. وقد تمّت حلاقة ذقنه. وقام آسروه بعرضه أمام عدد من مساعديه السابقين الذين هم رهن الاعتقال الآن أيضاً، بمن فيهم مساعده منذ زمن بعيد طارق عزيز. وأكّد المساعدون السابقون هوية رئيسهم السابق.

وقد سُمح لخلفاء صدام، أعضاء مجلس الحكم العراقي، برؤيته وتوجيه الأسئلة إليه. وكان الرئيس السابق منهكاً ولكنه بدا عليه التحدّي. فحين سأله أحد أعضاء مجلس الحكم العراقي عن أسباب قتله هذا العدد الكبير من الناس، رد صدام بسرعة بأن ضحاياه كانوا «لصوصاً وعملاء إيرانيين». (وقد أثيرت حفيظة الأعضاء الشيعة في مجلس الحكم بالنغمة التهكمية التي ميّزت كلام صدام حين سُئل من قبلهم عمّا إذ اكان قد لعب دوراً في اغتيال آية الله محمد صادق الصدر عام ١٩٩٩ ومحمد باقر الحكيم الذي قُتل في انفجار شاحنة مفخخة هذا العام. فقد تهكم صدام حين أشار إلى صدره [متلاعباً بالكلام عن الصدر] وأومأ بأنه نفثه من صدره). وكان عدنان الباجه جي، وهو عضو بارز في مجلس الحكم، يخوض نقاشاً كلامياً حامياً مع صدام حين اضطر إلى وقف النقاش ليأخذ مكالمة تهنئة من الرئيس بوش على اعتقال صدام صباح الأحد.

إبلاغ بوش اعتقال صدام

مستشارة الرئيس لشؤون الأمن القومي كوندوليزا رايس أيقظت الرئيس في الخامسة صباح الأحد لتبلغه بتأكيد الخبر. ويقول المساعدون في البيت الأبيض إن المكالمة كانت وكأنها إبلاغ بحقائق ثابتة. فقد أبلغت رايس الرئيس أن هوية صدام قد تأكّدت. وقرر بوش بسرعة أنه سيتحدّث إلى الأمة ظهر ذلك اليوم. ولكنه ومستشاريه قرروا أن الاحتفال يجب أن يبقى في حدّه الأدنى في واشنطن وأن الحدث الرئيسي يجب أن يبقى في بغداد.

وكان بريمر يقصد أن يستهل مؤتمره الصحافي في الثالثة عصراً بتوقيت بغداد

(السابعة صباحاً بتوقيت واشنطن) بملاحظات تنم عن الاحترام، ولكنه حين سمع الهذر المهتاج من الصحافيين العراقيين الذين احتشدوا في قاعة المؤتمرات ببغداد، فإنه لم يستطع المقاومة، وانفجر قائلاً بابتهاج: «لقد قبضنا عليه!». وقال مسؤولو البيت الأبيض إن بوش، الذي كان يشاهد التفزيون في البيت الأبيض، أحس بالانفعال والبهجة بردة الفعل المرحبة والعاطفية التي عبّر عنها الصحافيون العراقيون.

من الصعب معرفة الأثر الذي سيتركه اعتقال صدام على حركة التمرد. فربما لم يكن صدام هو القائد الميداني الفعلي للمقاومة. ومن الممكن أن صدام كان يمضي معظم وقته في الهرب والاختباء في هذه الفترة. ويقول مسؤولو الاستخبارات العسكرية الأمريكيون لنيوزويك إن الكثيرين من المشاركين في حركة التمرّد يمقتون صدام وهؤلاء سيواصلون القتال إلى أن يلقى القبض عليهم أو يقتلون. ولا يزال على القوات الأمريكية أن تعتقل عزة إبرهيم الدوري، الرجل الثاني بعد صدام صاحب الشعر الأحمر (الذي يُقال إنه يشبه المهرج كراستي) الذي يمكن أن يكون قام بإدارة جزء كبير من حركة المقاومة.

وقبل أن يذهب صدام إلى المحاكمة فإنه سيخضع للتحقيق. ويمكن لصدام أن يجيب عن سلسلة غير منتهية من الأسئلة إذا كان راغباً: أين هي بقية ثروته الهائلة؟ أين هم بقية مساعديه الهاربون؟ أين هي أسلحة الدمار الشامل. إن كانت موجودة حقاً؟ وإذا كان صدام يخفي أنواعاً من الجراثيم في مكان ما ـ أو إذا كان أخرجها من البلاد لكي تُستخدم من قبل إرهابيين آخرين ـ فإن أسراره ستكون في غاية الأهمية والحسم. ولكن ليس لدى آسري صدام الكثير من النفوذ لحمله على الحديث. فصدام يعرف أن نهايته قد تقرّرت. وسيكون من غير المحتمل إلى حد كبير أن يقوم بعقد صفقة من مثل صفقات تخفيف الحكم مقابل التعاون مع المحققين.

والأرجح أن صدام سيمثل للمحاكمة في موطنه. شكل مجلس الحكم العراقي محكمة جرائم حرب لمحاكمة صدام وكبار معاونيه. وستتّخذ المحكمة مقرّاً لها في متحف ضخم بوسط بغداد مكرّس لذكريات عهد صدام. ويقول أعضاء مجلس الحكم إنهم سيعيدون العمل بعقوبة الإعدام التي كان قد تمّ وقفها أثناء الاحتلال الأمريكي. مشهد محاكمة صدام يمكن أن يكون مشهداً استعراضياً. ولكنه يمكن أن يكون خطيراً كذلك. المشاعر قد تثور ثائرتها حينئذ، وقد يحاول من تبقّى من المؤيدين المتشددين أن يقوموا بعملية تكون «مشهداً لافتاً». وسيكون من الصعب على المحققين تقرير أين

يبدأون مع صدام، فضحايا صدام على مدى عقود يصل عددهم إلى مئات الآلاف، إن لم يكونوا بالملايين. ولكن المحاكمة يمكن أن تكون بمثابة نوع من الخاتمة لكابوس العراق الطويل من القمع، شريطة ألا تتحول إلى منبر للانتقام.

القيمة السياسية لاعتقال صدام بالنسبة لجورج بوش ستُقاس بالدقائق التي تكرسها شبكات التلفزيون في نشراتها الإخبارية المسائية للخبر. فتفاصيل التعذيب والقمع ستكون مذكرات ليلية للأسباب التي جعلت بوش يشعر بتبرير غزو العراق. وقد أدّى اعتقال صدام إلى حالة من البلبلة في أوساط الديموقراطيين. الذين يحذرون من أن الاحتفالات رائعة، ولكنها يمكن أن تكون قصيرة العمر.

وقد اتّجه بوش ظهيرة الأحد إلى شاشات التلفزيون لتهنئة الجنود الأمريكيين وللإعلان عن أن «القوات الأمريكية لن ترق إلا بعد أن تكسب الحرب». وأبلغ العراقيين بأن بوسعهم الآن أن يستعيدوا «الكرامة» التي يستحقّون، رغم أنه حذر من أن العنف لم ينته بعد.

وفي المنطقة الخضراء في بغداد حيث يرابط الجنود والديبلوماسيون الأمريكيون خلف الأسيجة الشائكة ومواقع الحراسة، وقف عدد من الجنود الأمريكيين يراقبون بغداد والليل يخيم عليها فيما كان الرصاص الخطّاط ينطلق في السماء ابتهاجاً باعتقال صدام. وقد سقطت إحدى هذه الرصاصات على رأس أحدهم، السيرجنت خوزيه تشافرين من الكتيبة الطبية ١٠٣. ولكنها ارتطمت بخوذته ووقعت عنها من دون أن تصيبه بأذى. وأبلغته قائدته السيرجنت أول ميشيل فورنير أن لديه الآن قصة حرب رائعة يرويها لاحقاً. وقالت: «سأقوم بقطع الرصاصة وثقبها لكي نصنع منها قلادات الحظ السعيد».

كيف انتزعوا من صدام حبة السيانور Cyanure

ومنعوه من الانتحار!

كانت الأخبار قد أكّدت أن صدام حسين، بعد مقتل نجليه عُدي وقُصي، قد لفّ جسده بحزام ناسف، وقيل بحزامين، خشية الوقوع حياً في أيدي الأمريكيين. ومع ازدياد صحّته تراجعاً، وتكثيف حملات الدهم حوله، وبقاء عزيمة التحالف على حالها، برغم المقاومة العراقية الشرسة، فإن الرجل فقد «فروسيته» المعهودة، وإرادة

التحدّي، وغار في عالم الطين، وترك لحيته تطول، وشعره يسترسل، وبدا على مرارة، ودهشة، وانكسار!

وأصاب نبأ مقتل عدي وقصي والدهما بصدمة نفسية تخلّلتها نوبات بكاء حاول إخفاءها بالانعزال عن المحيطين به، إضافة إلى نوبات الحزن، والصراخ. وفي المرحلة الأخيرة تخلّى عن الحزامين الناسفين بعد ارتدائهما كسترة يصل طولها إلى منتصف الفخذ، وهما متّصلان بجهازي تفجير يمسكهما بيديه الاثنتين، ويتيح انفجارهما قَتْل كل من يحوط به، وتفتيت جسمه إلى أشلاء صغيرة، الأمر الذي يحول دون وقوعه حياً، أو وقوع جثّته في قبضة الأمريكيين، شأن ابنيه.

«من عادته أن يحمل مسدساً وحبة سيانور البوتاسيوم «Cyanure» للانتحار على طريقة مدام بوفاري، لفلوبير، إثر خيانة وخيبة! كان يمكن لهذه الحبة أن تعطل خلاياه وتنقذه من ذلّ هذه الخاتمة. لقد جمع الأمريكيون بعد اختراقهم مناطق «السنة»، معلومات حول رغبته في الانتحار، لذلك بادروه بغاز قادر على شلّ الأعصاب. وعلمت «الحوادث» أن الأمريكيين هجموا عليه بعد ذلك وانتزعوا حبة السيانور منه، كما لم يجدوا الحزام الناسف، وحرموه ميتة العزّ، بالسم أو بالسلاح. وهذا الغاز عينه استخدم ضد «إرهابيي» الشيشان عندما اقتحموا مسرحاً في روسيا. نهاية حزينة لهذا الراعي الذي ترك قطيعه، وحُرم لحظة الموت العزيز»[١].

بين «الساموراي» و«القبضاي»!

بضدها تتّضح الأشياء: «الساموراي»، طبقة من المحاربين الذين توارثوا مهنة القتال في اليابان، خلال عصر الإقطاع..

وصاروا فيما بعد قوام الحرس الإمبراطوري.. إلى أن انتهوا بزوال الإقطاع في عام ١٨٧١. وكان «الساموراي» يؤمنون بالطاعة العمياء والولاء المطلق، وشريعة «البوشيدو» التي ترى أن قيمة الشرف أسمى من الثروة وأهم من الحياة. وأن العار لا يغسله أي شيء آخر سوى «الهيراكيري» أو الانتحار الطقسي. أما «القبضاي» فهي كلمة عامية عربية، ربما كان أصلها يعود إلى لفظة «القبضة»، وهي تشير إلى البلطجي الذي

---

(١) الحوادث، ٢٠٠٣/١٢/١٩، العدد ٢٤٥٩ (بتصرف).

يفرض سطوته القذرة بالقوة. ولم يعرف عن أي «قبضاي» أنه كان «بطلاً» أو صاحب قيم. . أو يميز بين الشرف والعار. وإنما هو شخص ذو مصلحة، يفرض السلطة بالتخويف، إلى أن يأتي «قبضاي» آخر ويزيحه من موقعه.

ولقد انتهت مسيرة «قبضاي» العراق كما يليق بها، ولكن أسوأ ما في مشهد اعتقال صدام حسين «ذليلاً، مهاناً، متبلداً»، ليس رؤيتنا لشخص كان يوصف بأنه رئيس دولة عربية خانعاً مستسلماً لفحص طبي عبر قفاز مطاطي عازل، وإنما إن ما حدث كشف من جديد عن أن قطاعات من النخبة العربية بينها من كان مغيّباً حتى الآن. . غارقاً في الوهم. . ينتظر عودة البطل الأكذوبة. . أو ـ على الأقل ـ رؤية جثّته وقد سجيت بصفات النُبل ومحاطة بأكاليل الشهامة.

الأكثر إساءة هو أن البعض أعلن غضبه. . والبعض اكتأب. . وآخرين أقاموا سرادقات الحزن. . وراح هؤلاء وأولئك يقتلون أنفسهم على ضفاف الأسئلة الساذجة. . ويحاولون دفعنا إلى الانتحار الفلسفي، ومناقشة الافتراضات البيزنطية. . وكأنه كان يتوقع مشهداً آخر غير الذي رآه. . وكأنه كان يريد أن يرى أسداً غضنفراً. . وليس هذا الذي ضُبط في مصيدة التهوّر السياسي والعسكري. . قبل أن يسقط في القبضة الأمريكية.

واقع الحال أن هؤلاء الذين يمثّلون أقوى أركان مؤسسة الكذب العربية، مكتئبون مزيفون، كما أن بطلهم ما هو إلاّ وهم، وحزنهم ليس على صدام، أو ما يمثله، بقدر ما هو حزن على أنفسهم، فكل منهم تقمّص وجدانياً ملابسات مشهد الذلّ الذي رأوا فيه صدام المخلوع، وتخيّلوا أنه هم، وبالتالي راحوا يدافعون عن ذواتهم، ومضوا يصدرون للرأي العام العربي أساطير التخمينات وخرافات المعاني، يريدون أن يظل البعض متوهماً أن الذي سقط فارس نبيل، وليس مجرماً أصيلاً. . ليس لأنهم مقتنعون حقاً بما يقولون، ولكن لأنهم يخشون أن يكتمل بوار بضاعتهم الرخيصة. . ويرغبون في أن يواصل الناس معهم اللهاث وراء سراب.

وللأسف الشديد فإن بعض ورثة صدام استطاعوا أن يشغلوا فئات من الرأي العام، وبدا أن هناك من جرى وراء أسئلة هشّة خائبة طرحوها على مائدة النقاش العام، فراراً من الأسئلة الصائبة التي يجب أن تجد إجابة ـ من هؤلاء قبل غيرهم ـ ولذا فإننا

نحاول هنا أن نرصد الأسئلة بنوعيها. . الخائب والصائب. لعلّ هذه الأيام تكون الأخيرة في محاولات «بائري البضاعة» التجرؤ على الاستمرار في الكذب والتضليل.

لماذا لم ينتحر صدام حسين؟

إن مجرّد تخيّل أن هذا كان احتمالاً قائماً هو تخريف شامل. كان عليه أن ينتحر حين أضاع كل رصيد دولته في حرب السنوات الطويلة مع إيران. لو أنه يملك إحساساً بالنخوة كان انتحر، وهو يرى كل يوم نظرات الألم في عيون الأطفال اليتامى والأمهات الثكالى، والأرامل الذين قضى ذووهم في مغامرة لم تخدم سوى المصالح الأمريكية في الخليج والمنطقة بشكل عام. كان عليه أن ينتحر حين ارتكب خطيئة وكارثة غزو الكويت، وأرسى التواجد الأمريكي في المنطقة بناء على طلب معلن من دول تخشى تهوّره. كان عليه أن ينتحر حين سقطت بغداد وراح العراق كله يرزح تحت نير احتلال لم يعان في غزوه. كان عليه أن ينتحر حين عرف أن كل شركائه خانوه. كان عليه أن يموت كمداً على أعزّ ما يملك. . ولديه.

الانتحار قرار (مشرّف). . كيف تتوقّعه من جبان أذلّ شعبه وتسبّب لأمته في المصائب المتوالية. الطاغية يرى أنه فوق الموت ـ معاذ الله. كيف تظن أن لدى صدام أخلاق ساموراي ياباني يرفض أن يسقط أسيراً فيقتل نفسه بسيفه؟ أو حتى يرقى إلى سموّ هتلر ـ بكل سوءات فاشيته وعنصريته ـ الذي حين هزم أبى أن يرى أمّته ذليلة منكسرة فأطلق الرصاص على نفسه.

هل مشهد اعتقال صدام إهانة للعرب؟

ـ هذه أسطورة أخرى يريدون أن يروّجوها. لماذا نوافق من الأصل على منحه صفة قائد أو زعيم. هذا مغتصب سلطة. . رئيس عصابة وليس رئيس دولة، لا هو رئيس منتخب ولا هو ملك دستوري. لقد حكم شعبه بالخوف، وأدار الدولة بالذل، فقد شرعيته منذ زمن بعيد، بل إنه لم يكتسبها من الأصل، الذي يقتل شعبه بالغاز الكيماوي ليس قائداً، الذي يهزم في ثلاث حروب متوالية. . ليس فارساً أو زعيماً، الذي ينهب مال بلده هو وعائلته وعشيرته اسمه الطبيعي لص ومحتال، الذي يتجاوز كل الحقائق وكافة النصائح ولا يؤمن إلاّ برأيه هو متعنّت، وبالتعمّد، وإذا كانت تلك اللحظات قد

آلمت البعض حين رأوه معتقلاً فهذا لأنهم يفهمون معنى الكرامة بطريقة خاطئة.. ويستوعبون قيم الشموخ بما يخالف أعراف البشر.

لماذا لن تنتهي المقاومة باعتقال صدام؟

مجرد طرح السؤال يمنح صدام حسين شرفاً لا يستحقه. ويعني كذلك أننا نصدق الأسطورة الأمريكية حول أنه يقود المقاومة.. هو ومن معه، ربما يكون قد قام ببعض عمليات العنف أو أوحى بها، لكن الواقع في العراق مختلف تماماً.

أي أرض يتمّ احتلالها تنشأ فيها مقاومة.. هذا قانون فطري في أي بلد فما بالنا بالعراق. فرنسا قاومت ألمانيا، وكذلك فعلت روسيا، فيتنام واجهت أمريكا، أفغانستان قاومت الإنجليز، ولبنان قاوم وانتصرت مقاومته على «إسرائيل»، وعلى أرض العراق بجانب المقاومة الطبيعية أصحاب مصالح بعثيون يدافعون عن تضرّرهم من هذه الحالة الاستعمارية الجديدة، وعلى الأرض طوائف وفئات سياسية ودينية وعشائرية لديها أهداف محددة في أن تفرض واقعها حتى لا يتمّ تجاهلها. وعلى الأرض كما تقول بعض التقارير أفراد من تنظيم القاعدة، وعلى الأرض مواطنون لا يجدون شربة ماء أو ضوء كهرباء أو راتباً يعينهم على الحياة.. كيف يمكن أن يصمتوا.

ثم إن من نسبوا له شرف المقاومة يتجاهلون أنه لم يقاتل من الأصل.. إن كنتم قد نسيتم فإن هذا الرجل قد هرب. كيف تقود مقاومة باسلة ضد الاحتلال إذا كنت بتخاذلك وتهاونك قد فتحت الباب على مصراعيه لجيوش المحتل. من يصدق أنك مسؤول عن إسقاط الطائرات في الفالوجة إذا كنت لم تطلق طلقة في بغداد. إنه وكما يقول تاريخه متخصص أصيل في الاغتيال الخسيس لا القتال الشريف. فكيف يكون مقاوماً صاحب رسالة وهدف.

إن تلك هي بعض الأسئلة التي تم طرحها خلال الأسبوع الذي شهد إعتقال صدام.. لكن الأسئلة الواجب طرحها بالفعل لم تحظ بكل الضوء.. ومنها ما يلي:

أسئلة يُسلط عليها الضوء

* من الذي لم يكن مؤهلاً عسكرياً على الإطلاق، وقاد جيشه وعسكر بلده إلى ثلاثين عاماً من الكوارث؟

* من الذي أبقى شرق العالم العربي ملتهباً طوال ما يزيد على ربع قرن ويقول إنه حارس البوابة الشرقية؟

* من الذي أقدم على كارثة غزو الكويت لأنه لمح إيماءة ـ فقط إيماءة ـ من سفيرة أمريكية؟

* من الذي ماطل في عمليات التفتيش ورفض الرضوخ للقرارات الدولية، بائعاً وهم أنه يملك أسلحة الدمار الشامل؟

* من الذي كان يجبر الأخ على أن يقتل أخاه، وليس فقط أن يتجسس عليه؟

* من الذي لم يقبل أي مشورة بالنصح حماية لبلده وأمته وللمنطقة من كوارث متتالية؟

* من الذي أفسد الإعلام العربي وقاد مجموعة من الناس ليفرضوا الترهيب على عقول الناس؟

* من الذي اعتبر مجرّد اقتراح التنحي ـ كحل سلمي للأزمة ـ خيانة.. ثم هرب من الميدان؟

* من الذي قدم أكبر خدمة للولايات المتحدة وسياسات الهيمنة التي تريد فرضها على العالم؟

* هل الشخص المقصود في كل تلك الأسئلة يمكن أن يمثّل الكرامة العربية؟

إذا ما وجد بعض الناس، أصحاب الحالة المزيفة من الاكتئاب الإجابة السليمة على هذه الأسئلة.. سوف يعالجون من حالتهم النفسية، ولكن أغلب الظن أنهم لن يجيبوا.. وسوف يبقون كما هم.. فالتحوّل صعب.. والاعتراف بالحق فضيلة قد لا يملكونها. إلا إذا وجدوا بضاعة جديدة يمكن أن يبيعوها للناس.. ويبدأوا في بناء أكذوبة أخرى. وحتى هذه اللحظة سوف يبقى صدام حسين فارساً صنديداً.. وساموراي لم يستطع الانتحار.. وهلالياً يحاول أن يمتطي صهوة جواده لولا أن الخونة أبعدوه عنه.. وسيبقى تقمّصهم لحالة الاكتئاب قائماً[١].

---

(١) أنظر عبد الله كمال، روز اليوسف، ٢٦/١٢/٢٠٠٣، العدد ٣٩٤١ (بتصرف).

الفصل الثالث عشر

السجين رقم ١

كان صدام حسين قد أصبح السجين رقم (١) في نظام اعتقالي دولي يديره البنتاغون ووكالة المخابرات الأمريكية، وذلك طبقاً لمسؤولين أمريكيين. ويعتبر هذا النظام عالماً سرّياً، حسب قولهم، مكون من منشآت صغيرة وضخمة موزّعة في أماكن مختلفة يحتجز فيها المئات ممّن يشتبه بأنهم إرهابيون ينتمون للقاعدة وطالبان، والمسؤولون السابقون في نظام صدام المخلوع، وهم من اعتقلتهم الولايات المتحدة وحلفاؤها منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والحرب على العراق. والعديد من السجناء ما زالوا رهن الاعتقال في شبكة من مراكز الاحتجاز في مناطق تقع بين أفغانستان وقاعدة غوانتانامو التي يصفها المسؤولون بأنها تتميز بنظام ترتيبي هرمي فريد خاص وفيه يحتجز أهم السجناء بعيداً عن أعين الرأي العام وأجهزة الإعلام. كما أن السجّانين طوّروا فنون الاستجواب بما يمكّنهم من استخلاص كل معلومة هامة من المحتجزين.

وعنوان صدام الجديد بقي سراً، بالرغم من أنه في العراق، حسب قول المسؤولين الأمريكيين حينها. ولم يحدد أحد مكانه بالضبط، ولكن يبدو أنه كان في منشأة للاعتقال تخضع لحراسة مشددة أقيمت في مطار بغداد الدولي، حيث يحتجز كبار المسؤولين العراقيين السابقين. فيما تحتجز المسؤولين الأدنى رتبة في سجن أبو غريب وسط بغداد.

الأمريكيون عرضوا عليه أشرطة القتل والتعذيب خلال حكمه

كشف مسؤولان أمريكيان ممّن يتلقّون التقارير حول استجواب صدام حسين، النقاب عن أن سلطات التحقيق الأمريكية عرضت أمام صدام أشرطة فيديو تتضمن تظاهرات مناوئة له في العراق، وعمليات كشف عن المقابر الجماعية والتعذيب والإعدامات للسجناء إبّان حكمه.

والهدف من ذلك، هو دفع صدام للإدلاء بمعلومات يمكن استخدامها في محاكمته عن جرائم الحرب التي ارتكبها، وفقاً لهذين المسؤولين من إدارة بوش ووكالة المخابرات المركزية.

أما أشرطة التعذيب والإعدام، فهي مصوّرة من عهد صدام التي أُرسل بعضها إلى أقارب الضحايا من أجل ترويعهم، وقد حصلت المخابرات الأمريكية على هذه الأشرطة من هؤلاء الأقارب.

وبعد أن أنكر صدام خلال الأيام الأولى من التحقيق، أي معرفة له بأعمال «التمرّد»، بدأ المحققون الأمريكيون يوجّهون له أسئلة تستهدف اختبار صدق المعلومات التي يدلي بها، كما يقول أحد المسؤولين في الاستخبارات الأمريكية.

«ويشترك في التحقيق مع صدام، مسؤولون رفيعو المستوى من الجيش الأمريكي ووزارة العدل وأجهزة المخابرات، وتتولّى «سي .آي .إيه» إدارة التحقيق. كما يتولّى خبراء نفسيون تحليل كل حركة وكل كلمة يتفوّه بها، ضمن الإجابات التي وصفها أحد المشاركين في التحقيق بأنها «إجابات معلّبة». وفي وقت لاحق، سيتم استجواب الرئيس العراقي السابق حول الأسلحة البيولوجية والكيماوية والدول التي ربّما ساعدته في بناء هذه الأسلحة»[١].

---

(١) القبس، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٣، العدد ١٠٩٦٢ (بتصرف).

صدام للمحققين: عاملوني باحترام

واصل صدام حسين الإدلاء ببيانات مشوّشة واتّسمت بالتحدّي أمام محققي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي.آي.إيه»، حيث زعم أن حكومته لم تستسلم أبداً، وأنه سيحقق فوزاً ساحقاً لو أجريت انتخابات جديدة في العراق.

وقال مسؤولون أمريكيون كانوا على صلة بالتحقيق مع صدام أنه ينفي أن يكون نظامه قد ارتكب جرائم، متهماً إيران بشن الهجمات الكيماوية ضد الأكراد في أواخر الثمانينات.

ويوضح هؤلاء المسؤولون أنه يرفض الإقرار بالأوضاع البائسة التي وجد نفسه فيها، ويطالب بأن تجري معاملته باحترام. وأصرّ صدام أثناء أول جلسة للتحقيق معه أنه لا يزال رئيساً للعراق. وقال إن حكومته وجيشه لم يستسلما حتى الآن!

وفي بعض الأحيان يتصرّف مثل قاتل مغرور يرفض الانصياع لأوامر السجّانين البسيطة كالطلب إليه أن يقف عند بعض الاستجوابات، ويقول أشياء مثل «أريد أن أجلس الآن» و«أنا رئيس العراق» و«هل تعاملون رئيسكم بهذه الطريقة؟».

اشرطة عن الاحتفال باعتقاله

ولوقف دائرة هذا الجدل واصل المحققون إبلاغه أنه لم يعد رئيساً للعراق، وعرضوا عليه أشرطة تظهر العراقيين وهم يحتفلون في الشوارع لأنباء اعتقاله. وقال مسؤول أمريكي أن «رده علينا هو مطالبتنا بإجراء انتخابات، وأنه سيحقق فوزاً ساحقاً في مثل هذه الانتخابات».

وقال الكولونيل باتريك لانغ رئيس وكالات الاستخبارات الدفاعية الذي تحدث إلى عدد من المحققين مع الرئيس العراقي المخلوع أنه (أي صدام) «يحاول الاحتفاظ بهالة السلطة ويجد المحققون أنفسهم مضطرين لتذكيره بين الحين والآخر بأنه لم يعد يمتلك مثل هذه السلطة».

الربيعي يروي يوميات صدام بالسجن

قال مستشار الأمن الوطني العراقي الدكتور موفق الربيعي ان «صدام حسين قانونياً تحت عهدة القانون العراقي، أي انه سجين لدى الحكومة العراقية. لكننا نستعين بالقوات المتعددة الجنسيات لحراسته اضافة إلى الحراس العراقيين».

وأوضح الربيعي ان الرئيس العراقي المخلوع كان يلتقي يومياً بخمسة أشخاص فقط وهم: المترجم والطبيب والممرض والسجّان ومن يوصل اليه الطعام.

وفيما يلي نص الحديث:

يوميات صدام في السجن

* اين هو صدام حسين اليوم؟

- في سجنه.

* في معتقل الرضوانية مثلما سربت الأنباء؟

- «يمكن هو هناك».

* ماذا يرتدي؟

- اللباس الرسمي للسجناء العراقيين الأبيض المخطط بالأسود.

* هل تقدم له وجبات مختلفة عن بقية السجناء؟

- كلا يأكل نفس الطعام الذي يقدم لكل السجناء.

* بمن يلتقي يومياً؟

- المترجم والطبيب والممرض والسجّان ومن يقدم له الطعام.

* كيف هي حالته الصحية؟

- ممتازة وهو تحت اشراف طبي جيد.

* ما هي مساحة زنزانته؟

- خصصت له زنزانة واسعة نسبة إلى مساحة الزنزانات المخصصة لبقية أركان نظامه.

* ماذا يفعل في سجنه؟

- يصمت (يصفن) كثيراً.

* هل يكلم احداً؟

لا احد يتكلم معه، والسجّان لا يتكلم العربية كما انه لا يتكلم الانجليزية.

* هل يترك الزنزانة؟

- له ساعتان يومياً يقضيها خارج الزنزانة.

* هل يقرأ أو يسمع الاذاعة أو يشاهد التلفزيون؟

- الصحف والاذاعة والتلفزيون ممنوعة عليه وليس هناك كتب في زنزانته.

* هل يلتقي بأحد من السجناء، من اركان نظامه مثلا؟

- كلا، لا يلتقي بأي شخص باستثناء من ذكرتهم لك.

* هل يكتب؟

- لا، ليس في غرفته قلم ولا ورقة.

* كيف وجدته في المحكمة؟

- مجادلاً أكثر من اللازم.

* وتحدث مع القاضي بطلاقة؟

- لا كان يجادل ويحاول ان يجد اخطاء في قيام المحكمة. ومن جملة ما قاله للقاضي «أنا رجل قانون وانت تعرفني، أنا أحترم القضاء» .و«كيف قامت هذه المحكمة. وأنا أريد كل عراقي أن يحترم القضاء العراقي».

* هل رد القاضي عليه؟

- قال له القاضي «نحن نقيم الحق هنا». فرد عليه صدام قائلاً: الحق مسألة نسبية وهو يعتمد على القرآن الكريم والشريعة النبوية، بدلاً أن يقول الشريعة الاسلامية، مع إلحاحه على أنه رئيس العراق المنتخب من قبل الشعب العراقي.

* هل لاحظ وجودك أو تحدثت معه؟

- كلا لم أتحدث معه. لكنه عندما قام وساعده الحارس العراقي على النهوض قال له صدام «على كيفك وياية اني رجل كبير» ثم سأل الشرطي عني قائلا «هذا كان موفق الربيعي أليس كذلك؟».

* هل التقى بعضاً من أركان النظام السابق؟

- كلا لم يلتق بأحد

* ما هي الخطوة المقبلة؟

ـ الآن ستجرى عمليات تحقيق دقيقة مع المتهمين وهذه قد تمتد إلى سنة.

* من يحقق معه اليوم؟

ـ قضاة عراقيون، ولن يلتقيه أحد حتى انتهاء المحاكمة، ولو اراد أي شخص عربي أو غربي لقاءه فعليه ان يتقدم بطلب إلى الحكومة العراقية.

* كيف وجدتم اركان النظام السابق الذين تم توجيه الاتهامات لهم؟

ـ في حالة انهيار تام، غير متماسكين داخلياً وأكثرهم انهياراً وزير الدفاع الأسبق سلطان هاشم وصابر الدوري رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق.

* هل ستكون المحكمة عراقية؟

ـ المحكمة عراقية تماماً[(١)].

النص الكامل لأول حوار عراقي مع صدام

في غرفة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران، كان صدام يجلس على سرير صغير، مفروش بعناية عسكرية بفرش حديث. يرتدي دشداشة بيضاء وسترة زرقاء وينتعل شحاطة سوداء وجوارب باللون نفسه.

الغرفة مضاءة بشكل يمنعه من استخدام الكهرباء لو فكر في إيذاء نفسه (الانتحار الذي انتظره الكثيرون ولم يأت على سبيل المثال). في الغرفة الصغيرة جداً هناك طاولة بلاستيكية، عليها بعض الطعام وعصير فواكه وعبوة مياه معدنية وقدح.

وضعه النفسي

كان يردد الكلام وكأنه مسجل في داخله ويسرده كشريط وكأنه ما زال رئيسا مثل: الأمة العربية المجيدة، حقوقنا التاريخية في الكويت، أنا رئيس جمهورية منتخب، خيانة العرب.. وغيرها من الكلمات التي كان يحلو له ترديدها في اجتماعاته مع أركان نظامه.

---

(١) موقع شبكة كربلاء على شبكة المعلوماتية، تاريخ النقل ٨/ ٧/ ٢٠٠٤.

وجدوه جالساً على حافة السرير، دليل على الانكسار والعزلة الشديدة عن الحياة.. لكنه حاول نفخ نفسه على الطريقة الغربية بوضعه رجلاً على رجل .

غير أنه طوال الحديث لم يضع عينيه بعين من يحدثه، وكان قلقاً إلى الحد الذي كان ينظر إلى الأعلى والأسفل ويقوم بحركات مفاجئة وانحناءات، ويتلفت بدون سبب وكأنه يوحي بحدوث شيء غريب أو يتهيأ له حدوث هذا الشيء، كدليل على الاضطراب النفسي .

وطوال ثلاثة أرباع الساعة التي تحدث بها مع خلفائه في حكم العراق، لم يشعر أي من الذين سألناهم بأن صدام كان يحمل قطرة واحدة من الندم، وحاول التغاضي أو التظاهر بأنه نسي تلك الجرائم، حتى التي ذكره بها خلفاؤه .

رجل على رجل على حافة السرير يرفع عينيه وينزلها ولا يضع عينه في عينك أبدا، لا تشعر منه طيلة ثلاثة أرباع الساعة ان لديه شعرة من الندم على ما فعله بالرغم من أنه ذكر بها. كما أنه حاول تحويل أي اتهام جنائي إلى حوار سياسي وعندما كان «ضيوفه» يحاصرونه في زاوية في الحوار، يحوّل الحوار إلى الأمريكان كما لو كان يستعين بهم. لكن الأمريكيين بريمر وسانشيز لم يتفوها بكلمة ولم يكلماه أبدا .

صورة حوار

فتح الباب وكان صدام يجلس على حافة السرير في الغرفة المستطيلة ودخل عليه الرجال الستة، وبادر الدكتور أحمد الجلبي بتقديم الحضور إلى صدام: الدكتور عدنان الباججي، الدكتور موفق الربيعي والدكتور عادل عبد المهدي. وبعد أن صمت الجلبي قدمه الربيعي إلى صدام: الدكتور أحمد الجلبي .

رأى صدام أنهم واقفون، فطلب منهم الجلوس لكنهم رفضوا .

الربيعي: لماذا قتلت الصدر؟

صدام : أي صدر؟

الربيعي: السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد صادق الصدر وآل الحكيم .

صدام: شنو الصدر.. شنو الرجل. هؤلاء عملاء متآمرون .

الربيعي: وماذا عن الذين قتلتهم ودفنتهم في المقابر الجماعية؟

صدام: هؤلاء لصوص وسراق وهاربون من الخدمة العسكرية، اسألوا عوائلهم عنهم سيقولون لكم الشيء نفسه .

الربيعي: طيب لنترك الصدرين وشهداء المقابر الجماعية، لماذا قتلت عبد الخالق السامرائي وعدنان الحمداني؟

صدام: (شعر بالاستفزاز وأجاب بغضب وعنجهية) ما شأنكم بهما؟ هؤلاء بعثيون.. البعثيون لا علاقة لكم بهم .

عبد المهدي: لماذا أعدمت البعثيين؟

صدام: (بدأ يهين ويشتم كل البعثيين الذين عملوا معه ووصفهم بالأوغاد .

عبد المهدي: وماذا فعلت بالعراقيين؟

صدام: أنتم وكل العراقيين كنتم حفاةً وجياعاً وقد قمت بإطعامكم وإلباسكم الأحذية .

عبد المهدي: كنت تعتبر الجميع ملكاً لك تتصرف بهم كما تشاء .

صدام: العراقيون يحتاجون حاكماً حازماً وعادلاً وكنت كذلك .

الربيعي: بل كنت ظالماً ومسؤولاً عن موت الناس .

صدام: أنا رجل بسيط لا أملك شيئا .

عبد المهدي: في بغداد وحدها لديك ١٠ قصور .

صدام: هذه قصور الشعب .

عبد المهدي: هل أنت مالك إرادتك.. هل كان الشعب يستطيع الاقتراب من هذه القصور لكي تقول انها قصور الشعب. إلى متى تستمر في هذه المراوغة والكذب. سابقاً كنت تستطيع أن تقول ما تشاء ولا أحد يستطيع أن يقول ما يشاء، أما الآن فالناس أحرار ويقولون ما يشاءون .

الربيعي : لماذا ارتكبت كل تلك الحماقات وأعلنت الحرب على إيران واجتحت الكويت وأدخلت البلاد في حروب لا طائل منها .

صدام: (وجه سؤاله إلى الباججي) أنت وزير للخارجية العراقية ما الذي تفعله مع هؤلاء الأشخاص؟ قل لهم هل الكويت عراقية أم لا؟

الباججي: انكم أنتم اعترفتم بالكويت عام ١٩٦٣ وكانت لديك فرصة ذهبية في أن تنسحب من الكويت وتجنب العراقيين كل هذه المشكلات .

صدام: لنا حق تاريخي في الكويت ولولا خيانة العرب لما حصل ما حصل. فالآلة عندما تنطلق لا يمكن إيقافها وكانت هناك نيات مبيتة من الدول الأجنبية ومن الخونة العرب .

الباججي: لكنكم في عام ١٩٦٣ اعترفتم بالكويت وأقررتم أنها دولة؟

صدام: كان ذلك في ظروف خاصة .

الباججي: وماذا تقول عن مصر وسوريا اللتين شاركتا في التحالف في الحرب ضدك ؟

صدام: أطرق رأسه ولم يجب؟ .

عبد المهدي: لماذا استخدمت الأسلحة الكيميائية ضد الشعب في حلبجة؟

صدام: إيران ضربت حلبجة وكانت حرب .

عبد المهدي: لماذا تدعو الناس إلى القتال بينما أنت تهرب في كل المعارك التي دعوت لها وتسببت في قتل الأعداد الضخمة؟ وعندما كاد الموت يصل إليك استسلمت؟ كنت تقول سأجعل من بغداد مقبرة للغزاة وعندما وصلوا إليك هربت .

الربيعي: قلت إنك ستقاوم وحرضت الناس على المقاومة وكان لديك بندقيتان ومسدس وتقول أنا شجاع وعربي، لماذا لم تطلق رصاصة واحدة؟ لماذا لم تقتل جندياً واحداً؟ أنت جبان إذن، فقد أتحت لهؤلاء(أشار الربيعي لبريمر وسانشيز اللذين كانا يقفان معهما) أن يقبضوا عليك من دون أن تطلق رصاصة واحدة .

صدام: (يسأل الربيعي) أنت مكاون (مقاتل بالتكريتية)؟

الربيعي: نعم مكاون .

صدام: أين؟

الربيعي: في كردستان وفي إيران .

صدام: ما معرفتك بالقتال؟

الربيعي: نحن نعرف القتال أفضل منك وأنت قدت البلاد إلى كل هذه النتائج بما فيها وجود القوات الأجنبية على أرض العراق .

عبد المهدي: الأسئلة ليست لنا .

صدام: شنو يعني؟!

عبد المهدي: أنت المتهم الآن، ولو كنا مكانك الآن وأنت في مكاننا لثرمتنا وما حاورتنا بهذه الطريقة.

صدام: متهم ممن؟ أنا رئيس جمهورية منتخب. .

عبد المهدي: بأي مهزلة انتخبك الشعب، نعتقد أنك غير جاد بذكر هذا. أنت الآن بحماية الجنود الأمريكيين، فها هو الشعب فرحان بالقبض عليك، لولا الجنود الأمريكيين لرأيت ماذا يفعل بك الشعب.

الربيعي: لو خرجت الآن ورأيت العراقيين كيف يعبرون عن فرحهم.

صدام: هؤلاء غوغاء وجهلة.. تعرفون كم كنت قريباً من الشعب في حين إنكم لا تستطيعون النزول إلى الشارع.

عبد المهدي: بالعكس، جئناك من وسط الجماهير المبتهجة. ما رأيك أن تطلب من الذين يحمونك الآن أن يرفعوا حمايتهم عنك ونذهب معاً إلى الشارع والشعب لنرى ما سيفعله الناس لنا وما يفعلونه بك؟

صدام: (طأطأ رأسه ولم يجب).

عبد المهدي: كنت تدفع الناس للقتال وأنت لم تقاتل؟ أولادك قاتلوا وأنت لم تقاتل.. ألم تكن جباناً؟

صدام: (أطرق رأسه وصمت).

الربيعي: لعنة الله عليك يا صدام حسين بأي وجه ستقابل الله يوم القيامة بما فعلته بالعراقيين!

صدام: يتهجم على الربيعي بالشتائم؟.

في اللحظات التي خرج بها أعضاء مجلس الحكم، خاطبهم صدام بذهول وخوف شديد: «ها.. رايحين .. هاي شلون .. ليش طالعين ..».

تصور صدام، على الأرجح، أن خروجهم يعني تنفيذ حكم إعدام فوري بحقه، كما فعل برفاقه عندما حاوروه أيضاً لبعض الوقت ثم دخلت مجموعة أخرى وأطلقت النار عليهم[1].

---

(١) هذا الحديث نشرت مقتطفات منه بعض الصحف الصادرة بتاريخ ١٦ إلى ٢٠/١٢/٢٠٠٣، ولدينا شريطاً مسجلاً (كاسيت) لوقائع هذا الحوار كاملاً.

الفصل الرابع عشر

محكمة الأنفال

في قضية الأنفال

اتهمت المحكمة الجنائية العراقية العليا، الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين وستة من معاونيه، بارتكاب جرائم إبادة جماعية ضد الأكراد في شمال العراق، في إطار حملة "الأنفال" العسكرية، التي قام بها الجيش العراقي بين العامين ١٩٨٧ و١٩٨٩، والتي يعتقد أنها أسفرت عن مقتل نحو مائة ألف شخص من الأكراد العراقيين، بالإضافة إلى تدمير ما لا يقل عن ثلاثة آلاف قرية.

ما هي الأنفال؟

الأنفال هي حملة عسكرية من ثماني مراحل، أسفرت عن القتل العمد لخمسين ألفا على الأقل، وربما مائة ألف من الأكراد.

استخدمت القوات العراقية في حملة الأنفال ولمرات عديدة أسلحة كيماوية ضد الأكراد.

واستمرت حملة الأنفال «الرسمية» من أواخر فبراير/ شباط إلى أوائل سبتمبر/ أيلول ١٩٨٨.

وقع الاختيار على الضحايا الذين كان منهم نساء وأطفال وشيوخ، لأنهم كانوا أكراداً بقوا في مسقط رأسهم بأراض خارج نطاق المناطق التي تحكمها بغداد.

أسفرت تحريات وتحقيقات منظمة هيومان رايتس ووتش لحقوق الإنسان في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣ عن تصنيف الأنفال كـ"جريمة إبادة جماعية" ضد جانب من السكان الأكراد العراقيين في شمالي البلاد.

* من هم المتهمون الذين يحاكمون في القضية؟

مَثُلَ أمام المحكمة العليا العراقية سبعة متهمين، من ضمنهم صدام حسين، كانوا

يتولون مناصب رئيسية إبان حملة الأنفال. وهؤلاء المتهمين هم (بترتيب مناصبهم في ذلك الوقت):

- صدام حسين، الرئيس العراقي.

- علي حسن المجيد، أمين سر مكتب الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كان مخولاً صلاحيات خاصة يمارسها على شمالي العراق، تعادل صلاحيات الرئيس.

- سلطان هاشم أحمد، القائد العسكري للحملة.

- صابر عبد العزيز الدوري؛ رئيس الاستخبارات العسكرية.

- حسين رشيد التكريتي، عضو القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية، والقائم بالعمليات.

- طاهر توفيق العاني، محافظ الموصل.

- فرحان مطلق الجبوري، مسئول الاستخبارات العسكرية في شمالي العراق.

وكل من صدام حسين وعلي حسن المجيد متهم بارتكاب إبادة جماعية .

* ما هي أهمية محاكمات الأنفال؟

خلافاً لمحاكمات الدجيل، والتي كانت تتعلق بعمليات قتل مروعة في قرية واحدة، ترقى قضية الأنفال إلى مستوى الجرائم الجماعية.

ورغم تسميتها بالنزاع مع الميليشيات الكردية المعروفة باسم البشمركة، فالأنفال تضمنت عمليات إعدام جماعية واختفاء عشرات الآلاف من المواطنين الأكراد العاديين رجال ونساء وأطفال.

استخدمت القوات الحكومية أسلحة كيماوية، ودمرت حوالي ثلاثة آلاف قرية، واضطر مئات الآلاف من أهالي القرى إلى النزوح.

وتشمل التهم التي وجهت إلى صدام حسين الإبادة الجماعية، التي تعتبر أخطر الجرائم الدولية.

ولإثبات المسؤولية الجنائية الفردية التي يتحملها صدام حسين، طُلِبَ من ممثل الادعاء تقديم أدلة قوية على أنه (صدام حسين) قصد بالتحديد القضاء على المجني عليهم بسبب كونهم أكراداً.

وحيث أنها جريمة جماعية، لزم تقديم أدلة من أماكن متعددة للجريمة.

ما هي الأدلة على أنها جرائم إبادة جماعية؟

يقول تقرير هيومان رايتس ووتش إن الحكومة العراقية استحدثت "المناطق المحظورة" المزعومة في العراق، مع أمر بإعدام كل من وجد مقيماً في هذه المناطق.

وتتمثل حدود هذه المناطق المحظورة بشمال العراق، في تلك التي لا يقطنها تقريباً سوى الريفيين الأكراد.

ويضيف تقرير المنظمة الدولية أن الادعاء بأن الذين قتلوا أو أزيحوا من "المناطق المحظورة" كانوا متمردين أو متعاطفين مع المتمردين، ليس جديراً بالتصديق، لأن صغار الأطفال كانوا من ضمن عشرات الآلاف من ضحايا حملة الأنفال.

وعلاوة على ذلك، لم تستثن الحكومة العراقية أحداً بسبب الولاء السياسي، فقد تعرض أيضاً الأكراد الذين كانوا موالين للحكومة لتهديد الأسلحة الكيماوية، بحسب التقرير.

وادعت الحكومة أن الأكراد ساندوا إيران في الحرب الإيرانية العراقية، ولكن حتى لو كان ذلك صحيحاً، فهو لا يبرر حجم القتل في المناطق المحظورة، وعلى الأخص، قتل النساء والأطفال والرجال الذين لم يشاركوا في أعمال الحرب.

وخلص التقرير إلى أنهم قتلوا لكونهم من الأكراد.

كيف قامت هيومان رايتس ووتش بتوثيق حملة الأنفال؟

في عام ١٩٩٢ وبعد حرب الخليج، أرسلت هيومان رايتس ووتش فريقاً من الباحثين إلى شمالي العراق.

قام فريق المنظمة على مدى عدة أشهر بتحريات وتحقيقات شاملة، وقابل أعضاء المنظمة حوالي ٣٥٠ شخصاً ممن نجوا من حملة الأنفال، ومن شهود الحملة، وقاموا بتحليل للتربة في مناطق استخدمت فيها الأسلحة الكيماوية.

ولأغراض الحفظ والتحليل، سلم لهيومان رايتس ووتش ١٨ طناً من الوثائق الأمنية العراقية، التي استولت عليها المليشيات الكردية حينما غادرت قوات الأمن الحكومية المنطقة.

وعلى أساس البحث الميداني وتحليل الوثائق، خلصت هيومان رايتس ووتش إلى أن الأنفال تشكل جريمة إبادة جماعية.

وفي عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥، حاولت المنظمة إقناع عدة حكومات مهتمة بحقوق الإنسان، برفع دعوى على الحكومة العراقية، بموجب أحكام اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، أمام محكمة العدل الدولية.

ولكن للأسف لم تثمر هذه المبادرة، حسبما خلص تقرير المنظمة.

وفيما يلي سنعرض أبرز محطات جلسات هذه المحاكمة التي بدأت رسمياً بتاريخ ٢١ /٨/٢٠٠٦ واستمرت لغاية ٢٤/٦/٢٠٠٧ تاريخ النطق بالحكم، ولكننا سنقتصر على الجلسات التي حضرها صدام حسين شخصياً حتى لا نخرج عن موضوع الكتاب، وعددها ٣٣ جلسة، فيما استمرت المحكمة ٢٧ جلسة إضافية. لعلّ قراءة هذه الوقائع والتفاصيل تساعد في إبراز الحقائق؛ وهي بالتأكيد شكلت إدانة مباشرة للرئيس العراقي السابق من خلال شهادة شهود العيان الذين عاشوا تلك المرحلة، وبعضهم قدّم أدلة كافية.

تفاصيل الجلسة الأولى من محاكمة صدام بقضية الأنفال ٢١/٨/٢٠٠٦

استهلت الجلسة بسؤال رئيس المحكمة، عبد الله العامري، للرئيس العراقي المخلوع عن أسمه، ورد الأخير "ألا تعرف أسمي"..

صدام "أحترم قانون ١٩٦٩ والدستور كاملاً وليس جزئياً.. لأنكم جالسين الآن أمامي تحت مظلة الاحتلال.. ومن حقي أن لا أجاوب".

وطلب القاضي من كاتب المحكمة تسجيل أسمه صدام حسين" ورد الأخير مكملاً أسمه بالكامل معرفاً وظيفته برئيس الجمهورية والقائد الأعلى للجيش العراقي.

واستدعى رئيس المحكمة جميع المتهمين الآخرين للتأكد من هوياتهم وفق الأعراف القانونية المعمول بها، كما تأكد من حضور وكلاء الحق الشخصي لوقائع الجلسة.

شرح قاضي المحكمة معنى كلمة "الأنفال" التي قال إن مصدرها هو القرآن وتعني الغنيمة.

وتدخل صدام ليفسر معنى "الأنفال" بدوره، إلا أن القاضي طالبه عدم المقاطعة.

ووجه قاضي المحكمة قرار الإحالة إلى صدام قائلاً إنه يواجه ثلاثة تهم هي: جريمة ضد الإنسانية وجريمة حرب وجريمة إبادة.

وتجاهل صدام السؤال وعندما سأله القاضي مجدداً رد قائلاً "أتتحدث معي.. قلت إن من حقي الصمت، فسكت" ورد متهكماً "إفادتي في هذا الشأن تحتاج "إلى كتب".

ورفض المتهمون تهم الإحالة الثلاثة الموجهة ضدهم.

وبدأ رئيس الإدعاء العام جعفر الموسوي في سرد الظروف التي سبقت جريمة "الأنفال" وما تلاها من إجراءات.

وأستهل مطالعته بتلاوة آية قرآنية وشرح كلمة الأنفال التي قال إنها تعني "الغنائم في حروب مع غير المسلمين وأن التسمية لا تنسجم مع واقع أبناء كردستان".

وقال الموسوي إن "جرائم الأنفال انفردت بأحداثها من حيث الضحايا، واختلاف أعمارهم، وطريقة إبادتهم والتمثيل بهم، واغتصاب النساء، ونهش الكلاب لجثث الضحايا، وعزل أطفال عن أمهاتهم، وتعريض الضحايا لظروف تعجز الكلمات عن وصفها".

واتهم الموسوي المتهمين السبعة باستهداف السكان المدنيين في كردستان، وتدمير ممتلكاتهم، والقضاء على جميع مظاهر الحياة في المنطقة.

وشرح بصورة عامة مجريات العمليات العسكرية، وكيفية التنكيل بالقرى الكردية، من بينها، استخدام الأسلحة الكيمائية وتنفيذ إعدامات جماعية وتدمير القرى بعد حرقها.

وقال إن عمليات تصفية المدنيين تمت على مرحلتين: الأولى تصفية جميع الشباب، والثانية احتجاز النساء والأطفال في ظروف غير إنسانية، مما أدى إلى مصرع الكثير منهم.

ووصف تلك الجرائم بالانتهاكات المنافية للأعراف والقوانين الدولية والإنسانية.

وقال إن عدد المعتقلين في معتقل "طوبزاوة" بلغ ٢٦ ألف شخص، ومعتقل "الدبس" عدد مماثل.

وقدر عدد ضحايا العمليات الحربية التي استهدفت الأكراد بقرابة ١٨٢ ألف ضحية.

وتحدث أحد أعضاء فريق هيئة الإدعاء عن المعاناة التي تسببت بها العمليات العسكرية التي شنها النظام العراقي السابق عام ١٩٨٨.

وبدوره تحدث عن معنى الأنفال التي هي السورة الثامنة في القران الكريم "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول.. واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم".

وتساءل عن ماهية العلاقة التي ربطت بين "الأنفال" والجريمة المفرطة في الوحشية التي ارتكبت ضد الأكراد، قائلاً إن تلك الحملات العسكرية شنت ضد الإنسان.

وقال إن عدد مستندات القضية التي تبلغ ٩٣١٢ صفحة، لا تعكس مدى معاناة الضحايا أو أقاربهم، وإن الوقت قد أزف لتعرف الإنسانية حجم فداحة الجرائم التي ارتكبت ضد كردستان لا لذنب سوى أنهم أكراد.

وطلب باسم هيئة الإدعاء من المحكمة، الاستماع بعناية وتركيز إلى إفادات الشهود التي سيعجز المرء عن تصديقها، وكيفية تنفيذ الهجمات العسكرية ضد القرى.

وذكر أن عملية الأنفال قسمت على ثمان مراحل مختلفة:

* الأنفال الأولى

بدأت يوم ٢٢ فبراير/شباط ١٩٨٨ بشن مجموعة من الهجمات بالأسلحة الكيمائية والتقليدية بوادي "جابايتي" في محافظة السليمانية، وشنت الهجمات بوجه خاص على بعض القرى، احتجزت على أثرها القوات المهاجمة عدداً قليلاً من المدنيين.

* الأنفال الثانية

بدأت يوم ٢٢ مارس/آذار ١٩٨٨ عندما شنت القوات هجمات بالمواد الكيمائية برا وجوا على قرية "سوشينان" في محافظة السليمانية، وقدر عدد القتلى في هذا الهجوم بين ٧٠ إلى ٨٠ قتيلاً.. وشمل القصف الكيمائي ثلاثة قرى كردية أخرى، كما احتجزت القوات الكثير من العوائل نقلوا إلى معتقل "دبس".

* الأنفال الثالثة

بدأت في سهل "كرميان" في السابع من إبريل/نيسان عام ١٩٨٨ بهجوم بري

وجوي واسع استخدمت فيه الأسلحة الكيمائية أيضاً.. واعتقل الكثير من المدنيين رُحّلوا عقبها إلى معتقلات "طوبزاواة" و"دبس" فضلاً عن ""نقرة السليمان".

* الأنفال الرابعة

بدأت في الثالث من مايو/ أيار من نفس العام، بهجوم بري وجوي عنيف نكلت على إثرها القوات المهاجمة ببقية المدنيين في المنطقة.

* الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة

بدأت في ١٥ مايو/ أيار إلى ٢٨ أغسطس/ آب عام ١٩٨٨ شنت على إثرها القوات المهاجمة هجمات كيمائية على بعض القرى من بينها "دارة" "وراوندوس".

* الأنفال الثامنة

بدأت في ٢٥ أغسطس/ آب عام ١٩٨٨ على قرى "بهدينان" "بلجيني" و"بهنيكا" وألقي القبض على العديد من المدنيين لم يتحدد مصيرهم حتى اللحظة.

وسرد الادعاء العام بالتفصيل معاناة الآلاف من الأكراد احتجزوا في ظروف إنسانية قاسية وعمليات اغتصاب نفذتها القوات المهاجمة.

وعرض صوراً لرفات بعض الأطفال الذين عثر عليهم داخل مقابر جماعية من بينها أحدهم قتل وهو ممسك بكرة بجانب رفات والدته.

فريق الدفاع يستعرض بعض الدفوع الشكلية

وطعن أحد طاقم الدفاع في مستهل دفوعه في شرعية المحكمة لعدم استنادها إلى القانون من حيث السلطة المنشئة أو أسسها القانونية.

وقال إن المحكمة الجنائية العراقية العليا مخالفة للقوانين لتشكيلها من قبل الاحتلال الأمريكي إبان "سلطة الائتلاف المؤقتة" برئاسة بول بريمر، وإن المحتل لا يملك سلطة تشكيل محاكم في البلد المحتل أو ممارسة سلطة التشريع.

وقاطع الإدعاء محتجاً على استخدام الدفاع عبارة أن "إدارة مجلس الحكم المؤقت تابعة لقوات الاحتلال".

بعد استراحة قصيرة، استأنفت المحكمة جلستها بحضور المتهمين، وباقي أعضاء فريق الدفاع، بعد أن أعلن محاميان انسحابهما من جلسة المحاكمة، قبل الاستراحة.

رئيس الإدعاء يرد على دفوع وكلاء المتهمين قدم رئيس الإدعاء رداً على دفوع

وكلاء المتهمين فيما يتعلق بشرعية المحاكمة وحصانة المتهمين، قائلاً إن المحكمة تشكلت وفقاً لإرادة شعبية، بقرار من الجمعية الوطنية المنتخبة "رغم ما تعرض له بعض الأعضاء من تهديدات".

وحول حصانة المتهمين، قال إن مجرد محاولة هؤلاء المسئولين (المتهمين) الالتفاف على القانون الدولي، ليقرروا حصانات تحميهم من الخضوع له، فإن ذلك يشكل قرينة على علم هؤلاء المسئولين بأحكام القانون الدولي.

ورداً على ما أثاره أحد محاميي الدفاع بشأن أن موكله يعتبر أسيراً ولا يجوز تقديمه للمحاكمة، قال رئيس الإدعاء إن جميع الدول تقوم بمحاكمة الأسرى إذا ثبت أنهم قد ارتكبوا جرائم تستوجب محاكمتهم.

وبعد انتهاء المدعي العام من تقديم رده، طلب أحد المحامين الرد على ما جاء فيه، حيث طلب مثول رئيس مجلس شورى الدولة أمام المحكمة للإدلاء برأيه بشأن هذه المحكمة.

وعندما طلب رئيس المحكمة الاستماع لبعض المدعين بالحق الشخصي، قاطعه صدام قائلاً إن المحكمة لم تستمع إلى رأي المتهمين، فأمره القاضي بالانتظار حتى يتم الانتهاء من الإدعاء.

ثم استمعت المحكمة إلى مزيد من دفوع المحامين، والتي جاء فيها أن قرار مجلس الأمن لم يتضمن تخويل أية سلطات لبريمر لتشكيل أية محاكمات، كما أن الولايات المتحدة ترفض التوقيع على قانون المحكمة الجنائية الدولية، بل وطلبت من الحكومة العراقية في العام ٢٠٠٤ عدم التوقيع على ذلك القانون.

كما طلب أحد المحامين أن تأخذ المحكمة في اعتبارها قانون الخدمة العسكرية.

كما أشار عضو آخر بفريق الدفاع إلى أن المحكمة تعد أول محكمة في التاريخ تسعى إلى تطبيق القانون الدولي، من قبل كادر متخصص في القوانين المحلية.

وطلب من هيئة المحكمة الامتناع عن نظر الدعوى، لعدم اختصاصها.

وبعد ذلك طلب رئيس المحكمة الاستماع باختصار لصدام حسين، الذي قال في بداية حديثه: "إذا كان تعليقي يضايقكم، فلن أعلق"، واستطرد: "أفترضكم عراقيين وقضاة"، مشيراً إلى أن الموضوع لا يتعلق بأشخاص معينين، ولكن بمبدأ المحاكمة.

وقال صدام إن كل ما جاء في مذكرة الإدعاء مجرد اجتهاد، لا يستند لأي أسس قانونية.

وقال صدام، في نبرة حادة: "لا أقبل أن يقال إن امرأة عراقية اغتصبت وصدام حسين رئيس جمهورية".

ورد القاضي بقوله إن الإدعاء خصم شريف، وإذا ثبتت هذه الاتهامات ستأخذ بها المحكمة، أما إذا لم تثبت فلن تأخذ بها.

فسأله صدام: "وهل الخصم الشريف يقدم أحكاماً مسبقة؟".

واستشهد صدام بواقعة إعدام أحد الضباط العراقيين برتبة رائد، بقرار من المحكمة العسكرية، بعد اتهامه باغتصاب مواطنة عربية، في عملية غزو الكويت.

وبعد ذلك تحدث أحد المتهمين، فأشار إلى أن المادة ٧٦ من اتفاقية جنيف الرابعة، تنص على أن القوانين الجزائية التي تصدرها سلطات الاحتلال، لا تصبح سارية، إلا بعد أن يتم نشرها بين السكان الواقعين تحت الاحتلال بلغتهم.

وأضاف أن المادة ٧٠ من نفس الاتفاقية تنص على أنه لا يجوز لدولة الاحتلال أن تعتقل المسئولين في الدولة الواقعة تحت الاحتلال، بسبب أفعال اقترفوها أو آراء أدلوا بها قبل الحرب.

وأشار إلى أن عدد كبير من المحامين يتعرضون لتهديدات يومية لهم ولعائلاتهم، بسبب طلبهم المشاركة في فريق الدفاع، مشيراً إلى أن ١٨ محامياً تعرضوا للاغتيال، فيما غادر ١١٦ محامياً العراق.

كما أشار إلى أن عدد كبير من شهود النفي، الذين تم استجوابهم من قبل أجهزة التحقيق، فروا جميعاً إلى خارج العراق، بينما يحظى شهود الطرف الآخر بحماية الدولة ورعايتها.

وطلب الاستعانة بمستشارين عسكريين، باعتبارهم يكونون أكثر تفهماً لسير العمليات العسكرية التي تتناولها القضية.

وفي نهاية الجلسة قال رئيس المحكمة إنه المحاكمة تستمد شرعيتها، ليس من قرارات الحاكم العسكري الأمريكي للعراق، وإنما من الاتفاقيات الدولية المختلفة التي صادقت عليها العراق.

كما أشار إلى أن قانون المحكمة صدر عن الجمعية الوطنية، المنتخبة من قبل الشعب العراقي لأول مرة في تاريخه.

ثم قرر القاضي تأجيل المحكمة إلى جلسة الثلاثاء.

تفاصيل الجلسة الثانية ٢٠٠٦/٨/٢٢

إيضاحات وزير الدفاع العراقي السابق سلطان هاشم أحمد، القائد العسكري لحملة الأنفال.

استهلت المداولات بإتاحة الفرصة أمام سلطان هاشم أحمد لتقديم إيضاحات عن عملية الأنفال التي قال إن قائد الفيلق الأول المرحوم كامل ساكت عزيز هو من أطلق التسمية على الحملة العسكرية تيمناً بالآية القرآنية الكريمة.

وتحدث خلال كلمته عن تقرير للاستخبارات العسكرية عن قوات إيرانية في المنطقة بجانب أعداد المتمردين الأكراد "البشمركة" خلال تلك الفترة، مشيراً إلى أن الحملة استهدفت قوات منظمة افتقدت الغطاء الجوي.

ونفى استهداف الحملة العسكرية للمدنيين مشيراً إلى مواجهات عسكرية بين قوات الجيش العراقي والبشمركة.

وقال إن القطاعات العسكرية قدمت العون إلى المدنيين الذين تأثروا بالمواجهات العسكرية بين الجانبين.

وقال إن المهمة العسكرية التي حددت له هي "الدفاع التعرضي ومنع العدو الإيراني من احتلال الأراضي العراقية وبأي ثمن..

وأصدرت أنا تعليماتي بناء على تلك الأوامر وأتحمل كافة المسؤولية عنها".

إيضاح صابر عبد العزيز رئيس الاستخبارات العسكرية سابقاً.

وطلب الدوري إكمال إيضاحات هاشم قائلاً إن العدو الإيراني والمتمردين الأكراد كانوا يقاتلون معاً في مقر "رمضان" الإيراني في المنطقة الشمالية بقاطع السليمانية واربيل.

وتحدث عن سحب القوات الإيرانية من القواطع الوسطى للتركيز على احتلال السليمانية وكركوك وتدمير سد بردوخان في المنطقة بهدف إغراق العاصمة بغداد.

وأشار إلى أنه لم يكن أمام القيادة العسكرية والسياسية سوى الاستعداد لهذا العمل لإنقاذ العراق ورسم خطة لتنظيف المنطقة من الإيرانيين.

وقال إن معركة الأنفال تدخل في إطار معركة من معارك "القادسية" وإنها لم تستهدف الأكراد المدنيين، بل المتمردين المدعومين من القوات الإيرانية.

وتدخل القاضي وطلب من الدوري تقديم إيضاحاته مكتوبة إلى هيئة المحكمة.

وتحدث الدوري عن سؤال أحد رفاقه له "هل سنحاكم يوماً على هذه المعارك" ورد بالإيجاب "سوى في حال احتلال إيران للعراق".

الشاهد الأول، كردي من مواليد ١٩٥٧

بدأ الشاهد الأول في تقديم إفادته باللغة الكردية عبر مترجم وقال إن الجيش العراقي قصف المدنيين بجميع أنواع الأسلحة من صواريخ وقنابل عنقودية "تم استخدامها ضدنا نحن الأكراد.. وذلك لكوننا من العرقية الكردية فقط.. عندما عرف أننا من الأكراد لجأ لاستخدام الأسلحة الكيمائية".

وتابع "حلقت مجموعة من الطائرات في سماء باليسنان، كان عددها بين ثمانية إلى ١٢ طائرة.. وبدأ قصف القرية ولكننا لاحظنا أن صوت الإنفجارات كان خافتا.. وارتفعت سحب الدخان ثم اشتمينا رائحة تماثل التفاح المتعفن أو الثوم.. ومن ثم بدأ السكان في التقيؤ.. وبعدها جاءت مروحيات.. وأخذت في قصف قمم الجبال إلا أنني لم اعرف إذا استخدمت أسلحة كيمائية أم لا.

ومضى "وحل الظلام ولم يتسن لنا تحديد مصير السكان.. أخبرنا البعض بالاختباء لإمكانية أن تشن القوات الحكومية هجوماً.. واحتماء البعض بالكهوف أو تحت الأشجار ..ولجأت وعائلتي المؤلفة من ٨ أفراد إلى الجبال، وفي الطريق شاهدت عدداً من الجرحى يصرخون من الألم.. ومع حلول الظلام لم نستطع رؤية الأشياء فيما تحترق أجسادنا ..جلست بجانب صخرة وسمعت صراخاً لكني لم أر شيئاً، كانتا أمرآتان وإحداهما كانت في حالة مخاض.. إلا أن المولود توفي جراء السموم الكيمائية"..

وجاء في إفادته "خلال تلك الفترة كنا نسمع أصوات قصف مدفعي، اقتدت مع مجموعة من الجرحى تصرخ من الألم حيث تمت معالجتنا.. انفصلت عن زوجتي التي

لم أعرف جهة احتجازها..أدخلت إلى المستشفى لتلقي العلاج وسمعنا أصوات تتحدث باللغتين العربية والكردية ومن ثم استبدلت ثيابنا واقتدنا إلى مكان مجهول.. الشيء الوحيد الذي أدركه هو أصوات الصراخ.. واقتادنا مجهولون إلى أحد الدور.. كنا ثلاثة واحتجزنا معصوبي الأعين حتى الصباح.. رفض صاحب الدار الكشف عن هويته إلا أنه أطلعنا على كيفية إحضارنا إلى داره... جردنا من هوياتنا في المستشفى..

وجاء في إفادة الشاهد "عند دخولنا المستشفى لفظ أحد المصابين أنفاسه وسط أجواء مشحونة بالحزن.. كان يتخيل حضن أطفاله الخمس ساعة احتضاره.. في إحدى الأيام جاء ضابط للتحقيق معنا وقالوا لنا أنتم من المخربين لولا رأفة الحكومة لقمنا بتقطيع أجسادكم.. أخبرنا الضابط أنه سيتم تعذيبنا عقب تماثلنا للشفاء.. كان هناك طبيباً مصرياً يعاملنا بصورة سيئة..

أتى ضابط آخر، كان كردياً، وكانت معاملته معنا جيدة ..أنا أمي لا أجيد القراءة أو الكتابة كل ما أدلي به هو ما رأيته بأم عيني".. وأضاف "دلنا والدي على طريقة للهرب من الحجز.. هربنا ونحن نرتدي زي المرضى ..وعدت إلى دار عائلتي واكتشفت أن جميع أفراد أسرتي فقدوا البصر.. فقدت عماً لي وأجهل مصيره حتى اللحظة.. قالت زوجتي إنها احتجزت في معتقل بأربيل.. لا زلت أحمل آثار ذلك المرض أنا وعائلتي.. قيل لنا إن من استهدفوا بذلك السلاح لن تكتب لهم الحياة.. آثار ذلك المرض مازالت بادية عليّ.. الأطباء قالوا إنني سأحملها مدى الحياة.. توجد آثار ظاهرة على أجسادنا وبعد مرور ٢٠ عاماً على الحادث.. تأثر نظري وجهازي التنفسي.. من هو المسئول عن ما جرى لنا.. زوجتي عليلة وصودرت جميع ممتلكاتي.. أطالب بالحكم بالتعويض لنا عن كل ما جرى وأصابنا... توجد لدينا تقارير طبية وسأقدمها للمحكمة"..

وسأله القاضي إذا كانت لديه شكوى محددة ضد أحد المتهمين؟

ورد الشاهد بالقول "أشكو جميع من كانوا يحكمون العراق".

القاضي: هل تشكو من شخص بعينه"..

الشاهد: أشتكي على من حكم العراق وأصدر الأوامر"..

هيئة الإدعاء تطلب إيضاحاً من الشاهد.

قال الإدعاء إن الشاهد أفاد في شهادة مسبقة عن رؤيته لمقبرة جماعية تحوي رفات ٢٥ ضحية، إلا أن الشاهد رد بالنفي قائلاً "لم أشاهد بعيني.. سمعت أهلي القرية يتحدثون".

وعن خسائره الشخصية قال الشاهد إنه فقد داره التي دمرت بجانب "قطيع من الماشية والمزروعات التي أحرقت بالكامل".

ووجه إلى الشاهد سؤال بشأن إصابة أي من أطفاله بعلل جراء استخدام الأسلحة الكيمائية، وأجاب قائلاً "كانوا يتمتعون بصحة جيدة إلا أنهم يعانون من حروق في أعينهم وأجسادهم الآن".

اعترض طاقم الدفاع على طريقة إدلاء الشاهد بإفادته ملمحاً إلى أنه لقن شهادته.

طاقم الدفاع يستجوب الشاهد.

محام من الدفاع: هل كانت الطائرات التي تقصف بالأسلحة الكيمائية تحمل العلم العراقي أم الإيراني؟

الشاهد: لم تكن تحمل أعلاماً .. هي نفس الطائرات التي قصفتنا من قبل.. لم تكن لدينا مشكلة مع إيران لتقصفنا طائرات إيرانية. أنا متأكد أنها عراقية لأنه بعد اليوم الثاني من قصف الطائرات قدمت القوات العراقية.

الدفاع: الشاهد يستنتج أن الطائرات التي قصفت هي عراقية!..

الدفاع: الشاهد قال إن وزن الصواريخ التي قصفت بها القرية بلغ نصف طن.. كيف له تقدير وزنها وهو يقول إنه أمي".

الشاهد: نعم لا أجيد القراءة والكتابة لكن هذا ما أخبروني به.. هناك قنابل بالقرية لم تنفجر".

الدفاع: قال الشاهد إنه أصيب في عينيه وفقد النظر في الوقت الذي قال إنه شاهد ما بين ١٠ إلى ٢٠ جريحاً محمولين على جرار.. كيف تسنى له مشاهدة ذلك؟

الشاهد: كنت لا أرى لكن كان معي أشخاص آخرين شاهدوا الجرحى.

الدفاع: إنها شهادة على السمع ولم يشهد ذلك بنفسه.

الدفاع: هل كان الشاهد ملتحقاً بالبشمركة أم من القوات العسكرية أو الدفاع الوطني؟

الشاهد: أنا لم أكن من قوات البشمركة يوماً في حياتي.. كنت في منزلي وكنت هارباً من الخدمة العسكرية..

الدفاع: كم تبعد مسافة قريته من المناطق التي قصفت بالجبال.؟

القاضي: يبدو أنك لم تكن مركزاً أفاد الشاهد بذلك مسبقاً.

الدفاع: أشكك في إفادة الشاهد طالما هو يبحث عن تعويض خسائره.

محام دفاع آخر: الشاهد قال إن القصف تم لأننا أكراد.. هل تم القصف فقط بسبب كونهم أكراد أم لأسباب أخرى؟

الشاهد: قصفنا لأننا أكراد فقط..كان الجو هادئاً.. كانوا يأخذون الطعام من عندنا.

القاضي: من الذين اخذوا الطعام منك؟

الشاهد: قوات البشمركة كانت تأتي للتزود بالطعام منا.

الدفاع: الشاهد قال إن عدد الطائرات المغيرة ما بين ٨ إلى ١٢ كيف له عدها وهي تقصف.. من أي اتجاه قدمت؟

الشاهد: لاحظت أن الطائرات قدمت من جهة كركوك وشاهدت ثمانية وأخبرني آخرون أنها١٢.

الدفاع: هل كنت من سكان المنطقة المحظورة.. وبلغت من مختار المنطقة بالحظر؟

الشاهد: لم يخبرني أحد.. لم يبلغني أحد بذلك..

الدفاع: هل كان القصف المدفعي بين الجانبين - العراقي والإيراني؟

الشاهد: كان ينصب في جانبنا.. لم تأت طائرات من جانب إيران.

الدفاع: كم تبعد الحدود الإيرانية عن منطقة الحادث؟

الشاهد: البعد بيننا ومنطقة "الشقلاوة" قرابة نصف الساعة.

الدفاع: كونه فار من الخدمة العسكرية هل سبق له السفر إلى إيران؟

القاضي: السؤال لا يمت للقضية بصلة.

الدفاع: هل شاهدت أحداً من المتهمين في ساحة المعركة؟

الشاهد: لا لم أشاهد أي من المتهمين هناك.

الدفاع: تحدث عن الأضرار التي أصيب بها عقاره.. هل هي داره أم دار والده؟

القاضي: دار والده.

محام دفاع ثالث: كان يأتي بعض أفراد البشمركة إلى المنطقة لأخذ الطعام.. كم هو عددهم في كل مرة؟

الشاهد: كانوا يحضرون إلى قريتنا في الليل أحياناً ١٠ وأحياناً أخرى ثلاثة.

الدفاع: هل كان للبشمركة مشاكل مع الحكومة؟

الشاهد: نعم كانت هناك مشاكل.

الدفاع: ما نوعية هذه المشاكل؟

الشاهد: كانوا فارين من الخدمة العسكرية.

الدفاع: لم تجب عن سؤالي.. لكن إذا كانت لديهم مشاكل مع الحكومة .. ألم تتخوف من مترتبات تقديم المساعدة إلى قوات البشمركة؟

الشاهد: أي شخص يدخل إلى قريتنا يحمل السلاح كنا نتهيب منه.. وعندما جاءت الطائرات وقصفت قريتنا لم تكن لدينا القوة لوقفهم.

الدفاع: عدد فصائل البشمركة في منطقته وأي جهات تتبع؟

الشاهد: كنت أعرف قسماً منهم، إنهم يتبعون للاتحاد.

الدفاع: هل يعرف الشاهد بمكان أقرب مقر لقوات البشمركة؟

الشاهد: لا يوجد.

الدفاع: كم مرة في الأسبوع يأتي أفراد البشمركة إلى القرية.

القاضي: ذكر الشاهد ذلك وقال إنهم يحضرون في الليل.

الدفاع: أسأل عن مرات حضورهم إلى القرية وليس عددهم!

الشاهد: لا.. لا يحضرون يومياً.

الدفاع: ما نوع الأسلحة التي كانوا يحملونها؟

الشاهد: كلاشينكوف.

وتدخل الدوري مجددا قائلاً إن هناك ٢٥٠ ألف كردي يقاتلون في صفوف الجيش

يؤلفون ٥٠٠ فوج دفاع وطني.. أشترك منهم ٢٥٠ فوجاً في العمليات العسكرية.. أنا مدير استخبارات وأعرف أن الكردي إما مع الدولة أو المتمردين.. كيف هو هارب من الخدمة العسكرية ويقيم في منطقة "باليسيان" ولا ينتسب إلى المتمردين؟

القاضي: الشاهد أجاب عن ذلك وقال إنه لا ينتمي إلى المتمردين.

الدوري: الشاهد تحدث عن استخدامنا قنابل عنقودية ..كيف عرف الشاهد القنابل العنقودية.. هل له أن يوصفها لي؟

الشاهد: حملت العديد منها الذي لم ينفجر.

الدوري: منطقة باليسيان ومنطقة باليشيا مناطق حرس الخميني والمتمردين الأكراد ..هل شاهدتهم بالقرية؟

الشاهد: لم أر أي منهم في المنطقة.

الدوري: تحدث الشاهد عن الضربة الكيمائية وهناك ثغرات كثيرة في شهادته وكيفية ضرب القرية وفقده البصر ومعالجته بـ"قطرات" حتى إعادة النظر؟

الشاهد: لا أعرف من قدم لي العلاج..

الدوري: المدنيون لا يملكون أدوية.. الجيش والإيرانيون فقط هم من يملكون العقاقير.

محام دفاع آخر: الشاهد قال إن الأسلحة الكيمائية تركت آثاراً في جسده.. هل لديه تقرير طبي يؤيد بذلك؟

القاضي: الشاهد نفى وجود تقرير طبي.. ولكن لزوجته تقرير طبي بإصابتها.

الدفاع: هل البشمركة يقومون بعمليات انطلاقاً من قريته أو القرى المجاورة له؟

الشاهد: لا..

الدفاع: الشاهد طلب تعويضاً عن عقاره.. هل يملك أثبات ملكية؟

الشاهد: لا أملك شهادة تملك.

صدام: كيف يفسر الشاهد بعث ضابط عربي إليه ومن ثم ضابط كردي.. هناك اهتمام واضح به في المستشفى، كيف للجيش الذي قام بقصفه بالكيمائي أن يوليه هذا الاهتمام ؟

الشاهد: عندما فصلت عن عائلتي احتجزت في أربيل بواسطة جيش صدام.

صدام: تعني جيش العراق.

صدام: الجميع يعرف أن المصريين ليسوا من النوع الخشن.. الشاهد تحدث عن طبيب مصري أساء معاملته.. أريد معرفة من دفع بمفردة ضابط عربي خشن وضابط كردي.. ومن دفع بمقولة إننا ضربناهم لأنهم أكراد؟

القاضي يرفع الجلسة.

تفاصيل الجلسة الثالثة ٢٠٠٦/٨/٢٣

بدأت وقائع الجلسة بمثول شاهدة كردية أكدت في شهادتها إصابة أفراد عائلتها بحالات مرضية لم تكن موجودة في السابق، في إشارة إلى طبيعة الأسلحة التي استخدمت في حملة "الأنفال".

وتحدثت الشاهدة باللغة الكردية فيما قام مترجم بنقل شهادتها إلى اللغة العربية.

وشرحت وضعها الجسدي والمعاناة التي تكبدتها وأفراد أسرتها الخمسة، بعد القصف الجوي لقريتها، وأنهم لجئوا إلى كهف حيث عانت فيه من إصابات خطيرة، حيث انسلخ فيه جلدها عن عظمها كما عانوا جميعاً من فقدان البصر.

وقالت: "أخذونا إلى ساروتشاوا وبيت واتا (قرى) عندها أنزلونا من التراكتورات، وكنا نستطيع فقط أن نسمع ونتكلم.. كنت أصرخ وأقول لا تأخذوا أطفالي مني"..

وأضافت: "عندها حقنونا بالأبر ووضعوا قطرات في أعيننا.. الله يعلم أنه لم يكن هناك علاج لصراخنا.. ثم أخذونا بالتراكتورات إلى مستشفى رانيا عندما لم يجدوا علاج لنا".

وقالت: "وعندما وصلنا وضعوني في غرفة مع أطفالي الخمسة، وأخذوا زوجي وعم زوجي ..الله يعلم كانت فوضى كيوم الحشر.. لا أحد يعرف بما يحصل".

وشرحت "لم نعرف أن القصف الكيميائي كان على قرية شيخ واسانن.. ثم أتى بعد يومين وبعد تلقي معاملة طيبة من المستشفى، أهالي رانيا وجلبوا لنا ملابس للتخلص من الملابس السامة".

وأضافت "وعندما علمت الحكومة بذلك.. نقلونا إلى أربيل.. في البداية أخذونا إلى المستشفى.. لا أعرف أي مستشفى بالضبط.. كما أخبرتكم انفصلت عن زوجي في

رانيا، واقتادوه إلى السليمانية.. بقينا ربع ساعة في المستشفى في أربيل دون أن يعطونا أي علاج.. كنت أصرخ وأحضن أطفالي الخمسة كي لا يأخذوهم مني.. بعدها تم نقلنا بسيارات من جديد وأخذونا إلى السجن".

وأوضحت الشاهدة الكردية التي التحفت بوشاح أسود مرقط بالأبيض "لم يوفروا لنا في شيخ واسنن لا علاج ولا طعام.. سوى الصراخ من شدة الألم.. أتى رجلان كمران ومحمد رسول (أخوان) سجينان سابقان.. قاما بمساعدتنا.. كذلك كان هناك حارسين عربيين كانا لطيفين معنا.. ساعدونا كثيراً وأحضرا لنا قطرات لمعالجة عيوننا.. بقينا عدة أيام في السجن لم أر النور ولم أر أطفالي.. أدعو الله بأن لا يقبل هذه الجريمة الكبيرة"..

وواصلت الشاهدة بالقول: "شاهدت أطفالي بعد أيام.. كانت أعينهم منتفخة وأجسادهم سوداء.. بقيت لمدة ٩ أيام في السجن على هذا الحال.. لم يكن هناك تعذيب من الحكومة، لكن كنا نتألم من شدة الجراح.. محمد رسول ساعدنا كثيراً، ولدي طفل رضيع اسمه ريبوار.. أحضر لي هذا الرجل ترمس من الماء وعلبة حليب لرضاعة طفلي.. لكن لا أعرف كيف أحضرها إلى الداخل.. بعد الأيام التسعة، وقالوا لنا بالتجمع في ساحة السجن ..صرخت أنني لا استطيع تحريك قدمي وأريد المساعدة.. جلدي كان ينسلخ.. وكان هناك ماء ودماء تخرج من قدمي.. وآثارها ما تزال موجودة".

وقالت: "اصطحبني الرجل إلى الخارج وتبع ذلك بإحضار أطفالي وجميع المرضى الآخرين.. وقفنا في الساحة.. كان معنا رجال يصرخون من الألم.. كذلك الأطفال جلدهم مسلوخ بالكامل.. ثلاثة إلى أربعة أشخاص توفوا بالغرفة التي كنا محتجزين فيها ..أحطنا بالعساكر والجنود.. ثم أتت سيارة كبيرة وكانت الشبابيك مغطاة بالستائر.. قام الجنود بفصل الرجال عنا.. هذه الأوراق التي أحملها تحمل أسماء ٢٩ شخصاً تم اقتيادهم أمام عيني".

وأضافت "ثم أخذونا إلى الداخل.. وبعدها أتت سيارات من نوع "زيل" لوري عسكري ..كما نسميه. .فصعدونا إلى السيارات العسكرية وأخذونا إلى خليفان، إلى منطقة حيث معمل البير ثم إلى قرية اسمها جولا ميرك".

وخلال التوجه إلى خليفان "توفيت امرأتان.. وبعد وصولنا نزل الجنود وعندها

كنت أستطيع النظر بشكل جيد.. وحضر ضابط إلينا يحمل شارات على كتفه.. لا أعرف منصبه أو اسمه.. كان ينظر إلينا ويقول بنفسه إن هذه جريمة.. ثم ابتعد عنا وبدأ بالبكاء" ..

وأضافت في سردها "ثم انتشر خبر أن الحكومة أحضرت الجرحى إلى منطقة خليفان.. أتى الأهالي وأخذونا إلى بيوتهم.. وحل الليل علينا موزعين على بيوت الأهالي.. تعب الناس معنا وقدموا لنا المساعدة والعون وأعدوا لنا الطعام.. في الصباح أتى كل من والدي وحماي.. أخبراني عن أخبار كل من علي (علي الشيخة زوجي) وإمام حسن (حسن مصطفى) وهو عم زوجي.. فأخبرته أنني انفصلت عنهم في رانيا وقد أخذوا حسن إلى مكان مجهول.. وأنا لا أعرف مصيرهم".

وقالت "أخبرني أنه أحضر سيارة لنقلنا إلى منزله.. إلا أنني أردت الذهاب إلى سيساوا حيث بيت والدتي.. وعندما شاهدني والدي ووالدتي بدأوا بالصراخ داعين الله أن يأخذ بحقهم.. ثم قام كل من بيت أهلي وحماي برعايتنا لسنة، لأننا لم نكن نملك أي شيء.. ومنذ ذلك الحين نحن مرضى ونعاني من الأمراض.. وأطفالي يخجلون من الاقتراب ممن هم في أعمارهم، بسبب أعراض الجروح والأمراض البادية عليهم".

وأشارت الشاهدة إلى الرئيس العراقي السابق صدام حسين، الذي كان في القاعة، متهمة إياه بالظلم..

وقالت "أشتكي على صدام حسين وعلى علي حسن المجيد، لما فعلوه بي.. أطلب التعويض، وأطلب من المحكمة اتخاذ اللازم بهدف معالجة المرضى.

وسئلت عما إذا كان زوجها مازال مجهول المصير، فقالت "عاد بعد أربعة أشهر وهو يعاني من المرض.. أما عمه حسن مصطفى فبقي مجهول المصير، ولا نعرف عنه شيئاً.. أطالب المحكمة أن تحاكمه (صدام) بشكل عادل" ..

وسألها فريق الادعاء إذا ما كانت عاقراً، فأجابت "بعد القصف الكيميائي حملت ثلاث مرات وأجهضت.. اثنان منهم كانوا مشوهين والثالث عاش ثلاثة أشهر وبعدها توفي.. لدي فحوصات طبية لكن لم أجلبها معي.. أنا مستعدة لجلبها" ..

ودار لغط بين المترجم ورئيس المحكمة عبد الله علي علوش العامري حول

وضعها الصحي ..حيث تبين وفق المترجم أن الشاهدة خضعت لعملية إزالة الرحم قبل عامين بسبب مرض ونزيف عانت منه.

وقاطع أحد أعضاء فريق الدفاع الجدال مؤكداً على صحة وضعها.

ومرة أخرى أعيد سؤال الشاهدة كم بقيت فاقدة البصر، فأجابت "الله يعلم أن الألم بعيني ما زلت أعاني منه، بقيت أربعة أيام لا أبصر" . .

وأجابت على سؤال حول اسم السجن، فقالت "كلا .. كل ما أعرفه أننا كنا في أربيل" .

وأكدت أن الطائرات العراقية هي التي قصفت القرية وكانت تقصف باستمرار.

وسئلت إذا كانت القرية محتلة من القوات العراقية، أم كان هناك قوات إيرانية.. فأجابت بالنفي، قائلة "عندها لم يكن هناك قتال في قريتنا، وكان هناك مفاوضات، ولم نكن نتصور أنه سيتم قصفنا بسلاح كيميائي.. كان هناك مفاوضات بين صدام والقوات الكردية" .

وذكرت الشاهدة أن عائلتها لم تكن من البشمركة، وإنما كانوا عائلة فقيرة، وأضافت أن القوات العراقية.

وحاول أحد أعضاء فريق الدفاع سؤال الشاهدة عن كيفية علمها بأن الأمطار تزيل أثار المواد الكيميائية، إلا أن قاضي المحكمة قال إن الشاهدة لم تذكر شيئاً عن ذلك.

وبعد إصرار الدفاع على السؤال طلب القاضي الرجوع إلى محضر الجلسة، وتدخل رئيس الإدعاء بقوله إن الشاهدة قد تكون قد ذكرت ذلك في محضر التحقيق وليس أمام المحكمة.

وتدخل صدام نفسه، قائلاً إن الشاهدة لم تذكر ذلك، وإنما الشاهد السابق هو الذي تحدث عن ذلك.

ومع ذلك وجه القاضي السؤال للشاهدة، التي أجابت بأنها لا تعلم شيئاً عن ذلك.

ووجه وكيل الدفاع عن المتهم طاهر توفيق، سؤال للشاهدة حول ما إذا كان الجيش العراقي قام بقصف منطقتهم مرة أخرى، ومتى حدث ذلك، فأجابت بقولها قصفونا للآلاف المرات، وأضافت أنهم قصفونا بالنابالم ومازالت أثارها حتى الآن، وبالنسبة لتوقيت القصف، قالت إن القصف كان مستمراً.

وأضافت أن قريتنا قصفت مرتان بالسلاح الكيماوي، وبعد ١٦ أبريل/ نيسان ١٩٨٧ هدمت قرانا.

ودار جدل بين أحد أعضاء فريق الدفاع وقاضي المحكمة، حول المدة التي قضتها الشاهدة في السجن.

وعندما طلب محام آخر قال إنه وكيل الدفاع عن الرئيس صدام وعلى حسن المجيد، توجيه سؤال الشاهدة، فرد عليه القاضي بأن يستخدم لفظ "موكلي" بدلاً من "السيد الرئيس" .

ورداً على سؤال حول شكل الملجأ الذي تم بناءه في القرية للوقاية من القصف، قالت إن أهالي القرية قاموا بحفره في الجبل.

وعن المسافة بين قريتها وقرية الشيخ واسنان، قالت إنها حوالي٨ أو ٩ دقائق بالسيارة.

وعما إذا كانت هناك رياح وقت القصف، أجابت بالنفي، ولكنها قالت إن الأمطار بدأت في الهطول وهبت الرياح في الليل.

وطلب القاضي الدفاع بتوجيه أسئلة مرتبطة بموضوع الدعوى.

وسأل الدفاع عن المسئولين عن معالجتهم بمستشفى رانيا، فقالت إنهم كانوا من الأكراد.

وبعد ذلك، وجه أحد المتهمين سؤالاً للشاهدة، عما إذا كان الجيش العراقي قد قام بتفتيش قريتها قبل قصفها؟، فأجابت بالنفي.

ثم سألها عما إذا كان هناك عدد من سكان القرية ضمن أفواج الدفاع الوطني، فقالت إنها لا تعلم بذلك.

وسأل المتهم عن زوج الشاهدة، إذا ما كان هارباً من الخدمة العسكرية، فأجابت الشاهدة بالنفي.

وأشار القاضي إلى أن هناك عفواً عن الأكراد من الالتحاق بالخدمة العسكرية، إلا أن المتهم قال إنه كان مسئولاً عن ذلك، وقال إن العفو كان يتم على من يلتحقون بأفواج الدفاع الوطني.

وهنا تدخل رئيس الإدعاء بقوله إن هناك أسئلة من بعض أعضاء هيئة الدفاع لا

محل لها في هذه القضية، مما يضيع وقت المحكمة، وطلب من القاضي لفت انتباه المحامين إلى ذلك.

وبعد ذلك قرر القاضي رفع الجلسة لمدة ساعة للاستراحة.

استأنفت المحكمة جلستها بالاستماع إلى شاهدة إثبات أخرى، تدعى بدرية سعيد خضر، من باليسان، مواليد ١٩٥٠، التي قالت إنه تم قصف قريتنا من قبل الطائرات، وهربنا إلى الملاجئ، ونتيجة القصف بدأنا بالتقيؤ وأخذت عيوننا تدمع، وبقينا حتى المساء، حتى أخبرونا بأن الحكومة ستهاجم القرية، بعدها توجهنا إلى الجبال والكهوف.

وأضافت الشاهدة أن عدد كبير أصيب بانعدام الرؤية نتيجة للقصف، ثم انتقلنا إلى قرية "بتواتا"، حيث قدم لنا الأهالي بعض الرعاية الأولية، ثم نقلونا إلى رانيا، حيث قدموا لنا رعاية طبية كافية.

وقالت: "في اليوم التالي أرسلونا إلى دائرة الأمن في أربيل"، وعندما سألها القاضي عمن قاموا بإرسالهم إلى هناك، أجابت بأنها لا تعلم لأنها كانت فاقدة للبصر.

وأشارت إلى أنها كان معها طفلين (نور الدين وفتح الله) كما أنها كانت حاملاً بطفل ثالث، ثم قاموا بعد ثمانية أيام بعزل الرجال عن النساء، وهناك توفي ثلاثة من أبناء عمها.

وقالت: "وهناك أخذوا عدداً من الرجال بينهم طفلاي، وأخواي حسن وحسين ووالدي سعيد وعمي سليمان وزوجي عبد الله وابن عمي، وكذلك والدتي وزوجة عمي".

وبعد أن استوضح منها القاضي مراراً عن أسماء أفراد عائلتها، قالت الشاهدة إنها لا تستطيع الحديث بوضوح بسبب القصف، مشيرة إلى أنها تتردد بشكل مستمر على المستشفيات طوال السنوات العشرين الماضية، بسبب ما لحق بها جراء القصف.

وقالت: "كل الأسماء الذين ذكرتهم تعرضوا لعملية الأنفال"، مشيرة إلى أنها لا تعرف مصيرهم.

ثم أشارت الشاهدة إلى أنها لا تستطيع الكلام، بسبب إصابتها بضيق في التنفس.

ثم سألها القاضي إذا كان لديها ما تريد أن تضيفه، فأجابت بالإيجاب، ولكنها ليست قادرة على الحديث.

وطلبت من المحكمة التعويض عن الأضرار التي لحقت بها واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعاقبة صدام حسين، وأن يصيبه ما أصابهم، وكل الذين معه داخل القفص.

ثم وجه الإدعاء سؤالاً إلى الشاهدة حول ما إذا كانت قد تلقت وطلبت وكيلة المشتكية من رئيس المحكمة أن يمنع فريق الدفاع من إجهاد الشاهدة، نظراً لظروفها الصحية، كما طلبت معاقبة فريق الدفاع بتهمة تعطيل سير المحاكمة.

وطلب أحد أعضاء فريق الدفاع سؤال الشاهدة عن كيفية أنها تمكنت من إحضار الحليب لأطفالها، بعد القصف فيما أنها كانت قد أصيبت بعدم القدرة على الإبصار، فأجابت بأنها كانت تستطيع الرؤية عندما بدأ أطفالها في التقيؤ.

ثم سألها عما إذا كانت شاهدت الطائرات التي قامت بالقصف، وما لونها، فأجابت بقولها إنها كانت ترى الطائرات تقصفهم كل يوم، ولم أرى لونها، وكل ما أعرفه أنها طائرات سوخوي.

ثم استمعت المحكمة إلى شاهد إثبات ثالث، وهو من قوات البشمركة، قال إنه شاهد عدد من أفراد عائلته يموتون أمام عينيه بسبب القصف، وأضاف أنه لا يستطيع أن يصف ما شاهده، مشيراً إلى أنه بدأ بالصياح لطلب المساعدة من أهل القرية.

وسأله القاضي عن طبيعة الإصابات التي أصابتهم، فقال: "كانوا يتقيأون وأصيبوا بحروق شديدة، وبعدها ذهبنا إلى الحدود التركية، حيث بقينا هناك بدون أكل، ولم يكن هناك أحد لمساعدتنا".

وطلب الشاهد التعويض عن الإصابات التي لحقت به، جراء القصف، كما طلب إحالته إلى لجنة طبية لفحص حالته الصحية.

وسأل أحد أعضاء فريق الدفاع الشاهد عن عدد اللغات التي يجيدها، فقال إنه يتحدث الكردية، ويعرف العربية والإنجليزية بنسبة ٥٠ في المائة.

ثم سأله المحامي عن نوعية الأسلحة التي كانت تحصل عليها قوات البشمركة، فأجاب: "لم نمتلك الأسلحة الثقيلة، وإنما أسلحة خفيفة كنا نحصل عليها كغنائم من القوات العراقية".

وبسؤاله عن كيفية استعانته باثنين من البغال لنقل أفراد عائلته، فيما قال أن الحيوانات نفقت جراء القصف، فأجاب الشاهد بقوله إنه جاء بالبغلين من قرية أخرى كانت في عكس اتجاه الرياح.

ثم دار جدل بين محامي الدفاع ورئيس هيئة الإدعاء، عندما طلب المحامي توجيه سؤال للشاكي عن أعلى رتبة كان يخدم معها في قوات البشمركة في المنطقة.

وبعد أن وافق القاضي على توجيه السؤال للشاهد، أجاب: "أنني هربت من المنطقة في ذلك الوقت"، ولم يتضح ما إذا كان الشاهد قد أجاب على السؤال أم لا، نظراً لانقطاع الصوت مرة أخرى.

وبسؤال المشتكي عن كيف عرف بأن الجيش العراقي هو الذي استخدم الأسلحة الكيميائية في قصف المنطقة، فأجاب أنه سمع أن الجيش العراقي استخدم أسلحة كيميائية في حربه ضد إيران.

وأضاف أن الحكومة العراقية كانت قد سحبت كل أجهزتها من المنطقة، ولم تكن لها السيطرة على المنطقة.

وبسؤاله عن لماذا لم يكن هناك وجود للحكومة العراقية بالمنطقة؟.. قال الشاهد إنه لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال.

ورداً على سؤال عما إذا كانت قوات البشمركة أو ميليشيات الأحزاب الأخرى، قد أسرت أياً من الجنود المهاجمين، قال إنه كان هناك أسرى في عمليات كبيرة أخرى، وكان يتم إطلاق سراحهم سريعا.

وسئل عما إذا كان يتقاضى راتب من البشمركة، فأجاب بأنه كان يتقاضى ما بين ١٠ و١٥ دولار شهرياً.

وحول ما ذكره المشتكي بأن الجيش العراقي ألقى القبض على آلاف المواطنين وإرسالهم إلى قلعة "نذاركي"، في ٢٤ أغسطس/ آب ١٩٨٨، سأل أحد المتهمين المشتكي، هل تم إعادة هؤلاء المعتقلين مرة أخرى أم لم تتم إعادتهم؟. قال إن قسماً عادوا إلى عوائلهم، بينما فقد قسم آخر ولم يتم معرفة مصيرهم.

وطلب أحد المتهمين توجيه سؤال للمشتكي، عن أي تشكيل من "حرس خوميني" كان يتعامل الشاهد؟. فأجاب أن هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن

وجود مقر لـ "حرس خوميني" بالمنطقة، واستطرد أنه لم يشاهد أو يسمع شيئاً بهذا الخصوص.

ثم وجه علي المجيد سؤالاً للمشتكي عما إذا كان أحد من أفراد عائلته ضمن الجيش العراقي أو الدفاع الوطني، فرد الشاهد بالإيجاب، قائلاً: "كان هناك أفراد ضمن الجيش والدفاع الوطني، ولكنهم كانوا ينقلون سكنهم إلى خارج المنطقة.

وعرض الشاهد تقديم بعض الوثائق الخاصة بعدد من القتلى الذين سقطوا في حملة الجيش العراقي .ثم قرر رئيس المحكمة تأجيل القضية إلى الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول المقبل.

تفاصيل الجلسة الرابعة ٢٠٠٦/٩/١١

بدأت الجلسة بالجدل بين طاقم الدفاع وهيئة المحكمة بشأن القواعد التي تحكم ممارسة هيئة الدفاع دورهم بالكامل إنفاذاً لحكم القانون.

وتهيأ أحد محامي الدفاع للخروج من المحكمة احتجاجاً على إخلال هيئة المحكمة بشرط من شروط المحاكمة العادلة.

وهدأ رئيس المحكمة عبد الله العامري المحامي قائلاً "أنت مهني ورجل قانون".

وجادل محامي دفاع آخر قائلاً "لأول مرة أرى أن تنظيم القاعة يجعل من الشهود يتلقون إشارات مباشرة من الإدعاء العام وهيئة المحكمة.. نطلب أن تجلس الشاهدة في مواجهة رئيس المحكمة".

ولمح المحامي إلى أن إفادات الشهود تتم أحياناً بإيحاءات من الإدعاء.

وطالب القاضي المحامي بالجلوس.

الشاهدة الأولى د. كاثرين ميخائيل، تعمل كاتبه في ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة.

وبدأت الشاهدة في الإدلاء بأقوالها بالقول "هل من الممكن أن أطلب ورقة وقلم لتدوين إفاداتي... كنت عام ١٩٨٧ عضواً في البشمركة في "قليزيوه" (الوادي بين جبلين (غارت في السابعة مساءاً علينا طائرات عراقية "سوخوي" شاهدت منها أربعة.. رمتنا بقنابل كيمائية.. سأشرح لاحقاً لماذا قلت كيمائية.. وفي هذه الأثناء توجهت إلى

الملجأ مع جميع الموجودين.. كانت مع الرفيقة أم علي (أجهل أسمها الكامل) وطفلها سمسم (عامين) وأخاها مشمش (أربعة أعوام".

وتابعت قائلة "غارت علينا الطائرات مرة أخرى.. وشممت رائحة احتراق.. ركضت الرفيقة "أم هندرين" لمداواة الدكتور خابور الذي كان يصرخ من الألم الشديد.. ورأيت الشهيد أبو رزكار وهو يتقيأ ويقول يبدو إنني استنشقت الكثير من البارود.. تقدمت نحو مستشفى ورأيت أبو فؤاد ممداً على الأرض..وكان شبه مغمى عليه، سادت حالة إحباط بين جميع الموجودين في المستشفى حيث سقطت القنابل بصورة مباشرة ..استيقظت على صوت صراخ الرفيقة "نشمين" وهي تقول لي بأننا استهدفنا بأسلحة كيمائية.. حملت سلاحي.. توجهت إلى فصيل السجن (حيث نعتقل رجال استخبارات عراقية وقوات حكومية والأمن .. سبق وأن أسرت البشمركة اثنين من كبار الضابط بالجيش العراقي.. كان الجميع يتقيأ ويصرخون من ألم في البطن.

عند وصولي إلى فصيل الإسناد كنت قد أصبت بالعمى المؤقت.. في اليوم الثاني جاء الرفيق "أبو روزا" عربي من الجنوب - حيث أخبرني بوفاة الرفيق أبو فؤاد.. بدأنا في غسل وجوهنا في جدول للمياه.. أصيبت الطبيبة "أم هندرين" بالعمى المؤقت تماماً.. في اليوم الثالث تفقدت الرفيق "أبو رزكار" الذي أصيب بدوره بالعمى.. سألني إن كان في مقدوري الرؤية.. كان يبدو الاحتراق على ظهره.. أخبرني أنه مشتاق إلى زوجته وأطفاله.. بعد الظهر سمعت ثلاث طلقات نارية من كلاشينكوف.. وهي تعني إشارة بالخطر ..وجاء خبر استشهاد أبو رزكار" . .

وتابعت "أنضم إلينا الرفيق الطبيب العربي "أبو تضامن" بجانب طبيبين من الفوج الأول "أبو إلياس" يزيدي من بعشيقة والطبيبة "باسل" من عنتاوه.. بدأت آثار الحروق تظهر في ركبتي في اليوم الثالث.. ومازالت هناك حتى الآن.. هناك الكثير من بقى متأثراً بتلك الحروق لمدة تزيد عن الشهر..الرفيق "أبو ماهر" ٧٠ عاماً، تأثر بشدة من الهجوم.. وبعد هطول الأمطار عدنا إلى مقر الحزب".

استدركت قائلة "لماذا أذكر لماذا قلت إننا قصفنا بالكيمائي.. كانت القنابل تصدر دخاناً رمادياً وعلى غير العادة".

الحادثة الثانية في عام ١٩٨٨. أجهل اليوم والشهر.. قصفت طائرات عراقية

بالقنابل العادية قرية "كانبلاظ".. دخلنا في إثرها الملاجئ.. وخرجنا اليوم الثاني وسط جو من الرعب بين المواطنين من حملة عسكرية عراقية..

وأضافت "في اليوم الثالث قررنا الانسحاب من القرية والتوجه إلى الحدود التركية استغرقت رحلتنا عشرة أيام".

وأبرزت صورة للطفل "سيفان" عمره أربعين يوماً عندما قصفنا بالسلاح الكيمائي ..هذا الطفل موجود في الدنمارك يعاني من "نقص عقلي. أرجو من سيادتكم إغلاق المايكروفون لأنني أود أن أدلي بقضية سرية وهامة".

وتم قطع الصوت لأسباب أمنية..

وقدمت الشاهدة تقريراً - لم يتضح ماهيته -وقالت الشاهدة "أقدم الشكوى على صدام حسين وعلي حسن المجيد وكل المنظمات الدولية التي زودت النظام العراقي بهذه الأسلحة بحجة مواد زراعية"..

قاطعها القاضي قائلاً "هذه ليس من شأنك".

القاضي: أتطلبين التعويض.

الشاهدة: نعم..

الإدعاء يستجوب الشاهدة.

المدعي العام: القواعد تعطي الإدعاء العام حق مناقشة الشاهدة.. ولكني سأوجه سؤالي إلى المحكمة.. ورد في إفادة الشاهدة أمام التحقيق وليس المحكمة أن الضربة أدت لإصابة مدنيين في القرى المجاورة ووفاة أربعة أطفال مع أمهاتهم.. نرجو من الشاهدة توضيح ذلك..؟

الشاهدة: شاهدت بأم عيني رجل مدني يطلب علاج لأبنه.. أم النساء لم أذكر أن هناك أربعة نساء.

الإدعاء: كيف عرفت أن الطائرات الأربع عراقية.

الشاهدة: كنا نقصف باستمرار من الطائرات العراقية.. كانت فصائل الإسناد بها دوشكات بها خبراء مقاومين للطائرات وهم الذين يشخصون نوعية الطائرات.. الطائرات كانت تحمل أعلام عراقية..

الشاهدة: هذه المرة كانت الطائرات تقصف من علو منخفض؟

الإدعاء: ألم تتخوف تلك الطائرات من قواعد إسناد البشمركة؟

الشاهدة: نعم كانت نوعاً من المغامرة.. إذا لم تكن طائرات عراقية لما لم تشتكي الحكومة العراقية من اختراق طائرات أجنبية لأراضيها.

وقدمت الشاهدة صوراً لعملية انسحاب جماعية إلى الأراضي التركية.. وأبرزت مجدداً صورة لطفلة فقدت وتم العثور عليها..

الدفاع يستجوب الشاهدة

الدفاع: أين تدربت الأخت الشاهدة على استخدام السلاح؟

الشاهدة: أنا جيت بعد التخرج إلى سوريا ودخلت من سوريا إلى الأراضي العراقية ..تدربت على السلاح في "قامشلي" في سوريا..

الدفاع: الأخت كانت منتسبة إلى الحزب الشيوعي بالبشمركة.. كم عدد تلك القوات؟

الشاهدة: كان لدينا فوجين.. هذه معلومات سرية وكوني مدنية لم تكن تلك المعلومات متاحة لي. كان هناك قاطع بهدينان وأربيل وقاطع سليمانية وقاطع سوران.

الدفاع: بحكم النظر وبالتقدير كم عدد القاطع؟

الشاهدة: كان لدينا مسلحين.. أعتقد كان يصل عددهم ما بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ فرد..

الدفاع: نوعية التسليح الذي كان لدى المتمردين؟

الشاهدة: السلاح الرئيسي كلاشينكوف بجانب مسدسات للاستخدام الشخصي ودوشكات "مقاومة للطائرات" وديكتريوف.

الدفاع: ما هي الديكتريوف.. أنا مدني ولا أعرف ما هذا.

القاضي: هذا سؤال لا داعي له الدفاع: هل لديكم مدفعية "هاون"؟

الشاهدة: لا.

الدفاع: كان لديهم سجن.. هل للشاهدة أن توضح المزيد عن المعتقلين بالسجن؟

الشاهدة: كان عدد السجناء يختلف.. ما بين ١٠ إلى ١٥ سجين..

الدفاع: عملت الأخت الشاهدة كمقاتلة.. وذكرت أن هناك أسرى أو سجناء كيف يتم التصرف معهم".

القاضي: هؤلاء أسرى هل تعرفين عنهم شيئاً؟

الشاهدة: نعم كان لدينا محققين يستجوبونهم لاستخلاص المعلومات منهم.. لا أتذكر ما هو مصير هؤلاء السجناء.. لا أدري ماذا حل بهم".

الدفاع: هل كانت الشاهدة تستلم راتب من الفوج الذي تعمل به".

الشاهدة: نعم ١٠ دنانير كل شهر.

الدفاع: من أين مصدر هذا المال؟

الشاهدة: ليس من شأني السؤال عن مصدر هذه الأموال.

الدفاع: ما هي معلوماتك عن أفواج الدفاع الوطني بالمنطقة؟

الشاهدة: كانت هناك علاقة جيدة وغير جيدة بين البشمركة وأفواج الدفاع الوطني.

الدفاع: هل سبق وأن وقع تصادم بين الطرفين؟

وانقطع البث المباشر لوقائع المحكمة.

محام دفاع آخر موكل عن "الرئيس صدام حسين".

القاضي: لا أسمح بأي كلام غير قانوني.. بماذا اتفقنا".

وتدخل صدام حسين قائلاً: ليس تخالف القانون.

القاضي: يجب الالتزام بالقانون.. أما القول موكلي أو المتهم.

صدام: المتهم بري حتى يدان.. أنا لم ينتزع مني صفة صدام حسين رئيس دولة العراق سوى من الأمريكان الغزاة.. لماذا تحاول من انتزاع قناعة من مواطن.

محام الدفاع: لن ألقبه سوى بالرئيس صدام حسين.

ومن ثم أغلق قاضي المحكمة المايكروفون.

علي حسن المجيد: سمعنا من الأخت الشاهدة (وأرجو أن لا ترى في مناداتها بالأخت كإهانة) بما لا يقبل الشك أن هناك مناطق كانت محرمة على الجيش العراقي ويسيطر عليها البشمركة.. هل المناطق التي استهدفت المناطق المحررة.

الشاهدة: أطلب من المحكمة اتخاذ الإجراءات القانونية ضد المتهم لأنه أهانني.. سؤاله أن هناك مناطق محررة.. نعم كنا نطلق عليها محررة لأن الخدمات كانت معدومة..

القاضي: تعنين أن المناطق الخاضعة تحت سيطرة البشمركة كان يطلق عليها مناطق محررة!.

علي حسن المجيد: إذا كانت المناطق خارج سيطرة الدولة كيف للحكومة أن تقدم لها خدمات؟

القاضي يرفع الجلسة.

تفاصيل الجلسة الخامسة ١٢/ ٩ / ٢٠٠٦

بدأت الجلسة بوصف أحد المحامين مليشيا البشمركة الكردية بأنهم مقاتلون أحراراً حاربوا استبداده، فرد صدام مخاطباً هيئة الادعاء "أنتم عملاء لإيران والصهيونية وسنسحق رؤوسكم".

وطلب صدام من رئيس المحكمة شطب كلمة "بشمركة" وإحلال تعبير "المتمردين" محلها بشكل رسمي، مضيفا أنه على حد علمه فإن كلمة بشمركة تعني الفداء في اللغة الكردية.

وقال صدام إن الهجمات ضد الأكراد كانت مشروعة لأنهم حاربوا إلى جانب إيران خلال الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات، وأضاف أن التمرد هو التمرد منذ عام ١٩٦١ وحتى ٢٠٠٣.

وطالب الادعاء باعتبار تصريحات صدام اعترافا منه بسحق ما سماه التمرد الكردي، ورفض رئيس المحكمة القاضي عبد الله العامري ذلك، لكنه دونه في محضر الجلسة بعد أن هدد الادعاء بالانسحاب في حال عدم الاستجابة لطلبه.

تفاصيل الجلسة السادسة ٢٠٠٦/٩/١٣

وكانت الجلسة بدأت بطلب الادعاء العام من القاضي عبد الله علي علوش العامري قاضي المحكمة الجنائية العليا الخاصة بالنظر في قضية الأنفال التنحي عن إدارة القضية التي يحاكم فيها الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين وستة من أتباعه.

وأضاف، في الطلب الذي تلاه أمام المحكمة، " أصبح ينظر للمشتكي بالخيانة وعدم الأمانة، في حين أن المتهمين قد تجاوزوا على المحكمة بالألفاظ النابية وكذلك على المدعين بالحق الشخصي،في حين راح بعض المتهمين يهددون المحكمة والادعاء

العام، وبدلا من أن تتخذ المحكمة إجراء إزاء هذه التصرفات راحت تقف مع المتهمين".

وقال " لذا أطلب من القاضي التنحي عن إدارة هذه القضية،كونها من أهم الجرائم ضد الإنسانية".

من جانبه رد القاضي عبد الله العامري على طلب المدعي العام قائلا " أنا أسير ضمن الوثائق المعتمدة من قبل هيئة الأمم المتحدة والتي أصبحت من الوثائق الأساسية وهي رسالة عمر ابن الخطاب عندما ولى أبو موسى الأشعري القضاء عام (١٤) هجرية".

وأضاف أن " من ضمن شروط تولي القضاء أن يؤنس القاضي بين الناس في مجلسه وعدله لكي لا يطمع شريف في حيفه".

من جانبه اعترض المدعي العام على ما اسماه بالتجاوزات عليه من قبل المحكمة قائلا " إننا نرى أن الحق الشخصي قد تم التجاوز عليه من قبل المحكمة وتعرضنا إلى جرح مشاعرنا".

ورد القاضي على هذا الاعتراض بالقول " أنا أمارس القضاء منذ ربع قرن ولا اسمح لوكلاء المدعي العام بالحق الشخصي أن يحدد صلاحيات المحكمة".

ثم بدأت المحكمة في الاستماع إلى إفادة المشتكي الأول في جلسة أمس وهو الرابع عشر في قائمة المشتكين، وقد كرر كلام من سبقوه تقريباً.

ورفع القاضي الجلسة.

تفاصيل الجلسة السابعة ٢٠٠٦/٩/١٤

في بداية الجلسة أعلن القاضي عبد الله علوش العامري رئيس المحكمة في مستهل الجلسة أن «جميع المتهمين وفريق الدفاع عنهم حضروا وقائع الجلسة».

واستمعت المحكمة إلى إفادة الشاهد عبد الله أحمد حسن وهو من مواليد ١٩٤٩ وهو فلاح من قرية سيدا التابعة لمدينة السليمانية الذي روى تفاصيل قيام الجيش العراقي السابق بشن هجوم لملاحقة قوات البشمركة الكردية مما اضطر الأهالي إلى الفرار من القرية ومشاهدته قيام أفراد الجيش العراقي باعتقال عدد من الأهالي داخل مسجد.

كما روى الشاهد تفاصيل تقديم طلب لمقابلة صدام حسين بحثا عن أفراد أسرته.

وقال: «تقدمت بطلب إلى ديوان الرئاسة لتحقيق مقابلة مع صدام حسين وبعد ثلاثة أيام تمت دعوتي لمقابلته».

وأضاف: «طلبت من صدام إطلاق سراح أفراد أسرتي وسألني أين تم إلقاء القبض عليهم» مضيفا: «قلت لهم في قريتي».

وأضاف أن صدام تحدث بصوت عال: «لا تتحدث لقد فقدوا في الأنفال ثم قال لي لا تتكلم.. أخرج».

وقال: «أديت التحية العسكرية وخرجت بعد أن كنت قد اعتقدت أن صدام سيطلق سراحهم وبعدها رجعت إلى الوحدة العسكرية التي كنت اخدم في الجيش العراقي في مدينة العمارة إلى أن انتهت حرب الكويت». وأضاف: «اشتكي ضد صدام وعلي حسن المجيد (من كبار أعوان صدام) وأطالب بالتعويض حيث لم أجد أفراد أسرتي إلا بعد العثور عليهم مع مستمسكات في احد المقابر الجماعية».

وقد سأله صدام «لماذا كنت تريد المجيء لرؤيتي وأنت تصفني بالديكتاتور»؟.

وعندها تدخل العامري قائلاً «أنت لم تكن ديكتاتوراً» مشيراً إلى أن المقربين منه جعلوه يبدو كديكتاتور.

واثر ذلك، رد صدام قائلا «شكراً».

وكان المدعي العام منقذ آل فرعون طلب في مستهل جلسة الأربعاء من رئيس المحكمة التنحي متهماً إياه بالتساهل إزاء صدام.

تفاصيل الجلسة الثامنة ٢٠٠٦/٩/١٨

إفادات الشهود:

بدأ شاهد كردي يتحدث عن التشويه الذي خلفه استخدام الأسلحة الكيمائية في عينيه اللتين كشفهما للكاميرا طالباً أن يتم تصويرهما جيداً لعكس معاناته.

وأشار إلى مغادرته العراق والتقدم باللجوء السياسي في هولندا تحت أسم مستعار خوفاً من بطش نظام الديكتاتوري الذي كان موجوداً في السليمانية آنذاك.

وأوضح الشاهد أن الأطباء في هولندا فشلوا في معالجة حالته حيث أظهرت التحاليل إصابته بالسلاح الكيمائي.. وقدم جميع التقارير الطبية المختصة بحالته.

وتابع "مازلت أطوف العديد من دول العالم سعياً وراء مشورة طبية لحالتي حيث أعاني من الحساسية وأتألم بشدة من الجو الحار والضوء القوي".

"في عام ٢٠٠٥ أصبت بمرض حيث أعلمني الأطباء أن جانب من رئتي مصاب جراء السلاح الكيمائي ولأثبت لحضراتكم في عام ٢٠٠٣ فأن أحد التجار الكبار السويسريين المقيمين في هولندا المدعو فرانس فان أنراد قام ببيع المئات من الأطنان من الأسلحة الكيمائية إلى الحكومة العراقية وأنا كنت أحد المشتكين على هذا الشخص أمام المحاكم الهولندية.. كانت أول جلسة من المحاكمة في ١٨ آذار ٢٠٠٥ وشاركت في عدد من جلسات تلك المحكمة ولغاية ٢٣ كانون الأول من العام ذاته حيث قررت محكمة لاهاي الدولية بسجن المتهم ١٥ عاماً".

وأضاف "هذه أحد الأدلة التي تثبت استخدام الحكومة العراقية للسلاح الكيمائي وفي مقدور المحكمة التأكد، وعبر الطرق الدبلوماسية، من صحة أقوالي.. لم استطع الحصول على حكم المحكمة لأن القرار كان سرياً.. في الإمكان مخاطبة المحكمة المذكورة للحصول على قرار الحكم.. وبناء على ما تقدم أطلب الشكوى وأطلب بحقي عن المعاناة التي لحقت بي.. أطلب هذا الحق من صدام حسين والعريف علي حسن المجيد.. أن يحاكموا بديمقراطية وعدل".

وهنا تدخل القاضي قائلاً إنه "شأن المحكمة.. هل يطلب تعويض".

الشاهد: وأطلب الشكوى ضد كل من ساهم في عملية الإبادة الجماعية ضد الأكراد.. أطلب التعويض عن النفقات التي تكبدتها خلال رحلة العلاج.. لن آخذ الكثير من وقت المحكمة وهذه إفادتي".

رئيس هيئة الإدعاء العام جعفر الموسوي:

مفاتحة وزارة الصحة العراقية وذلك لتشكيل لجنة متخصصة بالإصابات الكيمائية لغرض عرض المشتكين السابقين واللاحقين الذين لم يتمكنوا من جلب تقارير طبية وربط هذه التقارير مع إضبارة القضية.. كما نطلب من المحكمة الموقرة انتداب خبير أو خبراء لغرض ترجمة التقارير الطبية التي تم تزويد المحكمة بها من قبل المشتكين

السابقين والمشتكي الحاضر.. الطلب الثالث: نطلب مفاتحة محكمة لاهاي الدولية لغرض إرسال نسخة من قرار الحكم الذي تطرق له المشتكي الحاضر في قاعة المحكمة وربطه مع إضبارة القضية.

وطالب وكيل الحق الشخصي عرض مستندات رسمية من مخاطبات رسمية بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٨٧ طلبت فيها الاستخبارات العسكرية من رئاسة الجمهورية الموافقة على استخدام العتاد الخاص، وحصلت الموافقة بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٧ وحددت مديرية الاستخبارات العامة المواقع الواجب قصفها وبعد مفاتحة وزارة الدفاع تم تنفيذ ٢٠ ضربة بالسلاح الاعتيادي و٢٤ ضربة بالسلاح الكيمائي (أو العتاد الخاص).

ورفض القاضي طلب عرض المستندات.

سؤال من وكيل المتهم بالحق الشخصي إلى الشاهد:

قلت إنه عند توجهك إلى مقر الحزب بعد الضربة الكيمائية قد مر على جثث أطفال ونساء وشيوخ قضوا بالأسلحة الكيمائية وكنت أرى جثث متناثرة.. سؤالي.. ما هو قومية الضحايا؟

الشاهد: أنا لم أكن في أفغانستان والقومية الموجودة هناك جميعها من القومية الكردية.

محام الدفاع بديع عارف: المشتكي زور جواز سفر.. إذا زور جواز سفر فلا يحق الأخذ بشهادته فهويته مزورة .. اعترف بأنه يملك جواز مزور هولندي باسم آخر وهو سردار علي عبد الله..

القاضي عبد الله العامري: أسمك كاروان ودخلت هولندا باسم شخص آخر!

الشاهد: لن أدخل في تفاصيل وصولي إلى هولندا ولكن بعد مرور عدة سنوات وتحصلت على جواز سفر هولندي أصلي وليس مزوراً عام ١٩٩٤.

محام الدفاع بديع عارف: يجب عرض الجواز على المحكمة للتأكد من أصليته.

تدخل الموسوي قائلاً: نحن على علم بهذا الموضوع.. المشتكي هو من طرح قضية التزوير أثناء إفادته..

محام الدفاع مرة أخرى: كيف دخل الشاهد بهذا الجواز إلى العراق؟ هل هناك تأشيرة دخول؟.

وكيل المتهم سلطان حسن: هل أنت متمسك بالجنسية العراقية أو الهولندية؟

الشاهد: في هولندا القانون يمسح بالتمسك بالجنسيتين.. أنا مازلت أحمل الجنسية العراقية

وكيل المتهم: هل كان الشاهد ينتمي إلى صفوف البشمركة؟

الشاهد: نعم أنا مولود من عائلة بشمركة انضممت إلى التنظيمات السرية عام ١٩٨٧ والتحقت بها عام ١٩٨٢ وأصبحت مسئول جهاز اللاسلكي - المركز الثاني الاتحاد الوطني الكردستاني.

وكيل المتهم: الأشخاص الذين استشهدوا برفقته.. هل كانوا من البشمركة؟

الشاهد: هذا الصاروخ لم يسجل عليه إذا لم تجد بشمركة فعد أدراجك.. نعم كانوا من البشمركة.

وكيل المتهم: الجواز سليم لكنه مبني على معلومات مغلوطة ومزورة.

وكيل المتهم: بينت بأقوالك بسياسة الأرض المحروقة.. ماذا تعني بذلك؟

الشاهد: كان هذا قرار مجلس الثورة المنحل باستخدام سياسة الأرض المحروقة في أراضي كردستان.

وكيل المتهم سلطان هاشم: قال الشاهد إنه بقي في إيران حتى عام ١٩٨٨. ما هو تاريخ دخوله الأراضي الإيرانية؟

الشاهد: يبدو أن زميلي السابق لم يستمع إلى أقوالي جيداً بينت أنني دخلت في ٢٨ آذار فقدت وعيي بعد ساعة ونصف الساعة ولا أعرف كيف نقلت إلى إيران.

وكيل المتهم سلطان هاشم: فرانس تحدث خلال مقابلة تلفزيونية؟ ماذا قال خلال هذه المقابلة؟

الشاهد: تحدث عن كيفية بيع الأسلحة الكيمائية إلى العراق ويوجد لتلك المحطة أرشيف في مقدوركم طلب شريط من القناة الهولندية.. لا أذكر أسم القناة.

وكيل المتهم سلطان هاشم: متى غادر الشاهد القرية باتجاه المرتفعات قرب الحدود الإيرانية؟

الشاهد: في يوم السادس عشر من آذار انسحبنا من مواقعنا، بعد أن ضربت حلبجة، ووصلنا إلى قرية شانخصيه في ٢٠ آذار.

وكيل المتهم سلطان هاشم: هناك تباين في شهادته قال إنه شاهد الطائرات العراقية وهي تقصف قرى كردية ومن المفترض هو في حالة غيبوبة ونقل إلى إيران".

الشاهد: هذا الرجل يصلح لأي شيء باستثناء أن يكون محامياً.

القاضي: لا تتدخل في شأن المحكمة.

الشاهد: قلت في إفادتي بأننا قد وصلنا إلى شانخصي في ٢٢ وأن إصابتنا تمت في ٢٣ أي بعد يومين.

وكيل المتهم سلطان هاشم: هل يملك مستمسك بهويته العراقية؟

القاضي: نعم قدم للمحكمة هويته.

وكيل المتهم سلطان هاشم: أطلب شهادة قيد الأحوال المدنية من قيد النفوس.. أطعن في صحة صدور بطاقة الأحوال المدنية.

الشاهد: أنا مستعد للخضوع لأي إجراء قانوني حال تزويري مستندات رسمية.

وكيل المتهم سلطان هاشم: كم يبعد مكان تواجد الشاهد عن القرى المقصوفة؟

الشاهد: المسافة سيراً بالأقدام أو ركوباً بالحصان..

القاضي: بالكيلومتر؟

الشاهد: لم يكن في مقدور السيارات الوصول إلى تلك المناطق.. أي قرابة ساعة أو ساعة ونصف مشياً.

وكيل المتهم سلطان هاشم: هل شاهد ذلك بأم عينه وهو يقول إن عينيه أصيبتا خلال القصف؟

الشاهد: نعم شاهدت بعيني المجردة.

وكيل المتهم سلطان هاشم: أطلب عرض خريطة للتأكد هل كان في مقدوره رؤية الأشياء بعينه المجردة.

وكيل المتهم سلطان هاشم: قدمت له إيران علاجاً طبياً.. لماذا لم تقدم له تقارير طبية.

الشاهد: لا لم أحصل.. لم أكن أتصور أنني سأحتاج إلى مثل هذه التقارير.. ولكن لدي تقارير هولندية وهي موثوقة.

محام الدفاع بديع عارف يطلب السؤال إلا أن القاضي يرفض.

محام الدفاع عن المتهم حسين رشيد: باعتباره أحد أفراد البشمركة ما هي المناطق التي كانت تحتلها القوات الإيرانية في ذلك الوقت؟

القاضي: لم يقل الشاهد بذلك إلا أنه وجه سؤاله إلى الشاهد

الشاهد: لم أر كهذا شيء.

محام الدفاع: القوات الإيرانية كانت خلف البشمركة لماذا لم تدخل تلك القوات الحدود نظراً لعدم وجود الجيش العراقي.

القاضي يرفض السؤال.

محام الدفاع: كعسكري هل شاهد يوماً القوات الإيرانية وهي تقصف القوات العراقية في تلك المناطق؟

الشاهد: لم نكن قريبين من المنطقة.. والبلدان كانا في حالة حرب ولكني لم أشاهد قصفاً إيرانياً.

محام الدفاع: هل حدثت أي معارك في قاطع "موت" بين القوات الإيرانية والعراقية قبيل الأنفال؟

الشاهد: لقد ذكرت قبل قليل كانت تلك المنطقة تحت سيطرتنا لم يكن هناك جيش إيراني أو عراقي.

محام الدفاع: قال أثناء مسيرته باتجاه الحدود الإيرانية أنه شاهد جثث في حين لم يذكر ذلك أمام قاضي التحقيق؟

الشاهد: رؤية الجثث قبل ٢٢ آذار أو قبل.، ذكرت أنهم سقطوا بالسلاح الكيمائي.

القاضي: نعم لكن لم تذكر ذلك أمام قاضي التحقيق!

الشاهد: هناك ما ذكرته ونسيت البعض وأسرده أمامكم الآن

محام الدفاع: لماذا حقن نفسه بالتروبين؟

الشاهد: لأنها حقنة ضد السلاح الكيمائي..

محام الدفاع: هل كان لبقية رفاقه نفس الحقنة؟

القاضي: السؤال ليس له علاقة بالموضوع.

محام الدفاع: من أين تحصل على الحقنة؟

القاضي يرفض السؤال.

محام الدفاع: قال إنه أنهى دراسته الثانوية في السليمانية.. المنهج بأي لغة؟

القاضي: ما دخل هذا السؤال بالقضية.. فهو غير منتج ومضيعة للوقت.

جدل بين القاضي والمحامي بشأن السؤال.. انتهى برفض السؤال.

وكيل المتهم علي حسن المجيد: ماذا تقصد بالمناطق المحررة في إفادتك أمام قاضي التحقيق عام ٢٠٠٥؟

القاضي: ماذا تعني بالمناطق المحررة؟

الشاهد: أقصد بها المناطق التي كانت تحت سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني التي كانت معارضة للحكومة العراقية آنذاك.

وكيل المتهم علي حسن المجيد: ما هو اتجاه الطائرات التي قصفت القرى؟

الشاهد: من اتجاه العراق؟

وكيل المتهم: كانت هناك حرباً بين العراق وإيران لماذا كنت تعالجون هناك؟

الشاهد: تمت معالجتنا من قبل الهلال الأحمر الإيراني ولولا لم تستخدم الحكومة العراقية الأسلحة الكيمائية ضدنا لما لجأنا إلى إيران وطلبنا يد المساعدة.

وكيل المتهم: إذا كان ذلك صحيحا..لماذا لم تقم إيران باستغلال ذلك ضد العراق؟

القاضي: السؤال غير منتج.

سلطان هاشم: صباح ٢٢ آذار حلقت طائرات حربية على "ماوت" و"أوكردة" .. هل هذا صحيح.؟

الشاهد: نعم أنا متأكد من إفادتي المتهم سلطان هاشم: "قصبة ماوت" كانت تحت أيدي القوات الإيرانية.

علي حسن المجيد: لدي توضيح للمحكمة بشأن استخدام الأسلحة الكيمائية.. أؤكد أن الاستخبارات العسكرية لم تقترح هكذا مقترح ولا علاقة لها بهذا الأمر.. أنا لا أعلق استخدمت أو لم تستخدم ولكن لا يجوز أن تستخدم هكذا مسائل على طريقة ولا تقربوا الصلاة.. هل لي أن أتحدث بعض الشيء؟..

القاضي: بأي خصوص؟

علي حسن المجيد: في الجلسة الأولى المخصصة للدفوعات الشكلية ذكرت أن لدي شكوك في مقدرة المحكمة في تأمين العدالة لنا لعدة أسباب من ضمنها أن الشهود تعرضوا لمحاولات اغتيال ومنهم الشاهد الرئيسي بقضيتي الذي نجا بأعجوبة من محاولة اغتيال وفر من البلاد.. قلت لك إن عوائلنا مهددة.

يتابع علي حسن المجيد: عندما احتلت القوات الإيرانية حلبجة تم استهدافها بالأسلحة الكيمائية.. هل كان السلاح إيراني أم عراقي؟

الشاهد: كان من قبل الجانب العراقي.. وإذا لم يكن كذلك لماذا عالجتنا إيران.. وعندما انسحبنا من مقر القيادة في سرقلوبرقلة كان الجيش العراقي خلفنا.

علي حسن المجيد: إيران عالجتهم لأنهم ضربوا بالسلاح الكيمائي الإيراني ولم تزودهم بشهادات طبية لأنها هي من بضربهم بالأسلحة الكيمائية".

الشاهد: أستطع أن أحصل على التقارير الطبية الآن.

علي حسن المجيد: سبق وأن أكدت جنابك أنه لا يجوز التجاوز على القضاة أو الشهود أو المتهمين أو المحامين.. لكن المشتكي تجاوز علينا..

القاضي: الشاهد تجاوز على المحكمة.. ولكن صدرنا رحب.

علي حسن المجيد: ليست ذلة لسان.. الشاهد قال إن الديكتاتور صدام حسين.. أن لم تجاوب المحكمة فسنضطر للدفاع عن نفسنا.

صدام حسين: كلامي إذا لم يرتبط بالقضية فلا تأخذوا به.. نحترم القانون ومن يطبق القانون.. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

صدام: كم تبعد خيمتك عن الخيمة التي قتل فيها رفاقك؟

الشاهد: كما قلت سابقاً ٦ إلى ٧ أمتار.

صدام: ما هي المسافة بين مسقط القذيفة الصاروخ والخيمة التي قتل بها ثلاثة"

الشاهد: لم يكن معي مقياس.. بحدود متر أو ثلاثة أمتار.

صدام: خيمة تبعد بالحدود التي أشار إليها كيف أن يقتل الثلاثة ولم يصب هو وتمكن من السير حتى الوصول إلى الحدود الإيرانية.. للمحكمة أن تقدر ذلك.

صدام: القانون العراقي مثلي فأنا الذي سنيته.. القانون العراقي يمنع حمل

جنسيتين.. هذا الرجل لم يعد عراقي كونه يحمل جوازاً هولندياً.. كيف يقبل القانون العراقي شكواه.. الأمر متروك لهيئة المحكمة.

صدام: نحن الآن أمام حالة تستوجب التدقيق هذا الرجل ما هي شخصيته الحقيقية.. ولماذا أخفى أسمه في المستشفى الهولندي

القاضي: سبق وأن بين ذلك.

صدام: جوابه غير مقنع..

صدام: قال المشتكي إنه رأى جثث الأطفال في المنطقة.. ماذا يفعل الأطفال في مناطق عسكرية؟

الشاهد: كما أسلفت عند انسحابنا من المنطقة شاهدت المدنيين وهم ينسحبون خوفاً إلى الحدود الإيرانية وهم ذاتهم الضحايا.

صدام: تحتاج للمعرفة حول الحدث لتقدير مدى صحة الأقوال.. الأكراد شعبنا.. عام ١٩٨٨ عندما ربحنا الحرب على العدوان الإيراني..

ورفعت الجلسة ساعة للاستراحة.

واستؤنف الجلسة مجدداً أثناء تقديم شاهدة إثبات كردية لإفادتها.

القاضي: قالت الشاهدة فقدت أهلي وزوجي.. من فقدت تحديداً من عائلتها؟

الشاهدة: فقدت صهري ثلاثة من أحفادها.

محام الدفاع بديع عارف: قالت ونقلت والدة زوجي الدعوة سوزا خارج المعتقل؟

الشاهدة: توفيت في نقرة السلمان

محام الدفاع بديع عارف: هل شاهدت الوفاة بأم عينها؟

الشاهدة: نعم شاهدت الوفاة ودفنتها بيدي.

محام الدفاع بديع عارف: أين دفنت؟

الشاهدة: خلف المعتقل الذي كنا فيه

محام الدفاع بديع عارف: هل هناك معارك بين الاتحاد الوطني والحزب الكردستاني؟

القاضي: الشاهدة لا تدري حتى قوميتها

محام الدفاع بديع عارف: إذا كانت هناك اشتباكات بين الطرفين الكرديين فهل هناك من مانع من وفاة أقاربها أثناء تلك الاشتباكات؟

محام دفاع حسين رشيد: أطلب عرض صورة قيد الشاهدة

محام دفاع حسين رشيد: قالت الشاهدة خلال الإفادة أنها كانت وزوجها مع أبنائها عند احتجازها عام ١٩٨٨ وشهادة القيد تشير إلى أن زوجها توفي عام ١٩٦٠؟

القاضي يرفع الجلسة

تفاصيل الجلسة التاسعة ٢٠٠٦/٩/١٩

بدأت الجلسة بشروع المحكمة في الاستماع إلى المشتكي رؤوف فرج عبد الله، بعد المناداة عليه.

وقال رئيس المحكمة إن المحكمة تشكلت بكامل أعضائها وبحضور المتهمين ووكلائهم وبحضور المشتكي رؤوف فرج عبد الله.

وبعد القسم على القرآن، قال شاهد الإثبات باللغة الكردية مع ترجمة فورية بالعربية:

استمرت المعارك لستة أيام في قرية كرم باشا، ومن خوفنا من القصف اتجهنا نحو الجبال..وقصفت قريتنا بواسطة السلاح الكيماوي..وعندما علمنا بذلك عدنا إلى قريتنا..رأيت ثلاثة أشخاص ساقطين على الأرض، هم: محمد مصطفى وفاطمة فتح محمود وزبيدة حسين رسول..

وأضاف الشاهد: تركنا قريتنا وقصدنا قرية قوما ظلت، وهناك رأينا سكان متجمعين من قرابة ثمانية قرى..

وقام الشاهد بتسمية القرى الثمانية.

وقال إنه بعد ذلك توجهنا إلى قرية "شاناخسيه"، وتم قصفنا هناك بواسطة الطائرات العراقية وبالسلاح الكيماوي..علما أني لا أعرف الطائرات إلا أنها عراقية، توضيحا لرئيس المحكمة عندما سأله عن طراز الطائرات.

وبعدها اتجهنا إلى مدينة "بنا" حيث بقينا فيها خمسة أيام نعاني من الجوع والعطش، وبعدها اتجهنا إلى مدينة "زردشت" حيث بقينا فيها ١٢ يوما..بعدها حلقت

طائرة وقامت بنشر مناشير تتضمن بيان عفو صادر عن صدام حسين يعفو فيه عن الذين غادروا قراهم..

وأوضح الشاهد أن صدام قال في المناشير إنه يعفو عنهم وسيعوض عليهم لكي يعودوا إلى قراهم..فاتجهنا في ذلك اليوم نحو "سونا" حيث كان يتواجد فيها الجيش العراقي..

وقال: كانت معاملتهم غير إنسانية وقاموا بضربنا وتم نقلنا بالسيارات العسكرية..

وأضاف: أخذ الجيش كامل ممتلكاتنا من أطعمة وبطانيات..وأخذونا إلى قرية "فرقة شوركونرنا"، وبعدها تم نقلنا بواسطة قافلة عسكرية إلى مدينة "أربيل" إلى مديرية الأمن..

وقال: بقينا ليوم واحد دون تزويدنا بالطعام..كانت حالتنا سيئة..فقام أهالي أربيل من خلف الأسلاك بتقديم الطعام لنا..وعندما علموا بذلك، تم نقلنا إلى معسكر يقع بين أربيل والموصل..

وأوضح: دخلنا معسكرا فيه أربع قاعات.. وقاموا بعزل الرجال والنساء..وعندما دخلنا القاعة كان يتواجد فيها "يشماخ" (اللفة الكردية)..

وأوضح القاضي أنها عمامات لأشخاص..

فيما تابع الشاهد بقوله عن وجود آثار دماء..وبقينا على هذا الحال حتى الصباح..حيث قاموا بضم النساء إلى الرجال بعد أن تم فصلهم مساءاً..وعندما خرج من القاعة لم أر عائلتي وهم: زوجتي مريامة إسماعيل وابننا "هايمن" في السنتين من عمره..فسألت أحد النساء وهي ابنة عمي "شمسه خضر" عن زوجتي..

وأضاف: قالت لي إن زوجتي رزقت بالطفل داخل القاعة.. فعندما دخلت رأيت الطفل المولود متوفي..

وأخذت مريامة خارج القاعة.. بعد ذلك أخرجت هايمن والمولود المتوفي من خارج القاعة..فرأيت أحد الضباط داخل جيب وتوجه إلينا..وقال إنه لا يعرف رتبته..فذهبت وتوسلت إليه: إن زوجتي مريضة ويجب نقلها إلى المستشفى العسكري..فأخذونا مع ثمانية أشخاص مسنين إلى المستشفى العسكري..

وقال: الطبيب امتنع عن معالجتنا لأننا مدنيين ولسنا عسكريين.

تم إعادة الأشخاص الذين كانوا معنا إلى المعسكر وأخذوني مع عائلتي إلى مستشفى مدني في أربيل..

وشرح الشاهد: في الصباح أتت ممرضة تدعى "أسمرى" وقالت إن الأشخاص الذين كانوا معنا تم نقلهم إلى "نقرة السلمان".

وأضاف: فأتى زوج الممرضة وأخذ طفلي الميت لدفنه في أحد المقابر.. وقال لي لتبقي زوجتك وطفلك ليبقوا في منزلنا إلى أن تعالج نفسك..

وقام بإعطائي عنوان المنزل والذهاب للاهتمام بعائلتي.. كي لا أقع في قبضة الحكومة..ذهبت إلى "رانيا" وذهبت إلى بيت حماي..فسألتني والدة زوجتي عن ابنتها فقلت لها إنها في أربيل، وأعطيتهم عنوان المنزل للذهاب ونقلهم إلى هنا.. فذهبت وقامت بإحضار زوجتي وولدي..فبقيت هناك وبقيت مختفيا حتى الانتفاضة عام ١٩٩١.كل الذين كانوا معي من قريتي لا نعرف مصيرهم..

وقبل الختام قال الشاهد: أطلب الشكوى على المتهمين على صدام حسين وعلي حسن المجيد وأزلامهما ممن اشتركوا معهم، وأطالب بالتعويض لابني وممتلكاتي..

من جهته طالب المدعي العام التوضيح حول مشاهدات الشاهد لما رآه في القرية عندما عاد إليها.

وقال الشاهد: القرية كانت مهدومة وفيها قنابل منفجرة..

توضيح ثاني عن اسم المستشفى المدني الذي عولجت فيه الزوجة..

قال الشاهد إنه لا يتذكر اسمها وأنهم بقوا فيها ليلة واحدة فقط..

وتم سؤاله ما إذا كانت الممرضة وزوجها على قيد الحياة..

وأوضح الشاهد: إنه لم يراهما بعد مساعدتهما له ولعائلته حينها..

ثم وجه وكيل الدفاع عددا من الأسئلة إلى الشاهد التي لم تلاقي توضيحا منه...

إلا أن رئيس هيئة الإدعاء العام جعفر الموسوي طلب من المحكمة إظهار النزاهة واتخاذ الإجراءات القانونية بحق المحامي بديع عارف لقيامه بالتجاوز على هيئة الإدعاء العام..

ورد قاضي المحكمة متجاوبا: أن المحكمة قررت إنذار المحامي إنذار نهائي بعدم

تجاوز أي شخص على شخص آخر داخل المحكمة وأنه في حال استمر بذلك سيتم اتخاذ إجراءات ضد كل من يسيء إلى إجراءات المحاكمة.

ومن جديد تم سؤال شاهد الإثبات عن مكان اختفائه حتى الانتفاضة..

فقال: في بلدة "رانيا"..

وسأله وكيل الدفاع عن ذهابه إلى إيران كما بينته وثائق المحكمة..

وأوضح الشاهد: بقيت خمسة أيام في مدينة "بنا" و ١٢ يوما في "زردشت" والاثنتان تقعان في إيران.. وبعدها رجعت..

إلا أن الإدعاء قال إن الشاهد لم يعد من إيران إلا بعد سماعه بقرار العفو..سائلا إياه متى كان ذلك؟

فقال الشاهد: بعد تلك الفترة عدنا وبعد نشر المناشير..

وسئل مجددا ماذا كان السبيل لمغادرة إيران إلى العراق، وهل كان معه وثائق..؟

فأجاب: بواسطة بغال..

وعندما سئل ما إذا دخل العراق بالطرق المشروعة وليس عبر دفع أموال للمهربين؟

قال شاهد الإثبات: لم يكن معنا أموال كافية غير دفع أجور البغال..

وسأله وكيل الدفاع عن أسماء الأسر التي كانت معه..

فقال الشاهد: حسين أحمد حسين وتوفيق رسول قادر ولاتي محمود حسين.. إلا أنه لا يتذكر أسماء الأطفال..

وسأله وكيل الدفاع عن الجهة الواقفة وراء الهجوم ضد قريته....

فقال: بالتأكيد القرار صادر عن صدام حسين وعلي حسن المجيد..

وسأله قاضي المحكمة عن سبب الهجوم عليهم؟

فأجاب: كان الهدف منها هو القضاء على الأكراد..

إلا أن وكيل الدفاع طالب من شاهد الإثبات الإجابة عن مسألة تواجد مقرات لقيادة البشمركة في المنطقة.

فأجاب الشاهد: أن هذه القوات كانت متواجدة في قريته وقرية ثانية.

وسئل مجددا إذا عمل ضمن صفوف البشمركة؟

أجاب: لا عملي فلاح فقط..

وقاطع علي حسن المجيد الملقب "بعلي الكيماوي" الجلسة طارحا استفسارا عن مكان الشاهد عندما نشرت المناشير وعن مكان تواجده: أفي بنا أم زردشت؟

فأجاب شاهد الإثبات: كنت في زردشت..

وقال علي حسن المجيد: غريب لأن المنطقة كانت في حال حرب وغريب أن يتم نشر مناشير في تلك الفترة من قبل تحليق طائرة عراقية في الأجواء الإيرانية..

فقال شاهد الإثبات: تم توزيعها في زردشت وأنا لا أجيد القراءة وقام أشخاص آخرين بإبلاغي ما جاء فيها..كانت طائرة عراقية التي تحلق في أجواء زردشت.

علي حسن المجيد للمحكمة: قال الشاهد إنهم نقلوا من منطقة إلى أربيل..كما يبعد مكان حجزهم عن أربيل؟

الشاهد: لا أعرف كنا مسجونين وأغلقوا أبواب السيارات علينا، لم استطع تقدير المسافة..

المجيد: لكنه قال إنه "رأى" الضابط عندما وجد زوجته مريضة..إنه يرى....

ومن ثم تم المناداة على شاهد الإثبات الثاني اسكندر محمود..الذي شرح وضعه الصحي مشيرا إلى الجروح التي أصيب بها نتيجة السلاح الكيماوي.

وقال شاهد الإثبات: حاولت الانتحار نتيجة الإصابة التي تعرضت لها..كانت حالتي سيئة وكان لدي ألم شديد.. علما أن الجروح كانت على جميع أنحاء جسمي..حالتي الصحية سيئة حتى الآن..ولدي ضيق في التنفس..ومستوى رؤيتي حتى الآن غير واضح..بعض العوائل العربية الذين رحلوا إلى إيران كانوا يساعدوننا.وفي الشهر السادس بعد تحسن صحتي..طلبت مغادرة المستشفى..

وقال: الأطباء في البداية طلبوا مني البقاء لفترة أطول لحين شفاء جروحي..وقالوا لنا أننا لن نجد الأدوية خارج المستشفى وقاموا بتوفيرها لنا داخل المستشفى ومعالجتنا بها..

بعدها أخبرني الطبيب ألا أتعرض لأشعة الشمس أو أي إضاءة شديدة..وبعد أسبوع خرجت من المستشفى..عدت إلى أصدقائي في مدينة "صقز"..هذه إفادتي كما أسلفت سابقا..أستطيع إظهار جسدي للمحكمة إذا أرادت ذلك.

وأضاف شاهد الإثبات الثاني: اطلب الشكوى على صدام حسين وعلي حسن المجيد..

وقال إنه عاد إلى العراق عام ١٩٩١.

وطلب منه رئيس المحكمة إظهار جروحه، لكن دون إظهاره أمام شاشة التلفزيون..وتم الاستجابة لطلبه.

موسوي: ذكرت أن عائلتك تم ترحيلهم إلى السماوة..ما كان مصيرهم؟

فأجاب الشاهد: نعم رحلوا وبقوا محتجزين حتى عام ١٩٨٨ في السماوة ..وهم والدي ووالدتي.. وعادوا من ثم السليمانية..

وسأله الموسوي: هل وجدوا منازلهم عندما عادوا؟

فأجاب الشاهد: استأجروا بيتا، وكنا سابقا مستأجرين أيضا..

الموسوي: خلال عمليات الأنفال..هل طرأ تغيير على وضع عائلتك؟

الشاهد: العائلة تقصد الوالدين؟

القاضي: نعم..

الشاهد: لا لم يحصل أي تغيير..

أحد وكلاء الدفاع: هل هو متزوج ولديه أطفال أو مصاب بالعقم؟

شاهد الإثبات الثاني: عام ١٩٩٦ تزوجت ولدي طفلان رغم انه كنت خائفا أن أكون عقيما..

أحد وكلاء الدفاع: قبل ٢٢ مارس ١٩٨٨ هل كان لديه أمراض سابقة قبل الضربة؟

الشاهد: لا..

وقال: أطلب التعويض عما أصابني من أضرار..

وسئل الشاهد هل كان الأطباء الذين كانوا يعالجونه أكراد عراقيين أم أكراد إيرانيين؟

أجاب: من إيران..

وسئل شاهد الإثبات الثاني عن الأسلحة الأخرى التي استخدمت، فأجاب أنها من نوع كلاشينكوف وقاذفات "أر بي جي".

إلا أن وكيل دفاع آخر طالب إحالة شاهد الإثبات الثاني إلى التحقيق لعدم ظهور أي آثار جروح على جسده.

تفاصيل الجلسة العاشرة ٢٠٠٦/٩/٢١

في بداية الجلسة تحدثت شاهدة كردية عن تجربة اعتقالها، وقيام قوات عراقية بخطف أولادها الذين لا يزال مصيرهم مجهولاً حتى الآن.

وقالت الشاهدة "سمعت صراخ أطفالي وهم يأخذونهم بعيدا، ولكني لم أشاهدهم لأنني كنت معتقلة في قاعة أخرى. كان المحتجزون يقضون حاجاتهم في الغرف، وبعد ذلك يأخذوننا لتنظيف تلك الغرف.

وفي الشهر التاسع من عام ١٩٨٨ صدر قرار عفو عن كافة الأكراد، وابلغونا أنهم سيحضرون جهاز تلفزيون لنسمع عن القرار. وبعد صدور القرار كنا فرحين للغاية. وأطلقوا سراحنا بعد أن منحونا أوراق لنحصل على قطعة أرض يمكن أن نبني عليها مسكنا".

المحامي المنتدب عن المتهم سلطان هاشم أحمد بدأ يوجه الأسئلة لشاهدة الإثبات في قضية "الأنفال".

وقالت الشاهدة، ردا على الأسئلة، عندما خرجنا من قريتنا كان القصف مستمراً عليها بواسطة المدافع.

وأضافت الشاهدة "تم حجز والدي وأخي ولم يرجعا حتى الآن، ولا أعرف إذا كانا قد قتلا بقصف الأسلحة الكيماوية".

ونفت الشاهدة أن يكون والدها وشقيقها من قوات البشمركة الكردية.

الشاهد الثاني:

وبعد انتهاء إفادة الشاهدة الأولى، استدعت المحكمة الشاهد الثاني في جلسة الأربعاء، ويُدعى "أسعد محمد فارس".

والشاهد من مواليد عام ١٩٥١ ويسكن في إحدى قرى الأكراد بمحافظة السليمانية.

أدى الشاهد يمين القسم أمام المحكمة، وشرع في الإدلاء بإفادته، وقال أسعد: " كنت بسكني في شهر أبريل/ نيسان عام ١٩٨٨ عندما قامت الحكومة العراقية بالهجوم على منطقتنا، وقصفت المنطقة بالمدفعية والطائرات. وهربنا من قريتنا واتجهنا إلى قرية مجاورة أنا وعائلتي و٢٠ رأس من الماشية. وبقيا في المنطقة نتجول لمدة عشرة أيام، وكنا محاصرين من قبل القوات العراقية، ولم يكن هناك أي مجال للنفاذ من هذا الطوق.

واتجهنا بعد ذلك إلى موقع آخر بالمنطقة، وكان هناك عدد كبير من الناس، وتدخل جيش من العسكر وقاموا بجلب معدات لهدم الدور والمباني بالمنطقة، ولم يكن هناك مكان يمكن أن نلجأ إليه من المطر الغزير الذي كان يتساقط.

بقينا يومين في سهل قرب قريتنا، والنساء حاولن أن يجدن أي موقع للاختباء دون جدوى، وهدم الجنود القرية بالكامل، وكان وضع الأطفال الرضع سيئا للغاية.

عملت قوات الجيش العراقي على نقل السكان بالقوة إلى مكان آخر. واضطررت إلى ترك طفلي عند شقيقي، وذلك لكونه صغيرا لا يستطيع السير. وغادرت القرية مع ماشيتي إلى منطقة أخرى.

وفي وقت لاحق، أرسلت القوات العراقية كبار السن إلى معتقل، وكان وضعنا سيئا في المعتقل. وكان الأشخاص الذين نقلوا معي قد مرضوا. وأثناء مرضي لم أحصل على أي نوع من الأدوية. وطوال فترة تواجدي في المعتقل، لم أستحم مرة واحدة، وإلى حين عودتي إلى بيتي. ولا زلت أعاني من المرض الذي أصابني في ذلك الحين.

وتُوفي في المعتقل الكثيرون، سمعت عن ذلك ولم أشاهدهم فقد كنت مريضا. رأيت في أحد الأيام مجموعة من الكلاب تأكل شيئا، ولكنني لم أعرف ماهية هذا الشيء. ورأيت شيئا أشبه برأس بشري مقطع كانت الكلاب تأكله.

تم تسجيل أسمائنا، ونقلنا إلى منطقة أخرى وتسليمنا وثيقة (قام رئيس المحكمة بالإطلاع عليها)، ومن ثم تم الإفراج عني.

عندي شكوى ضد صدام وعلي الكيماوي وكل من شارك في عملية الأنفال. وأطلب التعويض لأخي وأولاد أخي وابني. صدام لم يبق لنا شيئا. " وردالتعويض عن كل الأضرار المادية والمعنوية".

وردا على أسئلة من وكيل المدعين بالحق الشخصي، أجاب الشاهد "حرقوا منزلي وهدموه، والمواشي نجت".

وفي إجابة على أسئلة موجهة من محامين للمتهمين، قال الشاهد "لم يكن هناك مقر لقوات البشمركة داخل قريتي أو في محيطها. ولم أكن منتسبا لقوات البشمركة، أنا رجل من العشائر الكردية. ليس عندي شهادة وفاة لأقربائي، ولكنني أملك واحدة لابني. لم يبلغني أحد من الحكومة العراقية بحظر التواجد في منطقة معينة ولا بضرورة مغادرة المنطقة".

الشاهد الثالث

ثم استدعت المحكمة المشتكي "غريب قادر"، وهو من مواليد عام ١٩٧٧، ويسكن بمناطق الأكراد بمحافظة السليمانية. أقسم الشاهد يمين الشهادة وشرع في إفادته.

وقال المشتكي: " في عام ١٩٨٨ كنت أسكن إحدى القرى الكردية، وفي تلك السنة قصفتنا القوات العراقية بالمدافع والطائرات في فصل الربيع، وبعد أن تركنا القرية قصفتنا الطائرات مجددا، واستشهد أحد سكان قريتنا وكان معه شقيقي في الملجأ وأصيب بجروح، وبعدها اضطررنا إلى اللجوء لإيران، وكان الطريق وعرا وجبليا والأمطار تهطل بغزارة.

توجهنا في طريقنا إلى قرية عراقية ومكثنا بها ليلة، ومنها توجهنا إلى إيران، وبقينا هناك أكثر من عشرة أيام، وبعدها عدنا وسلمنا أنفسنا للقوات العراقية، ومنها نقلونا بسيارات، وكنا تسع عوائل، ومنها نُقلنا إلى مقر عسكري حيث احتجزونا داخل غرف، بعد أن استولوا على أغراضنا. وبقينا هناك عشرة أيام، منها خمسة أيام كانت الظروف فيها قاسية، وكانت مياه الأمطار تتسرب إلى داخل الغرف.

ويعد ذلك نقلنا الجيش العراقي إلى أربيل، ومن ثم إلى موقع آخر بالقرب من كركوك. وكانت معاملة الجنود هناك معنا سيئة للغاية. وقضينا حاجاتنا داخل صفائح معدنية في داخل القاعات. وبقينا هناك أكثر من عشرة أيام. وكان معي أقرباء لي. وعزلوا النساء عن الرجال ثم نقلوني بعد ذلك مع أسرتي إلى معتقل آخر، ووصلنا هناك بعد ليلتين. وبقينا في المعتقل ستة أشهر و١٥ يوما.

كان المعتقل كبيرا ومليئا بالمعتقلين الأكراد. وكانت سلطات المعتقل تسخر المحتجزين الصغار في أعمال حمل بعض المعدات. حصتنا من الأكل صمونة واحدة في الوجبة. القاعات كانت وسخة وتعج بالقمل والبراغيث. ومياه الشرب لم تكن نظيفة وأصبنا بالأمراض مثل الإسهال والتقيؤ، ومات الكثير منا ، ومنهم والدي، وكان يموت يوميا أكثر من عشرة أشخاص.

استدعى الجنود والدي لمدة ربع ساعة، ثم أعادوه إلينا ميتا ، وسلموا جثته إلينا لنقوم بدفنه. ولم نجد آثار تعذيب على جسده عدا وجود بقعة حمراء على جبينه. قام عمي وآخرون بدفن والدي. وأثناء وجود بالمعتقلين، تم إطلاق سراح دفعتين من المعتقلين المسنين.

رأيت الجنود يربطون أحد المعتقلين الأكراد ويضربونه. وبعد ذلك، سجلوا أسمائنا ونقلونا إلى السليمانية ثم منطقة أخرى حيث أطلقوا سراحنا.

أطلب الشكوى ضد صدام حسين وعلي حسن المجيد ومن معهم، وكافة الذين ارتكبوا جريمة الأنفال. وأطلب التعويض وإعادة جثة والدي.

وردا على أسئلة من هيئة الإدعاء العام، قال الشاهد" أعداد المعتقلين كانت هائلة وكلهم من الأكراد، حوالي خمسة آلاف معتقل، وكنت أري بأم عيني قتلى يوميا في المعتقل، أكثر من عشرة أشخاص. وأسباب الوفاة هي المرض مثل الإسهال والتقيؤ، والتعذيب. لم نعد إلى مسكننا الأصلي وقريتنا إلا عام ١٩٩١ ، وهناك وجدنا بقايا القذائف والمنازل مهدمة، وبينها منزلي".

وفي إجابة على أسئلة من وكيل الحق الشخصي، قال الشاهد " قصف قريتي كان بالمدافع والطائرات، وكنا خارج القرية في ذلك الوقت".

وتوعد صدام خلال تلك الجلسة أحد المحامين المدنيين الذين وصفوا دولته بأنها كانت دولة "دكتاتورية وطغيان" قائلا "سنسحق رؤوسكم".

تفاصيل الجلسة الـ ١١ ٢٠٠٦/٩/٢٥

- بدأت وقائع الجلسة بالمناداة على المتهمين.

- الشاهد محمد رسول مصطفى من مواليد عام ١٩٣١ ، ويسكن ناحية قراداخ بالسليمانية، وهويته كردي عربي، ويعمل فلاحا.

- أقسم الشاهد اليمين، وشرع في الإدلاء بإفادته:

- في ليلة ٢٢-٢٣ من شهر مارس/آذار عام ١٩٨٨، تم ضرب قرية كردية بالأسلحة الكيماوية.

- رأينا الدخان يتصاعد من القرية المقصوفة (وهي تبعد مسيرة ساعة كاملة عن قريته).

- توجه رجلان من قريتنا إلى القرية المقصوفة، وعندما وصلا قرب هناك، استنشقا بعض الروائح الغريبة (رائحة التفاح)، فعادا إلى قريتنا.

- عندما عادا، قمت بالتوجه نحوهما بغية الاستفسار عن ما حدث، فاستنشقت الرائحة الغريبة التي جلبتها الرياح.

- عدت إلى منزلي وعائلتي وكان ضيق النفس لا يزال مصاحبا لي، وفي الصباح توجهت إلى مستشفى قريب.

- في المستشفى أعطوني بعض الأدوية وتحسنت حالي على أثرها.

- وفي صباح اليوم التالي، بدأ الجيش العراقي يحتشد حول عدد من القرى الكردية، وعلى أثر ذلك، سارعنا بالهرب من قريتنا، ورأيت بعيني تلك الحشود.

- وفي اليوم التالي قمت أنا وابن أخي بالصعود إلى أحد الجبال التي تشرف على قريتنا، ورأينا أن عددا من القرى كانت محترقة ومقصوفة بالقنابل، وترتفع منها أعمدة الدخان.

- طلب مني الأهالي النزول من الجبال ومغادرة الموقع خشية هجوم مرتقب من الجيش على المنطقة. وتوجهنا بعد ذلك إلى مناطق كردية أخرى.

- أثناء مرورنا بالقرى المختلفة، كان أهل تلك القرى ينزحون معا خوفا من هجوم الجيش العراقي.

- كان أهالي بعض القرى قد نزحوا كلهم إلى قرية واحدة قريبة. وقام الجيش العراقي بتطويقنا هناك، ونقلونا بحافلات وسيارات إلى منطقة أخرى، ثم إلى معسكر للمعتقلين، جنوب كركوك.

- عندما نزلنا من الحافلات، فصلوا الرجال عن النساء، وبعدها فصلوا الشباب

عن المسنين، وصفونا في عدد من الطوابير. وجاء الجنود وحصلوا على كافة متعلقاتنا من أوراق هوية وساعات ونقود وغيرها.

- وضعني الجنود مع المسنين، ورأتني ابنتي داخل المعتقل، وشرعت في البكاء. وكان اعتقالي قد تم مع عائلتي في وقت واحد.

- وفي اليوم التالي، نقلونا إلى معسكر آخر للمعتقلين، ووصلنا هناك في اليوم التالي الساعة الثامنة صباحا.

- وفي المعسكر الجديد، ظللنا ثلاثة أيام بدون ماء أو طعام، وبعد ذلك زودونا بصمون يابس وماء مالح غير صالح للشرب. وأصيب أكثرنا بالإسهال والتقيؤ والسعال. واحتجزنا في المعسكر لمدة خمسة أشهر. ويبلغ عدد المعتقلين من ثلاثة إلى أربعة آلاف شخص.

- وبعد خمسة أشهر، أعادونا إلى مدينة السليمانية، ثم نقلونا إلى منطقة أخرى أطلقوا سراحنا فيها.

- اعتقلت مع زوجتي وخمسة من أطفالي، ولا يزال مصيرهم مجهولا حتى الآن. كما لا يزال مصير مجموعة من أقربائي مجهولا حتى الآن.

- أشكو على صدام حسين الذي كان يدعي أنه أبو الشعب، وكل من شارك في ارتكاب هذه الجريمة. وكذلك أطلب التعويض عن الأضرار التي لحقت بي.

- ردا على أسئلة من الادعاء، قال الشاهد: المعاملة كانت سيئة في المعتقل. وكان ضابط يقوم بضرب المعتقلين، وشاهدته يقتل أحد المساجين ضربا بشيش مسلح (حديد).

- الشاهد: ضربني أحد الضباط بقطعة حديد ما أدى إلى كسر عدد من أضلاعي، وذلك أثناء وقوفي في طابور للحصول على مياه شرب نظيفة.

- الشاهد: شاهدت الأطفال يموتون في المعتقل بسبب الحصبة وعدم توفر علاج طبي. وكبار السن كان أغلبهم يتوفون بسبب الجوع. وخلال بقائي في المعتقل، تُوفي ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شخص. والموتى كان يُخرجون من مركز الشرطة بالمعتقل ويجلب معهم أحد أقربائه، ويحفرون حفرة بسيطة، غير عميقة، بواسطة المعتقلين، ويدفنون الجثث بملابسها الكاملة بعد لف كل جثة ببطانية.

- أجاب الشاهد على أسئلة من وكيل المدعيين بالحق الشخص قائلا : شاهدت زوجتي وأولادي لآخر مرة في المعتقل، ولم أشاهدهم بعد ذلك. بعد إطلاق سراحي، قدمت عريضتين لمنظمة حكومية لمعرفة مصير زوجتي وأولادي. كان جميع المعتقلين من الأكراد. قريتي كانت ضمن الأماكن المحرمة التي تعذر الرجوع إليها. بعد عام ١٩٩١، رجعت للقرية ووجدت الدور والمساجد مهدمة، ثم بنينا منازل بسيطة لغرض السكن لعام أو اثنين.

- ردا على أسئلة من المحامي المنتدب عن المتهم سلطان هاشم، قال الشاهد: لم يكن أحد من المعتقلين قد تعرض للإصابة بأسلحة كيماوية.

- الشاهد: الحكومة العراقية لم تكن تفرق بين العسكريين من قوات البشمركة والمدنيين من الأكراد. اعتقلونا كلنا لأننا أكراد. لم أنضم إلى صفوف قوات البشمركة ولو لساعة واحدة.

- الشاهد: تعرضت للضرب في المعتقل لأنني كنت خارجا لمسافة قصيرة عن الصف.

الشاهد الثاني يدلي بإفادته

- بدأ الشاهد الثاني في الإدلاء بشهادته أمام المحكمة حول حملة "الأنفال".

- قال الشاهد: لم يكن الطعام الذي قُدم لنا في أحد المعتقلات في السليمانية.

- أثناء نقلنا من السليمانية إلى السماوة لم يسمح لنا جنود الجيش العراقي بقضاء حاجاتنا أو تناول الطعام والشراب.

- في ساحة السجن، أدخلونا إلى القاعات بعد قراءة أسمائنا، ومنعوا عنا الطعام لمدة ٢٤ ساعة. وبعد الشكوى، زودونا بالطعام. وكانت حصة كل شخص صمونتان لليوم الواحد. وعند حلول الظهر، كان الغذاء عبارة عن عدس، ولكن لم يكن لدينا أية أوعية لنحصل على الحساء. واستمر تزويدنا بالعدس لمدة ثلاثة أيام، وبعدها انقطع أيضا. وبعدها، بقينا على صمونتين للشخص الواحد في اليوم.

- كان يوميا يموت ما يتراوح من طفلين إلى ثلاثة أطفال في المعتقل. وقلنا للجنود إننا على استعداد لدفع أموال مقابل شراء حليب للأطفال كي لا يموتوا. وكنا نشرب ماء مالحا من بئر ارتوازي في باحة السجن.

- تُوفي في قاعاتنا ثلاثة أشخاص. وجلبنا ثلاث قطع من الخشب لتغسيل أحد المتوفين عليها ودفنه بملابسه بدلاً من الكفن. ودفناه قرب جرف نهري جاف، وقمنا بحفر جدار الجرف، ووضعنا الأحجار على مدخل الفتحة بعد الدفن، وغطينا القبر بالتراب. وتكرر هذا مع المتوفين الآخرين الاثنين.

- كان هناك شخص من أهالي منطقة حلبجة يدعي "شمال" قام شخص يدعى "حجاج" بتعليقه من رجليه حيث قام بضربه ضرباً مبرحاً حيث حضر أقرباءه وأخذه بواسطة "بطانية".

القاضي: قال الشاهد إنه قضى ستة أشهر في السجن كيف تم إطلاق سراحه.

- قالوا لي بأن هناك عفواً حكومياً قد صدر عني.. قاموا بإطلاق سراحنا على شكل وجبات. كان هناك كلباً أسود خارج نقطة الشرطة كان يقوم بنبش القبور والتهام الجثث.

القاضي: هل شاهد ذلك بأم عينه؟

- نعم رأيت ذلك بأم عيني وطلبنا من أفراد الشرطة السماح لنا بالخروج لإعادة دفن تلك الجثث.. كان أفراد الشرطة يقومون بجلب الطعام لنا بطريقة غير مشروعة ورسمية دون علم "حجاج" وكان يقوم بضربنا عند اكتشاف الطعام..

القاضي: أسرد لنا ماذا فعلت عقب الخروج من السجن؟

- في الصباح قاموا بقراءة أسمائنا في "نقرة السلمان" ونقلونا إلى مدينة "السماوة" ومن هناك جلبنا إلى معسكر قريب "طوبزاوة" لا أعرف أسمه.. هناك شيئاً مهماً هل تسمحوا لي بذكره.

- كان يأتي أحد أفراد الشرطة ويأخذهم إلى غرفة المدعو "حجاج" كان يأخذ يومياً إحدى الفتاتين.

القاضي: هل كانت اصطحاب الفتاتين لأغراض التنظيف؟

- لم يكن مسموحاً لنا بالدخول إلى غرفة "حجاج" ولذلك لا أدري ما كن يفعلن هناك.

القاضي: ما أسم والد "حجاج".

- لا أدري أطلب الشكوى ضد صدام حسين وعلي حسن مجيد وحجاج وكل من يثبت اشتراكه في الجرائم.

القاضي: هل تطلب التعويض؟

- نعم أطالب بالتعويض أنا فقدت عيني اليمنى وأطلب التعويض عن الأضرار التي أصابتني.

القاضي: هل لديك تقرير طبي

الشاهد: لا أملك ولكن الطبيب طلب مني إجراء عملية جراحية في عيني خلال ستة أشهر.. حجاج أكثر الناس اتهاماً وإجراماً في هذه القضية.

وكلاء الحق الشخصي: ورد بأقوالك إن هناك مناطق زرعت بالألغام ما بعدها عن قريتك؟

- كانت بعيدة جداً عن قريتنا.. تبعد مسافة كيلومتر عن الرابية التي تتواجد فيها سرية الدفاع الوطني.. أسم المنطقة "دربن شاكوا"

وكيل الحق الشخصي: قال الشاهد أثناء التحقيق إنه رأي مخطوطات كردية على جدران المعتقل.. هل يعرف الشاهد مصيرهم.

- كان من المعتقلين الأكراد والشيعة.

وكيل الحق الشخصي: ما هو عدد الأشخاص الذين قام بدفنهم أو ساعد في دفنهم.؟

- سألت أحد الأشخاص من مكتب "حجاج" عن عدد المتوفين هناك فقيل لي إنهم تقريباً ٢٠٠ شخص.

محام دفاع عن المتهم صدام حسين: هل المشتكي كان ينتمي إلى البشمركة

- لا كنت فلاحاً

محام دفاع عن صدام حسين: هل كان في قريتكم مقراً لقوات البشمركة؟

- لا لم يكن هناك مقراً

محام دفاع عن صدام حسين: ورد بأقوالك بأنك تعرضت للإصابة بالسلاح الكيمائي وأنك فقدت الرؤية كيف استطعت الوصول إلى وادي كارامان؟

- لم تتأثر عيني اليسرى.. بل اليمني فقط وطلبت مراجعة الطبيب في المعتقل إلا أنهم لم يسمحوا لي بذلك.

علي حسن المجيد: سبق وأن طلبت من المحكمة الموقرة بعض المستندات للإطلاع عليها ولكن لم يصلني أي شيء حتى اللحظة ... محامونا لم يستلموا شيئاً ليوافونا به..

القاضي: ما هو طلبك أتريد الإطلاع على إفادات الشهود؟ سنقوم بذلك.. المدعي العام أبدى استعداده لتزويد جميع المتهمين بالمستندات اللازمة وإفادات الشهود.

ورفعت الجلسة للاستراحة.

واستؤنفت الجلسة وشاهدة كردية تدلي بإفادتها وهي منخرطة في البكاء.

الشاهدة - بقينا في المستشفى لمدة شهرين وبعد تحسن حالتنا الصحية نقلنا إلى سجن "ميسلون" في كركوك.. كانت معي ابنتاي "نشمين" و"رخوش" وكان السجن ممتلئ بالنساء والأطفال.. بقينا هناك لمدة عام.. كنا نفترش الأرض ونتغطى السماء وكنا جياعاً وكان القمل يأكل أجسادنا.. بعدها أصدروا عفواً وأفرج عنا حيث رجعت إلى قريتي.

القاضي: أتذكرين تاريخ إطلاق سراحك؟

الشاهدة - لا أذكر التاريخ تحديداً لكن كان فصل الربيع.. بعد إطلاق سراحنا بعشرة أيام تعرضنا لحملة الأنفال.. كانت القنابل تتساقط في كل مكان.. جمعت أطفالي وحاولت الهرب..عندما هربنا وخلفنا جميع ممتلكاتنا وراءنا خوفاً من هجوم الجنود. هربنا إلى مدينة السليمانية ومازلنا نقيم هناك.. توجد قنبلة في عقر دارنا لم تنفجر.. اختفى زوجي ولا نعرف مصيره حتى اللحظة.. هناك العديد من أقربائي لا أستطيع ذكر أسمائهم في الوقت الحاضر.. فقدت أبناء أختي وجميع أطفالهم.

الشاهدة - أطلب الشكوى ضد المتهم صدام حسين وعلي حسين المجيد والضابط رمزي وهو عسكري كان يأتي إلينا ويهيننا وكل من شارك في هذه الجرائم "أنفلة" الضحايا.

القاضي: هل تطلب التعويض؟

الشاهد: أطالب بالتعويض حيث أنني فقدت جميع ممتلكاتي.

وكلاء الحق الشخصي: هل توجد قنابل غير منفجرة في قرية الشاهدة حتى اللحظة؟

القاضي: السؤال غير منتج..

وكلا الحق الشخصي: وسائل تفادي الأسلحة الكيمائية تختلف عن الأسلحة التقليدية.. ما هي الوسائل التي اتخذتها الشاهدة لتفادي الإصابة بالكيمائي.

الشاهدة: لم نلحق.. لم يكن هناك مجال لاتخاذ أي إجراءات وقائية.

محام دفاع: ورد بأقوال المشتكية أن المستشفيات الأخرى رفضت علاجها فيما قام المستشفى العسكري بعلاجها؟؟

الشاهدة: كنا في حالة سيئة.. قلنا لهم إننا مواطنين ننشد للعلاج.

تفاصيل الجلسة الـ ١٢ ٢٠٠٦/٩/٢٦

أجلت الجلسة الثانية عشر من محاكمة صدام حسين وأعوانه في قضية الأنفال، لمدة ساعة واحدة، وذلك بسبب مقاطعة صدام حسين لمجريات الجلسة و محاولته التحدث عن السياسية و البشمركة و مسائل أخرى خارجة عن موضوع الجلسة. و بعد مشادة كلامية بين القاضي وصدام حسين أمر القاضي بإخراجه من قاعة المحكمة بسبب تلفظه بألفاظ اعتبرتها المحكمة غير لائقة من قبيل (بئس المحكمة). و ما أن تفوه القاضي بطرد صدام من قاعة المحكمة حتى وقام الباقون وعلى رأسهم سلطان هاشم وزير الدفاع السابق بطلب الموافقة على الخروج من المحكمة و دافع عن النظام السابق و إجراءاته وتهجم على المحكمة، كما طلب الباقون أيضا بالخروج من القاعة وهذا أدى إلى طلب القاضي بطرد سلطان هاشم و بعض المتهمين الآخرين.

تفاصيل الجلسة الـ ١٣ ٢٠٠٦/١٠/٩

-بدأت المحكمة وشرعت الشاهدة الأولى في الإدلاء بإفادتها أمام المحكمة، وذلك من وراء ستار.

- وقالت الشاهدة: عائلتي كانت تتكون من ١٣ شخصاً (انقطع الصوت عن المصدر). في عام ١٩٨٨ بقيت أنا ووالدتي في القرية بعد أن تعرضت لهجوم، وذهب

أخي مع باقي أفراد عائلتي إلى جهة لا أعلمها. ظللت أنا ووالدتي مدة أسبوع في الجبل القريب من قريتنا. وفي أحد الأيام، قامت قطاعات من الجيش العراقي، ترافقها الدبابات والجرافات، بالدخول للقرية ونهبها وحرقها.

- وتابعت الشاهدة: بسبب القصف المدفعي، استشهد اثنان من أبناء قريتنا. وبعد هدم قريتنا، عدنا إليها في الليل مع باقي أهالي القرية، وقضينا الليل هناك. وفي الصباح، هاجمتنا القوات العسكرية داخل القرية وألقوا القبض علينا، ونقلونا إلى موقع آخر. ونقلنا بعد ذلك إلى معسكر في تكريت. وكان معنا ابن خالتي. وهناك فصلوا ابن خالتي عنا، ووضعوا النساء في قاعة من ثلاث قاعات. وسمحوا لنا بالخروج مرة واحدة لقضاء حاجتنا وذلك على مدى خمسة أيام. وكان على النساء أن يقضين حاجتهن أمام أعين الجنود حيث أن المعسكر كان محاطاً بالأسلاك الشائكة. وأطلق الجنود الرصاص أعلى رؤوسنا وهم يهللون.

- وقالت الشاهدة: بدأ الجنود في فصل المسنين. وعندما أعلنوا اسم والدتي تمسكت بها. وحاول جنديان منعي من اللحاق بها. وصاحت أمي "لم يبق لي من أفراد عائلتي سوى ابنتي هذه". وأجهشت بالبكاء وطلبت من والدتي ألا تتركني. قال أحدهم إنها فتاة صغيرة فلنسمح لها بالذهاب مع والدتها. وضرب البعض والدتي. قضينا الليل في سيارة، ثم نقلونا إلى عدة مناطق لا نعرفها. وبقينا شهر رمضان في أحد المعتقلات. وفي عشية العيد، قالوا سنطلق سراحكم في اليوم التالي.

- وتابعت الشاهدة: طيلة أيام العيد الثلاثة لم يقدموا لنا أي وجبة من الطعام. وفي آخر العيد، حضرت سيارة محملة بـ "الصمون" لنأكل. وفرح الأطفال الصغار وقالوا إنهم سيطلقون سراحنا. بقينا سبعة أشهر في معتقل "نكرة السلمان"، وانتشرت بيننا الأمراض منها حمى التي فوئيد والحصبة والإسهال والتقيح في الوجه. كانت قاعات الاحتجاز قذرة ومليئة بالقمل. خلال الثلاثة أشهر الأولى لم يطلقوا سراح أي أحد. ومات الكثيرون. تُوفي اثنان من بنات امرأة معتقلة خلال ليلة واحدة.

- ذكرت الشاهدة أسماء مجموعة من المتوفين في المعتقل.

- وفي إجابتها على أسئلة من هيئة الادعاء العام، قالت الشاهدة إن معظم أفراد عائلتها دفنوا أحياء.

– هيئة الادعاء تعرض هويات عدد من أفراد عائلة الشاهدة القتلى، والتي تم العثور عليها داخل مقبرة جماعية.

– محام من هيئة الدفاع يوجه أسئلة للشاهدة، والشاهدة تقول: تم فصل الرجال عن النساء في معتقل تكريت.

– وكيل المدعين بالحق الشخصي تسأل الشاهدة عن أسباب الوفيات بالمعتقل، والشاهدة تقول: الأسباب هي الجوع والمياه الملوثة.

–وفي ردها على أسئلة متعددة، قالت الشاهدة: المعتقلون كانوا كلهم من الأكراد. عمري وقت الحادث ١٣ عاماً. لا أعلم الجهة التي أدارت معتقل "نكرة السلمان"، ولكن رئيسهم كان يدعى "الضابط حجاج". أخي كان من عناصر المليشيات الكردية (البشمركة). لا أعرف مصير شقيقي حتى الآن.

– المتهم صابر الدوري يوجه عدة أسئلة للمشتكية، وتجيب الشاهدة: لا أجيد القراءة والكتابة. وشاهدت الوفيات في المعتقل بأم عيني في المعتقل ولم أكن بمفردي. شاهدت مروحية عسكرية في الجيش تحط في القرية وتنقل على متنها أحد الرعاة من القرية. المعتقل كان عبارة عن بناء من طابقين. علمت من المعتقلين أن كلباً أسود هناك يتغذى على الجثث. الماء بالمعتقل لم يكن صالحاً للشرب.

– متهمون يطلبون من المحكمة توفير الإفادات الكاملة لبعض شهود الإثبات أمام قاضي التحقيق.

– رئيس المحكمة يطلب الشاهد الثاني، عبد الهادي عبد الله محمد، للإدلاء بإفادته.

– الشاهد الثاني يعمل فلاحاً وهو من مواليد عام ١٩٦٥، ويشرع في الإدلاء بشهادته.

– يقول الشاهد: كنت أسكن مع زوجتي الحامل ووالدتي وأربعة من أشقائي وشقيقاتي. في ٥ أبريل ١٩٨٨ قامت قوات الجيش بدعم من الدبابات والطائرات بمهاجمة منطقتنا التي كانت تتألف من عشر قرى.

– بعد الهجوم تركنا قريتنا وتوجهنا إلى السهول والوديان القريبة. بقينا في قرية

مجاورة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع هاجمت قوات الجيش تلك القرية. وسارعت للهرب وراقبت الموقف من بعيد ورأيت عمليات اعتقال السكان.

- بعد ٢٠ يوماً عدت إلى قريتي الأصلية، ورأيتها مهدمة ومحترقة ومصادر المياه بها مردومة. توجهت إلى بيت عمي في قرية أخرى. وبعد ٧ أشهر عادت والدة زوجتي وتحدثت عن نقل أفراد العائلة إلى معسكر اعتقال. وهناك قسموا المعتقلين إلى مجموعات، ولم تشاهد والدة زوجتي أفراد العائلة بعد ذلك.

- الإدعاء يعترض على شهادة الشاهد ويصف بأنها سماعية. والمحكمة تطلب من الشاهد التحدث عن مشاهداته العينية.

- الشاهد يقول: توفيت والدتي في المعتقل بسبب المياه الملوثة. وفقدت أشقاء لي.

- المشتكي يطلب التعويض عن الأضرار التي لحقت به وبعائلته.

- الإدعاء يعرض هويات من أفراد عائلة الشاهد عُثر عليها في مقبرة جماعية بالمثنى، ومقبرة أخرى بالسماوة.

- الشاهد الثالث يشرع في الإدلاء بإفادته، ويعمل فلاحاً.

- يقول الشاهد الثالث: سمعنا أن الجيش العراقي سيهاجم قريتنا، وبها ٣٠ عائلة. وتركنا قريتنا واتجهنا جنوباً. شاهدنا الدخان يرتفع من حرائق بقرى مجاورة. اعتقلنا الجنود أثناء توجهنا إلى أحد المجمعات الحكومية. في معسكر الاعتقال، تم تقسيمنا إلى مجموعات. ومن يومها، لم أر عائلتي ولا أعرف مصيرهم حتى الآن.

- استمر الاعتقال حوالي ثمانية أيام، ثم نقلونا في سيارة، وأجبرونا على قضاء حاجاتنا داخل سيارة. ووصلوا بنا إلى معسكر اعتقال ثان بعد مسير يوم كامل بالسيارة. وفي المعتقل الثاني، كان الطعام جيداً في العشر الأواخر من رمضان. ثم اقتصر الطعام بعد ذلك على "الصمون" والماء فقط. ومات كثيرون بسبب سوء الأوضاع.

- وكيل المدعي بالحق الشخصي يسأل الشاهد الثالث عن قوات البشمركة، والشاهد يقول: لم تكن في قريتنا قوات للبشمركة، فقد انسحبوا قبل الحادث بعشرة أيام لدى عمليهم بعزم الجيش العراقي على قصف تلك المناطق بالأسلحة الكيماوية.

رفع القاضي الجلسة للاستراحة، وبعد عودة الجلسة للانعقاد قرر رئيس المحكمة تأجيل المحاكمة إلى الثلاثاء.

تفاصيل الجلسة الـ ١٤ ١٠/١٠/٢٠٠٦

بناء على طلب الإدعاء العام طلبت المحكمة في مستهل الجلسة مفاتحة وزارة الصحة بغية تشكيل لجنة تتكون من ثلاثة خبراء في الأسلحة الكيمائية وأن تكون المخاطبة عن طريق مكتب وزير الصحة حصراً لمعاينة إصابات الشهود.

أبدت شاهدة الإثبات الأولى خلال الجلسة عدم ممانعتها في تقديم شهادتها علانية أمام الكاميرا دون الكشف عن أسمها. . . إلا أنها بدأت

في تقديم شهادتها خلف ستار.

الشاهدة: أنا من أهالي قرية "كور مور" التابعة لناحية "قادر كرم" في الشهر الرابع من العام ١٩٨٨.

بدأت الشاهدة في الإدلاء بشهادتها التي تخللها مقاطعة من صدام.

الشاهدة: لا أتذكر اليوم تحديداً إلا أنه الشهر الرابع من العام ١٩٨٨ عندما بدأ القصف على قريتنا ليلاً مما اضطرنا إلى الهرب إلى سفوح الجبال.. بقينا في الجبال ليلتين حيث داهمتنا قوات من الجيش من ثلاثة محاور: "كركوك" و"قادر كرم" و"شمشمان" وحملونا في سيارات من نوع "زيل" وأخذوا زوجي وبعض أهالي القرية في اتجاه معاكس وكانت هذه آخر مرة أشاهد فيها زوجي.

- قاموا بتسليمنا إلى جيش "بارق" ثم نقلونا إلى معسكر "خالد" ومكثنا في السيارات هناك من الصباح وحتى المساء قبل أن تنطلق بنا إلى معسكر "طوب زاوة".. وعندما وصلنا هناك اعتقدنا أنه يوم الحشر ومكثنا شباباً ونساءً ورجالاً معاً.. لم يزودونا بالطعام في تلك الليلة، وفي اليوم التالي أعطونا صمونة واحدة ولم يعطوا الأطفال أي طعام.. واستدركت قائلة كانوا يرمون لنا بالصمون.. بقينا تلك الليلة معاً.

- وفي اليوم التالي فصلوا المسنين وأرسلوهم إلى معسكر "نقرة السلمان".. وفي اليوم الثاني شاهدت اثنين من أشقاء زوجي في معسكر "طوب زاوه".. سألني شقيق زوجي عن أولاده وعن شقيقه (زوجي).. لم أعرف بأن هناك جندياً خلفي بادر بضربي بأخمص البندقية والزج بي في داخل القاعة.

- وكان ينادوننا نحن النساء ويجبروننا عنوة على البصم على أوراق على بياض واتهمونا بأننا عوائل مخربين وعملاء لإيران... ثم نقلنا إلى معسكر "دبس" حيث رأينا حشوداً هائلة من الناس وهناك أخذت في صحبتي طفلين للعناية بهما طيلة فترة اعتقالي التي بلغت ستة أشهر ونصف... نسبة لسوء الأوضاع اضطرت الأمهات إلى ترك أطفالهن خلفهن..

في المعسكر، كان الظلام دامساً، وعند وصولنا زج بخمس أو ست عوائل في قاعة واحدة، وطلبوا منا الحضور لاستلام الطعام ولم يكن في حوزتنا ما نحمله به.. استخدمنا صناديق العتاد الفارغة ومعجون الطماطم كأوان.. عندما كنا نحفظ الطعام في تلك العلب.. نزود بحساء قليل بين يوم وآخر.. وفي أحدى الأيام عصراً حضرت مجموعة كانت ترتدي بدلات كاملة وأقنعة وقفازات قاموا برش مادة بالقاعة انتشر على إثره القمل في القاعة.. كما انتشرت الأمراض بين أطفالنا من بينها السعال الديكي وتوفي عدداً منهم.

- كانت معي إحدى قريباتي وقد أنجبت طفلها في المعتقل.. أخذناها إلى المرافق الصحية ووضعنا تحتها مجموعة من أوراق الأشجار لتضع عليه طفلها.. وبسبب عدم تواجد أي ملابس أضافية قمنا بتغطية الوليد بقطعة من "الجلفاص" التي التصقت بجسده لاحقاً وقطع الحبل السري بقطعة زجاج مكسورة.. وهكذا استمرت بنا الحياة مدة ستة أشهر ونصف...

- في إحدى الأيام جلبت أربعة حافلات وقاموا بنقل مجموعة منا إلى "تكريت".. وبعد يومين أخبرنا جنود بالمعسكر بصدور قرار بالعفو عنا.. أخذنا إلى منطقة "عربت".. رجعنا إلى مجمع "شمشمال" وعلمت هناك أن جميع أفراد عائلتي اختفوا "أنفلوا".. سأقدم لائحة بأسماء عائلتي لا أريد ذكرها على الملا..

وتابعت الشاهدة: فقدت أحد أشقائي خلال الحرب العراقية-الإيرانية، إلا أن ذلك لم يمنع السلطات من اخذ شقيقي الآخر.. عندما رجعنا إلى مجمع "شمشمان" .. لم يتبق لي شيء أو أحد من أفراد عائلتي.. عند عودتنا إلى قريتنا "رانا" وجدنا أنها أعلنت مناطق محرمة.. وهي مناطق أبائنا وأجدادنا... وأسكنوا عوائل من تكريت والحويجة في قريتنا حيث نزحنا إلى مناطق عربية للعمل.. في فترة

الانتفاضة قام الجيش بزرع قرانا بالألغام.. أريد أن أتحدث سراً.. أرجو إغلاق اللاقطات الصوتية.

وبعد ذلك طالبت الشاهدة بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بها وإعادة رفات الضحايا إلى كردستان وجميع عوائل "المأنفلين" معتبرة أنه حق شرعي.

وبعد ذلك بدأ وكلاء مدعي الحق الشخصي باستجواب الشاهدة: ذكرت المشتكية أن إحدى المعتقلات وضعت مولوداً في السجن.. هل قدمت سلطات السجن أي خدمات طبية لها وللمولود؟

الشاهدة: لم تتواجد أي خدمات طبية أو أدوية.. لا لم تقدم لها أي خدمات طبية.

وكيل آخر: ماعدا الحراس والجنود هل تواجد رجال في معسكر "دبس"؟

الشاهدة - لا كانت معتقلات نساء فقط.

وكيل مدعي الحق الشخصي: هل حصلت حالات حمل أو إجهاض قسري في المعتقل؟

الشاهدة: لا لم أشاهد أي من هذه الحالات.

وكيل مدعي بالحق الشخصي: ليلة العفو قام الحراس بإحضار جهاز تلفزيون لتستمع المعتقلات إلى قرار العفو.. هل تصادق على ما قالته معتقلة أخرى.؟

القاضي: السؤال غير منتج!!

الشاهدة: لم أعد إلى قريتي بعد إطلاق سراحي، قريتنا كانت من المناطق المحرمة.. وعندما رجعت مؤخراً وجدت أنها أحرقت وهدمت، ووجدت بعض الناس الذين قامت السلطة في ذلك الوقت بإسكانهم في المنطقة.

وكيلة مدعي بالحق الشخصي: ما هي أسباب اعتقال الشاهدة مع أفراد عائلتها؟

الشاهد: لأننا أكراد.

وكيلة الحق الشخصي: ما هي قوميات الفتيات اللواتي كان يأخذهن الضابط ليلاً؟

الشاهدة: كن كرديات.. جميع المعتقلات كرديات.. لماذا تنتقدون كلامي لم أذكر سوى الحقائق..

القاضي: من الذي أنتقدها؟

ثم بدأ محامي الدفاع المنتدب باستجواب الشاهدة: من هي الجهة التي قامت باعتقالها وثلاثة من أشقاء زوجها؟

الشاهدة: اعتقل أشقاء زوجي بصورة منفصلة ورأيتهم في المعتقل..

القاضي: من الذي اعتقلها؟

الشاهدة: عناصر من الجيش وكان بصحبتهم رجال من الأكراد.

محامي الدفاع المنتدب: خلال إفادتها أمام قاضي التحقيق الصفحة ١٤١٣ قالت "اعتقلنا أفواج الدفاع المدني أنا وأشقاء زوجي" المسئولين في معتقل "طوب زاوه" هل كانوا يتحدثون العربية أو الكردية؟

الشاهدة: القائمون على سجن "دبس" و"طوب زاوه" جميعاً من العرب.

محامي الدفاع المنتدب: هل في مقدور الشاهدة تقدير عدد المعتقلين في "دبس"؟

الشاهدة: أنا امرأة غير متعلمة ولا أستطيع أن أعد أو أحصي لكن عددهم هائل يفوق الألف معتقل.

محامي الدفاع المنتدب: هل بإمكان المشتكية أن تقدم لهيئة المحكمة وصفاً لمعتقل "دبس"؟

الشاهدة: ليس هناك ما يستحق الذكر كانت هناك ثلاث قاعات مفتوحة على بعضها.. ولكن القاعات كانت متسخة وتشابه قن الدواجن.. وبها مخلفات عتاد حربي قديم.

محامي الدفاع المنتدب: أشارت الشاهدة إلى تواجد قرابة ٥٠٠ معتقل في قاعتها في حين قالت إن عدد المعتقلين يبلغ عددهم ألف.

محامي المتهم علي حسن المجيد: ورد بأقوال الشاهدة أنه عام ١٩٨٨ قامت القوات العسكرية العراقية وبتوجيه من القيادة المسلحة برئاسة صدام حسين وعدداً من القادة العسكريين، كيف حصلت على هذه المعلومات الدقيقة وهي تدعي أنها امرأة أمية ومهنتها ربة بيت؟

الشاهدة: لم أذكر ذلك.

القاضي: هذا مثبت في أقوالها لدى قاضي التحقيق.

الشاهدة: لم أذكر ذلك ولم يكن لدي أي معلومات إلى أن داهمتنا قوات تدعى "جيش بارق".

القاضي: بلى.. ذكرت ذلك خلال إفادتك أمام قاضي التحقيق.

الشاهدة: لا أعرف ما هي قيادة القوات ولم أذكر ذلك حيث أنني لا أعرف هذه الأشياء..

محامي علي حسن المجيد: من الذي لقنها هذا الكلام؟

القاضي: أنت محامي أرجو أن تصيغ سؤالك مجدداً.

محامي الدفاع: هناك تناقضاً في أقوال الشاهدة أمام قاضي التحقيق وهيئة المحكمة.

القاضي: أطلب منك مرة أخرى أن تعيد صياغة السؤال مجدداً؟

محام الدفاع: ورد بأقوالها أن عام ١٩٨٨ قامت القوات العسكرية وبتوجيه من القيادة العامة المسلحة وعلى رأسها صدام حسين.. وأمام المحكمة أنكرت ذلك.. هل لها توضيح ذلك؟

المترجمة: قالت الشاهدة إنها لن تجيب عن أي سؤال آخر.

الشاهدة: أنا لا أعرف اللغة العربية ربما كتبت بالخطأ..

القاضي: أيهما أصح؟

الشاهدة: الكلام الصحيح هو ما ذكرته أمام المحكمة الآن.. ربما حدث التباس عند ترجمة أقوالي... أنا لن أجيب عن المزيد من الأسئلة.

القاضي: الشاهدة تحت القسم وإذا كان لديها معلومات يجب أن تدلي بها.. هي غير ملزمة بالإدلاء بما تجهله.

صابر الدوري: في الإفادة مثبت أنها ربة بيت.. ما هو تحصيلها الدراسي.. هل تقرأ وتكتب؟

الشاهدة: لا أعرف القراءة ولا الكتابة.. لماذا يسألونني هذا السؤال.

صابر الدوري: قالت المشتكية أمام قاضي التحقيق إن مفارز من الدفاع الوطني التي يقودها.... (أنقطع التسجيل الصوتي).. أين تقع منطقة جباري؟ هل تعرف أي تقع منطقة جباري؟.. وكم تبعد عن قريتها؟

القاضي: نعم أعرف تلك المنطقة تقع باتجاه "كركوك" و"ليلان" .. إنها بعيدة عن قريتنا ساعة واحدة بالسيارة.

صابر الدوري: مستشارا فوجا الدفاع الوطني (انقطع التسجيل) هل سبق وأن اشتكت عليهما طالما هي تعرفهما بالاسم؟

القاضي: متى تعني؟

صابر الدوري: قبل الاحتلال الأمريكي للعراق.

وتم قطع الصوت مجدداً..

الشاهدة: هؤلاء لم يكونا من منطقتنا بل عملاء...

القاضي: هل سبق وان تقدمت بشكوى ضدهما؟

الشاهدة: لم أتقدم بأي شكوى في ذلك الوقت

صابر الدوري: لماذا؟

الشاهدة: لم أقدم شكوى من قبل وأنا أتقدم بشكوى الآن على الجميع دون تفريق بين عربي أو كردي

صابر الدوري: من عام ١٩٩١ إلى الغزو كانت هناك حكومتان في منطقة الحكم الذاتي حكومة في السليمانية وحكومة في منطقة أربيل وهناك مؤسسات دولة وقضاء؟ لماذا لم تتقدم بشكوى.. أليس ذلك دلالة على أنها سانحة؟ على أنها وعدت بالتعويض؟ خاصة إذا سمعنا التناقض بين إفادتها أمام قاضي التحقيق وهيئة المحكمة... أشكك في جميع الإفادة.. يبدو أنها أمليت عليها.

رئيس هيئة الإدعاء.. الجريمة المنظورة ليست شخصية.. وإنما قدمت لإثبات جريمة إبادة جماعية.. وجريمة ضد الإنسانية.. فهذه الشكوى لإثبات واقعة الإبادة الجماعية وجرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية.

محامي عن الشاهدة: موكلتي المشتكية لم تذكر أن عدد المتواجدين ألفا فقط بل أكثر من ألف.

علي حسن المجيد: صدر قرار حكومي بترحيل السكان قبيل شهرين من العملية.. لماذا رفضت السكن في المجمعات السكنية وبالأخص مجمع "شمشمان" .. هل ذلك برغبتها أم رغبة آخرين.

الشاهدة: نعم رفضنا الانتقال هناك لأن تلك أراضي أجدادنا وهناك مواشينا.. نحن فلاحون.. وتلك المجمعات كانت خالية وخاوية.

علي حسن المجيد: هل تستطيع الشاهدة تقدير مسافة الرحلة بالسيارات بين معسكر "خالد" و"طوب زاوه"؟

الشاهدة: نصف ساعة.. أو أقل..

علي حسن المجيد: كم استغرقت الرحلة..

وقاطعه المدعي العام: ما جدوى هذا السؤال

علي حسن المجيد: لأن الشاكية لا تعرف.. والأجوبة أمليت عليها.

القاضي: ليس من حقك جرح الشاكية.

علي حسن المجيد: لكن المدعي العام لا يتيح لنا فرصة الحديث.

ويدأ سلطان هاشم في إلقاء أسئلة على الشاهدة قبيل أن يدخل في جدال مع قاضي المحكمة.

وتدخل صدام حسين في الحديث عندما أغلق القاضي اللاقطات الصوتية مجدداً.

ويدا القاضي في المحكمة وهو يشير بيديه فيما يبدو كطرد رابع لصدام من قاعة المحكمة.

وبعد عملية الطرد، أسدلت الستائر بحيث لم يعد بإمكان الصحفيين رؤية ما يدور في المحكمة، وبخاصة أن القاضي أغلق كافة اللواقط، وتم منع الصحفيين من متابعة الجلسة، التي أعلنها القاضي جلسة مغلقة.

تفاصيل الجلسة الـ ١٥ ٢٠٠٦/١٠/١١

- رئيس المحكمة يقول إنه سيتعامل مع القضية من النواحي القانونية فقط، ويطلب من المتهمين الابتعاد عن الخطب السياسية.

- رئيس المحكمة يعلن أن المتهمين لا يعبرون عن رأيهم وفقا للقوانين والتقاليد القانونية المتبعة في المحاكم العراقية.

- صدام حسين: أي إنسان يحترم نفسه، يحترم القانون. ما يحدث في المحكمة أن صوت المشتكي والادعاء ورئيس المحكمة يُبث للعالم، فيما يُغلق الصوت على من

يسمون المتهمين. لا يهم صدام حسين شخصه إلا بقدر السمعة، وهذا يجب أن يتضح للشعب العراقي. البارحة تكلمت سيدة عراقية وكنت أتمنى ألا تتحدث بهذه الطريقة، فإذا أردنا التوضيح مُنعنا من ذلك. صدام يستفزه تجاوز الحق ولكنه يتحدث بالحق.

- مشادة بين صدام ورئيس المحكمة.

- رئيس المحكمة: مسألة الميكرفون مسألة تنظيمية بالقاعة. ولكن لن أسمح بالدخول في متاهات السياسة.

- المحكمة تستمع للشاهد الأول. اسمه عبد الخالق قادر عزيز، من مواليد ١٩٥٦، ويسكن حاليا في تكريت.

- يقول الشاهد: شن الجيش العراقي هجوما وحشيا على قريتنا في المنطقة الكردية. كان القصف شديدا واضطر السكان إلى الهرب للسهول والوديان. وفي يوم ٧ أبريل/ نيسان هاجمت قطاعات الجيش العراقي منطقتنا باستخدام كافة الأسلحة عدا السلاح الكيماوي. كان هناك تجمع كبير من أهالي المنطقة في قرية واحدة.

- كنت منتسبا إلى قوات البشمركة فسارعت للانضمام إليها ورفضت الاستسلام للقوات الحكومية مثلما فعل أفراد أسرتي حيث انقطعت أخبارهم عني لمدت خمسة أشهر إلى أن أصدرت الحكومة عفوا عاما فسلمت نفسي للسلطات.

- عدت إلى قرية مجاورة حيث التقيت شقيقتي ووالدي. والدي قال لي إنه لا يعرف مصير شقيقي وشقيقتي منذ نقلهم الجيش العراقي إلى أحد المعتقلات وفصل الفتيات والشباب عن المسنين. (البث التلفزيوني ينقطع لفترة).

- بعد سقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣، حصلت على وثيقة للمخابرات العراقية عن بيع ١٨ فتاة كردية للمخابرات المصرية. وسأقدم الوثيقة إلى هيئة المحكمة للتحقق منها. وهذه أيضا قائمة بالقرى التي هدمت في قريتنا.

- لا أعرف مصير شقيقي أو شقيقتي حتى الآن. وعندي شكوى ضد صدام حسين وعلي حسن المجيد وكل من شارك في عمليات الأنفال. وأطالب بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بي.

- الادعاء يطلب من رئيس المحكمة تزويده بنسخة من الوثيقة المقدمة من المتهم.

- ردا على أسئلة موجهة للمشتكي، قال: اشتركت أفواج من الدفاع الوطني في

الهجوم على قريتنا. الحكومة العراقية كانت ترغب في إبادة الأكراد. لا أعرف عدد قوات البشمركة في قريتنا. كنا نحصل على الأسلحة بعد الاستيلاء عليها من الجنود. خدمت بالجيش العراقي تسعة أشهر تم تسريحي بعدها.

- متهمون يشككون في صحة الوثيقة التي قدمها المشتكي عن بيع فتيات كرديات للمخابرات المصرية.

- المشتكي يقول إنه حصل على نسخة من الوثيقة المذكورة كانت تباع في المكتبات.

- المشتكي يرد على أسئلة أخرى: بعد حملة الأنفال تحولت قريتي إلى منطقة محرمة من قبل الجيش العراقي.

- الادعاء يطلب من رئيس المحكمة التحقيق في مدى صحة الوثيقة ومخاطبة السلطات المصرية في هذا الصدد.

- رئيس المحكمة يرفع الجلسة للاستراحة لمدة ثلاثة أرباع الساعة.

- أدلت شاهدة بإفادتها أمام المحكمة، وقالت: إثر هجوم الجيش العراقي على قريتنا، فررنا بجراراتنا إلى منطقة مجاورة. اعتقلتنا قوات الجيش على إحدى الطرق وكانت الطائرات تحوم فوق رؤوسنا. ووضعوا في كل جرار جندي عراقي واقتادونا إلى مركز تجمع.

- وفي اليوم التالي أخذونا إلى معسكر اعتقال قضينا فيه ليلة واحدة. وهناك فصلوا النساء عن الرجال. واقتادوا الرجال وهم يضربوهم ولم نراهم بعد ذلك. ثم فصلوا عنا النساء المسنات هذه المرة. ونقلونا في سيارات إلى معسكر اعتقال آخر.

تفاصيل الجلسة الـ ١٦ ٢٠٠٦/١٠/١٧

بدأت الجلسة بالمناداة على شاهد الإثبات مطّلب محمد سليمان..

وعرّف الشاهد عن نفسه وتاريخ مولده المحدد بعام ١٩٣٢ وهو عاطل عن العمل.

وبعد أداء يمين القسم، جرت مداخلة للمتهم سلطان هاشم، حول حيثيات المحاكمة، ما دفع أحد محامي الادعاء العام بالتأكيد على صبر المحكمة وأن الباب مازال مفتوحا لفريق الدفاع السابق للعودة إلى جلسات المحاكمة، هو ما عاد وأكده رئيس المحكمة الجنائية العراقية المتخصصة، القاضي محمد العريبي مجيد الخليفة.

شاهد الإثبات الأول يدلي بشهادته:

وقال: في الخامس من مايو/أيار عام ١٩٨٨، أخبرنا جيراننا بإخلاء قريتنا لأن إحدى القرى المجاورة تم قصفها بالأسلحة الكيماوية.. وعلى أثر ذلك حزمنا أمتعتنا وذهبنا إلى وادي "باربرشا" حيث أقمنا في الملاجئ، وصباح اليوم التالي قصفت قريتنا من قبل الطائرات والمدفعية.. وبقينا في الوادي لمدة ٣ أيام..وفي صباح اليوم الرابع وجدنا أنفسنا محاصرين من قبل الجيش العراقي..بعد ذلك قصفونا بجميع أنواع الأسلحة.. بعد القصف نزل الجيش ومشّط المنطقة إلى أن عثروا علينا.".

وقال إن الجيش أمرهم بالسير إلى قريتهم "جلمورت".

وأوضح شاهد الإثبات: "عندما وصلنا إلى قريتنا وجدنا أن نصف قريتنا قد تهدم..بعدها قام نقيب بتسجيل أسمائنا.. وبعد ذلك نقلونا بحافلات عسكرية من نوع زيل إلى منطقة تكتك، حيث أودعونا في مزرعة للدواجن، وفصلوا الرجال والنساء عن نظرائهم من المسلمين.. وفي صباح اليوم التالي أحضروا سيارات لنقلنا.. ورأيت شبابا فسألتهم لماذا هم خائفون؟ فأجابوا شارحين أنهم تعرضوا للتعذيب من قبل الجيش العراقي.".

وقال "إنني حاولت إعطائهم مالا إلا أنهم رفضوا ذلك.. ونقلونا إلى منطقة طبزا التي وصلناها عند الظهيرة.. وهناك وضعونا في ثلاثة مجموعات، شيوخ وفتيان ونساء.. ومنذ حينها لم أعلم ما حدث للشباب".

وأكد "مكثنا ثلاثة أيام في طبزا.. وقد حضر أحد الضباط وبدأ بأخذ مجموعة من الأشخاص قرابة عشرة، ونقلهم إلى حافلات كانت في الانتظار.. وبدأت لاحقا هذه الحافلات بالتحرك لا نعرف إلى أين لأنها كانت مغلقة.. ووصلنا مساء إلى معتقل السلمان".

وقال "عند وصلونا إلى نقطة السلمان جمعونا في باحة المعتقل في العراء ليوم واحد..وفي صباح اليوم التالي جاء رجل يدعى حجاج مع ٣ من رجال الشرطة وبدأوا بوضعنا مجموعات في غرف مغلقة.".

وكل هذه المدة لم يعطونا طعاما..

وصرّح أنه في اليوم التالي قدمت عناصر وأعطتنا بعض الخبز..دون الحصول على الماء.

وشرح شاهد الإثبات: "بعد مكوثنا لمدة شهر في المعتقل أخبرونا أنه سيطلق سراحنا.. إلا أن ذلك لم يحصل، وبدأ المعتقلون يموتون، ووصلت نسبة الوفيات مرات إلى ٣٠ شخصا في اليوم.. بسبب الجوع وشح المياه والقمل".

وقال "وفي أحد الأيام خلال وجودي في المعتقل قيل لي إن اثنين من أقاربي بحال سيئة، فذهبت إلى غرفتهم وهناك شاهدت تقريبا ٢٠ معتقل متوفى في ذلك اليوم.. وعند وصولي لقريبيّ، كانا قد فارقا الحياة.. وقمنا بنقلهما برفقة الشرطة إلى خارج المعتقل لدفنهما..حيث وضعناهما في حفرة.".

وشرح الشاهد أساليب التعذيب في المعتقل وقال "إن المدعو حجاج قام في أحد الأيام بتعليق معتقلين من أقدامهم وبدأ بركلهم.".

وقال "بعد ستة أشهر قالوا لنا بأنه سيطلق سراحنا وتم تجميعنا في الباحة وبقينا واقفين فيها لفترة يوم قبل قدوم حافلات ونقلونا إلى جهة غير معروفة.. علمنا بعدها أنها "السماوة" وبقينا فيها لفترة أربعة أيام ناولونا طعاما وسمح لنا بالاستحمام.. منها عادوا ونقلونا إلى قضاء جمجمال ومنها قابلنا قائم المقام وأعطونا أوراق قالوا إننا سنتسلم بموجبها قطع أراضي.. لكن لم يتم ذلك مباشرة.. ومنها توجهنا إلى منطقة "تكية" وكنت أقصد هناك منازل أقاربي.. وهناك سلمونا أراضي وفعلا بعد فترة قاموا بإعطائنا أراضي، ولم أعرف بالضبط المساحة التي تسلمتها..بعد ٣ سنوات عدت إلى قريتي..وأنا أطلب من صدام أن يخبرني بمصير أقاربي الـ٣٣ وما فعل بهم وهل هم في مقابر جماعية.".

وحمل الشاهد قائمة تتضمن أسماء الضحايا المفترضين، ساردا أسماءهم..

وقال شاهد الإثبات: "أطلب الشكوى على صدام حسين وعلي حسين المجيد والمدعو حجاج، مطالبا بتعويضات.".

وبعد ذلك قام الإدعاء العام بالاستفسار عما جاء في أقوال الشاهد ومنها هل قام بنفسه بدفن أقاربه..

وقال الشاهد: "لم أقم بذلك لأني كنت مرهقا.".

وعاد الشاهد وأكد رؤية العديد من الجثث..

شاهد الإثبات الثاني روى نفس التفاصيل السابقة المتعلقة بظروف الاعتقال والتعذيب.

وطالب الشاهد برفات ٢٤ شخص من عائلته، مقدما شكوى ضد صدام حسين وأعوانه مطالبا أيضا بالتعويض.

علي حسن المجيد يسأل الشاهد ما إذا كانت قريته مسكونة من العرب السنة أم الأكراد فقط.

ورد الشاهد بأنها مسكونة فقط من الأكراد.

صدام حسين يجري مداخلة "الشاهد تحدث أن كل مجموعة من ٩ أشخاص يوضعون في قاعة، وأن هناك المئات من المعتقلين، سؤالي هل نقطة السلمان تحتوي قاعات كافية لجمع كل ٧ أو ٩ أشخاص في قاعة واحدة؟"

وشكك صدام بأقوال الشاهد مطالبا الذهاب للمنطقة واحتساب مساحتها.

وعاد قاضي المحكمة بتكرار سؤال صدام للشاهد لإعطاء إجابته حول هذه الشكوك.

ورد الشاهد بحدة "كانت بناية (سجن السلمان) ذات طابقين فيها العديد من القاعات.. "

سؤال ثاني لصدام "المشتكي كما الذين سبقوه ممن سردوا أسماء لأشخاص فقدوهم.. لماذا لم يحملوا بنادقهم.. نحن بلد واحد، الجهة التي تريد التفريق بيننا نحن الجالسين في هذا المكان بين كردي وعراقي هي إسرائيل.. لزرع فتنة داخل الشعب الواحد. ".

القاضي "ترفع الجلسة للاستراحة لمدة خمس دقائق".

بعد استئناف الجلسة، بدأ شاهد آخر يدلي بإفادته حول ما تعرض له وأفراد عائلته من أحداث، في قضية الأنفال.

وقال إن الجيش قام بإحراق عدة قرى في المناطق الكردية، مشيراً إلى أنه شاهد عمليات الإحراق للقرى بأم عينه، وتبع ذلك انسحاب الجيش.

وقال إن الجيش قام بالهجوم مرة أخرى على إحدى القرى وهدمها.

وقال الشاهد إن الجيش قام باعتقال المواطنين الذين هربوا واختبئوا في مناطق مختلفة ونقلهم إلى مراكز الاعتقال.

وأضاف الشاهد إن الجيش واصل هجومه على قرى المنطقة مثل وادي بابوشة، الذي اختبأ بالقرب منه وأنه كان مختبئاً مع زوجته التي كانت قد ولدت قبل ذلك التاريخ بيوم.

وقال إن الجيش طلب منه الخروج من الملجأ، وطلب من الجيش عدن التعرض له بالأذى.

وقال إن الجنود انسحبوا بعد ذلك، وأن الضابط المسئول سأله ما إذا كان هناك أفراد من قوات البشمركة، فقال لا؟

وسأله عن أهل القرية وأين ذهبوا، فقال لهم اسم القرية التي توجهوا إليها لتسليم أنفسهم.

وقال إنه عاد إلى قريته، وأن جميع بيوت القرية كانت مهدمة، باستثناء منزله، الذي أمر الضابط لاحقاً بهدمه.

وتطرق الشاهد إلى تفاصيل عملية الاعتقال والنقل من معتقل إلى آخر، وكذلك توزيع المواد الغذائية عليهم، حيث تم قطع كل شيء عنهم بعد العيد.

وقال الشاهد إنه تمت إعادة توزيع المؤن عليهم، والتي كانت عبارة عن صمونتين والقليل القليل من الطعام، وأن ذلك كان بأمر من صدام بحسب ما أبلغهم المسئولون.

وأشار إلى أن زوجته توفيت بعد ذلك، فيما كان صراخ الطفل (٢٥ يوماً) يعلو في المكان، الذي توفي في اليوم التالي من الجوع، بعد أن توجه هو وشقيقته إلى الضابط، حيث تعرضوا للضرب.

وقال الشاهد إن رجال الأمن أخذوا ولديه الصغيرين الآخرين، ثم أعادوهما إليه بعد أن تقدم برجاء لدى الضابط.

وقال الشاهد إنه بعد عدة أيام سمعوا بصدور عفو عنهم، حيث حضر رجال الأمن ويدؤوا بتسجيل أسماء المنهكين للغاية فقط، دون الأصحاء منهم.

تفاصيل الجلسة الـ ١٧ ٢٠٠٦/١٠/١٨

قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة الجنائية العليا في قضية الأنفال تأجيل جلسة اليوم ١٨/ ١٠ الـ(١٧) إلى يوم غد ١٩/ ١٠ للاستماع إلى المزيد من المشتكين في القضية. وتجدر الإشارة أن القاضي الخليفة قد خلف القاضي العامري الذي عزلته الحكومة العراقية بسبب "محاباة" صدام.

وكانت المحكمة قد استمعت في جلسة اليوم إلى إفادة اثنين من المشتكين اللذين أكدا تعرضهما للاعتقال من قبل أزلام النظام السابق عام ١٩٨٨ وتحدث المشتكيان عن عمليات إعدام جماعية لمعتقلين كورد حدثت في منطقة الرمادي وأكدا هروبهما من المعتقل.

وقال المشتكي الأول في جلسة اليوم الـ١٧ الذي أدلى بشهادته من وراء ستار انه من سكنة قرية خضر ريان التابعة لقضاء قادر كرم إن القوات العراقية قصفت القرى في منطقة سكناه في التاسع من نيسان (ابريل) عام ١٩٨٨ مما دفع السكان إلى الهرب إلى الجبال القريبة.

وأضاف المشتكي: قصفت قريتنا في التاسع من أبريل/ نيسان عام ١٩٨٨. وأشار المشتكي إلى انه بسبب هروبه من الخدمة العسكرية فقد لجأ إلى قرية قريبة لكن احد عناصر قوات الكورد المؤيدة للحكومة حضر فابلغه إن هناك عفو عن الهاربين فسلم نفسه مع آخرين لكنه نقل إلى السجن في طوبزاوة ومنها إلى الرمادي حيث احتجزوا هناك مع عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال.

وتابع المشتكي: في اليوم التالي نقلونا إلى معتقل آخر. واعجز الكلام عن ما شاهدته هناك، كأن سكان مدينة كاملة تجمعوا في المعتقل.

وأردف المشتكي: شاهدت سيارات عسكرية ومدنية مختلفة تنقل أشخاصا وتلقي بهم داخل المعتقل.

وأضاف المشتكي: سمعت شرطي يقول لآخر: "كن حذرا السيد علي حسن المجيد سوف يأتي للمركز.

وأضاف المشتكي: إن المعتقلين قاموا بتفتيش المعتقلين وطلبوا تسليم كافة أشيائهم الصغيرة.

وأردف المشتكي: في اليوم التالي سجلوا كافة المعلومات الخاصة بنا بعد فصل كل أبناء قرية على حدة ثم أعادونا للمعتقل داخل المركز.

وأضاف المشتكي: بعد ١٥ دقيقة سمعت صوت مروحيتين عسكريتين وعلمت أنهما حطتا في منطقة مركز الشرطة.

وقال المشتكي: "خضعنا لتحقيقات مفصلة قال لي الضابط إن كل ما أدليت به في التحقيق كان كاذبا. أوضحت للضابط أنني لم أكن من قوات البشمركة. ورد بأن هناك تقارير مفصلة عن نشاط كل كوردي حتى الأطفال. ثم أحضر ورقة مطبوعة وأجبرني على التوقيع عليها".

وأشار المشتكي إلى انه ذات يوم أحضروا نساء إلى المعتقل وقسموا القاعة إلى قاعتين. وعزلوا الأطفال الصغار عن النساء لفترة ثم أعادوهم بعد حوالي ساعتين.

رئيس المحكمة يطلب من المشتكي إيجاز التفاصيل الخاصة بموضوع شكواه.

وتابع المشتكي الإدلاء بإفادته: " بعد التحقيق معنا وضعونا في قاعة وقاموا بلحمه من أعلى إلى أسفل. وعادوا بعد ٢٠ دقيقة ليكسروا الباب وطلبوا ممن يريد قضاء حاجته الخروج في مجموعات من أربع أشخاص.

وتابع المشتكي: في أحد الأيام قامت قوات حكومية بأخذ شخص معنا بعد أن صفعوه صفعة قوية للغاية. ولم يظهر هذا الشخص مرة أخرى. وبجانبي كان أحد الأشخاص يتأوه وقال لي ضربوني وكسروا لي ضلعين. ولاحظت أنه كان يتنفس بصعوبة".

وتابع المشتكي: أثناء سيرنا في القافلة كنا نسمع صوت إطلاق رصاص وصراخ. لم يسمحوا لنا بشرب مياه منذ خروجنا من المعتقل. وفجأة أناروا ضوء السيارات وكنا ليلا وشاهدنا العسكر الذين كانوا برفقتنا يطلقون النار على رؤوس مجموعات من المعتقلين متراصة في ثلاثة صفوف" لكنه نجا من ذلك برغم مقتل آخرين. وأشار إلى انه تم بعد ذلك نقلهم بالسيارات إلى بغداد لكنه استطاع الهرب ووصل إلى كركوك متخفيا.

الادعاء يستجوب المشتكي (عقب انقطاع البث التلفزيوني لفترة).

المشتكي ردا على أسئلة: لا أعرف المتهم علي حسن المجيد ولكنني شاهدت مجموعة من الضباط تدخل المركز ولا أعلم إذا كان المجيد من بينهم.

المشتكي: الذين نفذوا عمليات الإعدام كانوا يرتدون خوذات عسكرية. وموقع الإعدام لم يكن في معسكر بل كان في الخلاء.

يتابع المشتكي: كنت هاربا من الخدمة العسكرية. ولم أكن منتميا إلى قوات البشمركة. القرية التي كنت أعيش فيها كانت تحت سيطرة تلك القوات.

المشتكي: القافلة التي تحركت بنا نحو الرمادي كان بها حوالي ٣٥ سيارة. ولا أعلم شيئا عن السيارات التي كانت خلفي.

المشتكي: الأطفال دون عشر سنوات اللذين فُصلوا عن أمهاتهم في المعتقل، تمت إعادتهم كلهم بعد ساعتين.

المشتكي: عندما حدث عراك بين المعتقلين ورجال الأمن داخل السيارة أصبت بشظية صغيرة.

المشتكي: أثناء نقلي من الرمادي إلى الساحة المفترض أن نُعدم بها على أيدي مفرزة عراقية لم أكن معصوب العينين أو مكتوف اليدين.

- المتهم علي حسن المجيد يقول إن المعتقلين كانوا يُنقلون فقط من مكان إلى آخر وليس إلى موقع يتم إعدامهم فيه وفقا لرواية المشتكي.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رفع الجلسة للاستراحة.

وبعد فترة الاستراحة استمعت المحكمة إلى إفادة المشتكي الثاني في جلسة اليوم الذي أكد خلال إفادته مشاهدته لعملية إعدام جماعي في الرمادي وذكر انه تم اعتقاله من قبل أزلام النظام البائد في عام ١٩٨٨ وانه تمكن من الهرب من المعتقل الذي نقل إليه في الرمادي بعد أن تعرض إلى إصابة عندما كان يحاول الهرب من المعتقل تحدث كذلك عن عمليات تعذيب حدثت لمعتقلين كورد داخل المعتقل.

وتقدم المشتكي الثاني في جلسة اليوم الـ١٧ محاكمة في قضية الأنفال بالشكوى ضد المتهم صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد وكل من شارك في جريمة الأنفال وطالب بتعويضه عن الإضرار التي لحقت به.

تفاصيل الجلسة الـ ١٨ ١٩/١٠/٢٠٠٦

بدأت الجلسة بالاستماع إلى إفادة اثنين من المشتكين. قال المشتكي الأول: إن الكثير من المواطنين الكورد المعتقلين توفوا في معتقل نقرة السلمان نتيجة الجوع والعطش وسوء المعاملة.

وأضاف المشتكي: "لقد قمت بدفن (٢٠) شخصا من المعتقلين الذين ماتوا في المعتقل".

ومضى المشتكي قائلا: "لم نكن نستعمل الطريقة الشرعية في دفن الموتى حيث لم نكن نغسل الموتى.. ولا توجد أكفان لتكفينهم وكنا ندفنهم بملابسهم".

وتابع ".. وكان معدل الذين يتوفون يوميا يبلغ أحيانا خمسة وأحيانا أخرى سبعة أو عشرة في اليوم الواحد".

وأضاف المشتكي: "في إحدى المرات تم قطع الماء عن الحنفية التي كنا نشرب منها في المعتقل وبعد سؤالنا لحجاج (مسئول عن المعتقل).. قال لنا: لقد تم قطع الماء عنكم لتموتوا لأننا جئنا بكم لأجل ذلك".

وأردف المشتكي قائلاً: "إلا أنه بعد ذلك تم تزويدنا بماء مالح أدى إلى وفاة الكثيرين من كبار السن".

وقال المشتكي: إن قريته والقرى المجاورة لها في السليمانية تعرضت للقصف بالسلاح الكيماوي عام ١٩٨٨.

وقدم المشتكي شكوته ضد المتهم صدام حسين والذين شاركوا في جريمة الأنفال وقال: أتقدم بالشكوى ضد صدام حسين وأعوانه ومستشاريه كونهم كانوا يلعبون نفس الدور الذي كان يلعبه صدام".

وطالب المشتكي بالتعويض قائلا: " أطلب التعويض نتيجة فقداني ثمانية من أولادي الذين اعتقلوا من قبل النظام السابق في معتقل (طوب زاوة) في كركوك".

وذكر المشتكي أسماء لمستشارين إلا أن القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة أمر بقطع الصوت عندما كان المشتكي يتلو الأسماء.

وسأل محامي من فريق الدفاع المنتدب المشتكي إذا كان عضوا في قوات البشمركة المسلحة؟

وهو ما أجابه المشتكي بالنفي كما قال: "لم يكن هناك أي مقر لقوات البشمركة في قريتنا وأن أفراد قوات البشمركة كانوا يمرون مرات في قريتنا كعابري سبيل".

وقال المشتكي إنه شاهد سبع طائرات نفاثة تقوم بقصف قريته عام ١٩٨٨.

وسأله محامي الدفاع المنتدب عن دقة ما رآه.

وقال المشتكي: "لقد شاهدت الطائرات بأم عيني وأنا في المحكمة تحت القسم، لكنني لم أشاهد الطائرات تقصف القرية المجاورة لنا بل شاهدتها تقصف قريتنا".

وقال المشتكي: "كان في نقرة السلمان حوالي ستة آلاف معتقل".

وجاء جوابه ردا على مداخلة من المتهم علي حسن المجيد الذي طالبه بتوضيح عن عدد المعتقلين وما إذا كانوا مقيدي الأيدي عندما تم نقلهم من معتقل نقرة السلمان إلى معتقل آخر.

بعد ذلك طلب القاضي المناداة على المشتكي الثاني في جلسة اليوم.

وعرف عن اسمه بأنه بكر قادر محمد من مواليد ١٩٣٤ من سكان قرية جلا مارت في محافظة السليمانية.

وبعد القسم بدأ المشتكي بسرد وقائع تلك المرحلة: وقال "كنت أسكن قرية جالا مارت عندما تم قصف قرية (كوبتبة) بالأسلحة الكيمائية في ٥ مايو/أيار ١٩٨٨، وتم تحذيرنا بالمغادرة خوفا من القصف.".

وسأله قاضي المحكمة محمد العريبي الخليفة إذا شاهد القصف الكيميائي بعينه، فأجاب المشتكي بالنفي.

وقال المشتكي: إن رجل دين مسلم هو من حذرهم بضرورة المغادرة.

وأضاف المشتكي: "في تلك الليلة غادرنا قريتنا وتوجهنا إلى وادي بابرشا حيث بقينا فيه ٣ أيام وفي اليوم الرابع قام الجيش بمهاجمة قريتنا وحرقها.. فقد شاهدنا الدخان وهو يتصاعد من قريتنا.".

وسأله القاضي الخليفة مجددا عن المسافة التي تبعد بين القرية والوادي؟

فأجاب المشتكي: أن القرية تبعد مسافة ربع ساعة مشيا على الأقدام.

وقال المشتكي: بعد ذلك عدنا إلى قريتنا التي دمر نصفها، بعدها قام الجيش بقتل اثنين من عائلتي.. لتأتي لاحقا وبعد نصف ساعة حافلات عسكرية "زيل" ونقلونا إلى منطقة تكتك.. بقينا تلك الليلة فيها وفي صباح اليوم التالي نقلونا إلى معتقل طابزاوا".

وأوضح المشتكي: أنه تم تقسيم المعتقلين بين شيوخ ونساء وشباب في المعتقل "حيث بقينا فيه يومين وفي اليوم الثالث نقلونا إلى جهة مجهولة. وعند حلول المغرب وصلنا إلى مدينة السماوة..

وقال المشتكي: "أوقفوا (الجيش) الحافلات في إحدى الطرق ليقوموا بتناول الطعام بعد أن هددونا بالبقاء في الداخل، إلا أن النساء والأطفال نزلوا من الحافلات لقضاء حاجتهم".

وأضاف المشتكي: "بعد ذلك تم نقلنا إلى نقرة السلمان.. وأنزلونا في باحة المعتقل وفي صباح اليوم التالي قدم المدعو حجاج مع بعض الرجال وقاموا بتقسيمنا على القاعات".

وتحدث المشتكي عن الطعام والماء التي كان يوزع عليهم، لافتا إلى أن أمراضا غامضة انتشرت بين الأسرى..

وقال المشتكي: "جاء طبيب وقام بفحصنا وأعطانا الدواء المناسب حيث شخص أن المرض هو الكوليرا.. وأمرنا الطبيب بالبقاء ٤٠ يوما في المعتقل.. وطلب من الحراس عدم الإفراج عنا كل هذه الفترة".

وأضاف المشتكي: "قال أحدنا للطبيب بأن ما نعاني منه هو الجوع وليس الكوليرا.. بقينا هناك مدة ٤٠ يوما.. بعدها نقلونا إلى معتقل طاوبزاوة.

وتابع المشتكي: "وفي اليوم التالي نقلونا إلى قرب مدينة كركوك بالقرب من مستشفى صدام، لنصل لاحقا إلى مدينة السليمانية".

بعدها فصلونا وفقا لمناطقنا ونقلونا بسيارات أخرى إلى هذه المناطق.

وقال المشتكي: إنه تم تزويدهم بوثائق لقطع أرض وبعد ذهابنا لاستلام قطع الأرض تبين وبعد شهر كامل أنه لا وجود لذلك.

وقدم المشتكي شكوته على المتهم صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد مطالباً بتعويض واسترداد رفات أقربائه الذين قضوا في الحملة.

بعدها ناول المشتكي المحكمة قائمة بأسماء الضحايا، ليتبعه سؤال من المدعي العام منقذ آل فرعون، عما إذا كان قام بنفسه بدفن الموتى الذين يعرفهم؟

فأجاب المشتكي أنه يعرف العديد ممن توفوا لكنه لم يقم بدفنهم.

وذكر المشتكي أسماء بعضهم للمحكمة وهما فاضل عمر وغفور أحمد من نفس قريته.

سؤال آخر يتعلق بإحصاء مقتل ٧٧٥ من قبل المشتكي الأمي، الذي رد بالقول إنه

لا يذكر ذلك لأنه كان مريضا ، فقال القاضي "لكن هذا كلام مثبت بالوثائق" فعاد وكرر نفس الإجابة.

وتم سؤال المشتكي من قبل المحامي المنتدب حول هوية الذين يديرون المعتقل.

فقال المشتكي "كانوا يتكلمون باللغة العربية إلا أنني لا أعرف قوميتهم".

وهنا أجرى المتهم علي حسن المجيد مداخلة أخرى تتعلق برؤية المشتكي لمتوفين في المعتقل ودفنهم ونبش قبورهم من قبل الكلاب لنهشها مقارنا بين أقواله وتلك الأقوال المدونة له في شهادته أمام قاضي التحقيق والتي جاءت متناقضة بحسب المتهم علي حسن المجيد.

وهو ما كرره القاضي محمد العريبي الخليفة على المشتكي قارئاً من الوثائق المدونة.

فرد المشتكي مؤكدا أنه لم يشاهد ذلك لأنه كان فعلا مريضا ، وأن إفادته أمام المحكمة هي الصحيحة.

وعاد وسأله المتهم علي حسن المجيد المشتكي عن تقدير المسافة بين كركوك ومعتقل طابزاوة خاصة وأنه دخل المعتقل مرتين.

فأجاب المشتكي الثاني في جلسة اليوم بأنه لا يعرف.

تفاصيل الجلسة الـ ١٩ ٢٠٠٦/١٠/٣٠

استمعت هيئة المحكمة إلى إفادات ٥ من المشتكين الكرد خلال الجلسة التاسعة عشرة للمحكمة بعد أن استمعت إلى ٦٢ مشتكياً منذ بدء جلساتها في الحادي والعشرين من آب (أغسطس) الماضي حيث أوضحوا خلال تقديم إفاداتهم أمام المحكمة أن الطائرات العراقية قتلت العشرات من أبناء القرى الكردية بالأسلحة الكيماوية.

في بداية الجلسة طلب رئيس هيئة الادعاء العام منذر آل فرعون من المحامين تقديم أسماء شهود الدفاع عن المتهمين تنفيذاً للقانون.

وشهدت الجلسة منذ بدايتها قطعاً في الصوت خلال تقديم أحد محامي الدفاع إفادة تتعلق بتعرض أحد المتهمين لاعتداء من قبل بعض الحراس وقيام ممرضين بمعالجته.

وطالب محامي المتهم حسين رشيد هيئة المحكمة بالتحقيق في اعتداءات تعرض لها موكله مشيراً إلى عدم توفر الحد الأدنى من العدالة خلال هذه المحاكمة.

وقد اشتكى المتهم سلطان هاشم (وزير الدفاع السابق) من انه قدم أسماء ٢٤ آمراً عسكرياً سابقاً لاستقدامهم والاستماع إلى أقوالهم كشهود نفي لكن لم يتم ذلك لان معظمهم خارج العراق.

وطلب القاضي محمد العريبي الخليفة الأسماء موضحاً أن السفارات العراقية في الخارج يمكن أن تستدعيهم وتستمع إلى أقوالهم وترسلها إلى المحكمة.

واعترض المتهم على توكيل المحكمة لمحامين منتدبين وقال انه يريد محاميه الأصلي الذي أوكله فأوضح القاضي أن هذا المحامي قد انسحب من تلقاء نفسه.

خليل الدليمي محامي المتهم صدام حسين: نطلب السماح للمحامين العرب والأجانب بالقيام بدورهم المهني في الدفاع عن موكليهم.

المحامي خليل الدليمي يتحدث عن عدة مخالفات قانونية حدثت خلال المحكمة.

ودعا الدليمي المحكمة إلى إلغاء قرارها السابق بمنع المحامين العرب والأجانب من الدفاع عن المتهمين واقتصار دورهم على الاستشارات.

وطلب نسخة من تخويل الرئيس جلال طالباني لنائبه عادل عبد المهدي بتوقيع قرارات الإعدام نيابة عنه.

كما دعا إلى التحقيق بالاعتداء على مقر فريق الدفاع لدى غيابهم والاستيلاء على وثائق تخص قضية الأنفال.

واحتج على انتداب المحكمة لمحامين يتولون المرافعات في قضايا أخرى موضحاً إن هذا مخالف للقانون.

كما اعترض على قطع البث عندما يتحدث أي واحد من المتهمين دفاعاً عن النفس.

وأشار إلى أن ملف قضية الأنفال يضم عشرة آلاف صفحة لم يسنح الوقت للدفاع الاطلاع عليها وتطلب جمعها مبلغ ٢٠٠ مليون دولار وهو ما لم يتوفر للدفاع وبذلك فقدت المحكمة العدالة المطلوبة منها كما قال.

وأوضح إن الوقت لم يكفي الدفاع لدراسة جميع أوراق ومستندات التحقيق واشتكى من كثرة جلسات المحكمة.

وأكد الدليمي أن هيئة الدفاع عن المحامين ستنسحب من المحكمة لحين الاستجابة لطلباتهم.

رئيس المحكمة يتحاور مع الدليمي حول الطلبات القانونية المقدمة.

رئيس المحكمة يؤكد أن المحكمة العراقية العليا حسمت مبدأ رفض الاستعانة بالمحامين غير العراقيين.

رئيس المحكمة يطلب من الدليمي عدم استخدام تعبير "الرئيس العراقي" عن الحديث عن صدام حسين، مؤكدا أن التعبير القانوني هو الموكل أو المتهم.

الدليمي يؤكد أنه تم تزويد هيئة الدفاع بنسخة غير واضحة من وثائق المحاكمة. ورئيس المحكمة يعد هيئة الدفاع بالاستجابة لهذا الطلب بالتنسيق مع هيئة الادعاء.

محامي المتهم صدام يشكو من تتابع الجلسات أسبوعا الأمر الذي سبب إرهاقا لهيئة الدفاع.

رئيس المحكمة يؤكد حق المحكمة في تحديد توقيتات الجلسات.

الدليمي يستأذن المحكمة ويقرر الانسحاب احتجاجاً على عدم الاستجابة لمطالب الدفاع.

الدليمي يتحدث للمتهم صدام أثناء خروجه ورئيس المحكمة يعترض.

محام آخر عن الدفاع ينسحب احتجاجاً على هيئة المحكمة. ورئيس المحكمة ينتدب محامين اثنين للدفاع عن المتهمين صدام حسين، وحسين رشيد.

المتهم صدام حسين: القانون لا يلزم المتهمين بقبول المحامين الذين تنتدبهم المحكمة للدفاع عنهم.

رئيس المحكمة يتجاهل تعليق صدام ويشرع في الاستماع إفادة احد المشتكين.

وبدأت المحكمة بالاستماع إلى إفادات المشتكين الذين كان أولهم فاخر علي حسين من مواليد ١٩٧٠ من قرية توتمة بقضاء شقلاوة ويعمل موظفا.

وبدأ المشتكي في تقديم إفادته حيث قال: في ١٦ نيسان عام ١٩٨٧ قصفت

الطائرات العراقية قريتي وأخرى قريبة بالأسلحة الكيماوية حيث كانت رائحة الغازات تشبه رائحة الثوم والتفاح المتعفن.

وأضاف المشتكي أن سكان قريته البالغ عدد عوائلها حوالي مائة عائلة هربوا من قريتهم إلى مناطق قريبة لكن هذه قصفت أيضا بالأسلحة الكيماوية التي بدأت أعراضها بتقيحات على جلود الضحايا إضافة إلى صعوبة في التنفس.

وتابع المشتكي: اتجهت وعائلتي إلى قرية أخرى. وكنت أتقيأ وأتنفس بصعوبة. لم أشاهد حالات وفاة لأن القصف أصاب أطراف قريتنا. ومكثنا في قرية أخرى حوالي خمسة أشهر. توجهنا بعد ذلك إلى مجمعات بنتها الحكومة العراقية تحتوي على بيوت مبنية بالطوب اللبن. الحياة هناك كانت سيئة ولم تكن هناك مياه جارية.

وأضاف الشاهد: عند عودتي إلى قريتي لم أستطع دخول منزلي من جراء الرائحة الكريهة. أنا على استعداد للعرض على أي لجنة طبية للتيقن من الإصابات التي تعرضت لها. لم أشاهد معارك بين الجيش العراقي وقوات البشمركة.

وأكد المشتكي الأول خلال جلسة اليوم انه شاهد حوالي ٢٠ جثة لأشخاص قتلوا نتيجة القصف.

وقدم المشتكي قائمة بأسمائهم موضحا انه كان قد أصيب أيضا بالأسلحة الكيماوية وقال: انه نقل إلى مستشفى قريب تابع إلى قوات البشمركة حيث لاحظ هناك مصابين آخرين وبينهم أقارب له.

تقدم المشتكي الأول في جلسة قضية الأنفال بشكواه ضد كل من المتهم صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد مسئول المنطقة الشمالية إبان عملية الأنفال وحزب البعث المنحل والجهات التي باعت الأسلحة الكيماوية للحكومة العراقية والطيارين الذين قاموا بقصف قراهم بالأسلحة الكيماوية وطالبهم بالتعويض عن الأضرار التي لحقت به.

ورداً على سؤال للدفاع إن كان يملك تقاريراً طبية تؤيد إصابته بالسلاح الكيماوي قال المشتكي: انه لا توجد معه مثل هذه التقارير ولكنه مستعد للفحص الطبي لإثبات إصابته بأضرار صحية جراء القصف.

المشتكي في رده على أسئلة من محامين الدفاع: لم أكن منتميا لقوات البشمركة ولم يكن في قريتنا مركزاً لتلك القوات.

المدعي العام يقول إن معظم الأسئلة الموجهة المشتكي غير منتجة.

ومن ثم طلب رئيس المحكمة الاستماع إلى المشتكي الثاني في جلسة اليوم التاسعة عشر.

ويدأ المشتكي الثاني جمال سليمان قادر من مواليد ١٩٥٦ بناحية حاجياوا بقضاء رانية في محافظة السليمانية وعمله أمام مسجد القرية حيث شرع المشتكي الثاني بالإدلاء بإفادته قائلاً: شاهدت ٨ طائرات تقصف قريتي بالأسلحة الكيماوية. كنت على مسافة عدة دقائق خارج القرية. لدى اقترابنا من القرية شاهدنا جثتين.

وتابع المشتكي: شاهدت أكثر من ١٥ جريحا أثناء محاولة أحد الأشخاص نقلهم إلى مستشفى قريب. حاولت مع بعض الأشخاص الدخول للقرية ومساعدة الأهالي بالداخل.

وأضاف المشتكي: في القرية كان اليوم كيوم الحشر الأطفال والنساء يصرخون والماشية نافقة. رأيت جثة بالمسجد وأخرى كانت ملقاة في الشارع.

وأضاف المشتكي: جثث الموتى كانت ملقاة في كل مكان. ورأيت جثثا لأطفال يتناولون حلوى العيد، حيث حدث القصف في ليلة العيد. وكان معي شخص أجهش بالبكاء عندما شاهد جثة والدته.

وأردف المشتكي: تعاونت مع اثنين آخرين لجمع الجثث من بيت إلى بيت وكذلك المصابين ونقلناهم بواسطة جرارات زراعية. وبلغ عدد المتوفين والمصابين ٤٠ شخصاً على الأقل.

وتابع المشتكي: منعنا الجيش العراقي من المرور بالمصابين والمتوفين. وفي نقطة قريبة قرب مجرى مائي أنزلنا المصابين ووضعنا الجثث في أماكن متقاربة. ولم ندفنهم في تلك الليلة. وسارعت إلى طبيب قريب للحصول على علاج من آثار القصف الكيماوي، وتحسنت حالتي بالفعل.

وأضاف المشتكي: في الصباح وكان أول أيام العيد أبلغنا أقاربنا في أماكن قريبة

ليساعدونا في علاج المصابين ودفن الموتى واستجابوا للنداء وتم علاج المصابين ودفن الموتى ٣٥ جثة قدم الشاهد قائمة بأسمائهم إلى رئيس المحكمة.

وتابع المشتكي: نقلنا المصابين خفية إلى المناطق المجاورة. وبعد حوالي شهرين تماثل معظمهم للشفاء. وتوفي منهم خمسة أشخاص تقريبا.

وطالب المشتكي الثاني في الجلسة التاسعة عشر لقضية الأنفال بتعويضه وجميع المتضررين من وكردستان من جراء القصف بالأسلحة الكيماوية.

ومن ثم أعلن المتهم سلطان هاشم وزير الدفاع الأسبق المتهم في القضية أنه سيلتزم الصمت طيلة فترة المحاكمة احتجاجا على فريق الدفاع المكلف من قبل المحكمة.

وتقدم المشتكي الثاني جمال سليمان قادر بالشكوى ضد كل من المتهم صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد وأعوانهم.

وخاطب المشتكي المتهم صدام قائلاً: "هل القرآن الذي تحمله بيدك يختلف عن الذي أحرقته في كردستان؟". فقاطعه القاضي بالقول انه لا يجوز للمشتكي توجيه الحديث للمتهم بشكل مباشر.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة بعد الاستماع إلى اثنين من المشتكين رفع الجلسة.

تفاصيل الجلسة الـ٢٠ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٠/٣١

استمعت المحكمة في جلستها اليوم الثلاثاء إلى إفادات خمسة مشتكين، وكانت المحكمة قد شرعت في الاستماع إلى شاهد الإثبات الأول بحضور جميع المتهمين وعلى رأسهم صدام، فيما تغيب فريق الدفاع الذي كان قد عاد لحضور جلسات المحاكمة الاثنين، بعد مقاطعة استمرت أكثر من شهر.

وقال المشتكي الأول الذي أدلى بإفادته من وراء ستار، إن قطاعات من الجيش العراقي، هاجمت إحدى القرى الكردية عام ١٩٨٨ مدعومة بطائرات هليكوبتر.

وأضاف: خوفاً من القصف الكيميائي قمنا بالتوجه إلى ناحية "قادر كرم"، وسلمنا أنفسنا لفوج عسكري من القوات العسكرية والدفاع.

- وأوضح أن أهالي قريته، بالإضافة إلى أربعة آلاف شخص، أقاموا لفترة يومين في قرية مجاورة نقلهم إليها الجيش العراقي.

- وقال: في ذلك الوقت حضر إلى المعسكر بواسطة مروحية شخص يدعى بارق، وهو قائد الجيش في المنطقة كما قيل لنا.

- ووصف المشتكي بأنه قصير القامة أحمر اللون ولديه حراسة مشددة.

- أضاف إن رجال بارق قاموا بتصوير الجميع بكاميرا تلفزيونية، وأخذوا أسمائهم ضمن قائمة، وغادر بعدها بارق المنطقة، إلا أن المعسكر كان تحت حراسة مشددة.

- وقال: بعدها نقلونا إلى مقر لواء في معسكر في "جمجمال"، وقاموا مجدداً بتسجيل أسمائنا.. وكان هناك العديد من النساء والأطفال الذين علا صراخهم.. كان المدنيون يحملون بعض ممتلكاتهم، التي قام الجنود بسلبهم إياها.

- وشرح: من هناك نقلونا إلى معتقل طابزاوه ليلا، وفرزونا في صفوف وطوابير ووضعونا في قاعة كبيرة كان فيها قرابة ٤٠٠ شخص.

- وقال إنهم في تلك الليلة لم يعطَ طعاماً أو شراباً أو إمكانية السماح لاستخدام المراحيض.

- وفي اليوم التالي، قال المشتكي: أعطونا "شوربة" طبق ساخن، تحت حراسة مشددة.

- وقال: في الليلة التالية عزلوا المسنين من القاعة، كذلك الأطفال دون ١٢ عاماً، وأخذوهم خارج القاعة.. كنا في تلك الأثناء نسمع عويل النساء والأطفال في قاعات مجاورة.

- أضاف: بعد ذلك جلبوا القوائم ونادوا بالأسماء، من ضمنها اسمي واسم ابن عمي وبعض الأصدقاء.. من هناك وضعونا في قاعة أخرى أصغر حجماً وكانت مكتظة بآخرين.

- وأكد: أنه رأى هناك أحد معارفه، فيما كان هناك آثار دماء على الأرض، وقال: "عندما سألته عن الدماء، أجاب بأنها من معتقلين تعرضوا للتعذيب بالصواعق الكهربائية والضرب المبرح".

- "بعدها رأيت من النافذة باصات تتحرك في فناء المعتقل، وفي حدود الساعة

العاشرة نادوا علينا مجدداً، ونقلوا كل مجموعة في حافلة.. ركبت أنا وابن عمي وصديق في إحدى هذه الباصات.. دون أن نعرف وجهتها.. بعد ذلك انحرفت الحافلة إلى طريق ترابي بعد قيادة على طريق وعرة.. كنا مرهقين.. إلى درجة قام شاب كان معنا بالتبول في حذائه وشرب بوله من شدة العطش.

- أوصلتنا الباصات إلى مكان سمعنا فيه إطلاق أعيرة نارية.. بعدها نزل السائق وأحد الحراس، وتركونا في داخلها.. ليعودوا بعد ربع ساعة، وقاموا على الفور بسحب معتقلين اثنين من الحافلة إلى الخارج، وقاموا بعصب أعينهم وشد وثاقهم.

- بعد خمس دقائق أخرى عادوا وأخذوا معتقلين آخرين، وفي كل حادث كنا نسمع إطلاق للنار، لم نستطع رؤية ما يجري بسبب إغلاق أبواب الحافلة علينا وتعتيم نوافذها.. أخذوا قرابة ٨ أشخاص قبل أن يحل دوري.

- أضاف الشاهد: "عندها قلت لابن عمي إنهم يقتلوننا، لنذهب معاً ونموت معاً.. بعدها جاؤوا وأنزلوني مع ابن عمي وشدوا وثاقنا وعصبوا أعيننا وأخذوا منا مستنداتنا وأموالنا ورموها قرب الباب الخلفي للحافلة.. عندها قرأت آية الكرسي وطلبت من الله أن ينقذني من هذا الموقف.. بعدها سحبني من يدي ومشيت مسافة.. بعدها طلب مني معتقلي باللغة العربية أن أجلس وانبطح بجانب ابن عمي.. ثم قام بإطلاق الرصاص علينا.. وهمر الرصاص من كل صوب.

- لا أتذكر عدد الرصاصات.. كل ما أتذكره الغبار الذي انهمر على وجهي.. لم أشعر بأي ألم.. حاولت أن أبدو ميتاً.. سمعت صوت حشرجة موت ابن عمي.. بعدها سحبونا إلى مسافة وتظاهرت بالموت.. ومجدداً سمعت إطلاق رصاص لعمليات تصفية مشابهة.. كان هناك ٣٥ شخصاً في الحافلة.

- أضاف: "في تلك الأثناء حررت وثاقي، وأنزلت العصابة عن عيني، رأيت حفرة كبيرة ممتلئة بالجثث.. حاولت الانسحاب منها دون أن ألفت نظر القتلة.. بعدها نزل أحد الجلادين، وكان يرتدي ملابس خضراء إلى الحفرة، وبدأ بشتم الأكراد وطالباني والبرزاني، وأطلق الرصاص عشوائياً على الذين كانوا ما زالوا يتحركون.. واستمر الوضع كذلك حتى مغيب الشمس".

- هنا سأله القاضي الخليفة إذا كان يتذكر أي من أسماء الـ٣٥ شخصاً، وأجاب الشاهد ببعض الأسماء، إلا أن الإرسال ساعة ذكر الأسماء تم قطعه لأسباب أمنية.

- وواصل المشتكي سرد شهادته: "حاولت التفكير بكيفية الخروج من الحفرة قبل ردمها بالتراب، وبعد أن ذهب الجلادون، قفزت على الجدار المنخفض من الحفرة، وبدأت بالركض لمسافة، ولاحظت أن لا أحد يتبعني، فاستدرت ونظرت للمكان وكان الوقت ليلاً، ما عدا ضوء سيارة موجهاً إلى الحفرة لمواصلة عمليات القتل.. حاولت تبيان المكان وأنا أقول لنفسي ربما أستطيع أن أرجع لاحقاً لتحديد مكان المقبرة الجماعية".

- وقال: "كانت أصوات الرصاص والصراخ تنطلق في أماكن متفرقة.. واصلت سيري حتى الصباح التالي، وتعرضت لمهاجمة الكلاب بسبب وجود دماء على ملابسي.. قلدت الكلاب ومشيت على الأربع، لم أكن أملك أي سلاح للدفاع عن نفسي.. بعدها تركتني الكلاب".

- عند الصباح اتجهت شرقاً، دون أن أعرف أين أنا.. وصلت إلى منطقة مزروعة بالشعير، وبدأت بأكله لأنني كنت جائعاً ومنهكاً.. كنت حافي القدمين".

- وسأله القاضي إذا كان يعرف مكان المقبرة؟

- فأجاب: إذا أخذوني إلى تلك المنطقة أستطيع أن أدلكم على المقبرة القريبة من مدينة الرمادي.. لأن هذه المدينة كانت أول مدينة وصلتها صباح اليوم التالي بعد عمليات القتل.

- قبل أن أصل المدينة وصلت إلى نهر كبير، شربت منه الماء ونظفت ملابسي من الدماء وشاهدت راعي، فسألته ما هذه المنطقة، فأجابني الراعي الكردي بأنها الرمادي.. بعدها شاهدت مجمّع للأكراد، فدخلته ربما أجد سيارة تقلني إلى بغداد".

- وبعد توقف لدقائق، عاودت المحكمة جلستها، لكن القاضي أمر بإغلاق كل اللاقطات، دون أن تتوضح طبيعة الأسباب، تبعها وقف محطة "العراقية" بث الجلسة ومعاودة برامجها العادية.

- بعد انتهاء الشاهد الأول من الإدلاء بشهادته طلب رئيس المحكمة مثول شاهد الإثبات الثاني، الذي بدأ بسرد وقائع مشابهة لتلك المتعلقة بالهجوم على قرية كوردية،

تبعها عبر مكبرات الصوت دعوات بالعفو عنا، ثم قمنا بتسليم أنفسنا إلى مركز شرطة ناحية قادر كرم حيث مكثنا فيه ساعتين.

- وقال: بعدها نقلونا بسيارات عسكرية تحت حماية مشددة ونحن معصوبي الأعين.

- وأضاف: بعدها نقلونا إلى جمجمال ومن ثم إلى معتقل طابزاواه، كانت كيوم القيامة، مليئة بالأطفال والنساء والمسنين الذين يستندون إلى أكتاف الشباب.

- بقينا هناك يومين موزعين على عدد من القاعات.. بعد يومين سألنا ضابط عن أسمائنا وعناويننا.. لا أتذكر بالتحديد عدد الذين كانوا بعمري.. لكن كان هناك بين ٥٠٠ إلى ألف معتقل.

- في صباح اليوم التالي جلبوا ما بين ١٠ إلى ١٢ حافلة.. بعدها ركبنا الباصات دون أن نعرف وجهتنا.. كما عتمت جميع النوافذ.. وأبلغنا معتقل معنا، كان يعمل سائقاً، أننا متوجهون إلى الموصل حيث ستكون نهايتنا، إلا إنه عاد وقال إننا لسنا متجهين إلى الموصل، وربما بالتالي لن نلاقي حتفنا".

- وأضاف: "بعدها توجهنا إلى منطقة جبلية، وتوقف الباص في منطقة رملية، حيث اعتقدنا أننا سنمنح بعض الراحة.. بعدها ترجل السائق الذي كان يرتدي ملابس عسكرية، وبدأ بشرب الماء فطلبنا أن يسقينا، فقام بشتمنا وقال لنا، اطلبوا ذلك من جلال الطالباني.

- كانت منطقة جرداء، وسمعنا فيها أصوات طلقات نار.. وشاهدنا برفقة السائق شخص يحمل سلاح كلاشينكوف.. فأبلغنا أحد المعتقلين أننا سنقتل لا محالة، وطلب مني أن أغلق باب الحافلة عند اقتراب المسلح، وحاولنا عندها بما طلب منا وهاجمنا الحارس ونجحنا في أخذ سلاحه.

- في هذه الأثناء بدأ مسلحون خارج الحافلة بإطلاق النار علينا.. عندها لا أدري إذا سقطت أو قفزت، ووجدت نفسي في مقدمة الحافلة وبدأت بالركض هارباً، وعندها شاهدت أصدقائي يتساقطون تحت وابل الرصاص.

- المشتكي يواصل شهادته: واصلت السير حتى صباح اليوم التالي، حيث وصلت إلى إحدى المدن وقمت بطرق أحد الأبواب وكانوا كرماء معي، فأطعموني

وبعدها فقدت الوعي، وعندما استيقظت وجدت نفسي في غرفة الجلوس وكانت الساعة الحادية عشرة ظهراً.

- أشكر فضل ذلك البيت، الذي غادرته لاحقاً، وتوجهت إلى مكان عمل عم لي في بغداد، وتحديداً إلى كاراج "النهضة" .. إلا أنه عند خروجي من الدار نصحتني بعض النسوة عندما شاهدوني في ملابس كردية، بأن أتوجه عبر طريق معاكس من أجل سلامتي.. وكنت أحمل مبلغ قدره ١٥ ديناراً فقط.

- بعدها استأجرت سيارة تاكسي وجلست في الخلف، فسألني السائق إذا كنت من المخربين، فأجبته أنني لست كذلك، وإنني كنت أزور قريب لي يعمل طياراً.. بعدها دفعت له ونقلني إلى كاراج "النهضة".

- سؤال من محامي الإدعاء للشاهد عن أسماء لمعتقلين الذين كانوا معه في ١١ أبريل/ نيسان ١٩٨٨.

وفي وقت لاحق تم الاستماع إلى شاهد آخر، حيث بدأ يروي تفاصيل أخرى متعلقة بقضية الأنفال.

- وقال المشتكي إن بعض الأشخاص رموا أنفسهم في أحواض المياه لأن أهالي القرى المجاورة تصرفوا كذلك عندما قصفت قراهم في وقت سابق بالأسلحة الكيماوية.

- وتطرق المشتكي إلى إصابة بعض الأشخاص من أقاربهم الذين ذكر أسماءهم بأمراض مثل احمرار العين، جراء القصف الكيماوي.

- كرر الشاهد وصفاً ذكره أحد الشهود السابقين بأن ذلك اليوم كان مثل يوم الحشر.

- وأشار إلى أن هناك ثلاثة أشخاص هربوا من القرية، وأنه هرب معهم.

- وقال المشتكي إنه بعد الخروج من القرية بنحو ١٥ دقيقة بدأت أعراض القصف الكيماوي بالظهور عليه فلم يستطع أن يكمل عملية الهرب فسقط على الأرض، وفقد وعيه، وعندما استعاد وعيه، وجد اثنين من الرعاة بنقله إلى القرية.

- ثم وفروا سيارة وتم نقله وعدد من المصابين إلى إحدى المناطق غير أن الجيش أوقفهم وطلب منهم العودة من حيث أتوا.

- وتابع الشاهد تقديم شهادته، وقدم ما يشبه المستند..

- بعد ذلك بدأ محامي الدفاع باستجواب المشتكي، طالباً منه أن يحدد المكان الذي رمى فيه المواطنون الكورد أنفسهم بالمياه، وما إذا كان يتذكر بعض الأسماء.

وقال الشاهد إنه يتذكر إبراهيم أحمد علي وهو ابن عمه وكذلك خالد سليمان علي، وقد توفيا، غير أن بعض الأشخاص منهم مازالوا على قيد الحياة.

- وحول عدد الأسر التي كانت تسكن القرية قبل قصفها، قال المشتكي إنها حوالي ٤٠ عائلة.

- وبعد ذلك بدأ محامو الحق الشخصي بتقديم مطالبتهم.

وفي نهاية المحكمة أجل القاضي المحاكمة إلى السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل.

تفاصيل الجلسة الـ ٢١ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٧

- بدأت الجلسة التي حضرها صدام، باستدعاء القاضي للشاهد الأول في هذه الجلسة.

وبعد السؤال عن مكان سكنه ومهنته وأداء القسم، بدأ الشاهد بتقديم إفادته.

- قال الشاهد إن قريته تعرضت للتدمير عدة مرات، وأن أول مرة دمرت كانت عام ١٩٦١ والمرة الثانية عام ١٩٧٢ والثالثة عام ١٩٨٦ حيث دمرت بالكامل.

- أوضح الشاهد إنه بعد تدمير القرية على أيدي قطاعات من الجيش اضطروا إلى العيش في الكهوف، وذلك لغاية ١٩٨٨.

- قال الشاهد إنه في العام ١٩٨٨ سمعوا بأن القوات العراقية ستقوم بعملية الأنفال، وأن أهالي بعض القرى كانوا يتداولون هذه المعلومات.

- أشار الشاهد إلى أن أهل قريته تجمعوا للتفكير فيما سيقومون به، وبعد ذلك حاولوا الهروب من المنطقة إلى أن وصلوا الشارع المؤدي إلى الحدود التركية.

- وقال إنهم لم يتمكنوا من اجتياز الشارع بسبب قطع الطريق عليهم، وشاهدوا الآلاف من الناس العائدين من محاولات الهرب، واختبئوا في المزارع.

- وقال إنهم حاول مرة ثانية اجتياز الشارع للهرب باتجاه تركيا ولم يوفقوا في تلك

المحاولة، موضحاً أن الجيش العراقي كان قد انتشر وحاول الاستيلاء على الشارع، فاضطروا إلى العودة إلى الكهوف التي عاشوا فيها سابقاً.

- وأشار الشاهد إلى أنهم تعرضوا للقصف من المناطق المجاورة، وبعد استطلاع السبب تبين أن الجيش قد حاصرهم من كافة الجهات.

- وقال الشاهد إنهم بدؤوا يتشاورون فيما سيفعلون بأنفسهم فاقترح البعض الاستسلام للجيش فيما قال آخرون إنهم سينتحرون ولن يسلموا أنفسهم.

- وقال كبار السن إنهم سيذهبون إلى قادة الجيش للاستفسار عما سيحدث لهم إذا سلموا أنفسهم.

- أوضح أن القائد العسكري أخبرهم بأن هناك قراراً بالعفو وأن صدام حسين أقسم على القرآن وأن هناك عهداً من صدام والحزب بعدم التعرض لهم إذا استسلموا.

- وقاموا بتسليم أنفسهم لأن هناك عهداً من صدام ولأنه أقسم على القرآن بأنهم لن يمسوا.

- وهكذا كان، فسلموا أنفسهم، وأخذهم الجيش من الكهوف إلى قريتهم.

- وأوضح أن القرية كانت خالية إلا من العسكر وبعض الضباط، الذين قاموا بفصل النساء والأطفال عن الرجال، وأنهم أخذوا النساء والأطفال بالقوة إلى قرية مجاورة.

- وقبل وصول النساء إلى نهاية الطريق، اختار الضابط ٣٧ رجلاً من بينهم، وأخذوا ثلاثة من كبار السن من بينهم وتوجهوا بهم إلى حيث توجهت النساء.

- وأوضح أن أحد الضباط كان يحاول أخذ بعض الرجال باتجاه النساء، فيما آخر يعيدهم، واستمرت الحالة ثلاثة مرات.

- وبقي في نهاية الأمر ٣٣ رجلاً، وأنه كان أول المجموعة التي طلب منها الضابط، وأنهم أخذوا إلى أسفل التلة، وطلبوا منهم النظر باتجاههم، وكان هناك ١٦ جندياً متوقفين أمام الرجال.

- وبعدها أصدر أحد الضابطين أمراً لهم بالجلوس، فيما أصدر الثاني أمراً بالقتل، فسقطوا على الأرض، واستمر إطلاق النار من مخزن كامل لبنادق الكلاشينكوف، وبعد ذلك استبدلوا المخازن مرة ثانية وثالثة.

- ثم أمر الضابط أحد الجنود بإطلاق رصاصة واحدة على كل واحد من الرجال (الأكراد)

- وأشار الشاهد إلى مكان الطلقة التي أصابته في جبينه، حيث بان أثر الرصاصة واضحاً.

- وعندما انتهى الجندي من إطلاق النار، انسحب باتجاه الضابط، ثم انسحب الجنود، بحيث لم يعد بإمكانهم رؤية القتلى، فقام الشاهد بمحاولة رؤية والده لرؤية ما حل به، وكان قد فارق الحياة مع اثنين من أشقائه.

- وشاهد أحد أبناء قريته يخرج من بين الجثث، وكانت النيران تشتعل في الأعشاب، وكانت هناك طلقات نارية أدت إلى ذلك، وحاولا إطفاء الحرائق، بأحذيتهم.

- وقدم الشاهد قائمة بأسماء الأشخاص الثمانية عشر من أقاربه ومن أبناء قريته ممن تعرضوا لهذه الحادثة.

- وقال الشاهد إنه شاهد خاله وقد كسرت ساقه، وأنه قال له إن ابن شقيقته مصاب وسيحاول بتخليصه، فطلب منه خاله الذهاب لوحده، رافضاً الخروج معه، لأنه الوحيد المتبقي من أبناء عائلته.

- وأوضح أنه تمكن من إنقاذ بعض الجرحى رغم أنه مصاب بطلقتين واحدة في ظهره والأخرى في جبينه، ثم توجهوا إلى منطقة الكهوف للاختباء هناك، التي وصلها آخرون أيضاً.

- وبقي الهاربون في منطقة الكهوف حتى ٧ سبتمبر/أيلول ١٩٨٨ من دون ماء أو طعام، ثم توجهوا بعد ذلك إلى قرية مجاورة، حيث كان عدداً من أفراد الدفاع الوطني.

بعد الانتهاء من الاستماع للشاهد الأول، بدأت المحكمة تستمع للشاهد الثاني.

- وجه الدفاع سؤالاً للشاهد الثاني حول هوية الذين تعرضوا للاحتجاز والقتل، فقال إن من بين الموجودين كان هناك مسيحيون وأنهم كانوا يعتبروا من الأكراد.

بعد ذلك استدعى القاضي شاهداً آخر، وبعد سؤاله عن هويته وعمله ومكان سكانه، بدأ الشاهد يدلي بإفادته.

- قال الشاهد إن قريته حرقت ودمرت عدة مرات على أيدي "جيش صدام".

- وقال الشاهد إنه في العام ١٩٨٨ خلال عملية الأنفال، وتحديداً بتاريخ ٢٥/٨، حاول التوجه إلى الحدود التركية، غير أنه وأهالي القرية لم يتمكنوا من ذلك، وعندما عادوا إلى قريتهم، وجدوا أنها محاصرة.

- بيّن الشاهد أنهم أرسلوا عدداً من الرجال يحملون رايات بيضاء للحديث مع ضباط الجيش العراقي الذين قالوا لهم أن عهد صدام يحميهم، وتحدثوا مع ضابط آخر ليعطيهم الأمان بموجب عهد صدام وعهد من الحزب، وأن الضابط أقسم لهم أنهم لن يتعرضوا لسوء.

- قال الشاهد إن قوات الجيش قامت بتطويقهم بعدما ذهبوا باتجاههم، ثم قاموا بفصل الرجال عن النساء، وأخذوا العوائل إلى جهة غير معلومة ثم أخذوا الرجال إلى مسافة ١٠٠-٢٠٠ متر عن القرية.

- وأوضح أن الجيش أمرهم بالاصطفاف جنباً إلى جنب، وطلب الضابط منهم الجلوس، فيما أمر ضابط آخر بإطلاق النار عليهم.

- وبعد إطلاق النار تدحرج حوالي ٣٠ متراً ثم قام وهرب من المكان، تعرض خلالها لإطلاق نار، حيث أصيب بطلقتين وكسرت ساقه.

- وبقي في مكان إصابته ليوم واحد، شاهد بعدها ابن شقيقته، فطلب منه الهرب والنجاة بنفسه، ثم شاهد بعد ذلك عدداً من أهالي القرية الناجين، وطلب منهم الأمر نفسه.

- وأضاف أنه وبعد ذلك جاء عدد من الأكراد وقاموا بنقله إلى المدرسة الثانوية في المنطقة، وبقي فيها ثلاثة أيام دون علاج أو طعام أو شراب.

- وبعد ذلك اكتشفه الجيش في المدرسة، وكان فيها عوائل أخرى، وقام بنقله إلى قلعة دهوك.

- وهناك شاهد مجموعة من الشباب يتعرضون للتعذيب، ومن بينهم شقيقه، وأبناء شقيقه.

- وقال إنه بعد الانتهاء من التعذيب، كانوا ينقلونهم إلى قاعة، وكانوا يتعرضون للضرب في تلك القاعة.

- ثم كانت تأتي سيارات وتنقلهم إلى خارج القلعة بمرافقة سيارات عسكرية.

- وفي اليوم الثاني والعشرين نقلوهم إلى أخرى، حيث بقي فيها مع عدد من المعتقلين ومن بينهم عدد من المسيحيين واليزيديين، عدة أيام.

- وقال إن الضباط طلبوا من اليزيديين والمسيحيين ترك كل شيء خلفهم لأنه صدر عفو عنهم.

القاضي يرفع الجلسة.

تفاصيل الجلسة الـ٢٢ لمحكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٨

قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة الجنائية العراقية العليا تأجيل الجلسة الـ٢٢ لمحاكمة صدام حسين وستة من معاونيه بجريمة الإبادة الجماعية في حملات الأنفال إلى يوم ١١/٢٧ لإفساح المجال أمام فريق الدفاع عن المتهمين للتشاور مع موكليهم لإعداد قائمة بشهود النفي.

وقال القاضي: إن التأجيل يهدف إلى إتاحة الفرصة لقيام المحكمة بزيارة ميدانية إلى المجمعات السكنية التي تم تهجير أهالي القرى الحدودية لها قسرياً في منطقة (بحركة) بمحافظة اربيل، وكذلك زيارة القرى التي فيها آثار دمار وأسلحة غير منفلقة.

واستمعت المحكمة خلال جلسة اليوم ١١/٨ إلى إفادات أربعة مشتكين قدموا شكواهم جميعا ضد المتهم صدام حسين وبقية المتهمين في قضية الأنفال.

في بداية الجلسة الـ٢٢ قدم أحد محامي الدفاع اعتراضاً على بعض تصرفات وسلوك القوات الأمريكية في المنطقة الخضراء تجاه محامي الدفاع وعدم حصولهم على كافة الوثائق المتعلقة بالقضية فرد القاضي بضرورة التقدم بطلب قانوني للحصول على كافة الوثائق الموجودة لدى الادعاء العام.

وأوضح القاضي أن حصول الدفاع على نسخة من الوثائق لدى القاضي السابق لم يكن قانونياً وأن الأمر القانوني الذي يتوجب القيام به يكون بحصوله على نسخة أخرى خاصة به.

كما اعترض المحامي بديع عارف عزت محامي المتهم الجبوري الذي شغل منصب مدير الاستخبارات العسكرية في عهد النظام البائد على عدم تسلم الدفاع نسخاً واضحة من الإفادات وتعمد الادعاء عرقلة عملية الدفاع عن المتهمين الأمر الذي دفع القاضي إلى المطالبة بمنح المحامين النسخ على قرص (سي دي) وبانتظام.

ووعد القاضي بالتحقيق في هذه المسألة داعياً محامي الدفاع إلى استكمال ملاحظاته.

من جانبه قال محامي الادعاء العام إنه تم تسليم خمسة سيديهات للدفاع رافضاً تسليم الدفاع كافة الوثائق التي لديها للدفاع.

واستمر الجدل طويلاً حول الوثائق التي بحوزة الدفاع وعدم حصوله على كافة الوثائق ذات العلاقة بالتحقيقات.

ومن ثم طلب رئيس المحكمة استدعاء المشتكي الأول في جلسة اليوم ناظم أيوب عبد الله محمد من مواليد عام ١٩٤٩ ويسكن قرية فرجينا بناحية زاويتة بمحافظة دهوك حيث قال: إن قريته تعرضت لقصف من قبل القوات العراقية بعد انتهاء الحرب العراقية -الإيرانية بواقع (١٠٠) صاروخ كل أذان.

وقال المشتكي الأول في جلسة اليوم إن ٨ طائرات عراقية قامت في ٢٥ آب عام ١٩٨٨ بقصف قريته حيث تصاعد منها دخان ابيض واصفر واحمر نتج عنه انتفاخ في بطون السكان وإصابات في أعينهم.

وأضاف المشتكي: كما قصفت القرية بالأسلحة الكيماوية مما أدى إلى مقتل العديد من الأهالي وهروب القسم الآخر إلى تركيا للعلاج".

وتابع المشتكي إن أهالي القرى سكنوا مدينة ديار بكر التركية حتى عام ١٩٩١ عندما وقعت انتفاضة الكورد ضد النظام البائد.

وأشار المشتكي: إلى انه شاهد في طريقه إلى تركيا تهديم القوات العراقية لقرى عديدة وقال إن عددا من أفراد عائلته قد ماتوا خلال الهروب وبينهم ابنة له.

وأشار المشتكي إلى انه كان عضواً في قوات البشمركة.

وتقدم المشتكي: بشكواه ضد المتهم صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد وكل من ساهم في حملة الأنفال.

من جهته شكك الدفاع بأقوال المشتكي كونه وصف طراز الطائرات التي قصفت القرية بشكل دقيق وحدد مكان إطلاق الصواريخ بالضبط.

وبدأ الادعاء العام باستجواب المشتكي الأول في الجلسة حول ما إذا كانت القرية التي يسكن بها مختلطة أم أنها تقتصر على الكورد فقط؟.

فقال المشتكي إنهم من الكورد المسلمين.

وسأل عضو آخر من فريق الادعاء حول ما إذا كان أهالي القرية اللاجئين إلى تركيا أو بعضهم مصابين بالأسلحة الكيماوية أم لا؟.

وقال المشتكي: إنهم جميعاً كانوا مصابين بالأسلحة الكيماوية فعاد الادعاء ليسأل ما إذا قدمت السلطات التركية العلاج للمصابين؟.

ثم سأل الادعاء عن المسافة بين قرية المشتكي والحدود التركية وما إذا كانت بعيدة عنها؟.

فقال المشتكي إنه لا يعرف بالتحديد المسافة لكنه قال إنهم وصلوا إلى المنطقة بعد مسيرة ثلاثة أيام بلياليها.

قال المشتكي: إن ثلاثة أشخاص من أهالي القرية قرروا تسليم أنفسهم للسلطات العراقية وأن مصيرهم مازال مجهولاً حتى الآن.

سأل محامي الحق الشخصي المشتكي عما إذا كان هناك إنذار من الجيش قبل قصف القرية؟.

فقال المشتكي إنه لم يكن هناك أي إنذار.

ثم سأله هل سلموا أنفسهم قبل قصف القرية بالأسلحة الكيماوية أم بعد ذلك؟.

فقال المشتكي إن إنهم سلموا أنفسهم بعد قصفها بالأسلحة الكيماوية.

ثم بدأ الدفاع باستجواب المشتكي وكان سؤاله عما إذا كانت القرية ضمن المنطقة المحرمة أم لا؟.

فقال المشتكي إنه لا يدري ذلك.

فقال محامي الدفاع إن نص الاعتراف السابق يفيد بأنه قال إن قريته تقع ضمن المنطقة المحرمة ما يعد تناقضاً في أقواله.

وحول القصف بالطائرات سأل محامي الدفاع المشتكي إن القصف تم قبل الشروق أم بعده؟.

فرد عليه القاضي بأنه بعد الشروق بقليل وأن الشروق لم يكتمل حينها حيث أشعة الشمس كانت تسقط على الطائرات فيما القرية كان الظلام يخيم على القرية.

بتسجيلها واعتمادها ورد المتهم الدوري بأن الاستخبارات كان دورها جمع المعلومات مشيراً إلى أن الوثيقة تعتمد على استقصاء المعلومات التي تم جمعها من التنصت على الاتصالات بين البشمركة والإيرانيين.

لوحظ خلال الجلسة الهدوء التام على صدام حسين.

ومن ثم استدعى القاضي محمد العريبي الخليفة المشتكي الثاني في جلسة اليوم حسين عبد الله مصطفى وهو احد عناصر البشمركة وبعد التعرف عليه وعلى هويته ومهنته وقسم اليمين بدأ المشتكي بالإدلاء بإفادته حيث قال: إن قريته التي كان يقطنها تعرضت للقصف بالكيماوي من قبل القوات العراقية وأنه هرب إلى منطقة الحدود مع تركيا.

تابع المشتكي الثاني: إن الحرب العراقية الإيرانية انتهت في ١٩٨٨/٨/٨ وبعدها قامت الحكومة العراقية بشن هجوم واسع النطاق على المنطقة التي يقيم فيها من محورين.

وقال المشتكي: إنه في ٢٣ أغسطس/آب ١٩٨٨ وصلتهم أنباء بأن قوة كبيرة ستقوم بالسيطرة على شمال وجنوب المنطقة التي يتواجدون فيها والتي تتكون من أربع قرى.

وأوضح المشتكي: أن عدداً من أهالي القرى توجهوا نحو الحدود التركية هرباً من الجيش العراقي الذي سيطر على منطقتين مجاورتين فيما بقي الآخرون في تلك القرى.

وفي اليوم التالي حاولوا العبور إلى الحدود التركية وعندما بلغوا منتصف الطريق لم يتمكنوا من ذلك فعادوا ليلاً إلى قريتهم.

أضاف المشتكي: إنه في الساعة الخامسة من صباح ١٩٨٨/٨/٢٥ خرج أهالي القرية مرة أخرى وتوجهوا إلى كهف يبعد عن القرية مسافة كيلومترين وفيما بعد عادوا إلى القرية للحصول على بعض المواد الغذائية بنية الرحيل مرة أخرى.

وتابع المشتكي: أنه عندما اقتربوا من القرية حلقت طائرات حربية بين الساعة السادسة والسابعة صباحاً وقامت بقصف المنطقة بين القرى الأربع وأطلقت ٤-٥ صواريخ.

وقال المشتكي: إنه بعد النظر إلى منطقة القصف شاهدوا سحب من الدخان الأصفر يعلو فوق المنطقة وأصبح الجو معبقاً بذلك الدخان.

وأشار إلى أنه بعد ذلك أصيب البعض بحرقة في العين فعلموا أنهم تعرضوا لقصف كيماوي وأنه كان بالقرب منهم جدول ماء فتوجهوا إليه وقاموا برش أنفسهم بالماء.

وتابع المشتكي: إنهم اضطروا بعد ذلك بساعة للتوجه إلى القرية للتزود بالمؤن وهناك شاهد رجلاً من أهالي القرية وأن عيناه كانت تدمعان وتسيل من أنفه سوائل وأن إصابته كانت خطيرة.

وأوضح المشتكي: أن الرجل قال له أن هناك ثلاثة أشخاص مصابين في أحد المنازل وأنهم أخذوهم إلى منطقة الكهوف لمساعدتهم وعلموا لاحقاً بفقدان ثلاثة أشخاص آخرين فعثروا عليهم قتلى وأن زوجة أحدهم كانت على مبعدة منهم وأن جثثهم كانت متفحمة وأنهم بقوا على حالتهم التي سقطوا فيها ونقلوهم إلى المقبرة لدفنهم.

وأشار المشتكي: إلى أنهم توزعوا لاحقاً في مناطق مختلفة هرباً، مشيراً إلى أنه توجه شرقاً حيث بلغ الحدود مع تركيا بعد ٢٤ ساعة رغم أنها تبعد عنهم حوالي أربع ساعات على الأكثر.

وتابع المشتكي: أنهم شاهدوا قريتهم والقرى المجاورة تحترق بعد مغادرتها بالعين المجردة.

وأشار إلى أن السلطات التركية قامت بنقلهم إلى مناطق داخل الأراضي التركية حيث توفي فيها عدد من المصابين بإصابات بالغة.

وأوضح المشتكي: أنه عاد إلى قريته عام ١٩٩٢ وأن منازل القرى والبساتين قد دمرت وفقدت المواشي وأن جزءاً من القرية لم يتم بناؤه حتى الآن.

أكد المشتكي: إن في كل منطقة سقطت حوالي أربعة صواريخ لا تزال أجزاء بعضها موجودة حتى الآن.

وقدم شكواه ضد صدام حسين والمتهم علي حسن المجيد وجميع أعوانهم لاستخدامهم السلاح المحرم دوليا ضد من لا ذنب لهم.

ثم عدد المشتكي بعض من فقدهم من أقاربه ومعارفه خلال تلك العملية.

وبعد ذلك بدأ وكيل المدعي بالحق الشخصي باستجواب المشتكي وسأل عما إذا تم تسجيل أسماء اللاجئين لدى الهيئات أو المنظمات الدولية آنذاك؟

فأشار المشتكي: إلى أن هذه المنظمات وصلت إلى المنطقة ولكن متأخرين وأنهم سجلوا أسماءهم.

قام صدام بمداخلة أما المحكمة حيث أشار فيها إلى أن المسيحيين في المنطقة ليسوا كورداً لكنهم اختاروا أن يكونوا كورداً فيما يعتبر اليزيديين أنفسهم من العرب وأن من الكورد عشائر عربية أصبحوا كورداً باختيارهم وهذا يعني أننا شعب واحد.

قال صدام في مداخلته أمام المحكمة: إن القومية تكون على أساس نوع الانتماء وليس الأصول وان الايزيديين بعضهم كوردي وبعضهم عربي وكذلك الكلدانيين هم مؤسسو الدولة الأشورية في العراق ومنهم العرب ومنهم الكورد وهذا يثبت إن كلا القوميتين أصيلة في العراق وتنتمي إلى أنساب واحدة منذ ألاف السنين".

وبعد ذلك قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة الجنائية العليا رفع جلسة للاستراحة لمدة نصف ساعة.

وبعد فترة الاستراحة استدعى رئيس المحكمة المشتكية الثالثة في جلسة اليوم وهي آسية برياك حيث قالت أنها فقدت زوجها وابنها خلال قصف الطائرات العراقية لقريتها مما اضطر السكان إلى الهرب إلى تركيا لكنهم لم يستطيعوا في البداية فعادوا إلى كهوف قريبة.

وأضافت المشتكية: لكن القصف تكرر مما دعاهم إلى التوجه إلى تركيا مرة أخرى لكن القوات العراقية أخذت الرجال الذين فصلتهم عن النساء والأطفال.

وظلوا في معسكر للاعتقال إلى حين صدر عفو حكومي لكن زوجها وابنها مازالا مفقودين لحد الآن.

وقدمت المشتكية الثالثة في جلسة اليوم شكواها ضد المتهم صدام والمتهم علي حسن المجيد وطالبت بتعويض للأضرار التي لحقت بها.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة استدعاء المشتكي الرابع في جلسة اليوم وهو سليم حسن سليم وهو من مواليد ١٩٦٦ ويسكن مدينة عمادية وكان عضواً في

قوات البشمركة حيث قال: إن الطائرات العراقية والمدفعية قصفت قريته التي هرب سكانها إلى إيران وتركيا.

وأضاف المشتكي: انه نجح في الوصول إلى تركيا مع أفراد آخرين من البشمركة لكنه تم الطلب من السلطات التركية نقلهم إلى إيران التي دخلوها فعلاً وبقوا فيها حتى عام ١٩٩١.

وتابع المشتكي: وحين عودته سال عن أفراد عائلته فابلغ أنهم اخذوا مع آخرين إلى منطقة بحركة وقالوا له إن أشقائه وأبناء أعمامه قد اختفوا منذ قصف قريتهم وهروب السكان ولا يعرف شيء عنهم لحد الآن.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة الجنائية العليا التي تنظر في قضية الأنفال تأجيل الجلسة إلى يوم ٢٧/ ١١.

تفاصيل الجلسة الـ٢٣ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٢٧

في بداية الجلسة قال محامي الدفاع بديع عارف إن الأمريكيين يتدخلون في المحاكمة، مشيراً إلى أن الحكم الذي سيصدر في المحاكمة جاهز مسبقاً.

فيما أجابه رئيس المحكمة قائلا: لا تحاول أن تستفز المحكمة والمحكمة لا تسمح لأي شخص بالتحدث بالنيابة عنها.

محامي الدفاع يطلب من رئيس المحكمة التدخل لوقف بعض المضايقات التي يتعرض لها من جانب سلطات المطار لدى خروجه وعودته من المطار.

رئيس المحكمة يقول إن المحكمة مسئولة عما يحدث داخل قاعة المحكمة.

المتهم علي حسن المجيد (علي الكيماوي) يشتكي لرئيس المحكمة من تقصير في تزويد المتهمين بإفادات بعض المشتكين أمام قاضي التحقيق.

رئيس المحكمة يقول إنه لم يتلق هذه الإفادات وكذلك هيئة الإدعاء، وأن الوسيلة المتاحة هي تدوين أقوال المشتكين ومناقشتهم.

المتهم صابر الدوري يطلب من القاضي منحه فترة ثانية للاتصال بشهود الدفاع، وينتقد الشهود الذين يتخوفون من الحضور للمحكمة خشية اعتقالهم.

ومن ثم بدأت المحكمة في الاستماع للمشتكي الأول في جلسة اليوم تيمور عبد

الله أحمد من مواليد ١٩٧٦ ويقطن في واشنطن بالولايات المتحدة وهو من منطقة كلار في إقليم كردستان ولم تعلن هيئة المحكمة عن اسمه حيث بدأ المشتكي بالإدلاء بإفادته قائلاً: في عام ١٩٨٨ تلقينا أنباء تفيد بحشد القوات العراقية بالقرب من قريتنا. وقام وجهاء قريتنا بالاتفاق على الاستسلام للقوات العراقية دون التعرض لأذى. فقامت قوات عسكرية بإطلاق اطلاقات تحذيرية على القرية. وانتقلنا إلى قرية أخرى لمدة ثلاثة أيام، وقررنا بعدها العودة إلى قريتنا الأصلية لجلب بعض الحاجيات. ونصب الأهالي رايات بيضاء أعلى أسطح المنازل لإيصال رسالة السلام والاستسلام إلى قوات الجيش العراقي.

وأضاف المشتكي: بعد عدة أيام هاجمت قطاعات من الجيش العراقي قريتنا. واحتجز الجيش العديد من سكان القرى الكردية في المنطقة. وبعد احتجاز دام أكثر من ٣٠ يوماً تم ترحلينا في سيارات مغلقة وأثناء الرحلة توفيت فتاتان بسبب عدم وجود نوافذ ورداءة التهوية.

وواصل المشتكي إفادته قائلا: أن نيران الجيش العراقي انهمرت علينا كالمطر مما دفعني وعائلتي المكونة من والدي عبد الله أحمد ووالدتي سارة محمد محمود وشقيقاتي الثلاث: كيلاس وسنور ولاولاو وخالتي معصومة وأولادها: فاطمة حسين وسردار وشمال وكمال وحبسة إلى الدخول بسرعة في إحدى الحفر القريبة منا.

ومضى الشاهد قائلا: كنت أرى ما يحدث داخل الحفرة حيث كانت هناك امرأة حامل وكان قوات الجيش يطلقون النار على رأسها والتي خرجت منها الدماء بغزارة. كما رأيت شقيقتي (لاولاو) وهي تصاب في معصمها والدماء تنزف منها وشاهدت والدتي عند إصابتها في رأسها وقد قطعت الشال الذي كانت تلبسه لإيقاف نزف الدم وكذلك والدي الذي أصيب بجراح مختلفة في جسمه وقد توفوا جميعا من تأثير النيران التي تعرضوا لها.

وتابع المشتكي: دفعني جندي عراقي إلى داخل حفرة وتظاهرت بالموت ولم أحاول الخروج. وشاهدت إصابة شقيقتي بطلقة في معصمها وسالت الدماء منها. كما أصيبت شقيقة أخرى لي عمرها ثلاث سنوات بطلقة في خدها. واستمر إطلاق النار لفترة ثم توقف بعد ذلك. وكنت أتظاهر بالموت داخل بحر من الدم.

وأضاف المشتكي: حاولت بعد ذلك الخروج من الحفرة. ولكن واجهت مشقة

بسبب وجود الكثير من الجثث. واضطررت للبقاء في الداخل. وكان ارتفاع الحفرة أقل من متر وعرضها بعرض الحفار.

وتابع المشتكي: شاهدت سيارة لاندكروزر تدور حول الحفر للتأكد من عدم نجاة أي شخص. و كنت أنتقل من حفرة إلى أخرى هربا من تلك السيارة. وفي الحفرة الأخيرة فقدت الوعي. وعندما استعدته وجدت الحفر كلها مردومة بالتراب وليس بها أحد.

وأضاف المشتكي: كنت مجروحاً وواصلت المشي ليلاً بعد أن شاهدت أمامي خيمة وهاجمتني كلاب. وعند وصولي للخيمة خرج صاحب الخيمة وكان عربياً وتحدث إلي ولم أفهم.

وأخبرت الرجل أنني طفل قتل الجيش العراقي والدي ووالدتي وشقيقاتي. وكان الرجل يعرف شيئا من اللغة الكردية نتيجة إقامته لفترة في الموصل. فأخذني الرجل للخيمة وخلع ملابسي الكردية وأحرقها ثم أعطاني لباساً عربياً.

وأضاف المشتكي: أخذوني إلى قرية عربية مجاورة للعلاج من جروحي. ثم نقلوني إلى مدينة لا أرغب بذكرها وبقيت هناك ما يقرب من عامين ونصف. ومن ثم طلبت منهم أن أعود إلى قريتي الكردية حيث يوجد عدد من أقربائي. وجاء اثنان من أعمامي وأخذاني إلى كردستان.

وتابع المشتكي: تصادفت عودتي إلى كردستان مع انسحاب القوات العراقية من الكويت. علمت الاستخبارات العراقية بعودتي وأرادوا تصفيتي. وقام أحد أعمامي بنقلي إلى إحدى القرى المدمرة. وبقيت هناك حتى بداية الانتفاضة عام ١٩٩١. وبعدها عدت إلى منزل عمي في مجمع للسكان الكورد.

وأضاف المشتكي: أقدم الشكوى ضد المتهم صدام والمتهم علي حسن المجيد وكل من ساهم في عملية الأنفال. وأطلب التعويض عن الأضرار المادية والمعنوية، ولكن هذا لن يعوض إصبعا واحدا من والدي.

محامي الدفاع يدفع بأن المشتكي لم يمثل بعد أمام قاضي التحقيق قبل الإدلاء بإفادته أمام المحكمة.

رئيس المحكمة يقول إن المشتكي جاء مباشرة للمحكمة دون أن يتم التحقيق معه.

محامي الدفاع يستجوب المشتكي حول تفاصيل إفادته فيما يتعلق بتفاصيل أشكال الحفر.

المشتكي: كانت الحفر طويلة وطول كل منها حوالي مترين ونصف وعرضها بعرض سكين الحفار.

محامي الدفاع يشكك بقدرة المشتكي على الانتقال من حفرة إلى أخرى في ظل إصابة بكتفه.

المشتكي: إن إطلاق النار على السكان الكورد تم في منطقة عربية. وأعتقد أنها تقع بالقرب من الحدود السعودية.

محامي الدفاع يسأل المشتكي عن كيفية معرفته بمصرع والده في ظل فصله مع النساء بعيداً عن الرجال والمشتكي يرد بأن والده لا يزال مفقودا حتى الآن.

رئيس المحكمة يقول للمشتكي إنه ذكر واقعة مصرع والده. والمشتكي ينفي.

محامي الدفاع يواصل التشكيك في شهادة المشتكي مستشهدا بأقوال متناقضة.

المشتكي: إطلاق النار على النساء والأطفال كان تنفيذا لأوامر صادرة من سلطات عليا حتى أنني رأيت الدموع في عيني أحد الجنود الذين قاموا بإطلاق النار.

المتهم علي حسن المجيد يستجوب المشتكي حول الفترات الزمنية المحددة التي قضاها أثناء تنقلاته في مواقع مختلفة خلال رحلة هروبه.

المشتكي: كنت منشغلا بالاستخفاء من الاستخبارات العراقية بالتعاون مع ابن عمي الذي كان يجلب الطعام لي.

المتهم يشكك في أقوال المشتكي ولا سيما في قدرته على فك وثاقه قبل دفعه إلى داخل الحفرة مع آخرين والبدء في إطلاق النار عليهم.

ومن ثم قرر رئيس المحكمة رفع الجلسة للاستراحة لمدة ساعة ونصف.

ومن ثم استأنفت المحكمة الاستماع إلى المشتكين حيث طلب رئيس المحكمة من المشتكي الثاني في جلسة اليوم الـ٢٣ المثول أمام المحكمة والإدلاء بإفادته وهو من مواليد ١٩٦٩ وعضو من أعضاء قوات البشمركة.

حيث بدأ المشتكي بإفادته قائلاً: في عام ١٩٨٨ بتاريخ ٨ أغسطس/آب بعد شهرين ونصف من المعارك مع الجيش العراقي وكنت مصاباً جراء الاشتراك في معارك

مع الجيش في الشهر السابق (٧/٢٤) قامت الحكومة بسحب قواتها من الجنوب لدعم قواتها في الشمال لذلك لم أتمكن من المشاركة في تلك المعارك.

وتابع المشتكي: صدرت أوامر من قيادة البشمركة بسحب القوات من تلك المنطقة إثر معارك شديدة بسبب عدم التكافؤ ولم أتمكن من الانسحاب معهم بسبب الإصابة فبقيت مع بعض الأشخاص.

وأضاف المشتكي: بسبب سوء الأوضاع قررنا التوجه لمنازل أقاربنا أو معارفنا فتوجهت إلى منزل أحد أقاربي وأوصلت إلى أهلي خبراً عن مكان وجودي. فاقترح أهلي بأن يقوموا بطلب المساعدة من أحد الأشخاص للاختباء لكنه أعلمهم بأن أقوم بتسليم نفسي بسبب صدور عفو على أن أحتجز لمدة يومين ثم يطلق سراحي لاحقاً حيث قام بتسليمي لدائرة الأمن وذلك في ١٥ أغسطس/آب ١٩٨٨ وكنت أبلغ من العمر١٩ عاماً. وهناك أخذوا اسمي وعمري وعنواني وقام أحدهم باستجوابي ثم نقلوني في اليوم نفسه إلى دائرة الأمن في أربيل.

وأضاف المشتكي: وهناك انتظرت انقضاء اليومين ليأتي الشخص الذي وعدني ويخرجني ولكنني بقيت لأسبوع وفقدت الأمل بمجيء ذلك الشخص حيث بقيت لغاية ١٩٨٨/٨/٣٠ حيث أجروا تعداداً لنا حتى بلغ عددنا ٩٧ معتقلاً ونقلونا بسيارات نقل إلى كركوك وكنا كلنا من الكورد والمشرفين علينا كانوا من المغاوير والحرس الخاص. تعرضنا للتعذيب ولكنه لم يكن شديداً.

القاضي يطلب الورقة الموجودة أمام المشتكي حيث كان يقرأ منها ما قال إنه رؤوس أقلام حول الشهادة للاطلاع عليها وأرسلها لمحامي الدفاع الذي وافق عليها.

وتابع المشتكي: في كركوك وصلنا إلى منطقة قريبة توقفت السيارة قرب مبنى كتب عليه دائرة الشؤون الشمالية وهناك كان قاعتين كبيرتين ضمت الأولى عدداً من النساء والأطفال ووضعونا في القاعة الثانية. في هذه الدائرة كان التعذيب الذي تعرضنا له خلال الأيام الثلاثة الأولى شديداً ومن أصناف التعذيب السير حفاة على أرضية غرفة مليئة بالزجاج المكسور وكذلك ربطنا فوق مصطبة ويسكبون علينا من كيس ماء بارداً على جبيننا. كذلك تعرضنا لنوع آخر من التعذيب البقاء في دورات المياه لثلاث ثوان حيث كان الحارس يعد إلى الرقم ثلاثة ثم يخرجوننا والشخص الذي يتأخر بعد العد

كان يتعرض للضرب الشديد بحيث أنه لا يقوى على السير بعدها. أصبحنا نخشى الأكل والشرب حتى لا نتوجه إلى دورات المياه خشية التأخر والتعرض للضرب.

وتابع المشتكي: كنت أتعرض للضرب بسبب الذهاب إلى دورة المياه لأنني كنت أتأخر فيه وكنت مضطراً لذلك لأنني لم أكن استطيع البقاء من دون طعام. ومن أصناف التعذيب الأخرى تعذيب نفسي أنهم فتحوا باب القاعة حيث كان ثلاثة أشخاص معلقين في سقف الغرفة وكانت اسطوانات غاز قد ربطت بأعضائهم الجنسية وهذا حدث مرة واحدة فقط فيما استمرت عمليات التعذيب الأخرى أكثر من مرة.

وأضاف المشتكي: من حالات التعذيب الأخرى أنهم عندما كانوا يفتحون باب القاعة كانوا يجبروننا على ضرب بعضنا البعض بعد إجبارنا على الوقوف. في أحد الأيام أحضروا ثلاثة من قوات البشمركة وكانوا ينادونهم بأسماء مستعارة عليهم وعندما لا يردون عليهم عند مناداتهم بتلك الأسماء كانوا ينهالون عليهم بالضرب.

وقدم المشتكي قائمة بأسماء عدد من المعتقلين الذين كانوا معه في تلك الفترة وأسماء أفراد قوات البشمركة الثلاثة.

وتابع المشتكي: استمر حالنا لغاية ٦/ ٩/ ١٩٨٨ حيث علمنا بصدور قرار بالعفو العام وقاموا بعدها بإخلاء القاعة التي تضم النساء والأطفال. وكان هناك حارس لم يشارك في تعذيبنا ولكنه لم يكن مسئولا أو قادراً على تقديم المساعدة لنا رغم كونه عطوفاً ورحيماً معنا. وبعد ذلك بقينا لمدة خمسة أيام وسألنا الحارس عن العفو لكنه كان يجيب بأنه لا يعلم شيئاً وعاد التعذيب مرة أخرى الذي استمر لغاية ١٤/ ٩/ ١٩٨٨.

وأضاف المشتكي: بعد ذلك قاموا بقراءة أسماءنا حيث أخرجونا من القاعة بعد أن وصل عدد المعتقلين إلى ١٨٠ شخصاً أخرجونا للخارج وكانت ست سيارات بانتظارنا وقاموا بتوزيعنا على تلك السيارات وقاموا بتقييدنا وتغطية عيوننا. وتم إبلاغنا بأننا سنتجه إلى بغداد ولكن بعد خمس دقائق تقريباً انعطفت السيارات يساراً ثم انحرفت عن الطريق العام إلى طريق ترابي.

وبعدها علمنا أننا لا نتجه إلى بغداد وإنما لنلقى حتفنا وبعدها تمكنت من حل وثاق يدي ورفعت العصبة عن عيني لأعرف ما يجري حولي.

وتابع المشتكي: بعدها حاولت إقناع المعتقلين بأن أحل وثاقهم ومهاجمة

الحارس وأخذ السلاح منه حتى نتمكن من مواجهة الموت بصورة أفضل مما كان ينتظرنا. ورغم محاولاتي الكثيرة لم أنجح بإقناعهم.

بعدها توقفت السيارات وفتحوا الباب الخلفي لها وقاموا بإنزال ثلاثة من كل جانب من السيارة وأقدر أن الوقت استغرق ما بين ٣٠ إلى ٤٥ دقيقة بعد انطلاق السيارات.

وأضاف المشتكي: أذكر أنني كنت سابع شخص تم إنزاله من الباب الخلفي للسيارة قام المشتكي برسم السيارة وأبوابها وقدمها للقاضي.

وأردف المشتكي: وعندما اكتشفوا أنني تمكنت من حل وثاقي ضربوني ضرباً شديداً. بعدها جاء شخص وأمر الحرس بأن يتركوني وأخذني إلى جهة بعيدة عن السيارة وأمرني بالجلوس حيث كانت أمامي حفرة طويلة. وعندما كنت أنظر إلى الحفرة أحسست بأنني تعرضت للضرب بأداة قوية وسقطت بالحفرة وغبت عن الوعي بعد قليل حيث تلمست وجه أحد الأشخاص كان الظلام حينها قد حل.

وتابع المشتكي: بعد عودة الوعي كان التراب ينهال علينا حيث كان الجزء السفلي من جسمي مغطى بالتراب وتمكنت من تحرير نفسي مستغلاً الظلام واتجهت إلى الطرف الآخر من الحفرة ورفعت نفسي وخرجت منها وانتظرت قليلاً وعندما أيقنت أن الحراس لم يشاهدونني تدحرجت بعيداً عن الحفرة.

القاضي يسأل المشتكي عن الأشخاص الموجودين في الحفرة وما إذا كانوا قد تعرضوا لإطلاق النار.

أجاب المشتكي: لم أسمع صوت إطلاق عيارات نارية ولكن من الواضح أنهم تعرضوا لما تعرضت له أي الضرب والسقوط داخل الحفرة.

القاضي يسأل عن عمق الحفرة وحجمها التقريبي.

المشتكي الثاني: تقريبا كان عمقها بين متر ونصف ومترين وطولها بين ١٥-٢٠ متراً أما عرضها فبين متر و١,٢٥ متراً.

وبعد ذلك سمعت أصوت صليات نارية اعتقدت أنها كانت باتجاهي.

قال الشاهد إن أعمار المعتقلين كانت متفاوتة بين الصغير والكبير أنه لم يكن هناك

فرق في العامل مع المعتقلين وفقاً لأعمارهم وأنه كان هناك شخص متخلف عقلياً وكان يعامل بالطريقة نفسها ولم يكن يتلقى أي معاملة أو رعاية طبية.

وقال المشتكي إنه كان يعرفه لأنهما من المنطقة نفسها.

شوهد المتهم صدام وهو يسجل ملاحظاته خلال جلسة المحكمة.

وأضاف المشتكي إنه واصل الهرب حتى وصل طريقاً معبداً لا يعرف إلى أين يتجه وظل ينتظر إلى حين مرور سيارة تنقله إلى مكان آخر.

وأردف المشتكي: أوقفت السيارة عن طريق الوقوف في منتصف الطريق ورأيت أن السائق كان يرتدي الملابس العسكرية فخفت خوفاً شديداً. وتقدمت نحوها وتحدث السائق معي باللغة الكردية فارتحت قليلاً وسألني عما أفعله في المنطقة. وأبلغته بما حدث ورأيت أن شخصاً آخرا كان مع السائق كان يبكي أثناء ذلك فقال الشخص إنه سيأخذني إلى منزل قرب كركوك.

وتابع المشتكي: عندما وصلنا إلى بيتهم قدموا لي الطعام ونقلوني في اليوم التالي إلى منطقة أخرى. وبعد أن أوصلني هناك قال لي إنه لا يستطيع أن يأخذني إلى أبعد من ذلك وأعطاني خمسة دنانير عراقية رغم حالته المادية الضعيفة. وفي ١٩٨٨/٩/٢٣ تمكنت من التوجه إلى أربيل حيث اتصلت بأهلي ثم ذهبت إلى مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني في جبال كردستان في محافظة السليمانية. وهناك قدموا لي المساعدة وتمكنوا من نقلي إلى منطقة الحدود.

محامي الادعاء يستجوب المشتكي حول كيفية نقل المعتقلين المائة والثمانين وهل دفنوا أحياء جميعاً أم بقي قسم منهم في القاعة؟

المشتكي: بسبب العصابة على العين لم أتمكن من رؤية بقية السيارات وعدد من نقل فيها حيث تمت قراءة الأسماء كلها وبعد نقلي إلى السيارة وبقيت فيها قرابة ٢٠ دقيقة.

محامي الادعاء يسأل ما إذا كان المشتكي يطالب بالتعويض أم لا؟ وخلال مسيرته في الاعتقال هل تم التحقيق معه وتحويله إلى محاكمة أم لا؟

المشتكي: كلا لم يحدث ذلك باستثناء ما سأله العريف الأمني كما ذكرت.

محامي الدفاع يسأل المشتكي عن وضعه.

المشتكي: كنت مقاتلاً عادياً.

محامي الدفاع يسأل عن موقع القتال بين قوات البشمركة والجيش العراقي والذي استمر لمدة شهرين ونصف؟.

المشتكي: في مناطق كوردية تابعة لمحافظة أربيل.

محامي الدفاع يسأل عن أسباب المعارك بين الجانبين؟.

محامي الادعاء يعترض على أسئلة محامي الدفاع مشيراً إلى أن الشهادة تدور على وجود مقبرة للأحياء.

محامي الدفاع يسأل المشتكي عن تحركات الجيش وكيفية معرفته بنقل قطاعات من الجيش من الجنوب إلى الشمال؟.

المشتكي: القوات الموجودة في الشمال لم يكن بإمكانها التغلب على قوات البشمركة فجاءت قوات مساندة.

القاضي يوضح السؤال للمشتكي مرة أخرى.

المشتكي: نحن كنا مقاتلين في صفوف البشمركة ولكننا كنا نسمع من التنظيمات الداخلية.

المحامي بديع عارف عزت يطالب بتثبيت ملاحظات المدعي العام حول أسئلة محامي الدفاع السابق.

المحامي بديع يسأل عن مساحة القاعة التي اعتقل فيها الرجال؟.

المشتكي: طول القاعة كان بين ٢٥-٣٠ متراً وعرضها ٦-٨ أمتار.

المحامي يسأل عن التعذيب وما إذا كان يتم في قاعة أخرى؟.

المشتكي: التعذيب المتعلق بالسير على الزجاج كان يتم في غرفة وبعض التعذيب خارج القاعة والبعض الآخر داخل القاعة.

محامي الدفاع يسأل عن كيفية معرفة المشتكي بتعليق بعض المعتقلين خارج القاعة وكيفية تعليق اسطوانات الغاز في أعضائهم البشرية!

محامي الدفاع يجادل بإفادة المشتكي الأخير ويقارنها بإفادة مشتكي سابق ثم يجادل حول نقطة تطرق إليها المشتكي عندما سقط في الحفرة.

القاضي يقول للمحامي بديع "أستاذ بديع أعتقد أن لديك خيال واسع.

المشتكي: لم أتعرف على الشخص الذي لمسته عند سقوطي في الحفرة.

المحامي بديع يسأل عن قطرات الماء البارد التي تساقطت على جباه المعتقلين أثناء تعذيبهم.

المحامي يسأل عدد المعتقلين الذين تمكنوا من الهرب من الحفرة بحسب معلوماته.

المشتكي: كنا ١٧٩ شخصاً وعندما تم إنزالنا من السيارة لا أعرف أين توجهوا بقية المعتقلين لكنني الشخص الوحيد الذي نجا.

المحامي يسأل المشتكي عن علاقته بالحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني.

المشتكي: الرابط الذي كان يربطنا هو أننا كورد.

محامي الدفاع عن مبنى "منظمة الشؤون الشمالية" وكيفية معرفته بهذا الاسم.

المشتكي: قرأت هذه العبارة مكتوبة بالعربية خارج البناية.

تميزت أسئلة محامي الدفاع بالابتعاد عن فحوى إفادة المشتكي الذي قال إن المعتقلين تعرضوا لمحاولة دفنهم أحياء.

أحد محامي الدفاع يسأل المشتكي عن عدد أفراد الفصيل الذي كان بضمنه.

المحامي نفسه يسأل عن وجود أحزاب أخرى تقاتل إلى جانب قوات البشمركة.

ثم سأل عن أسماء هذه الأحزاب وما إذا كان حزب الدعوة بضمنها ومدى شدة المعارك بين البشمركة والجيش العراقي.

محامي الدفاع يسأل عن كيفية قدرة قوات البشمركة على الصمود في وجه القوات العراقية وأنواع الأسلحة التي كانوا يستخدمونها ومصادر تسليحهم.

القاضي انتقد أسئلة أحد محامي الدفاع مطالباً إياه بالتركيز على موضوع الشكوى، مشيراً إلى أن ذلك يعد متاهات وتضليلا للمحكمة.

المحامي يحاول أن يدافع عن وجهة نظره لكن القاضي يصر على أن ذلك يجر المحاكمة لمتاهات بعيداً عن مجريات المحاكمة.

محامي الدفاع يسأل عن وجود أسرى من الجيش العراقي لدى قوات البشمركة.

المشتكي يقول إنه لم يكن لديهم أسرى مشيراً إلى أنهم كانوا يطلقون سراح الجنود العراقيين بعد القبض عليهم وكانوا يتحدثون معهم ويحاورونهم.

محامي الدفاع يطالب بتثبيت نقطة حول أن المشتكي لا يعرف اللغة العربية.

المتهم علي حسن المجيد يناقش المشتكي و يسأله عن مكان العلاج من الإصابة التي تعرض لها.

المشتكي يقول إنه لم يعالج.

المتهم علي حسن المجيد يسأل عن مكان إصابته ثم يسأله عن كيفية معرفته للمغاوير والحرس الخاص.

المشتكي يقول إنهم كانوا يعرفون ذلك من لباسهم وزيهم العسكري وهم كانوا مخصصين لحراسة المعتقلين.

وبعد أخذ ورد بين القاضي ومحامي الدفاع حول أوراق ووثائق وإفادات المشتكين، كما رفض القاضي تزويد الدفاع بمحاضر الجلسات كافة.

وقد تم قطع الصوت خلال جلسة المحكمة عدة مرات. ولم يتم ذكر اسم المشتكي الثاني داخل المحكمة.

واتهم المشتكي الثاني خلال جلسة اليوم للمحكمة قوات الجيش العراقي بمحاولة اغتياله وقال انه نجا من الموت على أيدي قوات الجيش بعد أن تم وضعه في حفرة هو وستة من المقاتلين الآخرين.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة الجنائية العراقية العليا رفع جلسة المحكمة إلى يوم غد الثلاثاء للاستماع إلى إفادات مشتكين آخرين في قضية الأنفال.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٤ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٢٨

تعد جلسة الثلاثاء، الثالثة المتعلقة بالقضية، عقب صدور حكم الإعدام على صدام في قضية الدجيل في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٦ .

بدأت الجلسة بمناداة القاضي على المتهمين بالاسم للدخول إلى القاعة.

- محامي الدفاع الأصلي يطلب مغادرة الوكلاء المنتدبين عن المتهمين من قبل المحكمة بسبب وجوده الوكلاء الأصليين.

- صابر الدوري يحتج على قيام الوسائل الإعلامية بتقديمه على أنه مسؤول عن

إبادة الأكراد في عملية الأنفال، قائلاً أن دوره السابق كان استخباري وليس تنفيذي، والمخابرات لا تقوم بتنفيذ أي أعمال عسكرية ويطلب من القاضي التدخل لإيقاف هذه الممارسات.

- القاضي يرد أن المحكمة ليست مسئولة عما تقوله وسائل الإعلام، ويضيف أن هناك ناطقا رسميا خاصا للمحكمة يدلي بوجهة نظره وهي مسئولة حصراً عما يصدر عنه.

- صابر الدوري: أنا أتمنى أن يكون هذا الاتهام هو رأي إعلامي وليس رأي المحكمة التي لم تستمع إلينا حتى الآن واكتفت بالاستماع إلى الشهود.

- تقدم من المحكمة شاهدا جديدا قال إنه من مواليد عام ١٩٧٢.

قال الشاهد، الذي كان ينتمي لقوات البشمركة آنذاك، إنه في الشهر الخامس من العام ١٩٨٨، قامت الطائرات العراقية بقصف مناطق كردستان، وأنه كان في منطقة باليسان قرب قرية ورغ.

- الشاهد يؤكد تعرض قريته للقصف بالأسلحة الكيماوية من الجو، نتج عنها وفاة ما يقارب ٣٠ شخصاً من القرية التي كان موجوداً فيها.

- القاضي يسأل الشاهد عن أسماء الذين قتلوا، فيجيبه بأنه غادر المنطقة بعد تعرضها للهجوم، ولم يعرف أسماء الذين قتلوا، حيث أنه كان في المنطقة للقيام بمهمة خاصة طلبتها منه قوات البشمركة.

الشاهد: في ٢٦ / ١١/ ١٩٨٨ تم اعتقالنا في قرية شيوارش، وقد عصبوا أعيننا وقادونا مع الجرحى إلى منطقة خابات، وهناك أنزلونا من السيارات وضربونا وقاموا بتسجيل أسمائنا.

- ثم تم نقلنا من قبل عناصر الأمن مرة أخرى إلى منطقة أنكاوا في أربيل وهناك قاموا بأخذ أحد رفاقنا الذي كان جريحاً.

- وبعد ذلك قاموا بالتحقيق معنا، وقد أخذوني إلى التحقيق وأنا موثق اليدين، ومعصوب العينين، وقد عذبوني بشدة، وكان لديهم بعض المعلومات وحققوا معي بشأنها.

- بعد الانتهاء من التحقيق معي أعادوني معصوب العينين، ولم أعرف الليل من النهار لأنني لم أرى الضوء، وقد منعونا من دخول المرحاض فبولنا على أنفسنا.

- ثم أخذونا إلى سجن أربيل حيث قاموا بضربنا فهربنا واختبأنا في غرف السجن الانفرادي وبقينا هناك حتى ٨/ ١٢/ ١٩٨٨.

- في سجن أربيل وجدت نفسي مع أربعة من رجال البشمركة الذين تعرفت عليهم، كما أحضروا إلى الغرفة رجلاً مسناً و(القاضي يأمر بقطع الصوت).

- بعد هذا التاريخ جاء عناصر الأمن، وشدوا وثاقنا، وأرغمونا على الصعود في سيارة تشبه الشاحنات الخفيفة، وأجلسونا على الأرض رغم وجود مقاعد خلفنا.

- بعد ذلك تحركت السيارة، وتوقفت في وسط المدينة، حيث تم إدخال سجناء إضافيين وشعرنا بعدها بالسيارة تخرج من المدينة.

- وسألهم أحد السجناء عن الوجهة التي نتجه إليها فقام الحراس بضربه، لقد كنا ذاهبين إلى الموت وممنوع علينا أن نقول أي شيء.

- حاولت أثناء سير السيارة أن أقوم بحل الوثاق عن معصمي، وفي هذا الوقت كانت السيارة قد انحرفت إلى طريق ترابي، حيث سارت لعشر دقائق، قبل أن تقف ويقوم الحراس بإنزالنا، حيث طلبوا منا بالجلوس وعدم التحرك بحجة أنهم سيصوروننا.

- لكنهم قاموا بإطلاق النار علينا من مسدساتهم، وقد أصبت في كتفي، ووقعت في حفرة، وخلع حذائي من قدمي.

- قمت بفك العصابة عن عيني وأنا داخل الحفرة، فوجدت مكاناً يشبه الأخدود داخل الحفرة فدخلت إليه.

- بعد ذلك قام عناصر الأمن بإطلاق النار على كل من كان في الحفرة.

- القاضي يسأل الشاهد حول هوية من أطلق النار عليه.

- الشاهد يرد أن الجهة التي قامت بإطلاق النار عليه هي من عناصر الأمن.

- بعد ذلك، قام عناصر الأمن بردم الحفرة على من كان داخلها.

- بعدها شعرت أنهم صعدوا إلى السيارة وغادروا، عندها فقدت الوعي، وعندما

استعدت الوعي، خرجت من الحفرة، ونظرت إلى الجثث، فوجدت بعضها فوق التراب، وبعضها الأخر تحته.

- بعد ذلك وجدت أنواراً من جهتين، أحدها كان قوياً كأنه لمدينة فتركته وذهبت إلى الضوء الأخر فوصلت إليه في الصباح وكان بيتاً لرجل عربي من قبيلة شمر.

- وقام الرجل بإطعامي وإعطائي ملابس، وقد أخبرته بما حدث لي، وسألته عن المنطقة، فأخبرني أنها منطقة الحضر.

- سألت الرجل عن إحدى الطرق التي رأيتها، فقال لي، إن هذا الطريق يتجه إلى الموصل والأخر إلى بغداد، وأنا أشكر هذا الرجل وأدعوه إلى الاتصال بي إذا تعرف عليّ من خلال المحكمة.

- بعد ذلك، تابع الشاهد، سرت في الحقول حتى وصلت إلى قرية مؤلفة من ثلاثة دور فبت في إحداها. وفي الصباح تابعت السير، فوصلت إلى قرية لن أفصح عن اسمها، وبقيت فيها ثلاثة أيام، عالجوا فيها جراحي.

- ثم ذهبت إلى منطقة بامرزا، حيث لجأت إلى عائلة تنتمي إلى الحزب الشيوعي، وبعدها وصلت إلى رجال البشمركة الذين أخرجوني في ١٢ / ١١ / ١٩٨٩ إلى إيران.

- بعد ذلك، بدأ الادعاء بسؤال الشاهد حول ما إذا كان المحققون وقت اعتقاله، على علم أنه من عناصر البشمركة.

- الشاهد يرد بالإيجاب موضحاً أنه قاوم الأمن لنصف يوم هو ورفاقه قبل القبض عليه وبالتالي هم يعرفون هويته.

- الادعاء يلفت نظر المحكمة أنه كان يجب معاملة الشاهد كأسير حرب.

- محامي الادعاء يطلب من الشاهد توضيح الأساليب التي تم استعمالها في تعذيبه.

- الشاهد يرد أنه كان هناك تعذيب كل ليلة، يقوم به رجال مختلفون، وكان الضرب بالعصا الكهربائية أحد أقسى وسائل التعذيب وكان استعمالها يدفعه للصراخ من شدة الألم.

- محامي الادعاء يسأل الشاهد ما إذا كان قد خضع لتحقيق من قبل جهات قضائية رسمية.

- الشاهد يرد بأنه كان معصوب العينين وغير قادر على رؤية المحقق.

- المحامي يسأل الشاهد مجدداً حول مصير المدنيين الذين تم سجنهم معهم، خاصة امرأة كانت مسجونة أيضاً.

- الشاهد يرد أنه لا يعرف مصيرهم لأنه غادر الغرفة لاحقاً.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد حول سبب وجوده في منطقة باليسان، طالباً منه التوضيح ما إذا كان هناك موقع للبشمركة في المنطقة.

- الشاهد يرد بنفي وجود قاعدة في المنطقة، مؤكداً أن سبب وجوده هناك كان مهمة معينة.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد حول طبيعة المعلومات التي أدلى بها في سجن أربيل.

- الشاهد يرد لقد انخرطت في البشمركة للقيام بواجباتي الوطنية، وكنا مكلفين بالانتقال إلى منطقة أخرى، وكانوا مهتمين بمعرفة وجهتنا الجديدة، وقد أجبرت على إعطاء المعلومات بسبب التهديد بتعذيبي بطرق لا أخلاقية.

- محامي الدفاع يسأل المتهم حول وجود تقرير طبي يؤكد أنه أصيب في كتفه.

- الشاهد يوضح أنه كان خائفاً من الذهاب إلى أي مستشفى، وقد اعتقلت السلطات أفراد عائلته الذكور، بينما فرّت والدته وأخواته إلى منازل أقاربهم، ولم يطلق سراح والده إلا بعد ستة أشهر، وأعطوه وثيقة وفاة باسمه (أي الشاهد)، وقالوا له، "لقد كان ولدك عميلاً لعائلة البرزاني،" وقد مزق والده الوثيقة بعد علمه أنه على قيد الحياة.

- محامي الدفاع يطالب الادعاء بتثبيت أن الشاهد لم يتعرض لتعذيب نفسي بالمعنى القانوني، كما يطلب منه عدم اعتبار الشاهد أسير حرب، لأن أسير الحرب يكون جنديا رسميا ينتمي إلى دولة.

- المحامي يسأل الشاهد كيف فر مع سائر السجناء إلى الغرف الانفرادية في السجن في ظل وجود تعداد يومي وحرّاس.

- الشاهد يشرح أن السجون الانفرادية كانت على جانبي ممر في داخل السجن، يمكن الوصول إليها بسهولة.

- الادعاء يرد على محامي الدفاع، أن صفة أسير حرب، تنطبق على الشاهد، لأن الميليشيات الكردية كانت منظمة ومسلحة، والقانون الدولي يلحظ وجود هذه المنظمات في الحروب الداخلية. كما يرد أن التعذيب النفسي حاصل بسبب التهديد بتعذيب الشاهد بطريقة مشينة.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد كيف عرف أن الطائرات التي ضربت منطقته عراقية.

- الشاهد يرد أن الطائرات كانت من طراز ميغ وسوخوي، وهي من الطائرات التي يستعملها الجيش العراقي.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد ما إذا كان لدى قوات البشمركة في ذلك الوقت أسرى عراقيين.

- الشاهد ينفي ذلك.

القاضي يطلب من محامي الدفاع تركيز أسئلتهم وحصرها في إفادة الشاهد، لا أن تطال الأسئلة معلومات عامة لم ترد في إفادته.

- محامي الدفاع يرد أن الشاهد عسكري مجرب، وعليه الإجابة عن الأسئلة المطروحة.

القاضي: أنت تسأل عن معلومات عسكرية بحته، مثل ارتفاع الطائرات العراقية، وعدد قوات البشمركة، وهذه أسئلة تساهم في إضاعة وقت المحكمة وفي إظهار الشاهد بمظهر العاجز.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد كيف عرف أنه في مدينة أربيل، وأن أعداداً إضافية صعدت إلى الشاحنة التي كان فيها أثناء نقله، إذا كان معصوب العينين.

- الشاهد: لأن السيارات لم تكن قد سارت بعد لمسافة طويلة، كما كنا نسمع أصوات الناس والزحام، ونتوقف عند الإشارات الضوئية، وعلمت بصعود أشخاص إلى السيارة من خلال أصواتهم.

- الشاهد يوجه كلامه إلى القاضي قائلاً إنه يعرف مكان المقبرة الجماعية، عارضاً على المحكمة إرشادها إلى المكان، ومساعدتها في الوصول إليه.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد عن السبب الذي دفعه عام ١٩٨٩ إلى الذهاب إلى إيران.

- الشاهد يشرح أنه كان كمن صدر في حقه حكم الإعدام، فلم يعد بإمكانه البقاء في العراق لذلك غادر إلى إيران.

القاضي يطالب محامي الدفاع بتركيز أسئلته وعدم إضاعة الوقت.

- محامي من هيئة الدفاع يعتبر كلام الادعاء عن كون البشمركة مجموعة مسلحة ومنظمة تحمل السلاح في وجه الجيش العراقي، مبرراً لضربها من قبل الجيش، لا عذراً لكي يعامل أسراها كأسرى حرب.

- المحامي يسأل الشاهد عن جنسيته الحالية وعن كيفية دخوله إلى الولايات المتحدة لاحقاً.

القاضي يعتبر السؤال غير منتج.

- الشاهد يطلب تحويله من شاهد إلى مدعي.

القاضي يرد أن أقواله الحالية سيتم تثبيتها كأقوال شاهد وأنه يمكنه الادعاء لاحقاً.

- محامي الدفاع يسأل مجموعة من الأسئلة حول الطبيعة العسكرية للبشمركة والقاضي يعتبرها غير منتجة ويرفض طرحها.

- محامي الدفاع يسأل الشاهد حول ما إذا كان يعتبر المتهمين في هذه القضية أعداء شخصيين له أو أعداء سياسيين.

- الشاهد يرد أنه لا يشعر بعداء شخصي نحو أي إنسان، لكنه يشعر بعداء نحو المتهمين بسبب مواقفهم من قضيته الوطنية.

- الادعاء يتدخل موجهاً كلامه إلى القاضي مطالباً بتدخله لوقف الأسئلة غير المنتجة، عن الطبيعة العسكرية، والهيكلية الإدارية للبشمركة، مطالباً بحصر الأسئلة في موضوع الشهادة الرئيسية، المتعلقة بالاعتقال والمقبرة الجماعية.

(جدل على نطاق واسع يدور بين محامي الدفاع من جهة وبين القاضي وهيئة الادعاء من جهة أخرى حول طبيعة الأسئلة المطروحة ومدى ملائمتها مع القضية)

القاضي يطالب محامي الدفاع سواء الأصليين أو المنتدبين بالالتزام بأسئلة محددة تكون ذات طبيعة قانونية مفيدة للقضية.

المتهم صابر الدوري يطالب الشاهد بالكشف عن أثار الرصاصة التي أصابت كتفه.

القاضي يرد بأن هناك لجنة طبية مختصة مخولة بالقيام بذلك قبل أن يطلب من الشاهد الكشف عن كتفه.

- الشاهد يكشف عن كتفه أمام القاضي وهيئة الدفاع فتظهر آثار جرح غائر.

القاضي يعرض على الدوري أن يعاد عرض الشاهد أمام لجنة طبية.

سلطان هاشم أحمد يطلب من المتهم توضيح هوية الجهة التي اعتقلته وما إذا كانت من الشرطة أو الجيش أو الأمن.

- الشاهد: لقد كانت مفرزة أمن.

سلطان هاشم أحمد: لديّ ملاحظات حول إفادة الشاهد حيث أن حملة الأنفال قد انتهت في شهر سبتمبر/أيلول، وبالتالي فإن كل ما رواه الشاهد تم بعد العملية.

علي حسن المجيد يطلب من الشاهد تحديد عدد مجموعة البشمركة التي اعتقل معها وهل كانوا مسلحين.

- الشاهد: كنت مع أربعة آخرين وكنا مسلحين وقد قاتلنا حتى نفذت ذخيرتنا.

علي حسن المجيد: لماذا لم يمتثل الشاهد لأوامر قيادة البشمركة بالانسحاب من المنطقة قبل هذا التاريخ.

- الشاهد: لم يصدر إلينا أي أمر بالانسحاب بل بالعكس أصدر إلينا مسعود البرزاني في ذلك الوقت أمراً بالبقاء في المنطقة.

علي حسن المجيد: يوجه كلامه إلى القاضي قائلاً إن أحد الشهود بالأمس قال إن قيادة البشمركة أعطت الأمر بالانسحاب، فهناك إذا تناقض.

- الشاهد يرد أنه ينتمي إلى مجموعة مغايرة للمجموعة التي ينتمي إليها شاهد الأمس، والتي تلقت أوامراً بالانسحاب.

علي حسن المجيد: يتساءل حول كيفية فرار الشاهد إلى إيران عبر الحدود، رغم وجود الجيش العراقي والجيش الإيراني على الحدود، رافضاً اعتبار الشاهد أسير حرب لأنه كان يعمل بشكل سري.

- القاضي محمد العريبي الخليفة يرفع الجلسة للاستراحة.

- معاودة انطلاق الجلسة الرابعة والعشرون لمحاكمة صدام حسين ومعاونيه في قضية الأنفال والقاضي محمد العريبي الخليفة ينادي على شاهد جديد.

- الشاهد أمريكي، وهو شاهد إثبات، ويدعى كلايد كولن سنو من مواليد ١٩٢٨ ويسكن في ولاية أوكلاهوما الأمريكية وهو عالم في علم الأحياء وعلم الحيوان وعلم أصل الإنسان (أنثروبولوجيا) وهو خبير في الطب الشرعي.

- سنو يقدم نفسه على انه خبير في أشكال العظام والجماجم، وفي ارتباطها بالأصول البشرية، وفي القضايا الشرعية التي تعنى بالتعرف على الضحايا من خلال بقاياهم العظمية، وتحديد أسباب وفاتهم، ووقت حدوث الوفاة، والجنس.

- الإدعاء يوضح أن سنو، هو الخبير الطبي الذي قام باكتشاف القبور الجماعية في قرية كوريمي، وقد قام بتصوير فيلم وثّق فيه اكتشافه.

- الدفاع يعارض سماع الخبير، بدعوى أن هناك تقرير حول هذه الحادثة أعد من قبله في السابق، والدفاع بحاجة إلى وقت للإطلاع عليه، طالباً تأجيل سماع شهادته ريثما يتحقق هذا الأمر.

- جدل حامي بين الإدعاء ومحامي الدفاع والقاضي حول الاستماع للشاهد الأمريكي، باعتبار أن الدفاع يعتبره طرف، بينما يصر الإدعاء على أنه خبير محايد، حتى وإن كان هو المشرف على عمليات الكشف عن المقابر الجماعية بطلب من المشتكين.

- المتهم صابر الدوري يستوضح المحكمة حول نيتها استدعاء خبراء في المقابر الجماعية إلى المحكمة، معترضاً على السرعة الكبيرة التي تتم فيها المحاكمة قبل أن يتاح للدفاع إحضار شهود النفي طالباً تأجيل الاستماع إلى الخبير الأمريكي.

- القاضي يدافع عن موقفه معتبراً أنه قد تم منح الوقت الكافي للدفاع كما قد تم منحه وقتاً إضافيا.

- الدفاع يشير إلى وجود مناطق في بغداد وفي العراق ككل، يعجز عن دخولها بحرية وعن مقابلة شهود النفي فيها، فكيف بالأحرى سيتمكن من الإتيان بهذا الشهود.

- صدام حسين يطلب الكلام موجهاً كلامه إلى القاضي قائلاً سأتوجه بالحديث إليكم ليس دفاعاً عن نفسي فأنا محكوم بالإعدام ولكنني أريد الدفاع عن العدالة وعن مسيرة شعبي.

- صدام: أريد أن أستعيد كلامي السابق حول وجود قبور جماعية مصطنعة في

البلاد تم نقل العظام إليها من مكان أخر في ظل الأوضاع العراقية الحالية، وأنا اقترحت أن يتم استقدام خبراء من دول محايدة وليس من دول التحالف كي يقومون بفحص العظام، ونوعية الكلس الموجود على الجثث، لبرهنة ما إذا كان تابعا من حيث التكوين، للتربة المحيطة به أو أنه من منطقة أخرى.

- صدام يخلص إلى رفض شهادة الخبير وطلب الاستعانة بخبرات دولية لمعرفة الحقيقة.

- وسمح القاضي بعد ذلك للخبير الأميركي سنو بالتحدث فقال أنه جاء إلى كردستان العراق عام ١٩٩١ للتحقيق في مجزرة تمت عام ١٩٨٨ في قرية كوريمي وقد استقدمته منظمات عالمية لحقوق الإنسان وروى مشاهداته لأكثر من ٣٨٠ قرية كردية مدمرة بعد حملة الأنفال.

- سنو قال أنه وصل إلى القرية مستعيناً بالبغال وسط الثلج الكثيف ووجد القرية كلها مسواة بالأرض ولم يظهر منها سوى ركام المدرسة ولجأ إلى أحد المغاور التي تحولت إلى مسكن لمن تمكن من النجاة من فرق الموت.

- وتابع سنو : دلني السكان إلى مكان وجود المقبرة وقد وجدت فيها العديد من العظام وعليها آثار مشابهة للآثار التي تخلفها الطلقات النارية.

- واستعرض الخبير الأمريكي مشاهداته للقرية، التي كان سكانها قد أخلوها وفروا إلى تركيا ، وأنه تمكن لاحقا؛ بعد بدء عودة العائلات أواخر شتاء ذلك العام، من الاستعانة بمساعدتها للتعرف على بقايا أبنائها.

- واستعان الأهل بذاكرتهم للتعرف على ملابس ومتاع أقربائهم وأبنائهم الموجودين في المقبرة، وكان ذوي صاحب الجثة التي يتم التعرف عليها يأتون كل يوم ويجلسون إلى جانب جثث أقربائهم.

- سنو يعرض أثناء مداخلته أمام المحكمة صوراً للهياكل العظمية والبقايا البشرية التي تم العثور عليها في المقبرة الجماعية.

- وتابع الخبير الأميركي بالقول أنه بعد فترة تمكن من جمع العديد من الهياكل العظمية بمعدل هيكلين عظميين في النهار، وأرسلها إلى مشرحة في مدينة دهوك وبلغ عدد إجمالي الجثث في تلك المقبرة ٢٧.

- وأسهب الخبير الأمريكي في الحديث عن كيفية التعرف على الجثث في المقبرة، عبر التأكد من جروح قديمة أو من أسنان ذهبية أو من خصائص وراثية معينة.

- سنو أكد أن الجثث السبع والعشرين تعرضت لأربعة وثمانين طلقة رصاص، منها عشرة في الرأس، وأربعة وعشرين في أعلى القفص الصدري، ملاحظاً أيضاً ارتفاع نسبة الإصابات في الأقدام، مما يؤكد أن الضحايا كانوا جالسين على الأرض في وضعية القرفصاء، وهذا، وفقاً لسنو، ما أكده له أيضاً الشهود الذين ظلوا أحياء.

- الخبير الأمريكي يظهر بيانات إضافية، تبرهن أن أصحاب بعض الجثث، عانوا من فترات جوع طويلة، مستعيناً كبرهان، بهيكل عظمي لطفلة في أشهرها الأولى، عانت من توقف النمو، بعد أن أكد شقيقها، أن الجوع أفقد والدتها إمكانية تغذيتها بالحليب.

- ثم انتقل سنو للحديث عن مشروع أخر عمل عليه في قرية بيرجيني، حيث قام بالتحقق من مزاعم قصف القرية بالقنابل الكيماوية في ٢٥ أغسطس/آب ١٩٨٨.

- سنو قال أنه عثر هناك على العديد من الجثث المكومة بطريقة بشعة بشكل جماعي، وقد وجد عليها الكثير من يرقات الحشرات مما يؤكد أن الدفن تم بعد عدة أيام من موت أصحاب هذه الجثث.

- سنو أكد أن الهياكل العظمية في بيرجيني لم تظهر عليها أي من آثار التعذيب أو التشويه التي ظهرت في كوريمي، مما يؤكد إن هذه الجثث ماتت بتأثير السلاح الكيماوي وفقاً لروايات الشهود.

- سنو يؤكد أن العينات التي أخذها من الجثث أظهرت وجود آثار من غازي الخردل والسيرين وقد أثبتت ذلك مختبرات دولية.

- الإدعاء يعتبر كلام الخبير كلاماً علمياً دقيقاً لا يقبل الطعن ويطالب المحكمة بالأخذ بالإفادة كاملة.

- الدفاع يعاود التشكيك بمصداقية إفادة سنو، ويؤكد أنه ليس خبيرا؛ مناقشاً إياه في تفاصيل علمية تحديد وقت الوفاة بالنسبة للجثة، في حال كان كل ما تبقى منها هو العظام.

- الدفاع يرد أن سنو عاجز عن تحديد الفترة الزمنية التي حدثت خلالها الوفاة بشكل دقيق حيث أن الهامش يقدر ببضعة أشهر وهذا أمر شديد الأهمية.

- جدال جديد بين رئيس هيئة المحكمة وبين محامي الدفاع حول طبيعة الأسئلة التي يطرحها المحامي والتي يعتبرها القاضي غير مجدية.

رفعت الجلسة

تفاصيل الجلسة الـ ٢٥ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٢٩

استمعت المحكمة في جلسة اليوم إلى خبيرين جديدين في القضية أكدا هجوم طائرات عراقية على قرى كردية بالأسلحة الكيماوية ووجود آثار استخدام غاز الخردل على أجساد المصابين بشكل واسع.

في بداية جلسة اليوم من المحاكمة حدث جدل بين القاضي العريبي الخليفة ومحامي الدفاع بديع عارف بسبب احتجاجه على الاستماع إلى شهادة خبراء الأمس واليوم.

واشتد الكلام بين القاضي والمحامي الذي ابتدأ كلامه قائلا : انه سيحاول عدم استعداء المحكمة عليه لأنه يثق بان القاضي عادل.

فرد عليه القاضي بضرورة التحدث بأسلوب قانوني ومناداة المشاركين في المحكمة بألقابهم القانونية، مؤكداً إن المحكمة لا استعداد لها للدخول في خصومة مع أي احد.

فرد المحامي مخاطباً الادعاء بكلمة هذا الرجل. وهنا تدخل القاضي صارخاً بوجه المحامي (اخرج . .اخرج) وأمر باعتقاله لمدة ٢٤ ساعة. وقال انه سيخاطب نقابة المحامين لاتخاذ إجراءات قانونية ضده.

فأجابه المحامي انه يترك القضية إلى الرأي العام العالمي.

محامي دفاع آخر يخرج من الجلسة احتجاجا على طرد عزت.

محامي آخر من هيئة الدفاع يؤكد أن الخبير الأمريكي كلايد سنو سبق وتقدم من المحكمة بصفة شاهد ووضع تقريراً حول حادثة قرية كريمي أمام المحكمة وبالتالي لا يحق له أن يتقدم مرة أخرى كخبير.

القاضي يرفض طلب محامي الدفاع مما يدفع المحامي إلى طلب مغادرة القاعة احتجاجا على قرار طرد بديع عارف عزت وتوقيفه.

ومن ثم قرر القاضي الاستماع إلى احد الشهود الخبراء هو دوغلاس سكوت من مواليد ١٩٤٨ مختص بالآثار والأسلحة وإعادة تشكيل مواقع المعارك.

وبدأ الشاهد بالإدلاء بشهادته حيث عرف عن نفسه أنه موظف متقاعد من وزارة الداخلية الأمريكية التي عمل لديها بصفة عالم آثار كما كان أستاذا محاضراً بالجامعات في الطب الشرعي والأدلة الجنائية.

وأضاف سكوت أنه عمل مع الخبير الأمريكي الآخر كلايد سنو للتعرف على أنواع الأسلحة التي استعملت على الجثث في مقبرة قرية كريمي.

وشرح سكوت أن عمله تركز على دراسة ١٢٤ ظرفاً فارغاً لطلقات نارية وجدت قرب الجثث وقد تأكد أنها كلها صادرة من سلاح من نوع كلاشينكوف.

وعرض الخبير سكوت صوراً افتراضية لموقع الجريمة مع المواقع التي قد يكون مطلقو النار قد أطلقوا النار منها على الضحايا بناء على المعلومات التي استنتجها من مكان تواجد الظروف الفارغة.

محامي من هيئة الدفاع يستوضح من خبير الأسلحة حول الطريقة التي عرف بها أماكن وجود الظروف الفارغة والمسافة التي تفصلها عن الجثث.

سكوت يرد أن المعلومات وصلته عبر الدكتور كلايد سنو الذي قام هو وفريقه بجمع الظروف الفارغة وتحديد أماكن تواجدها.

المتهم سلطان هاشم أحمد يطلب من الخبير عرض الخرائط التي قدمها له الدكتور سنو والتي على أساسها قام بخلاصاته ويطلب منه تحديد الوسيلة التي استطاع عبرها التأكد من مكان وجود كل مجموعة من الطلقات.

سكوت يرد أن الخريطة التي أرسلها سكوت والظروف الفارغة كانت مزودة بأرقام وألوان خاصة لتوضيح المكان التي كانت فيه تلك الظروف.

المتهم سلطان هاشم أحمد يقول أن عدد الظروف الموجودة على أرض المقبرة كبير جداً بينما جنود الجيش العراقي لديهم أوامر باستعادة الطلقات الفارغة، كما يشير إلى أن العديد من العوامل قد تؤثر على تحديد هوية السلاح الذي أطلق منه الرصاص.

الإدعاء يؤيد شهادة الخبير ويطلب من المحكمة اعتمادها لأنها دقيقة وتتوافق مع ما قاله المشتكون والشهود.

المتهم علي حسن المجيد يسأل الخبير دوغلاس سكوت ما إذا كان قد دخل العراق في العام ١٩٩١ وزار مكان الجريمة ويشكك في صحة استنتاجاته حول موقع الرماة.

ونفى الخبير الأمريكي سكوت أن يكون قد زار العراق وعاين موقع المقبرة، مؤكداً أنه يزور البلاد للمرة الأولى للوقوف أمام المحكمة. ومن ثم قرر القاضي رفع الجلسة للاستراحة لمدة ساعة وربع.

وعاودت جلسة المحكمة انعقادها بعد انتهاء فترة الاستراحة ويبدأ القاضي بالاستماع إلى خبير في المواد الكيماوية وهو في الوقت نفسه الطبيب المختص في قضية الأنفال، وقد بدأ بعرض المعلومات العلمية التي بحوزته.

وقد سمح القاضي محمد الخليفة لدى بدء جلسة بعد الظهر لمحامي الدفاع بديع عزت عارف بالعودة إلى المحكمة بعد أن كان قد طرده منها وأمر باعتقاله ليوم واحد بتهمة اهانة المحكمة.

وبدأ الشاهد الثاني الطبيب في جلسة اليوم بالإدلاء بإفادته حيث أكد أن قنابل غاز الخردل والسيرين قد استعملت لضرب المناطق الكردية وقد تسببت بوفاة الطيور والحيوانات بعد دقيقتين فقط بينما توفي البشر بعد خمسة دقائق.

وتابع الطبيب سفنديار احمد شكري وهو كوردي عراقي الأصل حاصل على الجنسية الأميركية من مواليد عام ١٩٤٠ ويسكن ميشيغان بالولايات المتحدة إن منظمة أطباء من اجل الإنسانية اتصلت به عام ١٩٨٨ للتحقيق في عمليات ضرب الكورد بالأسلحة الكيماوية.

وأضاف الطبيب الشاهد الثاني في جلسة اليوم الـ٢٥ لقضية الأنفال انه تم توزيع أكثر من ألف استمارة استبيان على لاجئين كورد في تركيا في معسكر ديار بكر وكان فيه ١٣ ألف لاجئ ومعسكر ماردين وفيه ٥ آلاف لاجئ إضافة إلى مقابلات تلفزيونية.

وأشار الطبيب إلى أن ٢٥ شخصاً أكدوا أنهم ضربوا في ١٩٨٨/٨/٢٥ بقنابل

كيماوية وحدثت لهم إصابات جراء ذلك وقالوا إن روائح هذه القنابل كانت تشبه رائحة الثوم.

وعرض الطبيب أقوال مصابين كورد أكدوا فيها إصابتهم بالأسلحة الكيماوية وقدموا وصفاً لآثار هذه الأسلحة على أعينهم وأجسادهم إضافة إلى وفاة أقارب لهم بفعل هذه الأسلحة.

ومن ثم قام الطبيب بعرض صور للمصابين بأعراض التسمم الكيماوي في مخيم في منطقة ماردين التركية على المحكمة.

الطبيب يوضح بعد سؤال القاضي له أن عمله كان ضمن منظمة إنسانية طلب منها التحقق من وجود تعرض لسلاح كيماوي لدى اللاجئين الكورد دون أن تطلب منهم الحكومة التركية معالجتهم.

الطبيب يخلص إلى أن تقريره يؤكد أن غازات الخردل والسيرين والأعصاب قد استعملت، ذاكراً بأن التقرير نشر في حينها بمجلات طبية أمريكية وقد وافق عليه خمسة عشر خبيراً طبياً.

اعترض الادعاء العام على أقوال الطبيب مشيراً إلى أن سرده لأقوال آخرين غير مؤثر على سير القضية وطلب منه أن يسرد مشاهداته وكذلك نتائج تحليلاته عن المصابين.

فرد الطبيب بأنه شاهد فتاة مصابة بصدرها بالأسلحة الكيماوية لكنها لم تسمح بتصوير صدرها قائلة إن ذلك أمر معيب وحرام وعرض صورة للصبية ويبدو إن عمرها كان يبلغ حوالي ١٠ أعوام، كما عرض صوراً لإصابات أشخاص آخرين وآثار الجروح على أجسادهم التي تؤكد إصابتهم بغاز الخردل.

وأشار إلى أن السلطات التركية منعت الأطباء الذين عالجوا المرضى من التحدث إليهم، فتم نقل عدد من هؤلاء إلى منطقة حدودية مع إيران للالتقاء بهم وتصويرهم.

وأكد الطبيب أن فحوصاته أثبتت استخدام غاز الخردل وغاز الأعصاب ضد الكورد على نطاق واسع وهو ما أكدته الفحوصات والتحليلات التي أجرتها مختبرات في أميركا وبريطانيا.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة تأجيل جلسة اليوم الـ٢٥ إلى يوم غد الخميس ٣٠/ ١١.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٦ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١١/٣٠

بدأت المحكمة خلال جلسة اليوم في الاستماع إلى شهادة احد خبراء الأدلة الجنائية في شؤون القبور الجماعية.

حيث بدأ الخبير في الأدلة الجنائية الأمريكي مايكل تريبل مدني يعمل مع فيلق المهندسين في الجيش الأمريكي، بالإدلاء بشهادته أمام المحكمة بشرح تقرير جنائي حول الجثث التي عثر عليها في حملات الأنفال شارحاً تفاصيل كيفية حصول الوفاة.

واستعرض الخبير صوراً لجثث عثر عليها مصابة بطلقات مباشرة في الرأس موضحا أن بعض هذه الجثث تعود لأطفال ونساء.

واستعرض الخبير نتائج تحليل مجموعة من الجثث التي عثر عليها في نينوى، مؤكداً أن ٧٦ في المائة من الأطفال الذين عثر عليهم في المقبرة، تلقوا إصابة برصاصة مباشرة في الرأس.

وأضاف الخبير أن ٢٤٪ من البالغين الذين وجدوا في المقبرة لم يتم العثور على رصاص في جثثهم، وأن معدل الرصاصات التي تم إطلاقها نسبة إلى عدد الجثث يبلغ رصاصة واحدة فقط.

وتابع الخبير أن القبور التي عثر عليها في نينوى قد أعدت بطريقة لا تسمح لأحد بالعثور عليها حيث تم الدفن على عمق ثلاثة أمتار ونصف ودفن في أحدها "القبر رقم ٩" ٦٤ شخصاً قتلوا بالرشاشات وكلهم من الذكور البالغين.

وأضاف الخبير إن وضعيات الجثث التي عثر عليها متكدسة فوق بعضها وهي مصابة بطلقات نارية في جباهها بينما كانت أعينها معصوبة وقد شد الوثاق على يديهم.

وتابع الخبير الأمريكي حديثه عن مقبرة ثانية وجدت في محافظة المثنى مؤكداً أن الطابع العام للمقابر التي وجدت في هذه المحافظة مطابق لمقابر نينوى مما يدل على أن هذه العمليات كانت منظمة.

ومن ثم عرض الخبير الأمريكي صور توضيحية أمام المحكمة تظهر الحجم الكبير جداً لهذه المقبرة وتميزها بكونها قليلة العمق بحيث أنها لم تتجاوز خمسين أو ستين

ستيمتر وضمت ١١٤ شخصاً قتلوا بأسلحة رشاشة بينهم ٢٧ سيدة ورجلين بالغين و ٨٥ طفلاً.

وتابع الخبير أن ٩٥٪ من الأطفال في هذه المقبرة كانت أعمارهم تقل عن ١٣ عاماً وقد كانوا واقفين في الحفرة قبل إطلاق النار عليهم.

ومن ثم استعراض مجموعة من الصور التوضيحية التشريحية التي تطال جثث داخل هذه المقبرة بشكل يوضح كيفية حدوث الإعدام والأماكن التي دخلت منها الرصاصات.

ولخص الخبير إلى أن الجثث التي تم العثور عليها في المواقع الثلاث التي عاينها هي ٣٠١ بينها ٢٢٪ من النساء، و ١٧٪ من الرجال البالغين، بينما تبلغ نسبة الأطفال٦١٪.

واعتبر الخبير أن هناك نمط عام لكل المقابر وهو إن أشخاصاً أخذوا رغماً عنهم إلى الصحراء، حيث تم حفر قبور بشكل متشابه، في مواقع لديها مزايا جغرافية معينة قادرة على إخفاء ما يحدث فيها، وقد تم بشكل أساسي اقتياد النساء والأطفال، وقد تم إعدامهم بالمسدسات والأسلحة الرشاشة، ثم تم ردم القبور باستعمال حفارات عملاقة.

الإدعاء يعقب على كلام الخبير مشيداً بتقريره سائلاً حول احتمال أن تكون هذه الجثث الموجودة في القبور منقولة إليها من مكان آخر.

فأجاب الخبير مايكل تريبل: أن هذه الجثث كانت في الأرض وعظامها كانت ملتصقة ببعضها مما ينفي هذه الإمكانية.

الادعاء يقول أن وجود المقتنيات الشخصية للضحايا بحوزتهم من لعب الأطفال ومن الأدوية يؤكد أن هؤلاء لم يكونوا مقاتلين بل اقتيدوا من منازلهم أو استسلموا.

الإدعاء يطالب القاضي بالانتقال فوراً إلى سماع شهادات المتهمين باعتبار أن القضية باتت محسومة قانونياً وفقاً لرأيه بعد أن تم الاستماع للمشتكين والخبراء.

محامي الدفاع المنتدب يطعن في شهادة الخبير الأمريكي تريبل بسبب انتماءه إلى الجيش الأمريكي ويطلب استبعاده بسبب الخصومة بين الجيش الأمريكي والجيش العراقي في حينه.

المتهم علي حسن المجيد يسأل الخبير عن صور ثياب الجثث التي عرضها، مستوضحاً ما إذا كانت ثياباً أصلية وجدت في القبور أم ثياباً أعيد تصميمها.

الخبير يرد أن الثياب استخرجت من القبور.

المتهم علي حسن المجيد يرد أن الثياب لا تبدو متآكلة تاركاً تقدير الأمر للقاضي وسائلاً عن الهويات التي تم العثور عليها في المقابر، مطالباً بمعرفة الجهات التي تسلمت تلك الوثائق الشخصية في حينه.

الخبير يرد أنه لا يذكر العدد ولكنه يؤكد أنها موثقة في تقرير خاص بحوزته وأنه سلم الهويات إلى قضاة المحكمة العراقية العليا بين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥.

وقد شكك المتهم صدام في الشهادة التي قدمها الخبير معترضا على بعض المقاطع التوضيحية التي عرضها الخبير قائلا إنها "لضحايا خارج قضية الأنفال. وهي خارج اختصاص المحاكمة" إلا أن القاضي العريبي لم يعلق على هذا الاعتراض.

واستمر الخبير في عرضه للشرائح التوضيحية. ثم عاد المتهم صدام للقول إن الخبير عرض صوراً عاما لحفر ولذلك يجب أن يقدم على الخارطة أمكنة المقابر بالضبط.

فرد الخبير بان هذه المعلومات موجودة كلها في التقرير الذي قدمه إلى المحكمة.

فقال القاضي انه يمكن للمحامين أن يطلعوا على التقارير.

ثم سأل المتهم صدام الخبير عن المسافة التي تفصل كل مقبرة عثر عليها في الموصل عن الطريق العام للمنطقة.

فأجاب الخبير إن هذا كله مذكور في التقرير الذي لا يتذكر تفاصيله.

فسأل المتهم صدام إذا كان يستطيع الحصول على نسخة من التقرير.

فأشار القاضي إلى أن نسخة من التقرير موجود لدى محاميه ويمكن الاطلاع عليه.

وأضاف المتهم صدام إن المحكمة تشكلت حول عمليات الأنفال العسكرية متسائلا عن سبب تقاطر الأميركيين للشهادة حول مقابر جماعية خارج سياق التهمة. وتساءل قائلا: هل دمجت القضيتان". فأوضح القاضي أن المحكمة هي التي تقرر ما تراه مناسبا.

ومن ثم أشار المدعي العام إلى أن المقابر الجماعية هي نتاج لعمليات الأنفال ومرتبطة بها وليست مستقلة عنها.

وقال المتهم صدام انه لا علاقة له بالمقابر لكنه يريد أن يوضح الأمر للرأي العام، وطلب من رئاسة المحكمة أن تكتفي بشهادة الخبراء الأميركيين والانتقال إلى خبراء دوليين محايدين ليفحصوا ما يقال أنها مقابر جماعية أخرى لم تفحص.

من جانبه طالب المتهم حسين رشيد التكريتي العضو السابق في القيادة العامة للقوات المسلحة للنظام البائد أبان عمليات الأنفال من المحكمة الفصل بين عملية الأنفال والتصفيات التي قامت بها شرطة محلية وضباط امن لا علاقة لهم بقضية الأنفال.

وطالب المتهم رشيد بالعودة إلى خارطة وخطة الأنفال الأصلية التي تحارب الإيرانيين وهي خطة عسكرية بحتة لا تتضمن أي إعدامات أو ضربة كيماوية.

كما طالب وزارة الدفاع الحالية بإعلان هذه الوثائق.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخلفية تأجيل جلسة المحاكمة إلى يوم الاثنين المقبل.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٧ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/٤

في بداية الجلسة طالب احد محامي الضحايا بوضع الحجز على أموال قادة النظام السابق البالغة عشرة مليارات دولار المودعة في بنوك أجنبية وذلك لإنفاقها على تعويض الضحايا وكذلك حجز ممتلكات وقصور المتهم صدام حسين وبقية المتهمين معه في القضية. لكن احد محامي المتهمين اعترض على دعوة الادعاء بمحاكمة سريعة، مشيراً إلى أن ذلك سيكون على حساب حقوق موكليه وطالب بالاستمرار بسماع إفادات المشتكين وعدم الاستجابة للطلب.

وطالب المحكمة باستمرار الاستماع إلى إفادات الخبراء الأجانب وأصر على حق موكليه في استقدام خبراء دوليين محايدين على اعتبار أن الخبراء الذين استمعت لهم المحكمة لحد الآن هم من الأميركيين وهؤلاء خصوم للمتهمين.

وأشار إلى اثنين من الخبراء ينتميان إلى مؤسستين عسكريتين وهما غير محايدتين.

ثم طالب بإجراء التحقيق في الاعتداء في جلسة سابقة على المتهم حسين التكريتي الذي أصيب بجروح فاستجاب القاضي لطلبه.

كما اعترض المحامي على شهادات عناصر في قوات البشمركة وطالب بإحضار قادة قوات القبائل الكردية التي قاتلت إلى جانب الجيش العراقي ضد إيران وضد البشمركة للاستماع إلى أقوالهم.

ومن ثم طلب أحد محامي هيئة الدفاع عرض إفادة الخبير الأمريكي أمام المحكمة على عدد من المختصين. وقال محام آخر إن الخبير الأمريكي أرسل عينات للتحليل في مؤسسة تابعة لوزارة الدفاع البريطانية، مشككاً في مصداقية الخبير. وتساءل المحامي عن أسباب إرسال الخبير الأمريكي للعينات إلى مؤسسة بريطانية، وأكد أن تلك المؤسسة كانت معنية بالبحث عن أسلحة للدمار الشامل في العراق.

رئيس المحكمة يقاطع المحامي ويطلب منه تقديم اللائحة التحليلية حول إفادة الخبير أثناء تقديم دفاعه.

رئيس المحكمة يوجه وكيل الدفاع حول إتباع السبل القانونية في عرض اللائحة ويطلب منه قراءة الخلاصة.

محام: معظم المشتكين أمام المحكمة يعتنقون رأياً سياسياً بأن النظام العراقي السابق كان عدو لهم باعتبارهم أعضاء في القوات الكردية المعروفة باسم "البشمركة"، ولذا فإنني أطعن في مصداقية إفاداتهم.

المتهم سلطان هاشم: قدمنا طعنا في تقرير الخبراء بسبب علاقتهم بالأمريكيين والبريطانيين ونطلب انتداب خمسة خبراء من دول لإعداد تقرير جديد.

المتهم سلطان هاشم: الكورد أهلنا والجيش العراقي ليس دوره قتل مواطنين كورد ودفنهم في قبور جماعية ولا يوجد رابط بين حملة الأنفال ووجود مقابر جماعية. القتال في مناطق الكورد كان بين الجيش العراقي وجيش آخر مسلح.

ومن ثم بدأت المحكمة بالاستماع إلى إفادة المشتكي عبد الله عبد القادر عبد الله من مواليد ١٩٤٨ ويعمل حالياً مشرفاً كيميائياً في مديرية تربية السليمانية.

وبدأ المشتكي بالإدلاء بإفادته قائلاً: في الثالث من أيار (مايو) عام ١٩٨٨ قامت طائرات بقصف قريتنا بالأسلحة الكيميائية. وفي يوم القصف كان لدي ٢١ إبرة مضادة

للقصف الكيماوي حيث تلقيت تدريباً بحكم تخصصي في التدريس والإشراف على مادة الكيمياء في المدارس لسنوات طويلة.

وتابع المشتكي: شاهدت ٤٠ مصاباً من جراء القصف في أحد المواقع في القرية. وشاهدت طفلاً يئن فأخذته على وجه السرعة إلى غرفة فيها مدفأة وخففت الدفء المنبعث من أثر المواد الكيميائية عليه.

وأضاف المشتكي: فقدت ٢٥ فرداً من أفراد عائلتي في الأنفال كما شاهدت امرأة منكفئة على وجهها قرب جدول ماء وعندما تعاملت معها اكتشف أنها والدتي، وكان معظم السكان قد سارعوا إلى التخلص من آثار المواد الكيميائية في جدول مياه قريب.

ثم اخذ المشتكي يبكي ويمسح دموعه وقال: حاولت أن اقبلها ولكني خشيت أصابت بالمواد الكيميائية وهكذا حرمت حتى من قبلة الوداع.

وتابع المشتكي: رأيت على محاذاة الجدول جثة ابنتي وكان عمرها عشر سنوات وقد فارقت الحياة وقرب البيت شاهدت شقيقي الأكبر وكان معلما ملقى على ظهره والقيء يخرج من فمه وكان مازال يتنفس فحقنته بإبرة من مضادات الكيميائيات.

وأضاف المشتكي: على بعد مترين من شقيقي كانت زوجتي ملقاة على ظهرها وفي حضنها طفلين من أطفالي وقد فارقتا الحياة. نظفت وجه زوجتي من الدماء وحقنتها بإبرة مضادة لغازات الأعصاب. واصلت تفقد المصابين والجثث ليلاً على ضوء مصباح يدوي وحدي. وعدت بعد عشر دقائق لأحقن زوجتي ومصابين آخرين من عائلتي بحقنة ثانية مضادة للكيماويات.

وأردف المشتكي: تُوفي معظم الأطفال بالقرية من جراء القصف. وساعدني أفراد من عائلتي في نقل الجثث إلى جرار. أخي كان متأثراً من جراء غازات الأعصاب، وكان يتصرف كالمجنون. وفقد العديد من المصابين الوعي. الكثير من سكان القرية ممن نجوا قتلوا بعد ذلك في سياق حملة الأنفال ومن بينهم زوجتي ووالدي.

وأضاف المشتكي: في الأيام التالية كنا جوعى للغاية في منطقة تبعد عن منطقة القصف حوالي أربع ساعات سيراً بالأقدام. حاولنا العودة إلى القرية لإنقاذ زوجتي ووالدي، بعد توارد أخبار عن بقائهم على قيد الحياة. حذرنا أحد الأهالي من قيام

قوات الجيش العراقي المتمركزة في المنطقة باعتقال السكان وهربنا معه بعيداً ورأينا إطلاق نار متبادل بين الجيش العراقي وقوات أخرى.

وتابع المشتكي: توجهت بعد ذلك إلى الحدود الإيرانية ودخلت إيران وبقيت هناك ثم انضمت عائلتي إلي.

ردا على أسئلة من محامي الدفاع يقول المشتكي: فقدت في عملية القصف كافة الأوراق الرسمية وصور أطفالي.

محام من وكلاء الدفاع يشكك في إفادة المشتكي. المشتكي يعترف بانضمامه إلى قوات البشمركة ويقول إن الحقن الذي استخدمها توجد عادة في المستشفيات للعلاج من المغص الكلوي.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة تأجيل الجلسة إلى يوم الأربعاء ٦/ ١٢ للبدء بالاستماع إلى شهود النفي في قضية الأنفال.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٨ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/٦

بدأت الجلسة ببدء شاهد إثبات جديد بالإدلاء بشهادته أمام المحكمة وهو الدكتور فائق محمد كولبي رئيس حزب الحل الديمقراطي الكردستاني، وكان في صفوف الإتحاد الوطني الكردستاني عند حدوث عمليات الأنفال عام ١٩٨٨، حيث تحدث عن تعرض مناطق سركلو وبركلو وسيوسينان إلى القصف الكيماوي وقال: تعرض أكثر من ثلاثين شخصا من أبناء قريتي إلى أعراض خطيرة بسبب استهداف السكان بالأسلحة الكيماوية.

وأضاف كولبي قائلاً: في وقت سابق أبلغنا مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني أن الحكومة العراقية تنوي استعمال الأسلحة الكيماوية ضد مقار البشمركة، وإجراءات الوقاية التي تلقيناها من مقر القيادة لم تفلح في حمايتنا من آثار الأسلحة الكيماوية.

وأوضح بأن قوات البشمركة غادرت القرى الكردية قبل الهجوم بفترة وأقامت في مقار خاصة بها خارج حدود القرى، غير أن الجيش العراقي واصل قصف سكان القرى المدنيين.

ومضى الشاهد في سرده للحوادث قائلاً: شاهدت سربا من الطائرات العراقية فوق

منطقتنا، وقاموا بالقصف، وسمعت صوتا خافتا للانفجارات بدرجة لافتة. ورأيت دخانا كثيفا يتصاعد إلى أعلى. وشممت رائحة تشبه رائحة التفاح الفاسد..

ورفع القاضي الجلسة.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٩ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/٧

بدأت الجلسة مباشرة باستعراض شهادة شاهد إثبات جديد وهو الدكتور زريان عثمان وزير الصحة في إقليم كردستان حيث قال: ألقت طائرات قنابلها من الجو علينا وشاهدت قنابل تنفجر بصوت خافت لكنها تركت وهجاً قوياً. وبعد خمس عشرة دقيقة من مغادرة الطائرات فاحت رائحة في أجواء منطقة باليسان قريبة من رائحة الثوم أو التفاح.

وتابع الشاهد: بعد ذلك غادرت المنطقة واتجهت إلى قريتي وقصدت مركز قيادة البشمركة حيث كنت أساعدهم كطبيب. ثم ذهبت إلى المستوصف وهناك سمعت أصوات مرتفعة وشاهدت مجموعة من الناس بينهم أطفال ونساء على جرارات زراعية يبلغ عددهم ثلاثين شخصاً وقد قصدوا المستوصف طالبين المساعدة. شاهدت على الوافدين علامات طبية لم أشاهد مثلها في حياتي. كانوا عاجزين عن الرؤية وعيونهم محمرة وجلودهم مسلوخة وعليها فقاعات.

وأضاف الشاهد: لم أعرف ماذا أفعل فطلبت منهم تغيير ثيابهم والاغتسال. وحوالي الساعة الرابعة والنصف بدأ الهجوم البري تجاهنا وكنا نسمع أصوات تقدم الدبابات التي بدأت بقصفنا فيما كان المستوصف مليئاً بالجرحى. فهربت مع سائر الكادر الطبي إلى الجبال وكان معنا بعض الرجال من الجرحى الذين كان بوسعهم السير وقد اضطررنا إلى حملهم وجرهم لأنهم كانوا عميان فيما قرر البعض الآخر البقاء والاستسلام في المستوصف. وصلنا إلى قرية حيث شاهدت كل شيء ميت حتى الحيوانات والأشجار وشاهدت حيوانات وقد فقدت بصرها تهيم على وجهها للبحث عن الطعام.

وتابع الشاهد: في تلك القرية رأيت الحفرة التي وقعت فيها القنبلة وكانت صغيرة ومغطاة بمادة تشبه الجص الأبيض. وبعد يومين انتهى الهجوم البري فعدنا إلى قريتنا

وشاهدنا أن المنطقة كلها باتت مدمرة ولم أشاهد أي إنسان بل شاهدت فقط حيوانات فاقدة للبصر.

وأضاف الشاهد: هذه كانت حسب علمي أول مرة تضرب المنطقة بالسلاح الكيماوي ولكنني كطبيب تعلمت ما يجب القيام به وقمت بإرشاد الناس حول ما يجب فعله لذلك انخفض لاحقاً عدد القتلى في الضربات التي تلت وشملت الضربات قرى باليسان وملكان وورته.

محامي الدفاع يطلب من الشاهد تحديد تخصصه الطبي.

الشاهد يرد أن شهادته كانت في الطب العام ولم يكن قد تخصص بعد.

محامي الدفاع: ما هو العلاج الذي كنت تقدمه للمصابين.

الشاهد: لم استطع تقديم أي علاج لهم لأنني لم أكن أعرف إصابات السلاح الكيماوي وكانت القوات البرية العراقية تتقدم.

محامي الدفاع: يسأل الشاهد حول رتبته ضمن قوات البشمركة.

الشاهد: كنت طبيباً لا أحمل السلاح.

المتهم سلطان هاشم أحمد: الشاهد يروي أحداثا تمت عام ١٩٨٧ وفقاً لروايته ما يجعلها خارج النطاق الزمني لحملة الأنفال.

ومن ثم قرر القاضي الاستماع إلى إفادة شاهد إثبات آخر حيث طلب منه أداء اليمين القانونية.

فبدأ شاهد الإثبات الثاني بالإدلاء بشهادته قائلاً: في ١٦/ ٤/ ١٩٨٧ كنت أعمل في مستشفى بركلو وكانت المنطقة تتعرض للقصف بصورة مستمرة ولكن في هذا اليوم كان القصف مختلفاً حيث أننا لم نسمع انفجار القذائف.

وتابع الشاهد: بعد ٤٥ دقيقة جاء مرضى إلى المستشفى يعانون من أعراض عديدة أهمها احمرار في العينين وفي الجلد تحت الإبطين وفي منطقة ارتداء الجوارب والحزام.

فقمت بمناقشة الموضوع مع سائر العاملين في المستشفى وشخّصنا الحالة على أنها إصابة بغاز الخردل. وبعد يومين حضر شاب يدعى شمسه وهو من رعاة منطقة مركة و كانيتو وقد شاهدت عليه الأعراض عينها لكن بدرجات أوضح حيث كانت هناك

تقرحات في العينين ومعظم الجسم وعانى من ضيق التنفس وعالجناه في المستشفى لكن بعد عشرة أيام ساءت حالته وازدادت التقرحات وانهار جهازه التنفسي ومات.

وأضاف الشاهد: ثم جاءت سيدة وطفلتها إلى المستشفى من منطقة باليسان وكانوا قد فقدوا البصر فعالجتهم. وفي حادثة أخرى حصل قصف فخرجت من العيادة وشاهدت بعيني عملية قصف كيماوي حيث شاهدت قنابل تنفجر دون صوت وينبعث منها دخان أحمر اللون ارتفع قليلاً ثم أخذ بالانتشار على ارتفاع منخفض.

وأردف الشاهد: صرخت عندما رأيت القصف محذراً الجميع انه سلاح كيماوي وطلبت منهم أخذ التدابير اللازمة.

الإدعاء: يرد على المتهم سلطان هاشم بأن قرار عملية الأنفال اتخذ عام ١٩٨٧ لذلك فشهادة الشاهد مقبولة.

محامي الدفاع: يسأل الشاهد هل هناك أمراض تتشابه أعراضها مع أعراض الإصابة بسلاح كيماوي.

الشاهد: هناك أعراض مشتركة مع أمراض كثيرة لكن ليس هناك أي مرض تظهر له هذه الأعراض بصورة متزامنة سوى حالة الإصابة بالسلاح الكيماوي.

محامي الدفاع: يسأل الشاهد ما إذا تم تسجيل وتوثيق الحالات التي زارت المستشفى؟

الشاهد يرد: كان هناك سجلات إلا أن الجيش العراقي دخل إلى المستشفى في وقت لاحق وأتلف تلك السجلات.-

المتهم سلطان هاشم أحمد: يسأل الشاهد حول كيفية تحديد أن المرضى كانوا مصابين بغاز الخردل.

الشاهد يرد: عرفت عبر تشخيص الأعراض وقد روى لنا البعض أنهم شاهدوا مادة صفراء منبعثة من القنابل التي سقطت.

المتهم سلطان هاشم أحمد: يناقش شهادات الشهود معتبراً أن هناك تناقضا يظهر في لجوء أهالي قرية باليسان إلى مستشفيات بعيدة رغم وجود مستشفيات قريبة راداً على الإدعاء في الوقت عينه معتبراً أن شهادة الشاهد الأول كانت خارج السياق التاريخي للقضية.

المتهم صابر الدوري: بعد سماع الشهادات يجب أن يتم عرض الوثائق ولا بد للدقة في العلمية أن تعين المحكمة خبراء عسكريين للنظر في هذه الوثائق لأنها معظمها عسكرية.

الإدعاء يطالب المحكمة بالموافقة على طلب الدوري لتوضيح بعض الرموز العسكرية الموجودة في الوثائق.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة تأجيل محاكمة صدام حسين وستة من أعوانه في قضية الأنفال إلى يوم ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٦.

تفاصيل الجلسة الـ ٣٠ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/١٨

في بداية جلسة اليوم استمعت المحكمة إلى مطالعة الادعاء العام وشملت المطالعة عرض محتوى نحو (٢٥) وثيقة ومستند وأفلام قال إنها تثبت استخدام النظام السابق برئاسة المتهم صدام حسين للأسلحة الكيماوية ضد الكورد العراقيين. وعدد من الوثائق العسكرية والاستخباراتية المتصلة بحملة الأنفال والتي تثبت استخدام الأسلحة الكيمائية في العملية أمام المحكمة.

حيث قال رئيس هيئة الإدعاء العام في المحكمة الجنائية العليا الخاصة بالنظر في قضية الأنفال: إن هذه الوثائق "سرية للغاية" وأنها مخاطبات سرية وشخصية للغاية مرفوعة من رئاسة الاستخبارات العراقية العسكرية إبان حملة الأنفال إلى رئاسة الجمهورية إبان النظام السابق برئاسة المتهم صدام حسين.

ونوه بأن مديرية الاستخبارات العسكرية "لم تكن مهمتها فقط إرسال الكتب (المخاطبات).. بل كانت تقترح ضرب مقرات ما تسميه (مقرات عملاء إيران) بالعتاد الخاص".

وتشير الوثائق التي عرضها الفرعون أمام المحكمة اليوم إلى أن الجو في شمال العراق ممطر ولذلك فهو لا يساعد على استخدام (غاز الزارين)، ووصف رئيس هيئة الإدعاء (غاز الزارين) بأنه من العوامل الكيماوية الخطرة التي لا تعطي مفعولاً قوياً في الأجواء الممطرة.

وفي بداية الجلسة عرض المدعي العام مضمون وثيقتين تناقشان بدائل تنفيذ الضربة الجوية ضد مناطق الكورد من حيث تفاصيل التوقيت الزمني والأسلحة المستخدمة.

الوثيقة الثالثة وهي وثيقة سرية صادرة من رئاسة الجمهورية إلى مديرية الاستخبارات العسكرية العامة وتشير إلى أن المتهم صدام حسين قرر أن تدرس مديرية الاستخبارات توجيه ضربة للمناطق الكردية.

الوثيقة الرابعة وتحوي تفاصيل عن تصور لأسلوب تنفيذ الضربة العسكرية وتقترح الوثيقة استخدام الطيران لتحقيق ضربة مفاجئة لإحداث التأثير المطلوب وتوفير معلومات دقيقة عن الأهداف للطيارين وتنفيذ الضربة وقت الضياء الأول أو بعده بقليل وتخصيص أكثر من طائرة لقصف كل هدف أو جعل الضربة مركبة باستخدام قذائف وصواريخ بالتعاقب وضرب جميع الأهداف في وقت واحد وبأسرع وقت ممكن مع استخدام المدفعية في وقت لاحق لضرب بعض الأهداف.

الوثيقة الخامسة وهي صادرة من مديرية الاستخبارات العسكرية وموجهة إلى رئاسة الجمهورية وتحوي الوثيقة الإمكانيات المتاحة لتنفيذ الضربة. وقالت الوثيقة "إن الظروف المناخية لا تساعد على تنفيذ الضربة نظراً لتغطية المناطق المستهدفة بالثلوج التي تجعل العامل (المادة الكيمائية) غير سام".

وجاء في الوثيقة المذكورة " لا تتوافر لدينا كميات كبيرة من غاز الخردل ولن يكون تأثيره قويا إلا بتوافر جرعة مركزة. واقترحت الوثيقة " تأجيل الضربة ضد حرس الخميني والعناصر الكردية المسلحة التابعة للبرزاني إلى وقت آخر".

وحذرت الوثيقة من احتمال تأثر المناطق الحدودية مع تركيا بالعوامل الكيمائية من جراء القصف.

الوثيقة السادسة وهي معنونة إلى مديرية الاستخبارات العسكرية العامة.

المدعي يعرض وثيقة أخرى تشير إلى "ضرب أهداف العملاء "بسلاح الجو التقليدي والخاص وكافة الأسلحة الأخرى ضمن المدى.

وثيقة أخرى تدعو إلى تسليح سلاح الجو العراقي بالقذائف المناسبة لتنفيذ العملية.

وقدم الإدعاء العام من بين الوثائق كتابا من رئاسة أركان الجيش العراقي السابق إلى الاستخبارات العامة يقول فيها "لقد تم ضرب مقرات العملاء بقوة (٢٠) طائرة، إضافة إلى (٤٤) طائرة بالعتاد الخاص. .. باستثناء قرية (جوكة) لقربها من قطعاتنا".

تذكر الوثيقة رقم ١٥ ضمن مطالعات المدعي أنواع القذائف والأسلحة المستخدمة في قصف كل هدف بتفصيلا.

تقول الوثيقة رقم ١٦ الصادرة من الاستخبارات العسكرية إلى رئاسة الجيش إنه تم "تزويد القوة الجوية وقوة الدفاع الجوي بأماكن أهداف عملاء إيران". وتقترح الاستخبارات ضرب الأهداف بـ "العتاد الخاص" وهو الأسلحة الكيمائية.

وثيقة أخرى تقترح "إعادة قصف الأهداف التي تم قصفها إذا كان ذلك مفيداً".

يعرض المدعي وثيقة تشير إلى عدم توجيه المزيد من الضربات بالعتاد الخاص بسبب "قلة المخزون".

وأضاف الفرعون قائلا: "وأود أن أوضح أن عملاء إيران يقصد بهم أبناء كردستان".

وثيقة تتحدث عن تفاصيل قصف مقر جلال طالباني الرئيس العراقي الحالي والخسائر المادية والبشرية التي أحدثها القصف.

وتقول الوثيقة المذكورة إن إيران ساعدت الكورد على الحد من تأثير المواد الكيمائية ومقاومتها.

المدعي يعرض الوثيقة رقم ٢٠ وجاء فيها أن الجيش العراقي استخدم بنادق في إطلاق العتاد الخاص (المواد الكيمائية) في حملته بالمناطق الكردية. وقالت الوثيقة "إن بعض العبوات انفجرت داخل البنادق"، مشيرة إلى أن السلطات لم تطلع الجنود على طبيعة الذخائر التي تم تسليحهم بها.

وجاء في الوثيقة رقم ٢١ وهي موجهة من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة أركان الجيش بضرورة عدم توجيه الضربة قبل توافر معلومات عن كيفية استثمار نتائجها.

وثيقة أخرى تطلب تنفيذ الضربة بالعتاد التقليدي والخاص. وملحق بالوثيقة يتحدث عن خطط للقصف تم تنفيذها باستخدام ٤٤ طائرة بالعتاد الخاص.

الوثيقة رقم ٢٤ صادرة من مديرية الاستخبارات العسكرية وتفيد بتوجيه "ضربة جوية بالعتاد الخاص لمقر المخربين الشيوعيين وقتل ٣١ شخصاً منهم وأصيب مائة آخرون".

المدعي يختم مرافعته ويقول إنه قدم محتوى ٢٥ وثيقة تتصل بحملة الأنفال.

وأوضح أن العتاد الخاص هو "المصطلح الذي استخدمته الوثائق للإشارة إلى العتاد الكيماوي.. مقارنة بالعتاد التقليدي"، مشيراً إلى أن ذلك النوع من العتاد "استخدم في ضرب مواقع وقرى في أقصى الشرق من محافظة السليمانية عند الحدود مع إيران".

وحملت معظم الوثائق المعروضة توقيع المتهم صابر الدوري الذي كان يشغل منصب مدير الاستخبارات العسكرية ابان عمليات الأنفال عام ١٩٨٨.

ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة رئيس المحكمة رفع الجلسة للاستراحة لمدة ساعة ونصف.

وبعد فترة الاستراحة قامت المحكمة بمناقشة الوثائق التي عرضها المدعي العام منقذ الفرعون.

في بداية الجلسة المسائية تحدث المتهم صابر الدوري مدير الاستخبارات العسكرية السابق قائلاً: إن دور المديرية خلال عمليات القصف التي قام بها النظام العراقي السابق ضد الكورد كان "تنسيقيا فقط" بأوامر من سكرتارية رئاسة الجمهورية، مشدداً على أن أحدا "لم يكن يجرؤ "على رفض توجيهات الرئاسة وقتها. وشكك المتهم الدوري في الوثائق والمستندات التي قدمها رئيس الإدعاء العام منقذ الفرعون أمام المحكمة قائلاً: "إن الاستخبارات العسكرية واجبها كان جمع المعلومات عن العدو وأماكن مقراته، وتزويد رئاسة أركان الجيش بها". و" أنا أشك في أغلب ما جاء من وثائق عرضها المدعي العام".

وأضاف المتهم صابر الدوري: " أنا كنت مكلفا من قبل سكرتارية رئاسة الجمهورية بأن أقوم بدور تنسيقي عن طريق توجيه الأوامر، ولم يكن على الإطلاق يتواجد في صفوف الاستخبارات أي ضابط مختص بالسلاح الخاص".

وتابع المتهم: " كما أنه لم يكن أحد يجرؤ وقتها على رفض أي توجيهات تصدر له من قبل سكرتارية الرئاسة بالقيام بأي شي تنسيقي".

ومضى المتهم الدوري موضحاً: أن "اللجنة التي قامت بوضع دراسة لغرض استخدام العتاد الخاص كانت من خارج مديرية الاستخبارات، كما لم تقم المديرية

بالدراسة.. بل قامت الاستخبارات فقط بدور تنسيقي، نظراً للأوامر التي صدرت لها من قبل السكرتارية" الخاصة بالمتهم صدام حسين.

ومن ثم وتحدث المتهم صدام حسين قائلا: "أريد أن أوضح شيئا هو أن أي مسئول يقول إن أمرا صدر له من صدام فانه لا يناقشه لأنه يتحمل المسؤولية سواء كان الكلام صحيحا أم لا". وأضاف المتهم صدام: :انه فيما يتعلق بإيران فان أي ضربة سواء كانت بالأسلحة الكيماوية أو التقليدية أمر بها أي مسئول عسكري أو مدني ضد إيران " فانه يتحمل مسؤوليتها".

وقال المتهم صدام: "لكن أي عمل ضد مواطن عراقي كوردي أم عربي من الشمال أو الجنوب ومن الشرق أو الغرب فانه يناقش فيه لأنه لا يسمح بان يساء إليه". وأكد المتهم قائلا: "أنا اضرب كل رجل يخرج عن الطريق". وأوضح المتهم "انه ليس من واجب الاستخبارات العسكرية اتخاذ قرارات وإنما هي مسئولة فقط عن جمع المعلومات وهي مرتبطة برئاسة الجمهورية.

ومن ثم تحدث المتهم سلطان هاشم وزير الدفاع السابق عن أن الوثائق المعروضة أمام المحكمة تتعلق بأحداث جرت عام ١٩٨٧ بينما هو كان في ذلك الوقت قائداً للفيلق السادس في مدينة العمارة الجنوبية ولم تكن له علاقة بالحركات العسكرية.

ومن ثم تحدث المتهم حسين التكريتي رئيس هيئة أركان الجيش السابق إلى انه كان في عام ١٩٨٧ يعمل في مدينة البصرة وليس له علاقة بوزارة الدفاع والأوامر الصادرة عنها.

واستمرت المناقشات بين القاضي وهيئة الادعاء العام والمتهمين ومحاميهم للوثائق التي عرضها المدعي العام في الجلسة الصباحية، ومن ثم قرر القاضي محمد العريبي الخليفة تأجيل الجلسة إلى يوم غد الثلاثاء ١٩/ ١٢ لمتابعة النظر في قضية الأنفال.

تفاصيل الجلسة الـ ٣١ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/١٩

افتتح القاضي الجلسة، بعدما تأكد من حضور المتهمين، ومحامي الدفاع الذين انتدبتهم المحكمة، بسبب غياب محامي الدفاع الأصيلين.

- المتهم علي حسن المجيد: يطلب الكلام، ويؤكد للقاضي أن المتهمين وهيئة دفاعهم، لم يتسلموا الوثائق الخاصة بالمحاكمة.

القاضي: يرد بأن هذا الموضوع "أكبر من الحجم الذي يتم تظهيره"، ويتهم محامي الدفاع بالتقصير، جراء الانسحاب المتتالي من الجلسة.

-القاضي: يقرر تزويد المتهمين بالوثائق في نهاية الجلسة، ويتعهد بتأمين وثائق الجلسات يومياً، للمتهمين وهيئة الدفاع.

- الادعاء يعرض وثائق جديدة، مرتبطة بقضية الأنفال، تظهر رسائل عسكرية يرد فيها ذكر ضرب مناطق محددة بما يسمى "العتاد الخاص،" ضمن عملية الأنفال.

-الوثائق تتضمن موافقة رئاسة الجمهورية على "ضرب منطقة العمليات بالسلاح الخاص" براً وجواً.

-الادعاء يبرز وثيقة تقيّم نتائج الهجوم، ويرد فيها حجم الخسائر التي يعتقد أنها لحقت بمجموعة البرزاني، ضمن قوات البشمركة جراء ضربات "العتاد الخاص".

-وثيقة صادرة عن قيادة الاستخبارات العسكرية العراقية السابقة، يذكر فيها الحد الأدنى للخسائر التي وقعت على ما تسميه الوثيقة، "المتمردين وعائلاتهم والقرى المجاورة".

-الادعاء يعرض تسجيلاً مصوراً، يظهر تحركات لشاحنات كبيرة وعربات، وسط حشود من الناس، ثم تظهر صور جثث، يعلق عليها محامي الإدعاء بوصفها "جثث ضحايا الضربات".

-الادعاء يعلق على صور لجثث أطفال بالقول: "هؤلاء هم المخربين والعصاة، وهذه هي المعارك الشرسة التي تحدث عنها سلطان هاشم".

-الفيلم يظهر غارات جوية، والادعاء يطلب من القاضي ملاحظة آثار القصف، موضحاً أن الفيلم هو عبارة عن لقطات تسجيلية متفرقة، تظهر القرى التي تعرضت للضرب وضحايا القصف الجوي.

القاضي يرفع الجلسة.

الجلسة الـ ٣٢ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/٢٠

وثائق خطية جديدة تدين صدام باستخدام الأسلحة الكيمياوية

في هذه الجلسة كشف الإدعاء عن وثائق خطيرة تتضمن مطالعات وكتبا رسمية

وقصاصات صادرة من جهات رسمية متعددة منها مديرية الاستخبارات العامة ورئاسة أركان الجيش وديوان الرئاسة.

وأوضحت الوثائق إن مديرية الاستخبارات التي كان يقودها المتهم صابر الدوري أوصت باستخدام السلاح الخاص (الأسلحة الكيميائية) في ضرب قرى كردية منها قرى (خليفان) و(جوارقرنه) و(حوض باليسان).

كما كشفت وثائق أخرى عن تقديم الاستخبارات لاقتراحات طرحتها الرئاسة لإعادة الضربات بالعتاد الخاص ضد قرى ضربت في أوقات سابقة بأسلحة تقليدية وخاصة.

وأكدت الوثائق إصابة عشرة أهداف من مجموع ١٧ هدفا بواسطة القصف بـ٤٤ طائرة بالسلاح الكيميائي و٢٠ طائرة بالسلاح التقليدي.

كما كشفت الوثائق عن توصيات لوزارة الدفاع بضرب مقرات»العملاء بسلاح الجو التقليدي والخاص وبكل الأسلحة داخل المدى«فيما أشارت مطالعات صادرة عن الاستخبارات بسقوط عدد من القتلى من»عملاء إيران وعدد من أهالي القرى المجاورة.»

وعرض الادعاء كذلك وثيقة جاء فيها»توفرت لدينا معلومات بتاريخ ١٢ مارس من عام ١٩٨٨ حول ممارسات العميد الركن بارق عبد الله احد قادة الجيش العراقي آنذاك حيث قام بإلقاء ثلاثة مخربين من طائرة مروحية وهم موثوقي الأيدي ومن على ارتفاع عال فوق مقر آمرية كوي سنجق وأمام أنظار معظم مقاتلي أفواج الدفاع الوطني.»

كما كشفت الوثائق عن قيام جنود عراقيين بتعذيب وضرب رجل وامرأة كرديين أمام أنظار أفواج الدفاع المدني فضلا عن قيام هذه القوات بتفتيش دور مستشاري أفواج الدفاع الوطني والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم الثمينة.

ورفع القاضي الجلسة.

تفاصيل الجلسة الـ ٢٣ لمحاكمة الأنفال ٢٠٠٦/١٢/٢١

وهذه آخر جلسة حضرها الرئيس العراقي السابق صدام حسين في قضية الأنفال، حيث نُفذ بحقه حكم الإعدام بقضية الدجيل بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٦، والذي كان صدر بتاريخ ٥/ ١١/ ٢٠٠٦.

شهدت الجلسات الأخيرة من المحاكمة عرض وثائق رسمية من قبل الإدعاء توضح، وفقاً لمرافعته، وجود قرار رسمي بضرب المناطق الكردية بالسلاح الكيماوي.

- الإدعاء يعرض وثيقة عسكرية جديدة، تطلب إزالة كافة القرى، مع كافة الدور التي فيها.

- الوثيقة تلحظ استمرار وجود دور في بعض القرى، وتطلب من سلاح الطيران التعامل معها.

- الادعاء ينتهي من عرض الوثائق متعلقة بالمتهم حسين رشيد، وينتقل إلى الوثائق المتعلقة بالتهم الموجهة لسلطان هاشم.

- الادعاء يعرض وثائق ذكر أنها "سرية للغاية،" يُطلب فيها منح بعض كبار الضباط في الجيش العراقي، أوسمة خاصة، لدورهم في حملة الأنفال، ويتساءل "لماذا سرية المذكرة إذا كان العمل بالفعل بطولي؟"

- وثيقة جديدة، تطلب فيها قيادة الجيش العراقي، من اللواء الذي كان يقوده المتهم سلطان هاشم، ضرب منطقة باليسان "بكل ما يتوفر" من عتاد وسلاح، عبر المدفعية والطيران.

- الإدعاء يطلب عرض "وثائق خاصة،" تحتوي معلومات "أمنية حساسة،" والقاضي يطلب قطع بث الصوت من قاعة المحكمة ليتسنى له استعراض الوثائق.

- الإدعاء يعرض وثيقة صادرة عن قيادة أركان الجيش العراقي، تطلب من الفيلق الخامس، تحديد "التجمعات السكانية" الموجودة في منطقته، وضربها "بالوسائل المناسبة،" مع طلب عدم التعرض للقرى الحدودية مع تركيا.

- الوثيقة تتضمن إشارة ما إلى "بروتوكول مع الجانب التركي" إلا أن القاضي يأمر بقطع الصوت مجددا.

- المتهم صدام حسين يسأل القاضي: حول وجود ما يدل على أن أمين السر العام المذكور في هذه الوثيقة قد أبلغ بياناتها إلى الرئاسة.

- المتهم حسين رشيد التكريتي: عرضت علي وثائق التحقيق، وطلب مني أن أتحول إلى شاهد، إلا أنني أرفض أن أعيش إلا بالصدق.

- المتهم حسين رشيد التكريتي: يقول إن الإدعاء عرض عليه صفقه لكي يتم خلالها تحويله إلى شاهد مقابل تعاونه.

- المتهم حسين رشيد التكريتي: يتحدث عن دخول تركي إلى منطقة شمال العراق، بناء على "اتفاقية، " ويسأل "هل يعتبر دخول الأتراك إلى أراضي العراق هو تعدي على السيادة، بينما إدخال الإيرانيين ليس كذلك؟"

- المتهم حسين رشيد التكريتي يوجه كلامه للقاضي بالقول: "نحن أقوى نفسياً من نظامكم كله ونحن لا ننكر مسؤوليتنا عن قتال إيران ولسنا خائفين" .

- المتهم حسين رشيد التكريتي: يحتج أنه كان نائب رئيس الأركان ولست قائد الجيش، وهو بالتالي ليس في موقع قرار لكي يتم إدانته، مطالباً بالرجوع إلى نزار الخزرجي، الرئيس السابق لأركان الجيش العراقي في تلك الفترة.

- المتهم حسين رشيد التكريتي موجهاً الحديث إلى هيئة الإدعاء: "وقعت مخازن سلاح الجيش العراقي في أيديكم، فلتفتشوا المخازن وتظهروا السلاح الكيماوي الذي تتحدثون عنه" .

- القاضي محمد العريبي الخليفة يسأل المتهم حسين رشيد التكريتي حول مسؤوليته عن دائرة التسليح والتجهيز مستوضحاً إذا ما كانت تشمل ما يسمى "العتاد الخاص" .

- المتهم حسين رشيد التكريتي يرد بأن مسؤولية دائرة التجهيز والتسليح تقتصر على السلاح التقليدي.

- القاضي يطلب من المتهم حسين رشيد التكريتي تزويده بأسماء جميع الضباط الذين تولوا مهمات إدارة المديريات الواقعة تحت إدارته.

- الإدعاء يرد على المتهم حسين رشيد التكريتي، باعتبار أن مسؤوليته مستمدة من عضويته في مجلس القيادة العامة للقوات المسلحة.

- المتهم حسين رشيد التكريتي يرد على الإدعاء، مؤكداً أنه كان بالفعل عضواً بمجلس القيادة العامة للقوات المسلحة، إلا أنه ينكر أن يكون، بحكم مهمته، مطلعاً على أي من وسائل استيراد أو تخزين أو إطلاق ما يسمى "العتاد الخاص" .

- المتهم حسين رشيد التكريتي: الأنفال خطة وضعت للتصدي لمشروع إيراني بالتقدم نحو شمال العراق وضرب سدود المياه وإغراق بغداد أثناء الحرب.

- الإدعاء يرد على المتهم حسين رشيد التكريتي قائلاً إنه لا يناقش التراتبية العسكرية في الجيش العراقي، إنما يناقش الأدوار، مضيفاً "إن كل جيوش العالم فيها تراتبيات هرمية، لكن ليس هناك جيش في العالم يضرب شعبه بالسلاح الكيماوي".

- المتهم حسين رشيد التكريتي يطعن بصحة الوثائق التي تظهر أوامر لضرب التجمعات السكنية والمدنية، معتبراً إياها مزورة.

- القاضي محمد العريبي الخليفة يرفع الجلسة للاستراحة.

- عاودت الجلسة انعقادها، وبدأت بإدلاء المتهم سلطان هاشم أحمد بدفاع أمام القاضي محمد العريبي الخليفة.

- المتهم سلطان هاشم أحمد يقول: إن المتمردين الأكراد، كانوا يشكلون قوات شبه نظامية، وأنهم كانوا على اتصال دائم وتعاون مع القوات الإيرانية.

- المتهم سلطان هاشم أحمد يتمنى أن تنجلي المحكمة بكشف الحقيقة، مطالباً بالتوقف عن توجيه الاتهامات المشينة بالقتل والسرقة للجيش العراقي.

- الإدعاء يرد بأن المتهمين يدافعون عن نفسهم بذكر الحرب الإيرانية، ويطالبهم بحصر ردهم بقضية الأنفال التي وجهت ضد الأكراد. ويضيف بأنهم مسئولون مسئولية تبعية عن أعمال جنودهم لأنهم كانوا في موقع قيادي.

- القاضي محمد العريبي الخليفة يرفع الجلسة حتى ٨ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٧.

وأُسدل الستار ..

وهنا يُسدل الستار على آخر جلسة حضرها صدام حسين، لتستمر المحكمة ب٦٠جلسة؛ انتهت بإصدار المحكمة الجنائية العليا بهيئتها الثانية بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٤ على ثلاثة من المتهمين في قضية الأنفال هم: علي حسن المجيد الملقب بـ"علي الكيماوي" الذي قاد عمليات الأنفال بتفويض مطلق من ابن عمه رئيس النظام السابق صدام حسين وعلى وزير الدفاع الأسبق سلطان هاشم احمد الطائي وعلى حسين رشيد التكريتي عضو قيادة القوات المسلحة السابقة اثر إدانتهم بارتكاب "إبادة جماعية" و"جرائم ضد الإنسانية" في قضية جرائم الأنفال بالإعدام شنقاً حتى الموت.

وأعلن القاضي محمد العريبي الخليفة أن المحكمة حكمت بالإعدام عليهم بعد إدانتهم "بتهم ارتكاب إيادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب ولدورهم الوحشي في حملات الأنفال ضد الكرد."

وكانت المحكمة الجنائية العليا حكمت بالسجن مدى الحياة على كل من فرحان مطلق الجبوري وصابر الدوري بتهمة ارتكاب "جرائم حرب" في قضية الأنفال وأسقطت التهم عن طاهر توفيق العاني المحافظ الأسبق للموصل "لانعدام الأدلة".

وبرغم انتظار التمييز فقد أسدلت الأحكام في قضية الأنفال الستار على ابرز محاكمات عراق ما بعد صدام حسين بعدما مثل أمام القضاء كبار المسئولين السابقين في نظام حكمه عقوداً عدة.

وقد عرض الادعاء العام وثيقة موقعة من صدام حسين بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٨٧ يؤكد فيها أن "للرفيق علي حسن المجيد مطلق الصلاحيات في المنطقة الشمالية". وأشارت وثيقة أخرى إلى "استخدام أسلحة خاصة في كردستان".

وكان آل فرعون عرض خلال إحدى الجلسات فيلم فيديو يتضمن لقطات لعلي المجيد يعرب فيها عن رغبته في قصف الكرد بأسلحة كيميائية.

واستمع الحضور إلى المجيد الذي ظهر مرتدياً بزة عسكرية يقول مرتين "سأقصفهم بأسلحة كيميائية" ويبدي أيضاً استخفافاً تجاه الأسرة الدولية.

وقال المدعي العام لدى عرض صور قتلى "نرى عائلات، أطفال ونساء ورجال ينتحبون، أريد من العالم أن ينظر إلى هذه الصور وهؤلاء الأطفال فهذا طفل مات على صدر والدته انظروا إلى الحروق التي تلف جسده فهل هؤلاء مخربون أم عملاء لإيران؟".

كما تخلل الجلسة الاستماع إلى شريط صوتي يعود إلى صدام حسين يتضمن مقاطع عن مسؤوليته في اتخاذ قرار حول الأسلحة الكيميائية.

وقال صدام في الشريط "سأتحمل مسؤولية استخدام أسلحة كيميائية... لا يمكن لأحد أن يوجه الضربة دون موافقتي". وتابع "من الأفضل استخدام هذا السلاح في أماكن مزدحمة كي يكون فعالاً ويطال اكبر عدد ممكن من الناس".

وأضاف "يجب أن ننقل الأكراد إلى محافظات أخرى لإنهاء الأمة الكردية ووقف

المخربين. يجب أن نسمح لهم بالعمل والسكن في تكريت وبالتالي سيتحولون إلى عرب".

وتابع صدام في الشريط "عندما تقع أعمال تخريبية اقطعوا رؤوسهم على الفور".

وعقد رئيس المحكمة عقب النطق بالحكم مؤتمراً صحفياً استعرض فيه سير جلسات القضية منذ بدء قاضي التحقيق عمله، وتناول ابرز الإجراءات القانونية والزيارات الميدانية وشهادات الشهود والشكاوى وإفادات الخبراء الأجانب وتطابق أسماء الضحايا مع الإفادات المقدمة واستعرض كذلك الأدلة المقدمة من وثائق وصور ومقاطع فيديو وقبل ذلك كان القاضي محمد العريبي الخليفة قد تناول في سرد تاريخي مصطلح الأنفال ومعناه اللغوي ومغزى إطلاق التسمية من قبل النظام السابق على عملياته ضد الكرد. وبين التصميم الذي كان يتمتع به المدان علي حسن المجيد وبقية المدانين على إبادة القومية الكردية وأشار إلى استمرار عمليات الأنفال بعد توقف الحرب العراقية -الإيرانية، الأمر الذي يدحض حجج النظام السابق بان للأنفال علاقة بتلك الحرب.وأشار إلى جملة من قرارات الأرض المحروقة وأوامر الكيماوي بقتل كل رجل من سبعين عاماً فما دون وصولاً إلى الصبية ذوي الـ ١٥ عاما والى قرار آخر بقتل كل متحرك في مناطق العمليات ضمن حملة قال القاضي العريبي أنها مهدت لعمليات الأنفال.

وحول عدد المطلوبين للقضية من غير المتهمين الذين تم محاكمتهم وإدانتهم قال العريبي، إن ٤٢٣ مطلوبا بينهم وفيق السامرائي طلبت المحكمة من قاضي التحقيق أن يقوم بالإجراءات اللازمة كونهم من المتورطين في القضية. وقال، إن القضاء في العراق الجديد لا يهتم للمناصب ويرمي إلى تحقيق العدالة وذكر إن قادة في الجيش السابق وآخرين فيما يسمى بأفواج الدفاع الوطني(الجحوش) ـ وهم من القومية الكردية ـ ومسئولين حزبيين من البعث المنحل هم من المطلوبين ضمن هذا الرقم.

ويذكر أن قرار التمييز حول الأحكام التي صدرت في حال المصادقة عليها سيدخل حيز التنفيذ خلال شهر من ذلك أو في حال رد الأحكام أو جزء منها فسوف يصار إلى النظر مجدداً في القرارات كما حصل مع قرار التمييز في قضية الدجيل الذي أوصى بتشديد عقوبة المدان طه ياسين رمضان من المؤبد إلى الإعدام.

الفصل الخامس عشر

محكمة الدجيل

في قضية الدجيل

ملف آخر للتحقيق والاستجواب. . . صدام حسين وسبعة من أعوانه خضعوا للمحاكمة في قضية الدجيل وهم: طه ياسين رمضان، وبرزان إبراهيم التكريتي، وعواد حمد البندر، وعبد الله كاظم رويد، وعلي دايم علي، ومحمد عزاوي علي، فضلاً عن مزهر عبد الله رويد.

قصة مجزرة الدجيل

وقعت مجزرة الدجيل التي حوكم الرئيس العراقي السابق صدام حسين ومساعديه قبل ٢٦ عاماً في بلدة تحمل هذا الاسم شمال بغداد، بعد هجوم على موكب الرئيس السابق.

وقتل في المجزرة ١٤٣ شخصاً من سكان البلدة ودمرت ممتلكات عديدة، بينما حكم على الناجين بنفي في الداخل مدة أربعة أعوام. واليوم وبعد ٢٦ عاما على الواقعة لم ينس سكان القرية العملية وطالبوا بأن يكشف صدام حسين المكان الذي دفنت فيه جثث الضحايا.

بدأت قصة الدجيل في السابع من رمضان الموافق للثامن من يوليو/ تموز عام ١٩٨٢ عندما زار صدام حسين أحد أئمة المساجد وتوقف دقائق ثم انطلق موكبه المكون من أكثر من ثلاثين سيارة، وفي وسط المدينة أطلق مسحلون النار بصورة كثيفة على سيارات الموكب.

وإثر الهجوم استبدل صدام سيارته ثم توجه إلى مقر الفرقة الحزبية واجتمع بأعضائها مدة ساعة وعاد مرة أخرى إلى وسط المدينة ليلقي خطاباً من على سطح مبنى

المستوصف الصحي إلى أهالي المدينة. وفي هذا الخطاب، أكد صدام أن "من قام بهذه العملية هم أشخاص معدودون تم إلقاء القبض عليهم".

ويقول عبد الحسين الدجيلي الذي كان شاهداً على الأحداث حينئذ ويرأس حالياً منظمة السجناء الأحرار، إن قوات الجيش والحرس الخاص والحرس الجمهوري دخلت المدينة في اليوم التالي وبدأت تمشيط البساتين بعد أن قصفتها بالصواريخ والطائرات، ثم بدأت حملة اعتقالات استمرت أشهراً وشملت عدداً كبيراً من الرجال والأطفال والنساء.

وأكد أن عدد من أعدموا يفوق العدد المعلن وبينهم ثمانية أطفال. وأضاف أن القوات العراقية احتجزت آنذاك ثماني عائلات مكونة من ٦١٢ فرداً، وأزالت مساحات زراعية تقدر بـ٧٥ ألف دونم، وطمرت نهر الدجيل.

بعدها أمر صدام حسين بتغيير اسم المدينة من الدجيل إلى (الفارس).

وأصدرت محكمة الثورة في ١٤/٦/ ١٩٨٤ حكماً بإعدام ١٣٥ شخصاً من سكان المدينة، ليليه المرسوم الجمهوري الذي وقعه صدام حسين في ١٦/٦/ ١٩٨٤ بالمصادقة على قرار الحكم المشار إليه ومحضر تنفيذ الحكم في ٢٣/ ٣/ ١٩٨٥ وفقاً للمادتين ١٥٦/ ١٥٧/ ٢ وبدلالة المواد ٤٩ و٥٠و٥١ من ق.ع ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة، وقد وقّع على قرار الحكم العقيد الحقوقي طارق هادي شكر والعقيد الحقوقي داود سلمان شهاب ورئيس المحكمة عواد حمد البندر.

ومن الذين تم الحكم عليهم بالإعدام: طالب عبد جواد ومحمد عبد جواد وحسن علي حسين وثائر عباس علي وقاسم عبد علي ومحمود سرحان حميد وعدنان حسن لطيف وفارس محمد هادي وعباس ياسين محمود وعلي أمير حسين وهاشم علي وفخري عباس حسن وحافظ محمد هادي وعلي محمد هادي واحمد عبد جواد ومسلم عبد علي وفارس جاسم محمد ومحمد هجول عباس وعلي رشيد كاظم ومحمد رشيد كاظم وعامر دحام سلطان وحسن دحام سلطان وعلي دحام سلطان وهادي عبد الوهاب وظافر حسن هادي ومحمد محمود جاسم عبد الحسين ومحمد وأمين محمد وزامل محمد هادي وقاسم محمد لطيف وسالم عبد عباس علي وصاحب جاسم محمد وناجي كاظم الجعفر وسعد جميل أيوب وأمين جاسم امين وإبراهيم عبد الأمير جواد وثامر جسوم محمد وعبد الله ياسين محمود وعلي ياسين محمود وجبار جواد مصطفى وسهيل

نجم عبود وسبهان جسوم محمد وسالم حسن محمد ومظهر جميل أيوب وجميل أيوب يوسف وفالح حسن محمد ومحمد حسن محمد ولطيف حسن لطيف وحسن مهدي جعفر وعبد جواد كاظم ودحام سلطان حسن وجعفر جاسم امين وحيدر جاسم حسين ومسلم جاسم امين وعمار واحمد جاسم وقاسم محمد جاسم وثامر هاني سهيل ومهدي عبد الأمير نصيف وعبد الرسول علوان وأياد رشيد كاظم.

المحكمة

سجلت محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين حدثاً تاريخياً في مسيرة القضاء العراقي من حيث أهميتها وإجراءاتها حيث واجه صدام حسين حكماً بالإعدام بعد أن حكم العراق ٣٥ عاما في مرحلة تاريخية حاسمة شكلت معالم بلاده حاضراً ومستقبلاً، ليأتي الحكم المنتظر بعد ٣٨ جلسة تم خلالها الاستماع إلى ٩٥ شاهد إثبات ونفي، ووصلت ملفات القضية فيها إلى عشرة آلاف ورقة بينما انفق على مجريات القضية حوالي مليوني دولار في حين قال فريق المحامين انه سيستأنف الحكم إذا صدر بإدانة صدام .وانتهت المحكمة في السابع والعشرين من تموز (يوليو) ٢٠٠٦ من الاستماع إلى جميع شهود الدفاع عن المتهمين الثمانية والذين بلغ عددهم ٦٨ شاهداً كما استمعت إلى ٢٧ شاهد إثبات خلال ٣٨ جلسة. وتوزع شهود الدفاع على الشكل التالي: ٢١ شاهد دفاع عن صدام و٩ عن برزان التكريتي و٣ عن طه ياسين رمضان و٤ عن عواد البندر و٦ عن محمد عزاوي و١٠ عن كاظم رويد و٨ عن علي دايح علي و٧ عن مزهر عبد الله رويد.

وقد رفض صدام حسين وبعد أن استمع إلى الاتهامات الموجهة له الرد على السؤال ما إذا كان مذنباً أو غير مذنب، وقال انه لا يستطيع الرد بنعم أو لا على مثل هذه التهم لان قائمة الاتهامات طويلة جداً. وأضاف "أنا رئيس الجمهورية ومحمي من قبل الدستور لذلك لا استطيع أن أجيب على اتهامات طويلة جداً" وأشار إلى أن هذه ليست بطريقة لمعاملة رئيس العراق "كما إنني لا اعترف بسلطة هذه المحكمة التي لا تستطيع أن تحاكم رئيس دولة بحسب الدستور". فرد عليه القاضي "أنت لست رئيس الدولة الآن بل أنت متهم".

وطلب رئيس هيئة الادعاء العام جعفر الموسوي في التاسع من حزيران (يونيو)

الإعدام لصدام وأخيه غير الشقيق برزان التكريتي ونائبه طه ياسين رمضان وتبرئة محمد عزاوي والسجن للبقية، وأكد أن الجرائم التي ارتكبت في مدينة الدجيل ترقى إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية، موضحاً أن أحكام الإعدام شملت أحداث قاصرين بلغ عددهم ٢٨ فردا تراوحت أعمارهم بين ١٢ و١٦ عاما. وأكد أن الرئيس السابق ومعاونوه السابقون لا يتمتعون بالحصانة، وقال إن تقادم القضايا أو الحصانة التي يتمتع بها المتهمون لا يحولا دون تقديمهم إلى المحاكمة.

وقال انه مورست عمليات تعذيب ضد المعتقلين في مركز المخابرات أدت إلى وفاة ٤٦ منهم، ثم صدرت أحكام بإعدام ١٤٨ معتقلاً بينهم الستة والأربعين ضحايا التعذيب، إضافة إلى نفي المئات من الأطفال والنساء والشيوخ الذين بلغ عددهم ٣٩٩ شخصا إلى صحراء ليا بالقرب من السعودية لمدة أربع سنوات، حيث لم يعادوا إلى الدجيل إلا في عام ١٩٨٦. وتساءل عما إذا كانت هذه الإجراءات تتناسب مع إطلاق عدد قليل من الرصاصات ..وقال إن الدجيل شهدت عمليات انتقام واسعة طالت المئات من أبنائها، ولذلك يعتبر ما حدث جرائم ضد الإنسانية جرت بأوامر من السلطات ضد السكان المدنيين وتوجب اعتبار ذلك قتلاً عمداً.

ووفقاً لوثائق رسمية ومصادر خاصة؛ فإن مجريات محكمة الدجيل قد سارت منذ بدايتها وحتى انتهاء إجراءاتها على الشكل الآتي:

الجلسة الأولى: الأربعاء ١٩ اكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٥

بدأت المحاكمة في المنطقة الخضراء المحصنة تحصيناً جيداً، في بغداد. وشكك صدام بنبرة تحدٍّ في شرعية المحكمة قبل أن ينكر هو وأخوه وبقية المتهمين التهم الموجهة إليهم بإصدار الأوامر بقتل ١٤٨ مواطناً عراقياً من قرية الدجيل على أثر محاولة اغتيال صدام عام ١٩٨٢.

وبعد أكثر من ثلاث ساعات، تأجلت المحاكمة حتى الثامن والعشرين من نوفمبر. وقال القاضي الكردي رزكار محمد أمين إن سبب التأجيل الرئيسي هو أن الشهود لم يحضروا.

أبرز المشاهد

اقتيد صدام حسين وشركاؤه المتهمون إلى قفص مقسم إلى مقاعد وسط قاعة المحكمة. وجلس صدام بجانب برزان إبراهيم التكريتي، الذي كان رئيس جهاز استخباراته، ثم نائب الرئيس السابق طه ياسين رمضان، ثم عواد حمد البندر، وهو قاض ورئيس محكمة سابق، ثم مسئولو حزب البعث في الدجيل وهم عبد الله كاظم رويد وعلي دايح علي ومحمد عزاوي ومزهر عبد الله رويد.

ورفض الرئيس العراقي السابق تأكيد هويته سائلا القاضي رئيس المحكمة : " من أنت؟ ما كل هذا الذي يحدث هنا"؟

ووسط تلاسن معه، قال صدام للقاضي " : أنني أحتفظ بحقوقي الدستورية كرئيس للعراق. ولا اعترف بالجهة التي نصبتك .. لا أعترف بالعدوان ".

وقد تأجلت المحاكمة وبدا صدام مقيداً والحرس يشرع في الإمساك بذراعيه لمصاحبته إلى خارج القاعة .

الجلسة الثانية: الاثنين ٢٨ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٥

استمعت المحاكمة إلى شهادة الشاهد الأول، وهو ضابط استخبارات عراقي سابق حقق في محاولة اغتيال صدام حسين عام ١٩٨٢ التي أدت إلى المذبحة في الدجيل. وشكا صدام من أن حراسه الأجانب أخذوا قلمه منه، مما جعله غير قادر على التوقيع على أوراق المحكمة.

وامتنع أربعة على الأقل من محامي الدفاع عن حضور الجلسة وتأجلت المحاكمة حتى الخامس من ديسمبر/ كانون الأول لإيجاد بديلين لأثنين من محامي الدفاع جرى اغتيالهما.

أبرز الأدلة

في شهادته التي سجلت قبل وفاته بمرض السرطان، قال الشاهد وضاح الشيخ إن مئات من الأشخاص اعتقلوا بعد كمين الدجيل الذي تقول التقديرات إنه كان من تنفيذ ما بين سبعة إلى ١٢ شخصا.

وقال الشاهد " لقد اعتقلوا ٤٠٠ شخصا من البلدة، سيدات ونساء وأطفال. وشارك حرس صدام الخاص في قتل الناس".

وأضاف " لا أعرف لماذا اعتقلوا كل هذا العدد الكبير من الناس. برزان إبراهيم التكريتي كان هو الذي أعطى الأوامر بشكل مباشر".

وأشار الشيخ إلى أن صدام منح ضباط المخابرات أوسمة لمشاركتهم في العملية .

الجلسة الثالثة: الاثنين ٥ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٠٥

مثل أول شاهد عيان علنا أمام المحكمة ليدلي بشهادته. وبغضب، قاطعه صدام حسين وأخوه غير الشقيق. وقال صدام للمحكمة أنه لا يخشى الإعدام. وكانت المحكمة قد توقفت في وقت سابق لأكثر من ساعة بسبب مغادرة الدفاع القاعة احتجاجا على رفض القاضي رئيس المحكمة السماح لهم بفرصة لعرض مبرراتهم للطعن في شرعية ما يحدث في محكمة علنية.

ابرز الأدلة

أدلى الشاهد أحمد حسن محمد بشهادته حول التعذيب على أيدي أجهزة الأمن. وشرح كيف تعرض السيدات والأطفال للتعذيب وقال أن الأطفال الرضع الموتى فد تركوا في العراء.

وقال محمد " هؤلاء الذين اعتقلوا قد أخذوا إلى السجون حيث قتل معظمهم. وكان المشهد مخيفا. فحتى الأمهات ذوات الأطفال الرضع اعتقلن".

وأضاف "شملت أساليب التعذيب التي استخدمتها القوات العراقية فرم الناس أحياء في ماكينة ".

واستمعت المحكمة أيضا إلى وصف محمد لطريقة قتل أحد أصدقائه قائلا : " لقد كسروا ذراعيه وساقيه وأطلقوا النار على قدميه ".

الجلسة الرابعة: الثلاثاء ٦ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٠٥

استمعت المحكمة إلى أدلة من ثلاثة شهود من بلدة الدجيل. وسمح لكل الشهود بأن يحتفظوا بحق إخفاء هويتهم وقدموا أدلة من وراء ستار. وعندما أعلن القاضي أن

المحاكمة سوف تستمر اليوم التالي (الأربعاء)، شكا صدام من أنه مرهق وقال للقاضي "اذهب إلى الجحيم".

ابرز الأدلة

وقالت شاهدة تدعي" ألف"، وقد جرى تغيير نبرة صوتها لحمايتها، إن أحد أفراد الأمن أجبرها على خلع ملابسها ثم تعرضت للضرب والتعذيب بالصدمات الكهربائية.

وأضافت أنه احتجزت بعد ذلك في سجن أبو غريب أربع سنوات.

وعندما سألها القاضي، لم تستطع السيدة تحميل شخص معين من المتهمين المسؤولية. غير أنها قالت إن صدام كان مسئولا لأنه هو الذي كان يحكم البلاد.

وقال شاهد آخر، وهو الشاهد " سين" إن قوات الأمن أخذته وأبويه وأختيه وقضوا ١١ شهرا في سجن أبو غريب، حيث مات أبوه بعد ضربه على رأسه.

وقال "اعتادوا أن يحضروا الرجال إلى غرفة النساء وطلبوا منهم أن يعووا كالكلاب".

الجلسة الخامسة: الأربعاء ٧ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٥

ساد هذا اليوم سيل من المشاحنات حول كيفية الاستمرار في إجراءات المحاكمة عندما نفذ صدام تهديده بعدم حضور المحاكمة. وفي النهاية استؤنفت المحاكمة بدونه وأدلى اثنان من الشهود من وراء الستار بأقوالهم حول تعذيب مزعوم قبل أن ترفع المحكمة جلساتها حتى الحادي والعشرين من ديسمبر.

ابرز الأدلة

وصف الشاهد "فاء" من وراء ستار المعاملة التي لقيها خلال ٧٠ يوما من الاعتقال في سجن مخابرات بغداد، تلاها عام ونصف من الاعتقال في سجن أبو غريب.

وروى الشاهد للمحكمة كيف تعرض للضرب وقال إن برزان التكريتي كان موجودا في إحدى المرات التي ضرب فيها.

غير أنه أقر بـأنه كان معصوب العينين وأن معتقلين آخرين قالوا له إن المحقق الذي كان يستجوبهم هو برزان التكريتي.

وقال الشاهد نفسه أن السجناء تعرضوا للتعذيب يوميا في أبو غريب حيث حرموا من النوم والأكل وأجبروا على الوقوف لأيام.

الجلسة السادسة: الأربعاء ٢١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٥

ملخص : قال صدام للمحكمة إن القوات الأمريكية ضربته في المعتقل. وأوضح " لقد تعرضت للضرب في كل مكان في جسمي وآثار الضرب موجودة في كل مكان بجسمي ". من ناحيتهم، سخر ممثلو الإدعاء من مزاعمه. وقضى الرئيس العراقي السابق معظم اليوم في الاستماع هادئا إلى شهادة اثنين من الشهود.

ابرز الأدلة

أدلى الشاهدان بأقوالهما حول التعذيب على أيدي أجهزة الأمن العراقية وقالا أن الدجيل هوجمت بالقذائف باستخدام طائرات الهيلوكبتر الحربية بعد محاولة اغتيال صدام.

وقال الشاهد الأول، على محمد حسن الحيدري، أن عائلته المكونة من ٤٣ فردا قد اعتقلت بكاملها وعذبت. كما قتل بعد أخوته رميا بالرصاص.

وقال الحيدري الذي كان في الرابعة عشرة في ذلك الوقت " لقد رأيت أخي وهو يتعرض للتعذيب أمام عيني ".

وقال الشاهد " ج "، الذي أدل ى بشهادته من وراء ستار، للمحكمة إن برزان التكريتي كان موجودا في مركز الاعتقال.

وأضاف " عندما تعرضت للتعذيب كان برزان جالسا يأكل العنب ".

أما برزان فقد بدأ في الصراخ موجها كلامه للقاضي قائلا إنه سياسي وليس مجرما. وقال رافعا يديه " يديا نظيفتان ".

الجلسة السابعة: الخميس ٢٢ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٠٥

تأجيل المحاكمة إلى ٢٤ يناير/ كانون الثاني بعد الاستماع إلى شهادات حول التعذيب وعمليات القتل. وعاود صدام عرقلة سير إجراءات المحاكمة ليدين الولايات المتحدة، قائلا إنها كذبت بشأن أسلحة الدمار الشامل قبل غزو العراق.

وأضاف صدام أن الولايات المتحدة كذبت أيضا عندما أنكرت أن سجانيه الأمريكيين ضربوه. وشهدت نفس الجلسة أيضا نوبات غضب من برزان التكريتي الذي كان يشكو من أن السلطات تفرض رقابة على التغطية التليفزيونية للمحاكمة.

ابرز الأدلة

شهد ثلاثة من الشهود في جلسة قصيرة مغلقة يوم الخميس، متحدثين من وراء ستار لإخفاء هويتهم. فقد قال الشاهد الأول، ويدعى "هاء "، إنه كان في الثامنة من عمره عندما وقعت عمليات القتل في الدجيل. وأضاف أن جدته وأبيه وعمه قد اعتقلوا وعذبوا وأنه لم ير أقاربه الرجال على الإطلاق منذ ذلك الوقت.

وقال صدام أن الشاهد كان وقت الحادث صغير السن لدرجة لا يمكن معها الأخذ بشهادته.

وقال الرئيس العراقي السابق أنه يأسف لسماع أقوال الشهود حول التعذيب، قائلا "عندما اسمع أن عراقيا تألم فإنني أشعر بالألم أيضا ".

الجلسة الثامنة: الثلاثاء ٢٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٦

تأجيل المحاكمة إلى ٢٩ يناير/ كانون الثاني بعد عدم تمكن المحكمة من الانعقاد. وقال مسئولون إن عددا من شهود العيان ما زالوا خارج البلاد حيث كانوا يؤدون الحج الذي انتهى قبل ١١ يوما.

وترددت أقوال أيضا حول وجود خلاف بين أعضاء هيئة المحكمة حول تغيير رئيسها. وكان قد تم تعيين القاضي رؤوف عبد الرحمن يوم ٢٣ يناير/ كانون الثاني خلفا للقاضي رزكار أمين الذي استقال وسط اتهامات بأنه متساهل أكثر من اللازم مع المتهمين.

الجلسة التاسعة: الأحد ٢٩ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٦

صدام يغادر قاعة المحكمة بعد دقائق فقط من استئناف المحاكمة. وقد سبقه إلى خارج القاعة فريق دفاعه واثنان من المتهمين.

وجاء ذلك بعد أن أمر القاضي الجديد بإخراج، برزان التكريتي، الأخ غير الشقيق

للرئيس العراقي المخلوع وأحد المتهمين في القضية، من المحكمة بسبب الإطالة وتضييع الوقت في عرض شكواه من نوعية العلاج، الذي يتلقاه، من السرطان.

وقد اتهم القاضي محامي الدفاع بدفع المتهمين للظن بأن بمقدورهم إبداء ازدرائهم لسلطة المحكمة. ومنع أحد المحامين من دخول قاعة المحكمة، ما دفع بقية فريق الدفاع لمغادرتها غاضبين. أما صدام فقد انبري في جدال طويل مع القاضي ثم اخرج في النهاية من القاعة.

وجري تعيين أربعة محاميين جدد للدفاع عن صدام غير أن اثنين من المتهمين، وهما طه ياسين رمضان وعواد حمد البندر، قالا إنهما لم يوافقا على ذلك وغادرا قاعة المحكمة أيضا. وتأجلت المحاكمة إلى أول فبراير/ شباط.

الجالسة العاشرة: الأربعاء ١ فبراير/شباط ٢٠٠٦

أعلن القاضي الجديد الذي عين رئيسا للمحكمة التي تحاكم صدام وأعوانه بأنه سيواصل المحاكمة ولو في غياب صدام حسين.

ويُذكر أن خمسة من المتهمين الثمانية غابوا عن الجلسات الأخيرة بعد انسحابهم رفقة صدام حسين خلال جلسة يوم الأحد. كما قاطع فريق الدفاع جلسات المحكمة بعد أن طالب بتنحية رئيس المحكمة الجديد القاضي رؤوف عبد الرحمن بدعوى تحيزه.

وبعد انسحاب فريق الدفاع، عينت المحكمة فريقا جديدا للدفاع عن المتهمين.

جرت جلسات المحكمة في جو هادئ لم تتخلله أي احتجاجات أو مقاطعات لهيئة المحكمة حيث خُصص معظم الوقت للاستماع لشهادات الشهود.

ابرز الأدلة

استمعت المحكمة لإفادات خمسة من شهود الإدعاء ومن ضمنهم شهادة امرأة ذكرت فيها أن قوات الأمن التابعة لصدام حسين اعتقلتها ثم قامت بتعذيبها في السجن.

وأضافت بأنها جردت من ثيابها تماما وعلقت من رجليها وضربت مرارا على صدرها من طرف مدير المخابرات آنذاك برزان التكريتي.

الجلسة ١١: الخميس ٢ فبراير/شباط ٢٠٠٦

استؤنفت المحاكمة دون حضور أي من المتهمين الثمانية حيث قاطع جلساتها صدام حسين وأربعة من المتهمين بينما منع رئيس المحكمة الثلاثة الآخرين من حضور الجلسات لاتهامهم بالفوضى وعدم الانضباط خارج قاعة المحكمة.

وبعد الاستماع لاثنين من الشهود، أجلت المحاكمة لمدة عشرة أيام.

ابرز الأدلة

أدلى اثنان من شهود الإدعاء بأدلة حيث شهد أحدهما من وراء ستار بأنه وأفرادا آخرين من عائلته تعرضوا للتعذيب على يد قوات الأمن التابعة لصدام حسين.

وأضاف قائلا: "قاموا بتعذيبنا عذابا مبرحا. لقد بلغ بهم الأمر أن جردوا إحدى أخواتي من ثيابها وانهالوا عليها ضربا أمام عيني. علقوني من رجلي في السقف ثم أخضعوني لصدمات كهربائية. "

الجلسة ١٢: الاثنين ١٣ فبراير/شباط ٢٠٠٦

أحدث صدام حسين ضجة داخل قاعة المحكمة بعد أن عاد إلى حضور جلساتها مرغما في أعقاب مقاطعته لجلسات سابقة رفقة أعوانه السبعة الذين يحاكمون معه.

وردد شعارات مناهضة للولايات المتحدة ورئيس المحكمة الجديد القاضي رؤوف عبد الرحمان حيث أصر على ضرورة تنحيته لأنه ليس محايدا وصرخ قائلا: "هذه ليست محكمة وإنما مهزلة".

وتدخل القاضي عبد الرحمن قائلا: "ينص القانون على أنه في حال رفض المتهمين حضور جلسات المحكمة، فمن حق المحكمة إرغامهم على الحضور".

ابرز الأدلة

مثل أمام هيئة المحكمة مساعدان بارزان لصدام حسين لكنهما اشتكيا بأنهما أرغما على الإدلاء بشهادتهما؛ وهما مدير مكتب صدام حسين السابق أحمد خضير والمدير السابق لجهاز الاستخبارات الخارجية حسن العبيدي.

عرضت المحكمة على السيد خضير وثيقة قيل إنها تتضمن توقيعه وتظهر أن صدام

حسين صادق على عمليات القتل التي جرت في الدجيل عام ١٩٨٢. ورد السيد خضير قائلا: " لا أتذكر. لا أتذكر أي شيء على الإطلاق".

الجلسة ١٣: الثلاثاء ١٤ فبراير/ شباط ٢٠٠٦

بدأت جلسة المحاكمة اليوم بصياح وأصوات تحد من المتهمين. وأعلن صدام حسين أنه والمتهمين معه يخوضون إضرابا عن الطعام منذ ثلاثة أيام احتجاجا على الطريقة التي تعاملهم بها المحكمة.

ومثُل الأخ غير الشقيق لصدام حسين، برزان التكريتي، أمام هيئة المحكمة وهو يلبس ملابس داخلية طويلة لليوم الثاني للتعبير عن رفضه للمحاكمة.

ابرز الأدلة

حضر هذه الجلسة ضابطان سابقان من المخابرات أحدهما أدلى بإفادته من خلف ستار بينما تحدث الضابط الثاني وهو فاضل محمد العزاوي علانية دون إخفاء هويته.

غير أن العزاوي أصر على أنه أحضر للمحكمة رغما عنه وأنه لا يملك أية معلومات يدلي بها بشأن قضية الدجيل، مضيفا أنه وقع على إفادة دون أن يقرأ مضمونها لأنه لم يكن يحمل نظارته.

ثم بدأ برزان التكريتي بالدفاع عن نفسه في حماس واضح مصرا على أنه أمر بإطلاق سراح الموقوفين في الدجيل وأنه لا علاقة له بهذه القضية وقال: "أطلقت سراح كل الموقوفين داخل القاعة أي أكثر من ٨٠ شخصا. أقسم بالله أنني ودعتهم فردا فردا مع الاعتذار ".

كما مثل أمام هيئة المحكمة وزير سابق للثقافة ومساعد شخصي لصدام هو حامد يوسف حمادي. وواجهه الادعاء العام بوثيقة توصي بتخصيص مكافآت لستة مسئولين لدورهم في اعتقالات الدجيل ومكتوب عليها كلمة "يُعتمد".

وعند سؤاله عن الخط الوارد في الكتاب، أجاب بأنه "يبدو مثل خط صدام".

الجلسة ١٤: الثلاثاء ٢٨ فبراير/ شباط ٢٠٠٦

شهدت جلسات محاكمة اليوم حضور فريق الدفاع عن صدام وأعوانه لأول مرة بعد مقاطعة المحكمة لمدة شهر بسبب اتهام رئيس المحكمة بالتحيز. واستهل فريق الدفاع مداخلته بالدعوة إلى تنحية رئيس المحكمة ورئيس النيابة العامة وتأجيل

المحاكمة. غير أن رئيس المحكمة رفض التنحي عن منصبه مما حدا باثنين من كبار أعضاء فريق الدفاع بالانسحاب من المحكمة.

لكن إجراءات المحاكمة تواصلت بكل هدوء كما أن المتهمين الثمانية أخذوا مقاعدهم في قفص الاتهام في هدوء نسبي.

ابرز الأدلة

قدم رئيس الادعاء العام، جعفر الموسوي، مذكرة إدارية مؤرخة بتاريخ ١٦ يونيو/حزيران ١٩٨٤ وقال إنها تحمل توقيع صدام حسين بالمصادقة على أحكام الإعدام في حق ١٤٨ من سكان بلدة الدجيل.

كما عرض الموسوي وثيقة أخرى قال إنها تحمل توقيع المتهم عواد البندر.

الجلسة ١٥: الأربعاء ١ مارس/آذار ٢٠٠٦

بدا صدام حسين والمتهمون السبعة معه في قضية الدجيل هادئين خلال اليوم الثاني من المحاكمة المخصص للاستماع للأدلة التي ساقها الادعاء العام. كما حضر المحاكمة كل أفراد طاقم الدفاع ما عدا محاميا كان قد غادر قاعة المحكمة يوم الثلاثاء رفقة زميل له.

لكن في تطور مثير أعلن صدام حسين، عندما رفع القاضي جلسات المحاكمة لهذا اليوم، أنه يتحمل المسؤولية لوحده عن الأعمال التي قام بها نظامه وبالتالي لا ينبغي للمحكمة أن تحاكم أي أشخاص آخرين. واعترف بمسؤوليته عن تجريف حقول الأشخاص الذين توفوا لكنه نفى ارتكاب أي جرائم.

ابرز الأدلة

قدم رئيس الادعاء العام المزيد من الوثائق والخطابات الرسمية التي يدعي بأنها تورط المتهمين في قضية الدجيل.

ومن ضمن الوثائق المقدمة، شهادات وفاة تخص نحو ١٠٠ شخص من سكان بلدة الدجيل وأوامر ترحيل تظهر كيف قامت السلطات العراقية آنذاك بنفي عائلات المتوفين إلى الصحراء ومصادرة أملاكهم.

وكشف كتاب رسمي كيف أن أربعة من المتهمين أعدموا بالخطأ في حين أن اثنين أفرج عنهما بالخطأ. وأظهر كتاب آخر أن نحو ٥٠ محتجزا لقوا حتفهم خلال عمليات الاستجواب والاستنطاق وليس عن طريق الشنق.

الجلسة ١٦: الأحد ١٢ مارس/آذار ٢٠٠٦

مثُل مزهر عبد الله رويد، وهو مسئول سابق في حزب البعث، أمام هيئة المحكمة حيث فند شهادات الشهود الذين اتهموه بالمساعدة في تنفيذ حملات اعتقال طالت سكان بلدة الدجيل وشملت هدم منازلهم.

كما مثل أمام المحكمة متهم آخر هو علي دايح علي، وعبد الله كاظم رويد والد المتهم مزهر رويد وكان بدوره مسئولا سابقا في حزب البعث بالدجيل ونفى علاقته في أية أعمال مخالفة للقانون.

الجلسة ١٧: الاثنين ١٣ مارس/آذار ٢٠٠٦

أقر المتهم الآخر في قضية الدجيل عواد حمد البندر بأنه أصدر أحكاما بإعدام ١٤٨ عراقياً من بلدة الدجيل لكنه أضاف بأن الأحكام صدرت "طبقا للقانون".

وقال البندر الذي كان يشغل منصب رئيس محكمة الثورة في أوائل الثمانينيات بأن كل المتهمين تلقوا محاكمة عادلة وفقا للقانون. وأضاف أن المتهمين اعترفوا بالهجوم على موكب الرئيس العراقي تنفيذا لأوامر صدرت من إيران التي كان العراق في حالة حرب معها.

غير أن الادعاء العام رد بأن المحاكمات التي تحدث عنها البندر لم تحدث أبدا.

وكان محمد عزاوي علي وهو مسئول سابق في حزب البعث ببلدة الدجيل قد نفى أمام المحكمة مسؤوليته عن احتجاز أي شخص في الدجيل.

الجلسة ١٨: الخميس ١٥ مارس/آذار ٢٠٠٦

بدأ صدام حسين دفاعه عن نفسه بالتهجم على هيئة المحكمة معتبرا المحاكمة "مهزلة".

وفي إشارة واضحة إلى تفجير ضريح العسكريَّين في مدينة سامراء، حذر صدام

حسين العراقيين من العنف الطائفي غير أنه أشاد بالتمرد معتبرا إياه "مقاومة للغزو الأمريكي".

وبعد أن رفض صدام تحذيرات القاضي من تحويل المحاكمة إلى منبر سياسي، انقطع البث التلفزيوني حيث لم تستطع وسائل الإعلام متابعة الاستماع لدفاع صدام حسين عن نفسه. وأعلن القاضي في وقت لاحق تأجيل المحاكمة إلى ٥ أبريل/ نيسان.

وكان الأخ غير الشقيق لصدام حسين برزان التكريتي، الذي شغل منصب رئيس المخابرات سابقا، قد نفى علاقته بأحكام الإعدام الصادرة بحق المتهمين بتدبير أحداث الدجيل.

وقال برزان التكريتي إنه زار بلدة الدجيل مرة واحدة فقط بعد محاولة الاغتيال. وأضاف أنه خلال الزيارة انتقد أداء قوات الأمن بسبب قيامها باعتقالات غير ضرورية وأمر بالإفراج عن بعض الموقوفين.

كما نفى برزان مسؤوليته عن أي تطهير قامت به قوات الأمن في بلدة الدجيل قائلا إن هذا الأمر يقع ضمن مسؤوليات أجهزة حكومية أخرى.

ابرز الأدلة:

قدم الادعاء العام رسالة رسمية تحمل توقيع برزان التكريتي كما يبدو يطلب فيه توجيه الشكر لبعض ضباط المخابرات تقديرا لعملهم في الدجيل.

غير أن برزان نفى أي يكون التوقيع الموجود على الخطاب الذي عرضته النيابة العامة توقيعه مضيفا أنه مزور.

الجلسة ١٩: الأربعاء ٥ ابريل/نيسان ٢٠٠٦

قال صدام حسين، عند استجوابه للمرة الأولى داخل المحكمة، بأن الأدلة التي سيقت ضده مزورة. وعرض الادعاء العام بطاقات هوية تخص ٢٨ عراقيا تقل أعمارهم عن ١٨ سنة أعدموا بموافقة صدام علما أن القوانين العراقية المعمول بها في عهد النظام السابق كانت تنص على أن أدنى سن لتنفيذ حكم الإعدام هو ١٨ سنة.

غير أن صدام حسين قال إن الأدلة مزورة لأن بطاقات الهوية يمكن تزويرها.

وأضاف أن الشهود الذين جلبهم الادعاء العام للشهادة ضده تمت رشوتهم أو تلقينهم كيفية الشهادة ضده.

وفي مشادة كلامية حادة مع رئيس المحكمة، اتهم صدام القاضي بأنه يخاف من وزير الداخلية العراقي. ودعا صدام حسين أيضا إلى قيام هيئة دولية بفحص التواقيع التي تخص إصدار الأوامر بالمصادقة على أحكام الإعدام ضد المتهمين بتنظيم محاولة اغتيال ضد الرئيس السابق في الدجيل عام ١٩٨٢ وذلك للتأكد من مدى صحتها.

وكان رئيس المحكمة قد أصدر أمرا بإخراج محامية من قاعة المحكمة عندما حاولت عرض صور تظهر عراقيين تم تعذيبهم في السجون التي تديرها القوات الأمريكية.

أبرز الأدلة:

عرضت النيابة العامة بطاقات هوية تخص أشخاصا قالت بأنهم كانوا أحداثا عندما صادق صدام حسين على أحكام إعدامهم.

الجلسة ٢٠: الاثنين ١٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٦

قالت هيئة الادعاء العام إن خبراء الخطوط أكدوا صحة توقيع صدام حسين أوامر إعدام ١٤٨ شخصا من سكان بلدة الدجيل عام ١٩٨٢.

وقرأ الادعاء العام، عند استئناف محاكمة صدام وأعوانه، تقريرا يقول إن التوقيع الموجود على أوامر الإعدام يطابق خط الرئيس العراقي السابق.

واعترض محامو الدفاع بأن الخبراء لا يمكن أن يكونوا محايدين بسبب علاقاتهم بوزارة الداخلية العراقية وبالتالي دعت هيئة الدفاع إلى عرض التوقيع على هيئة خبراء من خارج العراق للتأكد من صحته.

ثم أجلت المحاكمة إلى يوم الأربعاء لمنح الخبراء مزيدا من الوقت لفحص التواقيع المنسوبة إلى صدام حسين ورئيس مخابراته السابق إبراهيم برزان التكريتي.

ورفض برزان التكريتي مسعى هيئة الادعاء العام إثبات دوره في عمليات القتل التي جرت في بلدة الدجيل قائلا إن توقيعه مزور.

ابرز الأدلة

قرأت هيئة الادعاء العام مقاطع من تقرير أعده خبراء خطوط قالوا فيه إن التوقيع الموجود على أوامر الإعدام الخاصة بقضية الدجيل يطابق خط الرئيس العراقي السابق.

شكك محامو الدفاع في ادعاءات هيئة الادعاء العام بأن التوقيع هو توقيع صدام حسين حيث طعنوا في استقلالية الخبراء بسبب علاقاتهم بوزارة الداخلية العراقية.

الجلسة ٢١: الأربعاء ١٩ ابريل/نيسان ٢٠٠٦

قال القاضي العراقي رؤوف عبد الرحمن في بداية جلسة هذا اليوم من محاكمة صدام ومعاونيه في قضية الدجيل أن لجنة للخبراء أكدت مطابقة التواقيع على أوامر الإعدام التي شملت ١٤٨ من سكان البلدة مطابقة لتوقيع الرئيس المخلوع. كما أعلن القاضي التثبت من توقيع برزان التكريتي الذي قال إن الوثائق مزورة واتهم الادعاء بـ "استخدام جميع الوسائل لإدانة المتهمين". ورفع القاضي الجلسة.

ابرز الأدلة

واصلت هيئة الدفاع تشكيكها بحيادية لجنة الخبراء. غير أن رئيس المحكمة أكد أن اللجنة مكونة من أعضاء من محافظات عراقية مختلفة ورفض التشكيك بصدقيتها.

الجلسة ٢٢: الاثنين ١٥ مايو/ أيار ٢٠٠٦

رفض صدام إعطاء أي إجابة حول ما إذا كان بريئا أم لا بعد قراءة القاضي لائحة الاتهام المفصلة مختتما بذلك قضية الادعاء.

وعندما سأل القاضي صدام عما إذا كان مذنبا أجاب الرئيس العراقي السابق: "لا استطيع القول مجرد نعم أم لا. أنا رئيس العراق وفقا لإرادة العراقيين ولا أزال الرئيس حتى هذه اللحظة". هذه ليست طريقة يتم بها التعاطي مع رئيس العراق".

وقد وجه الاتهام إلى صدام وأخيه غير الشقيق برزان التكريتي الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات، بإصدار الأوامر بقتل ١٤٨ شخصا من أهالي الدجيل في المرحلة الأخيرة من الحملة التي أعقبت محاولة الاغتيال. كما اتهما بإصدار أمر بقتل تسعة أشخاص في الأيام الأولى من الحملة.

وتشمل بقية التهم الاعتقال غير القانوني لـ ٣٩٩ شخصا إضافة إلى عمليات تعذيب ضد نساء وأطفال وتدمير عدد من الحقول.

ويلغ عدد الذين قرأ القاضي لوائح الاتهام ضدهم ثمانية متهمين، جميعهم إما أعلنوا براءتهم أو رفضوا الإجابة.

الجلسة ٢٣: الثلاثاء ١٦ مايو/ أيار ٢٠٠٦

دعا محامو الدفاع عن صدام شهود الدفاع إلى الإدلاء بشهاداتهم بشأن ثلاثة من المتهمين الثانويين وهم عبد الله كاظم رويد وابنه مزهر وكذلك محمد عزاوي علي وجميعهم مسئولون سابقون في تنظيم حزب البعث في منطقة الدجيل.

وكان أقارب للمتهمين الثلاثة من بين من أدلوا بشهاداتهم من وراء الستارة.

ولم يكن صدام والمتهمين الرئيسيين الآخرين داخل قاعة المحكمة.

ابرز الأدلة

قال اثنان من الشهود إن المتهمين من عائلة رويد كانوا أعضاء صغار في حزب البعث ومزارعين بسطاء وقد تعرضت أرضهم أيضا للتجريف بعد محاولة اغتيال صدام.

وأشار أحد الشهود وهو من العائلة نفسها إلى أن مزهر رويد المتهم بالمساعدة على محاصرة السكان وتهديم أملاكهم ظل في وظيفته في المقسم الهاتفي للبلدة (بدالة الهاتف) أثناء عمليات الرد الحكومي على الحدث، وأنه كان مناوبا ليليا في عمله الرسمي فكيف يمكن أن يكلف بمهمة أخرى؟".

وقال شاهد آخر للمحكمة هو ابن للمتهم إن أباه كان شيخ عشيرة تربطه علاقة محبة مع السكان.

الجلسة ٢٤: الأربعاء ١٧ مايو/ أيار ٢٠٠٦

حضر جميع المتهمين إلى قاعة المحكمة عندما واصل شهود المتهمين الثانويين الإدلاء بشهاداتهم.

وسمح القاضي للدفاع بدعوة صدام حسين وبرزان إبراهيم التكريتي كشاهدي دفاع عن المتهم طه ياسين رمضان.

ابرز الأدلة

تحدث الشهود خلف الستار قائلين إن المتهمين كانوا "مواطنين جيدين ومسئولين في مستويات دنيا دون أن تكون لديهم مسؤولية أو علاقة مع عمليات القتل في الدجيل".

الجلسة ٢٥: الاثنين ٢٢ مايو/ أيار ٢٠٠٦

وقعت مشادة بين رئيس المحكمة والمحامية اللبنانية التي تدافع عن صدام بشرى الخليل. وقد طردها القاضي من قاعة المحكمة، واحتج صدام على إجراء القاضي وقال صدام «المحامية فوق رأسك» لكنه طلب من صدام السكوت.

ابرز الأدلة

حضر ثلاثة شهود دفاع هم سبعاوي إبراهيم التكريتي وهو أخ غير شقيق لصدام استدعي للشهادة لصالح شقيقه برزان إبراهيم التكريتي الرئيس السابق لجهاز المخابرات.

كما تحدث شاهد آخر لصالح برزان من خلف ستار. أما الشاهد الثالث فهو من العاملين السابقين في "محكمة الثورة" الاستثنائية ونفى في شهادته أن الـ ١٤٨ شخصا الذين أعدموا بعد محاولة اغتيال صدام عام ١٩٨٢ لم يحاكموا محاكمة عادلة.

الجلسة ٢٦: الأربعاء ٢٤ مايو/ أيار ٢٠٠٦

حضر إلى هذه الجلسة طارق عزيز الذي كان نائبا لصدام حسين في رئاسة الوزراء، باعتباره شاهد دفاع، وقد وصف رئيسه السابق بأنه "زميل ورفيق كفاح على مدى عشرات السنين".

ووقعت مشادة أخرى بين رئيس القضاة والمتهم برزان التكريتي الذي اتهم رئيس المحكمة بـ "إهانة إمرأة" في إشارة إلى طرد محامية عن صدام في جلسة سابقها لإخلالها بالنظام.

ابرز الأدلة

قال طارق عزيز إن المتهمين ليسوا مذنبين بقتل ١٤٨ رجلا في الدجيل بعد محاولة اغتيال صدام عام ١٩٨٢ لأن من حق الدولة إنزال العقوبة في مثل هذه الحالة.

كما قدم عبد حمود السكرتير الشخصي السابق لصدام تفاصيل عن كيفية تنفيذ محاولة الاغتيال.

الجلسة ٣٧: الاثنين ٢٩ مايو/ أيار ٢٠٠٦

قدم اثنان من شهود الدفاع إفاداتهما حول عدالة المحكمة الاستثنائية التي حكمت بالإعدام على ١٤٨ من سكان الدجيل بتهمة علاقتهم بمحاولة لاغتيال صدام حسين.

ابرز الأدلة

الشاهد الأول كان محاميا في محكمة الثورة الاستثنائية وحضر للشهادة لصالح المتهم عواد البندر الذي كان رئيسا لتلك المحكمة.

وقال الشاهد إن المحكمة كانت عادلة وفرت دفاعا مناسبا ومنحت المتهمين فرصة للحديث.

والشاهد الثاني كان ذات مرة متهما أمام المحكمة نفسها وقال عنها إنها عادلة عندما تعاملت مع قضيته.

الجلسة ٢٨: الثلاثاء ٣٠ مايو/ أيار ٢٠٠٦

زعم شاهد دفاع في شهادته أمام المحكمة بان ٢٣ من مجموع ١٤٨ من أبناء بلدة الدجيل الذين ذكر أنهم أعدموا بتهمة علاقتهم بمحاولة لاغتيال صدام حسين، لا يزالون أحياء.

ودعا قاضي المحكمة هيئة الدفاع إلى تقليص عدد الشهود الذين تعتزم استدعاءهم للشهادة أمام المحكمة، قائلا إن نوعية الشهادات هي الأكثر أهمية.

ابرز الأدلة

عرض شاهد لم يعرف بهويته، كان صبيا من سكان الدجيل عام ١٩٨٢، كتابة أسماء "الذين قيل إنهم أعدموا لكنهم ما زالوا أحياء" وهم"٢٣ تقريبا". وقال إنهم هربوا إلى الخارج لكنهم عادوا بعد الإطاحة بصدام عام ٢٠٠٣.

الجلسة ٢٩: الأربعاء ٣١ مايو/ أيار ٢٠٠٦

اتهم الدفاع هيئة الادعاء باصطناع أدلتها وهو ما نفاه الادعاء داعيا إلى التحقيق في هذه الاتهامات.

واتهم أحد شهود الدفاع المدعي العام برشوته لإعطاء شهادة كاذبة. وطالب الإدعاء العام بإقامة دعوى على هذا الشاهد. وعرض الدفاع قرصا مدمجا لإظهار تناقض في شهادة أحد شهود الإثبات.

وطلب القاضي رؤوف عبد الرحمن من أحد المتهمين وهو برزان التكريتي، الأخ غير الشقيق لصدام، من المحكمة لمقاطعته الجلسة مرارا.

ابرز الأدلة

زعم الشاهد غير المعرف بهويته إن المدعي العام، جعفر الموسوي، عرض عليه رشوة قيمتها ٥٠٠ دولار لإعطاء شهادة مزورة وقال إن عائلته تعرضت للتهديد.

وعرض في المحكمة قرص مدمج يقول الدفاع أنه يظهر أحد شهود الدفاع الرئيسيين، واسمه علي الحيدري، وهو يشيد بالذين حالوا اغتيال صدام حسين في الدجيل. وكان الحيدري قد قال للمحكمة في ديسمبر/ كانون الأول إنه لم تكن هناك محاولة ضد صدام حسين.

الجلسة ٣٠: الاثنين ٥ يونيو/ حزيران ٢٠٠٦

شكك فريق الدفاع في صحة الوثائق المقدمة لهيئة المحكمة، حيث طالب بإيقاف المحاكمة حتى يتسنى له التحقق. كما احتجت هيئة الدفاع على اعتقال شهود الدفاع الأربعة الذي تم إيقافهم بدعوى الإدلاء ببيانات غير صحيحة.

تم استدعاء شاهدين للشهادة لصالح علي دايم الذي كان مسئولا بعثيا ومسئولا في بلدية الدجيل حيث يحاكم بتهمة تقديم قوائم للسلطات الأمنية العراقية آنذاك تضم أسماء الأشخاص الذين ينبغي اعتقالهم خلال عمليات التمشيط الأمني التي تعرضت لهل بلدة الدجيل.

أجلت المحاكمة حتى تاريخ ١٢ يونيو/ حزيران.

ابرز الأدلة

تلت هيئة الدفاع أسماء ١٥ شخصا من ضمن ١٤٨ شخصا يعتقد أنهم أعدموا بعد محاولة اغتيال صدام حسين في بلدة الدجيل، قائلة إن ١٠ منهم ما زالوا أحياء بينما

توفي الآخرون لأسباب طبيعية في وقت لاحق أو قتلوا خلال الحرب العراقية الإيرانية خلال الثمانينيات.

طلب رئيس المحكمة رؤوف عبد الرحمن من فريق الدفاع تقديم وثائق تؤيد ادعاءاته.

الشاهدان اللذان شهدا لصالح علي دايح قالا إنه لم يرتكب أي خطأ كما إنه "لم يؤذ أحدا قط".

الجلسة ٣١: الاثنين ١٢ يونيو/ حزيران ٢٠٠٦

تخلل استئناف محاكمة صدام وأعوانه انفعال وغضب من المتهمين. أمر رئيس المحكمة بطرد المتهم برزان التكريتي من قاعة المحكمة حيث اقتاده حراس الأمن إلى خارج القاعة بعد أن دخل في مشادة كلامية مع القاضي رؤوف عبد الرحمان.

طالب محامي الدفاع كورتيس دويلر رئيس المحكمة بمنح هيئة الدفاع مزيدا من الوقت حتى يتمكن من إعداد دفاعه.

وأضاف السيد كورتيس دويلر أن: " فريق الدفاع وُضع في موقف صعب" بسبب الطريقة لتي تدار بها المحاكمة، مشيرا إلى أن هيئة الادعاء منحت أكثر من خمسة أشهر لإعداد مرافعاتها بينما "تعرضت هيئة الدفاع للضغوط" لاستكمال دفاعها في غضون أسابيع.

وذكر رئيس المحكمة أنه تم اتخاذ إجراءات بحق شهود الدفاع الأربعة الذين اعتقلوا في الأسبوع الماضي بسبب اتهامهم هيئة الادعاء بمحاولة رشوتهم للإدلاء بشهادات مزورة.

وكان ثلاثة من الشهود قد أدلوا بشهادات مفادها أن بعض الذين قيل إنهم قتلوا في الدجيل ما زالوا أحياء. وقال فريق الدفاع في مرافعته إن هذه الشهادات تشكك في مصداقية الدعوى الجنائية التي رفعها الدفاع ضد موكليهم جملة وتفصيلا. وتم اعتقال ثلاثة من الشهود بتهمة الحنث باليمين.

وتلا القاضي رؤوف عبد الرحمن الاعترافات المنسوبة للأشخاص الثلاثة قائلا: "توصلنا إلى قرار بأن هؤلاء الشهود كذبوا على هيئة المحكمة ومن ثم اتخذنا إجراءات بحقهم".

الجلسة ٣٢: الثلاثاء ١٣ يونيو/حزيران ٢٠٠٦

افتتح رئيس المحكمة، القاضي رؤوف عبد الرحمن، جلسة المحاكمة بالقول إنها ستكون آخر جلسة تخصص لشهود الدفاع للإدلاء بشهاداتهم.

ووبخ القاضي رؤوف فريق الدفاع على فتح "نقاشات عقيمة لا نهاية لها" وأضاف لاحقا: "أحضرتم ٦٢ شاهدا حتى الآن. فإذا كان هذا العدد غير كاف للدفاع عن موكليكم، فإن إحضار ١٠٠ شاهد لن يكون ذا جدوى".

كما منع رئيس المحكمة المتهم برزان التكريتي من الحديث بعدما كان قد طرد من قاعة المحكمة في اليوم السابق بعد إصراره على مقاطعة هيئة المحكمة ونعت القاضي بأنه "ديكتاتور".

تم تأجيل المحاكمة إلى الأسبوع المقبل حيث من المقرر أن تبدأ المرافعات النهائية.

ابرز الأدلة

قال بعض أفراد الحرس الشخصي لصدام حسين بأنه أمر بعدم الرد على مصادر النيران، في أعقاب محاولة اغتياله في الدجيل، مخافة إيذاء أشخاص أبرياء.

الجلسة ٣٣: الاثنين ١٩ يونيو/ حزيران ٢٠٠٦

طالب رئيس هيئة الادعاء، جعفر الموسوي، في مرافعته النهائية بإنزال عقوبة الإعدام بكل من صدام حسين وأخيه غير الشقيق برزان التكريتي ونائب الرئيس العراقي السابق طه ياسين رمضان.

وقال في مرافعته: "لقد نشروا الفساد في الأرض... فحتى الأشجار لم تسلم من اضطهادهم".

تم تأجيل المحاكمة إلى تاريخ ١٠ يوليو/ تموز حيث سيلقي فريق الدفاع مرافعته النهائية وبالتالي سترفع جلسات المحاكمة لتتداول هيئة المحكمة المشكلة من خمسة قضاة في الحكم الذي ستصدره.

وكانت هيئة الادعاء قد طالبت بإسقاط التهم عن المتهم محمد عزام عزاوي الذي كان مسئولا بعثيا في الدجيل وبالتالي إطلاق سراحه.

الجلسة ٣٤: الاثنين ١٠ يوليو/تموز ٢٠٠٦

صدام حسين يعلن مقاطعة جلسات المحاكمة قائلا إنها تستهزئ بالقانونين الدولي والعراقي وتحركها أهداف أمريكية "شريرة".

وجاء انتقاد صدام حسين لأداء المحكمة الذي ورد في رسالة وجهها إلى رئيسها القاضي رؤوف عبد الرحمن في سياق استعداد هيئة المحكمة للاستماع إلى المرافعات الختامية لهيئة الدفاع.

وقال محامو صدام وثلاثة من كبار أعوانه الذين يحاكمون معه وهم أخوه غير الشقيق برزان إبراهيم التكريتي وطه ياسين رمضان وعواد حمد البندر بأنهم سيقاطعون بدورهم جلسات المحاكمة.

وأخبر المحامون رئيس المحكمة بأنهم لن يحضروا جلسات المحاكمة حتى تتحسن إجراءات الأمن الخاصة بهم، إضافة إلى تلبية مطالب أخرى.

ويأتي احتجاج المحامين عقب اختطاف وقتل أحد المحامين الذين يدافعون عن صدام، خميس العبيدي، في يونيو/ حزيران الماضي. وكان ثالث محام من هيئة الدفاع يقتل منذ شهر أكتوبر/ تشرين الأول الماضي.

لكن محاميين يتوليان الدفاع عن متهمين غير رئيسيين في قضية الدجيل وهما علي دايم ومحمد عزواي اللذين كانا مسئولين سابقين في حزب البعث ببلدة الدجيل أدليا بمرافعاتهما الختامية.

الجلسة ٣٥: الثلاثاء ١١ يوليو/تموز ٢٠٠٦

أعلن رئيس المحكمة القاضي رؤوف عبد الرحمن تأجيل جلسات المحاكمات حتى ٢٤ يوليو/ تموز داعيا بإلحاح محامي الدفاع لإنهاء مقاطعتهم لهيئة المحكمة في الوقت الراهن

وخاطب رئيس المحكمة هيئة الدفاع قائلا إن المحكمة مستعدة لتعيين محامين آخرين للدفاع عن المتهمين، مضيفا أن مقاطعة المحامين لهيئة المحكمة يضر بمصالح موكليهم إن هم استمروا في مقاطعتها.

و لا يزال صدام حسين وسبعة من المتهمين معه في قضية الدجيل يرفضون حضور جلسات المحاكمة رغم أن متهمين غير رئيسيين يحضران جلسات المحاكمة.

وأدلى محامو عبد الله كاظم الرويد وابنه مظهر بمرافعاتهم الختامية.

الجلسة ٣٦: الاثنين ٢٤ يوليو/تموز ٢٠٠٦

استؤنفت المحاكمة في غياب صدام حسين الذي لا يزال في المستشفى بسبب إضرابه عن الطعام.

كما قاطع جلسة المحاكمة كل أعضاء فريق الدفاع بدعوى أن مطالبهم من أجل محاكمة عادلة لم تلب.

اتهم رئيس المحكمة القاضي رؤوف عبد الرحمان الأخ غير الشقيق لصدام حسين، برزان إبراهيم التكريتي، الذي يحضر جلسة المحاكمة بأن يديه ملطخة بدماء العراقيين.

وكان برزان قد شغل منصب رئيس جهاز المخابرات سابقا.

وأعلن رئيس المحكمة القاضي ر تأجيل جلسات المحاكمة حتى يوم الأربعاء، وأعرب عن أمله أن يقدم محامو الدفاع مرافعاتهم عن المتهمين.

الجلسة ٣٧: الأربعاء ٢٦ يوليو/ تموز ٢٠٠٦

شهدت هذه الجلسة عودة صدام حسين إلى المحكمة قائلا إنه جلب إلى القاعة بالإجبار من على سريره في المستشفى.

وخاطب صدام رئيس المحكمة، قائلا إنه في حال إدانته والحكم عليه بالإعدام فإنه يريد ذلك رميا بالرصاص لا شنقا، لأنه، كما قال، عسكري وتنفيذ الإعدام بالعسكريين يتم رميا.

وبدا صدام هزيلا بسبب الإضراب عن الطعام الذي أوقفه في ما بعد.

وقد عينت المحكمة محامين للدفاع عن صدام بعد مقاطعة هيئة دفاعه الجلسات. لكن صدام قال إنه يرفض المحامين الذي انتدبتهم المحكمة.

التفاصيل:

بدأت المحكمة بالاستماع إلى محامي الدفاع المنتدب عن صدام حسين.

المحامي يقول إن المحكمة غير مكلفة بالنظر إلى طبيعة الحزب الذي ينتمي إليه صدام، بل يجب النظر فقط إلى الجرائم التي تم ارتكابها.

المحامي يقول إن صدام رفض وبشكل مؤدب للغاية أن ينتدب عنه أي محام موكل من قبل المحكمة.

صدام حسين يقاطع المحامي بالقول إن هذا كلام شخص لا يعرف ما يقول، ويأسف على ما يحصل.

القاضي يرد عليه بالقول إنه لا يجب أن يأسف على أي شيء، فالمحامي يعدد الاتهامات، ويبين الحدث ثم يبين رأي القانون.

المحامي يقول إن الاتهامات المقدمة من قبل الشهود تتضمن إفادات مثل "عذبني" أو "نفاني" أو "اعتقلني"، ولكن أيا منها لا يبين طريقة القيام بهذه الجرائم.

الدفاع يقول إنه ليس هناك ما يؤكد وجود صدام حسين في منطقة الدجيل خلال عمليات الاعتقال.

يضيف المحامي أن ليس هناك أي أدلة على وجود صلة مباشرة ما بين المتهم صدام حسين وأحداث الدجيل.

الدفاع يقترح اللجوء إلى إحدى المحاكم الدولية لوجود نماذج سابقة من دعاوى كان فيها المتهم الرئيسي ذو سلطة سياسية عالية.

المحامي يقول إنه لم يتم مناقشة الدليل الشرعي في هذه المطالعة لعدم كونه جزءا من مطالعة الادعاء.

القاضي يطلب من المحامي التأني في قراءة مطالعته حتى يتسنى للجميع متابعة ما يقوله.

صدام حسين يقاطع المحامي بالقول "لقد كان صدام حسين يتمتع بسلطة كاملة على جميع الأجهزة الأمنية"، في سعيه لتصحيح مطالعة المحامي المنتدب.

القاضي يقاطع المحامي مرة أخرى ويطلب منه التأني في القراءة.

صدام حسين يقاطع المحامي بالقول إنه لم يقل ما أورده المحامي في مطالعته، والقاضي يجيبه بالقول أن هذه الفقرة ستشطب لعدم كفاية الأدلة.

القاضي يسأل المحامي ما إذا كان قد تعب أم لا، وإذا تعب فيمكن لأي شخص من زملائه القراءة بدلا منه.

صدام حسين يقول أنه ليست من مسؤوليات رئيس الجمهورية التأكد من وصول الجثث إلى عائلاتها لدفنها.

صدام حسين يؤكد رفضه للدفاع ويقول إن رده على ما يقوله الدفاع ليس موافقة منه على ما تم إيكاله للدفاع عنه.

القاضي يقول له إن له الحق الكامل بالرد، ويمكنه خلال فترة التأجيل استدعاء فريق الدفاع السابق، أو يمكنه توكيل محامين آخرين للدفاع عنه.

صدام حسين يتدخل لإيضاح مسؤوليات رئيس الجمهورية التي ذكرها محامي الدفاع المنتدب، ويقول إن التوقيع على كتاب الإحالة للإعدام لحالات بسيطة مثل السرقة وما شابه ليس من مسؤوليات الرئيس العراقي.

القاضي يرد عليه بالقول إن التوقيع على هذا الكتاب ليس من مسؤوليات رئيس الجمهورية، لأنها تقع ضمن مسؤوليات ديوان الرئاسة.

صدام حسين يرفع صوته بالقول إن أي توقيع قام صدام حسين بتوقيعه فهو مسئول عنه.

القاضي يقول إن لصدام حسين الحق في توضيح أي أمور فيها لبس ما.

صدام حسين يقول إن كل ما يقوله ليس دفاعا عن نفسه بل دفاع عن العراق.

صدام حسين يوجه سؤالا للقاضي بالقول "إذا كنت جالسا في مكان آخر وليس على كرسي القضاء، هل تعتقد أن ما يقوله هذا الرجل، الذي يسمي نفسه محامي عما يسمى المتهم صدام حسين، هو دفاع عن صدام حسين أم ادعاء؟".

صدام حسين يقول إنه عندما يأتي المحامي باستنتاجات ليست في صالح المتهم فإن لديه غرض شخصي مسبق، ولا يمكن أن يفسر بغير هذا.

القاضي يقول إنه ليس هناك تعبير يسمى "المتهم"، فهناك حكم يصدر من قبل المحكمة بناء على الأدلة والإثباتات.

الادعاء يطلب من القاضي حذف أي عبارة قد تسيء إلى المتهم نظرا لانتداب المحامي من قبل المحكمة.

صدام يبتسم ويرد على ما قاله الادعاء بأنه "قانوني".

صدام حسين يطالب هيئة المحكمة بإعدامه رميا بالرصاص وليس شنقا كأي مجرم عادي، في حال صدر حكم بالإعدام عليه.

سجال بين صدام حسين والقاضي بعد أن قال صدام له "عافية" ورفض القاضي مجاملة صدام له، ليرد عليه صدام بالقول "لا يشرفني أن أتمنى العافية لك".

صدام حسين يحرض على الأمريكان وعلى طرد الغزاة.

جدال في المحكمة حول دور الشعب في قتل الأمريكيين وتحرير العراق.

القاضي يرد على صدام بالقول إن شعبك الذي تتحدث عنه يفجرون المدنيين الأبرياء، وأن عليهم قتل الأمريكان، حتى يكون مقاومة حقيقية للعدو.

صدام حسين يقول للقاضي إنه ليس في موضع شفقة، والقاضي يطالبه بتحسين ألفاظه.

صدام حسين يقول إنه لا يستطيع تحرير العراق لأنه في السجن، وقد جاء الآن دور "النشامى العراقيين" للقيام بذلك على حد تعبيره.

رفع القاضي الجلسة لمدة نصف ساعة للاستراحة.

استكملت الجلسة بعد توقفها للاستراحة واستمر محامي الدفاع المنتدب في قراءة مطالعته.

القاضي يتساءل حول استعمال المحامي مصطلح "سيادة نظرية محدودة".

صدام حسين يقاطع المحامي بالقول إنه "لا يطلب الرحمة من أي كان، إلا من رب العالمين".

المحامي المنتدب يطلب من القاضي عدم إنزال عقوبة الإعدام بصدام حسين، لأن هناك أمورا أهم في العراق، وصدام حسين يرد عليه بالقول إن هذه مطالعة خسيسة.

القاضي لا يسمح لصدام بالخروج عن قضية الدجيل والحديث "بالسياسة".

رفع القاضي جلسة المحكمة إلى الخميس ٢٧ يوليو/تموز.

الجلسة ٣٨: الخميس ٢٧ يوليو/ تموز ٢٠٠٦

لم يحضر صدام هذه الجلسة.

لكن اثنين من المتهمين كانوا هناك وهما طه ياسين رمضان الذي رفض أن تعين له المحكمة محاميا يمثله، وعواد حمد البندر.

استمعت هيئة المحكمة لمطالعة المحامي المنتدب للدفاع عن طه ياسين رمضان.

طه ياسين رمضان يقول إنه لا علاقة له بكل ما يجري في العراق بل كانت مسؤوليته خارج العراق، فقد كانت مهمته تقتصر على تدريب أبناء العراق.

رمضان ينكر معرفته لوضاح الشيخ ويقول إنه لم يره في حياته.

رمضان يضيف أن وضاح الشيخ أفاد بأن لا علاقة لطه ياسين رمضان بقضية الدجيل، سوى أنه سمع أن طه ياسين رمضان ترأس لجنة في تلك القضية.

رمضان يوجه كلامه للقاضي بالقول إن المحكمة لا تمتلك أي دليل يثبت تأسيس أي لجنة في قضية الدجيل.

رمضان يقول إن عمليات استملاك البساتين في الدجيل كانت بشكل قانوني، ويطبق عليها قانون التعويض المالي.

رمضان يقول إن التعويض العيني يعني قطعة أرض مقابل قطعة أرض.

رمضان يقول إنه يشعر بالفخر لمساهمته في وضع قرارين بشأن تعويض أصحاب البساتين الذين استملكت أراضيهم.

رمضان يقول إن أحد الأشخاص الذين لم يقدموا وثائق تثبت ملكيتهم للأرض وبالتالي لم ينالوا التعويض هو محمد العزاوي، أحد المتهمين في قضية الدجيل.

هيئة المحكمة تستمع إلى مطالعة المحامي المنتدب للدفاع عن عواد البندر.

القاضي يقول إنه يمكن للمتهم أو المحامي تقديم مطالعته خلال فترة التأجيل.

وهكذا تُرفع آخر جلسات المحاكمة في قضية الدجيل، ليصدر بعدها حكم المحكمة.

الفصل السادس عشر

تفاصيل جلسة النطق بالحكم

تفاصيل جلسة النطق بالحكم في قضية الدجيل

٢٠٠٦/١١/٥

استهلت المحكمة الجنائية العراقية العليا الأحد جلسة النطق بالحكم بقضية "الدجيل" ضد الرئيس العراقي السابق صدام حسين وسبعة من معاونيه.

وكان رئيس هيئة المحكمة الجنائية العراقية في قضية الدجيل، القاضي رؤوف عبد الرحمن، قد أعلن أن ١٦ أكتوبر/ تشرين الأول المقبل هو موعد جلسة النطق بالحكم، غير أنه تم تأجيلها في وقت لاحق إلى الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني الحالي.

- بدأت المحاكمة باستدعاء المتهم محمد عزاوي علي، عضو حزب البعث العراقي في الدجيل.

- ودار حوار بعد ذلك بين القاضي ورئيس فريق الدفاع عن صدام خليل الدليمي بشأن إحدى المطالعات حيث رفض القاضي مداخلة محامي الدفاع.

- وبعد ذلك أصدر القاضي حكماً ببراءة المتهم محمد عزاوي علي لعدم كفاية الأدلة، وألغت المحكمة التهمة ضده وأمرت بالإفراج عنه.

- ثم استدعى القاضي المتهمين عبدالله كاظم رويد وعلي دايح علي ومزهر عبدالله كاظم رويد، وأصدر القاضي على كل منهم حكماً بالسجن ١٥ عاماً، وذلك لارتكاب القتل العمد والتعذيب.

- وبعد ذلك استدعى القاضي المتهم طه ياسين رمضان، وقرأ القاضي الحكم الذي كان السجن مدى الحياة لارتكابه جرائم ضد الإنسانية.

- أصدر القاضي أربعة أحكام بالسجن عن أربع تهم بحق طه ياسين رمضان وتمت تبرئته من تهمة خامسة لعدم كفاية الأدلة، غير أنها استبدلت بالعقوبة الأشد، وهو السجن مدى الحياة.

- وطالب طه ياسين رمضان بإلقاء كلمة، وطالبه القاضي بأن تكون كلمة مختصرة.

- عبر رمضان عن استغرابه للحكم عليه بجريمة ضد الإنسانية، معتبراً أن الحكم لا علاقة له بجلسات المحكمة.

- قال له إنه إذا أراد معرفة تفاصيل الحكم فعليه العودة إلى ملف القضية.

- وبعد ذلك استدعى القاضي المتهم عواد حمد البندر، رئيس محكمة الثورة في عهد صدام.

- وبعد محاولة اعتراض من محامي الدفاع، رفضها القاضي، بدأ بتلاوة الحكم بحقه، وكان الحكم بالإعدام شنقاً.

بدأ البندر بقول "الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر على الظالمين" بحيث طغى صوته على صوت القاضي.

- ثم استدعى القاضي صدام حسين (المجيد).

- وبعد أن جلس صدام، طلب منه القاضي الوقوف، فرفض صدام، لكنه عاد فوقف لاحقاً.

- أصدر القاضي الحكم بالإعدام شنقاً على صدام، الذي بدأ بمقاطعة الحكم ضده.. وصرخ ومن بينها "الله أكبر.. اللعنة عليك وعلى محكمتك"، وذلك احتجاجاً على الحكم.

- واستمر صدام بمقاطعة تلاوة الحكم ضده، غير أن القاضي واصل قراءة الحكم.

- واستدعى القاضي بعد ذلك برزان ابراهيم التكريتي.

- دخل برزان وهو يصرخ قائلاً عاش العراق.. عاشت الأمة.

- قرأ القاضي الحكم والذي كان الإعدام شنقاً حتى الموت.

- كان برزان يقف ويحمل ملامح ابتسامة ساخرة في بداية تلاوة الحكم، واحتفظ خلال ذلك بالصمت.

- بالنسبة للمدعين بالحق المدني.. قال القاضي إن بإمكانهم اللجوء إلى المحاكم المدنية للمطالبة بالتعويضات.

- وأخيراً رفع القاضي الجلسة.

صدام يوجه رسالة وداعية للعراقيين

وجه الرئيس العراقي السابق، صدام حسين، والذي صادقت هيئة التمييز على حكم الإعدام الصادر بحقه، رسالة "وداعية"،أعلن فيه قبوله بـ"الشهادة" وحث الشعب العراقي على الوحدة.

وجاء في رسالته إنه يقدم نفسه "فداء فإذا أراد الرحمن هذا صعد بها إلى حيث يأمر سبحانه مع الصدّيقين والشهداء. وإن أجّلَ قراره على وفق ما يرى فهو الرحمن الرحيم وهو الذي أنشأنا ونحن إليه راجعون، فصبراً جميلاً وبه المستعان على القوم الظالمين".

وحث صدام في رسالته الشعب العراقي المتنوع طائفياً وعرقياً على أن يصبحوا نموذجاً للحب والتسامح والتعايش، وانتقد كلاً من قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة وإيران حيث قال "في ظل عظمة الباري سبحانه ورعايته لكم... ومنها أن تتذكروا إن الله يَسّر لكم ألوان خصوصيّاتكم لتكونوا فيها نموذجاً يُحتذى بالمحبة والعفو والتسامح والتعايش الأخوي فيما بينكم".

وتابع صدام مهاجماً بعض من العراقيين "ولم يشأ أن يجعل سبحانه هذه الألوان عبثاً عليكم، وأرادها اختباراً لصقل النفوس فصار من هو منْ بين صفوفكم ومَن هو من حلف الأطلسي ومن هم الفرس الحاقدين بفعل حكامهم الذين ورثوا إرث كسرى بديلاً للشيطان، فوسوس في صدور مَن طاوعه على أبناء جلدته أو على جاره أو سدّل لأطماع وأحقاد الصهيونيّة أن تحرّك ممثلها في البيت الأبيض الأمريكي ليرتكبوا العدوان ويخلقوا ضغائن ليست من الإنسانية والإيمان في شيء".

وهاجم صدام طائفة من العراقيين وصفها بأنها "الغرباء من حاملي الجنسية

العراقية" لأنها استجابت بحسب ما ذكره للغزاة و«الفرس» بعد أن "زرعوا ودقوا إسفينهم الكريه، القديم الجديد بينكم فاستجاب له الغرباء من حاملي الجنسيّة العراقيّة وقلوبهم هواء أو ملأها الحاقدون في إيران بحقد، وفي ظنهم خسئوا، أن ينالوا منكم بالفرقة مع الأصلاء في شعبنا بما يضعف الهمّة ويوغر صدور أبناء الوطن الواحد على بعضهم بدل أن توغر صدورهم، على أعدائه الحقيقيّين بما يستنفر الهمم باتجاه واحد وأن تلوّنت بيارقها وتحت راية الله أكبر، الراية العظيمة للشعب والوطن"(١).

ودعا صدام من وصفهم بالمجاهدين والمناضلين إلى "عدم الحقد، ذلك لأن الحقد لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدّل، ولأنه يعمي البصر والبصيرة، ويغلق منافذ التفكير فيبعد صاحبه التفكير المتوازن واختيار الأصح وتجنّب المنحرف ويسدّ أمامه رؤية المتغيرات في ذهن مَن يتصوّر عدوّاً، بما في ذلك الشخوص المنحرفة عندما تعود من انحرافها إلى الطريق الصحيح، طريق الشعب الأصيل والأمّة المجيده".

كما دعا صدام الشعب العراقي ألا يكرهوا شعوب الدول "التي أعتدت علينا، وفرّقوا بين أهل القرار والشعوب، واكرهوا العمل فحسب، بل وحتى الذي يستحق عمله أن تحاربوه وتجالدوه لا تكرهونه كإنسان... وشخوص فاعلي الشر، بل اكرهوا فعل الشر بذاته وادفعوا شرّه باستحقاقه".

واختتم صدام رسالته التي نشرت على موقع البصرة الإلكتروني بقوله "أيّها الشعب الوفيّ الكريم: أستودعكم ونفسيَ عند الرّب الرحيم الذي لا تضيع عنده وديعة".

صدام حسين

---

(١) نحن لأمانة النقل لم نشطب هذا الكلام، وهذا لا يعني أننا نتبنّاه، لأن تاريخ صدّام يشهد عليه، فهو الذي بادر وهاجم إيران! واحتلّ أراضيها مع بدايات الثورة، وهو الذي بادر وغزا الكويت الجارة، والتي لم تبخل عليه يوماً بدعم في شتّى الحقول ـ المادية والسياسية.

الفصل السابع عشر

تنفيذ الحكم بإعدام صدام

تنفيذ الحكم بإعدام صدام

فجر السبت، الواقع فيه ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٦م الذي يوافق أول أيام عيد الأضحى، تمَّ تنفيذ حكم الإعدام شنقاً حتى الموت بالرئيس العراقي السابق صدام حسين، بعد إدانته في قضية الدجيل، التي راح ضحيتها ١٤٨ عراقياً، في أعقاب محاولة لاغتياله بالبلدة المذكورة عام ١٩٨٢.

تطرق مستشار الأمن القومي العراقي، موفق الربيعي، في مقابلة مع قناة العراقية الحكومية، إلى بعض التفاصيل المتعلقة بإعدام صدام، حيث أشار إلى أنه لم يطلب أي شيء ولم يتردد ولم يقاوم.

وأضاف قائلاً "كان مكسوراً بشكل كبير.. كان الخوف بادياً عليه إلا أنه استسلم بشكل عجيب وغريب".

وقال إن صدام طلب إعطاء القرآن الذي كان بحوزته إلى شخص يدعى بندر.

وذكر المسؤول العراقي إن عملية الإعدام تمت خارج المنطقة الخضراء ولم يشهدها أي أمريكي "كانت عملية عراقية مائة بالمائة.. لم يتواجد الأمريكيون ساعة الإعدام أو حتى في المبنى".

وأضاف "لم يكن هناك رجال دين سنة أو شيعة، بل شهود عيان بالإضافة إلى أولئك الذين نفذوا عملية الإعدام".

وقال الربيعي، الذي شهد عملية الإعدام، "هذه صفحة سوداء طويت.. اليوم العراق لجميع العراقيين الذين يتطلعون للمضي قدماً".

وقبيل تنفيذ الإعدام، رفض صدام إرتداء غطاء للرأس قائلاً "لا.. لا أحتاجه"، بحسب الربيعي الذي شهد واقعة تنفيذ الحكم.

وأعدم صدام شنقاًبعد الساعة السادسة صباحاً، بالتوقيت المحلي، بقليل، وبعد ٥٥ يوماً من النطق بالحكم في قضية "الدجيل".

وبالرغم من التقارير التي تناقلتها بعض أجهزة الإعلام عن نية السلطات العراقية إلى تسليم جثة صدام إلى ذويه ليتولوا دفنه، قال الربيعي "سنقوم بغسله وتكيفنه وستقام عليه صلاة الميت حسب الشعائر الإسلامية قبيل دفنه.

وقالت مستشارة رئيس الوزراء للشؤون الخارجية، أن تنفيذ حكم الإعدام تم بين الساعة ٥,٥٠ و٥,٤٥ دقيقة بحسب التوقيت المحلي، وبحضور ممثل عن الرئيس العراقي والقاضي منير حداد والمدعي العام منقذ الفرعون.

تاجيل إعدام التكريتي والبندر

وكانت القوات الأمريكية قد سلمت صدام مساء الجمعة إلى السلطات العراقية من أجل تنفيذ الحكم فيه، بعد أن ثبتت هيئة التمييز بالمحكمة العراقية الحكم الصادر عن المحكمة الجنائية العراقية[١] في قضية الدجيل.

قصة فيديو إعدام صدام

ظهر شريط فيديو للرئيس العراقي السابق صدام حسين يبدو فيه عقب إعدامه بجرح في رقبته وكدمات على وجهه.

وبُثت لقطات الفيديو وفيها بدا صدام، وهو يرتدي القميص الأبيض والبدلة السوداء التي شُنق بها، ممدداً على الأرض ومغطى بملاءة بيضاء.

ولم نستطع التحقق من مصداقية الشريط عبر مصادر مستقلة. والموقع الالكتروني الذي بث الشريط هو www.liveleak.com.

وتبلغ مدة الشريط ٢٧ ثانية، وفيه تقترب الكاميرا من جثة صدام، فيما يقوم شخص بكشف الغطاء عن الجانب الأيسر من وجهه.

وفي التسجيل الصوتي المرافق للقطات، يحث شخص، شخصا آخر على التقاط صورة بسرعة لصدام والمغادرة.

---

(١) مرفق صورة عن وثيقة الحكم ضمن الوثائق آخر الكتاب.

ويبدو الشخص الأول وكأنه المشرف على الموقع، وهو يسمح للشخص الثاني بالدخول بكاميرا فيديو، ويدور الحوار التالي:

الرجل الأول: "بسرعة، بسرعة من فضلك، التقط صورة واحدة".

الرجل الثاني: "نعم أسمعك".

الرجل الأول (يصيح عندما يمتد زمن تصوير الفيديو أكثر من لقطة واحدة): تعال هنا، ما الأمر؟"

الرجل الثاني: "أسمعك، أسمعك".

الرجل الأول يتحدث إلى رجل ثالث: "أبو علي، تعال هنا، وتعامل مع هذا".

الرجل الأول (يبدو ثائراً بسبب طول فترة التصوير الذي يقوم به الرجل الثاني): "تعال، حبيبي، سأتحدث بأدب مرة واحدة، وإلا سأصبح غاضبا بالفعل".

الرجل الثاني: "أسمعك".

الفصل الثامن عشر

ردود أفعال متباينة

ردود أفعال عربية ودولية متباينة
على إعدام صدام

تباينت ردود الأفعال الدولية على تنفيذ حكم الإعدام شنقاً بحق الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين:

البيت الأبيض:

في أول رد فعل رسمي من جانب الولايات المتحدة، على إعدام صدام، قال الرئيس الأمريكي جورج بوش: "اليوم، نفذ حكم الإعدام في صدام حسين عقب تلقيه محاكمة عادلة.. العدالة التي حرمها ضحاياه إبان فترة نظامه الوحشي.. إنها مؤشر على إرادة الشعب العراقي للمضي قدماً عقب عقود من الاضطهاد.. هذا لم يكن ممكناً لولاً رغبة الشعب العراقي في خلق مجتمع يحكمه القانون".

إلا أن بوش أضاف قائلاً: "إنزال العدالة بصدام حسين لن ينهي العنف في العراق، إلا أنها نقطة تحول مهمة في تاريخ العراق، ليصبح دولة ديمقراطية قادرة على الدفاع عن نفسها، وأن تكون حليف في الحرب على الإرهاب".

روسيا:

كما عبرت وزارة الخارجية الروسية عن أسفها لإعدام الرئيس العراقي السابق في وقت وجهت فيه دعوات دولية للرأفة به، حسبما ذكرت وكالة الأنباء الروسية "انترفاكس".

واعتبر نواب في البرلمان الروسي أن إعدام صدام سيؤدي إلى مزيد من زعزعة الاستقرار في العراق وفي منطقة الخليج كلها.

وقال رئيس لجنة العلاقات الدولية في المجلس الاتحادي، ميخائيل مارغيلوف، إن "ذلك سيثير دوامة جديدة من العنف".

بريطانيا:

وضع تنفيذ حكم الإعدام بحق الرئيس العراقي المخلوع بريطانيا في موقف صعب نظراً لمعارضتها عقوبة الإعدام.

وقالت وزيرة الخارجية مارغريت بيكيت: "لقد نال صدام جزاء بعض جرائمه".

ولكنها أشارت إلى معارضة بلادها لعقوبة الإعدام بقولها: "الحكومة البريطانية لا تدعم استخدام عقوبة الموت في العراق، أو أي مكان آخر.. ندعو إلى وقف عقوبة الإعدام بجميع أنحاء العالم، بغض النظر عن الفرد أو الجريمة".

وأضافت قولها: "أوضحنا موقفنا جلياً للسلطات العراقية، إلا أننا نحترم قرارهم كدولة ذات سيادة".

فرنسا:

ومن جانبها، أكدت وزارة الخارجية الفرنسية أنها أبلغت بتنفيذ الحكم، ودعت العراقيين إلى التطلع نحو المستقبل والعمل من أجل المصالحة والوحدة الوطنية.

الاتحاد الأوروبي:

ندد الاتحاد الأوروبي بإعدام صدام، واصفاً العملية بـ"البربرية، التي قد تحول الرئيس العراقي السابق إلى "شهيد".

وقال مفوض التنمية والمساعدات بالاتحاد، لويس مايكل: "لا تحارب البربرية بأعمال قد ينظر إليها كبربرية.. عقوبة الإعدام لا تتوافق والديمقراطية.. من المؤسف أن يبدو صدام حسين كشهيد، وهو غير جدير بذلك، لقد ارتكب أفظع الأشياء".

وأضاف قوله: "عقوبة الإعدام تتعارض وقيم الاتحاد الأوروبي.. مبادئنا تعارضها رغم الجرائم التي ارتكبها صدام.. لقد ارتكب جرائم شنيعة".

الصين:

وفي بكين، قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تشين قانغ السبت، إن الشؤون العراقية يقررها شعب العراق.

جاء تعليق تشين رداً على سؤال بشأن موقف الصين من إعدام صدام، وقال إن الصين تأمل في تحقيق الاستقرار والتنمية سريعاً في العراق.

أستراليا:

كما أعلنت الحكومة الاسترالية، والتي تشارك بقوات في العراق، أنها تحترم القرار الخاص بإعدام صدام حسين، بالرغم من معارضتها لعقوبة الإعدام، ووصفت الحدث بأنه "لحظة مهمة بالنسبة للعراق"، وقالت إن محاكمة صدام كانت "عادلة".

وقال وزير الخارجية الأسترالي ألكساندر داونر، إن إعدام صدام خطوة مهمة لإيداع نظامه السابق إلى حكم التاريخ.

وأشار قائلاً في بيان: "الشعب العراقي يدرك الآن أن الديكتاتور القاسي لن يعود أبداً لقيادتهم.. إعدامه خطوة لإحالة نظامه القمعي إلى حكم التاريخ، والمضي قدماً في عملية المصالحة الآن وفي المستقبل".

اليابان:

وأكدت اليابان أنها "تحترم" قرار السلطات العراقية تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين.

وقال متحدث باسم وزارة الخارجية اليابانية: "إنه قرار اتخذته الحكومة الجديدة في العراق، طبقاً لدولة القانون.. نحترم هذا القرار".

ماليزيا:

وفي كوالالمبور، اعتبرت ماليزيا التي تتولى حالياً رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي، أن إعدام صدام حسين قد يؤدي إلى تجدد العنف في العراق، مؤكدة أنه يتوجب على الحكومة أن تعيد بناء الثقة.

الفاتيكان:

إلى ذلك، شجب الفاتيكان إعدام الرئيس العراقي السابق، ووصف الناطق باسمه فيديريكو لومباردي عملية الإعدام بـ"المأساة المفجعة"، قائلاً إنها لن تساعد في جهود إحلال العدالة أو المصالحة في المجتمع العراقي.

وأضاف قائلاً في تصريح لإذاعة الفاتيكان، بعد ساعات من إعدام صدام، عن "خطر أن يغذي إعدام صدام روح الانتقام، ويسبب أعمال عنف جديدة".

باكستان:

من ناحية أخرى، قال لياقة بلوش نائب زعيم المعارضة الإسلامية الباكستانية، وزعيم تنظيم "مجلس العمل المتحد": "لا نتعاطف مع صدام حسين، ولكننا أيضاً نقول إنه حرم من العدالة.. إعدامه سيزيد من زعزعة استقرار العراق.. سيكون هناك المزيد من العنف الطائفي".

وأضاف القول: "نعتقد إن إعدام صدام يدخل في إطار مخطط أمريكي لتفتيت العراق".

إيران:

وفي طهران، قال مساعد وزير الخارجية الإيراني للشوون القنصلية والبرلمانية، حميد رضا آصفي، إن إعدام صدام يعتبر "انتصاراً للشعب العراقي، كما كان منتصراً هذا الشعب في إطاحته بصدام"، وفقاً لما نقلت وكالة الأنباء الإيرانية.

وفيما اعتبر آصفي أن "صدام سقط بعد أن فشل في الحصول علي دعم الشعب العراقي"، إلا أنه قال إنه "على الولايات المتحدة، ألا تعتبر الإطاحه بصدام انتصاراً لها".

جامعة الدول العربية:

أما على صعيد ردود الأفعال العربية، فقد وصف بيان لجامعة الدول العربية إعدام الرئيس العراقي السابق، بأنه يشكل "نهاية مأساوية لنظام صدام حسين".

وأعربت الجامعة العربية، في البيان الصادر من الأمانة العامة بالقاهرة، عن أملها في أن لا يؤدي ذلك إلى تفاقم الصراع في العراق.

السعودية:

كما أعربت المملكة العربية السعودية عن "استهجانها" لإقدام الحكومة العراقية على تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس العراقي السابق، في أول أيام عيد الأضحى.

وقالت وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس"، في تعليق لها: "ساد شعور بالاستغراب والاستهجان، أن يأتي تنفيذ الحكم في الشهور الحرم، وفي أول أيام عيد الأضحى المبارك".

وأضافت القول: "ملايين المسلمين تنتظرون أن ينظر العالم كله، لا القيادات

السياسية في الدول الإسلامية فقط، باحترام لهذه المناسبة العظيمة، وهيبتها، ومكانتها، في نفوس وضمائر المسلمين، لا أن يستهان بها".

وقالت "واس": "كان من المتوقع لدى كثير من المتابعين والمراقبين، أن تستغرق محاكمة رئيس سابق، حكم العراق لعقود من الزمن، وقتاً أطول، ومداولات مفصلة، وإجراءات قانونية محكمة ودقيقة، وبعيدة عن التسييس".

الكويت:

وفي الكويت، قال رئيس مجلس الوزراء بالنيابة، ووزير الداخلية، ووزير الدفاع، الشيخ جابر المبارك الصباح، إن تنفيذ حكم الإعدام بحق رئيس النظام العراقي المخلوع "قصاص عادل".

وفيما اعتبرالمبارك، في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الكويتية،أن تنفيذ حكم الإعدام بحق صدام "شأن عراقي"، إلا أنه عبر عن سعادته بتنفيذ هذا الحكم، على من وصفه بـ"عدو للشعب العراقي، وللأمة العربية والإسلامية".

ليبيا:

من جانبها، انتقدت الجماهيرية الليبية قيام الحكومة العراقية بإعدام صدام حسين، الذي وصفته بأن "أسير حرب"، كما أعلنت الحداد الوطني لمدة ثلاثة.

وقالت وكالة الأنباء الليبية إنه تم "إعلان الحداد ثلاثة أيام في ليبيا، وتنكيس كل الأعلام، وإلغاء مظاهر الاحتفالات، بما فيها مظاهر العيد، اعتباراً من اليوم (السبت) حداداً على أسير الحرب"، الذي أعدم فجر أول أيام العيد.

هيومان رايتس ووتش:

إلى ذلك، شجبت منظمة "هيومان رايتس ووتش" الحقوقية، تنفيذ حكم الإعدام بحق صدام، وقالت "إن التاريخ سيحكم بقسوة على المحكمة".

وقال ريتشارد ديكر، رئيس برنامج العدالة بالمنظمة: "صدام مسؤول عن انتهاكات واسعة ضد حقوق الإنسان، إلا أن ذلك لا يبرر عقوبة الإعدام، وهي عقوبة قاسية وغير إنسانية".

وأضاف: "معايير مدى التزام الحكومة بحقوق الإنسان، تحدده طريقة معاملتها لأسوأ المذنبين.. التاريخ سيحكم بقسوة على هذه الخطوة".

الفصل التاسع عشر

لائحة المسؤولين العراقيين الذين تمت محاكمتهم الى جانب صدام

لائحة المسؤولين العراقيين
الذين تمت وسيتم محاكمتهم إلى جانب صدام

صدام حسين: الرئيس السابق للعراق والقائد العام للقوات المسلحة، اعتقلته قوات الاحتلال الأمريكي في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣، ويواجه ٧ تهم بارتكاب "جرائم ضد الإنسانية"، تشمل استخدام الغاز ضد الأكراد في حلبجة (١٩٨٨)، وحملة الأنفال ضد الأكراد (١٩٨٧)، وقمع الإنتفاضة الشعبانية (١٩٩١) والحرب ضد إيران (١٩٨٠-١٩٨٨) وغزو الكويت (١٩٩٠-١٩٩١) وقتل رجال دين شيعة (١٩٨٠ و١٩٩٩) وقتل عشيرة البارزاني التي ينتمي إليها الزعيم الكردي مسعود البارزاني في الثمانينيات.

طه ياسين رمضان: نائب الرئيس العراقي السابق، وكان قائداً للجيش الشعبي المعروف بالقوة الضاربة لصدام، اعتقلته قوات الاحتلال الأمريكي في ١٨ أغسطس ٢٠٠٣، ويواجه اتهامات بالمشاركة في احتلال الكويت، إضافة إلى اتهام بضلوعه في قمع الإنتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، وكذلك مقتل عشرات الآلاف من الأكراد في مدينة حلبجة بعد ضربها بقنابل الغاز السام عام ١٩٨٨.

طارق عزيز: نائب رئيس الوزراء العراقي السابق، وهو مسيحي من أكثر القيادات العراقية المعروفة في الغرب، استسلم لقوات الاحتلال الأمريكي في ٢٤-٤-٢٠٠٣، وقد اتهم باعتباره عضوا في مجلس قيادة الثورة بالمشاركة في الحرب على إيران والكويت.

عبد حمود التكريتي: سكرتير الرئيس العراقي السابق، وأحد أقرب مساعديه، وكان يظهر بجواره بصورة دائمة، عرف عنه إدارة عدد من شئون الدولة العراقية، اعتقلته

قوات الاحتلال الأمريكي في ١٨-٦-٢٠٠٣، وقد وجه له القاضي تهمة واحدة هي الاشتراك في جريمة القتل العمد للعراقيين جنوبي العراق عام ١٩٩١.

علي حسن المجيد: مستشار الرئيس العراقي السابق، وقائد المنطقة العسكرية الجنوبية، وكان يعرف باسم علي الكيماوي، كما أنه ابن عم صدام حسين، اعتقلته قوات الاحتلال الأمريكي في ٢١-٨-٢٠٠٣، بعد أن أعلنت في تقارير سابقة أنه قتل في غارة شنتها مقاتلاتها على منزله في البصرة، ويواجه المجيد تهمة القتل العمد باستخدام الغاز السام ضد الأكراد عام ١٩٨٨، ومشاركته في حرب إيران.

سلطان هاشم أحمد: وزير الدفاع العراقي السابق، استسلم في ١٩ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٣، وقد وجهت إليه اتهامات بالمشاركة في القتل العمد باستخدام الغاز ضد الأكراد في حلبجة (١٩٨٨)، والمشاركة في عمليات الإبادة الجماعية المعروفة باسم عمليات "الأنفال" ضد الأكراد عام ١٩٨٧، وكان قد أشيع عن سلطان أنه تعاون مع قوات الاحتلال الأمريكية أثناء غزوها للعراق.

عزيز صالح النعمان: القائد الإقليمي السابق لحزب البعث، وقائد مليشيا حزب البعث العراقي، اعتقل في ٢٢-٥-٢٠٠٣، اتهم بالضلوع في الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت ضد المواطنين الكويتيين، إضافة إلى ضلوعه في تدمير الأماكن المقدسة للمسلمين الشيعة خلال فترة الثمانينيات.

برزان ابراهيم التكريتي: مسئول سابق في حزب البعث، والمدير السابق لجهاز الاستخبارات العراقية، كما أنه أخ غير شقيق لصدام، وجهت إليه اتهامات بتعذيب وقتل آلاف المعارضين للنظام، إضافة إلى ضلوعه في قتل عشيرة البارزاني التي ينتمي إليها الزعيم الكردي مسعود البارزاني في ١٩٨٣.

وطبان ابراهيم التكريتي: مسئول سابق في حزب البعث ووزير الاستخبارات العراقية، كما أنه أخ غير شقيق لصدام، ويحتل المرتبة رقم ٥١ في القائمة الأمريكية للمطلوبين العراقيين، وشغل أيضا منصب وزير الداخلية السابق، وقد تم اعتقاله في ١٣-٤-٢٠٠٣، واتهم بالقتل العمد خلال مشاركته في قمع الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١.

محمد حمزة الزبيدي: قائد منطقة الفرات الأوسط لحزب البعث، والنائب السابق

لرئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة، تم اعتقاله في ٢١-٤-٢٠٠٣، واتهم بالقتل العمد خلال مشاركته في قمع الإنتفاضة الشعبانية ١٩٩١.

كمال مصطفى عبدالله سلطان التكريتي: السكرتير السابق للحرس الجمهوري، ويعتبر عضوا في دائرة المقربين من الرئيس العراقي، أخوه متزوج من الابنة الصغرى للرئيس العراقي السابق صدام حسين، وقد استسلم لقوات الاحتلال في ١٧ -٥-٢٠٠٣، وجهت إليه تهمة القتل العمد لعدد من العراقيين في مدينة النجف عام ١٩٩١.

صابر عبد العزيز الدوري: رئيس الاستخبارات العسكرية السابق، ولم يرد اسمه ضمن القائمة الأمريكية التي تضمنت ٥٥ مسؤولاً عراقياً مطلوب اعتقالهم، وجهت إليه المشاركة في حرب الكويت ١٩٩١، إضافة إلى القتل العمد لعدد من العراقيين دون محاكمة.

الفصل العشرون

محطات مهمة
سجلها تاريخ العراق الحديث

محطات مهمة سجلها تاريخ العراق الحديث منذ الاحتلال الأميركي عام ٢٠٠٣ وحتى إعدام صدام حسين

في ما يلي عرض موجز بالتسلسل الزمني لأحداث العراق منذ الاحتلال الأميركي عام ٢٠٠٣ حتى إعدام صدام حسين.

٢٠٠٣

- ٢٠ آذار/ مارس: بدء عملية احتلال العراق بغارات أميركية على بغداد، ودخول القوات الأميركية والبريطانية جنوب العراق.

- ٠٩ نيسان/ ابريل: سقوط النظام العراقي مع دخول الأميركيين بغداد.

- ٠١ أيار/ مايو: بعد ستة أسابيع على اندلاع عملية الحرب، الرئيس الأميركي جورج بوش يعلن انتهاء العمليات العسكرية الكبرى في العراق ويؤكد "انتصار" الولايات المتحدة وحلفائها وفي الوقت نفسه مواصلة الحرب على الإرهاب.

- ١٦ أيار/ مايو: الأميركي بول بريمر الذي عين حاكما مدنيا للعراق، ينشئ سلطة الائتلاف المؤقتة ويحظر على كل المسئولين السابقين في حزب البعث العربي الاشتراكي تولي وظائف عامة.

في ٢٣ من الشهر نفسه، أعلن بريمر حل الأجهزة الأمنية.

- ٢٢ تموز/ يوليو: مقتل عدي وقصي صدام حسين، نجلي الرئيس العراقي المخلوع في الموصل (شمال العراق).

- ١٩ آب/ أغسطس: ٢٢ قتيلاً بينهم ممثل الأمم المتحدة في العراق سيرجيو فيرا دي ميلو ونحو مئة جريح في هجوم انتحاري على مقر المنظمة الدولية في بغداد.

- ٠٣ أيلول/ سبتمبر: تشكيل أول حكومة في مرحلة ما بعد صدام حسين.

- ٠٢ تشرين الأول/ أكتوبر: ديفيد كاي رئيس مجموعة التفتيش في العراق يعترف بأنه لم يعثر على أي اثر لأسلحة دمار شامل في العراق.

- ١٦ تشرين الأول/ أكتوبر: صدور قرار الأمم المتحدة رقم ١٥١١ الذي ينص على تشكيل قوة متعددة الجنسيات.

- ١٣ كانون الأول/ ديسمبر: اعتقال صدام حسين قرب تكريت، مسقط رأسه.

٢٠٠٤

٠١ شباط/ فبراير: أكثر من مئة قتيل في عمليتين انتحاريتين ضد مقري الحزبين الكرديين الرئيسيين في اربيل شمال العراق.

- ٠٢ آذار/ مارس: مقتل أكثر من ١٧٠ شخصا وإصابة ٥٥٠ آخرين في اعتداءات متزامنة ضد المسلمين الشيعة في مدينة كربلاء وفي احد مساجد بغداد خلال إحياء ذكرى عاشوراء.

- ٠٨ آذار/ مارس: توقيع قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية.

- ٠٤ نيسان/ ابريل: بدء مواجهات عنيفة استمرت حتى نهاية آب/ أغسطس بين قوات التحالف وأنصار السيد مقتدى الصدر في المدن "الشيعية" الكبرى في الجنوب وفي بغداد.

- ٠٥ نيسان/ ابريل: مشاة البحرية الأميركية (المارينز) يشنون عملية واسعة النطاق على مدينة الفلوجة (غرب بغداد) بعد مقتل أربعة مدنيين أميركيين.

- ٠٨ نيسان/ ابريل: بدء عمليات خطف مدنيين اجانب في العراق. الخاطفون يقتلون نحو ثلاثين من مئات المخطوفين.

- ١٨ نيسان/ ابريل: اسبانيا تقرر سحب قواتها التي نشرت في العراق في صيف ٢٠٠٣.

- ٢٨ نيسان/ ابريل: بث صور لمعتقلين عراقيين يتعرضون لسوء معاملة من قبل القوات الأميركية في سجن أبو غريب قرب بغداد.

- ٢٨ حزيران/ يونيو: "التحالف العسكري" ينقل السلطة إلى الحكومة العراقية قبل يومين من الموعد المحدد وبول بريمر يغادر العراق. تولى رئاسة الحكومة أياد علاوي وتم تعيين غازي الياور رئيسا للدولة.

- ٢١ كانون الأول/ ديسمبر: ٢٢ قتيلا بينهم ١٤ جندياً أميركياً وأربعة مدنيين أميركيين في هجوم استهدف قاعدة أميركية في الموصل تبنته مجموعة أنصار السنة المرتبطة بتنظيم القاعدة.

٢٠٠٥

- ٣٠ كانون الثاني/ يناير: أول انتخابات تعددية في العراق منذ أكثر من خمسين عاماً، يقاطعها السنة ويفوز الشيعة فيها بالأغلبية الساحقة في البرلمان يليهم الأكراد.

- ٢٨ شباط/ فبراير: ١١٨ قتيلاً في الحلة (وسط) في الاعتداء الأكثر دموية منذ سقوط صدام حسين. تبنت مجموعة أبو مصعب الزرقاوي زعيم القاعدة في العراق هذه العملية.

- ٠٦ نيسان/ ابريل: انتخاب الكردي جلال طالباني رئيسا للعراق. وفي السابع من الشهر عين إبراهيم الجعفري رئيسا للحكومة.

- ٣١ آب/ أغسطس: تدافع على جسر في بغداد يؤدي إلى مقتل نحو ألف شخص معظمهم من الزوار الشيعة.

- ١٤ أيلول/ سبتمبر: ١٢٨ قتيلا على الأقل في سلسلة اعتداءات في بغداد تبناها تنظيم القاعدة وأبو مصعب الزرقاوي يعلن "حربا شاملة" على الشيعة.

- ٢٩ أيلول/ سبتمبر: ثلاثة اعتداءات في مدينة بلد "الشيعية" (شمال بغداد) يتبناها الزرقاوي توقع ٩٩ قتيلا.

- ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر: إقرار دستور دائم للبلاد يعتمد الفدرالية عبر استفتاء (٧٨٪).

- ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر: بدء محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين بتهمة ارتكاب مجزرة الدجيل (١٤٨ قتيلا عام ١٩٨٢).

- ١٩-٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر: اجتماع مصالحة بين مختلف الفصائل العراقية في القاهرة.

- ١٥ كانون الأول/ ديسمبر: انتخابات بمشاركة سنية كبيرة تشريعية تنتهي بفوز اللائحة الشيعية المحافظة "الائتلاف العراقي الموحد" (١٢٨ مقعداً من أصل ٢٧٥).

٢٠٠٦

- ٠٥ كانون الثاني/يناير: ١٢٠ قتيلا في سلسلة من الهجمات احدها في كربلاء قرب مقام الإمام الحسين (٤٤ قتيلا) وآخر في الرمادي استهدف مركز تجنيد للشرطة (٦٧ قتيلاً).

- ١٢ شباط/فبراير: الشيعة الذين يشكلون غالبية في البرلمان يختارون رئيس الوزراء إبراهيم الجعفري مرشحاً لرئاسة الحكومة الجديدة.

- ٢٢ شباط/فبراير: تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء (شمال بغداد) يتسبب في اندلاع أعمال عنف طائفية أسفرت عن سقوط أكثر من ٤٥٠ قتيلا وفق المسئولين العراقيين.

- ٢٠ نيسان/ابريل: إبراهيم الجعفري يتخلى عن الترشح لرئاسة الحكومة إزاء رفض السنة والأكراد تسلمه المنصب مجدداً، ما يفسح الطريق للخروج من الأزمة السياسية.

- ٢٢ نيسان/ابريل: مجلس النواب العراقي يعيد انتخاب جلال طالباني رئيساً لولاية ثانية وينتخب نائبين له. وكلف نوري المالكي تشكيل الحكومة الجديدة.

- ٠٧ حزيران/يونيو: مقتل أبو مصعب الزرقاوي في عملية أميركية شمال بغداد.

- ١٥ حزيران/يونيو: بلغ عدد الجنود الأميركيين القتلى ٢٥٠٠.

- ٢١ آب/أغسطس: بدء محاكمة الرئيس السابق صدام حسين في قضية مقتل عشرات آلاف الأكراد في حملة الأنفال في ١٩٨٧ و١٩٨٨.

- ١١ تشرين الأول/أكتوبر: البرلمان يقر قانوناً ينص على دولة فدرالية.

- ٠٥ تشرين الثاني/نوفمبر: حكم بالإعدام على صدام حسين في قضية الدجيل.

- ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر: ٢٠٢ قتيل في سلسلة هجمات في مدينة الصدر في بغداد.

- ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر: العثور على أكثر من تسعين جثة. قالت الأمم المتحدة إن أكثر من ١٣ ألف مدني قتلوا في العراق بين تموز/يوليو وتشرين الأول/أكتوبر.

- ٠٦ كانون الأول/ديسمبر: جورج بوش يتسلم تقريراً أعدته مجموعة يشارك وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر، بهدف تغيير السياسة الأميركية في العراق.

- ٣٠ كانون الأول/ديسمبر: إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين شنقاً.

الفصل الحادي والعشرون

صدام حسين
في تواريخ مهمة

٢٨ إبريل عام ١٩٣٧ ولد في قرية العوجة على مشارف تكريت على بعد ١٥٠ كيلومترا شمالي العاصمة بغداد[1].

أكتوبر عام ١٩٥٦ انضم إلى انتفاضة ضد الحكم الملكي الموالي لبريطانيا ثم انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي.

أكتوبر عام ١٩٥٩ بعد عام من إسقاط الملكية يشارك صدام في محاولة لاغتيال رئيس الوزراء العراقي آنذاك عبد الكريم قاسم ويفر إلى الخارج.

فبراير عام ١٩٦٣ يعود إلى بغداد عندما يستولي البعث على الحكم في انقلاب عسكري لكن بعد ٩ أشهر تتم الإطاحة بالبعثيين ويعتقل صدام ويسجن. ثم ينتخب نائبا للأمين العام للحزب وهو في السجن.

يوليو عام ١٩٦٨ صدام يشارك في التخطيط لانقلاب يعيد البعث إلى السلطة مطيحا بالرئيس عبد الرحمن عارف.

مارس عام ١٩٧٥ يوقع صدام بوصفه نائب رئيس مجلس قيادة الثورة اتفاقا حدودياً مع شاه إيران الذي ينهي دعمه لتمرد كردي عراقي مما يؤدي إلى انهيار التمرد.

١٦ يوليو عام ١٩٧٩. يتولى صدام السلطة بعد أن أجبر الرئيس أحمد حسن البكر على التنحي كرئيس لمجلس قيادة الثورة.

---

(١) هذا التاريخ هو المتعارف لميلاده، ولكن الحقيقة الثابتة أنه ولد في العام ١٩٣٩، لكن صدام لقرانه بـ ساجد خير الله طلفاح ـ إبنة خاله ـ التي كانت من مواليد ١٩٣٧ غيّر تاريخ ميلاده، وقد أثبتنا ذلك بعدة وثائق آخر الكتاب.

٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ بعد مناوشات حدودية يشن صدام حرباً على إيران تستمر ٨ أعوام.

١٦ مارس عام ١٩٨٨ القوات العراقية تشن هجوماً كيماوياً على بلدة حلبجة الكردية وتقتل نحو ٥٠٠٠ نسمة.

٢٠ أغسطس عام ١٩٨٨ تطبيق وقف إطلاق النار رسمياً في الحرب الإيرانية العراقية. وتستمر الحملة ضد الأكراد.

٢ أغسطس ١٩٩٠ يغزو صدام الكويت ويفرض مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عقوبات على العراق.

١٧ يناير عام ١٩٩١ تبدأ قوات بقيادة الولايات المتحدة حرب الخليج الثانية بهجمات جوية على العراق والكويت المحتلة. وتنتهي عمليات القتال في ٢٨ فبراير بطرد القوات العراقية من الكويت.

١٥ أكتوبر عام ١٩٩٥ يفوز صدام في استفتاء رئاسي مزعوم وينتخب دون منازع بأكثر من ٩٩٪ من الأصوات.

١٥ أكتوبر عام ٢٠٠٢ النتائج الرسمية المزعومة تظهر فوز صدام بنسبة ١٠٠٪ في استفتاء على فترة رئاسة جديدة.

٧ ديسمبر عام ٢٠٠٢ يعتذر صدام عن غزو الكويت لكنه يلقي اللوم على قادتها. وترفض الكويت اعتذاره.

٢ فبراير عام ٢٠٠٣ في أول حديث له منذ أكثر من ١٠ سنوات ينفي صدام امتلاك بغداد لأي أسلحة محظورة كما ينفي صلتها بالقاعدة.

١٥ مارس عام ٢٠٠٣ يعلن صدام إعداد البلاد للحرب ويقسمها إلى ٤ قطاعات عسكرية ويضع ابنه الأصغر قصي على رأس قيادة منطقة بغداد/ تكريت الحيوية.

٢٠ مارس عام ٢٠٠٣ تشن الولايات المتحدة الحرب على العراق وتضرب بغداد جوا مستهدفة قيادات «رفيعة للغاية». ويظهر صدام بعد ذلك على شاشات التلفزيون ويدعو العراقيين إلى الدفاع عن وطنهم.

٩ إبريل عام ٢٠٠٣ تجتاح القوات الأمريكية العاصمة العراقية بغداد لينهار حكم صدام الذي استمر ٢٤ عاما.

٢٢ يوليو ٢٠٠٣ يؤكد الجيش الأمريكي مقتل عدي وقصي ابني صدام في اشتباك بالرصاص في الموصل.

١٤ ديسمبر عام ٢٠٠٣ المسؤولون الأمريكيون يعلنون اعتقال صدام.

٢٧ إبريل عام ٢٠٠٤ مسؤولو اللجنة الدولية للصليب الأحمر يزورون صدام للمرة الثانية. قام بالزيارة الأولى طبيب من الصليب الأحمر ومترجم يوم ٢١ فبراير شباط.

٣٠ يونيو عام ٢٠٠٤ تتسلم الحكومة العراقية المسؤولية القانونية عن صدام لكنه يظل تحت حراسة الجيش الأمريكي.

الأول من يوليو ٢٠٠٤ صدام يمثل أمام محكمة عراقية خاصة ليواجه تهماً بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. ويصف المحاكمة بأنها «مسرحية».

تزوج صدام حسين للمرة الأولى عام ١٩٦٣ من ابنة خاله ساجدة خير الله طلفاح وأنجب منها عدي وقصي وثلاث بنات، تزوجت اثنتان منهما من الأخوين صدام وحسين كامل الذين قتلا بأمر من صدام عقب دخولهما الأراضي العراقية بعد عدة أشهر فرّا خلالها إلى الأردن قبل أن يقررا العودة مرة أخرى إلى العراق بناء على تطمينات جاءتهما من بغداد. أما الثالثة فقد تزوجت من جمال مصطفى عبد الله وهو مسؤول مساعد في مكتب الأعمال العشائري.

١٩ أكتوبر ٢٠٠٥ يمثل صدام وسبعة من معاونيه أول مرة أمام المحكمة للمحاكمة بقضية الدجيل، التي رأسها القاضي الكردي رزكار محمد أمين، ليخلفه بعد استقالته القاضي الكردي رؤوف عبد الرحمن.

٢١ أغسطس ٢٠٠٦ يمثل صدام وستة من معاونيه أمام المحكمة الجنائية العليا بتهمة الإبادة الجماعية للأكراد في حملة الأنفال (١٩٨٧ ـ ١٩٨٨) التي راح ضحيتها أكثر من ١٠٠ ألف مواطن كردي عراقي. وكانت الجلسات الأولى برئاسة القاضي عبد الله العامري، ليستلم بعده القاضي محمد العريبي رئاسة المحكمة.

٥ نوفمبر ٢٠٠٦ صدر الحكم بإعدام صدام حسين وبرزان التكريتي وحمد البندر بقضية الدجيل.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦ نفّذ حكم الإعدام شنقاً بالرئيس العراقي السابق صدّام حسين.

وهكذا تنطوي صفحات مسكوتٌ عنها من كتاب صدّام حسين الحافل؛ ولم تنطوِ

مأساة العراق بعد. . هذا العراق الجميل. . العراق الأبيّ، مهد الحضارات وأرض الشرائع والرسالات. . عراق الشعر والروح والخلّاقة في كل إبداع.

تنطوي صفحات الكتاب؛ والعراق بين نارين، نار المحتل، ونار الإرهاب المُسلّط على البشر والحجر. . كم أنت صبور أيها العراق، وكم أنت عظيم؟

سلام للعراق

سلام للنخيل الذي تستظل بفيئه كل القامات؛ وأعلى الهامات.

سلام للعراق. . لأهله. . لفراته، ولكل مكنوزٍ في أرضه، ومنغرس في ترابه.

سلام للعراق. . كل العراق.

مصادر ومراجع الكتاب

الكتب

١ ـ أزمة القيادة في العراق، العقيد الركن أحمد الزيدي، ط١، ١٩٩٣، لندن، دار الرائد.

٢ ـ أوكار الهزيمة، هاني الفكيكي، دار رياض الريس للنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٣ ـ بعث العراق، حازم صاغية، دار الساقي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

٤ ـ جمهورية الخوف، سمير الخليل، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

٥ ـ الجواهري رؤية غير سياسية، حسن العلوي، ميسوبوتيميا للأبحاث والدراسات ١٩٩٥.

٦ ـ الحرب تلد أخرى، سعد البزاز، الأهلية للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٢م.

٧ ـ حروب صدام، ضياء الدين المجمعي، دار الحكمة، ط١، لندن، ٢٠٠٦.

٨ ـ حزب الدعوة الإسلامية ـ حقائق ووثائق، صلاح الخرسان، المؤسسة العربية للدرسات والأبحاث الإستراتيجية، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٩ ـ حكومة القرية، طالب الحسن، أور للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٠ ـ رجال ظلمهم التاريخ، «إعدام أول رئيس عربي»، محمد جاد، الحرية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧.

١١ ـ الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، ج٣، حنا بطاطو، ترجمة عفيق الرزاز، ط١، بيروت ١٩٩٢م.

١٢ ـ الشيعة والدولة القومية في العراق، حسن العلوي.

١٣ ـ صدام حسين، عبود عبود، دار الفاروق، ط١، ٢٠٠٦.

١٤ ـ صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، د. أمير اسكندر، هاشيت للنشر، فرنسا، ط١، ١٩٩٠م.

١٥ ـ صدام الحياة السرية، كون كوغن، تعريب مسلم الطعان، منشورات الجمل، ط١، ألمانيا، كولونيا، ٢٠٠٥.

١٦ ـ صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل، فؤاد مطر، المؤسسة العربية ودار قضايا، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

١٧ ـ طارق عزيز.. رجل وقضية، حميدة نعنع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٢.

١٨ ـ عشر سنوات في قصور صدام، بول بريمر، تعريب عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٦.

١٩ ـ العراق دولة المنظمة السرية، حسن العلوي.

٢٠ ـ العراق أمسه وغده، خليل كنة، دار الريحاني، بيروت، ط١، ١٩٦٦.

٢١ ـ في ظل صدام، هيثم رشيد وهيب، تعريب ميشال خوري، دار ورد، ط١، دمشق.

٢٢ ـ فندق السعادة، د. جليل العطية، دار الحكمة، ط١، ١٩٩٣، لندن.

٢٣ ـ قصة سقوط بغداد، أحمد منصور، الدار العربية للعلوم، ط٦، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٤ ـ كنت طبيباً لصدام، علاء بشير، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤.

٢٥ ـ كنت سفيراً في العراق، أمين هويدي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣.

٢٦ ـ كنت إبناً للرئيس، لطيف يحيى، نوركا للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٤.

٢٧ ـ مخابرات صدام واغتيال شيخ بني تميم، زهير كاظم عبود، دار الحكمة، ط١، لندن، ٢٠٠٤.

٢٨ ـ مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، جواد هاشم، دار الساقي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

٢٩ ـ مصرع المشير الركن عبد السلام عارف، فيصل حسون، دار الحكمة، ط٢، لندن، ٢٠٠٤.

٣٠ ـ موسوعة العشائر العراقية، تامر عبد الحسن العامري، ج١، ج٥، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢، ١٩٩٣.

٣١ ـ من الذاكرة سيرة حياة، صالح دكلة، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٢ ـ من هو صدام التكريتي، محمد السماك، منشورات الإتحاد الإسلامي لطلبة العراق فرع امريكا وكندا، ط١، ١٩٨٢م.

٣٣ ـ نواطير الغرب، حسن السعيد، الوحدة للدراسات والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣٤ ـ هكذا عرفت البكر وصدام، رحلة ٣٥ سنة في حزب البعث، فخري قدوري، دار الحكمة، ط١، لندن، ٢٠٠٦.

٣٥ ـ الهروب إلى الحرية، د. حسين الشهرستاني، ط١، ٢٠٠٠م.

المجلات:

٣٦ ـ دراسات عراقية ـ دمشق.

٣٧ ـ الشراع ـ بيروت.

٣٨ ـ الحوادث ـ بيروت.

٣٩ ـ روز اليوسف ـ القاهرة.

٤٠ ـ الأهرام ـ القاهرة.

٤١ ـ المجلة ـ لندن.

٤٢ ـ الوسط ـ لندن.

٤٣ ـ أبواب ـ بيروت.

٤٤ ـ نيوز ويك ـ العربية.

٤٥ ـ الأفكار ـ بيروت.

٤٦ ـ ألف باء بغداد.

٤٧ ـ ديرشبيغل ـ ألمانيا.

الصحف:

٤٨ ـ النهار ـ بيروت.
٤٩ ـ السفير ـ بيروت.
٥٠ ـ الإنتقاد ـ بيروت.
٥١ ـ الكفاح العربي ـ بيروت.
٥٢ ـ الأنوار ـ بيورت.
٥٣ ـ المستقبل ـ بيروت.
٥٤ ـ البيان ـ الإمارات.
٥٥ ـ الخليج ـ الإمارات.
٥٦ ـ الإتحاد ـ الإمارات.
٥٧ ـ الشرق الأوسط ـ لندن.
٥٨ ـ الحياة ـ لندن.
٥٩ ـ القدس العربي ـ لندن.
٦٠ ـ المؤتمر ـ لندن.
٦١ ـ الوفاق ـ لندن.
٦٢ ـ بغداد ـ لندن.
٦٣ ـ القبس ـ الكويت.
٦٤ ـ الرأي العام ـ الكويت.
٦٥ ـ الجزيرة ـ السعودية.
٦٦ ـ الرياض ـ السعودية.
٦٧ ـ الراية ـ قطر.
٦٨ ـ الوطن ـ قطر.
٦٩ ـ عُمان ـ سلطنة عُمان.
٧٠ ـ الأيام ـ البحرين.
٧١ ـ الوسط ـ البحرين.

٧٢ ـ أخبار الخليج ـ البحرين.

٧٣ ـ الوفد ـ القاهرة.

٧٤ ـ الأهرام ـ القاهرة.

٧٥ ـ الأخبار ـ القاهرة.

٧٦ ـ نداء الرافدين.

٧٧ ـ الجهاد ـ طهران.

صحف إلكترونية:

٧٨ ـ الرأي الآخر.

٧٩ ـ دنيا الوطن.

٨٠ ـ الحقائق.

مواقع إلكترونية:

٨١ ـ قناة الجزيرة.

٨٢ ـ قناة العربية.

٨٣ ـ إيلاف.

٨٤ ـ ٩ نيسان والمواقع المتصلة به.

٨٥ ـ البصرة

٨٦ ـ وزارة الخارجية الأمريكية.

٨٧ ـ C.N.N العربي.

٨٨ ـ نيوز ويك.

٨٩ ـ نيويورك تايمز.

٩٠ ـ واشنطن بوسط.

٩١ ـ B.B.C الإذاعة البريطانية والمواقع المتصلة به.

٩٢ ـ وزارة الدفاع الأمريكية ـ البنتاغون.

٩٣ ـ إسلام أون لاين.

٩٤ ـ شبكة كربلاء.

٩٥ ـ الأرشيف الخاص بدار الأمير ـ بيروت. أشرطة تسجيل بالصوت والصورة ـ وثائق خطيَّة ـ مقابلات خاصة.

المراجع والمصادر الأجنبية

96- Aburish, Said K. Saddam Hussein: The Politics of Revenge. London: Bloomsbury, 2000.

97 -Anderson, Jon Lee. The Fall of Baghdad. New York: Viking Penguin, 2005.

98 - Balaghi, Shiva. Saddam Hussein: A Biography. Westport: Greenwood, 2005.

99- Bengio, Ofra. Saddam's Word: The Political Discourse in Iraq. Oxford: Oxford University, Press, 1998.

100- Coughlin, Con. Saddam: His Rise and Fall. New York: HarperCollins, 2005.

101- Downing, David. Iraq 1968-2003. Chicago: Raintree, 2004.

102- Dyer, Charles H. The Rise of Babylon: Sign of the End Times. Chicago: Moody Press, 2003.

103- Johnson, James Turner. War to Oust Saddam Hussein: Just War and the New Face of Conflict. Lanham: Rowman & Littlefield, 2005.

104- Karsh, Efraim and Inari Rautsi. Saddam Hussein: A Political Biography. New York: Grove/Atlantic Inc.: 2002.

105- Mackey, Sandra. The Reckoning: Iraq and the Legacy of Saddam Hussein. New York: Norton, W. W. & Co., 2002.

106- Moore, Robin and Mark Vargas. Hunting Down Saddam: The Inside Story of the Search and Capture. New York: St. Martin's Press, 2004.

107- Munthe, Turi, ed. The Saddam Hussein Reader: Selections From Leading Writers on Iraq. New York: Basic Books, 2002.

108- Sada, Georges. Saddam's Secrets: How an Iraqi General Defied and Survived Saddam Hussein. Nashville: Thomas Nelson, 2006.

109- Scharf, Michael P. and Gregory s. McNeal. Saddam on Trial: Understanding and Debating the Iraqi High Tribunal. Durham: Carolina Academic Press, 2006.

110- Shields, Charles J. and Rachel Koestler-Grack. Saddam Hussein. New York: Chelsea House, 2005.

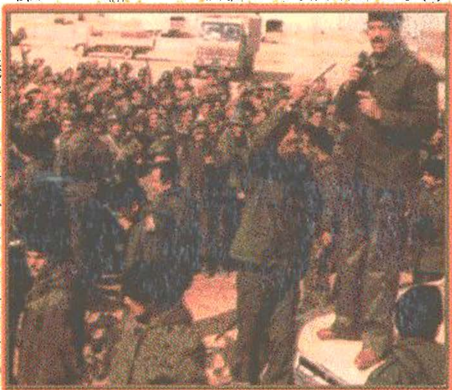
111- Simons, Geoff. Targeting Iraq: Sanctions and Bombing in US Policy. London: Saqi, 2006.



صور نادرة لصدام حسين في صباه وشبابه الأول



صورة نادرة لإبراهيم الحسن و زوجته صبحة طلفاح المسلط (والدة صدام)







صدام في الدجيل (بعد محاولة إغتياله)



صدام حسين، مصلح الجلالي، صلاح شوان
عام 1981 دار الثقافة والنشر الكردية - بغداد







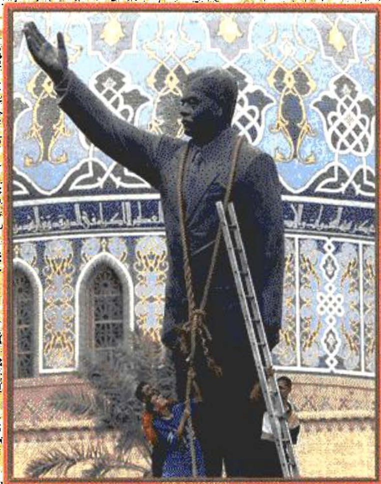
صدام حسين رئيساً للعراق



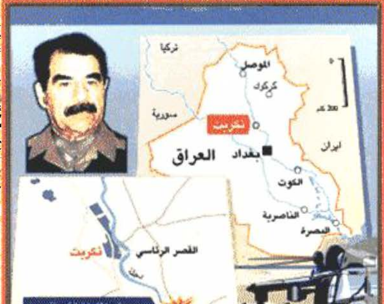
صورة عائلية جامعة لصدام وعائلته وصهريه.



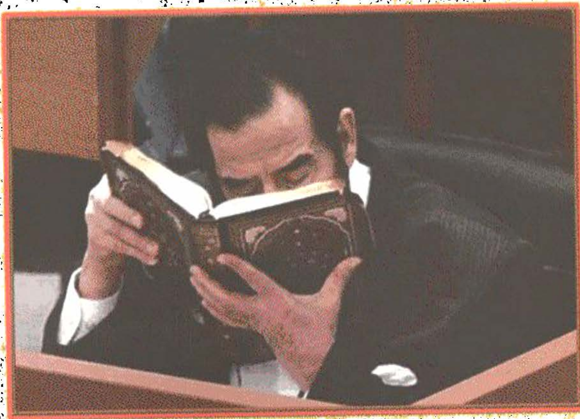
المهندس محمد نور الدين صافي
(إبن سميرة الشهبندر من زوجها الأول)
والذي يقيم حالياً في نيوزيلندا



تمثال صدام حسين أثناء إزالته بعد سقوط بغداد في ٢٠٠٣/٤/٩



خريطة عملية الفجر الأحمر



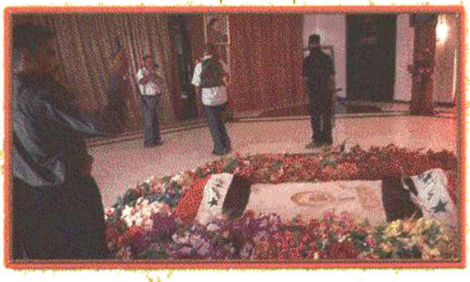


صدام حسين أثناء المحاكمة





لحظة تنفيذ حكم الإعدام فجر ٢٩/ ٢/ ٢٠٠٦



قبر صدام حسين في تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»

«صدق الله العلي العظيم»

يحزّ في النفس أن يصل الأمر بالمسلمين أن يُغزَوا في عقر دارهم وتنتهك حرمتهم بلا وازع ولا رادع، ونحن إذ نستنكر بشدة العدوان الظالم على العراق المسلم الذي زاده الله تعالى شرفاً بعتباته المقدسة ومشاهده المعظمة، نؤكد على المسلمين عموماً وعلى أبناء العراق العزيز خصوصاً:

(أولاً): أن يرجعوا الى الله عز وجل، ويوثقوا علاقتهم به، ويلجأوا إليه جل شأنه في محنتهم عسى أن يرحمهم ويعيد لهم جميعاً عزتهم وكرامتهم فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

(ثانياً): أن يوحدوا كلمتهم بوجه العدوان السافر ويحافظوا على النظام العام ويتحلوا بالحلم والصبر، ولا يستجيبوا لهتاف الشيطان الغوي في اندفاع عدواني من أجل إشباع أحقاد شخصية، أو رغبة في مكاسب مجرمة، وأن يحافظوا على الأموال العامة ولا يتعرضوا لها، فإنها ملك لهم جميعاً فضرر إتلافها على كل حال، فإن الله تعالى يقول: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»

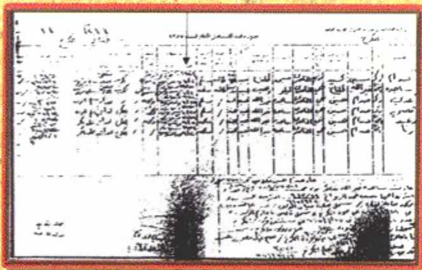
ونسأل الله عز وجل أن يرد كيد الخائنين ويدفع شر الظالمين إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد سعيد الطباطبائي الحكيم — بشير — علي الحسيني — محمد إسحاق الفياض

١٨ محرم الحرام ١٤٢٤هـ

بيان مراجع النجف الأشرف الذي يدعو العراقيين للتصدي للعدوان الأمريكي على العراق بتاريخ ١٨محرم ١٤٢٤هـ.

(الموقعون: السيد علي السيستاني - الشيخ إسحاق الفيّاض - الشيخ بشير النجفي - السيد محمد سعيد الحكيم)



صورة قيد صدام حسين وعائلته عدا إبنته حلا وإبنه علي من سميرة الشهبندر



إفادة لصدام حسين بقبوله بثانوية قصر النيل بالقاهرة.



إستمارة قبول صدام في ثانوية الكرخ
ويظهر فيها أنه مواليد ١٩٣٩م وليس ١٩٣٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »

من صدام حسين

إلى الشعب العراقي العظيم

إلى أبناء الأمة العربية والإسلامية

إلى الشرفاء في كل مكان

لقد عاهدنا الله أن لا نجعل القوات الأمريكية والبريطانية المجرمة ترتاح وتسرق خيرات العراق العظيم، كما يخوض أبناء الشعب من رجال الجيش والحرس الجمهوري وكتائب الفاروق وجبهة التحرير وأعضاء حزب البعث ... قتالا ... معركة في سفر المنازلة الأبدية لطرد القوات الغازية الكافرة من العراق.

ولقد أخذ العدو الكافر بقتل المدنيين من ليس لهم علاقة بحمل السلاح، وهو أمر يستلزم نهوض كافة أبناء الشعب بقواه المختلفة والمتفقة على هدف تحرير العراق من الاحتلال.

انهضوا جميعا وحولوا أيام العدو إلى جحيم، واجعلوا من المساجد والمدارس وضريح علي والحسين والعباس رضوان الله عليهم وأبو حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني ... نقاط للمقاومة ... وطرده. ... المقاومة ... الأجانب ... مهما كانت صفته

صدام حسين

من رسائل صدام الخطيّة إلى العراقيين قبل إعتقاله



مرسوم جمهوري

رقم

الصادقة على تنفيذ حكم الإعدام

على الوزراء المختصين تنفيذ هذا المرسوم.

كتب ببغداد في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة ١٤٠٢ هجرية.

المصادف لليوم السادس من شهر أيلول لسنة ١٩٨٢ ميلادية.

صدام حسين

رئيس الجمهورية

المرسوم الجمهوري رقم (١٠٠٨) بالمصادقة على أحكام الإعدام بقضية الدجيل، ويبدو توقيع صدام نهاية الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة الجمهورية
مكتب أمانة السر للقيادة العامة للقوات المسلحة

سيدي الرئيس القائد العام للقوات المسلحة المحترم

م/ الاجراءات المتخذه حول أستخدام الاسلحة الكيماويــة
في القطعات لكسر الحاجز النفسي

المرفق جانبا " التقرير الخاص بالموضوع أعلاه
أطلع السيد رئيس أركان الجيش عليه وتقرر عرضه على أنظار سيادتكم
يرجى التفضل بالاطلاع والتنسيب مع فائق التقدير والاحترام سيدي الرئيس القائد العام .

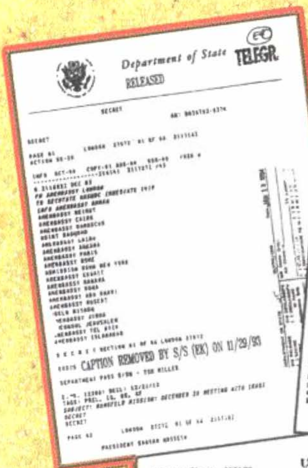
اللواء الركن
طالع خليل ارحيم
امين السر العام للقيادة العامة للقوات المسلحة
٢٩ حزيران ١٩٨٥

١٩٨٥/٦/٣٠

وثيقة تفيد بالإعداد لاستخدام الأسلحة الكيماوية منذ العام ١٩٨٥



وثائق سرّية للغاية تفيد بأن صدام حسين وافق على استخدام الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد



E6

Department of State TELEGR.

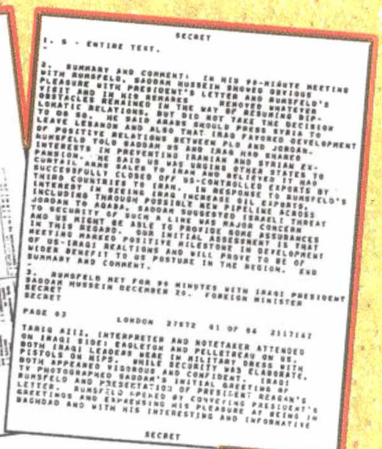
RELEASED

SECRET

SECRET

CAPTION REMOVED BY S/S (EK) ON 11/29/93

SECRET



SECRET

1. S - ENTIRE TEXT.

2. SUMMARY AND COMMENT: IN HIS 90-MINUTE MEETING WITH RUMSFELD, SADDAM HUSSEIN SHOWED OBVIOUS PLEASURE WITH PRESIDENT'S LETTER AND RUMSFELD'S VISIT AND IN HIS REMARKS REMOVED WHATEVER OBSTACLES REMAINED IN THE WAY OF RESUMING DIPLOMATIC RELATIONS, BUT DID NOT TAKE THE DECISION TO DO SO. HE SAID ARABS SHOULD PRESS SYRIA TO LEAVE LEBANON AND ALSO THAT IRAQ FAVORED DEVELOPMENT OF POSITIVE RELATIONS BETWEEN PLO AND JORDAN. RUMSFELD TOLD SADDAM US AND IRAQ HAD SHARED INTERESTS IN PREVENTING IRANIAN AND SYRIAN EXPANSION. HE SAID US WAS URGING OTHER STATES TO CURTAIL ARMS SALES TO IRAN AND BELIEVED IT HAD SUCCESSFULLY CLOSED OFF US-CONTROLLED EXPORTS BY THIRD COUNTRIES TO IRAN. IN RESPONSE TO RUMSFELD'S INTEREST IN SEEING IRAQ INCREASE OIL EXPORTS, INCLUDING THROUGH POSSIBLE NEW PIPELINE ACROSS JORDAN TO AQABA, SADDAM SUGGESTED ISRAELI THREAT TO SECURITY OF SUCH A LINE WAS MAJOR CONCERN AND US MIGHT BE ABLE TO PROFIDE SOME ASSURANCES IN THIS REGARD. OUR INITIAL ASSESSMENT IS THAT MEETING MARKED POSITIVE MILESTONE IN DEVELOPMENT OF US-IRAQI REALTIONS AND WILL PROVE TO BE OF WIDER BENEFIT TO US POSTURE IN THE REGION. END SUMMARY AND COMMENT.

3. RUMSFELD MET FOR 90 MINUTES WITH IRAQI PRESIDENT SADDAM HUSSEIN DECEMBER 20. FOREIGN MINISTER

SECRET

SECRET

PAGE 03 LONDON 27572 01 OF 04 211714Z

TARIQ AZIZ, INTERPRETER AND NOTETAKER ATTENDED ON IRAQI SIDE; EAGLETON AND PELLETREAU ON US. BOTH IRAQI LEADERS WERE IN MILITARY DRESS WITH PISTOLS ON HIPS. WHILE SECURITY WAS ELABORATE, BOTH APPEARED VIGOROUS AND CONFIDENT. IRAQI TV PHOTOGRAPHED SADDAM'S INITIAL GREETING OF RUMSFELD AND PRESENTATION OF PRESIDENT REAGAN'S LETTER. RUMSFELD OPENED BY CONVEYING PRESIDENT'S GREETINGS AND EXPRESSING HIS PLEASURE AT BEING IN BAGHDAD AND WITH HIS INTERESTING AND INFORMATIVE

SECRET



UNCLASSIFIED

Page: 1 (E7)

Channel: n/a

RELEASED IN FULL

SECRET

DECAPTIONED

SUBJECT: BRIEFING NOTES FOR RUMSFELD VISIT TO BAGHDAD

1. S - ENTIRE TEXT.

2. SETTING: TWO EVENTS HAVE WORSENED THE ATMOSPHERE IN BAGHDAD SINCE YOUR LAST STOP THERE IN DECEMBER: (1) IRAQ HAS ONLY PARTLY REPULSED THE INITIAL THRUST OF A MASSIVE IRANIAN INVASION, LOSING THE STRATEGICALLY SIGNIFICANT MAJNUN ISLAND OIL FIELDS AND ACCEPTING HEAVY CASUALTIES; (2) BILATERAL RELATIONS WERE SHARPLY SET BACK BY OUR MARCH 5 CONDEMNATION OF IRAQ FOR CW USE, DESPITE OUR REPEATED WARNINGS THAT THIS ISSUE WOULD EMERGE SOONER OR LATER. GIVEN ITS WARTIME PREOCCUPATIONS AND ITS DISTRESS AT OUR CW STATEMENT, THE IRAQI LEADERSHIP PROBABLY WILL HAVE LITTLE INTEREST IN DISCUSSING LEBANON, THE ARAB-ISRAELI CONFLICT, OR OTHER MATTERS EXCEPT AS THEY MAY IMPINGE ON IRAQ'S INCREASINGLY DESPERATE STRUGGLE FOR

SECRET

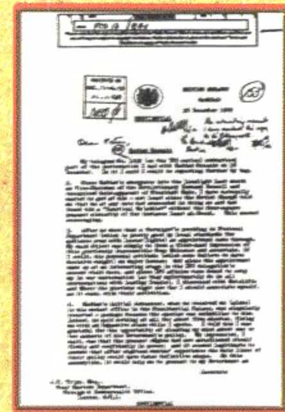
SECRET

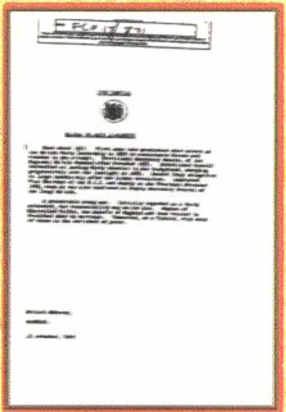
SURVIVAL. IF SADDAM OR TARIQ AZIZ RECEIVES YOU AGAINST THIS BACKGROUND, IT WILL BE A NOTEWORTHY GESTURE OF THE

Current Class: SECRET

UNCLASSIFIED

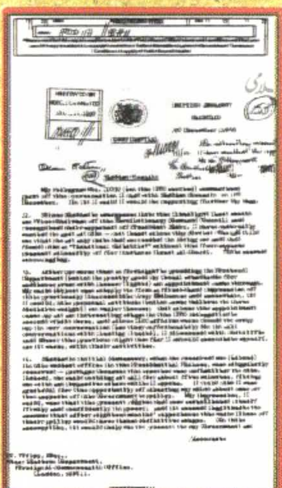
بعض الوثائق التي تكشف علاقة نظام صدام بأجهزة الإدارة الأمريكية قبل غزوه الكويت





بعض الوثائق التي تكشف علاقة نظام صدام بأجهزة الإدارة الأمريكية حيث نشرنا ترجمة بعضها داخل الكتاب







وثيقة تنفيذ حكم الإعدام بالرئيس العراقي السابق صدام حسين
بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٩م